من الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية

الجـــزء الثانـــي

جمع وتنسيق المادة العلمية
أ / لطيفة أبوغرارة

الفهـــرس

مِن الإعجاز العلمي

في

الكائنات الحية

الحياة في الغاب ليست مسرحاً للحرب

لقد ثبت أنّ الطبيعة ليست مسرحاً للحرب كما يدّعي (دارون) ، وأنّ الحياة فى الطبيعة قد أثبتت إفلاس نظرية التطور وعجزها كلياً ومثال على ذلك: لماذا يعود الحمار الوحشي هارباً من مفترسيه ليلفت انتباهم إلى ناحيته بدلا من القطيع الذي قدم منه ، مستهدفاً إنقاذه ومضحياً بحياته فى سبيل ذلك؟ هذا التساؤل تعجز نظرية التطور عن الإجابة عنه وكذلك السلوك الغريب لسمكة " أتارينا " فهي تُعرِّض حياتها للخطر خارجة من الماء إلى السواحل الرملية للتبييض ومع ذلك فإنّ قانون الانتخاب الطبيعي لم يستطع إزالتها من مسرح الطبيعة ، وفي الصفحات القادمة ستجدون ما يجعلكم تشعرون بالحيرة والدهشة إزاء كائنات حيوانية غيرعاقلة وغير منطقية والإنسان اللبيب والمنصف وحده هو الذي يستطيع أنْ يُرجِّع أصل هذه السلوكيات المتميزة إلى الله الخلاق العليم والمتصرِّف وحده في خلقه لأنّ الحق سبحانه وتعالى يقول في كتابه المبين: (واختلافِ الليلِ والنهارِ وما أنزل اللهُ من السماء مِن رزقٍ فأحيا به الأرضَ بعد موتها وتصريفِ الرياحِ آياتٌ لقوم يعقلون) [سورة الجاثية] .

إحدى المعضلات التي واجهتها نظرية التطور : المنطقية في سلوك الحيوانات فمِن المعروف أنّ الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي تحكمه العقلانية والمنطقية في السلوك فبالإضافة إلى مميزاته البدنية فإنّ الميزة الفريدة التي جعلته على صعيد مختلف عن باقي الكائنات الحية هي العقل والمنطق ، وعلى ضوء ذلك فإنّ الإنسان يتميز بمحاسبة النفس والتفكير والتخطيط واستشراف المستقبل فضلاً عن رد الفعل تجاه الأحداث الحاصلة والتدبّر وكذلك السير نحو هدف معيّن كلّ هذه الصفات السلوكية خاصة بالإنسان . أمّا الكائنات الحية الأخرى الموجودة في الطبيعة فلا تملك هذه الصفات ، لهذا السبب فلا يمكن لنا أنْ ننتظر من الحيوانات أنماطاً سلوكية مشابهة للإنسان كالتخطيط والتقدير أوالقيام ببعض الحسابات كالتي يقوم بها بعض المهندسين. إذن فكيف لنا أنْ نجيب عن بعض الظواهر السلوكية المنطقية في الطبيعة ؟ حتى إنّ بعض الحيوانات التي تتصف بهذه السلوكيات المنطقية لا تملك مُخّاً أصلاً ، وقبل الإجابة عن هذا السؤال لابد من الإطلاع عن كَثَبٍ عن بعض هذه السلوكيات لمعرفة كُنْه هذه السلوكيات ومنشئها .

القندس مهندس السُّدود: يعتبر هذا الحيوان مهندساً بارعاً وبَنّاءً ماهراً في نفس الوقت حيث ينشئ عشَّه بمهارة فائقة وبنفس المهارة ينشئ سداً منيعاً أمام عشه ليحميه من تأثير الماء الجاري فهو يبذل جهداً خارقاً وعلى مدى عدة مراحل لإنجاز هذا العمل المرهق . وفي المرحلة الأولى يقوم بتجميع كَمّ هائل من أغصان الأشجار حيث يستخدمها في التغذية وبناء عشه والسد الذي أمامه ، ولهذا يقوم هذا الحيوان بقرض الأشجارالمتوفرة بأسنانه لقطعها ، لقد أثبتت الأبحاث العلمية أنه يقوم بحسابات دقيقة عند عملية القطع . ويفضل هذا الحيوان العمل على ضفة المياه التي تهب عليها الرياح



وهكذا تقوم المياه بمساعدة هذا الحيوان في سحبه الأغصان التي يقطعها باتجاه عشه . ويتميز عش هذا الحيوان بتخطيط بارع إذ يحتوي على مدخلين سفليين تحت سطح الماء ومكان خاص فوق سطح الماء للتغذية وفوق هذا المكان يوجد مكان خاص للنوم إضافة إلى قناة خاصة لتهوئة هذا المكان . ويقوم القندس بتجميع الأغصان واحداً فوق الآخر لتشكيل الهيكل الخارجي للعش بعناية كبيرة فلا يترك فيه أيّة فجوة أو ثقب ويستخدم في هذا العمل الأغصان الصغيرة مع كمية من الطين . والمواد التي يستخدمها القندس في بناء عشه تساعد على تماسكه من جهة والحفاظ على درجة الحرارة داخله من جهة أخرى ، فبالرغم من انخفاض درجة الحرارة في الشتاء إلى 35 درجة تحت الصفر فإنّ الحرارة داخل العش تبقى فوق الصفر باستمرار ويقوم القندس أيضاً بإنشاء مخزن للأغذية تحت العش يتغذى منه طيلة فصل الشتاء . وفي تلك الأثناء يقوم القندس بإنشاء قنوات تحتية على شكل شبكة ، ويبلغ عرض هذه القنوات متران يستطيع هذا الحيوان بواسطتها أنْ يصل إلى اليابسة حيث توجد الأشجار التي يتغذى عليها والسدود التي يبنيها القندس تتألف من النباتات والأحجار التي يركمها فوق بعضها البعض بنفس الطريقة يبني بها العش. ويبذل هذا الحيوان جهده في رَصّ الأغصان على شكل مثلث طويل يربط بين ضفتي المياه إضافة إلى عمله الدؤوب في رتق الفجوات الموجودة في السد عبرملئها بالمواد اللازمة ، وكل هذا يحدث وهو يسبح ضد تيار الماء ويمتطي كومة عشه في الوقت نفسه. وعند حدوث أيَّة فجوة أو خلل في بناء السد يقوم القندس باستخدام الطين أو أغصان الأشجار لملئه ثانية ، وهكذا يتحول السد إلى نوع من الحوض العميق يستطيع من خلاله القندس أنْ يجعل من عشه مخبأ كبيراً للأغذية والمؤونة تساعده على الحياة طيلة فصل الشتاء ، ويستطيع القندس أنْ يوسع من المساحة المائية داخل العش لنقل أكبر كمية ممكنة من الغذاء والمواد اللازمة لبناء العش وترميمه حتى أنّ هذا الأسلوب يجعل العش في مأمن من الأعداء ، وفي هذا يشبه عش القندس قلعة محاطة بخنادق الدفاع يصعب الهجوم عليها .

في ما تقدّم لخصنا سلوك القندس كمثال على العقلانية والتخطيط والحساب الدقيق في كل مرحلة من المراحل ولكن لايمكن لنا أنْ نرجِّع هذه الصفات إلى القندس وحده بسبب افتقاده للعقل أو أي شيء يَمُتُّ بصلة إلى العقل ، إذن فما مصدر سلوك الحيوان ؟ ولابد من وجود إجابة عن هذا السؤال ، وإذا كان هذا السلوك ليس من اكتساب القندس فما مصدر هذا السلوك ؟ لا شك أنّ مصدر سلوك القندس أو الأمثلة الأخرى التي سنراها في الصفحات القادمة من سلوك الحيوانات المختلفة على هذا

الشكل المتميز وفق تخطيط مدروس هو الله القادر على كلّ شيء الذي لاحدّ لقدرته وعلمه فهو الذي يلهم هذه الكائنات الحية ويأمرها فتبارك الله أحسن الخالقين .

دودة الإمبرطور التي تعمل وفق مخطط متعدد المراحل: من المؤكد أنّ القندس ليس الحيوان الوحيد في الطبيعة الذي يُبدي سلوكاً مخططاً مدروساً ، فهناك العديد من الأمثلة الحية في الطبيعة والتي لا يمكن حصرها، والمثال الآتي يعتبر أصغر بكثير من القندس ولا ينتظر منه أي دليل على سلوك عقلي أو ما يؤكد وجود عقل أو ذكاء في بنيته ، وهذا الحيوان يدعى بدودة القز ، ويرقة هذه الدودة تقوم بإفراز خيوط الحرير ، وكباقي أنواع اليرقات فإنّ هذه اليرقة تقضي فترة من فترات حياتها داخل شرنقة وعند خروجها من الشرنقة تقوم بإخفاء نفسها داخل ورقة نباتية ، وعملية الاختفاء تتم بمنتهى الإحكام وفق مخطط مدروس مسبقاً وعبر مراحل تتطلب مهارة فائقة لأنّ الورقة النباتية وهي خضراء لا يمكن طيّها بسهولة وبالتالي لا يمكن لها أنْ تخفي جسم الحيوان الصغير بسهولة لذا وجب إيجاد حل لهذه المشكلة. وهذا الحيوان قد وجد حَلاً بمنتهى البساطة ولكنه يفي بالغرض إلى أبعد حد حيث يقوم الحيوان بقرض جزء الورقة المتصل بالنبات لقطعها ولمنع سقوطها يقوم بربطها بشكل محكم عبر إفراز خيوط الحرير ثم تبدأ الورقة بالتيبس وتنكمش الورقة اليابسة حول نفسها ، وبعد ساعات تأخذ الورقة شكلها النّهائي كأنبوب يصلح أنْ يكون مخبأ أميناً للحيوان وسرعان ما يَلِجَهُ متخذاً إياه مسكناً له. للوهلة الأولى يمكن أنْ يفكّر المرء بأنّ الحيوان قد خطى هذه الخطوة المنطقية لتوفير مخبأ أمين لنفسه وهذا صحيح ولكن بدخول الحيوان داخل الورقة المتيبسة قد يصبح صيداً سهلا للباقين لانَّ اللون المختلف لهذه الورقة يجلب انتباه الطيور وهذا يعني نهاية الحيوان المختبئ داخلها. وفي هذه الخطوة بالذات تقدم الدودة على اختراع جديد بواسطته تنقذ نفسها من مخالب الطيور إذ تقوم الدودة بإجراء حسابي دقيق كالذي يقوم به إخصائيو الرياضيات أي استنادا إلى مبدأ الاحتمالات لأنَّ الدودة تقوم بنفس العمل في أوراق نباتية أخرى وتقوم بربط هذه الأوراق حول الورقة التي تختبيء داخلها كنوع من أنواع التمويه ضد الأعداء وهكذا يصبح على غصن واحد أكثر من ورقة (6 -7) واحدة منها فقط تحوي داخلها الدودة المختبئة والباقية خالية تماما ، وإذا حدث وتناول أحد الطيور هذه الأوراق فيصبح احتمال وقوع الدودة كفريسة 1/ 6 . إنّ كل هذه الظواهر السلوكية تعتمد على منطق معين بلا شك ولكن هل يمكن لهذه الدودة التي تحتوي على مُخ مجهري وجهاز عصبي بسيط أنْ تقوم بهذه الأعمال العقلانية والمنطقية والمخطط لها مسبقا من تلقاء نفسها ؟ وكما هو معلوم فلا حَظ لهذه الدودة من التفكير. ومن الاستحالة أنْ تكون قد تعلمت من دودة أخرى، وفي الحقيقة فإنّها لا تعلم بالخطر الذي يتهددها في المستقبل ، إذن فكيف اهتدت إلى فكرة التمويه؟ .

صفة الإيثار عند الكائنات الحية: إنَّ أبسط مثال على الإيثار هو سلوك عاملات النحل فإنّها تقوم بلسع أي حيوان يدخل إلى خليتها وهي تعلم يقينا أنها ستموت ، فإبرتها اللاسعة تبقى مغروزة في الجسم الذي تلسعه ونظرا لارتباط هذه الإبرة الوثيق بالأعضاء الداخلية للحشرة فإنّها تسحب معها هذه الأعضاء خارجا متسببة في موت النحلة. ويتضح من ذلك أنَّ النحلة العاملة تضحي بحياتها من أجل سلامة باقي أفراد الخلية. أمّا ذَكر البطريق وأُنثاه فيقومان بحراسة عشهما حتى الموت ، فالذّكر يسهر على رعاية الفرخ الجديد بين ساقيه طيلة أربعة أشهر متصلة دون انقطاع ، ولا يستطيع طيلة هذه الفترة أنْ يتناول شيئا من الغذاء أمّا الأنثى فتذهب إلى البحر لتجلب الغذاء وهي تجمعه في بلعومها وتأتي به إلى فرخها ، إنهما يبديان تفانياً ملحوظاً من أجل فرخهما. ويُعرَف عن التمساح أنّه من الحيوانات المتوحشة إلا أنّ الرعاية التي يوليها لأبنائه تثير الحيرة الشديدة ، فعندما تخرج التماسيح الصغيرة بعد فقس البيض تقوم الأم بجمعها في فمها حتى تصل بها إلى الماء ثمّ تعكف على رعايتها وتحملها في فمها أوعلى ظهرها حتى تكبر ويشتد عودها وتصبح قادرة على مواجهة المصاعب بنفسها ، وعندما تشعر التماسيح الصغيرة بأي خطر سرعان ما تلوذ بالفرار ملتجئة إلى فم أمها وهو الملجأ الأمين بالنسبة إليها . إنّ هذا السلوك يثير الاستغراب خاصة إذا علمنا أنّ التماسيح حيوانات متوحشة والمنتظَر منها أنْ تأكل أبناءها وتلتهمهم لا أنْ ترعاهم . وهناك بعض الأمهات من الحيوانات تترك القطيع الذي تعيش فيه لترضع أولادها، فتتخلف الأم مع ولدها وتضل ترضعه حتى يشبع معرضة حياتها لخطر جسيم. والمعروف عن الحيوانات أنّها تهتم بأولادها الذين ولدوا حديثا أو الذين خرجوا من البيض لمدد طويلة تصل إلى أيام أو أشهر أو حتى بضع سنين فتوفر هذه الحيوانات لصغارها الغذاء والمسكن والدفء وتقوم بالدفاع عنهم من خطر الأعدء المفترسين. وأغلب أنواع الطيور يقوم بتغذية صغاره من 4 - 20 مرة في الساعة خلال اليوم الواحد، أما إناث اللبان فأمرها مختلف إذ يتحتم عليها أنْ تتغذى جيداً عندما ترضع صغارها حتى توفر لهم اللبن الكافي، وطيلة هذه الفترة يزداد الرضيع وزناً بينما تفقد الأم من وزنها بشكل ملحوظ. أمَّا الطبيعي والمتوقع في هذه الحالات فهو أنْ تهمل هذه الحيونات غير العاقلة صغارها وتتركها وشأنها لأنَّ هذه الحيوانات غير العاقلة لا تفهم معنى الأمومة أوالعواطف ولكنها بالعكس من ذلك تتحمل مسؤلية رعايتها والدفاع عنها بشكل عجيب. ولا تقوم الأحياء باتخاذ مثل هذا السلوك مع صغارها فقط وإنما قد تُبدي العطف نفسه والحنان نفسه إزاء الحيوانات الأخرى أو الأفراد الأخرى التي تعيش معها في المجموعات نفسها، ويمكن ملاحظة ذلك عندما تشح مصادر الغذاء، فالمتوقع في مثل هذه الحالات العصيبة أنْ ينطلق القوي منها ليبيد الضعيف ويستحوذ على ما يوجد من الغذاء ، غير أنَّ الذي يحدث هوعكس ما يتوقعه دعاة التطور. ويورد - كروبوتكين - وهو معروف بتأييده لهذه النظرية أمثلة عديدة تتعلق بهذا الموضوع منها مثلا: يبدأ النمل بتناول ما ادخره



عندما تشح مصادر الغذاء بينما تبدأ الطيور بالهجرة بشكل جماعي إلى مكان آخر، كما تتوجه القنادس الشابة إلى الشمال والكبيرة في السن إلى جنوب الأنهار حيث تعيش هناك مزدحمة. والذي يفهم من هذه الأمثلة أنه لا وجود لمنافسة أو مزاحمة بين الحيوانات من أجل الغذاء بل بالعكس يمكن مشاهدة أمثلة عديدة للتعاون والتضحية بين الحيوانات حتى في أقسى الظروف. وهى تعمل في أحيان كثيرة على التخفيف من وطأة الظروف وقسوتها. ومع هذا فهناك مسألة يجب أخذها بعين الاعتبار وهى أنّ أياً من هذه الحيوانات لا تملك عقلا أو فكراً يجعلها تتخذ هذه القرارت وتنشئ هذا النظام. إذن فكيف يمكن تفسير تجمع هذه الحيوانات في مجموعات ذات هدف واحد وتعمل مجتمعة لتحقيق هذا الهدف المشترك؟ . بلا شك إنَّ الذي خلق هذه الأحياء وألهمها اتباع ما ينفعها والذي يحافظ عليها هو الله رب العالمين جلّت قدرته. ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين عن كيفية رعايته الإلهية للكائنات " وما مِن دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقُها ويعلمُ مستقرَّها ومستودعها كلٌ في كتابٍ مبين " [سورة هود] . أمام هذه الحقائق في الطبيعة تسقط ادعاءات دعاة التطور عن كون الطبيعة مسرحاً للحرب لا ينتصر فيها إلا مَن كان أنانياً ومَن لا يرى سوى مصالحه فقط.



من أمثلة روح التعاون عند الكائنات الحية: الكئنات الحية لا تبدي تعاوناً نحو أقربائها من حملة جيناتها فقط بل نحو الكائنات الحية الأخرى أيضا ، تمد يد العون نحوها ، وهذه الظاهرة شكلت مشكلة عسيرة الحل بالنسبة إلى نظرية التطور ، هناك مثال حي لتعاون حيوانين غير قريبين من بعضهما البعض جينيّاً وهو تعاون ذَكَرَي حيوان (البابون) ، فإذا حدث تنافس أو صراع بين ذكرين من هذا الحيوان يطلب أحدهما مساعدة من ثالث ، ويبدأ الذي طلب المساعدة بهز رأسه إلى الأمام والخلف أى بين الذي جاء لنجدته وبين خصمه ، ويفسر البعض هذا السلوك بأنّ الذي طلب المساعدة يَعِدُ الذي قدم لنجدته بالمساعدة مستقبلا إذا حدث أنْ تعرَّض لأي مكروه. وهناك أيضا نوع من القردة يسمى بالقرد الأفريقي الصغير، وهو قرد متعاون ويتوقع المساعدات العسكرية القتالية من زملائة الذين ساعدهم (وجاملهم) في مواقع وخناقات سابقة. ولقد رصد العلماء نوعاً من الخفافيش مصّاصّة الدماء تخرج لمصِّ دم بعض الحيوانات ، وتعيش بهذه الطريقة وأحيانا تجد نفسها معرضة لخطر الجوع حتى الموت بسبب نقص طارىء في الحيوانات التي تسمح لها ـ نتيجة ضعف معين ـ بمصّ دمها .. وهنا يجد الخفاش خفاشاً آخر يسرع إليه ويقوم بعملية نقل دم سريعة له إنقاذاً لحياته !! ولا يفعل الخفاش الشهم ذلك من باب الإسراف والكرم الحاتمي !!.. إنما يفعله لأنّ زميله المحتضر سبق وأنْ أسدى إليه جميلا مماثلا في مناسبة أخرى !.. إلا أنّ نظرية التطور تعجز عن تفسير ما حدث والدافع الذي يجعله يسلك مثل هذا السلوك. الحقيقة التي لا لَبْسَ فيها تتمثل في أنّ الله سبحانه وتعالى يلهم المخلوقات ويدفعها إلى أنْ تضحي بنفسها وهي تسلك هذا السلوك ..



تضحية الكائنات الحية داخل العائلة الواحدة : إنَّ قسماً من الكائنات الحية يقضي حياته أو جزء كبيراً من حياته مع باقي أفراد ما يسمى " بالعائلة "، فنجد على سبيل المثال البطريق والبجع إذ يعيش هذان الحيوانان مع زوجيهما طيلة فترة حياتهما، أما إناث الأسود والفيلة فتعيش مع أمهاتها أوأمهات أمهاتها وعموماً يتصف ذكور اللبائن بإنشاء عائلات خاصة بهم فتتألف هذه العائلات من الذكور والإناث والصغار. وإنشاء هذه العائلات يلقي مسؤلية على عاتق البالغين لأنّ الذكور في هذه الحالة ينبغي عليها الذهاب إلى الصيد أكثر من ذكور الأنواع التي تعيش وحيدة ، وينبغي عليها الدفاع ليس فقط عن نفسها بل عن أفراد العائلة أيضا ، ثم إنّ الدفاع عن الصغار يتطلب تضحية كبيرة . ومن أمثلة الحيوانات التي تعيش في جماعات ، الذئاب فهى تعيش في جماعات متماسكة ... وبينها نوع من تقاسم العمل .. وتلعب القيادة دوراً بارزاً في حياة القطيع.. فالقائد الذي تختاره الجماعة يتمتع بميزات هامة ، ليقوم بواجبه في القيادة ، كما أنّ زوجته تصبح الأنثى الأولى في القطيع ، وهذا القائد هو الذي يقوم بقيادة القطيع في الصيد ، وعندما يجد أنّ القطيع متعباً يصدر إليه أمراً بالراحة .. كما أنّ الذئاب من الحيوانات المعروفة برعايتها لصغارها إذ تتمتع بأكبر قدر من رقة القلب ، وهى أيضا لا تعرف الخيانة فالذكر لا يقترب من أنثى غير زوجته.



وعملية إنشاء عائلات والدفاع عنها يتطلب جهداً كبيراً وتحمل مخاطر جسيمة وترك الخلود إلى الراحة وهذه العملية تثير تساؤلا مهماً مفاده: لماذا تختار الحيوانات هذا الطريق الصعب ؟ واختيار الحيوانات لهذا الطريق المحفوف بالمخاطر يبطل نظرية (داروين) والتي تقول بأنّ البقاء للأقوى، والموت والفناء للأضعف ، فنحن سنرى في الصفحات القادمة من خلال أمثلة عديدة كيف تصمد، بل سنكتشف كيف أنّ الحيوانات الأقوى تعمل على المحافظة على حياة هذه الحيوانات الضعيفة وبأنبل صورة للإيثار والتضحية.



كيفية تعرف أفراد العائلة الواحدة على بعضهم البعض : ينبغي على أفراد العائلة الواحدة أنْ يملكوا آلية خاصة للتعرف على بعضهم البعض ، وبواسطة هذه الآلية الخاصة للتعارف تستطيع الكائنات الحية التي تعيش على شكل مجموعات كبيرة أو مستعمرات أنْ تتعرف على صغارها أو أزواجها وحتى على أبائها وأمهاتها أو أشقائها. ووسيلة التعرف تختلف من حيوان

لآخر، فالطيور التي تبني أعشاشها على الأرض مثلا تتعرف على فراخها عن طريق الصوت والشكل الخارجي ، ومنها طائر النورس الذي يقتات على سمكة (الرينكا). ويعيش هذا الطائر ضمن مجموعات كبيرة العدد ويستطيع أنْ يميز صوت فراخه وسط الزحام الهائل دون أنْ يختلط عليه الأمر بين باقي الأصوات حتى وإنْ كانت الفراخ بعيدة عن بصره. وعند دخول طائر صغير آخر إلى المكان الذي توجد فيه الفراخ سرعان ما يطرد من تلك المنطقة. أمّا اللبائن فستطيع التعرف على صغارها عن طريق الرائحة ، وتقوم الأم بشمّ ولدها لحظة ولادته وفيما بعد تصبح هذه الرائحة وسيلة للتعرف على الصغار .

ويعتبر البطريق من أنجح الحيوانات في استخدام وسيلة التعرف ، ويبدو لنا الأمر شبه مستحيل عند التعرف على طير وسط طيور متشابهة تماما. والمحيِّر أنّ البطريق يستطيع بسهولة التعرف على أفراد عائلته دون خلط وخصوصاً الأنثى ، فهي تغيب مدة 2-3 أشهر لجلب الغذاء وعند عودتها لاتجد أيّة صعوبة في التعرف على ذكرها وصغيرها من بين مئات البطاريق. والأغرب من ذلك قيام طيور البطريق بجمع صغارها في محل واحد شبيه بروضة من رياض الأطفال ثم تذهب إلى البحر، وهذه الطيور الصغيرة تتراص جنباً إلى جنب ، وهذه العملية مهمة للحفاظ على الصغار من شدة البرد. والمسألة المهمة هنا هي كيفية تعرُّف طيور البطريق البالغة على صغارها عند الرجوع من الصيد من بين مئات الصغار؟ غير أنّ طائر البطريق لايصعب عليه حل هذه المشكلة لأنّ البطريق البالغ يبدأ في إصدار أصوات مرتفعة ويستطيع الصغير أنْ يتعرف على أمه وأبيه فيسرع باتجاههما. ولاشك أنْ وسيلة الصوت هذه أنجع وسيلة لتعرف أفراد مستعمرة البطريق على بعضهم البعض من بين الآلاف من البطاريق. ولكن كيف أمكن لهذه الطيور المتشابهة فيما بينها إلى حد التطابق أنْ تمتلك أصواتا مختلفة بعضها عن بعض؟ وكيف اكتسبت هذه الطيور قابلية التمييز بين الأصوات المختلفة ؟ من المستحيل أنْ تكون طيور البطريق قد اكتسبت هذه القابلية بمحض إرادتها ، إذن مَن الذي وهبها هذه الميزة الفريدة ؟ ما هو العنصر من عناصر الطبيعة الذي تولى هذه المهمة ؟ هل هو الجليد في المنطقة القطبية ؟ أم الصخور ؟ الجواب قطعا ليست هذه العناصر أو أحدها لأنّ هذه العناصر التي يتحدث عنها دعاة التطور بدورها مخلوقة ، إذن فالجواب الواضح الذي لا لَبْسَ فيه هو أنّ الله هو الذي وهبها ميزة الصوت المختلف وجعل هذه الطيور ذات قدرة على تمييز الأصوات المختلفة وهو الذي يسَّر لها معيشتها بهذه الصورة المعجزة وهو البارئ المصور سبحانه .

<u>الأعشاش المبنية للصغار والمجهزة بجميع وسائل الراحة:</u> هناك دور كبير للمنازل والأعشاش التي تبنيها الحيوانات في رعاية وتنشئة الصغار، وهناك أساليب مختلفة باختلاف أنواع الحيوانات في طريقة إنشاء هذه الأعشاش بتفاصيل تقنية باهرة ، وفي أحيان كثيرة تتصرف الحيوانات مثل مهندس معماري بارع ، وتعمل على شاكلة بَنّاء ماهر في عمله ، وتجد حلا لكل مشكلة قد تواجهها أثناء البناء تماماً مثل المهندس ومثل أخصائي في الديكور حيث تقوم بتوفير ما يلزم لداخل العش ، وفي أحيان كثيرة أخرى تعمل هذه الحيوانات ليل نهار للإعداد لهذه الأعشاش ، وإذا كان لهذه الحيوانات أزواجاً فتقوم بتوزيع الأدوار والتعاون في صورة مثيرة للإعجاب. ومن أكثر الأعشاش والمنازل التي يعتَنَي بها عناية خاصة من قبل البالغين هي التي تنشأ لاستقبال الصغار الجُدد. والتقنية التي تستخدمها هذه الكائنات غير العاقلة تثير الإعجاب والدهشة في آنٍ واحد، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التي سنوردها في الصفحات القادمة ، وسيتضح كذلك أنّ هذه الأعشاش والمنازل لايمكن أنْ تنشأ اعتماداً على الذكاء المتواضع لهذه الحيوانات ، ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الحيوانات تخطِّط وتخطو مراحل متعددة قبل الشروع في بناء أعشاشها أو منازلها لوضع بيضها أو ولادة صغارها كذلك تختار هذه الحيوانات المكان الأمثل والأكثر أمنا لإنشائها فهذه الحيوانات لا تنشئ منازلها عبثا وأينما اتفق. وطريقة بناء العش أو المسكن يتم اختياره من قبل الحيوان أو الطير وفقا للمواد الأولية المتوفرة وظروف البيئة الخارجية ، فمثلا تستخدم الطيور البحرية الأعشاب البحرية التي تطفو على سطح الماء وتقاوم الأمواج في بناء أعشاشها ، أمّا الطيور التي تعيش في مناطق الأعشاب الطويلة فتنشئ أعشاشاً عميقة وواسعة لتفادي السقوط عند هبوب الرياح ، والطيور الصحراوية تبني أعشاشها على قمم النباتات التي تمتاز بانخفاض درجة حرارتها أقل بعشر درجات عن درجة المحيط ، وإلا فإنّ درجة حرارة اليابسة تربو على 45° وهي تؤدي حتماً إلى موت الأجنّة الموجودة داخل البيض. ويتطلب اختيار المكان المناسب لبناء العش ذكاء ومعرفة واسعة ، إلا أنّ هذه المخلوقات لاتستطيع أنْ تتوقع مدى الضرر الذي سيلحق بمنازلها بتأثير الأمواج العاتية أو درجة الحرارة العالية للبيئة الصحراوية. والظاهر للعيان أنّ هناك مخلوقات غير عاقلة ولامنطق لها إلا أنّها تسلك سلوكاً عاقلا ومنطقياً ، وبمعنى آخر مخلوقة على هذه الصورة الكاملة ، والكمال في الخلق لايوجد إلا لله وحده . ويحظى الصغار بعد فقس البيض أو لحظة الولادة بعناية بالغة ، ويقضي الكبار من الحيوانات أو الطيور وقتا كبيراً في الحفاظ على حياة الأبناء ولاتكتفي في ذلك ببناء المنازل وإنّما تبني أعشاشاً وَهْمِيَّة لمجرد التمويه بهدف لفت الانتباه إلى هذه الأعشاش الوهمية حفاظاً على حياة الصغار من خطر الأعداء. ولاشك أنّ هذا النمط السلوكي ليس من بنات أفكار الحيوان ولا نابعاً من ذكائه. وهناك أسلوباً آخر للتمويه تستخدمه الحيوانات وهو بناء الأعشاش بين أغصان الأشجار الكثيفة الأوراق أو فوق النباتات الشوكية ، وبعض أنواع الحيوانات تنشئ لها أوكاراً خاصة تبيض فيها وترقد على بيضها وتقوم بإنشاء جدار خاص لمدخل هذا الوكر باستخدام الطين الموجود في البيئة الخارجية وإذا لم يوجد

تقوم بإفراز سائل خاص تخلطه مع كمية من التراب لإعداد الطين اللازم لإنشاء هذا الجدار الواقي . وأغلب أنواع الطيور تبني أعشاشها غريبة الشكل باستخدام ألياف النباتات أو الأعشاب والحشائش البريَّة المتوفرة في البيئة ، والجدير بالذكر أنّ الطير الذي سيبيض لأول مرة في حياته يبني عشه بإتقان بالغ دون أنْ يكون له سابق معرفة أو خبرة ببناء الأعشاش . بلا شك إنّ هذه القابليات الفذة للكائنات الحية لم تشكل من تلقاء ذاتها ، إذن ما هي القدرة التي علّمت هذه الطيور والكائنات الحية بناء منازلها بهذه الكيفية المدهشة ؟ كيف تكتسب الكائنات الحية هذه القابلية مرة واحدة ؟. وهناك أمراً آخر يحسن الاطلاع عليه ويتعلق بقابليات الكائنات الحية وهو كون الكائن الحي على عِلْمٍ تام بكيفية بناء العش أو المسكن بالكيفية الخاصة بنوعه والمتميز بها عن الأنواع الأخرى اعتباراً من أول لحظة له في هذه الحياة ، وكل نوع من أنواع الحيوانات يبني منزله بالكيفية نفسها في أيّة منطقة من مناطق العالم وهذا دليل واضح على أنّ هناك قوة واحدة تمنح هذه المخلوقات القابلية والمعرفة الخاصة بالحياة. بلاشك إنّ صاحب هذه القوة التي لاحدَّ لها والعلم الذي وَسِع كل شئ هو الله سبحانه وتعالى الذي يُلهِم ويمنحها هذه القابليات الفذة. واللافت للنظر عند دراسة كيفية بناء الحيوانات ليس فقط التخطيط البارع وإنّما التضحية والتعاون اللذين يبديهما كل من الذكر والأنثى في البناء وعلى سبيل المثال تنشئ الطيور أعشاشها الخاصة بها بكل اعتناء واهتمام ولا تكتفي بذلك بل تنشئ أعشاشاً أخرى كجهد إضافي للتمويه. ولو تمعَّنا في عملية إنشاء الطيور أعشاشها لأدركنا مدى الصعوبات التي تلاقيها والجهد الضخم الذي تبذله والتفاني الذي تبديه في سبيل إتمام بناء هذه الأعشاش. الواحد يقوم بعدة مئات من رحلات الطيران في سبيل إنشاء عش للتمويه فقط فما بالك بالجهد اللازم لبناء العش الحقيقي ، والطير لا يستطيع أنْ يحمل في منقاره سوى قطعة أو قطعتين من المواد اللازمة لبناء العش من أغصان أو غيرها ولكن هذا الأمر لا يثير في الطير الشعور بالملل وإنّما بالعكس من ذلك يثابر على العمل بكل صبر، وإذا شعر بتعب أو إرهاق لا يترك العمل ولا يترك ما في منقاره ولا يهمل أي تفصيل من التفاصيل اللازمة لبناء العش. وحسب ادعاء (داروين) في قانون الانتخاب الطبيعي لا تفكر الكائنات الحية إلا في نفسها وبمنتهى الأنانية. ولو كان الوسط الذي تعيش فيه مسرحاً للحرب كما يدَّعي هو ومؤيدوه لَمَا قامت هذه الكائنات الحية ببذل هذا الجهد الضخم والمثير للإعجاب في سبيل الحفاظ على الكائنات الصغيرة الضعيفة ؟هذه الأسئلة وغيرها يحتار القانون الطبيعي لداروين في الإجابة عليها وتعجز أمامها نظرية التطور وادعاءات الملحدين. والجواب الوحيد على كل هذه الأسئلة هو أنّ الله وحده مَنَحَ هذه المخلوقات صفات التضحية والصبر والثبات والمثابرة والعزم فيُلهمها هذه الصفات ليحمي القوي منها الضعيف وليستمر التوازن في الطبيعة وليستمر نسل الكائنات ولتكون هذه (البنوراما) الطبيعية دليلا حياً وملموساً على قدرة الله عز وجل أمام جحود بني آدم.إنّ الكائنات الحية لها قابلية على التخطيط المعماري والقيام بالديكور خصوصاً الطيورالتي يحتاج صغارها وبيضها إلى عناية فائقة في أعشاشها لذا يلهمها الله سبحانه كل ما تحتاجه ويتلاءم مع عملية بناء الأعشاش.

<u>كيف تبني الطيور أعشاشها الفخمة؟</u> عرفنا أنّ الطيور من أبرع الكائنات الحية في بناء أعشاشها ولكل نوع من أنواع الطيور طريقة في بناء عشه ولا يخطئ أبداً في بناء العش حسب الطريقة التي اعتاد عليها. وأهم سبب لإنشاء الطيور أعشاشها كون بيضها وفراخها التي تخرج من البيض بعد فقسها على درجة كبيرة من الضعف وخصوصاً عندما تذهب الأم للصيد ، يبقون بدون أيّة وسيلة للدفاع عن النفس ، ولكن المكان الذي يتم اختياره لبناء العش يعتبر الوسيلة للدفاع مثل قمم الأشجار والثقوب الموجودة في جذوعها أو سفوح الجبال والتلال وكذلك بين الأعشاب إذ يتم إخفاء العش بمنتهى البراعة والإتقان حفاظاً على حياة الصغار. والدور الثاني والمهم للعش هو الحفاظ على الصغار من تأثير البرد القارس لأنّ الصغار يخرجون من البيض بدون ريش إضافة إلى عدم قدرتهم على الحركة بحُرّيّة وبالتالي عدم استطاعتهم تحريك عضلاتهم بسهولة ، لذا تكون الطيور مجبرة على بناء أعشاشها بمنأى عن البرد حفاظاً على الصغار وأبسط مثال على هذه الأعشاش "العش المحاك" فهو يوفر الدفء اللازم للصغار، وبناء هذه الأعشاش صعب للغاية ويتطلب دقة متناهية ، فالأنثى تقوم ببناء هذا النوع من العش في فترة طويلة وبجهد بالغ وتقوم بفرش داخل العش بالريش والشعر والألياف لعزلها عن التأثيرات الحرارية للبيئة الخارجية. وتوفير المواد الأولية لبناء أي نوع من أنواع الأعشاش يعتبر خطوة مهمة جدا، وتقوم الطيور طيلة اليوم بجمع هذه المواد الأولية فمناقيرالطيور ومخالبها مخلوقة لتلائم هذه المهمة. وعملية بناء العش مهمة الأنثى أمّا مهمة الذكر فتتمثل في اختيارالمكان الملائم. وتستفيد الطيور في بناء أعشاشها من مواد أولية مثل الطين والورق النباتي اللبلاب وحتى الشعر أو الورق،وخصائص أي عش تعتمد على المواد الأولية المستعملة وعلى الطريقة التي يستخدمها ذلك الطير في بناء عشه. وتبنى الأعشاش اعتماداً على مرونة المواد الأولية ومتانتها وصلابتها، فالطيور تختار المواد التي يمكن طيّها أو مدّها عند بناء العش. والتنوع في هذه المواد يجعل العش أكثر أمنا للفراخ، فخلط الطين والألياف يحول دون حدوث أي فطرأو شق في جدران العش. والطيور بعد أنْ تجمع المواد الأولية تبدأ بتكوين الخليط اللازم لبناء العش، والطير الذي يتبع هذه الوسيلة في البناء هو الخطاف أو النون الذي يبني عشه على حافة الهاوية أو على جدران المباني والباحات الخارجية فيقوم بلصق عشه بجدرانها بنوع من الخليط اللاصق، وهذا الخليط يحصل عليه بطريقة عملية جدا، فأولا يقوم بجمع الطين والرماد في منقاره ويحملهما إلى المكان الذي أزمع بناء العش فيه ومن ثَمَّ يجعل الطين مزيجاً لزجاً بعد إفراز مواد خاصة ويمسح سطح

الهاوية بهذه المادة اللزجة حتى يعطي العش الشكل النهائي على شكل أصيص مدوّر مجوّف ويملأ داخل الأصيص بالحشيش والطحلب والريش وغالبا ما يبني عشه تحت نتوء صخري كي تحميه الصخرة من تأثير الأمطار المتساقطة التي ربما تزيل تماسك الطين المتين الذي يؤدي إلى هدم العش برمته. وبعض الطيور التي تعيش في جنوب أفريقيا وتدعى (أنثوسكويوس) تبني عشها من قسمين، القسم الأول منه لحضن البيض، وهناك مدخلان للعش أحدهما سري والآخر للتمويه ضد خطر الأعداء. من جانب آخر يقوم أحد الطيور في أمريكا من جنس (ساراس ماجلر) ببناء عشه بالقرب من خلية النحل البري لأنّ هذا النحل يحول دون اقتراب الأعداء المشتركين كالأفاعي والببغاء والقرود وخصوصا أحد أنواع البعوض الذي يشكل خطرا بالنسبة إلى هذه الطيور. وبذلك تنجح الأم في الحفاظ على حياة صغارها من خطرالأعداء.



الأعشاش التي تخيطها الطيور الخياطة: يتميز منقار طير الخياط الهندي بدقة شكله كإبرة الخياطة ، والمواد الأولية التي يستخدمها في خياطة عشه تتمثل في خيط نسيج العنكبوت والزّغب الذي يحيط ببعض أنواع البذور إضافة إلى ألياف خاصة بقشور الأشجار. ويقوم هذا الطير بجمع أوراق الأشجار الواحدة فوق الأخرى متراصة وبعد ذلك يقوم بثقب حواف هذه الأوراق الواحدة تلو الواحدة بمنقاره المدبّب ومن ثَمَّ يدخل نسيج العنكبوت أو الليف الذي جمعه في هذه الثقوب ويعقدها كي يمنع سقوط الأوراق ، ويكرر العملية نفسها في الجهة المقابلة حتى يجعل الورقتين النباتيتين متلاصقتين تماما وفي خطوة لاحقة يقوم بتدوير هاتين الورقتين المتلاصقتين حول بعضهما البعض مثلما يصنع العقد، ويفرش داخل هذا العش الورقي بالحشيش، وأخيراً يخيط هذا الطير جزءا إضافياً داخل العش يخصصه لأنثاه لتضع فيه بيضها بأمان .

الطيور النَّسَّاجة : تعتبر أعشاش الطيور النساجة من أغرب أنواع الأعشاش في عالم الحيوان ، وهذه حقيقة يؤكدها علماء الأحياء فهذه الطيور تقوم بجمع الألياف النباتية أو سيقان النباتات الرفيعة لتستخدمها في نسيج أعشاشها وتتميز هذه الأعشاش بمتانة جدرانها المنسوجة من هذه المواد الأولية. وأول عمل يقوم به الطائر النسَّاج هو جمع المواد الأولية اللازمة، وتتألف من أجزاء رفيعة يقطعها من الأوراق النباتية الطرية أو عروقها الرئيسية ، وسبب اختياره للأوراق الطرية بدلا من اليابسة يرجع إلى سهولة تشكيلها لطراوتها ومرونتها . ويقوم الطير بعد ذلك بلف الجزء الرفيع الذي أخذه حول غصن شجرة متعدد الفروع مستخدماً أحد ساقيه لتثبيت أحد طرفي الليف على الغصن ومنقاره للقيام بعملية اللف ، وللحيلولة دون سقوط هذه الحبال الليفية يقوم الطير بربطها ببعضها البعض لتكوين عقد محكَمَة، وفي المرحلة الأولى يقوم الطير بإنشاء حلقة ليفية وتعتبر مدخلا إلى العش ، ثم يقوم لاحقاً بتمرير الأجزاء الورقية الرفيعة من بين هذه الحبال الليفية بواسطة منقاره وبطريقة متناوبة مرة من فوق ومرة من تحت ويقوم بين الحين والآخر بشدِّ هذه الأجزاء التي وقع تمريرها لجعل النسيج أكثر متانة. وبأسلوب بارع يقوم الطير بتكوين منحنيات أو نتوءات في جدران العش لجعله متماسكاً ومتوازنا وعندما ينتهي الطير من إنشاء المدخل اللازم لعشه يبدأ بنسج الجدران وفي هذه الحالة يقف مقلوبا أو رأسا على عقب ويواصل العمل من داخل العش، ويسحب الليف الورقي بمنقاره تحت الحبال الليفية ويمسك طرفه الخارجي بدقة ومن ثم يشده شدّاً محكماً، وبهذه الطريقة يجعل للعش نسيجاً في غاية الإتقان . ومِمّا يلاحظ هنا أنّ الطير النسّاج يعمل وكأنه يخطط لعدة مراحل وخطوات قادمة، فيبدأ بجمع المواد اللازمة ومن ثم يبدأ بنسج العش في مكان ملائم فينسج المدخل ويستمر في نسج الجدران فيما بعد وينحني في النسج عندما يتطلب الأمر الانحناء ويوسعه عندما يتطلب الأمر التوسيع إضافة إلى إتقانه لعمله إلى درجة مذهلة ودون أنْ يعطي أي انطباع بكونه مبتدأ في عمل النسج . والحقيقة أنه يثبت مهارة فائقة في أداء عمل شخصين في آنٍ واحد بواسطة ساقه للتثبيت ومنقاره للنسج ولا يتقدم خطوة إلا بحساب وتقدير بارعين . وهناك نوع آخر من الطيور النسَّاجة يقوم بإنشاء أعشاش ذات سقف متماسك يمنع تدفق قطرات المطر داخله ويفرز هذا الطير سائلا من فمه يختلط مع الألياف النباتية التي يجمعها ويحضر بذلك خليطا يساعده على طلاء عشه من الداخل ويتميز هذا الخليط بإكساب العش مرونة ومقاومة ضد نضوح مياه المطر. وتتكرر هذه الخطوات عدة مرات حتى اكتمال بناء العش، ومن الاستحالة القول أنّ هذه القابلية لدى الطيور محض مصادفة أو مكتسبة لاشعوريا لأنّ هذه الطيور وهي تعد أعشاشها تتصرف مثل مهندس معماري ومهندس إنشاءات وعامل بناء ماهر في آنٍ واحد. ومثال آخر للطيور النساجة التي تنشي أعشاشها غريبة هو أحد أنواعها ويعيش في جنوب أفريقيا، فهذا النوع ينشيء عشّاً شبيها بعمارة مقسمة إلى شقق ويبلغ ارتفاع هذا النوع من الأعشاش 3 أمتار وعرضها 4.5 مترا ويعيش داخل هذا العش ما يقرب من 200 زوج من هذا النوع. والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا لماذا تختار هذه الطيور بناء أعشاشها بهذه الصعوبة بدلاً من الأعشاش السهلة البناء ؟ وهل يمكن تفسير بناء هذه الأعشاش المعقدة من قبل هذه الطيور بمحض مصادفة ؟ بالطبع لا ؛ لأنّ هذه الطيور مثلها مثل باقي الكائنات الحية تتحرك بإلهام إلهي.

أعشاش طائر الخطاف: هناك بعض الطيور تخفي أعشاشها تحت سطح الأرض مثل طائر الخطاف السّاحلي الذي يقوم بحفر قنوات موازية لساحل البحر أو ضفة النهر وتكون هذه القنوات بمحاذاة التلال المتشكلة من التربة. وتحفر هذه الطيور قنواتها بشكل مُنحَنٍ من الأمام للحيلولة دون دخول مياه المطر داخل العش ، وفي نهاية كل قناة توجد فسحة مبطنة بالقش والريش يعيش فيها الطير. أمّا أنواع طائر الخطاف التي توجد في أمريكا اللاتينية فتبني أعشاشها على الصخور الموجودة خلف

الشلالات المناسبة ، فهذا الموقع يكون بعيداً عن خطر باقي الطيور كالنورس أو آكلات السمك وحتى عن الغربان. والماء المتساقط بأطنان كثيرة لابد أنْ يكون قاتلا لأي طير يمر خلاله إلا أنّ هذا الخطاف يتميز بصغر حجمه وسرعة حركته من خلال ماء الشلال لذا لا يصاب بأي أذى. وبهذا الشكل يكون هذا الطير وفراخه وعشه بمأمن من خطر باقي الحيوانات . وهذا الطير لا يستطيع استخدام مخالبه في جمع المواد الأولية اللازمة لبناء العش لصغر هذه المخالب ، وبدلا من ذلك يلتقط أجزاء الأعشاب اليابسة والمتطايرة في الهواء أوالريش المتطاير ويفرز عليها سائلا خاصاً يحولها إلى عجينة لاصقة يبني بواسطتها عشه على الصخور. أما الخطاف الذي يعيش في سواحل المحيط الهندي فيبني أعشاشه داخل الكهوف ، وتسد الأمواج العاتية مدخل هذه الكهوف ، وعندما تريد هذه الطيور الدخول إلى أعشاشها ترقد على هذه الأمواج منتظرة اللحظة التي ينحسر فيها الموج عن مدخل ذلك الكهف وعندئذ تنتهز هذه الطيور الفرصة المناسبة للولوج داخل الكهف والوصول إلى العش. وقبل أنْ تشرع هذه الطيور في بناء الأعشاش تقوم بتثبيت أعلى ارتفاع يمكن أنْ تصل إليه مياه الأمواج داخل الكهف وبعد ذلك تبدأ في بناء العش بمستوى أعلى من مستوى المياه الآتية بواسطة الموج.

وهناك طائر في أفريقيا يدعى بـ (السكرتير) يبني عشه في قمم الأشجار الشوكية العالية ليكون بعيداً عن خطر الأعداء، أمّا طائر نقار الخشب الذي يعيش في جنوب غرب أمريكا فينشي أعشاشه داخل ثقوب يفتحها داخل جذوع نبات الصبار الشوكي العملاقة. أمّا طيور المستنقعات فتبني عدة أعشاش وهمية إلى جانب العش الحقيقي فيقوم الذّكر بإنشاء هذه الأعشاش الوهمية وينتقل من أحدها إلى الآخر ليلفت الانتباه إلى تلك الأعشاش بدلا من العش الذي تتولى الأنثى مهمة بنائه.

أعشاش طائر الباتروس : إنّ ارتباط أنثى الطير بفراخها ظاهرة موجودة في جميع أنواع الطيور ومن هذه الطيور طيور (الباتروس) التي تتكاثر في مسقط رأسها في موسم التلقيح حين تتجمع وتشكل مستعمرة كبيرة ويقوم الذكور بإصلاح الأعشاش البالية قبل أسابيع من قدوم الإناث ، وهكذا يتم الإعداد لمسكن الإناث والفراخ. أمّا الاهتمام بالبيض فيمكن مشاهدته عند مراقبة سلوك طائر (الباتروس) أيضا لأنّ هذا الطير يستمر واقفاً على البيض طيلة 50 يوماً دون حراك ، وهذه العناية الفائقة لا تقتصر على البيض فقط وإنّما تشمل الفراخ الخارجة من هذا البيض فيقوم هذا الطائر بقطع مسافة 1.5 كم في كل مرة يخرج فيها لجلب الطعام .

أعشاش الطيور ذات القرون : يعتبر موسم التكاثر موسم عمل ضخم بالنسبة إلى هذه الطيور لأنّها تُبدي فيه نشاطاً يثير الإعجاب سواء ذكراً كان أم أنثى، وأول خطوة يجب اتباعها بالنسبة إليهما هي بناء عش مأمون للأنثى والفرخ الصغير القادم . ويشرع الذكر في العمل فيبحث عن ثقب مناسب في الشجرة ومن ثم تدخل الأنثى هذا الثقب وبعدها يقوم الذكر بسد مدخل الثقب بالطين. بَيْدَ أنّ هناك جانباً مهما في بناء هذا العش إذ أنّ الذكر وهو يسد المدخل بالطين حماية للأنثى وصغيرها من خطر الأفاعي وغيرها يترك فجوة صغيرة في هذا الثقب وعن طريق هذه الفجوة يمد الذكر الأنثى بالطعام لأنها تظل راقدة على البيض لمدة ثلاثة أشهر متواصلة لاتخرج فيها من العش ولو مرة واحدة، وحتى الصغار عندما يخرجون من البيض يتم تزويدهم بالطعام عبر هذه الفجوة. ويتصرف الذكر والأنثى تجاه صغارهما بكل صبر ومثابرة وتفانٍ ، فالأنثى ترقد على البيض لمدة ثلاثة أشهر متواصلة في داخل العش الذي يكاد يكفيها هي فقط سِعَةً أمّا الذكر فلا يغفل عنها ولا عن البيض بل يستمر في الرعاية والاهتمام حتى النهاية. ونفهم من خلال هذه الأمثلة أنّ لكل نوع من أنواع الطيور أسلوبه الخاص في إنشاء الأعشاش، وكل أسلوب من هذه الأساليب يعتبر معقداً إلى حد كبير ولكن يتبع وينفذ من قبل حيوان غيرعاقل ولايملك منطقاً معيناً، في حين أنّ هذه الأساليب تتطلب تخطيطاً وتصميماً كبيرين. ودعونا نفكر في هذه الأمثلة التي تتمثل في كائنات حية غير عاقلة ولكن سلوكها كله عبارة عن شفقة ورأفة وتضحية وتفاني وفق تخطيط بارع. ما مصدر هذه الأنماط السلوكية؟ وإذا كانت هذه الكائنات الحية لاتملك إرادتها الفاعلة لاتباع هذه الأنماط السولوكية فإذن هناك قوة موجهة لها فيما تفعله، ومصدر هذه القوة هو الله رب السموات والأرض وما بينهما.

الأعشاش التي تبنيها الكائنات الحية المختلفة : نحل (البامبوس) يتميز هذا النوع من النحل بتضحية وتفان فريدين عند بنائه لخليته، فالملكة الشابة تبدأ في البحث عن أنسب مكان لإنشاء الخلية قبل أنْ تبدأ بوضع بيضها بفترة قصيرة ، وبعد أنْ تجد المكان المناسب تكون المرحلة اللاحقة هي إيجاد المواد اللازمة لبناء الخلية من ريش أو عشب أو ورقة نباتية. في البداية تبني الملكة مكاناً خاصا بحجم كرة المنضدة في وسط الخلية وتبنيه بواسطة المواد الأولية التي تجمعها من المحيط الذي توجد فيه، أمّا المرحلة الآتية فتتمثل في عملية جمع الغذاء للخلية. فعندما تخرج الملكة تبدأ بالتحليق راسمة دوائر وَهْمِيَّة في الهواء واتجاهها أثناء التحليق يكون نحو الخلية دوماً وبهذه الطريقة تتذكر موقع خليتها ولاتنساه ، وتقوم بجمع رحيق الأزهار أو لُب العسل وعندما ترى الكمية كافية تعود لتفرغ ما في بطنها في المكان المخصص في الخلية. أمَا الجزء الذي لايمكن التغذي منه فلا تلفظه خارج الخلية بل تستخدمه في صناعة سائل لاصق يفيد في لصق المواد النباتية للخلية إضافة إلى دوره كعازل حراري. وبعد تغذيتها من هذا العسل تبدأ بإفراز مادة الشمع إضافة إلى استخدامها رحيق الأزهار الذي جمعته في عمل غرف صغيرة كروية الشكل لتضع فيها من 8-18 بيضة والتي ستفقس عن أول نحلات عاملة في الخلية وتقوم الملكة بسدّ هذه الغرف وما حولها برحيق الأزهار سدّاً محكماً . ويتم

وضع البيض في هذه الغرف بترتيب محكم لافوضى فيه. والمهمة الرئيسية الأخرى هي تغذية هذه العاملات لذا تقوم الملكة الشابة بإنشاء أوعية خاصة من الشمع تضع فيها خلاصة العسل وبعد فترة تكوين تتراوح ما بين أربعة وخمسة أيام تجد العاملات الخارجات من البيض غذاء جاهزاً لها قوامه لب العسل ورحيق الأزهار. ولو أمعنا النظر في هذه العملية بكافة تفاصيلها لوجدنا أمامنا حيواناً غير عاقل وعديم المنطق ولكنه يستطيع استخدام خلاصة العسل كأفضل عامل بناء بالإضافة إلى تفانيه لإنشاء خلية مليئة بالأفراد الصحيحين النشيطين. أمّا طول هذه الحشرة فلا يتجاوز بضعة سنتيمترات. وأول ما يتبادر إلى أذهاننا من سؤال هو لماذا كل هذا الإيثار والتضحية من قبل الملكة ؟ فالملكة بعد خروج العاملات من البيض لاتكسب شيئاً ذا بال بالإضافة إلى وجود احتمال تركها لخليتها التي أنشأتها عند قدوم ملكة أخرى تزاحمها فيها. بلا شك هناك سبب لتفانيها هذا وتحملها كل هذا الجهد الدّؤوب وهو الإلهام الإلهي الذي يوجه باقي الكائنات الحية أيضاً. إذن فلا مكان في عالم الأحياء لمفهوم الانانية التي يقول بها دعاة التطور.

<u>الملاجئ الثلجية للدب القطبي :</u> تنشئ أنثى الدب القطبي ملجأ ثلجياً عندما تكون حاملا أو بعد وضعها لوليدها وهذا الملجأ تحت ركام الجليد وعدا هذا فإنّها لا تعيش في ملاجئ أو مساكن معينة. وعموما تضع الأنثى وليدها في منتصف الشتاء ويكون الوليد الصغير لحظة ولادته أعمى ولا شَعر له إضافة إلى صغر حجمه لذا فالحاجة ماسة إلى ملجأ لرعاية هذا المولود الصغير الضعيف. والملجأ التقليدي يتم إنشاؤه على شكل مترين طولا ونصف قطره تقريباً أي نصف متر عرضا لأنّ الملجأ يكون على شكل كرة ارتفاعها نصف متر أيضا. ولكن هذا المسكن أو الملجأ لم ينشأ هكذا دون أيّ اهتمام أو تخطيط بل حفر تحت الجليد بكل عناية واهتمام وسط بيئة مغطاة بالجليد، وتمّ توفير كل وسائل الراحة والرعاية للوليد الصغير في هذا الملجأ. وعموماً فإنّ لهذه الملاجئ أكثر من غرفة تنشؤها الأنثى بمستوى أعلى قليلا من مدخل الملجأ كي لايسمح للدفء بالتسرب إلى الخارج. وطيلة فصل الشتاء تتراكم الثلوج على الملجأ ومدخله وتحافظ الأنثى على قناة صغيرة للتهوية والتنفس، ويكون سقف الملجأ بسمك يتراوح ما بين 75 سم ومترين. ويقوم هذا السقف بدور العازل الحراري فيحافظ على الدفء الموجود داخل الملجأ ولهذا تبقى درجة الحرارة ثابتة داخله. ولقد قام أحد الباحثين في جامعة (أسلو) النرويجية ويدعى (باول واتس) بتثبيث محرار في سقف أحد ملاجئ الدِّببة لقياس درجة الحرارة وتوصل إلى نتيجة مذهلة، فدرجة الحرارة خارج الملجأ كانت حوالي 30 ْ تحت الصفر أمّا داخل الملجأ فلم تنزل الحرارة تحت 2-3 أبدا. والظاهرة الملفتة للانتباه هي كيفية قياس أنثى الدب لسمك السقف الثلجي كي يتواءم مع درجة عزله الحراري لداخل الملجأ إضافة إلى كون الوسط داخل الملجأ بهذه الحرارة ملائما للأنثى من ناحية تنظيم استهلاك مخزونها الدهني في جسمها أثناء سباتها الشتوي، والأمر الآخر المحيِّر هو خفض أنثى الدب القطبي لجميع فعالياتها الحيوية إلى درجة كبيرة أثناء سباتها الشتوي كي لا تصرف طاقة زائدة ولتساعد على إرضاع صغيرها، وطيلة سبعة أشهر تحوّل الدهن الموجود في جسمها إلى بروتين لازم لتغذية صغارها أمّا هي فلا تتغذّى أبداً وتنخفض دقات قلبها من 70 ضربة في الدقيقة إلى ثمان ضربات في الدقيقة وبالتالي تنخفض فعاليتها الحيوية ولاتقوم بقضاء حاجاتها أيضا وبهذه الطريقة لا تصرف طاقتها اللازمة لتنشئة الصغار الذين سيلدون في تلك الفترة.

<u>مساكن التماسيح :</u> تعد أنثى التمساح الذي يعيش في منطقة (أفيركليدس) في فلوريدا مكاناً مختلفاً جداً لوضع البيض فهي تقوم بجمع النباتات المتعفة وتخلطها بالطين لتصنع منها تلّة ارتفارعها 90 سم تقريبا ومن ثم تحفر حفرة في قمة هذه التلة لتضع فيها بيضها وتغطيها بعد ذلك بالنباتات التي تكون قد جمعتها من قبل ثم تبدأ بحراسة هذه التلة من خطر الأعداء. وعندما يبدأ البيض بالفقس تقترب الأم عند سماع أصوات صغارها وهم يصدرون أصواتا متميزة وتقوم بإزالة النباتات التي غطتها بها ويبدأ الصغار بالتسلق إلى أعلى، وتجمعهم الأم في تجويف فمها المتسع وتذهب بهم إلى الماء ليبدأوا حياتهم .

<u>مسكن الضفدع " الحداد" :</u> يعتبر هذا النوع من أبرع البرمائيات في إنشاء مسكنه وهو يعيش في جنوب أفريقيا، ويقوم الذكر بإنشاء هذا المسكن على ضفة الماء فالذكر يشرع في الدوران حول نفسه في الطين حتى يحدث فيه ثقباً واضحاً ومن ثم يقوم بتوسيع حوافي هذا الثقب وعند اكتمال هذه الخطوة يبدأ بتكوين جدران طينية متينة لهذا الثقب وفي النهاية يكون قد أنشأ حوضاً مائياً بعمق 10 سم ويبدأ بالجلوس داخل هذا الحوض ويصدر أصواتاً يدعو فيها الإناث للتكاثر (التزاوج) ويضل على هذا الوضع حتى يلفت انتباه إحدى الإناث وعند مجئ الأنثى تبدأ بوضع بيضها داخل الحوض أمّا الذكر فوظيفته تلقيح هذا البيض. وبعد ذلك يبدأ كلاهما بمراقبة هذا البيض حتى فقسه، وعند الفقس تخرج يرقات الضفادع والتي تكون محاطة بغلاف واقي وتبقي في هذا الحوض بمأمن من خطر الأسماك والحشرات وعندما تترعرع سرعان ما تثبت فوق جدران هذا الحوض المخصص (لرعاية الصغار) لتخرج وتبدأ حياتها.

<u>مهندسو ما تحت الماء:</u> من المعلوم أنّ الأسماك ليس من عادتها بناء منازل خاصة بها، إلا أنّ هناك أنواعاً منها يسلك سلوكاً محيراً، فأسماك المياه العذبة تنشأ لها مساكن خاصة في قيعان البحيرات أو الأنهار أو المياه الراكدة ، وغالباً ما تكون على شكل حفر يتم حفرها بين الأحجار أو الرمال ، ومثال على ذلك سمك (السلمون) وسمك (البني) فهى تترك بيضها داخل هذه الحفر حتى تفقس لوحدها. وهناك أنواع أخرى من الأسماك تقوم بحراسة هذا البيض بالتناوب بين الذكر والأنثى عندما يكون البيض

مكشوفاً والأخطار محيطة. ومعظم أنواع الأسماك تتميز بكون الذكر هو المسؤول عن إنشاء المساكن الخاصة بوضع البيض وحراستها أيضا. وهناك أسماك تتميز بكون مساكنها أكثر تعقيداً، ومثال ذلك السمك الشوكي الذي يعيش في أغلب المناطق النهرية والبحيرات في كل من أمريكا الشمالية وأوروبا إذ يقوم الذكر بإنشاء أعشاش أكثر اتقاناً من أعشاش الطيور حيث يقوم هذا النوع من السمك بجمع أجزاء من النباتات المائية ومن ثم يلصقها ببعضها البعض عن طريق سائل لزج يفرز من كِلى هذا السمك ويقوم الذكر بالسباحة حول هذه الخلطة اللزجة والتمسح بها حتى يعطيها شكلا طولياً منتظماً وبعدها يثب فجأة سابحاً من منتصف هذه العجينة شاقاً إيّاها لكي تصبح على شكل نفق له مخرج ومدخل ويمر من خلاله الماء، وإذا حدث أنْ مرت أنثى بالقرب من هذا النفق يقوم الذكر بمغازلتها بالسباحة حولها جيئة وذهاباً حتى يذهب بها إلى مدخل النفق الذي يحاول أنْ يدلها عليه عن طريق مقدمة رأسه، وعندما تبيض الأنثى داخل هذا النفق يدخل الذكر من المقدمة دافعاً الأنثى إلى الخارج عن طريق المؤخرة. وهكذا تعاد العملية مع عدة إناث وهدف الذكر من دخول النفق وطردهم إياهن هو تلقيح البيض. وعندما يمتليء النفق يبدأ الذكر بحراستها ويثابر على السماح بدخول الماء العذب إلى النفق، ومن جانب آخر يقوم بترميم الأجزاء التالفة منه، ويستمرفي حراسة النفق حتى بعد عدة أيام من فقس البيض. وفيما بعد يقوم بقطع الجزء العلوي من النفق تاركاً السفلي لمعيشة الصغار.

<u>كيف تنجح الحيوانات في إنجاز هذا العمل؟ :</u> تصوروا إنساناً ليست لديه أيَّة معرفة بالعمارة ولا عمل في قطاع البناء أبداً وليست لديه خبرة في تحضير المواد الأولية للبناء ولا عن كيفية البناء ومع هذا يقوم بإنشاء مسكن بكل براعة وإتقان، كيف يحصل هذا ؟ هل يستطيع أنْ يفعل ذلك لوحده ؟ ! بالتأكيد لا، فالإنسان الذي يعتبر مخلوقاً عاقلا وذا منطق من الصعوبة أنْ يسلك هذا السلوك. هل من الممكن أنْ تسلك هذه الحيوانات سلوكاً يتطلب ذكاء وقابلية ؟ وكما أسلفنا القول في الصفحات السابقة إنَّ أغلب الحيوانات لا فقط لا تملك مُخاً وإنّما تفتقر إلى جهاز عصبي ولو بسيط ولكنها مع ذلك تقوم بحسابات دقيقة جداً عند إنشائها لأعشاشها وتطبق قوانين الفيزياء وتستخدم أساليب تتطلب مهارة خاصة بالنسيج والخياطة ، إضافة إلى إيجادها حلولا أمام كل المشاكل التي تعترض سبيلها أو سبيل صغارها وبصورة عملية تماماً. وتعد هذه الحيوانات لنفسها خلطة البناء بصورة طبيعية ومتقنة فضلا عن تركيبها وصفة خاصة لعزل عشها عن تأثيرات البيئة السلبية. ولكن هل يعرف الطير أو الدب القطبي معنى العازل الحراري ؟ وهل يفكر هذا الحيوان أو ذاك بضرورة تدفئة عشه أو عرينه ؟ والواضح أنّ هذه الاستنتاجات الفكرية لايمكن أنْ تصدر من هذه الحيوانات، إذن كيف اكتسبت هذه الحيوانات مثل هذه الخبرة والمهارات؟ وهذه الحيوانات تتصف كذلك بأنّها مثابرة وصبورة جداً في إنشائها لمساكنها على الرغم من أنّ هذه المساكن تكون في أغلب الأحيان محلاً لسكن صغارها فقط. هناك تفسير واحد لهذه العقلانية والمنطقية والتفاني في سلوك هذه الحيوانات، إنَّه الإلهام الإلهي. فالبارئ المصور خلقها بهذه الصورة الكاملة وألهمها هذا السلوك كي تحافظ على نسلها وعلَّمها الدفاع عن النفس والصيد والتكاثر كلٌ بأسلوبه الخاص الذي يميزه باعتباره نوعاً حيوانياً مختلفاً، هو الله الحافظ الرحمان الذي رحمته وسعت كل شيء وبرحمته هذه علَّم هذه الحيوانات كيفية بناء أعشاشها وفق تخطيط بارع ومتقن، وما الكلام عن التطور ومِن أنَّ الطبيعة الأم أو المصادفات هي التي علَّمت الكائنات الحية هذه الأنماط السلوكية سوى تخبط لا أساس له سواء فكرياً أو علمياً، وما سلوك الحيوانات هذا سوى إلا إلهام إلهي ورحمة واسعة من لدن الرحمن الرحيم . ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين " وأوحى ربُّك إلى النحل أنِ اتخذي من الجبال بيوتاً ومِنَ الشجر ومِمَّا يعرشون " [سورة النحل] إنَّه هو الذي ألهم النحل كيفية بناء الخلية وكذلك باقي الكائنات الحية ألهِمَتْ من قِبله - جلَّت قدرته - كيفية بناء مساكنها وكيفية إعداد المواد اللازمة للبناء والأساليب المتبعة لإنجاز تلك الأعمال وكذلك الحفاظ على النسل والتضحية في سبيل الحفاظ على حياة الصغار. إنّ الكثير من الكائنات الحية تُبدي تفانياً محيراً وتتحمل صعوبات كثيرة في سبيل التكاثر والحفاظ على بيضها أو صغارها المولودين حديثا، ويمكن مشاهدة نماذج في الطبيعة تضحي بحياتها في سبيل ذلك. فمثلا هناك أنواع من الحيوانات تقطع كيلومترات عديدة جداً في سبيل وضع البيض وأخرى تبذل جهداً شاقاً ودؤوباً لإنشاء أعشاش آمنة، وأنواع أخرى تموت مباشرة بعد التكاثر ووضع البيض ، فضلا عن أنواعٍ تحمل بيضها في فمها لمدة أسابيع دون أنْ تتغذى وأنواعٍ تحرس بيضها لمدة أسابيع أيضا دون كلل أو ملل. والحقيقة أنّ هذه الأنماط السلوكية الفريدة تهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي الحفاظ على النسل لأنّ الصغار وهم ضعاف لا يستطيعون البقاء إلا برعاية الكبار البالغين الأقوياء، فلو تُرِك غزالٌ مولود حديثاً وحده في العراء أو لو تُرِك بيض طير دون حماية لاشك إنّ حظهما في البقاء يكون ضئيلا جدا. والملاحظ في الطبيعة أنّ الحيوانات البالغة تقوم برعاية صغارها دون ملل أو إهمال أو استنكاف وتتحمل مسؤولية الرعاية كاملة، كل ذلك استجابة للإلهام الإلهي. والغريب أيضا في هذه المسألة هو كون الكائنات الحية التي تبدي تفانياً ودأباً في رعاية صغارها هي من أقل الكائنات الحية تكاثراً، ومثال على ذلك الطيور فهي تضع عدداً محدوداً من البيض كل سنة ولكنها تهتم بهذا العدد من البيض اهتماماً بالغاً. وهذا القول جائز في اللبائن أيضاً والتي يمكن القول عنها أنّها تلد مولوداً واحداً أو مولودَين ولكنها تستمر في الرعاية والعناية مدة طويلة نسبياً، وهناك كائنات حية لا تبدي اهتماما ملحوظاً بصغارها بالرغم من كونها تبيض أعداداً كبيرة من البيض يقدر بالآلاف مثل الأسماك والحشرات أو الفئران التي تلد أعداداً كبيرة في كل موسم تكاثري، ولكونها بهذا العدد الضخم ضمن العائلة الواحدة فإنّ الاحتمال عالٍ باستمرار النسل بالرغم من هلاك أعداد كبيرة من

الصغار في المراحل الأولى من حياتها. ولو كانت هذه الحيوانات تهتم بصغارها بصورة كبيرة لكانت أعدادها تتزايد باطراد وبالتالي يحدث خلل في التوازن البيئي، ومثال على ذلك فئران الحشائش التي تتكاثر بصورة كبيرة جدا ولو حدث أنْ حافظت على أعدادها المتزايدة لملأت هذه الفئران وجه البسيطة. والمعلوم أنّ التكاثر يمكن اعتباره إحدى الوسائل الكفيلة بالحفاظ على التوازن البيئي إلا أنّ الكائنات الحية لايمكن لها التحكم في خاصية التكاثر هذه من وحي عِلْمِها أو سلوكها المنطقي. والمعلوم أيضا أنّ هذه الكائنات الحية مخلوقات غير عاقلة لذا فلا يمكن أنْ ننتظر منها سلوكاً ضابطاً للإيقاع التكاثري حفاظاً على التوازن البيئي ولا حساباً مضبوطاً لتحقيق ضرورة التكاثر من أجل استمرار النسل. وكل هذه الشواهد الحيّة تدل على وجود قوة تدير هذه السيمفونية الطبيعية، وهذه القوة تُملِي إرادتها على كل كائن حيّ على حِدَة ليمارس دوره المسيِّر(وليس المخيَّر) في ممارسة مهمته في البيئة الطبيعية على أكمل وجه ، أي أنّ الحقيقة تتمثّل في عدم وجود أي كائن حي خارج السيطرة أو تحرّكه بشكل اعتباطي ، فكل الكائنات الحيّة تنقاد وتخضع لله الواحد القهار. ويقول الله تعالى في محكم كتابه المبين عن كيفية تكاثر الأحياء بإذنه جل جلاله وعن كيفية تقديره لحياتها ومماتها وهو الحي القيوم:" اللهُ يعلمُ ما تحمل كلُّ أنثى وما تغيض الأرحامُ وما تزداد وكل شيءٍ عنده بمقدار" [سورة الرعد] ، ويقول أيضا: " ومِن آياتهِ الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهنّ إنْ كنتم إياه تعبدون" [سورة فصلت].



<u>العناية الفائقة التي تخص بها الكائنات الحية بيضها وصغارها:</u> الظاهرة المعروفة لدى الأحياء أنّها تبذل جهداً كبيراً في العناية بالبيض والصغار وتتحمل في سبيل ذلك الصعوبات الجمَّة فهي تقوم بإخفائها عن عيون الأعداء وتحافظ على البيض من الكسر إضافة إلى تدفئته بدرجة معقولة دون تعريضه إلى حرارة عالية، وتقوم الكائنات الحية بنقل بيضها إلى مكان آخر عند إحساسها بخطر يهددها وتظل تحرسها لعدة أسابيع متواصلة دون كلل أوملل وحتى أنّ بعضها يقوم بحمل البيض في فمه. ويمكن لنا أنْ نلاحظ هذه الأنماط السلوكية المليئة رحمة ورأفة لدى الكثير من أنواع الأسماك والطيور والزواحف.

فأفعى (البايتون) مثلا تشكل تهديداً خطيراً لحياة الإنسان إلا أنّها تسلك تجاه بيضها سلوكاً ينطق عطفاً ورأفة. فهذه الأفعى تضع تقريباً 100 بيضة في كل مرة وتلتف حول هذا البيض، والهدف من هذا الالتفاف هو الحفاظ على البيض من درجة الحرارة العالية بالإظلال عليها والحفاظ عليها من البرودة عن طريق رفع جسمها والانفصال عنها. ويضل هذا البيض بمنأى عن الأخطارطالما ظلت الأفعى الأم ملتفة حوله. وبفضل هذه العناية التي تبديها أنثى(البايتون) يقل تأثير الأخطار على حياة الصغار وهم لايزالون داخل البيض. وهناك بعض أنواع الأسماك يسلك سلوكاً غريباً في العناية بصغاره وهم لايزالون داخل البيض إذ تقوم السمكة الأم بجمع هذا البيض في تجويف فمها كوسيلة لحمايتها لذا تدعى هذه الأنواع بـ (الأسماك التي ترقد على بيضها بفمها) وقسم من هذه الصغار سرعان ما يلوذ إلى فم أمه عندما يشعر بالخطر. وهذا السلوك شائع لدى أسماك القط (الشبوط) أوالتي تستمر في السباحة لمدة أسابيع وفمها ملآن بالبيض الصغير الذي يقدر حجمه بحجم الكرات الفولاذية الصغيرة الموجودة في العجلات الميكانيكية،وتقوم السمكة بخضِّ فمها بين الحين والآخر لتحريك هذا البيض لإفساح المجال لغاز الأكسجين المذاب في الماء للوصول إليها، وعند فقس البيض عن صغارٍ ضِعافٍ فإنهم يلجأون إلى فم أبيهم لعدة أسابيع متتالية، وطيلة هذه الفترة لايتغذى الذَّكر أبداً ويستخدم مخزونه الدهني في مواصلة فعاليته الحيوية .وتعتبر الضفادع الكائن الحي الآخر الذي يحمل صغاره وبيضه في فمه، فضفدع (رينوديرما) تحمل أنثاه البيض داخل جسمها وعند حلول موسم التزواج تضع الإناث بيضها على الأرض ويبدأ الذكور في الدوران حول هذا البيض في حركة تعبرعن قدرته على حمايتها من الأعداء. وعندما تبدأ الأجنحة تتحرك داخل البيض للخروج منها تهجم الذكور على هذه المجاميع لتلتقم أكبر كمية من هذا البيض التي تحاط بطبقة جيلاتينية شفافة ويقوم الذكر بتجميع هذا البيض على جانبي فمه داخل أكياس الصوت ، وبالتالي يبدو فمه منتفخاً للغاية وتبقى فترة داخل الفم إلى اكتمال نموها ، وفي النهاية يبدأ الذكر بالتجشؤ عدة مرات ويُنهِي ذلك بأنْ يتثاءب فاغِراً فمه بصورة واسعة ليفسح المجال للصغار الذين اكتمل نموهم للخروج إلى الحياة. وهناك نوع آخر من الضفادع يعيش في أستراليا يقوم بازدراد بيضه ليحافظ عليه في فمه وإنّما في كيس موجود في معدته ويبدو للقارئ أنّ البيض في هذه الحالة مُعرَّض للهلاك نتيجة الإفرازات المعدية الهاضمة إلا أنّ الذي يحدث لدى هذه الحيوانات هو العكس تماما إذ تتوقف المعدة عن إفراز هذه الأنزيمات لحظة ابتلاع الأنثى لبيضها وبذلك لايتعرض البيض لأي خطر. وهناك أنواع من الضفادع تتبع أساليب متنوعة في الحفاظ على بيضها كضفدع (البيبا) الأسود الذي يقوم ذكره بتجميع البيض بواسطة سيقانه الزعنفية ليلصقها إلى ظهر الأنثى ثم ينتفخ الجلد ليساعد على التصاق هذا البيض، ويتكون غلاف رقيق حافظ لهذا البيض، وبعد 30 ساعة يختفي هذا البيض تحت جلد ظهر الأنثى ويعود إلى شكله الأصلي ويبدأ البيض في النمو تحت جلد الأنثى. وبعد 15 يوماً تبدأ اليرقات في التحرك داخل البيض والتي تجعل ظهر الأنثى تبدو وكأنّها في حركة التوائية. وبعد مرور 20 يوماً تشرع الضفادع الصغيرة في الخروج عبر ثقوب تكون قد فتحتها في جلد الأم وبعد خروجها تبدأ في البحث عن ملجأ آمن لها في الماء. أمّا الضفدع الأوروبي الأسود والمسمى ب (المولد أو القابلة) فيقضي أغلب حياته على اليابسة القريبة من الماء ويتزاوج على اليابسة أيضا ولاتترك الأنثى بيضها على الأرض، ويلقي الذكر عليها حيامنه ، وبعد

نصف ساعة يقوم الذكر بلَصْق هذا البيض بعضه ببعض كأنما يقوم بترتيب حبات المسبحة على الخيط ، ثم يلصق هذه السلسلة على سيقانه الخلفية وتبقى هكذا لمدة أسابيع عديدة يجرها معه أينما ذهب . وعندما يبدأ هذا البيض في الفقس يلقي بها في الماء، ويُبقي سيقانه في الماء حتى اكتمال خروج الصغار من البيض. وعند اكتمال هذه العملية يرجع إلى مسكنه على اليابسة.

بعد هذا العرض للأمثلة العديدة تبرز أمامنا نقطة مهمة للغاية وهي الانسجام الكامل بين التكوين الخلقي لهذه الكائنات الحية والأنماط السلوكية التي تمارسها. فالضفدع الذي يملك تجويفاً خاصاً في جسمه للحفاظ على البيض ولكنه لايعلم عن وجود هذا التجويف في جسمه إلا أنه مع ذلك يسلك سلوك العارف بوجود هذا التجويف، أمّا الضفدع الآخر الذي ورد ذكره في الأمثلة فإنّه غير عاقل ولايملك الإرادة أنْ يوقف إفراز الأنزيمات الهاضمة في معدته كي لاتصيب البيض بأي ضرر، وعلى افتراض أنّ هذا النوع من الضفادع يملك القابلية على إيقاف إفراز لأنزيمات فإنّ هذا الفرض ينافي طبيعة الكائنات الحية التي لاتملك القابلية على التحكم في الأفعال اللاإرادية، وكذلك الحال بالنسبة إلى الضفدع الذي يرعى صغاره تحت جلدة ظهره. كل هذه الشواهد الحيّة من توافق بين التركيبة الخَلقية والأنماط السلوكية لم تتشكل بمحض الصدفة أبدا. وهذه الصفات التي أوردناها كأمثلة تحمل في جوهرها تصميماً وتخطيطاً لايمكن إنكارهما. والواضح للعيان أنّ هذه الكائنات الحية التي تمتلك خاصية الانسجام بين التركيب الخَلقي وأنماطها السلوكية هي كائنات مخلوقة من قبل المولى عز وجل وهو الذي أبدع صورتها وخلقها لأنه قادر على كل شيء.ولايمكن ملاحظة مشاعر الأمومة والأبوة والرأفة المبثوثة في هذه المخلوقات بالأمثلة أعلاه فحسب بل هناك أمثلة أخرى كالنمل والنحل وغيرها من الأحياء التي تبذل اهتماما منقطع النظير في الحفاظ على البيض وعلى اليرقات داخل الشرانق، فالعاملات تقوم بحمل البيض إلى غرف خاصة داخل الخلية المنشأة تحت الأرض، وكذلك الأمر مع اليرقات داخل الشرانق، وتُغيِّر هذه العاملات مكان بيضها ومكان الشرانق أيضا حسب تغيُّر درجة الحرارة والرطوبة داخل الخلية إضافة إلى سعيها الحثيث إلى الحفاظ على راحة البيض واليرقات بأنْ تحملها في فمها لتغيير مكانها في رحلات متواصلة بين الغرف داخل الخلية. وإنْ حدث أنْ داهم الخطر الخلية كلها تقوم العاملات بحمل البيض والشرانق إلى مكان آمن خارج الخلية.

أما اهتمام الطيور ببيضها فيأخذ أشكالا متنوعة تثير الحيرة والدهشة في آنٍ واحد. فنحن نجد مثلا طير(المطر) الصغير الذي يضع أربع بيضات في حفرة بالأرض وإنْ حدث أنْ ارتفعت درجة الحرارة يقوم هذا الطير بغمس صدره في الماء حتى يبتل ريشه الأمامي ثم يرقد على البيض ويلامس البيض بريشه المبتل وهكذا يستطيع أنْ يخفف من تأثير الحرارة العالية. ومِمَّا نشاهده في عالم الأحياء أنّ الكائنات الحية البيوضة تقوم بتهيئة وسط ملائم من ناحية درجة الحرارة لاكتمال نمو الأجنحة داخل البيض فالطيور الغطّاسة على سبيل المثال تبني أعشاشها من الطحالب الطافية على الماء وتقوم هذه الطيور بتغطية بيضها بهذه الطحالب وهذه العملية توفر نوعاً من التكييف الحراري داخل العش . أمّا البجع فيرقد على البيض لتوفير الدفء اللازم لنمو الأجنحة ويغير من وضع رقاده بين الحين والآخر لتوفير دفء متساوٍ لجميع البيض. أمّا الطائر الرملي فيستخدم أسلوباً آخر في توفير الدفء لبيضه فبعد أنْ تضع الأنثى بيضها في العش يتولى الذكر الاهتمام بهذا البيض فيرقد عليه وينتف ريشه الذي يغطي منطقة الصدر ويفرشه في أنحاء العش وتمتلئ الأوعية الدموية الموجودة في صدره بكمية زائدة من الدم، وحرارة هذا الدم تكون كافية لتوفير الدفء اللازم للبيض طيلة أكثر من ثلاثة أسابيع . وعندما يخرج الصغار بعد فقس البيض يستمر الذكر في رعاية الصغار أكثر من أسبوع ونصف ومن ثم يتناوب مع الأنثى في أداء هذه الوظيفة المهمة. إنّ الاهتمام بالحفاظ على درجة الحرارة داخل العش بمستوى محدود ومقبول يعتبر أمراً ذا أهمية قصوى لكافة الكائنات الحية. والمثير للدهشة أنّ الحيوانات تتبع أساليب مختلفة ومتنوعة في إنجاز هذه العملية الحياتية المهمة وتبدي حساسية بالغة تجاهها . وهنا تبدو أمامنا استحالة إدراك الطير أو الأفعى أو النحل لأهمية الحفاظ على الحرارة بمستوى دقيق وبالتالي اتباعها أسلوب مثيراً للدهشة في إنجاز هذه العملية من تلقاء ذاتها. ومصدر هذه المعرفة والإدراك هو الله سبحانه الذي خلق هذه الكائنات وأودع فيها هذه الخصائص الحياتية ليضرب بها الأمثال للإنسان المتفكر . وهذه الكائنات الحية وهى تسلك سلوكاً من وحي إلهام إلهي تنشط نشاطاً دؤوباً لا يعرف الكلل ولا الملل.فمثلا تبني بعض الطيورعدة أعشاش يكون أحدها لرعاية الصغار وتنشئتهم والأخرى لوضع البيض والرقود عليه . ويتصف بهذه الصفات كلا من طائر (المطر الصغير والطيور الغطاسة) إذ يتناوب الذكر والأنثى في عملية الاهتمام بالصغار والرقود على البيض. والأغرب من هذا مساعدة الفراخ الموجودة في العش الأول للفراخ الموجودة في العش الثاني وهذا النموذج يمكن رؤيته لدى طائر(دجاج الماء وخطاف الشباك) حتى أنّ أزواج الطيور تساعد أزواجاً أخرى في العمل مثلما هو موجود لدى طائر النحل. وهذا النوع من التعاون والتكافل شائع لدى الطيور عامة . وهناك عامل مهم في نسف نظرية التطور من الأساس، وهذا العامل يتلخص في الرأفة التي تبديها الحيوانات ليس فقط تجاه صغارها بل تجاه صغار حيوانات أخرى . وحسب ادعاء دعاة التطور يكون من المستحيل رؤية هذه الأنماط من السلوك لدى الكائنات الحية في حين أنّ ما يصدر عنها من سلوك هو مثال في الرأفة والتضحية ومن المستحيل أنْ تكون قد تشكلت

بالصدفة. وهناك أمثلة لا تُحصَى في الطبيعة على التعاون والتكافل بين الأحياء . وهذا دليل واضح على أنّ الطبيعة ليست وليدة الصدفة والعبث كما يدعي الماديون .
<u>بطريق الإمبراطور وصبره الخيالي:</u> هناك حيوان يُظهر عزماً غريباً في الحفاظ على بيضه وصبراً لامثيل له وتفانياً مثيراً للدهشة وهذا الحيوان هو بطريق الإمبراطور. فهذا الحيوان يعيش في القطب الجنوبي الذي يتميز بظروف بيئية قاسية جدا. تبدأ أعداد كبيرة من هذا الحيوان تقدر ب 25000 بطريق رحلتها للتزاوج ويقدر طريق الرحلة بعدة كيلو مترات لاختيار المكان المناسب للتزاوج وتبدأ هذه الرحلة في شهر مارس وأبريل (بداية موسم الشتاء في القطب الجنوبي) ، ومن ثم تضع الأنثى بيضة واحدة في شهر مارس حزيران. والزوج من البطريق لايبني عشاً لبيضته بل لايستطيع ذلك لعدم وجود ما يبني به في بيئة مغطاة بالجليد. بيد أنه لايترك بيضته تحت رحمة برودة الجليد لأنّ هذا البيض مُعرَّض للتجمد بمجرد تعرضه لبرودة الجليد القاسية لذا يحمل بطريق الإمبراطور بيضه على قدميه ويقترب الذكر من الأنثى بعد وضعها للبيضة الوحيدة بعدة ساعات لاصقاً صدره بصدرها ويرفع البيضة بقدميه. ويحرص كلاهما أشد الحرص على ألا تمسَّ البيضة الجليد، ويقوم الذكر بتمرير أصابع قدميه تحت البيضة ومن ثم يرفع الأصابع ليدحرج البيضة باتجاهه. وهذه العملية تتم بكل هدوء وإتقان لتجنب كسر البيضة. وأخيراً يقوم بحشر البيضة تحت ريشه السفلي لتوفير الدفء اللازم.
وعملية وضع البيضة تستهلك معظم الطاقة الموجودة في جسم الأنثى لذا فإنها تذهب إلى البحر لتجمع غذاءها وتسترجع طاقتها في حين يبقى الذكر لحضن البيض، وتتميز فترة حضن البيض لدى بطريق الإمبراطور بالصعوبة مقارنة بباقي أنواع الطيور إضافة إلى حاجتها الشديدة للصبر من جانب الذكر، فهو يقف دون حراك مدة طويلة وإذا لزمت الحركة فإنه لايفعل ذلك إلا لأمتار قليلة براحة القدمين. وعند الخلود إلى الراحة يستند الطير على ذنبه كما لو أنّه قدم ثالث ويرفع أصابع قدميه بصورة قائمة كي لاتلمس البيضة الجليد. ومن الجدير بالذكر أنّ درجة الحرارة في الأقدام المغطاة بالريش السفلي أكثر بـ80 درجة عن المحيط الخارجي لذلك لاتتأثر البيضة بظروف البيئة الخارجية القاسية. وتزداد ظروف البيئة قسوة كلما تقدم فصل الشتاء بأيامه وأسابيعه حتى أنّ الرياح والعواصف تبلغ سرعتها 120-160 كم/الساعة، وبالرغم من ذلك يبقى الذكر ولمدة أشهر دون غذاء ودون حراك إلا للضرورة ضارباً مثلا مثيراً للدهشة في التضحية من أجل العائلة، وتُبدِي العائلة تضامناً كبيراً لمقاومة البرودة القاسية إذ أنّ حيوانات البطريق تتراص واضعة مناقيرها على صدورها وبذلك يصبح ظهرها مستوياً ومُشَكِّلَةً دائرة فيما بينها وسداً منيعاً من الريش في مواجهة البرد القارس. وتحدث هذه العملية بإخلاص وتنظيم دقيق دون أنْ تحدث أيّة مشكلة بين الآلاف من هذه الطيور المتراصَّة، وتظل هكذا لمدة أشهر عديدة بصورة من التعاون المدهش والمثير للحيرة والإعجاب. فحتى الإنسان تصيبه مشاعر الملل والأنانية في هذه الظروف القاسية رغم كونه مخلوقاً عاقلا يسير وفق مقاييس أخلاقية وعقلية. ولكن البطريق يبقى متعاوناً متكاتفاً ويعمل الفرد من أجل المجموعة بأكمل صورة ممكنة، والتضحية التي يبديها هذا الحيوان للحفاظ على البيض تحت هذه الظروف القاسية تعتبر منافية مفاهيم نظرية التطور التي تدّعي أنّ البقاء للأصلح والأقوى ونكتشف أنّ الطبيعة ليست مسرحاً للصراع بل معرضاً للتفاني والتضحية التي يبديها القوي للحفاظ على حياة الضعيف. وبعد ستين يوما من الظروف القاسية يبدأ البيض في الفقس، ويستمر الذكر في تفانيه من أجل الصغير علماً بأنّ هذا الذكر لم يتغذَّ أبداً طيلة فترة الرقود على البيض. ومن المعلوم أنّ البطريق الخارج لتوِّه من البيض حيوان ضعيف وصغير يحتاج إلى تغذية وعناية مستمرة فيفرز الذكر من بلعومه مادة سائلة شبيهة بالحليب يتم إعطاؤه للفرخ الصغير ليتغذى عليها. وفي هذه الفترة الحرجة تبدأ الإناث في العودة وتبدأ بإصدار أصوات مميزة فيرد عليها الذكور بصوت مقابل وهذه الأصوات هي نفسها التي استخدمت في موسم التزاوج وبواسطتها يعرف الذكر والأنثى بعضهما البعض. وقد وهب الله تعالى هذه الحيوانات قدرة التمييز بين الأصوات وهو اللطيف الخبير. وتكون الأنثى قد تغذت جيداً طيلة فترة الغياب ويكون لديها مخزون جيد للغذاء ، وتضع هذا المخزون أمام الفرخ الصغير وهو أول طعام حقيقي يتناوله بعد خروجه من البيض. وقد يتبادر إلى الذهن أنّ عودة الأنثى تعني خلود الذكر للراحة ولكن هذا لا يحدث أبدا، فالذكر يظل على اهتمامه ورعايته لمدة عشرة أيام أخرى ويقوم خلالها بمسك الفرخ الصغير بين قدميه، ثم يبدأ رحلته بعد ذلك إلى البحر ليتغذى بعد حوالي أربعة أشهر من الصيام عن الحركة والغذاء. ويظل الذكر غائبا من ثلاثة إلى أربعة أسابيع يعود بعدها إلى الاهتمام بالفرخ كي ترجع الأنثى بدورها إلى البحر لتصيب من الغذاء ماتيسر لها.تكون هذه الفراخ الصغيرة في المراحل الأولى من حياتها غير قادرة على تنظيم حرارة أجسامها لذا تكون معرضة للموت في حالة تركها وحيدة تحت ظروف البرد القاسية، لذلك يتناوب الذكر والأنثى في عملية الحفاظ على حياة الصغير وتوفير الدفء والغذاء له. وكما هو واضح في هذا المثال فكلاهما يتفانى ويضحي حتى بحياته إذا اقتضى الأمر في سبيل الحفاظ على حياة الفرخ الصغير. إنّ الإلهام الإلهي هو التفسير الوحيد لهذه التضحية والتعاون اللذَيْن يُبدِيهما الذكر والأنثى للحفاظ على حياة الصغير. إنّ المتوقع من هذا الحيوان غير العاقل أنْ يترك هذا البيض وشأنه ويفكر في الخلاص والنجاة من البرد القاسي إلا أنّ لطف الله سبحانه وتعالى بهذه الحيوانات جعلها ترأف ببيضها وفرخها وتظهر هذه الصورة الرائعة من التعاون والتضحية.

حصان البحر : الكائن الحي الوحيد الذي يكون ذكره حاملا: يتميز ذكر هذا الحيوان بأنّ جسمه يحتوي على كيس خاص يضع فيه البيض الذي تضعه الأنثى، وتقوم الأنثى بوضع هذا الجنين داخل كيس الذكر، ويقوم هو برعاية هذا البيض ومدّه بالغذاء عبر سائل يتم إفرازه داخل هذا الكيس شبيه بسائل البلازما، وتستمر عملية التغذية حتى اكتمال نمو الجنين. ويظل الذكر على هذا الوضع مدة تتراوح بين عشرة أيام واثنين وأربعين يوما. وتقوم الأنثى بتفقد الذكر كل صباح ومراقبة البيض تساعدها في معرفة لحظة اقتراب الولادة من قبل الذكر وبالتالي التهيؤ من أجل وضع البيض مرة أخرى.

سمك الأثرينا والرحلة المحفوفة بالمخاطر: يتميز هذا النوع من السمك عن باقي الأنواع بأنّه يضع بيضه على اليابسة، لأنّ البيض لايكتمل نموه إلا في هذا الوسط. والرحلة إلى اليابسة ولو لفترة قصيرة تعني الموت بالنسبة إلى هذه الأسماك. وبالرغم من هذه المخاطر تقوم الأسماك برحلتها مجابهة خطر الموت في سبيل الحفاظ على النسل، وبفضل الإلهام الإلهي تقوم هذه الكائنات باختيار الوقت والظرف المناسبَين للخروج من الماء، وتنتظر هذه الأسماك إلى أنْ يصبح القمر بدراً ثم تخرج لدفن البيض في رمال الساحل. وانتظارها للبدر يرجع إلى أنّ الأمواج العاتية تتزامن مع اكتماله فتزحف هذه الأمواج على السواحل الرملية. وهذه الأمواج تستمر مدّا وجزراً لمدة ثلاثة ساعات تختار فيها هذه الأسماك الموج الملائم كي تمتطيه لإلقاء بيضها على الساحل الرملي. وعند انحسار الموج تقوم الأنثى في خلال هذه الفترة القصيرة والخطيرة بحفر مكان بعمق خمسة سنتمترات بواسطة جسمها المتقلص والمنحني وتقوم بوضع بيضها في هذه الحفرة. ولاتنتهي هذه العملية عند هذا الحد لأنّ الإناث يجب أنْ تدفن هذا البيض وتغطيه كي ينمو بصورة جيدة. كل هذه الخطوات يجب أنْ تحدث قبل أنْ تغمر الساحل مياه الأمواج وإلا فإنّ حياة السمكة سوف تكون معرضة للهلاك. والملاحظ في هذا المثال أنّ السمكة تخاطر بحياتها حرصاً على النسل في صورة رائعة من التضحية والفداء فضلا عن سلوك يتسم بالحساب الدقيق والتقدير الذكي. ولو تأملنا في سلوك هذه السمكة الذي يتسم بالتخطيط والتضحية لأدركنا أنّ هناك موجِّهاً ومنظماً لهذه الخطوات ، فالسمك يعمد إلى اختيار هذا الأسلوب للتكاثر من بين المئات من الأساليب الأخرى. ولنفترض أنّ هذا النوع من السمك قد اكتسبت هذه الطريقة في التكاثرعن طريق الصدفة ، ترى ماذا يمكن أنْ يحدث بعد ذلك؟ إنّ هذه السمكة ستتعرض للموت في أول خروج لها إلى اليابسة لأنّها ستقوم بتجربة أنجح وسيلة لوضع البيض خلال فترة قصيرة جدا وخطيرة أيضا وتحت ظروف مستحيلة أيضا، لذا فإنّ انتظارها للبدر وتزامنه مع مد الأمواج وجزرها على الساحل الرملي وامتطاءها لهذه الأمواج وخروجها إلى الساحل ووضعها البيض ودفنها إياه كل ذلك ليس إلا وحياً وإلهاماً من الله العلي القدير الذي ألهمها بلطفه هذه المقدرة الفائقة.

العش الذي ينشأه السمك المقوس من الطحالب: تقوم أنثى هذا النوع من السمك بوضع البيض طيلة شهري ماي وحزيران، والعلامة الدالة على موسم التبييض هي بروز لون البقعة السوداء الموجودة في نهاية الذيل. وتختار الأنثى موضعاً قريباً من ضفة بحيرة أو نهر جار تكثر فيه الطحالب وتنشيء في هذا الموضع عشاً دائري الشكل، وفي تلك الأثناء يقوم الذكر بالسباحة حول نفسه دافعاً الطحالب اللازمة لبناء العش نحو الأسفل، ويلتصق البيض عند الوضع بأوراق النباتات وفروعها التي بني منها العش ويقوم الذكر بحراستها والسباحة حولها بحركة مستمرة لدفع الماء وتحريكه لتسهيل التهوئة اللازمة لأجنّة البيض. ويستمر الذكر في رعاية الصغار حتى يبلغ طول الواحد منها 10سم.

الارتحال طويلا من أجل التكاثر :الحوت الرمادي: في ديسمبر وديناير من كل سنة يقوم (الحوت الرمادي) برحلة تبدأ من المحيط المتجمد الشمالي عبر السواحل الشمالية والجنوبية الغربية لأمريكا متوجهاً إلى كاليفورنيا، وهدفه من هذه الرحلة بلوغ المياه الدافئة من أجل التكاثر، والغريب في هذه الرحلة أنّ الحيوان لايتغذى أبدا، وسبب ذلك أنّ هذا الحيوان قد تغذى جيدا في الصيف السابق لهذه الرحلة من مواد الغذاء الموجودة في المياه القطبية الشمالية. وتضع الأنثى مولودها عند بلوغها المياه الاستوائية القريبة من السواحل الغربية للمكسيك، وترضع الأنثى صغيرها باللبن مثل جميع اللبائن ويكون غنياً بالدسم اللازم لطاقة الصغير فهذه الطاقة لازمة للصغير الذي سوف يعود مع باقي الحيتان الرمادية في رحلة مضنية إلى المناطق الشمالية الباردة.

العناية الفائقة التي تبديها سمكة السحليد: يظهر هذا النوع من السمك وأنثاه عناية فائقة بالبيض والصغار التي تخرج منه، فيظل أحدهما واقفاً فوق المكان الذي يوضع فيه البيض ويحرك زعانفه وذيله باستمرار ويتناوبان على أداء هذا العمل كل بضعة دقائق، والهدف من تحريك الزعانف والذيل هو إتاحة أكبر كمية ممكنة من الأكسجين اللازم لنمو الأجنحة وكذلك منع تراكم سبورات الفطريات التي تحول دون نمو الأجنّة. وهذه العناية الفائقة التي يبديها هذا النوع من السمك تجاه بيضه مردها كون النظافة تمثل العنصر الأساسي في نمو الأجنّة، حتى أنّ هذا السمك يقوم بإتلاف البيض غير الملقح كي يمنع تعفنه لأنّ تعفنه يؤدي إلى إلحاق الضرر بباقي البيض الملقح. وفي المراحل التالية يحمل الذكر والأنثى البيض بفمهما بالتناوب لوضعه في حفر صغيرة على شكل شقوق في الرمل إلى أنْ يحين الفقس، وتتكرر عملية الحمل عدة مرات حتى يكتمل نقلها، وعند فقس البيض عن أسماك صغيرة يتولى الذكر والأنثى مهمة الحماية وبالتناوب أيضا. وتكون هذه الأسماك عموماً مجمّعة في مكان واحد وإذا حدث وإنْ ابتعدت واحدة منها عن المجموع فإنّ الذكر أو الأنثى يحملها في فمه ويعيدها إلى مكان اجتماع

الصغار مرة أخرى. ليست سمكة السحليد الوحيدة التي تهتم بالنظافة اهتماما شديدا بل هناك مخلوقات أخرى مشهورة في هذا المجال مثل(أم أربع وأربعين) فالأنثى تعمل على لحس البيض باستمرار لكي تمنع نمو الفطريات عليها ثم تلف نفسها حول هذا البيض لتوفر لها الحماية الكاملة. أمّا أنثى الأخطبوط فتضع بيضها بين الشقوق الموجودة في الأحجار وتظل تراقبها بعناية ، وبين الحين والآخر تنظف هذا البيض بدفع الماء إليه بواسطة التراكيب العضوية اللآمسة الموجودة في أذرعها.

التفاني لدى طائر النعام : من المعلوم أنّ أشعة الشمس القوية التي تشرق على قارة أفريقيا لها تأثيرات قوية وقاتلة على الكائنات الحية، لذا تلجأ الكائنات الحية إلى المناطق الظليلة لحماية نفسها من هذه الأشعة، ويشذ عن هذه القاعدة النعام الذي يستوطن جنوب إفريقيا لأنه يهتم بحماية بيضه وفراخه من الشمس أكثر من حماية نفسه ويستخدم جناحيه الواسعين في التظليل على بيضه وفراخه ولكن الملاحظ هنا أنّ هذا الطير يقف بجسمه تحت أشعة الشمس معرضاً نفسه لخطرها من أجل حماية العش ضارباً المثل بالتضحية من أجل الصغار الضعاف.

العنكبوت الذئب وحمله صغاره داخل كيس حريري: إنّ أنثى العنكبوت تقوم بوضع بيضها داخل شرنقة حريرية على شكل كرة أو على شكل قرص وتقوم بفرز هذه الشرنقة لتكوين ملجأ آمن لبيضها فتقوم بلصق هذه الشرنقة بمؤخرة بطنها وتظل هكذا أينما ذهبت وإذا حدث أن انفصلت عن جسمها تعود وتلصقها مرة أخرى. وعندما يفقس هذا البيض عن عناكب صغيرة تظل داخل الشرنقة حتى آوان انشقاقها ثم تخرج إلى ظهر أمها وتظل تحملهم أثناء حِلّها وترحالها. وبعض أنواع هذا الجنس من العنكبوت تكون أعداد صغاره كثيرة جدا حتى أنّهم



يشكلون عبارة عن طبقة فوق طبقة على ظهر الأم وهذه العناكب الصغيرة لاتتغذى في هذه المرحلة. وهناك نوع آخر يدعى بـ (عنكبوت الذئب المعجزة) وتقوم أنثى هذا العنكبوت عند حلول موسم فقس البيض في شهر حزيران أو تموز بفصل الشرنقة الحاوية على البيض ونسج مظلة عليها ثم تكمن إلى جانبها تحرسها ، وفي تلك الأثناء يكون البيض قد فقس عن عناكب صغيرة غير مكتملة النمو وتبقى داخل المظلة وعند اكتمال نموها تخرج منها متفرقة إلى نواحي شتى. لاشك أنّ هذا السلوك المتسم بالإخلاص والرعاية والرأفة والصبر يثير في أذهاننا تساؤلات عديدة.

اهتمام الحشرات بالبيض: إنّ المصاعب التي تواجه بعض أنواع الحشرات التي تعيش على سطح المياه تعتبر معها الحياة شبه مستحيلة لأنّ بيضها على درجة كبيرة من الضعف تجاه التيبّس ، وإذا تُرِك على سطح الماء فإنّه سيتعرض لهذا الخطر، أمّا إذا وُضع تحت سطح الماء فإنّ الأجِنَّة التى بداخلها سوف تهلك لانعدام الأكسجين لذا تتولى ذكورها عملية تهوئة البيوت الموضوعة على سطح الماء وترتيبها. وهناك حشرة مائية عملاقة تدعى(ثوسيروس) تقوم أنثى هذه الحشرة بوضع البيض على غصن طافٍ على الماء وأمّا الذكر فيغطس في الماء ويخرج منه واثباً من فوق هذا الغصن كي تتساقط من جسمه قطيرات الماء على هذا البيض لترطيبه وحمايته من خطر باقي الحشرات. أمّا حشرة (بيلوستوما العملاقة)- وغالبا ما يمكن رؤيتها في أحواض السباحة- فتقوم الأنثى بلصق البيض على ظهر ذكر الحشرة ويتحتّم عليه السباحة في الماء لترطيبه وتهوئته، ويظل لعدة ساعات يحرك أطرافه الخلفية والأمامية للأمام والخلف أو يظل ملتصقاً بغصن طاف لترطيب وتهوئة هذا البيض.

أمّا الحشرات ذات الأجنحة الغمدية وخصوصاً من نوع (بليديوس) والبرية من نوع (بمبيديون) والتي تكثر في المستنقعات من نوع (هتروسيروس) فتتميز بخاصية غريبة جدا في المحافظة على البيض من تأثير المياه التي تغمرها، فتقوم بسد فتحة شرانق البيض الضيقة عندما تغمرها المياه وتفتح هذه الفتحة عند انحسار الماء عنه. إنّ استخدام الحشرات لهذه الطرق المتقدمة في الحفاظ على سلامة البيض تنم عن سلوك منطقي مستند إلى عقل مدبر مِمّا يقودنا إلى حقيقة الخلق مرة أخرى.

اهتمام النحل البرّي بصغاره الذين لن يراهم أبدا: هناك نوع من النحل البري يدعى بـ"الحفار" لأنّه يحفر في الأرض حفرة خاصة بيرقته وتكون هذه الحفرة منحنية بعض الشيء. وعملية الحفر بالنسبة إلى هذه الحشرة غاية في الصعوبة، فهي تأخذ حفنة بفمها وتدفعها بأطرافها الأمامية للتخلص منها. وهناك خاصية أخرى لهذا النوع من النحل وهي اتقانه للتمويه فهو لايترك أثرا أبدا على عملية الحفر ويتمثل هذا التمويه في التقامه لكتل التراب التي أزالها عند الحفر ويجعلها تحت فكه وينقلها جزءا جزءا إلى مكان بعيد ويضع هذه الأجزاء مبعثرة منتشرة لا تجلب الانتباه. وعندما ينتهي الحفر ويصبح هناك مكان متسع لحجم النحلة تبدأ الأنثى بتكوين ملحق خاص لهذه الحفرة يكفي لاحتواء البيضة ومخزونها الغذائي. وعندما تنتهي من ذلك تقوم بسد هذه الحفرة مؤقتا وتبدأ رحلة طيران من أجل البحث عن الغذاء. تتخصص أنواع هذا النحل في اصطياد أنواع من الحشرات مثل الجراد واليرقات والحشرات الطنانة ، وطريقة اصطياد هذا النحل لفريسته مختلفة عن المعتاد لأنه عند اصطياده للفريسة لايقتلها بل يعمد على تخديرها بواسطة إبرته اللاسعة ثم يحملها إلى ملجئه الآمن، وعند وصوله إليه يضع بيضته الوحيدة على هذه الفريسة المخدَّرة التي تظل طازجة وهي تكفي مادة غذائية لليرقة التي ستخرج من البيضة الوحيدة. وبعد أنْ توفر الأم المكان والغذاء لصغيرها يكون من اللازم توفير الحماية له، فتجتهد في سدّ مدخل الحفرة بالتراب والحصى بكل إتقان وعناية ثم تتناول قطعة حجر بفكّها وتستخدمها بمثابة مطرقة لتسوية مدخل الحفرة، وفي النهاية تقوم بتهذيب التراب في المدخل بواسطة سيقانها المشوكة كي تكتمل عملية التمويه. وهكذا تصبح الحفرة مخفية تماما إلا أنّ هذه الحشرة لا تكتفي بذلك بل تنشر عدة حفر وَهْمِيَّة هنا وهناك بالقرب من الحفرة الأصلية للتمويه أيضا. وأما الغذاء الموجود في الحفرة فيكفي

لتغذية اليرقة التي ستخرج من البيض وحتى اكتمال نموها لتصبح حشرة كامة تستطيع الخروج من الحفرة إلى العالم الخارجي. إنّ الحيوان الصغير الذي سيخرج من البيضة يكون مجهولا دوما بالنسبة إلى الأم ولكنها تعد له مسكنا آمنا وغذاء كافيا وتتحمل لتحقيق ذلك صعوبات جمة وكل ذلك ضمن سلوك يتم بأعلى درجات التضحية والإخلاص والرقة. ويتضح لنا من خلال هذا المثال أنّ هذه الحشرة الصغيرة غير العاقلة لاتستطيع أنْ تتصرف من تلقاء نفسها هكذا إلا أنْ يكون ذلك بوحي توجيه من قوة عَلِيّة تهديها نحو الأمن والسلامة.

<u>كل شيء من أجل الصغار:</u> غالبا ما يكون الصغار محتاجين إلى الرعاية والاهتمام وهم يخطون خطواتهم الأولى في الحياة، وعموما يكون الصغار إمّا عُميانا أوعُراة لا يملكون مهارات كافية في الصيد، لذا وجب الاعتناء بهم وتوفير الرعاية لهم من قبل الأبوين أوالقطيع إلى حين النضوج وإلا فإنّهم قد يهلكوا نتيجة الجوع والبرد. ولكن العناية الإلهية قضت بأنْ يعتني الكبار بالصغار في صور رائعة من الفداء والتضحية. تصبح الكائنات الحية خطيرة وحساسة جدا في حالة تعرُّض صغارها لأي خطر، ورد فعل هذه الكائنات الحية عند شعورها بخطر هو الفرار إلى أماكن آمنة وإذا تعذّر عليها النأي بنفسها عن الخطر تصبح هذه الكائنات متوحشة وحادة تجاه الخطر حفاظاً على حياة الصغار بشكل أساسي، فالطيور والخفافيش (الوطاويط) على سبيل المثال لا تتوانى في مهاجمة الباحثين الذين يأخذون صغارها من الأعشاش لغرض البحث والدراسة، وكذلك الحمير الوحشية التي تعيش على شكل مجاميع . وعندما يتهدد الخطر حيوانات مثل (ابن آوى) تقوم المجموعة بتوزيع الأدوار فيما بينها لحماية الصغار والذود عنهم بكل شجاعة وإقدام. وتحمي الزرافة صغيرها تحت بطنها وتهاجم الخطر بساقيها الأماميتين أمّا الوعول والظباء فتتميز بحساسية مفرطة وتهرب عند إحساسها بالخطر، وإذا كان هناك صغير ينبغي الذود عنه فلا تتردد في الهجوم مستخدمة أظلافها الحادة.



أمّا اللبائن الأصغر حجماً والأضعف جسماً فتقوم بإخفاء صغارها في مكان آمن وعندما تحاصَر تصبح متوحشة ومتوثبة في وجه العدو الذي يجابهها. فالأرنب على سبيل المثال مع فرط حساسيته وضعفه يتحمل المشقة والصعاب من أجل حماية صغاره، فهو يسرع إلى عشه أو وكره ويعمد إلى ركل عدوه بأرجله الخلفية، ويكون هذا السلوك أحيانا كافيا لإبعاد الحيوانات المفترسة. وتتميز الغزلان بكونها تعمد إلى الجري وراء صغارها عند اقتراب الخطر منها فالحيوانات المفترسة غالبا ما تهاجم من الخلف لذلك فإنّ الغزال الأم تكون بذلك أقرب ما يكون من صغارها وتبعدهم عن مواطن الخطر، وفي حالة اقتراب الخطر تجتهد في صرف نظر الحيوان المفترس بهدف حماية صغيرها وهناك بعض اللبائن تستخدم ألوان أجسامها للتمويه وسيلة لدرء الخطر إلا أنّ صغارها تحتاج إلى توجيه وتدريب على وسيلة الاختفاء هذه، ومثال على ذلك حيوان اليحمور حيث تقوم الأنثى بالاستفادة من لون صغيرها في خطة للتنكر بهدف الإفلات من الأعداء، فهي تخفي صغيرها بين شجيرات وتجعله ساكنا لايتحرك، ويكون جلد الصغير بُنّي اللون مُغطًّى ببقع بيضاء، وهذه التركيبة اللونية مع أشعة الشمس المنعكسة تكون خير وسيلة للانسجام مع لون الشجيرات التي تحيط به. وهذه الطريقة في التخفي تكون كافية لخداع الحيوانات المفترسة التي تمر بالقرب منه، أمّا الأم فتبقى على بُعد مسافة قصيرة تراقب ما يحدث دون أن تثير انتباه الأعداء غير أنها تقترب أحيانا من صغيرها لكي ترضعه. وقبل ذهابها إلى الصيد تجبر صغيرها على الجلوس بواسطة منخرها، ويكون الصغير عادة متيقظا وحذرا، وعندما يسمع صوتاً غير عادي سرعان ما يعود إلى الجلوس والاختفاء خوفا من أنْ يكون مصدر الخطر بالنسبة إليه.



ويظل الوليد على هذا الشكل حتى يصبح قادرا على الوقوف على قدميه والتنقل مع أمه. وثمة حيوانات تظهر رد فعل عنيف تجاه العدو المرتقب بل وتوجه ضربات بهدف تخويفه وإبعاده مثل البوم وبعض أنواع الطيور التي تسلك سلوكا استعراضيا يتمثّل في مد جناحيه فيبدو أكبر من حجمه الطبيعي. وهناك طيور تقلد فحيح الأفاعي لإرهاب الأعداء مثل طائر(ذو الرأس الأسود) الذي يصدر أَصواتا صاخبة ويرفرف بجناحيه داخل عشه ويبدو الأمر مخيفا داخل العش المظلم وسرعان مايلوذ العدو بالفرارأمام هذه الضوضاء والحركة. والظاهرة الملحوظة لدى الطيور التي تعيش على شكل تجمعات هي العناية التي يوليها الكبار للصغار وحرصهم على حمايتها وخصوصا من خطر طيور ''النورس'' إذ ينطلق فرد أو اثنان بالغان ويحومان حول مكان تجمع الأسراب لترهيب النوارس وإبعادها عن الصغار. ومهمة الحماية هذه يتم تنفيذها بالتناوب بين الطيور البالغة وكل من ينهي مهمته يذهب إلى مكان آخر بعيد تتوفر فيه المياه للصيد والتغذية وجمع الطاقة للعودة مرة أخرى. وتتميز الوعول بروح التضحية من أجل صغارها خصوصا عندما تشعر بخطر يُداهِم صغيرها فهي تقوم بحركة غاية في الغرابة إذ تلقي بنفسها أمام هذا الحيوان المفترس لتُلهيه عن افتراس ولدها الصغير. وهذا الأسلوب يمكن ملاحظته في سلوك العديد من الحيوانات مثل أنثى النمر التي تجتهد في القيام بما في وسعها حتى تصرف انتباه الأعداء المتربصين بصغارها. أمّا حيوان (الراكون) فأول ما يفعله عند إحساسه بالخطر الداهم هو أنْ يأخذ صغاره إلى قمة أقرب شجرة ثم يسرع نازلا إلى الحيوانات المفترسة ويكون وجها لوجه معها، ومن ثم يبدأ بالفرار إلى ناحية بعيدة عن مكان الصغار ويستمر في الابتعاد حتى يطمئن إلى زوال الخطر وعندئذ يتسلل



خلسة عائدا إلى صغاره. وهذه المحاولات لايكتب لها النجاح دائما لأن الصغار قد ينجون من خطر المفترسين إلا أنّ الأبوين قد يتعرضان للموت والهلاك. وهناك طيورتقوم بتمثيل دورالجريح لصرف نظرالعدو المفترس عن الفراخ الصغيرة، فعند إحساس الأنثى باقتراب الحيوان المفترس تتسلل بهدوء من العش ولَمَّا تصل إلى مكان وجود العدو تبدأ في التخبط وضرب أحد جناحيها بالأرض وإصدار أصوات مليئة بالاستغاثة وطلب النجدة، بَيْدَ أنّ هذه الأنثى تأخذ حذرها اللازم فهي تمثّل هذا الدور على بُعد مسافة ما من الحيوان المفترس، ويتوهم أن الأنثى المستغيثة تعتبر غنيمة سهلة ولكنه بذهابه في اتجاهها يكون قد ابتعد عن مكان وجود الفراخ الصغار، ثم تنهي الأنثى تمثيلها وتهب طائرة مبتعدة عن الحيوان المفترس. إنّ هذا المشهد التمثيلي يتم أداؤه بمهارة مقنعة للغاية، وكثيرا ما تنطلي هذه الحيلة على القطط والكلاب والأفاعي وحتى على بعض أنواع الطيور. أمّا الطيور التي تبني أعشاشها مع مستوى سطح الأرض فيعتبر التمثيل أداة فعالة وناجعة في حماية فراخها من الأعداء المفترسين، فالبط على سبيل المثال يقوم بتمثيلية العاجز عن الطيران من على الماء عند إحساسه بقدوم الحيوانات الخطرة، ويظل هكذا يضرب بجناحيه على سطح الماء مع احتفاظه بمسافة آمان بينه وبين الحيوان المتربص به، وعندما يطمئن بأنّ الحيوان المفترس قد ابتعد عن عش الفراخ يقطع مشهده التمثيلي ويعود إلى عشه. هذا السيناريو الذي يتم تمثيله من قبل بعض أنواع الطيور لم يجد التفسير الكافي والمقنع من قبل علماء الأحياء. هل باستطاعة الطير أنْ يُعِدَّ مثل هذا السيناريو؟ لاشك ينبغي أنْ يكون على درجة عالية من الذكاء والنباهة. إنّ هذا السلوك يقتضي وجود صفات مثل الذكاء والتقليد والقابلية فضلا عن الشجاعة المثيرة للإعجاب عندما يتصدَّى للحيوان المفترس دفاعا عن الصغار، فهو يجعل من نفسه صيداً مطارداً بدون أي تردد أو خوف. والغريب في الأمر أنّ هذه الطيور لا تتعلم هذا السلوك من غيرها من الحيوانات. والأمثلة التي أوردناها في هذا العرض غيض من فيض في عالم الأحياء لأنّ ملايين الأنواع من الكائنات الحية تختلف من حيث أساليب الدفاع عن النفس وطرق الحماية، ولكن النتيجة المتأتّية من هذه الأساليب هي مبعث الغرابة في هذا المجال، لأنّه يصعب أنْ نفرض أنّ الطير يضحي بنفسه من أجل صغيره من منطلق سلوك عاقل منطقي. ويجب ألا ننسى أننا هنا بصدد الحديث عن مخلوقات غيرعاقلة ولايمكن أنْ يتصف تفكيرها غير الموجود أصلا بالرحمة والمودة والرأفة، والتعليق الوحيد الوارد في تفسير هذه الأنماط السلوكية يتلخص في كون الله سبحانه وتعالى هو الذي ألْهَم الكائنات الحية سلوكا مِلْؤه الرحمة والتضحية ليضرب لنا الأمثال برحمته التي وسعت كل شيء.

<u>الحشرات أيضا تحمي صغارها من المهالك:</u> يعتبر عالم الأحياء السويدي ـ أدولف مودر ـ أول من اكتشف رعاية الأبوين للصغار في عالم الحشرات وذلك سنة **1764** عندما كان يجري أبحاثه على حشرة (المدرع الأوروبي) فوجد أن الأنثى تجلس على بيضها دون أكل أو شرب وتصبح هذه الأنثى مقاتلة شرسة عندما يقترب الخطر من بيضها. وكان العلماء والباحثون في تلك الفترة أو ما قبلها لايقبلون فكرة رعاية الحشرات لصغارها، وسبب ذلك يورده لنا البروفسور ـ دوغلاس ـ من جامعة(ديلاور) والذي يعمل في علم الحشرات ويؤمن بنظرية التطور كالآتي : تجابه الحشرات مخاطر عديدة أثناء دفاعها عن صغارها ويتساءل العلماء في مجال الحشرات عن السرّ في عدم انقراض هذه الخصلة (خصلة الدفاع والحماية) أثناء عملية التطور، لأنّ وضع البيض بأعداد كبيرة أفضل استراتيجيا من اتباع وسيلة الدفاع المحفوفة بالمخاطروالمهالك . ويُعلِّق ـ دوغلاس على هذا التساؤل المحيِّر ويرى أنه يجب أنْ تنقرض هذه الميزة حسب فرضيات نظرية التطور، ولكن الموجود والملاحَظ في الطبيعة أنّها لا تزال موجودة وبصور عديدة سواء في عالم الحشرات أو غيرها وليس دفاعاً عن الصغار فحسب بل عن الكبار أيضا. ونورد أيضا المثال الآتي عن التضحية في سبيل الأحياء الصغيرة وهو متعلق بسلوك حشرة (الدانتيل) التي تعيش في المناطق الجنوبية الغربية من أمريكا وتتخذ من بعض النباتات سكناً لها ، وأنثى هذه الحشرة تسهر على حماية بيضها واليرقات التي تخرج منها وتضحي بنفسها في سبيل ذلك.ومن ألدّ أعداء هذه اليرقات حشرة تتميز بمقدمة فمها الشبيه بالمنقاريكون صلباً وحاداً. وتلتقم هذه الحشرة اليرقات في لقمة سائغة ، ولا تملك حشرة (الدانتيلا) أي سلاح فعال تجاه أعدائها سوى الضرب بجناحيها وامتطاء ظهور خصومها لإزعاجهم وإبعادهم. وفي تلك الأثناء تنتهز اليرقات فرصة انشغال الأعداء بالصراع مع الأم للهرب باقتفاء العِرق الرئيسي للورقة النباتية التي يعيشون عليه ويتخذون هذا العِرق طريقا رئسياً للانتقال إلى ورقة أخرى طرية وملتوية للاختفاء داخلها. وإذا استطاعت الأنثى أنْ تنجو بحياتها فإنّها تتبع طريق صغارها إلى الورقة التي اختفَوا داخلها وتتولى حراستهم ورعايتهم في غصن تلك الورقة قاطعة الطريق أمام الأعداء الذين يكونون تتبعوها إلى تلك الورقة . وأحيانا تنجح هذه الحشرة في طرد الحشرات المعتدية ثم تمنع يرقاتها من الذهاب إلى أيّة ورقة طرية أخرى اعتباطا وإنّما تختار هي بنفسها الورقة الأكثر أمنا واتخاذها ملجأ لهم. وغالبا ما تموت هذه الحشرات عند الدفاع عن يرقاتها ولكنها توفر لهذه اليرقات إمكانية الهرب والاختفاء عن نظر الأعداء.



<u>تغذية الصغار:</u> يحتاج الصغار إلى تغذية من قبل الأبوين بقدر حاجتهم إلى الحماية من خطر الأعداء ويجتهد الأبوان في صيد ما يقتاتون به أكثر من أي وقت آخر وذلك لتوفير حاجة الصغار من الغذاء وهما في الوقت نفسه على أهبَّة الاستعداد لدرء خطر الأعداء المتربصين فعلى سبيل المثال يقوم ذكر الطير والأنثى بتغذية فراخهما بمعدل **4-12** مرة في الساعة يوميا، وعندما يكون لديهم أكثر من فرخ ينبغي

عليهم أنْ يخرجوا من عشهم مئات المرات يوميا لجلب الغذاء الكافي لأفراد العائلة ، وخير مثال على ذلك الطائر ذو الرأس الأسود الذي يخرج ويعود إلى عشه بمعدل 900 مرة يومياً جالباً في منقاره الحشرات اللازمة لتغذية فراخه. وعملية التغذية لدى اللبائن تختلف نوعا ما لأنّ مسؤلية تغذية الصغار تخص الإناث لذلك فهي تحتاج تغذية أكثر من الأيام العادية لتوفير اللبن الذي هو مصدر الطاقة الوحيد للصغار، فعلى سبيل المثال نجد (الفقمة) التي ترضع صغيرها بعد الولادة من 10 - 18 يوما ويزداد وزن الرضيع في تلك الفترة، أمّا الأم فتتناول غذاء إضافياً لتوفير اللبن للرضيع ومع ذلك فإنّ وزنها يقل نسبياً بالرغم من هذه التغذية الإضافية. وبصورة عامة يكون الذكور والإناث في حالة صرف للطاقة أكثر بثلاثة أو أربعة أضعاف في المرحلة الأولى التي يكون لديهم رضيع منها في المرحلة العادية. والأبحاث التي أجريت في جامعة (لوزان) تمّ التوصل من خلالها إلى ما ينفقه الذكور والإناث لدى الطيور من طاقة وجهد عندما يكون لديها فراخ محتاجة إلى الرعاية والتغذية. فقد أجرى أستاذ الأحياء في هذه الجامعة ويدعى - هاينز ريخفر- وتلامذته تجارب عديدة على طير(التانكارا) وتوصلوا من خلالها إلى المسؤلية الجسيمة التي يتحملها ذكر هذا الطير. فقد قام هذا الأستاذ بتغيير عدد الفراخ في الأعشاش المختلفة وتم قياس المجهود الذي يبذله كل ذكرعلى حِدة وتوصّل إلى نتيجة مفادها أنّ الذكر الذي يملك عدداً أكبر من الفراخ يبذل جهداً مضاعفاً، ولهذا فإنه يموت مبكرا. ونسبة التعرض للأمراض الطفيلية لدى الذكور كثيرة الفراخ تقدر بـ 76% أمّا الذكور العادية والتي لها عدد أقل من الفراخ فتقدر بـ 36% . هذه المعلومات توضح لنا مدى التفاني والتضحية التي يبذلها الطير في تنشئه صغاره.

الطائر الغواص والريش الذي يقدمه طعاما لصغيره: يعتبر هذا الطائر بمثابة عش متحرك لصغاره إذ يمتطي الصغار أباهم أو أمهم ثم يفرش هذا الطائر جناحيه قليلا لئلا يقع الصغار في الماء، وعندما يحين الإطعام يلوى الطير رأسه إلى الخلف ويبدأ في إطعام صغاره من منقاره الملئ بالغذاء إلا أنّ أول الغيث لا يكون طعاماً بمعني الطعام لأنّ الذكر أو الأنثى يطعمون صغارهم بالريش الذي جمعوه من الماء أو الذي نتفوه من صدورهم. ويبلع كل فرخ كماً لابأس به من الريش. ولكن لماذا يطعم الطيرصغيره هذا الريش؟ إنّ هذا الريش الذي يتناوله الصغار لا يهضم في معدتهم وإنّما يتراكم فيها وقسم منها يتكلس في الفتحة المؤدية إلى الأمعاء وهذا التراكم يمنع من الأذى المصاحب لتناول الأسماك التي قد تؤذي بطانة المعدة والأمعاء بعظامها. وتستمر الطيور في تناول الريش طيلة فترة حياتها، وبلا شك فإنّ أول وجبة من الريش يتم إطعامها للصغار لها أهميتها القصوى. وكما هومعروف فإنّ بعض أنواع الطيور يطعم صغاره السمك، فيغوص الطير تحت الماء ويصيد السمك من ذيله بحركة سريعة بارعة. وهناك سبب مهم يجعل الطير يصيد السمك من ذيله فالتقاطه بهذا الشكل ييسر على الفرخ الصغير التقامه وأكله لأنه يكون مقدماً باتجاه ترتيب العظام أي أنّ التقامه لا يسبب أي خدش أو غصٍّ في بلعوم الفرخ وبالتالي يتم التقامه وهضمه بسهولة. ثم إنّ الطريقة التي يصيد بها الطير السمكة تكشف كون الصيد له أو لأولاده ، فإنْ كان المسك من الذيل فالطعام للفرخ الصغير وإن كان من أي جزء آخر من السمكة فهذا يعني أنها طعام للبالغين والكبار.

المسافة الطويلة التي يقطعها طائر الغواكارولجلب الغذاء لصغاره: هذا النوع من الطيور يبني عشه في مكان مرتفع عن سطح الأرض بمقدار 20 مترا. وفي كل ليلة يخرج لجلب الفواكه اللازمة لتغذية الصغار بمقدار خمس إلى ست مرات، وعند عثوره على الفاكهة المناسبة يسحب خلاصتها اللينة ثم يعدها لتصبح غذاء لذيذاً للفراخ. وتخرج أسراب من هذا النوع كل ليلة للبحث عن الغذاء، وتقطع مسافات طويلة تربوعن 25 كيلومترا. وهناك أنواع من الحيوانات مثلها مثل طائر (الغواكارو) تهيئ الغذاء قبل تقديمه إلى الصغار، فطائر مثل (البليكان) يقوم بإعداد ما يشبه الحساء أمّا طائر عقرب الدقائق فتقوم أنثاه بخلط البلانكتون مع الأسماك الصغيرة لإعداد غذاء دسم للصغار، أمّا الحمام فيفرز من بلعومه سائلا يعرف بـ(حليب الحمام) ويكون غنياً بالبروتين والدهن ويختلف عن حليب اللبائن في أنّه يفرز من قبل الذكر والأنثى على حد سواء. وهناك طيور تعد لصغارها غذاءاً مشابهاً للحليب. وتكون الفراخ الصغيرة في أمسِّ الحاجة إلى رعاية الأبوين، والشيء الوحيد الذي تفعله أنّها تفتح أفواهها وتنتظر ما يجلبه لها الأبوان من غذاء. ويسلك مثل هذا السلوك صغار طائر النورس الذي يتغذى على سمك (الرينكا)، فالصغار يركزون أفواههم في النقطة الحمراء الموجودة في منقار الأم. أما فرخ طائر (عرعر) فعندما يشعر بحركة تنم عن قدوم أحد الأبوين إلى العش يمد عنقه إلى الأعلى انتظارا للغذاء بالرغم من أنّ عيونها لم تنفتح بعد. وتكون الصغار في هذه المرحلة متميزين بهالة لمّاعة صفراء اللون حول المنقار كأنّما تشير إلى مكان وضع الغذاء. ويكون حيز المنقار على درجة كبيرة من الحساسية تساعده على فتحه بعد أنْ يغلقه، وهذا اللون المختلف لمناقير صغار الطيور وحساسيتها له أهمية بالغة في عملية تغذية الكبار لهؤلاء الصغار خصوصا لدى الطيور التي تبني أعشاشها داخل حفر مظلمة.

ومثال آخر في طير(كوليديان اسبينوزا) الذي يبني عشه داخل شقوق مظلمة. ففرخ هذا الطائر يتميز بكون منقاره يحتوي من الخارج ومن كلا الجهتين على نتوءين بارزين بلون أزرق وأخضر يلمعان مع أول ضوء يدخل العش، ويصبحان بذلك مصدراً للضوء داخل العش المظلم. وهذا اللون المختلف لايعتبر دليلا للأم للاهتداء إلى صغارها داخل العش فقط وإنّما يحمل معاني أخرى. فالاختلاف في درجة اللون يجعل الأم تميز بين مَن تغذّى توّاً ومَن مازال جائعا لم يتغذّ بعد. فطائر الـ (الكينيفير) يكون ما حول منقار صغيره الجائع أحمر اللون نتيجة تدفق الدم للأوعية الدموية الموجودة في العنق، أمّا إذا تغذّى الفرخ فإنّ

معدته تحتاج إلى كمية أكبر من الدم تسهل عملية الهضم. لذا فالفرخ الجائع هو الذي يكون احمرار ما حول منقاره بدرجة أكبر. وبهذه الطريقة يميز الأبوان بين الفراخ الجائعة وغير الجائعة. إنّ هذا الانسجام الكامل بين المظهر الخارجي للطير والأنماط السلوكية التي يمارسها دليل واضح على وجود خالق واحد للطبيعة والكائنات الحية التي تعيش فيها بل خالق واحد لكل شيء. والصدفة لا تستطيع أنْ تخلق هذا الانسجام والتكامل الرائعين.

الدجاج البري وحمله الماء لسقي كتاكيته: إنّ الانسجام بين المظهر الخارجي والبيئة التي يعيش فيها الكائن الحي أمر مطرد في كل الأحياء. ومثال آخر لهذا الانسجام هو الدجاج البري. فهذا الطير لايملك مكاناً معيناً يستقر فيه. وعند اقتراب موسم التبييض يضع هذا الطائر ثلاث بيضات في مكان منعزل وسط الرمال. وعند خروج الفراخ من البيض يبدأون على الفور في البحث عن الغذاء الذي يتألف من البذور النباتية ، بَيْدَ أنّه ليس لديهم القدرة للبحث عن الماء نتيجة لأنّهم لا يستطيعون الطيران بعد. ومسؤلية جلب الماء تقع على الذكر. وبعض أنواع الطيور يجلب الماء لصغاره في منقاره ، إلا أنّ ذَكر الدجاج البري يضطر إلى جلب الماء من مسافة بعيدة لذلك فهو يحتاج إلى شيء من هذا الماء لإرواء عطشه نتيجة هذه الرحلة الطويلة والشاقة. ولهذا الطير طريقة خاصة وغريبة لحمل الماء تتمثل في أنّ الريش الذي يغطي صدر الطائر وبطنه متميزاً بطبقة ليفية من الداخل. وعندما يصل الطير إلى مصدر الماء فإنّ أول ما يفعله هو التمسح بالرمل بأسفل جسمه للتخلص من الملمس الدهني للريش والذي يمنع التبلل ثم يقترب من ضفة الماء ويبدأ بإرواء عطشه أولا ثم يلج في الماء رافعاً جناحيه وذنبه ومحركاً جسمه للأمام والخلف لتبليل ريشه بأكبر كمية ممكنة من الماء وتمثل الطبقة الليفية للريش إسفنجاً يعمل على امتصاص الماء. ويكون الماء المحمول بواسطة الريش بعيدا عن تأثير التبخر ومع هذا يتبخر جزء منه في حالة القيام برحلة أطول من 25 ميلا. وفي النهاية يصل الطير إلى فراخه الذين مازالوا يبحثون عن طعام. وعند رؤيتهم لأبيهم يسرعون نحوه، وعندئذ يرفع الذكر جسمه إلى الأعلى ويبدأ فراخه بمصّ الماء الموجود في الريش في وضعية أشبه برضاعة اللبائن لصغارها. وبعد انتهاء عملية سقي الصغار يمسح الذكر جسمه في الرمل لتجفيف الريش. ويستمر الذكر في إرواء الصغار طيلة شهرين حتى ينهي الصغار عملية إسقاط الزغب وتغييره مرتين وتصبح لهم القدرة على الاعتماد على أنفسهم في إرواء عطشهم.إنَّ هذا السلوك الغريب للدجاج البري يثير في أذهاننا تساؤلات عديدة ، فإنّ هذا الطير يعرف جيدا كيفية الاستفادة من خواص مظهره الخارجي ومدى ملاءمتها لظروف البيئة التي يعيش فيها هو يفعل ذلك لأن مصدر سلوكه العجيب هو الإلهام الإلهي الذي منحه القدرة على التصرف وفق البيئة التي يعيش فيها.

نقل الكائنات الحية لصغارها: عموما يكون الصغار مخلوقات ضعيفة قليلة الحركة لذا فإنها تنقل من قبل الأبوين من مكان إلى آخر عند الخطر أو غيره ، ولكل كائن حي طريقته الخاصة في نقل صغاره فبعضها تحمل صغارها على ظهورها وبعضها في فمها والبعض الآخر في تجاويف كيسه في جناحيه وفي جميع الحالات يكون الصغار في مأمن وينقلون إلى مكان آمن وسليم. ولعلّ نقل الصغار من قبل الأبوين في حالة الخطر يعتبر مثالا جيداً على التضحية من أجل الضعيف لأنّ حمل الصغير ونقله يؤدي إلى التقليل من قدرة الأبوين



على المناورة. وبالرغم من جميع المخاطر يستمر الأبوان في الدفاع عن الصغير. والأسلوب الشائع بين الأحياء لحمل الصغير هو الحمل على الظهر، والمثال الجيد على ذلك هي القرود التي تحمل صغارها أينما تشاء فوق ظهورها، فأنثى القرد تستطيع الحركة بحرية وهي تحمل صغيرها على ظهرها لأنّ القرد الصغير يتمسك جيدا بأمه من خلال إمساكه بالشعر الكثيف الذي يغطي جسم الأم. وعند إحساسها بالخطر تتعلق بالأشجار بسهولة حتى وإنّ كان وليدها على ظهرها. وتستطيع أنّ تقفز من شجرة إلى أخرى. ومثال آخر هو حيوان الكنغر فأنثاه مثل باقي اللبائن الكيسية تحمل وليدها في كيس مغطى بشعر كثيف يقع أسفل بطنها. ويظل الكنغر الصغير في هذا الكيس حوالي خمسة أشهر وعند خروجه من هذا الكيس يظل يلعب قريباً من أمه، وعند إحساسه بأي خطر أو شيء غريب يرجع مسرعاً إلى هذا الكيس. وتستطيع الأنثى أنْ تقفز بخطوات كبيرة مسرعة وبالرغم من أنّ صغيرها يكون محمولا بواسطة أرجلها الخلفية القوية . وكذلك (الناجب) فهي تحمل صغارها ولكن بأسنانها من بطن صغيرها المتدلية. وينقل هذا الحيوان صغاره عندما تشعر الأنثى بالخطر ووجوب تغيير مكان المسكن، وتظل تحمل أولادها واحدا تلو الآخر إلى المكان الجديد. وعند اكتمال عملية النقل ترجع إلى المكان القديم للتأكد من أنّ أحدا من أبنائها لم يتخلف. وبالنسبة إلى صغار الفئران فإنّها تظل ملتصقة بحَلَمَة ثدي الأم لساعات طوال. وعندما تحسّ الأم بالخطر تبدأ في الهرب ساحبة أولادها بين أرجلها نتيجة التصاقهم الشديد بحلمة الثدي. وعند اكتمال عملية النقل ترجع إلى المكان القديم لتتأكد من كون أحد من صغارها لم يتخلف. وتتميز الخفافيش بأنّها تطير الليل كله بحثاً عن الغذاء الذي يكون إمّا فاكهة أو حشرات وهي تحمل صغارها معها أثناء طيرانها ويكون الخفاش الجديد ماسكا بمخالبه شعر أمه وزارعاً أنيابه اللبنية بقوة في ثديها. وتحمل طيور(دجاج الماء وحِدأة المستنقعات) إضافة إلى طير ذو الرأس الأسود صغارها بمناقيرها عند الانتقال من مكان إلى مكان آخر . أمّا الصقر ذو الذنب الأحمر فيحمل صغاره بمخالبه بنفس الطريقة التي يحمل بها الفريسة بعد أنْ يصطادها. وتحمل الطيور الغواصة صغارها على ظهورها وعند إحساسها بالخطر تغوص في الماء سابحة بينما يظل صغيرها على ظهرها. أمّا الضفادع فتحمل صغارها أو بيضها على ظهورها فالضفادع البرية والإستوائية تستطيع أنْ تقفز وصغارها

على ظهورها وأنْ تتنقل إلى المكان الذي تراه مناسباً. والمثال الأغرب هو بعض أنواع السمك الذي يحمل صغاره في فمه أثناء نقلهم إلى مكان آمن فالسمك الشوكي يظل ذكره يحوم حول العش الذي بناه بين الأعشاب المائية حراسة له وإنْ حدث أنْ ابتعد أحد الصغار الخارجين حديثاً من البيض يلتقم الذكر هذا الصغير الشارد في فمه ويعيده إلى العش ثانية. وبالنسبة للنمل فتقوم العاملات بحمل البيض واليرقات من غرفة إلى أخرى داخل الخلية بواسطة فمها حيث تقوم العاملات كل صباح بحمل اليرقات باتجاه ضوء الشمس من مكان لآخر في قمة الخلية وفي المساء تبدأ العاملات بحمل اليرقات إلى الأجزاء السفلية من الخلية والتي سخنت نتيجة ضوء النهار والحاوية على غرف خاصة لرعاية اليرقات وتكون مداخل هذه الغرف مقفلة لمنع دخول الهواء البارد في الليل وفي الصباح يتم فتحها لحمل اليرقات إلى قمة الخلية مرة أخرى. وإذا هوجمت الخلية من قبل الأعداء فتفعل العاملات ما بوسعها من أجل حماية اليرقات وقسم من النمل يبدأ هجومه على الأعداء في المنطقة التي يتواجدون فيها والقسم الآخر يذهب إلى الغرف الخاصة التي تحتوي على اليرقات لحراستها من أي مكروه حيث تقوم النملة العاملة بأخذ اليرقة بين فكيها وتذهب بها إلى مكان بعيد عن ميدان المعركة حتي ينجلي الموقف أو يخرج العدو من المستعمرة.

ومن هذا العرض للأمثلة المختلفة يتبين لنا أنّ الكائنات الحية سواء كانت أُسُوداً أو حشرات أو ضفادع أو طيور فكلها تحمي صغارها بشكل أو بآخر بواسطة الحمل أو النقل إلى مكان أمين وهذا يعني أنّها ذات سلوك يتسم بالمخاطرة وتحمُّل المكاره من أجل الصغار، إذن كيف يمكن لنا أنْ نفسر مصدر هذا السلوك ؟ ويتضح من الأمثلة السابقة أنّ الكائنات الحية تتحمل مسؤلية تنشئة صغارها حتى بلوغها مرحلة الاعتماد على النفس وحتى تلك الفترة فإنّها تلبي كافة احتياجاتها دون نقص أوكلل ، ونستطيع أنْ نشاهد أمثلة أخرى عديدة التي ذكرناها في الطبيعة. وتتجلّى أمامنا الحقيقة مرة أخرى، ألا وهي أنّ كافة الكائنات الحية تحيا برحمة الله تعالى حيث يلهمها عز وجل كلاً منها سلوكها وكيفية معيشتها وهي تستجيب لهذا الإلهام الإلهي وكل كائن حي يخضع وينقاد للإرادة الإلهية كما قال تعالى: (وله مَن في السمواتِ والأرضِ كلٌ له قانتون) .[سورة الروم]

<u>التعاون والتكافل بين الكائنات الحية:</u> في الأمثلة السابقة تناولنا موضوع اهتمام ورعاية الكائنات الحية لصغارها والرأفة والرحمة التي يتسم بها سلوكها إضافة إلى التضحية والتفاني التي يبديها اتجاه صغارها ولكن هناك أمثلة في الطبيعة على التعاون والتكافل بين الأنواع المختلفة للأحياء والتي يمكن رصدها كثيراً، ومن المعروف أنّ الكائنات الحية التي تعيش على شكل مجاميع أومستعمرات تملك مقومات البقاء والديمومة أكثر من التي تعيش على شكل أفراد، إنّ العيش ضمن مجاميع أو عوائل يفنِّد مزاعم دعاة التطور التي تنص على كون الطبيعة ميدانا للحرب من أجل البقاء ، وغالبا ما تكون الأحياء في تعاون مثمر فيما بينها بدلا من التنافس حيث تستفيد من ذلك في تحقيق تبادل منفعة أو الاستناد على مبدأ نكران الذات. ودعاة التطور يرون بأعينهم هذه الحقائق ولكنهم دوماً يحاولون تفسيرها ضمن المفاهيم التي يدعون إليها وعلى سبيل المثال أجرى أحدهم أبحاثا في هذا المجال ويدعى ـ بيتر كروبوتكين ـ في المناطق الشرقية من سيبيريا وفي منثوريا وسجّل مشاهداته عن التعاون بين الكائنات الحية وألّف كتاباً عن هذا الموضوع، ويقول هذا الباحث في كتابه عن التعاون بين الأحياء ما يلي: عندما بدأنا نجرى بحثا عن موضوع البقاء من أجل الحياة فُوجئنا بوجود أمثلة عديدة عن التعاون والتكافل بين الكائنات الحية، وظهرت أمامنا حقيقة واضحة وهي أنّ التعاون ليس فقط من أجل إدامة النسل بل من أجل سلامة الأفراد وتوفير الغذاء لهم وهذه الحقيقة يقبلها المؤمنون بنظرية التطور وإنّ هذا التعاون وتبادل المنفعة يعتبران كقاعدة عامة في عالم الأحياء ، وإنّ هذا التعاون المتبادل يمكن رؤيته في أدنى حلقة من سلسلة الأحياء}. أمام هذه الأمثلة الحية ما كان مِن مؤمن بنظرية التطور كـ ـ كروبوتكين ـ إلا أنْ يُبدي مثل هذا التعليق الذي ينافي فرضيات هذه النظرية، وكما سيتبين لنا من الأمثلة التي سنذكرها في الصفحات المقبلة أنّ التعاون المتبادل بين الأحياء بأنواعها المختلفة مهم جداً في توفير الغذاء والأمن لها، وإنّ هذا التوازن والنظام في الطبيعة دليل واضح على قدرة الله الخلاق العليم ، وكل مَن شاهد هذه الأمثلة الحية في الطبيعة يقف حائراً ومندهشاً من هذا السلوك العاقل المستنِد على مشاعر حساسة الذي يسلكه حيوان غير عاقل وعديم المشاعر أيضا، ومن الذين شاهدوا وبحثوا هذه الأمثلة الحية عالم باحث في الطب والفيزيولوجي يدعى ـ كينيث ووكر ـ حيث سجَّل مشاهداته في رحلة صيد في شرق أفريقيا كما يلي:



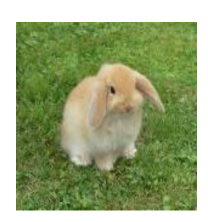
هناك أمثلة عديدة للتعاون المتبادل بين الحيوانات مازالت حيّة في ذاكرتي عندما رأيتها في رحلة صيد قمتُ بها في شرق إفريقيا قبل سنوات ، وشاهدتُ بأم عيني كيف أنّ قطعان من الغزلان والحمير الوحشية تتعاون في ما بينها في سهول (آهتي) ، حيث يضعون مَن يترصد العدو القادم لينبِّه القطيع حين قدومه، ولم أكن خارجا لصيد الحمار الوحشي ولكني فشلتُ في اصطياد غزال واحد ، لأنني كلما اقتربت من غزال لاصطياده ينبه الحمار الوحشي القطيع بقدومي وبذلك يفلت مني ، ووجدت هناك تعاون بين الزرافة والفيل فالفيل لديه حاسة سَمْع قوية وآذانه الواسعة تعتبر رادارا لاقِطاً لأي صوت مقابل حاسة بصر





ضعيفة ، أمّا الزرافة فلها حاسة بصر قوية وتعتبر كمراصد مرتفعة للمراقبة ، وعندما تتحد جهود الفريقين لا يغلبان لا من نظر ولا من سمع ولا يمكن الاقتراب من قطعانهما ، والمثال الأغرب هو التعاون بين وحيد القرن والطير الذي يحط على ظهره لالتقاط الطفيليات الموجودة على جلده ، فكلما تحسّ الطيور باقترابي تبدأ بإخراج صوتا معين تنبه به وحيد القرن باقترابي وعندما يبدأ الحيوان بالهرب تبقي الطيور على ظهره كأنّها راكبة عربة قطار تهتز باهتزازه. إنّ مشاهدات - كينيث ووكر- ما هي إلا جزء يسير من أمثلة عديدة يمكن لنا أنْ نشاهدها على التعاون المتبادل بين الأحياء ، ويمكن للإنسان أنْ يجد أمثلة لهذا التعاون بين الحيوانات التي تعيش بالقرب منه ، ومن المهم أنْ يتفكر الإنسان في ماهية هذه الأمثلة. هل هناك معنى لسلوك كائن حي بهذا التفاني والإيثار خصوصاً أنّ الكائن الحي يفترض أنّه جاء إلى هذه الحياة بالصدفة ؟ وبمعنى آخر هل يمكن لنا أنْ نتوقع مثل هذا السلوك المنطقي من مثل هذا الكائن الحي ؟ بالطبع لا ؛ لأنّه لا يمكن لمخلوق غير عاقل نشأ بالصدفة أنْ يُبدي سلوكاً عاقلا ، ولا يمكن له أنْ يفكر بحماية الآخرين ، ولا يمكن تفسير الأنماط السلوكية لهذه الكائنات إلا بشيء واحد وهو الإلهام الإلهي. وفي الأمثلة القادمة سيتضح لنا بدليل ساطع أنّ هذه الكائنات الحيّة تخضع للإلهام الذي يوجهها.

<u>تنبيه الكائنات الحية بعضها البعض بالخطر القادم:</u> من أهم فوائد العيش ضمن تجمعات هو التنبيه للخطر القادم وتوفير وسائل الدفاع بصورة أكثر فاعلية ، لأنّ الحيوانات التي تعيش ضمن تجمعات تقوم عند إحساسها بالخطر القادم بتنبيه الباقين بدلا من الهرب والنجاة ، ولكل نوع من أنواع الأحياء طريقته الخاصة بالتنبيه بالخطر، على سبيل المثال الأرانب والأيل يقومان برفع ذيولها بصورة قائمة عند قدوم العدو المفترس كوسيلة لتنبيه باقي أفراد القطيع ، أمّا الغزلان فتقوم بأداء رقصة على شكل قفزات. أمّا الطيور الصغيرة فتقوم بإصدار أصواتاً خاصة عند قدوم الخطر، ومِن الطيور مَن تقوم بإصدار أصوات ذات ترددات عالية مع فواصل متقطعة ، وأُذُن الإنسان تتحسس هذا النوع من الصوت على شكل صفير وأهم ميزة لهذا الصوت هي عدم معرفة مصدره. وهذا لصالح الطير المنبه بالطبع، لأنّ الخطورة تكمن في معرفة مكان الطير الذي يقوم بوظيفة التنبيه بالخطر وتقل نسبة الخطورة لعدم معرفة هذا الصوت. أمّا الحشرات التي تعيش ضمن مستعمرات فوظيفة التنبيه والإنذار تقع على عاتق أول فرد يرى ويحسّ بالخطر، إلا أنّ من المحتمل أنْ تكون رائحة المادة التي يفرزها هذا الفرد كوسيلة إنذار قد يحسّ بها العدو القادم لذا فإنّه يضحي بحياته من أجل سلامة المستعمرة.



أمّا الكلاب البرِّيَّة فتعيش ضمن مجامع يربو عددها على 30 فردا وعلى شكل مساكن شبيهة بمدينة صغيرة والأفراد يعرفون بعضهم بعضا في هذه المستعمرة وهناك دائما حراس مناوبون في مداخل هذه المدينة الصغيرة ويقفون على أطرافهم الخلفية مراقبين البيئة من جميع الجهات وإذا حدث أنّ أحد المراقبين رأى عدوا يقترب فيبدأ من فوره بنباح متصل شبيه بصوت الصفير، ويقوم باقي الحراس بتأكيد هذا الخبر بواسطة النباح أيضا وعندئذ تكون قد علمتْ بقدوم الخطر ودخلت مرحلة الاستعداد للمجابهة.



وهنا نقطة مهمة ينبغي التأكيد عليها، فتنبيه الكائنات الحية عند قدوم الخطر مسألة تثير الاهتمام والفضول، والأهم من ذلك أنّ هذه الكائنات تفهم بعضها البعض، والأمثلة التي أوردناها أعلاه مثلا الأرنب الذي يرفع ذيله عند إحساسه بالخطر فهذه العلامة يفهمها باقي الحيوانات ويدخلون مرحلة التيقظ على هذا الأساس، حيث يبتعدون إنْ وجب الأمر الابتعاد أو يختفون إنْ كان هناك مجال للاختفاء ، والأمر المثير للاهتمام هو أنّ هذه الحيوانات متفقة فيما بينها مسبقاً على هذه الإشارات بحيث تكون بإشارة واحدة متنبهة بقدوم الخطر، إلا أنّ هذا الافتراض لايمكن أنْ يكون مقبولا من أي إنسان ذو تفكير ومنطق، إذن فالأمر المحتم قبوله هو أنّ هذه الكائنات الحية مخلوقة من قبل خالق واحد وتتحرك وفق إلهامه وتوجيهه. أمّا المثال المتعلق بالصفير الذي يطلقه الطير عند إحساسه بالخطر وفهمه من قِبل وحيد القرن فهنا يظهر أمامنا سلوك عاقل ومنطقي يثير الحيرة فينا ، فمن غير الممكن أنْ تفكر حيوانات غير عاقلة بتنبيه باقي الحيوانات بقدوم الخطر وتكون تلك الحيوانات قد فهمت الإشارة واستوعبتها ، وهنا يبرز أمامنا تفسير واحد لسلوك حيوان غير عاقل بهذه الصورة المنطقية وهو كَوْن هذه الحيوانات قد اكتسبت هذه القابليات والأنماط السلوكية ، وإنّ الذي خلقها وسواها وهو الله الخلاق العليم الذي يتغمدها برحمته الواسعة.

<u>مجابهة الأحياء للخطر جماعياً:</u> لا تكتفي الحيوانات التي تعيش على شكل مجامع بإنذار بعضها البعض بقدوم الخطر بل تشارك أيضاً بمجابهته. مثلا الطيور الصغيرة تقوم بمحاصرة الصقر أو البوم الذي يتجرّأ ويدخل مساكنها، وفي تلك الأثناء تقوم بطلب المساعدة من الطيور الموجودة في تلك المنطقة، وهذا الهجوم الجماعي الذي تقوم به هذه الطيور الصغيرة يكفي لطرد الطيور المفترسة. ويشكّل السِّرْب الذي تطير ضمنه الطيور خير وسيلة للدفاع، فالسِّرب الذي يطير ضمنه (الزرزور) يتركون بينهم مسافات طويلة أثناء الطيران وإذا رأوا طائراً مفترساً يقترب كالصقر سرعان ما يقللون ما بينهم من مسافات مقتربين من بعضهم البعض وبذلك يقللون من إمكانية اقتحام الصقر للسرب وإذا أمكن له ذلك فسيجد مقاومة شديدة وربما يصاب بجروح بجناحيه ويعجز عن الصيد. واللبائن تتصرف على هذه الشاكلة أيضا خصوصا إذا كانت تعيش ضمن قطعان ، ومثال على ذلك الحمار الوحشي حيث يدفع بصغاره نحو أواسط القطيع

أثناء هربه من العدو المفترس وهذه الحالة دَرَسَها جيدا العالم البريطاني ـ جون كودول ـ في شرق أفريقيا حيث سجّل في مشاهداته كيف أنّ ثلاثة من الحمير الوحشية تخلّفت عن القطيع وحوصرت من قبل الحيوانات المفترسة وعندما أحسّ القطيع بذلك سرعان ما قفل راجعاً مهاجماً الحيوانات المفترسة بحوافرها وأسنانها ونجح القطيع مجتمعا في إخافة هؤلاء الأعداء وطردهم من المكان. وعموما فإنّ قطيع الحمير الوحشية عندما يتعرض للخطر يظل زعيم القطيع متخلفا عن باقي الإناث والصغار الهاربين ، ويبدأ الذكر يجري بصورة ملتوية موجهاً ركلات قوية إلى عدوه وحتى أنّه يرجع ليقاتل عدوه.

ويعيش (الدولفين) ضمن جماعات تسبح سويا وتقوم بمهاجمة عدوها اللدود (الكواسج) بصورة جماعية أيضا، وعندما يقترب الكوسج من هذه الجماعة يشكل خطراً جسيماً على صغار الدولفين حيث يبتعد اثنين من الدولفين عن الجماعة ليلفتا انتباه الكوسج إليهما ويبعدانه عن الجماعة وعندئذ تنتهز الجماعة تلك الفرصة في الهجوم فجأة وتوجيه الضربات تلو الضربات على هذا العدو المفترس، وتسلك سلوكا غريبا آخر حيث أنّها تسبح بموازاة جماعات سمك (التونة) التي تشكل مصدراً غذائياً مُهماً لها، لهذا السبب فإنّ صيادي سمك (التونة) يتخذون الدولفين دليلاً لهم في اصطياد هذا النوع من السمك ولسُوء الحظ هناك حالات كثيرة يتم فيها وقوع الدولفين في شباك الصيادين ولكون هذا الحيوان ليناً غير قادر على السفر تحت الماء فسرعان ما يصاب بالهلع ويبدأ بالوقوع نحو قاع الماء ، وفي تلك الأثناء يبدأ باقي الدلافين بنجدة زميلهم وهذا دليل على الترابط العائلي الموجود في الجماعة ، ويبدأ كافة أفراد الجماعة بالنزول إلى الأسفل ومحاولة دفع الشباك إلى الأعلى لإنقاذ حياة زميلهم ، ولكن هذه المحاولات كثيرا ما تبوء بالفشل والموت للكثير منهم لعدم قدرتهم على التنفس تحت الماء وهذا السلوك عام لكافة أنواع الدولفين.



أمّا الحيتان الرمادية فيتسابق ذَكَراً أو اثنين منها لنجدة أنثى مصابة بجروح عن طريق دفعها نحو سطح الماء لتسهيل تنفسها وكذلك حمايتها من هجمات الحوت القاتل. ويقوم ثيران المِسك بتشكيل دائرة فيما بينها تجاه العدو المفترس، حيث تخطو خطوات للوراء دون أنْ تجعل ظهرها نحو العدو، والهدف هو حماية الصغار الذين يبقون داخل هذه الدائرة متمسكين بشعر أمهاتهم المتدلي الطويل ، وبهذا الشكل الدائري تنجح الثيران البالغة في المحافظة على حياة الثيران الصغيرة ، وعندما يهجم أحد أفراد هذه الدائرة على هذا العدو سرعان ما يرجع إلى نفس موقعه في الدائرة كي لا يتخلل النظام الأمني . وهناك أمثلة أخرى تتبعها الحيوانات أثناء الصيد شبيهة بسلوكها أثناء الحماية والدفاع عن النفس فالبجع يقوم بصيد السمك بصورة جماعية حيث تشكل نصف دائرة قريبة من الضفة وتضيق من هذه الدائرة شيئا فشيئا ومن ثم تبدأ بصيد الأسماك المحاصرة في هذه المياه الضحلة وينقسم البجع في الأنهار الضيقة والقنوات إلى مجموعتين وعندما يحل المساء تنسحب هذه الطيور إلى مكان تستريح فيه ولا يمكن أنْ تُرى متشاحنة أو متعاركة فيما بينها سواء في الخلجان أو في أماكن استراحتها. هذه الأنماط السلوكية التي تبديها الحيوانات من تعاون وتكافل وتضحية تثير أسئلة عديدة في مخيلة الإنسان لأنّ الحديث يدور عن مخلوقات غير عاقلة ليس عن أناس ذوي عقل ودراية أي أنّ الحديث يدور عن حمير وحشية أو طيور أو حشرات أو الدلافين وغيرها. ولا يمكن للإنسان العاقل أنْ يفترض أرضية منطقية وعاقلة كتفسير لسلوك هذه الحيوانات والتفسير الوحيد الذي يمكن للإنسان العاقل أنْ يتوصل إليه أمام هذه الأمثلة هو: أنّ الطبيعة ومحتوياتها ما هي إلا مخلوقات خلقها واحد قدير لاحد لقدرته ذو القدرة والرحمة والرأفة والحكمة : (فللهِ الحمدُ ربِ السمواتِ وربِ الأرضِ ربِ العالمين).

<u>التكاثف والتعاون بين طيور إفريقيا:</u> تعيش طيور إفريقيا على شكل جماعات متعاونة ومتناسقة في أروع صورة ممكنة، ومصدرها الغذائي يتشكل من الفواكه التي تحملها أغصان الأشجار التي تعيش عليها، وللوهلة الأولى تبدو لنا عملية التغذية على الفواكه التي توجد في قمة الأغصان غاية في الصعوبة ؛ لسببين أولهما عدم إمكانية الوصول للفاكهة الموجودة في قمة الأغصان وأطرافها من قبل الطيور البعيدة عنها وثانيهما شُحَّة وفقر المكان الذي يمكن للطير أنْ يحطّ عليه فوق الشجرة فالمتوقع لهذا الطير أنْ يعاني من الجوع حتماً ولكن الحقيقة والواقع عكس ذلك تماماً. تتحرك هذه الطيور الإفريقية نحو أغصان الأشجار وكأنّها متفقة فيما بينها مسبقاً على أنْ تكون حركتها بالتناوب حيث تتراص بينها على غصن الشجرة ، ويبدأ الطير الأقرب إلى الفاكهة يتناولها ويأخذ حصته منها ومن ثم يناولها إلى الذي بجانبه وهكذا تتجول الفاكهة من فَم إلى آخر حتى أبعد طير على غصن الشجرة وبذلك تتشارك الطيور في التغذية ويُثار هنا تساؤلا مفاده كيف أمكن لهذه الحيوانات غير العاقلة أنْ تتصرف وفق هذه التضحية والتعاون فيما بينها وكيف لا يفكر الطير الأقرب إلى الفاكهة بالاستحواذ عليها دون الباقين ، ومن أين أتى هذا النظام والانتظام في التغذية بين هذه الطيور في تطبيق لا نظير له في الإحياء ، علماً أنّه لا أحد من هذه الطيور يسلك سلوكاً من شأنه أنْ يخلخل النظام على غصن الشجرة مع هذا لا يشبع العدد المتوقف على غصن الشجرة في المرة الواحدة لعدم كفاية الفاكهة الملتقطة والموجودة على غصن تلك الشجرة ، لذلك تقوم هذه الطيور في الوقوف على غصن آخر مليء بالفاكهة ولكن هذه المرة يكون الطير الأكثر جوعاً والأبعد عن الفاكهة في المرة الماضية الأقرب إلى الفاكهة وتبدأ دورة التغذية من جديد وفق نظام يتم بالعدالة والدقة.





<u>الحيوانات المتعاونة عند الولادة:</u> تكون الحيوانات وخصوصا اللبائن أكثر تعرضا للخطر أثناء الولادة،لأنّ الأم ووليدها يكونان لقمة سائغة للحيوانات المفترسة، ولكن الملاحظ أنّ هذه الحيوانات تكون بحماية أحد أفراد القطيع عندما تضع وليدها على سبيل المثال تختار أنثى (لانتيلوب) مكاناً أميناً بين الأعشاب الطويلة لتضع وليدها ولا تكون وحدها حيث تكون بجانبها أنثى أخرى من نفس القطيع كي تساعدها حين الحاجة. وهناك مثال آخر للتعاون بين الحيوانات أثناء الولادة وهو(الدولفين) فالوليد الصغير عندما يخرج تواً من رحم أمه عليه أنْ يخرج لسطح الماء للتنفس ، لذلك تدفعه أمه بأنفه إلى أعلى كي يستطيع التنفس وتكون الأم ثقيلة الحركة قبل الولادة ويقترب منها أثنيين من نفس الجماعة لمساعدتها لحظة الولادة وتكون هاتان المساعدتان تسبحان إلى جانب الأم لحظة الولادة لمنع أى ضرر يلحق بها في تلك اللحظة الحرجة ، خصوصا أنّ الأم تكون ثقيلة الحركة ومعرضة للخطر أكثر من أي وقت مضى. ويكون الوليد الجديد لصيقا بأمه طيلة الأسبوعين الأولين ، ويبدأ السباحة شيئا فشيئا بعد ولادته بفترة قصيرة وتدريجيا يبدأ بالاستقلال عن أمه وتكون الأم في هذه الحالة ضعيفة بعض الشيء ولا تستطيع أنْ تتأقلم مع حركات الوليد الجديد لذا فتتدخل أنثى أخرى لحماية الصغير وتوفير العون الكامل للأم حتى تلتقط أنفاسها. وعلى نفس الأسلوب تلد الفيلة أولادها حيث تكون أنثى دوماً لمساعدة الأم أثناء الولادة حيث تختفي الأم ووصيفتها داخل الأعشاب الطويلة بكل مهارة حتى تنتهي عملية الولادة وتستمران في رعاية الفيل الجديد طيلة حياتهما وتتميز الفيل الأم بحساسية مفرطة خصوصاً عندما تكون بجانب وليدها. وهناك أسئلة عديدة تطرح نفسها في هذا المجال مثلا كيف تتفاهم الفيلة أو غيرها من الحيوانات مع بعضها أو الأنثى التي تصبح مساعدة كيف تفهم أو تشعر باقتراب موعد الولادة لقريبتها ؟ وهذه الحيوانات لا تمتلك عقلا مفكرا أو إرادة فاعلة لتحديد هذه الأمور الحياتية إضافة إلى أنّ هذه الفيلة السالفة الذكر تسلك نفس السلوك في أيّة بقعة أخرى في العالم، ونفس الشيء يقال للدولفين أو غيره من الحيوانات وهذا دليل على كونها مخلوقة من قبل خالق واحد يتغمدها برحمته وعلمه الواسعين أينما كانوا.

<u>الحيوانات الحاضنة لصغارغيرها من الحيوانات:</u> تمتاز اللبائن بأنّها تنشأ علاقات قرابة وطيدة فيما بينها ، على سبيل المثال الذئاب تعيش ضمن عائلة واحدة تتألف من ذكر وأنثى وصغيرهما وربما واحد أو اثنين من ولادات سابقة وكل الحيوانات البالغة تقوم بمهمة حماية الصغار، وأحيانا تبقى إحدى الإناث في الوكر لتقوم بمهمة الحاضن لأحد الصغار طول الليل بينما تقوم الأم بالخروج إلى الصيد مع باقي أفراد الجماعة. وتعيش كلاب الصيد الإفريقية ضمن جماعات تتألف الواحدة منها من عشرة أفراد وتبدأ توزيع الوجبات بين الذكور والإناث والتي تتلخص بحماية الصغار وتغذيتهم وتتسابق فيما بينها على رعاية الصغار وعند اصطيادها لفريسة تقوم بتشكيل حلقة حولها لحمايتها من هجوم الضباع ولإفساح المجال للصغار بالتغذي عليها. ويعيش (البابون) أيضا ضمن جماعة يقوم زعيمها برعاية المرضى والجرحى من أفرادها حتى أنّ البالغين قد يتبنون(بابون) صغير في حالة فقدانه لأبويه حيث يأذنون له بالسير معهم نهارا والمبيت عندهم ليلا وقد تُغيِّر الجماعة مكانها عندئذ تقوم الأم بالمسك من يد صغيرها ليمشي الهويدا في حالة كونه صغيراً جداً لا يستطيع أنْ تضبط توازنه أثناء حملها له والصغير قد يتعب أثناء سيره ويتسلّق ظهر أمه غالبا وهذا يؤدي إلى تقهقرهم عن الجماعة ولو فطن زعيم الجماعة لهذا الأمر يقفل راجعا إلى حيث تقف الأم ويبدأ بمرافقتهم أثناء المسير. أمّا (أبناء آوى) فتعيش مع أمهاتها حتى بعد انقطاعها عن الرضاعة وتصبح يافعة تساعد أمها عند ولادتها لرضيع جديد حيث تجلب الغذاء للصغار أو تذهب بهم إلى مكان بعيد لحين ابتعاد الخطر الداهم. وليس أبناء آوى وحدهم الذين يهتمون برعاية أشقائهم بل تقوم بنفس المهمة طيورمثل دجاج الماء والسنونو حيث تقوم صغارها في الأعشاش القديمة بمعاونة أشقائهم في الأعشاش الحديثة . إنّ التعاون في عالم الطيور يتخذ شكلا آخر لأنّه يكون بين أزواج الطيور مثل طير النحل حيث يتعاون الزوجان في تنشئة أطفالهما وهذا التعاون من الممكن مشاهدته لدى الطيور بكثرة. وهذه الرعاية التي تبديها الحيوانات تجاه صغار لا تعود إليهم تعتبر من الأدلة القوية لنسف مزاعم دعاة التطور وكما أسلفنا القول فإنّ المؤمنين بنظرية التطور يفسرون سلوك الحيوانات المتسم بالتضحية على كونها ليست تضحية بل أنانية لأنّها تهدف إلى الحفاظ على الجينات الوراثية ونقلها إلى أجيال لاحقة فقط. ولكن قد اتضح من الأمثلة السالفة أنّ هذه الحيوانات لا تُبدي اهتماما ورعاية لأبنائها من حملة جيناتها فقط وإنما تجاه حيوانات لا تحمل أيّة جينات منها أصلا بمنتهى الرحمة والشفقة أى أنّ هذه الفرضية فرضية (الجين الأناني) التي ساقها المؤمنون بنظرية التطور قد أفلست تماماً وثبت عدم صحتها بالمرة. ومن المستحيل أنْ يفكر حيوان غير عاقل بنقل جيناتها إلى جيل لاحق. ولو قبلنا أنْ تكون هذه الحيوانات مبرمجة على عملية نقل الجينات فيجب علينا أنْ نقبل وجود مبرمج لهذا البرنامج. وكل حيوان نصادفه في الطبيعة وندرس طبائعه وخصائصه يقودنا إلى خالق واحد لهذا الوجود. وهذا الخالق بلا شك هو الله الرحمن الرحيم .



<u>التضحية الموجودة في المستعمرات:</u> تعيش كائنات مثل النحل والنمل الأبيض ضمن تشكيلات اجتماعية يتم بناؤها بانتظام وطاعة وتوزيع الواجبات إضافة إلى التضامن والتضحية. وهذه الأحياء الصغيرة تبذل كل جهدها ووقتها في سبيل الحفاظ على سلامة اليرقات منذ لحظة خروجها من البيض وعلى سلامة المستعمرة وتأمين غذاءها. وتتقاسم غذاءها فيما بينها وتقوم بتنظيف المكان الذي

تتواجد فيه وإذا اقتضى الأمر تضحي بنفسها من أجل غيرها. والكل يعرف ما عليه أنْ يفعله ويحرص على فعل ما بوسعه على أكمل وجه. وكل واحد منها يهتم بالمستعمرة واليرقات الضعيفة وهذان الهدفان من الأولويات المهمة لديها. ولا يمكن لنا أنْ نشاهد ضمن أنماطها السلوكية أي دليل على أنانيتها البتة. وهذا بلا شك سبب نجاح هذه الأحياء في الحياة ضمن مستعمرة ملؤها النظام والانتظام. ويحدثنا ـ بيتر كروبوتكين ـ عن مدى النجاح الذي يتوصل إليه النحل والنمل الأبيض ضمن العيش في مستعمرة يتسم كيانها بالتعاون المتبادل كما يلي: لو تصورنا المستعمرات التي ينشئها النحل أو النمل الأبيض بمقياس المنازل التي ينشئها بنو الإنسان لكانت هذه المستعمرات متطورة للغاية في أسلوب بنائها وإدارتها لأنّها تتألف من طرق معبدة ومخازن مهياة للاستهلاك عند الحاجة وصالات فسيحة إضافة إلى مخازن للحبوب ومساحات أخرى لجعلها مخزناً للحبوب وتستخدم في هذه المستعمرات مختلف الوسائل لرعاية البيض واليرقات. وأخيرا المجهود الضخم الذي تبذله في حياة المستعمرة كل ذلك دليل على التضحية والتعاون المتميزين في كل خطوة من خطوات العمل.

<u>معالم التضحية في مستعمرة النمل:</u> من أهم المعالم المميزة لمستعمرة النمل المشاركة في الغذاء. فإذا تقابلت نملتان وكانت إحداهما جائعة أو عطشى والأخرى تملك شيئا في بلعومها لم يُمضغ بعد فإنَّ الجائعة تطلب شيئا من الأخرى التي لا ترد الطلب أبدا وتشاركها في الأكل والشرب. وتقوم النملات العاملات بتغذية اليرقات بالغذاء الموجود في بلعومها. وفي أغلب الأحيان تكون كريمة مع غيرها وبخيلة مع نفسها بشأن الغذاء. هناك توزيع في أداء الواجبات ضمن المستعمرة الواحدة وكل نملة تؤدي ما عليها من واجب بكل تفاني وإخلاص. وإحدى هذه النملات هي البوابة أو حارسة الباب. وهي المسؤلة عن السماح بدخول النمل من أبناء المستعمرة فقط ولا يسمح للغرباء بالدخول أبدا وتكون رؤوس هذه الحارسات بحجم بوابة المستعمرة فتستطيع أنْ تسد هذه البوابة برأسها. وتظل الحارسات طيلة اليوم يقمن بواجبهن وهوحراسة مدخل المستعمرة لذلك فإنّ أول مَن يجابه الخطر هؤلاء الحارسات.

لا تكتفي النملات بمشاركة أخواتها بالطعام الذي تحمله في معدتها بل تقوم بتنبيه الباقيات إلى وجود طعام أو كَلأ في مكان ما صادفته. وهذا السلوك لا يحمل في طيّاته أي معنى للأنانية. وأول نملة تكشف الغذاء تقوم بملء بلعومها منه ثم تعود إلى المستعمرة. وفي طريق العودة تقوم بلمس الأرض بطرف بطنها تاركة مادة كيمياوية معينة ولاتكتفي بذلك بل تتجول في أنحاء المستعمرة بسرعة ملحوظة ثلاث أو ست مرات وهذه الجولة تكفي لإخبار باقي أفراد المستعمرة بالكنز الذي وجدته وعند عودة النملة المكتشفة إلى مصدر الغذاء يتبعها طابور طويل من أفراد المستعمرة. هناك نمل يدعى قطّاع الورق تكون عاملاته المتوسطة الطول مشغولات طيلة اليوم بحمل أجزاء الورقة النباتية إلى المستعمرة. ولكنها تكون في غاية الضعف عند حملها للورقة النباتية خصوصاً تجاه الذباب أو أبناء جنسه. ويترك الذباب بيضه على رأس هذا النمل. وتنمو يرقة هذا الذباب متغذية من مخ هذه النملة وهو ما يؤدي إلى موتها. وتكون عائلات هذا النوع من النمل في غاية الضعف أمام سلوك هذا الذباب خصوصا عند حملهن للورقة النباتية. ولكن هناك من يحميهن من هجوم هذا الذباب وهم النمل الذين من نفس المستعمرة وقصيري القامة يقومون بوظيفة حراسة العاملات بواسطة جلوسهم فوق الورقة النباتية وعلى أهبة الاستعداد لردّ أي هجوم من الذباب على أعقابه . هناك نوع من النمل يدعى نمل العسل وسبب هذه التسمية أنّها تتغذى على فضلات بعض الحشرات المتطفلة على الأوراق النباتية وتكون فضلات هذه الحشرات غنية بالمواد السكرية. وتحمل هذه النملات ما مصته من فضلات سكرية إلى مستعمرتها وتخزنها في أسلوب عجيب وغريب. لأنّ البعض من هذه النملات العاملات يستخدم جسمه كمخزن للمادة السكرية وتقوم العاملات اللاتي حملن المواد السكرية بتفريغ حمولتهن داخل أفواه العاملات أو(المخازن الحية) والتي بدورها تملأ الأجزاء السفلية من بطونها بهذا السكر حتى تنتفخ بطونها ويصبح حجمها في بعض الأحيان بحجم حبة العنب.

ويوجد من هذه العاملات في كل غرفة من غرف الخلية عدداً منهن يترواح بين 25 و30 نملة ملتصقات بواسطة سيقانهن بسقف الغرفة في وضع مقلوب. ولو تعرضت إحداهن للسقوط تسارعت العاملات الأخريات إلى إلصاقها من جديد. والمحلول السكري الذي تحمله كل نملة يكون أثقل بثماني مرات من وزن النملة نفسها. وفي موسم الجفاف أو الشتاء تقوم باقي النملات بزيادة هذه المخازن الحية لأخذ احتياجاتها من الغذاء (السكر) اليومي حيث تلصق النملة الجائعة فمها بفم النملة المنتفخة وعندئذ تقوم الأخيرة بتلصيق بطنها لإخراج قطرة واحدة إلى فم أختها. ومن المستحيل أنْ يقوم النمل بتطوير هذه المخازن وابتكارها بهذه الطريقة العجيبة ومن تلقاء نفسها وإضافة إلى ذلك التفاني والتضحية التي تتسم بها النملة المنتفخة حيث تحمل ما هو أكثر من وزنها ثماني مرات فضلا عن بقائها ملتصقة وبالمقلوب مدة طويلة جدا ودون مقابل. إنّ هذا الأسلوب المبتكر وفقاً لبنية تلك النملة ليس من الصدفة وحدها. لأنّ هناك نمل متطوع أنْ يصبح مخزناً حياً في كل جيل جديد وطيلة أجيال سابقة ولاحقة بلا شك أنّ سلوكها هذا من تأثير الإلهام الإلهي الذي خلقهن وسواهن عز وجل. هناك أسلوب للدفاع عن المستعمرة يتبعه النمل أحيانا وهو الهجوم على العدو والتضحية حتى الموت. وتوجد أشكال عديدة لهذا الهجوم الانتحاري. منها الأسلوب الذي يتبعه النمل الذي يعيش في الغابات المطرية في ماليزيا فجسم هذا النوع من النمل يتميز بوجود غدة سُمّيّة تمتد من رأس النمل حتى مؤخرة جسمه وإنْ حدث أنْ حوصرت النملة من كل جهة تقوم بتقليص عضلات بطنها بشدة تكفي لتفجير هذه الغدة بما فيها من السم بوجه أعدائها ولكن النتيجة موتها بالطبع. يقدم ذكر النمل ومثله الأنثى تضحية كبيرة في

سبيل التكاثر، فالذكر المجنَّح يموت بعد فترة قصيرة من التزاوج. أمّا الأنثى فتبحث عن مكان مناسب لإنشاء المستعمرة وعندما تجد هذا المكان فإنّ أول عمل تقوم به هو التخلي عن أجنحتها وبعد ذلك تسد مدخل المكان وتظل كامنة داخله لأسابيع وحتى الشهور دون أكل أو شرب وتبدأ بوضع البيض باعتبارها ملكة المستعمرة، وتتغذى في هذه الفترة على جناحيها الذين تخلت عنهما وتُغذى أول اليرقات بإفرازاتها هي وهذه الفترة تعتبر الوحيدة بالنسبة للملكة التي تعمل فيها لوحدها بهذا الجهد والتفاني وهكذا تبدأ الحياة بالمستعمرة. إذا حدث هجوم مفاجئ من قبل الأعداء على المستعمرة تقوم العاملات ببذل ما بوسعهن للحفاظ على حياة الصغار. ويبدأ النمل المقاتل بالتحرك صوب الجهة التي هجم منها العدو ومجابهته فورا. أمّا العاملات فتسرع نحو الغرف التي توجد فيها اليرقات لتحملها بواسطة فكوكها إلى مكان معين خارج المستعمرة لحين انتهاء المعركة والمتوقع من حيوان كالنمل في مثل هذا الموقف العصيب أنْ يفر هارباً ويختفي فيه عن أنظار الأعداء ولكن الذي يجري في المستعمرة غاية في التضحية والتفاني من أجل سلامة المستعمرة، فلا النمل المقاتل ولا حراس البوابة ولا العاملات يفكرون في أنفسهم فقط فالكل يفكر في المستعمرة بأكملها وهذا دَيْدَن وعادة النمل منذ ملايين السنين. وبلا شك فإنّ الأمثلة سالفة الذكر تعتبر أمثلة محيرة من عالم الأحياء والمحير فيها أنّ هذه الأنماط السلوكية صادرة عن كائنات حية صغيرة كالنمل وهو ما يصادفه الإنسان في حياته اليومية دون أنْ يشعر بتفاصيل حياة هذا المخلوق. ولو دققنا في هذه التفاصيل لوجدنا أموراً عجيبة وغريبة تجبرنا على التفكير برَويَّة في ماهيتها لأنّ هذه الحيوانات تمتاز بوجود جهاز عصبي دقيق للغاية ومخ محدود الحجم والارتباطات العصبية مع هذا تقوم بسلوكيات لا يمكن القول عنها إلا أنّها شعورية محض والسبب كونها منفذة مطيعة لِمَا أُمِرتْ به أنْ تنفذه منذ ملايين السنين دون فوضى أو إهمال أو تقصير، وما هذا الأمر المنفَّذ بحذافيره إلا إلهام إلهي من الخلاق العليم جل جلاله. وهذا الانقياد التام من الكائنات الحية للخالق عز وجل يصور من قبل القرآن كما يلي: (أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبغونَ وله أسلمَ مَن في السموات والأرضِ طوعاً وكرهاً وإليه يُرجعونَ) [آل عمران]

<u>بناء الجسور عند النمل مثال رائع للتضحية والتعاون :</u>

في كل يوم يصرح العلماء بأن عالم الحشرات وبخاصة النمل هو من الأمور المعقدة جداً، ومن غير المنطقي أن تكون النملة قد طورت نفسها بنفسها لأنّ دماغ النملة المحدود لا يكفي لمعالجة هذا الكم الهائل من المعلومات التي تستخدمه النملة أثناء أداء مهامها. فدماغها الصغير يحوي بحدود 300000 خلية عصبية . إنّ دماغ الإنسان يحوي أكثر من تريليون خلية أي أكثر من خلايا دماغ النملة بمئات الآلاف من المرات وعلى الرغم من هذا الدماغ الصغير نجده يتمكن من معالجة كل المعلومات التي تحتاجها النملة بشكل يدل على وجود برنامج مسبق في الدماغ.

راقب العلماء عالم النمل طويلاً وظنوا في البداية أنه عالم محدود لا يفكر ولا يعقل ولا يتكلم! ولكن تبين أخيراً أنّ النمل هي أُمّة مثلنا تماماً له قوانينه وحياته وذكاؤه،وتبين أنّ هندسة البناء عند النمل أقدم بكثير من البشر، حيث يقوم النمل منذ ملايين السنين ببناء المساكن وحديثاً كشف العلماء طريقة بناء الجسور عند النمل. فقد جاء في دراسة جديدة (حسب موقع رويترز) أنّ الطريقة التي يعتمد عليها النمل لعبور الحُفر هي بناء الجسور بالأجساد! فقد ذكر باحثان بريطانيان أنّ أسراب النمل حين يعتريها السأم من الحفر في مسارها تضحي بالبعض منها في سبيل الباقين حيث يعمد بعضها إلى التمدد داخل النقاط غير المستوية لصنع مسار أكثر انسيابية لباقي السرب. وتوصل الباحثان إلى أنّ نوعاً من أنواع النمل يعيش في أمريكا الوسطى والجنوبية يختار أفراداً من السرب يناسب حجم أجسادها حجم الحفرة المراد سدها. وذكرا في تقرير نشرته مجلة السلوك الحيواني أنه ربما تكاثف عدد من أعضاء السرب لملء الحفرة الأكبر ! .تأملوا معي هذا الجسر الحي وكيف قامت بعض النملات بالتضحية في سبيل الآخرين ، ويقول العلماء إنّ النملات التي تصنع من أجسادها هذا الجسر تتألم كثيراً أثناء مرور النمل فوقها ولكنها تصبر وتتحمل وتبقى متماسكة كالجسر الحقيقي حتى تمر آخر نملة! ، ودرس ـ سكوت باول ونايجل فرانكس ـ من جامعة بريستول نوعاً من النمل يسمى (ايسيتون بيرتشيلي) يسير عبر غابات أمريكا الوسطى والجنوبية في أسراب تضم ما يصل الى 200 ألف نملة!



ودائما يبقى السرب على صلة بالمستعمرة من خلال طابور طويل من النمل. لكن هذا الطابور الطويل من النمل الحي قد يضطرب بشدة حين يمر أفراده فوق أوراق الشجر والأغصان المتناثرة على أرض الغابات. نرى في هذه الصورة كيف يتمسك النمل بعضه ببعض ليبني جسراً متيناً هذا الجسر يستخدم لعبور النملات عليه من ضفة لأخرى ويؤكد العلماء الذين درسوا هذه الظاهرة أنّ النمل يختار بعناية فائقة الأحجام المناسبة للنملات التي ستضحي بنفسها وتصنع هذا الجسر!. يقوم عدد قليل من النمل بملء الفجوات ليصنع مساراً سلِساً. ويقول العلماء: إنّ النمل له طريقته التي يعتمد فيها على نفسه لإصلاح الطرق وأضاف ـ باول: عندما يعبر السرب تتسلق النملات التي ملأت الفجوات إلى خارج تلك الحفر وتتبع زملاءها عائدة إلى المستعمرة . بصفة عامة يظهر بحثنا أنّ سلوكاً بسيطاً تؤديه بكثير من الإتقان قلة من شغالات النمل يمكن أنْ يحسِّن من أداء الأغلبية بما يؤدي إلى فائدة تعم المستعمرة ككل. يقول الباحث James Traniello بعد أبحاث أجراها في جامعة بوسطن حول علم أعصاب النمل: إنّ هذا السلوك المعقد للنمل مبرمج فكل نملة تعرف مسبقاً ما يجب عليها القيام به، فالنملة الصغيرة

لها مهام محدودة تناسب حجمها، ولكن النملة الشابة والقوية تقوم بمهام الدفاع عن المستعمرة وجمع الطعام وغير ذلك من المهام الصعبة، أما النملة كبيرة السن فتُعزل وتحظى بالرعاية والاهتمام!

لقد أجرى ـ فرانكس وباول ـ تجارب في المختبر لإظهار هذا السلوك. وقال ـ فرانكس :وضعنا ألواحاً خشبية مليئة بثقوب من أحجام مختلفة في مسارات النمل لنرى كيف ستتوافق أحجام النمل المختلفة مع أحجام الثقوب المختلفة. في الحقيقة لقد تَصَرَّف النمل بصورة رائعة. فقد كان النمل يختار الطريقة الأنسب لبناء الجسر بشكل يُحيِّر العلماء ويجعلهم يتساءلون: كيف تعلمت النملة هذه التقنية في البناء، في حين نجد أنّ البشر حتى يبنوا جسراً مماثلاً فإنّ ذلك يتطلب حسابات هندسية معقدة ويقول العلماء الذين أجروا هذا البحث إنّ النمل يضحي بعدد قليل من النملات لبناء الجسر ولكنه يجني فوائد عظيمة في تأمين المرور اللازم لآلاف النملات وهذا النظام الاجتماعي تقوم به النملة بكل طواعية وسرور، بل إنّ كل نملة تسارع لتجرب حجمها إذا كان مناسباً لبناء هذا الجسر الحي! إنّ هندسة بناء الجسور عند النمل تعتبر تقنية متطورة جداً وبدون تكاليف ، فقط بقليل من التضحية والتعاون ، والذي يستغربه العلماء هذه الطاقة الكبيرة التي يقدمها النمل أثناء صنعه للجسر الحي، ويعجبون من صبره وبذله لهذا الجهد الكبير والمبرمج ، ولذلك يؤكدون أن النملة تتمتع بذكاء عالٍ وحب لأخواتها النملات، وهنا نتذكر دائماً البيان الإلهي الذي أكد أنّ النمل وغيره من المخلوقات الحية هو أممٌ أمثالنا، يقول تعالى:(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ).

<u>صور من التضحية في خلية النحل:</u> إنّ التضحية والتفاني الموجودَين في عالم النمل موجودان بوضوح أيضا في عالم النحل، فهناك تشابه شبه كلي بين سلوك العاملات في كِلا العالَمين لأنّها تتفانَى في سبيل الحفاظ على حياة وسلامة الملكة واليرقات علماً أنّ هذه العاملات عقيمة وهذه اليرقات ليست من صغارها. وتتألف خلية النحل من الملكة والذكور المسئولة عن تلقيح الملكة والعاملات تعتبر المسئولة الأولى والأخيرة عن إدارة الخلية بمختلف نشاطاتها الحيوية اليومية مثل إنشاء الغرف الشمعية ونظافة الخلية وأمن الخلية وتغذية الملكة والذكور والاعتناء باليرقات وإنشاء الغرف حسب نوع النحل الذي يخرج من البيض من ملكة أو ذكر أو عاملة ، وتهيئة هذه الغرف بصورة مناسبة وتنظيفها إضافة إلى توفير الدفء والرطوبة اللازمين للبيض وتوفير الغذاء لليرقات حسب الحاجة (الغذاء الملكي، العسل الممزوج برحيق الأزهار) وجمع المواد اللازمة لصنع الغذاء مثل خلاصة الفواكه ،رحيق الأزهار ، الماء. ويمكننا أنْ نرتب المراحل أو الأطوار الحياتية التي تمر بها النحلة العاملة وفق التسلسل الزمني كما يلي: تعيش النحلة العاملة من 4-6 أسابيع . وعندما تخرج العاملة من الشرنقة كاملة النمو تظل تعمل داخل الخلية فترة ثلاثة أسابيع تقريبا أو أقل قليلا، وأول عمل تقوم به الاهتمام بتنشئة اليرقات ورعايتها . وتتغذى النحلة العاملة على ما تأخذه من العسل ورحيق الأزهار المتوفرين في مخازن خاصة داخل الخلية إلا أنّها تقدم جزءاً كبيراً مِمَّا تحصل عليه إلى اليرقات كي تتغذى عليها وتنفذ عملية تغذية اليرقات عن طريق إخراج جزء مِمّا تغذّت عليه سابقاً من معدتها والجزء الآخر يتم إفرازه من غدد خاصة موجودة في منطقة الرأس وهذه الغدد تفرز مادة جيلاتينية تعتبر غذاء لليرقات.

وهناك سؤال يطرح نفسه : كيف يمكن لكائن حي خرج توّاً من الشرنقة أنْ يعرف ما عليه أنْ يفعله دون اعتراض وهذا يشمل كل النحل؟ والمفروض في هذه العاملات أنْ تفكر في إدامة حياتها وكيفية الحفاظ عليها لحظة خروجها من الشرنقة دون تفكير في التضحية من أجل الغير أو دون الإقدام على أي سلوك شعوري، ولكن الحاصل غير ذلك تماما، فهذه العاملة تتصرف انطلاقا من مسئولية كبيرة تشعر بها تجاه اليرقات وتقوم بحضنهن والاهتمام بسلوكية غير متوقعة منها. عندما تدخل النحلة العاملة يومها الثاني عشر في الحياة تنضج غددها التي تفرز شمع العسل عندئذ تبدأ العاملات ببناء الغرف الدراسية وترميم الموجود منها والمخصصة لكل اليرقات وتخزين الغذاء. في الفترة المحصورة بين اليوم الثاني عشر ونهاية الأسبوع الثالث تقوم العاملات بجمع رحيق الأزهار وخلاصة العسل اللذين جُلِبَا من قبل الذاهبين خارج الخلية. وتقوم بتحويل خلاصة العسل إلى عسل وتخزنه فيما بعد، وفي نفس الأثناء تقوم بتنظيف الخلية من الفضلات والأوساخ وأجساد النحل الميت رامية إياهن خارج الخلية . تصبح النحلة العاملة في نهاية الأسبوع الثالث جاهزة أنْ تخرج لجمع خلاصة العسل ورحيق الأزهار والماء ونسغ النباتات. تبدأ النحلات العاملات بالخروج للبحث عن الأزهار المحتوية على خلاصة العسل وهذه العملية (عملية جمع الغذاء) مرهقة للغاية فتصبح النحلة العاملة مرهقة ومتعبة حتى الموت في نهاية أسبوعين أو ثلاثة من العمل المرهق.

والملاحظ هنا أنّ هذه النحلة العاملة تفرز عسلا بمقدار يفوق حاجتها بكثير. وهذه الملاحظة تحتاج إلى تفسيرٍ طبعا، وأنّ السفسطة التي يقول بها دعاة التطور لا يمكن لها أنْ تفسر هذا السلوك المتفاني من كائن حي يُفترض فيه أنْ يهتم بسلامة وإدامة حياته فقط ، وهنا تتجلى لنا آية من آيات الله سبحانه وتعالى كما أوضحنا في صفحات سابقة بأنّ الله عز وجل هو الذي ألهم النحل هذا السلوك العجيب استنادا لما ورد في سورة النحل من القرآن الكريم وهذا هو التفسير الوحيد لسلوك النحل فهو يلبي دعوة الرحمن وإلهامه إياه دون تقصير وكلل. تنتظر العاملات مهمة أخرى محتاجة للتنفيذ قبل خروجهن لجلب الغذاء وهي مهمة الحراسة. هناك عدد من النحل في باب كل خلية مهمتهم حراستها من دخول الغرباء، فكل مَن لايحمل رائحة التبعية إلى الخلية يعتبر مصدرا للخطر على حياة الخلية واليرقات. وإذا حدث أنْ شوهد غريب في مدخل الخلية تبدأ الحارسات بالهجوم عليه بشدة ، ورنين أجنحة الحارسات الشديد يعتبر كصفارة إنذار بقدوم الخطر لباقي سكان الخلية وتستخدم

الحارسات إبرهن اللاسعة كسلاح فعال ضد العدو الغريب، والسم الذي تفرزه الحارسات له رائحة مميزة تنتشر في كافة أنحاء الخلية كعلامة للخطر الداهم. عندئذ يتجمع سكان الخلية عند المدخل للمساهمة في القتال ضد العدو الغريب ، وإذا لُدِغَت الحارسة عدوها بإبرتها تبدأ بفرز السم وهذا يؤدي إلى انتشار الرائحة أكثر فأكثر، وكلما ازدادت رائحة السم داخل الخلية كلما ازداد النحل هيجانا وشراسة ضد العدو الغاصب . إنّ مهمة الدفاع عن الخلية تعتبر بمثابة انتحار، لأنّ إبرة النحل اللاسعة تحتوي على رؤوس مدببة مثل أشواك القنفذ، ولا يمكن للنحلة أنْ تسحب إبرتها بعد غرزها في جسم حيوان بسهولة وعندما تحاول الطيران تبقى الإبرة مغروزة في جسم الحيوان (العدو) وتتعرض بذلك النحلة إلى جرح مميت نتيجة تعرض بطنها إلى شق عميق من ناحية الخلف ، وفي هذه الناحية من البطن توجد الغدد التي تفرز السم والعقد العصبية التي تتحكم بها وعندما تلفظ النحلة أنفاسها الأخيرة يقوم باقي النحل بالاستفادة من موتها عن طريق أخذ السم الموجود في غدد القتيلة والاستمرار بضخه في جرح العدو الغريب. بعد هذا الاستعراض، كيف يمكن لنا أنْ نفسر سلوك كائن حي يبدأ منذ أول خطوة له في الحياة بالعمل الدؤوب والمثابرة دون كلل أو ملل من أجل راحة الغير وسلامته وحتى تضحيته بحياته من أجل سلامة الآخرين؟ إضافة إلى هذه الأنماط السلوكية هي نفسها في كل أنواع النحل والنمل أينما وُجِدتْ على الكرة الأرضية ومنذ ملايين السنين، والحقيقة تبرز أمامنا بوضوح، حقيقة سلوك هذه الكائنات الصغيرة بحجمها والكبيرة بتضحياتها من تأثير إلهام الله عزوجل لها. (إنّي توكلتُ على اللهِ ربِّي وربِّكم ما مِن دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها إنّ ربي على صراطٍ مستقيمٍ)[سورة هود].

****

آيات عظمة الله في غرائز الكائنات الحية

يقول أ ـ كريسي مورسون ـ: إنّ تقدم الإنسان قد بلغ من الوجهة الطبيعة مبلغاً محموداً، ولا يبدو أنّ ثَمّة مجالات نمو. ولكن ينبغي أنْ تتقدم صحته ، وأنْ يبلغ تقدمه الطبيعي درجة الكمال بفضل التغذية وعجائب الطب والجراحة ، وتبعاً لذلك يجب أنْ ترقى الأذهان بوجه عام. فهناك ـ على الأقل ـ متسع للعقلية الصالحة لكي تعبر عن نفسها ، وبذا تتحسن أحوال الإنسان المادية والخلقية والروحية، سواء من حيث الفرد أو المجتمع. إنّ المدنية وقبول المقاييس الخلقية تتحركان إلى الأمام وإلى الخلف، ولكن هناك كسباً دائما، وقد كان تقدم الإنسان أمراً ملحوظاً بلا ريب، ولكن عليه أنْ يقطع مراحل عدة. ويبدو لحسن الحظ أنّه ليس هناك حد لِمَا يمكن أنْ يقع من تقدم جديد في الذهن البشري مع الوقت، أعني الوقت الكافي، بوصفه العامل الغالب ... إنّ الطيور لها غريزة العودة إلى الموطن، فعصفور الهزاز الذي عشش ببابك يهاجر جنوباً في الخريف، ولكنه يعود إلى عشه القديم في الربيع التالي ، وفي سبتمبر تطير أسراب معظم طيورنا إلى الجنوب نحو ألف ميل فوق عرض البحار، ولكنها لا تضل طريقها. والحمام الزاجل إذا تحيّر من جرّاء أصوات جديدة عليه في رحلة طويلة داخل قفص يحوم برهة ثم يسير قُدماً إلى موطنه دون أنْ يضل والنحلة تجد خليتها مهما طمست الريح في هبوبها على الأعشاب والأشجار، كل ذلك دليل يُرى وحاسة العودة إلى الوطن هذه هي ضعيفة في الإنسان، ولكنه يُكمِّل عتاده القليل منها بأدوات الملاحة . ونحن في حاجة إلى هذه الغريزة ، وعقولنا تسد هذه الحاجة ولابد أنّ للحشرات الدقيقة عيونا ميكروسكوبية لا ندري مبلغها من الإحكام ، وأنّ للصقور بصراً تلسكوبياً ! وهنا أيضا يتفوق الإنسان بأدواته الميكانيكية . فهو بتلسكوبه يمكنه أنْ يبصر سديما يبلغ من الضعف أنّه يحتاج إلى مضاعفة قوة إبصاره مليوني مرة ليراه ، وهو بميكروسكوبه الكهربائي يستطيع أنْ يرى بكتيريا كانت غير مرئية، (بل كذلك الحشرات الصغيرة التي تعضها) . وأنت إذا تركت حصانك العجوز وحده، فإنّه يلزم الطرق مهما اشتدت ظلمة الليل. وهو يقدر أنْ يرى ولو في غير وضوح ، ولكنه يلحظ اختلاف درجة الحرارة في الطريق وجانبيه ، بعينين تتأثر قليلا بالأشعة تحت الحمراء التي للطريق. والبومة تستطيع أنْ تبصر الفأر الدافئ اللطيف وهو يجري على العشب البارد مهما كانت ظلمة الليل. ونحن نقلب الليل نهارا بإحداث إشعاع نسميه بالضوء . إنّ عدسات عينك تتلقى صورة على الشبكية، فتنظم العضلات العدسات بطريقة منفصلة آلية إلى بؤرة محكمة، وتتكون الشبكة من تسع طبقات منفصلة، هي في مجموعها ليست أسمك من ورقة رفيعة. والطبقة التي في أقصى الداخل تتكون من أعواد ومخروطات ، ويقال إنّ عدد الأولى ثلاثون مليون عود ، وعدد الثانية ثلاثة ملايين مخروط. وقد نظمت هذه كلها في تناسب محكم ، بعضها بالنسبة إلى بعض ، وبالنسبة إلى العدسات ، فإنّك ترى عدوك مقلوب الوضع والجانب الأيمن منه هو الأيسر. وهذا أمر يربكك إذا حاولت أنْ تدافع عن نفسك.. ولذا أجريتَ ذلك التصميم قبل أنْ تقدر العين على الإبصار، ورتبتَ إعادة تنظيم كاملة عن طريق ملايين من خيوط الأعصاب المؤدية إلى المخ. ثم رفعت مدى إدراكنا الحسي من الحرارة إلى الضوء، وبذا جعلت العين حساسة بالنسبة للضوء. وهكذا نرى صورة ملونة للعالم من الجانب الأيمن إلى فوق ، وهو احتياط بصري سليم. وعدسة عينك تختلف في الكثافة ، ولذلك تجمع كل الأشعة في بؤرة. ولا يحصل الإنسان على مثل ذلك في أيّة مادة من جنس واحد كالزجاج مثلا. وكل هذه التنظيمات العجيبة للعدسات والعيدان والمخروطات والأعصاب وغيرها لابد أنّها حدثت في وقت واحد، لأنّه قبل أنْ تكمل كل واحد منها، كان الإبصار مستحيلا. فكيف استطاع كل عامل أنْ يعرف احتياجات العوامل الأخرى ويوائم بين نفسه وبينها!!

إنّ المحار العادي الذي تأكل عضله ، له عيون عدة تشبه عيوننا كثيراً، وهي تلمع، لأنّ كل عين منها لها عاكسات صغيرة لا تحصى، ويقال إنّها تساعدها على رؤية الأشياء من اليمين إلى فوق وهذه العاكسات غير موجودة في العين البشرية. فهل رُتبت للمحار تلك العاكسات لأنّه لا يملك كالإنسان قوة ذهنية؟ ولمّا كان عدد العيون في الحيوانات يترواح بين اثنين وعدة آلاف، وكلها مختلفة، فلا ريب إنّ قوة حكيمة عالمة هي التي خلقت هذه العيون لهذه الحيوانات هي قدرة الله تعالى. إنّ نحلة العسل لا تجذبها الأزهار الزاهية كما نراها، ولكنها تراها بالضوء فوق البنفسجي الذي يجعلها أكثر جمالا في نظرها وفيما بين أشعة الاهتزازات البطيئة واللوحة الفوتوغرافية وما وراءها عوالم من الجمال والبهجة والإلهام، بدأنا نقدرها ونسيطر عليها. فلنأمل أنْ يأتي علينا يوم نستطيع فيه أنْ نستمتع بعالم الضوء عن طريق النبوغ في الابتكار. وها نحن أولاء قد أصبحنا قادرين على أنْ نكشف اهتزازات الحرارة في كوكب بعيد، ونقيس طاقتها. إنّ العاملات من النحل تصنع حجرات مختلفة الأحجام في المشط الذي يستخدم في التربية. وتعد الحجرات الصغيرات للعمال، والأكبر منها لليعاسيب (ذكر النحل)، وتعد غرفة خاصة للملكات الحوامل. والنحلة الملكة تضع بيضا غير مخصب في الخلايا المخصّصة للذكور، وبيضا مخصبا في الحجرات الصحية المعدة للعاملات الإناث والملكات المنتظرات. والعاملات اللائي هي إناث معدات بعد أنْ انتظرن طويلا مجيء الجيل الجديد ، تهيأن أيضا لإعداد الغذاء للنحل الصغير بمضغ العسل واللقاح ومقدمات هضمه ، ثم من تطور الذكور والإناث ولا يغذين سوى العسل واللقاح والإناث اللائي يعالجن على هذا الشكل يصبحن عاملات. أمّا الإناث اللائي في حجرات الملكة، فإنّ التغذية بالمضغ ومقدمات الهضم تستمر عندهن. وهؤلاء اللائي ينتجن بيضاً مخصباً. وعملية تكرار الإنتاج هذه تتضمن حجرات خاصة وبيضا خاصا ، كما تتضمن الأثر العجيب لتغيير الغذاء. وهذا يتطلب الانتظار والتمييز وتطبيق اكتشاف أثر الغذاء. وهذه التغيرات تنطبق بوجه خاص على حياة الجماعة ، وتبدو ضرورة لوجودها. ولابد أنّ المعرفة والمهارة اللازمتين لذلك قد تم اكتسابها بعد ابتداء هذه الحياة الجماعية ، وليستا بالضرورة ملازمتين لتكوين النحل ولا لبقائه على الحياة. وعلى ذلك فيبدو أنّ النحل قد فاق الإنسان في معرفة تأثير الغذاء تحت ظروف معينة. والكلب بما أوتي من أنف حساس ، يستطيع أنْ يحس الحيوان الذي مر. وليس ثَمَّة أداة من اختراع الإنسان لتقوي حاسة الشم الضعيفة لديه ، ونحن لا نكاد ندري أين نبدأ لنفحص امتدادها. ومع هذا فإنّ حاسة الشم الخاصة بنا هي على ضعفها قد بلغت من الدقة أنّها يمكنها أنْ تتبين الذرات الميكروسكوبية البالغة الدقة. وكيف نعرف أننا نتأثر جميعا نفس التأثير من رائحة بعينها؟ الواقع أننا لا نتاثر تأثيرا واحدا. كذلك حاسة الذوق تعطي كُلاً منا شعورا آخر. والعجيب أنّ اختلافات الإحساس هذه هي وراثية! وكل الحيوانات تسمع الأصوات التي يكون كثير منها خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا ، وذلك بدقة تفوق كثيراً حاسة السمع المحدودة عندنا. وقد أصبح الإنسان يستطيع بفضل وسائله أنْ يسمع صوت ذبابة تطير على بعد أمتار كما لو كانت فوق (طبلة) أذنه ، ويستطيع بمثل تلك الأدوات أنْ يسجل وقع شعاع شمس. إنّ جزءا من أذن الإنسان هو سلسلة من نحو أربعة آلاف (قوس) دقيقة معقدة، متدرجة بنظام بالغ في الحجم والشكل.ويمكن القول بأنّ هذه الأقواس تشبه آلة موسيقية ، ويبدو أنّها معقدة بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ بشكل ما كلما وقع صوت أو ضجة ، من قصف الرعد على حفيف الشجر فضلا عن المزيج الرائع من أنغام كل أداة موسيقية في الأوركسترا وحدتها المنسجمة. ولو كان المراد عند تكوين الأذن أنْ تُحسن خلاياها الأداء ، كي يعيش الإنسان، فلماذا لم يمتد مداها حتى تصل إلى إرهاف السمع؟ لعل القوة التي وراء نشاط هذه الخلايا قد توقعت حاجة الإنسان في المستقبل إلى الاستماع الذهني أم أنّ المصادفة قد شاءت تكوين الأذن خيرا من المقصود؟..عُلم عن إحدى العناكب المائية أنّها تصنع لنفسها عشا على شكل منطاد (بالون) من خيوط بيت العنكبوت وتعلقه بشيء ما تحت الماء. ثم تمسك ببراعة فقاعة هواء في شعر تحت جسمها، وتحملها إلى الماء ثم تطلقها تحت العش ثم تكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش ، وعندئذ تلد صغارها وتربيها ، آمنة عليها من هبوب الهواء. فهاهنا نجد طريقة النسج ، بما يشمله من هندسة وتركيب وملاحة جوية. ربما كان ذلك كله مصادفة .. لكن ذلك لا يفسر لنا عمل العنكبوت.

****

آيات الله في حماية الكائن الحي لنفسه

قال تعالى: (وكأَيِّن مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيهَا وَهُمْ عَنهَا مُعْرِضُونَ) [سورة يوسف]

إنّ ما يتخذه الجسم داخلياً من طرق الحماية لَمِمّا يؤكد على وجود الله سبحانه ، يقول الدكتور ـ والتركانن ـ العالم الفسيولوجي : أنّه لو أنّك عرفت كثيراً من أسرار الجسم البشري، لَعجبت كيف يمرض أحد من الناس : ففي داخل الجسم دنيا قائمة تتصرف بإلهام واضح في دفع المرض ، بل المحافظة على صحة الكائن بما يعجز عنه أي طبيب. ويقرر الأطباء أنّهم في علاجهم ، إنّما يحاولون تقليد ما يجري داخل الإنسان نفسه ، وأنّ العقاقير التي يصفونها إنّما لمساعدة داخله فيما يقوم به دون أنْ يكون للإنسان أي فضل فيه بل حتى معرفته ، وإذا كان الإنسان يعتبر ذلك أوضح الأمثلة ، على ما يقوم به لحماية نفسه خارجياً ، بالحرب والسعي والفكر والكر، والعمل والراحة، وأخذ الدواء ـ وداخليا حيث لا دخل له ـ بارتفاع الحرارة، وتكوين الأجسام

المضادة ، وهجوم كريات الدم ، فإنّ الحيوان ليعتبر أيضا من أروع الأمثلة التي تظهر لنا بوضوح قوة ما تتخذه الحياة في حماية الحيوان؟ يقول الدكتور- ارشيبولد تلدج - إنّه بينما كان يمر ومعه أحد الحيوانات الوحشية التي استأنسها، جرح سلك شائك ذلك الحيوان في جنبه جراحا غائرة ، فسارع الدكتور إلى غسل الجرح بمطهر وربطه بالضمادات ، وما هي إلا برهة حتى وجد الحيوان قد نزع الضمادات وألقاها وجعل يلعق الجرح برفق حتى يبعد الشعر الذي يغطي الجرح، وتركه معرضا للهواء والشمس. وظل الحيوان يتعهد جرحه ، حتى برىء. ويقول هذا الدكتور أيضا، أنّ قدماء الهنود الحمر وأسلافنا قد اهتدوا إلى معرفة أصول الطب بمراقبة الحيوانات وهي تسعى إلى النبات الذي تتداوى به من جرح ، أو حمى أو سوء هضم، وبملاحظتهم الدب الذي أصابه المرض وهو ينبش الأرض باحثا عن جذور نبات السرخس، وبرؤيتهم الذئب الذي لدغته الحية وهو يسرع إلى مضع جذور اللوف العطري، مضغ الواثق من الشفاء به . وعرف عن الحيوانات والطيور، أنّها تأخذ مكاناً ظليلا بارداً طلق الهواء قريبا من الماء إذا أصابتها الحمى، بينما تأخذ لها مكاناً شرقياً دافئا تسطع فيه الشمس إذا ما أصابها البرد. كما لوحظ عنها أيضا أنها إذا أصابها شعور بفساد ما أكلته أو إذا اقتضى أمر شفائها إخراج ما بجسدها عمدت إلى نباتات مسهلة تعرفها أو تمكنت من القيء بنفسها . وكثيرا ما شوهد أنّ الطيور والحيوانات ، إذا ما أصاب أحد قوائمها خلع أو كسر، بترت هذا العضو المكسور بنفسها فورا فتشفى حالا. هذا ويعرف أهل الغابات أنّ دجاج الأرض إذا انكسرت بنفسها ساقه، يتخذ له جبيرة من الطين، وقد يقويها ببعض ما يجده من ألياف. وكلنا نرى الطيور وهي تنظف منقارها في الحائط أو الأغصان وإذا صادفك نسر بعد أنْ يكون قد تناول غذاءه ، لَتعجب حينما تراه يكرر تنقيه منقاره وتنظيفه أكثر من مرة. وتستحم الطيور والحيوانات في مواقيت معينة لا تحيد عنها أبدا، وقد عرف أنّها تستحم لا لتنظيف أبدانها فقط ، بل لِتجدد نشاطها . وإذا كان هذا هو ما يحاوله الكائن الحي للمحافظة على نفسه ، فإنّ هناك العديد من الأدلة على أنّ النوع نفسه يتخذ من ضروب الحيطة والحذر للمحافظة على أفراده ما يجعل الإنسان يؤمن بوجود قوة علوية ترعى كافة الكائنات على اختلاف أنواعها. فكل الحيوانات والطيور التي تسير في هيئة جماعات، تتخذ من بعض أفرادها خفراء يحرسونها، وأدلة يعرفون الطريق لها وليس ذلك عن مصادفة بل عن قصد وتدبير ، فإنّ الفيلة في الغابات،لا تسير فرادى إطلاقا إلا الأفراد الذين حُكِم عليهم بالشرود، وجماعة الفيلة يتقدمها دليلها إلى الماء أو الغذاء. وأسراب الطيور في سيرها، يحرسها أكبر ذكورها ، ويسير في مؤخرتها ضعافها ، بينما الظباء تسير حراسها في الخلف لأنّ الذئب وهو أخطر الحيوانات عليها لا يهاجم القطيع إلا من خلفه وتظهر قافلة الاكتشافات واضحة في الجراد، فإنّ المقدمة التي تسير لتكتشف الطريق لا تزيد على بضعة أفراد وهذه تكون إنذار بسرب الجراد الذي قد يغطي مساحة ألفي ميل مربع.

****

آيات الله في تيسير الحياة للأحياء وحمايتها

قال تعالى : " أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ومِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدَىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ " [لقمان].. ظلت الحياة تدب على الأرض منذ ملايين السنين، متغلبة على ما يقابلها من صعاب متحررة إلى كل ما يلائم البيئة والتي تعيش فيها، وبذلك تعددت الأحياء ودامت الحياة .. وهناك ملابسات وظروف يسّرت حياة الأحياء لا يمكن للعقل أنْ يحيط بها إلا أنْ يسلم بقدرة الخالق وعظمته .. علاوة على وجوده... فالدراسات العميقة التي تولتها كافة الهيئات العلمية ، لا تستطيع إلا أنْ تعترف بأنّ مقومات الحياة في الأحياء، إنّما هي أدلة ناطقة تشهد على وجود الله.

<u>لغة الكائن الحي :</u> لغة الإنسان - قال تعالى : "وعَلَّم آدمَ الأسماءَ كلها ثُّم عرضهم على الملائكةِ فقال أنبؤني بأسماءِ هؤلاء إنْ كنتم صادقين " [سورة البقرة] تُرى لو لَمْ يلهم الله الأحياء بأنْ يتخاطبوا، و لو لم يلهم كل صنف لغة يتفاهمون بها كيف تكون الحياة ..؟ لغة الإنسان، عبارة عن ألفاظ وجمل ينادى بها على الأسماء ويشرح بها الأفعال، وأصوات تعبر عن الاستحسان والاستهجان، قهقهة للفرح ، وآهة للألم والحزن وأنين ونداء للاستغاثة، وبهذه أصبح الإنسان يستطيع أنْ يطلب الغذاء إذا جاع وأنْ يستغيث يستغيث إذا ألمّ به مكروه... وتمكن من أنْ يتفاهم مع غيره بما حفظ عليه حياته ... ومن أعجب ما يسرت به الحياة على الأحياء ..تفاهم الذين أصابهم العي في ألسنتهم، أو حرموا الكلام أصلا .. فهم يتفاهمون بإشارات أسرع من ألفاظ ، وإذا تخاطب اثنان منهم قل مَن يستطيع أنْ يتسامعهما ، بل لا يمكن لغيرهما أنْ يفهم كلامهما السريع الطويل .. ولم يتعلموا هذه اللغة إطلاقا .. إنّما يُسِّرت لهم كما يسر لغيرهم الكلام من لدن حكيم خبير.

لغة الحيوان: قبل التعرض للغة الحشرات، وأساليب التخاطب والتفاهم فيما بينها، وتوضيح ذلك من خلال تصورات القرآن الكريم ، وما تكشّف لعلماء الأحياء، نشير إلى أنّ القرآن الكريم قد تعرض لأصناف عدة من الحيوانات والحشرات في سور عدة، بل أنّه قد عنْوَنَ بعض السور بأسماء هذه المخلوقات ، مشيراً بذلك إلى منافعها الجمّة خاصة وأنّ القوم يوم ذاك كان اعتمادهم الرئيسي على المواشي والأنعام من غذاء وكساء وسفر... ومنبها العباد إلى ضرورة شكر المنعم جل جلاله، وإلى عبادته وطاعته، ومِن السور التي سميت بأسماء هذه المخلوقات (البقرة ، الأنعام ، النحل ، النمل ، العنكوت ، الفيل) . ولقد

أوضح كتاب الله أنّ هذه المخلوقات هي أمم أمثالنا، فلهم لغات خاصة يتخاطبون بها ، ولحياتهم طبائع منسجمة مع خلقهم ، ولمعيشتهم الاجتماعية فن يتألقون في التفاعل معه.. قال تعالى " وما مِن دابةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم "[سورة الأنعام] أمّا عن لغة هذه المخلوقات ، فيقول الحق تبارك وتعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ له ما في السمواتِ والأرضِ والطيرُ صافاتٍ كلٌ قد عَلِمَ صلاتَه وتسبيحَه "[سورة النور] ويقول الله جل جلاله : " وإنْ مِن شيءٍ إلا يُسبحُ بحمده ولكن لا تفقهونَ تسبيحَهم " . هذا هو قرار القرآن الكريم أنّ كل مخلوق يسبح ، وبما أنّه يسبح الله ، فلذلك فيه حياة تسري في داخله ، وصاحب الحياة لا بد أنْ تتوفر لديه مقومات هذه الحياة وضروراتها لاستكمالها واستمرارها ولا شك أنّ الكائن الحي المسبح له لغة يسبح بها ويذكر الله فيها... إلا أنّ القرآن قد خصص عموماً هذا التسبيح، وأبرز لنا بعض الأصناف من مخلوقاته التي نطقت بلغة فهمها بعض البشر من أصفيائه، من ذلك حديث القرآن عن خطيبة النمل ، قال تعالى : "حتى إذا أتَوا على وادِ النَّمل قالتْ نملةٌ يَأيُّها النملُ ادخلوا مساكنَكم لا يَحْطِمَنَّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون " [سورة النمل]. إذن ، كانت النملة خطيبا مفهوما ألا ترى أنها تنادى منبهة قومها وآمرة لهم أنْ يدخلوا مساكنهم خشية أنْ يصيبهم أذى جيش سليمان عليه السلام . يقول القرطبي رحمه الله : أنّ للنمل منطقاً، فهَّمه الله عزوجل لنبيه سليمان عليه السلام، وهذه معجزة له وتبسم من قولها، وهذا يدل دلالة واضحة على أنّ للنمل منطقا وقولا لكن لا يسمعه أحد، بل مَن شاء الله تعالى ممَن خرق له العادة من نبي أو ولي، ولا ننكر هذا من حيث أنا لا نسمع ذلك، فإنَّه لا يلزم من عدم الإدراك عدم المدرك في نفسه، ثم إنّ الإنسان يجد في نفسه قولا وكلاما ولايسمع منه إلا إذا نطق بلسانه، وقد خرق الله لنبينا محمد فأسمعه كلام النفس من قوم تحدثوا مع أنفسهم وأخبرهم بما في نفوسهم كما نقل منه الكثيرمن أئمتنا في كتب معجزات النبي.

ولننتقل الآن إلى علماء الأحياء الذين درسوا عالم الحشرات ووقفوا بعد دراسات مستفيضة على طرف من سر لغة الحشرات وإليك بعض أقوالهم: يقول ـ ميلسنت. ا. سلسام ـ في كتابه لغة الحيوان :النمل شديدة الحساسية للروائح، وليس للنمل أنوف كأنوفنا ، وإنما هو يشم بواسطة لوامسه أو قرون استشعاره، راقب نملتين وانظر كيف تتوقفان ثم تربت كل منهما الأخرى بقرني استشعارها، وواقع الأمر أنهما تتبادلان إشارات شمِّيَّة، وهما بذلك تتمكنان من تعرّف أفراد المستعمرة التي تنتميان إليها .. وتعمد النملة عند مغادرتها للعش ، أو عند عودتها إليه_إلى لمس الأرض بين الفينة والفينة بواسطة طرف بطنها وتضع في كل مرة قليلا من الرائحة ، وتهيئ سلسلة من هذه النقط أثرا تقتفيه النملات التي تأتي في أعقابها ، وهذا هو السبب في أنك سرعان ما تشاهد نملات عديدة في مطبخك بعد أنْ تكون نملة واحدة قد اكتشفت فيه بعضا من الغذاء السكري الذي ترك دون غطاء ولو تصادف أنْ كنت تراقب مثل هذا الصنف من النمل وهو يتحرك صوب الغذاء فما عليك إلا أنْ تحك إصبعك عبر الطريق الذي يدب فيه وسوف تتمكن من مشاهدة الطريقة التي ينفعل بها النمل نحو قضائك على الأثر الكيماوي الذي كان يقتفيه. تعود النملة التي عثرت على الغذاء أدراجها إلى مستعمرة النمل وتندفع متجولة هنا وهناك في أرجائها ، ويعمل هذا على إثارة النمل الموجود في المستعمرة ، فيهرع خارجا ويقتفي الأثر الكيماوي الذي أرسته النملة الأولى... يقول اللورد ـ أفبري ـ : أنه طالما أراد أنْ يمتحن عقل النمل، والوقوف على طريقة التفاهم بين أفراده، فمما فعله في هذا السبيل، أنه وجد يوما نملة خارجة وحدها من جحرها، فأخذ ذبابة ولصقها على فلينة بدبوس، وألقاها في طريق النملة، فما أنْ عثرت عليها، حتى أخذت تعالجها بفمها وأرجلها مدة تزيد على العشرين دقيقة،تيقنت بعدها، فعادت أدراجها إلى جحرها، وبعد ثوان معدودة، خرجت النملة تتقدم نحوها ومعها أثنتي عشرة نملة من أخواتها، انتهت بهم إلى الذبابة ثم وقع عليها النمل، يمزقها تمزيقا، وعاد النمل إلى جحره وكل منها تحمل جزءا من الذبابة..فالنملة الأولى قد رجعت إلى زميلاتها ولم يكن معها شيء قط.. فكيف تمّ لها أنْ تخبر باقي النمل بأنها وجدت طعاما سائغا، وفريسة شهية ما لم يكن تمَّ ذلك بلغة خاصة...!!!. وأمّا عن طبيعة هذا الأثر الكيماوي (ويسمى أحيانا لغة الرائحة) والتي يعتبرها بعض الباحثين لغة صامتة بين الحيوانات وتكون بتوصيل المعلومات عن طريق بث الروائح المختلفة في الجو وتؤثر تلك الروائح بدورها عند الانتشار على سلوك الحيوان... وتوضّح للباحثين أن تلك المواد وقد اطلق عليها اسم (فرمونات) تنتج من غدد خارجية على جذع الحشرة (كما في بعض حرشفيات الأجنحة) أو على أجنحتها أحيانا، أو على البطن في الحشرات التابعة لغشائيات الأجنحة مثل النمل والنحل، وهي تفرز على هيئة رذاذ خفيف من هذه الغدد... ولهذه اللغة الكيماوية إنْ صحّ التعبير وظائف هامة في عالم الحشرات سواء منها في التعرف على أعدائها، أو العثور على أماكن غذائها، أو في انجذاب الجنسين وقت التكاثر، وكذلك في التحذير من الأعداء. ويتكلم نمل الشجر في المناطق الاستوائية بلغة عجيبة، إذ يصعد إلى الشجرة ويدق دقات غير منتظمة، تقارب إشارات مورس التلغرافية، ويبلغ من قوتها أنْ تُسمع من بعيد...!! والنحلة إذا عثرت على حقل مزهر عادت إلى الخلية وما إنْ تتوسطها حتى ترقص رقصاً خاصاً، فإذا بالنحل يندفع إليها، ويسير خلفها إلى حيث تهديه النحلة إلى الزهور. وما صرير صرصار الغيظ، الذي كثيرا ما يُسمع في الليلة الدافئة في الحدائق والمزارع، إلا دعوة منه لأنثاه إذا بعدت عنه وكذلك نقيق الضفادع الذي لايحدث إلا ليلا. وهذه الدجاجة التي تصدر أصواتا مميزة، فنرى صغارها أقبلت في سرعة تلتقط معها الحب.. وتصدر أصواتا مخافة، فإذا بالصغار تهرول إلى العش في لحظة.

ويقول الدارسون في عالم الطيور: إنّ العصافير كثيراً ما يحذر بعضها بعضا عن طريق الزقزقة، كأنْ يقول أحدهما لآخر دخل عليه (احذر فهذه المنطقة خاصة بي) أو يقول لأحد رفاقه : (انتبه فإنّ صقرا فوق رأسك) أو (خذ حذرك من الحية التي تتسلق أغصان الشجرة). وكذلك فإنّ العصافير البالغة تتحدث إلى صغارها بالزقزقة ايضا فهي تأمرها بالهدوء والكف عن الشقاوة... أو بالاحتياط من أي خطر يحدق بها.. بَيْدَ أنّ ذلك لا يعني أنّ كل ما تصدره العصافير من أصوات لها معنى.. فكثيرا ما يزقزق العصفور أو يغرد لمجرد التسلية والمرح كما يفعل الإنسان أحيانا... أصوات الغراب مميزة تميزا واضحا.. فنعيبه أكبر دليل على الخطر. وهو يصدره ليحذر أبناء جنسه، بينما يصدر في مرحه ولعبه أصواتا أخرى تقرب من القهقهة ومِمّا يثبت تفاهم جماعات الغربان ما تأتيه في حياتها من أمور تكاد تكون عجيبة، إذ المتداول أنّ الغراب من الطيور الحقيرة التي يمر عليها الإنسان دون انتباه، ويقول ـ اكلاند ـ إنّ الغراب يفوق الطيور الأخرى الأكبر منه حجما، والأقوى منه، بسبب مكرهه الممتاز، وبالرغم من أنّ الغراب لص، وفيه عيوب أخرى من سفاهة ودناءة وخسة، فهو طائر مُسلٍ عندما تراقبه ... راقب جماعة من الغربان وقت نومها، تجد أنه بعد محادثة طويلة ذات ضوضاء مع جيرانها، وانتقالها من مكان إلى آخر، يستقر العجوز على فرع شجرة، ويبدأ في التأهب للنوم مبكرا، وما يكاد يفعل حتى تأتي بعض الغربان الأشقياء، تدور حوله مرة أو مرتين، ثم تحط بجواره حتى يوشك أنْ يفقد توازنه أو تصطدم به عمدا لزحزحته من مكانه ... فيعلو صراخه لانتهاك حرمته، وإقلاق راحته، بصوت مميز. وتتكرر هذه المحاولات وتصيح صغار الغربان بأصوات ضاحكة تعلن عن فرحها.. وليس هناك أدنى شك أنّ الغربان مغرمة بالهزل، وتنظم الألعاب لنفسها. فقد قرر العلماء أنّها تلعب المساكة والاستغماء...!!. وممّا لوحظ في دراسة حياة الغربان أنّها تحب كل الأشياء التي تبرق في الشمس . ولكل غراب مخزنه السري الخاص به الذي قد يكون ثغرة في شجرة، أو تحت سقف قديم، أو خلف حجر في جسر، وقد وجد أنّ بأحد المخازن التي أمكن اكتشافها، من دارسي حياة الغربان قطعة من مرآة مكسورة ويد فنجان، وقطعة من صفيح وأخرى من معدن ، وأشياء تافهة متنوعة كلها تتفق في أنّها تتألق في الشمس. ويفهم الحيوان لغة الإنسان ويستجيب لها، كما يدعو الإنسان الدجاج إلى الغذاء بصوت معروف، ويدعو الإوز والبط بصوت ويدعو الدواب إلى الشراب بالصفير كما يستطيع الأولاد في الريف عند صيد السمك من جذبه قريبا منهم بأصوت خاصة. وكلنا نعلم أنّ الكلب في المنزل يعرف بل ينفذ أوامر سيده، وفي أمريكا رجل اسمه ـ جاك ماينز ـ تخصص في دراسة الإوز البري، وبلغ من علمه بلغتها أنّه يستطيع أنْ يدعو طائرا إلى النزول ، حيث يختفي وذلك بأنْ يخاطب الإوز بلغتها ويختبرها بوجود بركة صالحة وطعام كثير. وقد يستطيع الإنسان أنْ يبادل الحيوان لغته ويتفاهم معه، فقد كتب ـ مورتون طمسون ـ في مجلة (ذي أمريكا نميز كيوري) أنّ أخاه لويس الطالب بمدرسة الطيران كان يسمى (لويس الحصان) إذ أنّه كان يكلم الخيل ويحادثها، وبدأ بذلك وهو طالب في المدرسة في (سان ديجو) وكان بها خيول غير مروضة، كثيرا ما أمضى معها لويس الأوقات الطويلة، يلاعبها ويروضها، ولم يقضِ إجازته ، بل ولا فسحته إلا إما راكبا أو مصاحبا حصانا. وكان يراهن التلاميذ على أي حصان يفوز في سباقها.. ولم يحدث أنْ أخطأ مرة، ولمّا حاول أخوه أنْ يهتدي إلى سر ذلك، أجابه أنّ الخيل تخبرني عن حالتها في الجري، ورأيها في راكبها، وفي المضمار، وكثيرا ما وضع ذلك موضع الاختبار والامتحان، فكان يذهب إلى حلبة الخيل في أي مكان وكلما مر به حصان نظر إليه لويس نظرة متسائلة بصوت معين، فيلتفت الحصان ويلوي عنقه بهزات معينة ، وهمهمة خاصة. ثم أخيرا ينطق لويس برقم الحصان الذي سيفوز. قال لأخيه يوماص: الجواد رقم 1 يتمنى أنْ يربح، ولكنه لا يحب راكبه. أمّا الجواد رقم 2 فحالته اليوم سيئة، ولن يفوز. أمّا رقم 3 فهو يتحدى إذ أنه صمم على الفوز. ويقول ـ ألن ديفوـ أحد علماء الحيوان أنه وقف يوما يراقب ثلاثة من صغار الثعلب تلعب حول أمها، وإذا بصغير منها يدخل في الغابة، ويبتعد عنها بعيدا بحيث غاب عن النظر، فاستوت الأم قائمة ومدت أنفها إلى الناحية التي ذهب منها وبقيت على حالها هذه برهة عاد بعدها الصغير في اتجاه أمه لا يلتفت يمنة أو يسرة، كأنما كانت تجذبه بخيط لا تراه العين. ومن الدراسات المماثلة أمكن لعلماء الحيوان تعلم لغة الحيوانات. وقد لوحظ أنّ أسراب الفيلة، لا تكف لحظة عن غمغمة، طالما هي تسير في رهط ، فاذا تفرقت الجماعة، وسار كل فيل على حدة انقطع الصوت تماما.. ومن أعجب ما يؤيد لغة الفيلة، تلك الأصوات المزعجة التي تلاحظ عندما تجتمع الفيلة بالمحكوم علية ليعيش وحيدا ويسير منفردا... فقد حكمت عليه الفيلة بالعزلة والوحدة...!!! أمَّا السمكة التي يقولون عنها صامتة هي من أكثر الأحياء إحداثا للضجيج .. وقد أنزل لها مكبرا للصوت تحت الماء وقاموا بتسجيل أصوات الأسماك فتراوحت بين الهمس وزئير الأسود..

النوم: إنّنا نقضى ثلث عمرنا في النوم، إلا أنّنا لا نعلم إلا القليل عن النوم. والفكرة السائدة بين العلماء هي أنّ للنوم وظيفة مُرمِّمة وشافية للدماغ، وليس الدماغ هوالمستفيد الوحيد من النوم، بل إنّ في النوم سكناً وراحة للجسم كله. قال تعالى (ألم يروا أنّا جعلنا الليلَ ليسكنوا فيه والنهارَ مُبصراً) [سورة النمل] والحقيقة أنّ في الدماغ ما يسمى بالساعة البيولوجية التي تجعلنا نستيقظ من النوم في ساعة محددة كل صباح، وتشعرنا بالنعاس في الوقت ذاته من كل مساء إذا ما اعتدنا على ذلك،

ولا ينفرد الإنسان بوجود هذه الساعة بل هي موجودة عند الحيوانات أيضا. فمن المعروف أنّ الصراصير والبوم والخفافيش والجرذان تنشط ليلا وتهجع في النهار، بينما الحيوانات الأخرى يكون نشاطها الأعظم أثناء النهار . وقد تم نقل نحلات من منطقة باريس إلى نيويورك فلوحظ أنّها تنطلق للحقول لجمع الرحيق في نيويورك عندما يحين موعد جمع الرحيق في باريس. وليس موعد الجمع في نيويووك،إذ أنّ ساعتها البيولوجية ما زالت مبرمجة على توقيت باريس. ويعتقد الباحثون أنّ الغدة الصنوبرية التي تفرز الميلاتونين هي التي تمثل الساعة البيولوجية عنده. وعندما ينتقل أحدنا غرباً إلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية، حيث يتأخر الوقت نحو 12 ساعة، نلاحظ أنّه ينشط عندما يحين منتصف الليل. فجسمنا مبرمج لأنْ نكون نشيطين في الساعة 12 ظهرا حسب توقيت بلادنا، أي عندما ينتصف الليل في نصف الكرة الآخر ، والعكس صحيح. من أجل ذلك تضطرب حياة مَن يضطر بحكم عمله إلى الانتقال باستمرار شرقا وغربا، كما هو الحال مع أطقم الطائرات، وكذلك حياة مَن يضطرون للقيام بمناوبات ليلية ونهارية كالممرضات. وينطبق على ذلك مَن يحيلون ليلهم إلى نهار ونهارهم إلى ليل . وقد أكد الأطباء أنّ أهنا نوم هو ما كان في أوائل الليل، وأنّ ساعة نوم قبل منتصف الليل تعدل ساعات النوم المتأخر، ويقول الدكتور- شابيرو- في كتابه الساعة الجسمية: إنّ الذهاب إلى النوم في وقت محدد كل مساء والاستيقاظ في وقت معين كل صباح لا يحسن نشاط المرء في النهار فحسب، بل يهيئ الشخص لنوم جيد في الليلة التالية. ويقول البروفسور - أوزولد -: إذا كنت تريد أنْ تنام بسرعة حين تخلد إلى النوم فانهض باكرا في الصباح. وافعل ذلك بانتظام، فبذلك تحصل على أفضل أنواع النوم. وتكون أكثر سعادة وأعظم نشاطا طوال النهار. أليس هذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ! ألم يقل عليه الصلاة والسلام : { إياك والسمر بعد هدأة الرِّجل، فإنّكم لا تدرون ما يأتي الله في خلقه}. فلم يكن الصحابة يسهرون الليالي الطوال يتحادثون ويتسامرون، بل كانوا ينامون بعد فترة قصيرة من العشاء، يأخذون قسطاً وافياً من النوم ثم يقومون لقيام الليل ولا شك أنّ في قيام الليل رياضة روحية وجسدية. قال رسول اللهﷺ: {عليكم بقيام الليل، فإنّه دأب الصالحين من قبلكم ، وهو مطردة للداء عن الجسد} رواه أحمد والحاكم قال تعالى : (ومِنْ آياته منامُكم بالليلِ والنهارِ وابتغاؤكم مِن فضله إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون) [سورة الروم].. إنّ من أهم ما أنعم الله به على الكائن الحي النوم، وهو في الواقع دليل لا يقاربه شك على وجود الله. فالنوم عملية تتم دون أنْ يكون للإنسان دَخْل بها. ولاسيطرة له عليها. فهو في وقت معين تبدأ قواه في التناقص، وتعتريه حالة من الاستعداد للنوم، ثم لابد بعد ذلك من أنْ ينام. وأهمية النوم يمكن إدراكها بالتجارب التي أجريت على الحيوان، واتضح منها أنّ النوم أهم للحياة من الطعام والشراب. وقد قرر علماء الروس أنّ التجارب التي أجريت على صغار الكلاب أثبتت أنها لم تستطع الحياة لأكثر من خمسة أيام بلا نوم، بينما عاشت مثيلاتها التي تنام عشرين يوما بلا أكل. ولم يكن للعلماء أنْ يقرروا ماذا في الجسد أثناء النوم أكثر من أنّ النائم يتخلص من إجهاده الجسدي وإرهاقه الفكري، وإنّ استرخاء عضلات الإنسان بنومه، تساعد على تنشيط وتنظيم الدورة الدموية، التي تطرد من الجسم ما قد يكون سببه الإجهاد من مواد ضارة. ومن دلائل وجود الله أنْ تشترك الكائنات الحية في النوم، فالحيوانات تنام وتصحو كالإنسان، وقد ثبت أنّ الحيوانات تحلم كذلك في منامها. وأنّ بعض الكلاب تنهض من نومها فزعة تتلفت في كل الاتجاهات مما يدل على أنّها كانت فريسة حلم مخيف . وتنام أيضا الحيوانات الدنيا والأسماك والحشرات ولو أنّه من الصعب تميز حالتها بين اليقظة والنوم. وقد أجريت تجارب بأنْ وُضِع بقرب الحشرات أو الحيوانات ليلا ما يثيرها ويفزعها، فلم تتحرك حتى الفجر، بينما ظهر عليها بعض الاختلاف في المظهر بعد الفجر، إذ تصرفت تصرف الخائفة الفزعة. ومن أرحم آيات الله أنّ الطير ينام على غصنه، لا يقع بالرغم من أنّ قبضة الطائر لابد أنْ تسترخي كباقي عضلاته حين يغلبه النعاس، إذ أنّ الأوتار التي تحدث البسط والقبض في مخلب الطائر تلتف حول مفصل ساقه، فحين ينام وينثني ثقل جسمه هذا المفصل تشد الأوتار مخلبه فيزيد تشبث قبضة الطائر على غصنه، ويتم ذلك دون تفكير، بل دون أنْ يعيها أو يحسها الطائر ...!!! وقد قرر علماء النبات، أنهم بدراسة الأزهار والتطورات التي تشملها في كل وقت، اتضح لهم أنّ النبات ينام كما ينام كل كائن حي، مشاهد النوم تظهر واضحة جلية في الأزهار ومِمّا يثبت أنّ تفتح الأزهار لا دخل له بالشمس والضوء ما نراه في الأزهار التي يختص بها فراشات الليل إذ تتفتح أزهارها، في الليل، وتكون في تمام تفتحها عند منتصف الليل سواء أكانت الليلة قمرية أم مظلمة.. وهناك أزهار تقفل أوراقها. وتستسلم للنوم العميق ظهرا، حتى أولاد الفلاحين في الجهات التي تنمو فيها هذه الأزهار يعرفون غذاءهم من نومها . ومن الأدلة الدالة التي تثبت حساسية النبات، ويقظته، نشاطه وكسله، ما نشر أخيرا من أنّ البروفسور - سنج ط - رئيس قسم النباتات بإحدى جامعات الهند، وضع نظرية تقول: أنّ نمو النبات يزداد عند سماعه الأصوات الموسيقية ، وأنّ للنبات أُذناً حساسة للموسيقى. وقد شرح الأستاذ المذكور لمندوب وكالة الأنباء العربية في أوائل فبراير 1956 تاريخ اكتشافه لهذه المشاهدات وأنّ أول نجاح حصل عليه كان في 10 ديسمبر 1952 م ، إذ بينما كان ينظر في تلك الليلة بأنفاس مبهورة في نتائج تجاربه في غرفته بالجامعة، كان مساعده يراقب حركة الكلوروبلازم في داخل البروتوبلازم مستعينا بمجهر وساعة. ولم يلبث أنْ دخل على أستاذه مسرعا يقول أنّه لاحظ سرعة في حركة الكلوروبلازم، راجعة إلى الموسيقى الصوتية التي كانت مسلطة على البروتوبلازم !! .

****

آيات عظمة الله في الإلهام

قال تعالى: (تلك آياتُ اللهِ نتلوها عليكَ بالحقِّ فَبِأيِّ حديثٍ بَعد اللهِ وآياتِهِ يؤمنونَ) [سورة الجاثية] إنّ الإلهام هو أبلغ دليل على وجود الملهم فلو رأيت طفلا يسير في طريقه، من منزله إلى مكان يبعد كثيرا عنه، وهو يلتزم جانب الطريق الصحيح، وإذا حاول عبور الطريق التفت يمنة ويسرة فلم يخطئ .. عجبت من حسن استعداده، وأثنيت على مَن أرشده !!. وإذا وجدت طفلا قد حسن هندامه، ونظفت ملابسه، وتناسق ألوانها، أعجبت بنظافتها، وأثنيت على راعيه !! وإذا رأيت أمّا ترضع ابنها في حنان، انتشرت الغبطة إذا ما رأيت ما يدعو إلى الغبطة.. أو ألهمك الغضب، إذا ما رأيت ما يثيرك أو يحرك استياءك.. أننا نسر ونحزن وننشرح وننقبض ونثور ونهدأ، وتمتلىء صدورنا بالمشاعر والأحاسيس التي لا سلطان لنا عليها، إنّما هي إلهام من الخالق الأعظم. وإنّ كافة الكائنات الحية، لتأتي بأعمال لا إرادة لها فيها، إنّما تقوم بما نسميه إلهاما فلابد من وجود الملهم إذن، وفيما يلي بعض عجائب الإلهام في الأحياء.

التناسل: لا يختلف معظم الحيوان عن الإنسان في التزاوج، فهو دائب البحث عن أليفه، وإلفات نظره إليه. وهو دائم الرعاية لصغاره بعد التزاوج.. ولعلّ أدلة الإلهام في تناسل الحيوان أبلغ من أدلتها في الإنسان، لطرافتها وكثرتها مِمَّا حوت مجلدات عديدة في دراستها. فطائر البطريق له أسلوبه في الغزل لا يحيد عنه، فإنْ أراد التودد إلى أنثاه، اختار حصاة تقدم بها في زهو وحنان، ووضعها تحت قدميها، فإذا التقطتها، كان ذلك دليل قبولها له زوجاً لها ، فيتزوجان. وإذا لم يمس وترا في فؤادها، تركت الحصاة ولم تمسها، وعندئذ يعود فيلتقط حصاته وينصرف بها إلى أخرى ...!! ومما يؤكد أنّ هذه العملية التي يقوم بها البطريق عن إدراك ، ما رواه ـ تشايمان آندروز ـ في أحد كتبه العلمية، من أنّه قد حدث ذات يوم أنْ جاء بِطْرِيقٌ عجوز إلى الدكتور ـ روبرت مورفي ـ أحد علماء متحف التاريخ الطبيعي في أمريكا، وألقى تحت أقدامه في حديقته حصاة كبيرة، فلمّا التقطها الدكتور، صار البطريق والعالم صديقين حميمين ولم يغادر البطريق حديقة العالم حيا . ويعتبر طائر (الروبين)، من أوضح الأمثلة على ما تتخذه الطيور من خطوات طويلة للزواج. ففي صيف السنة السابقة لبناء العش، يستولي الذكر على قطعة من الأرض كبيرة المساحة في حقل أو غابة، وحين يحط عليها يأخذ في الدفاع عنها ومهاجمة أي طائر أو حيوان يحاول أنْ يستولي عليها أو يحط عليها فيها، وحين يأمن وتثبت ملكيته لها، يقبع على شجرة قريبة، ويأخذ في الصياح إعلانا وإشعارا لباقي الطيور بامتلاكه الأرض. ويظل على هذا الإعلان ستة أشهر كاملة. وفي منتصف الشتاء ينقلب صياحه إلى تغريد عذب، فتنجذب إليه الأنثى التي تعيش معه إلى الربيع بعدئذ يتعاونان في بناء عشيهما، ثم يتلاقحان وتضع الأنثى البيض الذي يفقس بعد ذلك . فالتزاوج قد سبقته مقدمات منتظمة مقصودة الغرض، دامت ما يقرب من العام. وكافة أفراد هذا النوع من الطير تتفق فيه دون شذوذ أو تغيير. إنّ هذه الحيوانات تتلقى كل ذلك في مدرسة واحدة هي مدرسة الإلهام ! . وقد لوحظ أنّ الطيور المهاجرة، ترجع إلى موطنها في مواعيد تكاد تكون محددة مهما كانت المسافات التي تفصل بين الطير ووطنه ليتم التزاوج والتناسل.

الأسماك: ومن أعجب أدلة الإلهام، تلك التي نراها في تنافس بعض أصناف السمك التي تعيش في الأعماق الغائرة، واهتداء ذكور كل صنف إلى أنثاه في هذا الخضم الهائل، ووسط الظلام الدامس !! وكانت هذه إحدى دراسات العلماء، التي اتضح منها أنّ الأسماك التي تعيش في الأعماق السحيقة تنبعث من أجسامها أشعة لامعة قوية، تشابه أشعة النجوم في شدة تألقها، وجمال بريقها . وقد عرفوا أنّ هذه الأشعة بمثابة إشارات ضوئية، وتتشابه في نظامها، وطريقة إشعاعها، وذلك في كل من الأنواع الواحدة، فبعضها يحمل صفات واحدة من بقع مضيئة ممتدة على طول أجسامها، وفي البعض الآخر نجد صفوفا متراصة فوق بعضها، وفي غيرها تشع أنواع زاهية كأنها الألعاب النارية، وهكذا يعرف كل نوع أليفه ويتم التناسل .!! وقد أثبت العلماء أنّ توليد الحيوانات للضوء ظاهرة شائعة في ما لا يقل عن ست وثلاثين رتبة من رتب الحيوان. وهذه الظاهرة واضحة في الحيوان المسمى (ضوء الليل) وهو الذي يجعل البحار تتألق بالضوء ليلا في الصيف، وكذلك في (قلم البحر) ،(ونجمة البحر) . ويستطيع الإنسان أنْ يقرأ ويكتب ليلا على ضوء حيوان (الاسيكيدا) . وفي أمريكا حشرات تشع ضوءاً أبيض برّاق، جعل الأهالي هناك يتخذون منها مصابيح في الليل، وهذه الأضواء الحيوانية تفوق الأضواء الصناعية. وقد ثبت أنّ الحيوان لا يبذل في إحداث الضوء أي مجهود يذكر، ولذا يسميه العلماء الضوء البارد، لأنه يحدث دون ارتفاع في الحرارة.. ودليل الإلهام في ذلك ، أنّ صنف السمك لا يمكن أنْ يرى شكل الضوء الذي على ظهره حتى يمكن أنْ نقول أنه يبحث عن الضوء المماثل وينجذب إليه..!! فهو إذا يذهب إلى ضوء معين ...!! رغم تعدد الأضواء وتباين قوتها ..!! إنه الإلهام . قال تعالى: (سبحانَ الذي خلق الأزواجَ كلها مِمَّا تنبتُ الأرضُ ومِنَ أنفسهم ومِمَّا لا يعلمون) [سورة يس]

النبات : أول مَن اكتشف أنّ الحشرات تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى، هو القس ـ كرستيان شبرنجل ـ في عام 1793 بألمانيا. وقد اعترف أنّ هذا العمل من معجزات الله وقضى كثيرا من الوقت يدرس الزهر والحشرات حتى أشغله ذلك عن كنيسته التي يتولى الوعظ فيها فانصرفت عنه رعيته. وجاء ـ داروين ـ بعده بستين سنة يعلن أنّ النباتات لها وسائل معقدة، بعضها تمنع التزاوج بين أعضاء تذكير وتأنيث نفس الزهرة، وإذا لقحت صناعيا لا تنتج بذورا. ففي بعض الأزهار نرى عضو التذكير يبلغ نضجه قبل عضو التأنيث، فلا يتم التلقيح إلا إذا جيء بحبوب اللقاح من نبتة أخرى، قد تمّ نضج أعضاء التذكير

فيها، في موعد يوافق تلقيح عضو التأنيث في تلك. وبعضها تلقح نفسها بنفسها، دون معونة لنقل حبوب اللقاح بالهواء أو الحشرات. وهذه قد توافقت تراكيبها كما في الذرة والقمح وغيرها، فأعضاء التذكير التي تحمل اللقاح، تميل إلى مواضع فتحات أعضاء التأنيث بتقدير وضبط لا يمكن استناده إلى شيء فتنعقد بذلك الحبوب.. فهل هذا مصادفة ؟. أمّا أصناف النوع الأول فنرى أنّ للأزهار حيلا عجيبة، فبعضها ما إنْ يحس بالحشرة تطأ أعضاءها، حتى يهوي عليها وعاء اللقاح، فيضربها ضرباً رقيقا ليغمرها باللقاح، وبعضها يقوم بما يدل على قوة الإلهام في وضوح ودون لبس ، فزهرة القطرب لا يتم تلقيحها إلا بفراش الليل، فلذلك تذبل بالنهار، فإذا غابت الشمس تفتحت أكمامها، وانتشرت رائحتها الجذابة، وبرزت أعضاؤها الداخلية بما عليها من حبوب اللقاح استعداداً لتلقي فراش الليل، فإذا ما أقبل الفجر عادت الزهرات إلى حالتها الأولى. فإذا كان هذا هو الشأن في الإنسان والحيوان والنبات، فسبحان مَن لا يشغله شأن عن شأن ...!!!

الأمومة: تسمو عاطفة الأمومة على أيّة عاطفة على وجه الأرض ، وقد أودعت كافة الأحياء تلك العاطفة التي تتجلى فيها بوضوح قدرة الخالق ورحمته عموما.. فهل إذا نزعت هذه العاطفة من قلوب الأحياء يعمر الكون ؟!.تتحمل الأم في سبيل هذه العاطفة من الآلام ما لا طاقة عليها به، ... ونحن نلمس في حياتنا كيف أنّ الآم تفيض سعادة، بقدر ما يفيض عليها حملها من نصب وتعب ... وكلما زاد حملها عليها وزنه، أشرقت العاطفة بنورها بين جنباتها .. ومن العجيب أنّ الإنسان دائما يطلب تأخير كل ما يتصل بحياته من جراحة أو تمريض. فيما عدا الأم .. التي تستعجل ... وضع وليدها، بالرغم مما في هذا الوضع من آلام تتفق كافة الآراء على شدتها. والأمثلة على تضحية الأم بحياتها في سبيل وليدها بسخاء وجود، كثيرة لا تقع تحت حصر...والإلهام في عاطفة الأمومة ، يظهر أوضح في الحيوانات، فهي تأتي في سبيل وليدها من العجيب ما حيّر الباحثين .. فالقطط والكلاب التي تحمل أولادها بأنيابها الحادة المخيفة، وتعدو بها المسافات الشاسعة، دون أنْ تخدش جلدها وطيران الخفاش وصغاره معلقة به ، وهو ينوء بحملها ولا يضعها إلا حيث الأمان، ولو اقتضى ذلك منه طيران الليالي بأكملها وحمل الكنجارو لوليدها في كيس بطنها ، والقفز به من مناطق الخطر، كل هذه أمثلة توضح إلهاماً من الله، بسبب عاطفة ، هي أرق وأخلص عاطفة من كائن لكائن ..!! ومن أروع الأمثلة على الإلهام ،ما نراه في حيوان (الاكسيلوكوب) الذي يعيش منفردا في فصل الربيع، ومتى بَاضَ مات فالأمهات لا ترى صغارها ولا تعيش لتساعدها في غذائها لمدة سنة كاملة، لذلك نرى الأم تعمد إلى قطعة من الخسب فتحفر فيها حفرة مستطيلة ثم تجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية، وتحشو بها ذلك السرداب، فمتى فقست البيضة وخرجت الدودة كفاها الطعام المدخر سنة. فانظر إلى ذلك التدبير الحكيم، وتلك الرحمة من حيوان على ولده ، الذي سيرى العالم بعده، فمن أودع فيه تلك الرحمة.. ومن ألهمه ذلك الحنان !! وحشرة الزنبور الحفار تحفر أنثاه نفقا في الأرض تضع فيه بيضها ، وبعد أنْ تحفر النفق لا تضع فيه البيض مباشرة. بل تبحث عن دودة تلسعها تخدرها ولا تميتها ثم تسحبها إلى داخل النفق ، وتضع عليها البيض وتسد النفق. وتموت الأنثى عن بيض قد توافر لدوده عند فقسه ما يكفيه من القوت. ولعل من أعجب ما اكتشفه العلم، أنّ كل إناث الطير من أي نوع كانت تضع من البيض عادة نفس العدد الذي تضعه في كل بطن ، فبعضها يضع من ثلاث بيضات إلى خمس ، وبعضها من خمس إلى ست وهكذا. غير أنّه قد لوحظ أنه إذا رفع من تحتها بعض بيضها وضعت بدلا منه لتساويه في العدد وهذه القدرة على إنتاج البيض تكاد تكون عجيبة لا يصدقها العقل ! وقد ذكرت مجلة (ذي اوك) أنّ بعض علماء الطير عمدوا إلى طائر النقار، فأخذوا من وكره بيضه ما عدا واحدة ، وظلوا يكرروا أخذ البيض ليروا إلى متى يظل يضع من البيض بدل ما سرق، فوضع الطائر الذي حيره الأمر 71 بيضة في 73 يوما. والجهد الذي يعانيه الطير في جلب الطعام لصغاره وتغذيتهم لأمر يعلمه كل من رأى الطير وصغاره. ويقول الدكتور ـ أرثر ألن ـ من جامعة (كونل) أنّه تحرّى الدقة في عدد رحلات أنثى عصفور العصو، تطلب الطعام لتغذية صغارها، فوجد أنّها أطعمتها 1217 مرة، ما بين الفجر ومغرب الشمس . أمّا كيف تميز أم أفراخ الطير أيّاً من صغارها ينبغي أنْ يتغذى، فهو من دلائل ما أودعه الله من أسرار وإلهام. فإنّ النظام الدقيق الذي ركب في حلق كل فرخ. يقضي بأنه إذا امتلأ أبطأ في ابتلاع ما يزق به، فما على الأم إلا أنْ تزق الذي يفتح لها منقاره ، ثم تراقب العاقبة بدقة ، فإذا رأت الطعام لا ينزلق في الحلقوم، امتصته ثانية وزقت به الذي يليه. أي أنّ الذي يبتلع الطعام من فوره، هو أفرغها من الطعام جوفا ..!! وحزن الأم على فقد ولدها إذا كان مضرب الأمثال في الإنسان ، فإنّ الحيوان يأتي من ضروب الحزن والألم، في هذا الحال أكثر مما يشاهد في الإنسان. فحزن الناقة على صغيرها، أو الكلبة على جروها..لما يتوارد في الأحاديث، على سبيل العظمة والعبرة. وقد ضرب الخيل أروع الأمثلة في هذا الشأن، ومَن يشاهد حياتها يعرف إذا مات صغيرها نهنهت بصوت مسموع يعرفه القاصي والداني، وكثيرا ما يفيض الحزن بالفرس فتأتي من الأعمال ما لا يصدقه العقل .. فهذه الفرس التي صاحت وبكت حتى نزلت من عينها الدموع لموت صغيرها وفاض بها الحزن حتى أنّها توحشت ولم يستطع إنسان أنْ يقترب من جسد صغيرها وما إنْ هدأت وحمل جسد الصغير حتى سارت خلفه. ولما دفن لازمت قبره، وانقطعت عن الأكل والشرب ، ولم تفد فيها أيّة محاولة، حتى قادها عذابها وحزنها إلى الموت.. تتكرر حالاتها بين الحين والأخر في مختلف أنحاء العالم . إنّ العلماء باتوا متأكدين من أنّ الحيوانات لديها مشاعر الكآبة والحزن والملل، وهي مشاعر تتضاعف وتتكثف في الحيوان إذا فقد صغاره

وإذا تعرض لعملية " عزل " قاسى اللألام وهو نفس ما يحدث للإنسان في السجون الإنفرادية، وما يترتب على ذلك من أمراض نفسية وعصبية خطيرة. يصدق هذا الكلام على النمل والنحل، إنّ هذه الحشرات تقاوم الوحدة والعزل الانفرادي بإعلان الإضراب عن الطعام والتمسك بالموت حتى يجاب مطلبها: وهو أنْ يصبح عدد المسجونين منهم خمس وعشرون نحلة على الأقل!! فليس المطلب هو الخروج من الأسر أو الحرية ، بل أنْ يكون السجن جماعيا لتوزيع الحزن !! أو العذاب !!أو ألم الوحدة...على الجميع .

<u>من عجائب الإلهام :</u> رضاع الطفل : تنمو الغدد التي تصنع اللبن في مدة الحمل ويدفعها إلى هذا النمو مواد يفرزها المبيضان، وفي نهاية الحمل وبدء الوضع، تتلقى هذه الغدد من الغدة النخامية القائمة في قاعدة الجمجمة ، أمرا بالبدء في صنع اللبن .. وتعتبر عملية الرضاع أولى عمليات الإلهام للكائن الحي ، فإنها عملية شاقة، تتم للطفل عن طريق الإلهام فهي لذلك تشهد بقدرة الخالق، إذ أنّها تقتضي انقباضات متوالية في عضلات وجه الرضيع ، ولسانه وعنقه ، وحركات متلاحقة في فكه الأسفل وتنفسا من أنفه، ولا يمكن أنْ يتم ذلك مصادفة من أول رضعة لرضيع ، إلى آخر رضعة لفطيم ، بل قرر العلماء أكثر من ذلك، أنّه لا يمكن للرجل أنْ يقوم بها بالنجاح الذي يقوم به الطفل الذي لا يتجاوز عمره ساعات ،بل الدقائق ، ولم يحدث أنْ أخطأ طفل واحد من ملايين الأطفال الذين ولدوا من يوم أنْ قامت الدنيا ، إلى الآن وإلى ماشاء الله في طريقه الرضاع .

<u>تزاوج ثعبان السمك والسلمون:</u> ما زال علماء الأحياء في حيرة ودهشة من قصة ثعبان السمك ورحلاته العجيبة، لا يجدون لها تعليلا إذ أنها لا تنضوي إلا تحت أدلة الإلهام التي تثبت وجود الخالق .

يعيش ثعبان السمك في الأنهار عندما يكتمل نموه بأنْ يبلغ العاشرة من عمره، يهاجر من البرك والأنهار في مختلف أنحاء العالم ، فتلك التي تعيش في أنهار أوربا، تسبح حتى المحيط الأطلسي ، وتلك التي تعيش في النيل وأنهار أفريقيا، تسبح إلى البحر المتوسط ثم تخترق مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي، ثم تستأنف جمعيا رحلة تقطع فيها آلاف الأميال قاصدة إلى الأعماق السحيقة في جزر الهند الغربية، جنوب برمودا، حيث تتزاوج وتضع البيض ، فتكون مخلوقات صلبة شفافة، كأنها خيوط صغيرة لها عيون بارزة، وتتهيأ للعودة إلى مواطن آبائها ، في رحلة تستغرق أكثر من ثلاثة سنوات في بعض الجهات لتصل إلى مصاب الأنهار التي عاش فيها آباؤها، سواء أكان أنْهارا في أوربا، أم ترعاً في أواسط أفريقيا، أم بحيرات في آسيا . ولم يحدث قط أنْ صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوربية ، أو ثعبان أوربي في المياه الأمريكية إطلاقا ..!! وسمك السلمون الذي يعيش في البحار،حين يبلغ طور النضج الجنسي، وتكون له القدرة على التناسل يرحل إلى الأنهار ذات المياه العذبة ، لتضع الإناث البيض، وتصب الذكور عليه حيواناتها المنوية.. وعندما تخرج الأجنة تمضي فترة من حياتها في ماء النهر حوالي سنتين، ترجع بعدها إلى البحر ... ومتى أصبحت قادرة على التناسل، تعود إلى النهر الذي فقست فيه ، ولا يخطيء السلمون النهر الذي فقس فيه مهما تقاربت مصاب الأنهار بعضها من بعض !!.

<u>اهتداء الحيوان إلى موطنه</u>: كشف العلماء بعض أسباب هجرة الحيوان ظنا. غير أنهم وقفوا حيارى عند سر اهتداء الحيوان إلى موطنه ، وقدموا بعض الفروض العلمية المختلفة اتفقت جميعها على أنّها إلهام من الله. يقول العلامة ـ منروفكسي ـ أستاذ علم الحيوان في جامعة (برمنجهام) في معرض الاستدلال على قوة الإلهام ، أنّ رجلا صحب كلابه الخمسة في رحلة صيد ، في منطقة لم يزرها من قبل، لا هو ولا كلابه ، وأثناء الرحلة وفي منتصف النهر، هبت عاصفة شديدة وهطل الثلج وفصل الرجل عن كلابه، واضطر إلى أنْ يرجع إلى منزله وحيدا وهو يظن أنّ الكلاب إنْ لم تهلك فهي بلا شك لن تهتدي إلى المنزل ، ولكن من العجيب أنّ أربعة كلاب من الخمسة رجعت إلى المنزل بعد أسبوع قاطعة هذه المسافة الطويلة !! لا نستطيع أنْ نقول أنّ للخبرة السابقة دخلا في رجوعها فهي لم تقطع هذا الطريق من قبل حتى يمكن القول أنّها حفظت علامات استدلت بها في عودتها كما أنّه لا يمكن القول أنها رجعت مسترشدة بحاسة شمها القوية، فالمسافة شاسعة والمدة التي تقضيها طويلة والثلج المنهمر أزال كل أثر لأيّة رائحة.. إنها حاسة لم يهتد بعد إلى كشفها، إنّها إحدى الشواهد الناطقة بعظمة الخالق !! إنّ هجرة الحيوان لا سيما تلك التي تتم أول مرة فتهاجر الأبناء إلى حيث سبق أنْ هاجرت الآباء .. دون دليل أو مرشد .. ثم عودتها .. لمن الأسرار ولكنها تشير إلى وجود الواحد القهار ...

<u>تكوين ثمرة البلح</u>: تمتص جذور النخلة العناصر الغذائية من التربة بالشعيرات الجذرية، وتصعد العصارة بالضغط الأسموزي إلى أعلى، ويتغذى جذع النخلة بما امتص من هذه العصارة، أمّا العصارة فتصعد إلى حيث تغذي الأجزاء العلوية ، ويأخذ كل جزء غذاءه، و ترتفع العصارة الدقيقة ، لتكوِّن الثمرة فقمع البلحة هو مصفاتها، التي تسمح بمرور المواد الغذائية الذائبة تماما إلى الداخل فقط. وهي التي تكوِّن الحلو من البلحة وغير الحلو من النواة.. والتي منها ينشأ جسم البلحة الطري وهيكل النواة الصلب والطري غلاف رقيق شفاف يكاد لا يرى !! ولم يحدث إطلاقا أنْ أخطأت نخلة فكونت نواة البلحة في الخارج والبلحة من الداخل . أو كونت البلحة الصلبة ، والنواة طرية، ولا يمكن أنْ يعزى ذلك إلى ميكانيكية النخلة، أو طبيعتها .. فهذا شيء لا يمكن إلا أنْ يقال إنه إلهام ..

<u>تقليب البيض للتفريخ</u>: خَطَرَ لعالم أمريكي،أنْ يستفرخ البيض دون حضانة الدجاج ، بأنْ يضع البيض في نفس الحرارة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له، فلما جُمِع البيض ووضع في جهاز التفريخ نصحه فلاح أنْ يقلب البيض إذ أنّه رأى

الدجاجة تفعل ذلك ... ! فسخر منه العالم، وأفهم الفلاح العالم أنّ الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل منه ، حرارة جسمها الذي حرمته.. أمّا هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع حرارة ثابتة لكل أجزاء البيضة. واستمر العالم في عمله حتى جاء دور الفقس وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة !! وأعاد التجربة وقد استمع إلى نصيحة الفلاح، أو بالأحرى إلى تقليد الدجاجة، فصار يقلب البيض حتى إذا واتى ميعاد الفقس خرجت الفراريج..؟!! وآخر تعليل علمي لتقليب البيض، أنّ الفرخ حينما يخلق في البيضة، ترسب المواد الغذائية في الجزء الأسفل من جسمه، إذا بقي بدون تحريك، فتتمزق أوعيته.. ولذلك فإنّ الدجاجة لا تقلب البيض في اليوم الأول والأخير..! أفليس في هذا ما يدل على أنّ الدجاجة عند الحضانة بإلهام عجز عن معرفته الإنسان بالمحاكمة بالرغم من كثرة ما يعلمه.. وإننا إذا سألناها كيف أنها فعلت ذلك لتقول : علمني الخبير العليم.

<u>حماية بيض الحشرات من غوائل الجو</u> : من قديم الزمان تصنع الحشرات لبيضها ما يشبه الزجاجة المفرغة، التي تحفظ فيها السوائل على درجتها من الحرارة، وتنتفع بها في حماية بيضها من عوادي الجو المتقلب، فهي تحيط البيض بكتلة هشة خفيفة من الفقاعات، وما تحوي هذه الفقاعات من هواء يقوم مقام الطبقة المفرغة حول الزجاج فبقل تسرب الحرارة والبرودة إلى داخلها فمهما اشتدت حرارة الجو أو قرص البرد، نرى البيض داخل هذه الغلالة على درجة ثابتة وبمنجاة من تقلب الجو.

حفظ اللحم حيّا : تستطيع طوائف من العناكب والزنابير أنْ تحفظ اللحم أسابيع فلا يفسد، دون الاستعانة بما تفتق به حيل الإنسان من تبريد أو ثلج. بل فهي لما كانت تحتاج إلى اللحم طريا في طعامها ولا تضمن الظفر به كل يوم، لذلك تحفظ صيدها، من الحشرات التي تزيد على حاجتها، بطريقة لم يستطع الإنسان أنْ يصل إليها، فهي تفرز في أبدانها مادة تخدرها دون أنْ تميتها، فيبقى غذاؤها دائما طريا طازجا بل حيا لحين استهلاكه، ولم يتمكن العلم حتى الآن من تخدير ذبيحة الإنسان والإبقاء عليها بحياة كاملة دون موت لحين استهلاكها..!!!

<u>الدفاع الحراري عند النحل</u>: ما هو الأسلوب الذي تدافع به النحل عن الخلية وكيف تحميها من الأعداء. وربما يكون من ألد أعداء النحلة هو «الدبور». فالدبور يجد في خلايا النحل وجبة شهية من العسل، ويبدأ بالهجوم. وبمجرد الاقتراب من الخلية تبدأ النحلات بالتجمع حول هذا الدبور وتلتف من حوله وتحيط به من كل جانب، ولكن وبسبب الحجم الكبير للدبور نسبة لحجم النحلة فإنّ هذه المهمة تتطلب عدداً كبيراً من النحل. ويختفي الدبور تماماً وسط النحلات الهائجة والمدافعة عن بيتها وخليتها. العجيب أنّ النحلات تقضي على الدبور بطريقة تقنية مذهلة! فبعد تغليف هذا الدبور بغلاف من النحل تقوم كل نحلة بهزّ جناحيها بسرعة كبيرة وهذا يؤدي إلى رفع درجة حرارة جسمها حتى 47 درجة مئوية بسبب الاحتكاك، ولكن لماذا هذه الدرجة بالذات؟ إنّ الدرجة 47 هي أقصى درجة تستطيع النحلة أنْ تتحملها وتعمل عندها، لأنّ النحلة تموت بعد ذلك عندما تصل حرارة جسمها إلى 49 درجة. إنّ الدرجة القصوى التي يتحملها الدبور هي أقل من 45 درجة مئوية، وبالتالي سوف يموت في الحال بفعل الحرارة التي تولدها رفرفات أجنحة النحل أي عندما تصل درجة حرارته إلى 45 درجة، وبهذه الطريقة الحرارية يتم القضاء على الدبور وحمايةالخلية!!!

أسئلة حيرت العلماء: وهنا يطرح العلماء أسئلة عديدة ولايجدون الإجابة عنها - : كيف علمت النحلة أنّ جسمها لا يتحمل أكثر من 47 درجة فتبلغ هذه الدرجة بالضبط؟- وكيف علمت النحلة أنّ الدبور سوف يموت عندما تبلغ درجة حرارته 45 درجة؟ - مَن الذي علم النحلة هذه التقنية المتطورة للقضاء على الخصم؟ ومن الذي زودها بجهاز لقياس درجة الحرارة فتحدد بواسطته الدرجة 47 ولا تتجاوزها، ومَن الذي أخبرها أنها ستموت لو تخطت هذه.الدرجة؟ -ولماذا تحمي النحلة الخلية من خطر هذا الدبور؟ وما هو الميزان الذي حددت به النحلة درجة الحرارة المناسبة، فهي أعلى بدرجتين من الحرارة التي يموت عندها الدبور، وأخفض بدرجتين من الحرارة.التي تموت عندها النحلة!!! تأمل كيف أنّ الدبور يموت عند الحرارة 45 درجة مئوية، وأقصى حرارة تتحملها النحلة هي 47 درجة مئوية، فمَن الذي زود النحلة بجهاز إنذار يحذرها أنْ تتوقف عند هذه الدرجة لأنّ بعدها الموت؟) هل نجد في القرآن إجابة شافية؟ يقول تعالى: " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ " [النحل]. في هذه الكلمات الإلهية سر للعمليات التي تقوم بها النحلة وهو أنّ الله تعالى هو الذي أوحى إليها وعلمها، وهذا ما نجده في كلمة)أَوْحَى .(والله تعالى لم يقل (علّم) إنما قال (أوحى) لأنّ النحلة لا تتعلم هذه التقنية تعلماً!!! بل هي موجودة في تركيبها وفطرتها، وهذا يدل على دقة ألفاظ القرآن. فهنالك وسائل زوّد الله بها النحلة لقياس درجة الحرارة وتحديد الدرجة المناسبة لقتل الدبور، إنّ الذي خلق هذه النحلة هو الذي هداها إلى هذه التقنية! يقول تعالى على لسان سيدنا موسى مخاطباً فرعون الذي أنكر وجود الله:(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[طه]

<u>تكييف حرارة وهواء خلية النحل</u> : لمّا كان يلزم ليرقات نحل العسل حفظ الهواء على درجة ثابتة من الحرارة والتهوية التامة، لتظفر بأسباب الحياة والنمو في الخلية فإنّ هناك طائفة من النحل، لا عمل لها في الخلية إلا إجهاد عضلاتها لتولد حرارة في أبدانها، لتشع في أرجاء الخلية، بينما هناك طائفة أخرى تجثم على الأرض وتحرك أجنحتها بسرعة معينة محكمة لتوليد تيارا من الهواء يكفي الخلية فتكون بذلك مكيفة الجو هواء وحرارة!!

<u>أبقار النمل وزراعتها</u>: يقول العلامة - رويال ديكنسون - أحد علماء التاريخ الطبيعي، في كتابه شخصية الحشرات: لقد ظللت أدرس مدينة النمل حوالى عشرين عاما في بقاع مختلفة من العالم فوجدت أنّ كل شيء يحدث في هذه المدينة بدقة بالغة،

وتعاون عجيب، ونظام لا يمكن أنْ نراه في مدن البشر، علاوة على الهدوء والسكون.. لقد راقبته وهو يرعى أبقاره، وما هذه الأبقار إلا خنافس صغيرة، ربّاها النمل في جوف الأرض زمنا طويلا حتى فقدت في الظلام بصرها. ولا يدري أحد في أي عصر بدأ النمل حرفة الرعي وتسخير الأبقار، بل كل ما نعلمه أنّ الإنسان، إنْ كان قد سخّر نحو من عشرين حيوانا لمنافعه فإنّ النمل قد سخّر مئات الأجناس من حيوانات أدنى منه جنسا. فإنّ بق النبات، حشرة من الحشرات التي يعسر استئصالها، وما ذلك إلا لأنّ أجناسا كثيرة من النمل ترعى الحشرات التي يعسر استئصالها، ... ففي الربيع الباكر، يرسل النمل الرسل ليجمع له بيض هذا البق، فإذا جيء به وضع في المستعمرة موضع البيض، ويعني به حتى يفقس وتخرج صغار، ومتى كبرت تدر سائلا حلوا يقوم على حلبه جماعة من النمل، لاعمل لها إلا حلب هذه الحشرات بمسها بقرونها وتنتج هذه الحشرات 48 قطرة من العسل كل يوم، أو بمقدار يزيد مائة ضعف عما تنتجه البقرة بالنسبة إلى حجم الحشرات من حجم البقرة. ويزرع النمل زراعات خاصة به كذلك.

****

الكوالا

إنّها من أبدع اللحظات، لحظة ميلاد حيوان الكوالا. بعد ميلاده مباشرة وخروجه إلى عالم النور بعد ستة أشهر من ظلام دامس داخل الجراب يخرج الرضيع الذي لا يزيد طوله عن 13 سنتيمتر ويتسلق رقبة أمه ليطبع قبلة على وجنتها كأنّه يقول لها : شكرا على رعايتك لي طوال فترة الحمل . فهل تعني هذه القبلة الاعتراف بالجميل أم أنها تعبيرعن الحنان و الحب الغريزي الذي يربط الطفل بأمه، فبعد عملية الخروج من الجراب التي تستغرق حوالي ساعتين يقوم الرضيع بتسلق بطن أمه ممسكا بذراعيه الصغيرين في فروتها حتى يصل الى وجهها وهي رحلة طويلة للغاية بالنسبة للكوال الصغير حيث أنّها تمتد الى أكثر من ثلاث ساعات قبل الوصول الى بر الأمان إلى وجه الأم الحنون الذي يحمل في نظرات عينيه حنانا يكفي العالم بأسره . تتم ولادة حيوان الكوال على مرحلتين مثل جميع الحيونات الثديية التي تحمل جرابا لحمل الرضيع، فبعد ثلاثين يوماً يخرج الكوال وهو مازال جنيناً لايزيد طوله عن ثلاث سنتمتر ووزنه عن خمس غرامات ويتجه نحو الجراب الذي سيختبيء فيه لمدة ستة أشهر حتى يكتمل نموه، إلا أنّ حياة حيوان الكوال مهددة لأسباب بيئية فهو يتغذى أساسا على نبات أشجار (الكاليبتوس) إلا أنه اذا مرضت الشجره فإنّ الكوال قد يموت جوعاً وحتى تتم عملية الهضم بسهولة على الكوال أنْ يلتقط بعض الجراثيم الصغيرة مثله مثل الحيونات الأخرى التى تعيش على النباتات ويجد الكوال هذه الجراثيم فى طين الأرض المحيطة به إلا أنّ الكوال الرضيع لا يستطيع النزول من فوق الشجرة لالتقاط هذه الجراثيم لذلك تقوم



الأم بهذه المهمة وتنقلها إليه عن طريق الفم لتكمل الوجبة الغذائية التي تقدمها لوليدها والمكونة أساسا من اللبن . ويواجه حيوان الكوال خطرا كبيرا يهدد حياته وهو تحول بعض أشجار الكاليبتوس التي يتغذى منها الي أشجار سامة في فصل الشتاء فإنّ خمسين غراما من أوراق هذه الشجرة السامة كافية لقتل خروف كبير ولحسن الحظ فإنّ الكوال مزودة بحاسة تستطيع تمييز هذه الأشجار السامة ولهذا فهو يسير كيلو مترات وكيلو مترات بحثا عن الأشجار السليمة إلا أنّ آثار هذه المخاطر الطبيعية محدودة بالمقارنة مع المخاطر التي يواجهها من جانب الصيادين الذين يتلذذون في صيده من أجل فروته السميكة دون إبداء أي رحمة أو تعاطف مع صراخه وبكائه الذي لاينقطع في لحظة اصطياده وقتله .. وهكذا فإنّ تعلق الرضيع في رقبة أمه لن يحميه من الخطر الذي ينتظره عندما يترك هذا الصدر الحنون ليبدأ حياته .. وحيدا ... بعيدا ... بين الغابات والأشجار وأيادي البشر المفترسة . لحيوان الكوال سيقان قوية ومخالب حادة وله مَعِي طويل يمكنه من هضم الأوراق القاسية والكبيرة كما أنّه يأكل التراب للحصول على الكالسيوم و المعادن الأخرى . يبلغ الكوال نضجه الجنسي في السنة الثالثة أو الرابعة ولهذا الحيوان جسم متين وله أذنان كبيرتان وليس له ذيل، ومعطفه سميك صوفي، ظهره رمادى ، وأجزاؤه السفلية بيضاء اللون والذكر أثقل من الأنثى.

****

الإسفنج

الإسفنج يعتبر من النباتات حتى عام 1765 م حين لاحظ العلامة ـ أليس ـ عند فحصه أحد أنواع الإسفنج الحية، أنّ الماء يدخل من مسامه الجانبية، ويخرج من فتحة عليا بطريقة مطرودة، فدَاخَله شك إذ ذاك، بأنْ ما يفحصه ربما يكون حيوانا. وفي عام 1852 م وضع العلامة ـ روبرت جرانت ـ الإسفنج في موضعه الحالي باعتباره حيوانا. ومن الإسفنج، ما هو دقيق الحجم، لا يرى إلا بجهد، ومنه ما يبلغ حجما كبيرا كما يختلف لونه، فمنه الأصفر والأخضر، والبرتقالي والأحمر والأزرق ... وعلى جسمه عدة ثقوب صغيرة، وأعلاه فتحة واسعة .. فيدخل الماء محملا بالكائنات الحية والمواد الغذائية من الفتحات الجانبية، بينما تخرج البقايا من فتحته العليا. ولهذا فهو يختلف عن كافة أحياء العالم في أنّه يستعمل الفتحة الرئيسية العليا، لا لتناول الغذاء بل لإخراج بقايا منها.

****

النجمة

حيوان بحري يشبه النجمة في شكلها، وهو مختلف الحجم واللون، ويوجد في جميع البحار. ويتركب جسم الحيوان من قرص، في وسطه فتحة الفم، ويتفرع من هذا القرص خمسة أذرع متاشبهة شكلا، ومتساوية طولا وحجماً.



وسطحها العلوي أقتم من السفلي. ويوجد على جسمه عدد من صفائح صلبة تبرز منها أشواك، كثيرا ما تعلق بها الأعشاب والحشائش والأوساخ. ولذا نجد أنّ هذا الحيوان، قد زوِّد جسمه بأعضاء صغيرة تشبه الملقط، يحافظ بها على نظافة جسمه بما يلقط بها مِمّا علق بأشواكه. ويتغذى نجم البحر بالحيوانات الرخوة ذات المصراعين، وهي المعروفة بالمحار ويفترسها بطريقة غريبة، هي في ذاتها دليل على وجود الله ، وعلى رحمته التي عمت كل الوجود. فمتى وجدت نجمة، محارة، وضعتها بين أذرعها الخمس، وقوست جسمها فوقها، وألصقت بمصراع المحارة عددا من أقدامها، وتشد هذه الأقدام في اتجاهين متضادين فتفتح المصراع. ونجمة البحر صبورة .. جلدة، لوصادفت محاراً قوي المصراع، ظلت تشده مدة طويلة إلى أنْ تتهادى قوته، ويفتح المصراع مقهورا أمام ذلك الجلد والصبر. ومتى فتح المصراع، أخرجت النجمة جزء من معدتها خارج فمها، يلتف حول المحار ثم تأخذ في امتصاص ما به حتى تأتي عليه.

****

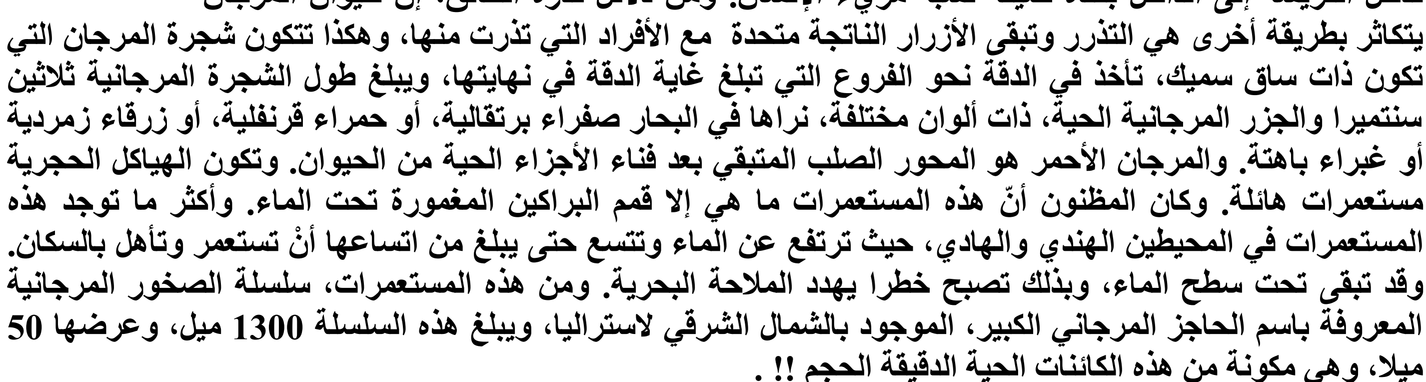
اللؤلؤ والمرجان

قال تعالى: (يَخرجُ منهما اللؤلؤُ والمرجانُ ..) [سورة الرحمن]



<u>اللؤلؤ:</u> حيوان اللؤلؤ من عجائب أحياء البحار، وهو يصول ويجول في أعماق البحار، وأحشاء المحيطات حيث ينتهي إلى أعماق بعيدة، واللؤلؤ يوجد داخل صدفة جيرية لتحافظ عليه من المخاطر البيئية وتتكون من ثقوب صغيرة ضيقة أشبه بشبكة الصياد كالمصفاة حتى تحول بين الحصى والرمال فلا تصل إليه، فإذا ما حاول جسم غريب اقتحام اللؤلؤ في صدفته سارع بإفراز مادة لزجة يغطيها بها، ثم تتجمد مكونة لؤلؤة.

<u>المرجان:</u> المرجان من عجائب مخلوقات الله يعيش في البحار على أعماق تتراوح بين خمسة أمتار وثلاثمائة متر، و يثبت نفسه بطرفه الأسفل بصخرة أو عشب. وفتحة فمه التي في أعلى جسمه، محاطة بعدد من الزوائد القوية يمكنه بها لقتناص فريسته فهو يستعملها في غذائه. فإذا لمست فريسة هذه الزوائد، وكثيرا ما تكون من الأحياء الدقيقة كبراغيث الماء، أصيبت بالشلل في الحال، والتصقت بها، فتنكمش الزوائد نحو الفم، حيث تدخل الفريسة إلى الداخل بقناة ضيقة تشبه مريء الإنسان. ومن دلائل قدرة الخالق، إنّ حيوان المرجان يتكاثر بطريقة أخرى هي التذرر وتبقى الأزرار الناتجة متحدة مع الأفراد التي تذرت منها، وهكذا تتكون شجرة المرجان التي تكون ذات ساق سميك، تأخذ في الدقة نحو الفروع التي تبلغ غاية الدقة في نهايتها، ويبلغ طول الشجرة المرجانية ثلاثين سنتميرا والجزر المرجانية الحية، ذات ألوان مختلفة، نراها في البحار صفراء برتقالية، أو حمراء قرنفلية، أو زرقاء زمردية أو غبراء باهتة. والمرجان الأحمر هو المحور الصلب المتبقي بعد فناء الأجزاء الحية من الحيوان. وتكون الهياكل الحجرية مستعمرات هائلة. وكان المظنون أنّ هذه المستعمرات ما هي إلا قمم البراكين المغمورة تحت الماء. وأكثر ما توجد هذه المستعمرات في المحيطين الهندي والهادي، حيث ترتفع عن الماء وتتسع حتى يبلغ من اتساعها أنْ تستعمر وتأهل بالسكان. وقد تبقى تحت سطح الماء، وبذلك تصبح خطرا يهدد الملاحة البحرية. ومن هذه المستعمرات، سلسلة الصخور المرجانية المعروفة باسم الحاجز المرجاني الكبير، الموجود بالشمال الشرقي لاستراليا، ويبلغ هذه السلسلة 1300 ميل، وعرضها 50 ميلا، وهي مكونة من هذه الكائنات الحية الدقيقة الحجم !! .



****

جزيء البروتين يتحدى نظرية التطور

قال تعالى : (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق اللهُ السموات والأرضَ وما بينهما إلا بالحقِّ وأجلٍ مُسمًّى وإنّ كثيراً مِن الناس بِلِقَاءِ ربهم لَكافرونَ)[سورة الروم] تقتضي نظرية التطور أنّ الحياة بدأت بخلية واحدة تشكلت بالمصادفة تحت شروط أرضية بدائية، لذلك لنفحص تركيب الخلية ببعض المقارنات لكي نبين كم هو سخيف ولا عقلاني أنْ ننسب وجود الخلية لظواهر طبيعية ومصادفات، ذلك أنّ الخلية ما زالت تحتفظ بأسرار في كثير من خصوصياتها وحتى في الوقت الذي دخلنا فيه القرن الحادي والعشرين ووضعنا قدمنا فيه الخلية الحية ليست أقل تعقيدا من مدينة، فلها أنظمة عمل اتصالات ونقل وإدارة، وتحتوي محطات طاقة (قدرة) تنتج طاقة وتستهلك من قبل الخلية، كما تحتوي مصانع الأنزيمات والهرمونات الأساسية للحياة وبنك المعلومات، حيث يسجل فيها كل المعلومات الضرورية عن المنتجات التي يجب إنتاجها. كما تضم نظما معقدة للنقل وأنابيب لحمل المواد الخام والمحاصيل من مكان لآخرمختبرات متقدمة ومصافي لتحليل المواد الخام المستوردة داخل الأقسام المستفيدة منها، وكذلك تحتوي بروتينات تخصصية في الغشاء الخليوي لضبط دخول وخروج المواد في الخلية .. هذا جزء صغير مِمّا يتضمنه هذا النظام المعقد الذي لا

يصدق بعيدا عن كون أنّ تشكل الخلية قد تمّ تحت شروط أرضية بدائية ومتذكرين مدى تعقيد تركيبها وآلياتها، فإننا نقول: أنّه لا يمكن تركيبها حتى في أعظم وأعقد المختبرات وأكبرها تقدما والموجودة في أيامنا هذه، حتى ولواستخدمنا الأحماض الأمينية، التي هي القطع البناءة للخلية، فليس بالإمكان إنتاج حتى عُضية واحدة من الخلية مثل جسيم ميتاكندوري، أو الريبوزوم ..وأي منها هو أقل من الخلية بكثير، والادعاء بأنّ الخلية نتجت بمصادفة تطورية تشبه لحد ما قصة اختراع خيالية.

البروتينات تتحدى المصادفة: ليست هي الخلية فقط التي يمكن إنتاجها، أي : تشكيلها تحت شروط نظامية مستحيل، حتى ولا بروتين واحد من ألوف جزئيات البروتين التي تشكل بنية الخلية.

البروتينات: هي جزئيات عملاقة تحتوي حموضا أمينية مرتبة بتتابع خاص مميز وبكميات وتركيبات معينة، وتلك هي القطع البناءة للخلية الحية، وأبسطها مكون من خمسين حمضا أمينيا، لكن يوجد بعض البروتينات مكونة من ألوف الأحماض الأمينية، ومن المعروف أنّ حذف أو إضافة أو استبدال حمض أميني واحد في تركيب البروتين في الخلايا الحسية يؤدي لتغيير كامل في وظيفة البروتين الخاصة ليصبح ذلك البروتين خردة جزيئية لا جدوى منه. وعند تلك النقطة فإنّ مؤسسي نظرية التطور غير قادرين على توضيح تشكل الأحماض الأمينية بالمصادفة، لكننا نستطيع نحن أنْ نشرح بسهولة وباستخدام حسابات الاحتمال البسيطة بحيث يستطيع أي إنسان أنْ يفهمها، وهي أنّ التركيب الوظيفي للبروتينات لا يمكن أنْ يأتي بأيّة وسيلة بالمصادفة. يوجد عشرون حمضاً أمينياً مختلفاً، فإذا فرضنا أنّ حجم جزيء البروتين الوسطي مكون من (288) حمضا أمينيا فيوجد(10 300) تركيبة مختلفة لهذه الحموض. ومن كل هذه السلاسل الممكنة يوجد فقط شكل واحد في الجزيء البروتيني المرغوب، أمّا الأحماض الأمينية الأخرى فهي إمّا غير نافعة تماما أو ربما حملت بداخلها ضررا للكائنات الحية. وبكلمة أخرى فإنّ احتمال أنْ يحدث هذا بالمصادفة هو واحد في (10 300) أي احتمال أنْ يحدث هذا هو واحد في عدد فلكي يحتوي واحداً متبوعا بثلاثمائة صفر، وهذا يكافي الصفر عمليا، وبالتالي ليس من الممكن حدوثه والأكثر من ذلك أنّ لهذا البروتين (288) حمضا أمينيا وعلى الأغلب هو جزيء متوسط إذا ما قورن بالجزئيات العملاقة التي تحتوي ألوف الأحماض الأمينية، فعندما تطبق حسابات احتمال متشابهة على تلك الجزئيات العملاقة فإننا نرى أنه حتى كلمة مستحيل هي غير كافية. إذا كان التشكل المصادف حتى الواحد من هذه البروتينات غير ممكن فهذا أكثر ببلايين المرات مستحيل لحوال مليون من هذه البروتينات لتأتي بالمصادفة معاً في زخرفة منتظمة وتصنع خلية بشرية تامة، والأكثر من ذلك فالخلية ليست مجموعة من البروتينات فقط بل بالإضافة لذلك فهي تتضمن أحماضا نووية وكربوهيدرات وليبيدات وفيتامينات وكثيرا من الكيماويات الأخرى مثل الكهرليتات، إنّ كلا من هذه المكونات مرتب بتناسق وبتصميم ذي نسب محددة في النوع والتركيب والوظيفية، بحيث يكون لكل منها عمله كقطعة بناء أو كعنصر في العضيات المختلفة والمتعددة. هكذا نرى أنّ التطور غير قادر على تفسير التشكل حتى لبروتين واحد من ملايين وذلك ضمن الخلية الواحدة، فكيف يمكن تفسيره لكامل الخلية؟ الأستاذ الدكتور- على ديمرسوري - وهو واحد من مفكري هيئة التطور في تركيا ناقش في كتبه (الوراثة والتطور) احتمال التشكل بالمصادفة لأحد الأنزيمات الضرورية للحياة وهو (سيتوكروم - سي). وقال : إنّ احتمال تشكل سلسلة (سيتوكروم، سي) تشبه الصفر وتماثله، أي : إنّ الحياة إذا تطلبت تتابعاً (سلسلة) ما فمِن الممكن القول : إنّ احتمال حدوث ذلك يماثل إطلاق طلقة في هذا الكون، وإلا (بطريقة أخرى) يوجد قدرات خلق طبيعية (ميتافيزيائية) وهي خلق قدراتنا، هي التي يجب أنْ تعمل في تشكيلها، ولقبول الأخير فهذا غير مناسب للعلم وأغراضه، لذلك يجب أنْ نبحث في الفرضية الأولى. بعد تلك السطور فإنّ - ديمرسوري - قَبِلَ هذا الاحتمال بسبب كونه أكثر ملائمة لإغراض العلم رغم أنه غير حقيقي. [إنّ احتمال الحصول على سلسلة حمض أميني معين (لسيتوكروم سي) يماثل إمكانية قرد يكتب تاريخ البشرية على آلة كاتبة وبشكل عشوائي] إنّ التتابع الصحيح للأحماض الأمينية الملائمة هي ببساطة ليست كافية لتشكل جزيء بروتين واحد والموجود في شيء حي، بالإضافة لذلك يجب أنْ تكون كل النماذج المختلفة لعشرين من الحمض الأميني والموجودة في تركيب البروتين يسارية، فمن الناحية الكيميائية يوجد نموذجان مختلفان من الأحماض الأمينية تدعى يسارية ويمينية، والاختلافات بينهما هو التناظر المرئي لتركيبهما الثلاثي الأبعاد، وهذا يشابه حالتي اليد اليمنى واليد اليسرى عند الإنسان ويوجد نموذجا من هذه الحموض الأمينية بأعداد متساوية في الطبيعة، وهما قادران على الترابط معا بشكل جيد وكل واحد مع الآخر، وعلاوة على ذلك اكتشفت الأبحاث حقيقة مذهلة ، وهي أنّ جميع البروتينات الموجودة في تركيب الأشياء الحية مكونة من حموض أمينية يسارية وحتى الحموض الأمينية الواحد اليميني المرتبط بتركيب بروتين فإنّه يكون هزيلا عديم الجدوى. دعنا نفرض للحظة أنّ الحياة أتت للوجود بالمصادفة كما يزعم التطوريون ففي هذه الحالة يتشكل في الطبيعة أحماض أمينية يسارية ويمينية وبأعداد متساوية تقريبا، والسؤال الآن هو كيف تستطيع حتى واحد من الأحماض الأمينية اليمنى أنْ تصبح محتواة في عملية الحياة؟ وهذا شيء مازال يربك التطوريون. في الموسوعة البريطانية يوجد دفاع متحمس عن التطور، ففي كتب المؤلفين فيها بينوا أنّ الأحماض الأمينية لكل العضويات الحية على الأرض وكذلك القطع البناءة للبولوميرات المعقدة مثل البروتينات لها التناظر اليساري ذاته، وأضافوا أنّ ذلك يساري ويقابل عملية قذف قطعة نقدية في الهواء مليون مرة و دائما تأتي على الصورة نفسها، وفي

الموسوعة نفسها صرح المؤلفون أنه ليس بالإمكان فهم لماذا الجزئيات تصبح يسارية أو يمينية؟ وأنّ ذلك الاختيار ساحر (فاتن) ويتعلق بمصدر الحياة على الأرض. ليس كافيا على الأحماض الأمينية أنْ تترتب بأعداد صحيحة وبتتابع صحيح وبالأشكال الثلاثية الأبعاد المطلوبة، لكن تشكيل البروتين يتطلب أيضا أنْ تكون جزئيات الحمض الأمينية التي لها أكثر من ذراع واحد أنْ تترابط مع بعضها بأذرع معينة بالضبط، وتدعى مثل تلك الرابطة (بالرابطة الببتيدية)، والأحماض الأمينية تستطيع أنْ تصنع روابط مختلفة مع بعضها بعض، لكن البروتينات تشمل فقط الأحماض الأمينية التي تنظم مع بعضها بروابط ببتيدية. بينت الأبحاث أنّ (50%) فقط من الأحماض الأمينية تتحد بشكل عشوائي وبرابطة ببتيدية والباقين يرتبطون بروابط ليست موجودة في البروتينات، ولكن تعمل بشكل أنسب فإنّ كل حمض أميني يدخل في صناعة البروتين يجب أنْ يتصل بأحماض أمينية أخرى بروابط ببتيدية كما لو أنه يتم اختيارها من بين اليساريات فقط، وبدون أيّة تساؤلات لاتوجد آليات تحكم لاختيار وترك الأحماض الأمينية اليمنى وأنْ تتأكد بذاتها أنّ كل حمض أميني يصنع رابطة ببتيدية مع غيره. تحت هذه الظروف فإنّ احتمال امتلاك جزيء بروتيني متوسط لخمسمائة حمض أميني ترتب نفسها بكميات وبتتابعات صحيحة. بالإضافة لتلك الاحتمالات يجب أنْ تكمن الأحماض الأمينية يسارية فقط وتتحد معا بروابط ببتيدية فقط ويكون ذلك الاحتمال لوجوده في التتابع الصحيح (الملائم):

$1/20^{500} = 1/10^{650}$

احتمال وجوده يساريا:

$1/20^{500} = 1/10^{150}$

احتمال اتحاده مستعملا الرابطة الببتيدية:

$1/2^{499} = 1/10^{150}$

الاحتمال الكلي:

$1/10^{950}$ أي هو احتمال واحد من 10^{950}

وكما ترى في الأعلى فإنّ احتمال تشكل جزيء بروتين واحد يحتوي خمسة أحماض أمينية هو واحد مقسوم على عدد مكون بوضع (950) صفرا بعد الواحد، وهو رقم غير مدرك لعقل الإنسان، وهذا فقط احتمال على ورق لكن عمليا فإنّ مثل ذلك الاحتمال هو الصفر مصادفة حقيقية، وفي الرياضيات الاحتمال الأقل من واحد على (10^{50}) يعتبر صفرا حقيقة. بينما الاحتمالية لتشكل جزيء مصنوع من خمسة حموض أمينية يصل لمثل هذا المدى، ونحن نستطيع أنْ نتقدم أكثر وأنْ ندفع حدود العقل لمستويات أعلى من الاحتمالية، ففي جزيء الهيموغلوبين وهو بروتين نشط فعال ويضم خمسمائة وأربعة وسبعين حمضا أمينيا وهوأكبر بكثير من عدد الحموض الأمينية التي شكلت البروتين المذكور في الأعلى، ولنعتبر الآن ما يلي: يحتوي جسمك على بلايين الكريات الحمراء، وفي الكرية الواحدة من تلك الكريات الحمراء يوجد 280000000 أي (280مليون) جزيء هيموغلوبين، فالعمر الوسطي الافتراضي للأرض سوف لن يكون كافياً ليحتمل تشكل حتى بروتين واحد وبطريقة التجربة والخطأ، فكيف من أجل كرية دم حمراء واحدة، والاستنتاج من كل هذا هو أنّ التطور فشل وسقط في هاوية رهيبة من الاحتمالية وبالضبط في مرحلة تشكل بروتين واحد فقط.

****

جزيء DNA آية من آيات الله

إنّ خلية في جسدنا تتكاثر بالانقسام ولابد من نسخ الحامض النووي (DNA) الذي داخل نواة الخلية عند الانقسام، وعملية الانقسام هذه تتم وفق نظام دقيق لا قصور فيه، يصيب الإنسان بحالة انبهار، فجزيئة (DNA) تشبه سلما حلزونيا يحتوي على ثلاثة مليارات حرف تعد مركزاً للمعلومات، ويأتي أنزيم اللولب (هليكاز) إلى موقع الانقسام عند بداية عملية الانقسام فينقسم السلّم الحلزوني (DNA) إلى شريطين بعد حل اللولب المزدوج، ويتم انفصال الشريطين عن بعضهما بكسر الروابط الهيدروجينية الموجودة بين القواعد المزدوجة في الشريطين، وفي النهاية يفترق وجها(DNA)عن بعضهما البعض بشكل (هيلكس) الذي دخل في بعضهم البعض. يقوم (DNA) بوظيفة في الوقت المناسب ودون تأخير وبغير تخاذل أوإهمال،ودون أدنى خطأ يذكر، كما لا يصاب (DNA) بأي ضرر ولو بسيط، أما الآن فلقد جاء دور أنزيم (بوليميراز) فوظيفته تكملة وجهي الـ (DNA) اللذين انقسما إلى شريطين بشريط آخر لجعلها وحدة متكاملة.

الأنزيم المكون من ذرات الذي يُتوقع أنْ يكون له عقل وعلم ووعي يستطيع أنْ يثبت المعلومات اللازمة التي تأتي بها من أماكنها في الخلية وصفِّها في موقعها الصحيح لتكملة النصف الثاني، ويكون (DNA) خلال هذه العملية دقيقا كل الدقة حيث لا يوجد أدنى خطأ خلال العملية وبدقة متناهية جدا يثبت ثلاثة مليارات حرف الواحد وراء الآخر، وفي نفس اللحظة يقوم أنزيم (بوليميراز) آخر بنفس العملية لتكملة النصف الآخر (DNA) بينما يحدث كل هذا تمسك أنزيمات الربط (DNA) من أطرافها لكي لا يحدث اختلاط بين جزأين منفصلين في شريطي (DNA) . كما نرى فإنّ كل أنزيم يعمل من خلال تنظيم

عسكري صارم جدا خلال عملية استنساخ (DNA) الذي يحتاج إلى العقل والعلم للقيام بهذه العملية الدقيقة. هل لكم أنْ تتصوروا القيام بنسخ كتاب يحتوي على ثلاثة مليارات حرف عن طريق الآلة الكاتبة من غير أنْ يحدث خطأ في حرف من الحروف ؟ طبعا هذا مستحيل ... فبدون شك لا بد أنْ يحدث خطأ في النسخ ولو بسيط. وعلى الرغم من ذلك فإنّ انصار الدارونية يزعمون أنّ العمليات التي تقوم بها الأنزيمات ومليارات المعلومات الموجودة في (DNA) خلال الاستنساخ و التنظيم الهائل الذي لا خلل فيه يتم بمحض المصادفة العشوائية، إنّ اعتقاد أنصار النظرية بمثل هذه الظنون التي لا يصدقها عقل حدث ضخم مثير للاهتمام بل إنّه خارق للعادة. ونحن نجد أنّ السبب الوحيد لإيمانهم بهذه المعتقدات الخاطئة العمياء، ونشرها هو تمسكهم بالإلحاد وتمردهم على الاعتراف بوجود الله ومشيئته.

****

التصميم الشكلي للخلايا

يوجد في الإنسان حوالي مائتي نوع من الخلايا تقريبا مختلفة الأشكال، ومن أهم وأبرز هذه الاختلافات هي التي توجد بين خلايا الأعصاب وخلايا العضلات وخلايا الدم في الشكل، فإنّ كل هذه الخلايا على الرغم من أنظمتها تتفق في الأساس، إلا أنّ تصميمها البارع يجعلها تقوم بوظائفها على أكمل وجه وبكفاءة عالية كلٌّ في موقع عمله . فأمامنا نموذجان لخلايا مختلفة الشكل وهما خلايا الأعصاب وخلايا الدم، فخلايا الأعصاب يمتد طولها إلى المتر تقريبا، وتبدأ من العمود الفقري وتنتهي عند القدم، وبذلك تصل الأوامر والإنذارات من المخ إلى مواقعها المطلوبة مارّة بالخلايا على خط واحد مستقيم في أقصر وقت ممكن أي : بسرعة فائقة جدا. أمّا خلايا الدم فيصل طولها إلى 7 ميكرومتر على عكس ما كان عليه شكل خلايا الأعضاء . هذا الحجم المتناهي في الصغر يجعلها تمر بسهولة من خلال الشعيرات الدموية حيث أصبح وجها الخلايا على هيئة أسطوانة صغيرة جدا مجوّفة من الداخل، مما يجعل الخلية ذات مساحة واسعة من الداخل يسمح لها بعملية استنشاق الأوكسجين (O) وطرد ثاني أكسيد الكربون (CO2) بصورة عالية جدا، ولو تخيلتم وجود ملايين الخلايا في كل متر مكعب منا للدم فسوف لا يصل تصوركم إلى حجم المساحة التي تتم فيها عملية أخذ الأوكسجين . وكذلك فإنّ الخلايا الموجودة في أعيننا وآذاننا تتميز على حسب أشكالها ، الذي يوجد في الأذن الداخلية هو عبارة عن خلايا تتكون من شعيرات صغيرة جدا، تتذبذب هذه الشعيرات بتأثير الموجات الصوتية وتعمل بتحويل الموجات الصوتية وتعمل بتحويل ضغط الموجات إلى السائل الذي يوجد في الأذن إلى إنذار عصبي، والخلايا الموجودة في شبكية العين مخلوقة لتؤدي وظيفتها بأحسن صورة ممكنة، فخلايا الشبكية ذات الشكل المخروطي تحتوي على العديد من الأغشية لتسهيل الاتصال العصبي وتحتوي كذلك على صبغات عديدة حساسة تجاه الضوء، إنّ هذا التركيب يكسب خلية الشبكية حساسية عالية تجاه الضوء. وهذا النظام يكسب كل خلية من الخلايا مستوى عالي من الكفاءة لكي تصبح حساسة جدا. وهناك أيضا خلايا ماصّة للأغذية داخل الأمعاء الرفيعة صممت هيئتها على حسب وظيفتها لتكون مناسبة للقيام بهذه الوظيفة. فيوجد فوق كل خلية غطاء من الشعيرات المجهرية المسماة ب(المكرووفيلي) والجزيئات الناقلة التي تقوى على هذه الشعيرات التي تأخذ ما تحتاج إليه من غذاء وتطرد الفائض عن حاجتها ، وبذلك يتم طور هام من أطوار هضم الغذاء. ويجب ألا ننسى أنّ جميع الخلايا في جسم الإنسان تكونت عن طريق الانقسام والتكاثر داخل الخلية الواحدة. ولهذا فهل يعقل أنّ الخلايا هي التي اختارت الأشكال المناسبة لتأدية الوظيفة المطلوبة بكفاءة عند بناء الجسم. فلا أدلّ من هذا على أنّ الله وحده سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأشكال اللازمة والمناسبة لتؤدي وظيفتها بكفاءة عالية.

****

خلايا تنتحر كي لا تصيب الجسم بأي ضرر

هناك بعض الخلايا في جسم الإنسان لم يعد إليها حاجة أو تكون مريضة أو مصابة، فهذه الخلايا تتلف نفسها بنفسها، ومعظم الخلايا تقوم بتوليد البروتينات الكافية لقتلها، ولكن هذه البروتينات لا تكون مؤثرة طالما كانت الخلية مفيدة للجسم وتمارس وظيفتها بشكل إيجابي إلا أنّ هذه البروتينات القاتلة أو ما نستطيع تسميتها بـ : آلة الموت داخل الخلية ـ تبدأ في العمل فقط عندما تصبح الخلية مريضة أو في حالة إبدائها سلوكا غريبا أو في حالة كون وجود الخلية يعرض جسم الكائن الحي إلى خطر أكيد . ومن الأهمية بمكان أنْ تقرر الخلية الانتحار في الوقت المناسب تماما، وإلا فإنّ بدء البروتينات القاتلة في التأثير سيسبب موت الخلية السليمة حتما، وهذا يعني استمرار موت الخلايا السليمة في الجسم وبالتالي هلاك الكائن الحي. وكذلك استمرار الخلايا المصابة في الحياة يؤدي إلى أضرار تستفحل باستمرار وتقود في النهاية إلى الموت، وهذه الخلية التي تقرر الانتحار، وتسمح لبروتيناتها القاتلة في العمل، وتبدأ أولا بالانكماش كي تعزل نفسها عن الوسط الموجودة فيه، ومن ثم تظهر فقاعات على سطح الخلية فتبدو كأنها تغلي. وبعدها تبدأ النواة ثم سائر أجزاء الخلية في الانقسام إلى أجزاء متعددة. وتتلف الفضلات الناتجة عن الانتحار في الحال بواسطة الخلايا السليمة الأخرى و الموجودة في منطقة الخلية المنتحرة، والغريب هنا أنّ الخلايا المنتحرة والميتة لا تتلف كلها بل يتم الإبقاء على بعضها، لأنّ في ذلك فائدة لجسم الكائن الحي، وعلى سبيل المثال فإنّ عدسة العين والجلد والأظافر، كل هذه تراكيب تتألف من أنسجة ميتة ولكن وجودها مهم لجسم الكائن الحي، لذلك لا يتم

إتلافها من الخلايا الميتة التي لا تزال ذات فائدة. ما الذي جعل الخلية السليمة تستطيع أنْ تميز بهذا الشكل العجيب؟ مَن الذي أوحى للخلية السليمة بأنّ ثَمَّة خلية قد تلفَتْ وأصبحت تشكل خطرا على الجسم؟ من خلال ما تقدم يتضح لنا أنّ الخلايا الحية مبرمجة على أداء وظائفها الحياتية على أحسن صورة وهو ما يسمح باستمرار حياة الكائن الحي . ولكن مَن صاحب هذا النظام الخارق. إنّ دعاة نظرية التطور لا بد وأنهم مصابون بالعمى المزمن لأنهم لم يكفوا عن التأكيد بأنّ المصادفة العمياء هي التي أودعت هذا النظام الخارق في الخلية. ولكن الذي لا شك فيه أنّ الله تعالى بقدرته التي لا مثيل لها، وبعلمه الذي لا حد له يتجلى بكل وضوح عند النظر في مخلوقاته .

****

الخلايا الحية تؤدي رسالتها

تهيئ دراسة الخلايا الحية لنا خبرة عجيبة، فإذا فحصت طرف وريقة صغيرة من وريقات العشب المائي الذي يسمى(الإيلوديا) تحت العدسة الكبرى للمجهر، فسوف تلاحظ مظهرا من أكثر مظاهر الحياة انتظاما وأروعها جمالا. فلكل خلية من خلاياها تركيب رائع، ويبلغ سمك الورقة عند طرفها طبقتين من الخلايا. وتستطيع أنْ تحرك قصبة المجهر رفعاً وخفضاً حتى نرى كل خلية من خلايا هاتين الطبقتين على حدة، وتدرك أنّها وحدة قائمة بذاتها، كما يلوح أنّ كل خلية من هذه الخلايا الطبقيتين على حِدة تستطيع أنْ تؤدي جميع وظائف الحياة مستقلة عن غيرها من الخلايا الأخرى المشابهة لها. ويفصل الخلايا بعضها عن بعض جدران ثابتة متماسكة. وتتكون الورقة من آلاف من هذه الخلايا المتراكمة التي تبدو كأنها بنيان مرصوص. أمّا النواة فترى بصعوبة على صورة جسم رمادي باهت تبرز فيه الفجوة العصارية التي تشغل مركز الخلية . ويحيط بالنواة شريط من الحشوة (السيتوبلازم) الذي يحيط بالفجوة. ويفصل الحشوة (السيتوبلازم) عن الجدار الخارجي للخلية غشاء رقيق، لا نستطيع أنْ نراه تحت الظروف المعتادة بسبب ضغط الفجوة العصارية عليه والتصاقه بالجدار. أمّا فحص الخلايا بعد أنْ تغمر الورقة فترة من الزمن في محلول مركز من ملح الطعام، فإنه يسهل مشاهدة هذا الغشاء ، لأنّ انغمار الورقة في محلول الملح يسبب فقدانها لبعض الماء الذي بفجوتها العصارية، مما يترتب عليه انكماش محتويات الخلية وابتعاد الغشاء عن الجدار. وعندئذ يقال للخلية إنّها تبلزمت. وفي الخلية حركة وهي حركة لا يمكن أنْ ينبيء عنها ما يبدو على ظاهر الورقة من السكون. ففي داخل شريط الحشوة (السيتوبلازم) الرقيق الذي أشرنا إليه، أجسام دقيقة خضر تسمى البلاستيدات الخضر، وهي لا تسبح في الحشوة (السيتوبلازم) أو تتدفع داخله كما الحيوانات المجهرية الصغيرة داخل الماء، وإنّما تتهادى كما تتهادى السفن الصغيرة يجرفها تيار الماء في خضم بحر. إنّه الجبلة (البروتوبلازم) ذو التركيب المائي والحيوي الفياض، هو الذي يتحرك. وهذا البروتوبلازم هو مركز الحركة والحياة في جميع الكائنات الحية. وتعتبر حركة الجبلة (البروتوبلازم) في خلايا نبات (الإيلوديا) مظهرا من مظاهر الحياة. أما القوة أو القوى التي تجعل هذه الجبلة (البروتوبلازم) يتحرك والتي ينشأ عنها التيار المستمر فهي مالا نعرفه معرفة اليقين ومالا نستطيع أنْ نفسره في حدود معرفتنا الحالية تفسيرا صحيحا. ولكننا نشاهد هذه الحركة البروتوبلازمية هنا وهناك في عالم الأحياء من حيوان ونبات ، وتعرف هذه الظاهرة تدفق الحشوة (السيوتوبلازم) وتعرف في نبات (الإيلوديا) بالذات بدوران الحشوة (السيتوبلازم) بسبب ما يشاهد من حركة البلاستيدات الخضر داخل خلاياها حركة دائرية مستمرة. وإذا وضعت قطرة من ماء مزرعة حيوانات أولية تشتمل على الأميبا فوق شريحة زجاجية دافئة، ثم فحصتها بالمجهر، فإنك تستطيع أنْ تشاهد أنّ الجبلة (البروتوبلازم) يتحرك حركة عجيبة، فالأميبا لا تسبح في الماء ولاتطفو على سطح قطرة الماء أو تندفع في جوفها ولكنها تتحرك كما لو كانت تنسكب أو تسيل. أمّا جسم الأميبا فهو كتلة عارية من البروتوبلازم يتحرك حركة عجيبة، وهو يختلف عن الخلية النباتية فأنه لا يحيط به من الخارج جدار صلب، بل مجرد غشاء رقيق يحدد جسمه. كلما تحركت الجبلة(البروتويلازم) في اتجاه من الاتجاهات، أطاعه ذلك الغشاء وتحرك معه في نفس الاتجاه. وبذلك يتغير شكل الحيوان وتتكون له زوائد لا تلبث أنْ يتغير شكلها بعد قليل. وبهذه الطريقة يتحرك الحيوان وتتكون له زوائد لا تشبه الأقدام، والتي تسمى بسبب ذلك {الأقدام الكاذبة}.ومن الممكن استخدام القوة المكبرة العظمى لمشاهدة الحشوة (الستوبلازم) عند اندفاعه في الأقدام الكاذبة، ولكي نشاهد أنّ جسم الحيوان يتكون من طبقتين من الجبلة(البروتوبلازم) يختلفان في كثافتيهما. أمّا إحداهما فهي كتلة شفافة مائية دائمة الحركة، وأمّا الأخرى فهي كتلة هلامية نصف صلبة تحيط بالطبقتين السابقة إحاطة تامة، ويعتقد بعض العلماء أنّ الاختلاف في كثافة هاتين الطبقتين هو الذي يساعد على حدوث الحركة. فالطبقة الخارجية تضغط على الداخلية فتجعلها تندفع في اتجاه معين مكونة تلك الأقدام الكاذبة. ويعتقد آخرون أنّه يمكن تفسير الحركة على أساس نظرية التوتر السطحي، وهي نظرية يدرسها طلاب الجامعات عند بداية دراستهم للأحياء، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أنْ نبين لهم أسبابها. وحتى إذا سلمنا بالتفسير الأول لحركة الأميبا فينبغي أنْ نعترف بأننا لا نعرف شيئا عن عمليات التحول الغذائي التي تسببها هي الأخرى. هذان طرازان من الخلايا يختلفان عن بعضهما اختلافا كثيرا، أحدهما من نبات أخضر والآخر فرد حيواني، وكل منهما يتكون من خلية بسيطة. وتعرف الأميبا بين علماء الحيوان بأنها أبسط الحيوانات تركيبا. والواقع أنّ حركة الجبلة البرتوبلازم فيها تعتبر أبسط أنواع الحركة في المملكة الحيوانية. أمّا (الإيلوديا) فبرغم أنّها نبات زهري بسيط، فإنّ خلاياها غير متخصصة أو

متنوعة كما هو الشأن في كثير من النباتات الأخرى، فهي على التحقيق خلايا بسيطة. ومع ذلك فإنّ كل خلية من هذه الخلايا، إنّما هي جهاز معقد، يقوم بطريقته الخاصة بجميع الوظائف الضرورية المعقدة للحياة، ومنها الحركة التي شاهدنا أحد مظاهرها. وتؤدي كل خلية من الخلايا وظائفها الحيوية العديدة بدرجة من الدقة يتضاءل بجانبها أقصى ما وصل إليه الإنسان من دقة في صناعة الساعات الدقيقة. وبمناسبة الحديث عن الساعات فقد توصل الإنسان إلى صناعة ساعات بالغة الدقة والروعة، يستطيع بعضها أنْ يمتليء بطريقة آلية عندما يحرك الإنسان يده التي تحمل الساعة . ولا يمكن أنْ يتصور العقل البشري أنّ آلة دقيقة كالساعة قد وجدت بمحض المصادفة، دون الاستعانة بالعقل المفكر واليد الماهرة، أو أنّ تلك الساعة الأوتوماتيكية التي تدور من تلقاء نفسها قد صنعت نفسها أو أخذت تتحرك دون أنْ يبدأ أحد في تحريكها فإنّه يستحيل علينا أنْ نفسر كل ذلك ما لم نسلّم، عن طريق العقل والمنطق، أنّ وراء كل ذلك عقلا وتدبيرا. هذا العقل وهذا التدبير وتلك القوة التي تعجز عنها المادة العاجزة عن التفكير والتدبير ليست إلا من مظاهر قوة الله وحكمته وتدبيره. حقيقة أنّ هناك بعض القوى والمؤثرات الخارجية الموجودة في البيئة والتي تؤثر في حركة الجبلة داخل الخلايا، فبعض الباحثين يشير إلى درجة الحرارة، وربما الضوء أو الضغط الأسموزي، أو غير ذلك من المؤثرات التي تؤثر فعلا في حركة البروتوبلازم دائبة لا تنقطع، حتى عندما يزول أثر جميع هذه المؤثرات. ومعنى ذلك أنّ جانباً على الأقل من أسباب هذه الظاهرة يرجع إلى الجبلة ذاتها. فمن المحال إذن أنْ نفسر ظواهر الحياة على أنّها مجرد استجابات لبعض المؤثرات الخارجية وبهذه المناسبة نحن نعلم أنه عندما نشطر خلية حية إلى نصفين بطريقة التشريح الدقيق بحيث تكون النواة في أحد القسمين دون الآخر، فإنّ القسم الخالي من النواة يموت بعد قليل. وقد أخفقت جميع الجهود التي بذلت للاحتفاظ بها حيا. وعلى ذلك فإنّ النواة هي التي تنظم العمليات الحيوية في الخلية وتسيطر عليها، فإذا زال هذا الإشراف توقفت الحياة. وهكذا نرى أنّ خالق هذا الكون ومنظمه يعتبر ضروريا لخلق الخلية والإنسان، بل لخلق العقول المفكرة التي تبحث عن الحقيقة وعن السبب الأول.

****

آيات عظمة الله في الكبد

لا يستطيع أحد أنْ يدّعي أنّ وجود معمل مجهز كامل ذي تكنولوجيا عالية المستوى ما هو إلا نظام عفوي فطري، ولكن المثير للسخرية أنّ أنصار الداروينية يدّعون بأنّ المعمل المتكامل الذي يوجد داخل الكبد خُلق من نفسه، ويدافعون عن ذلك الهراء بغير دليل وهذا من أوضح الأدلة على أنّ الداروينية دين باطل وسحر مبين تسيطر على عقول أتباعها . تحدث في الخلية الكبدية الواحدة ما يقرب من خمسمائة تفاعل كيميائي مختلف، وإلى الآن من الصعب تقليد كثير من هذه العمليات التي تتم بأسلوب رفيع المستوى خلال واحد من ألف من الثانية . ثم إنّ الخلايا داخل الكبد تحوّل كل الغذاء الذي تتناوله إلى جلوكوز حسب احتياج الخلايا إلى الطاقة، وتخزن السكر . الذي لا يستهلك في صورة دهون تحت الجلد، فتتحول الدهون والبروتينات إلى سكر عندما يتعرض الجسم إلى نقص في السكر.
فالخلاصة: إنّ الكبد يحول الغذاء الذي تتناوله بشهية إلى مواد حسب احتياجات جسدنا ويخزن الباقي ، لذا فإنّ بلايين الخلايا الموجودة في الكبد تعمل بنفس الوعي والعلم دون الوقوع في أخطاء منذ بداية الخليقة إلى يومنا هذا.

****

آيات الله في كلية الإنسان

حديثنا عن أعظم مرشح ومنظم للسائل الحيوي في العالم، إنها كلية (kidney) الإنسان، تلك الكلية التي تحافظ على الاتزان في الجسم البشري عن طريق: ـ استخلاص المواد الإخراجية من الدم وإخراجها في البول. وعن طريق تخليص الدم من الماء الزائد، وبذلك تحافظ على نسبة الماء في الدم ثابتة مما يثبت الضغط الأسموزي للدم، وعن طريق المحافظة على مكونات الدم الرئيسة مثل خلايا الدم والجلوكوز والأملاح وغيرها. وكذا المحافظة على التوازن الحامضي القاعدي للدم بحيث تجعل الأس الأيدروجيني ph الدم عند مستوى (7,4) وذلك بإعادة امتصاص الصوديوم والبوتاسيوم والبيكربونات والفوسفات. كما تحافظ الكلية على التأثير الأسموزي للدم وإحداث التوازن بين المحتوى الملحي للدم والمحتوى الملحي للخلايا وإخراج الكميات الزائدة منه. وكل هذه العمليات المعقدة والضرورية لحياة الإنسان تتم في كليتي الإنسان ذات الشكل الكلوي المعهود والتي يغذيها الشريان الكلوي الذي يدخل إلى الكلية ويتفرع فيها ليمر جميع الدم على وحدات الترشيح والتنقية في الكلية ويخرج فيها الوريد الكلوي الذي يحمل الدم المنقى بالكلية ليصب في الوريد الأجوف السفلي الذي يصب في القلب ويخرج من كل كلية أنبوب ضيق يسمى بالحالب ينقل البول وما يحتويه من الكلية إلى مخزن البول وهو المثانة البولية وتخرج من المثانة قناة مجرى البول الذي يحمل البول بعيدا عن الجسم. وإذا أردت أنْ تعرف عظمة الخالق في الشكل الظاهري للجهاز البولي السابق وصفه عليك أنْ تنظر إلى جمال جسم الإنسان وعدم رؤية كل هذه المجاري فهي قد وضعت بإتقان وحكمة وجمال

واتزان داخل جسم الإنسان. وإذا أردت المزيد قم بزيارة إلى قسم المسالك البولية في إحدى المستشفيات لترى العجب العجاب لمَن يعانون من مشكلات في الكلية والمثانة والعضلات المتحكمة في البول لتشكر الله على هذا الوضع الدقيق والأنيق والنظيف والمبدع للكليتين والحالبين والمثانة وتجميع البول وإخراجه. وقد أحاط الله سبحانه وتعالى الكليتين بكمية من الدهن المثبت والمحيط بها يتلقى عنهما الصدمات ويحميهما ويثبتهما في مكانهما أثناء المشي والجري واللعب والاستحمام، والقفز، والجلوس والنوم، والصلاة ، ولعب الرياضة وباقي مناشط الحياة. أما التركيب التشريحي والداخلي للكلية فإنها من بدائع صنع الله وخلقه حيث تحاط الكلية من الخارج بالقشرة المحتوية على أجسام صغيرة كروية الشكل تظهر كالحبيبات تسمى كريات ملبيجي تصل عددها إلى حوالي مليون يخرج منها أنابيب تسمى بالأنابيب الكلوية توصل كريات ملبيجي بحوض الكلية وتنقسم تلك الأنابيب الكلوية في منطق القشرة إلى: الأنابيب الملتفة القريبة والأنابيب الملتفة البعيدة ويلي القشرة منطقة النخاع وهي المنطقة الوسطى في الكلية ، وتظهر فيها خطوط طفيفة مستقيمة هي الأنيبات الجامعة تنتهي على شكل هرمي يسمى بأهرامات ملبيجي تفتح في نهايتها الأنيبات الجامعة. ويلي النخاع للداخل حوض الكلية وهو المنطقة الداخلية من الكلية، وهو تجويف متسع تصب فيه الأنيبات الجامعة قطرات البول، ومن هذا التجويف يحمل الحالب البول إلى المثانة حيث يخزن إلى وقت إخراجه والتخلص منه. وتحتوي الكلية حوالي مليون وحدة فسيولوجية تسمى بالنفرون وإذا فردنا نفرونات كل كلية يصل طولها إلى 380 متر يدور فيها الدم لاستخلاص البول والمواد الأخرى منه. ويتكون كل نفرون من جزء متضخم يسمى محفظة بومان يحيط بكمية متجمعة غزيرة من الشعيرات الدموية تسمى الكبة أو الجمع ويسمى الجمع والمحفظة بكربة ملبيجي تخرج من كربة ملبيجي أنبوبة دقيقة هي الأنيبة البولية توصل كريات ملبيجي بحوض الكلية وتنقسم الأنيبة البولية الواحدة إلى الأجزاء التالية: 1-الأنيبة الملتفة القريبة تقع قريبا من كرية ملبيجي في منطقة القشرة. 2-الفرع النازل على شكل حرف Uتسمى لفة هنل يتجه للنخاع. 3-الفرع الصاعد من لفة هنل الذي يتجه مرة أخرى إلى الخارج في منطقة القشرة. 4- الأنيبة الملتفة البعيدة وهي أنبوبة ملتفة في منطقة القشرة. 5-الأنيبة الجامعة : وهي أنبوبة مستقيمة تصب فيها الأنيبة الملتفة البعيدة وتوجد في منطقة النخاع تتحد هذه الأنيبات مع أخرى أكبر وأكبر وتصب في النهاية في نهاية هرم مالبيجي. وهذا التركيب الدقيق لم يخلق عبثا ولكنه خلق لغاية مقدرة وبحكمة بالغة تتضح في كيفية عمل الكلية.

تكوين البول: يتكون البول في الكلية في عمليات ثلاث رئيسة هي: 1-عملية رشح لبلازما الدم تحت ضغط خلال الشعيرات الدموية في كرية ملبيجي. 2-عمليتا إعادة امتصاص وإفراز تقوم بهما خلايا الأنيبة البولية ينتج عنها تكوين البول في شكله النهائي.

1- عملية الرشح تحت ضغط: وهي الخطوة الأولى في تكوين البول وتتم في كريات ملبيجي في منطقة الجمع أو الكبة التي يتجمع فيها أعداد كبيرة من الشعيرات الدموية الذي يجعل سطح الرشح كبيرة جدا حيث تنتقل المواد الموجودة في بلازما الدم تحت الضغط إلى تجويف محفظة بومان وقد تلاءم تركيب كريات ملبيجي مع وظيفته من رقة الجدر وكثرة الالتفاف. فمَن هيأ هذا التركيب المعجز لهذه الوظيفة المعجزة التي يتوقف عليها حياة الإنسان؟ وقد هيأ الله سبحانه وتعالى قوى الضغط الهيدروستاتي للدم والضغط الأسموزي وضغط الأنسجة للقيام بهذه الوظيفة حيث يساوي الضغط داخل الكلية 70مجم/زئبق ويؤدي ارتفاع الضغط هنا إلى دفع المواد الموجودة في بلازما الدم إلى تجويف محفظة بومان وبذلك تتلاءم كرية ملبيجي مع الوظيفة التي خلقت من أجلها وهنا ترشح كل مكونات بلازما الدم ما عدا البروتين فهو يحتوي: الماء والجلوكوز والأملاح والفضلات النيتروجينية وأي مواد أخرى في بلازما الدم كبقايا الأدوية يمكن نفاذ جزيئاتها مع الرشيح الذي يسمى برشح الكلية أو سائل المحفظة والذي يصل حجمه إلى 180 لتر في اليوم الواحد.

2-عمليتي إعادة الامتصاص: أ- عملية إعادة امتصاص بالانتشار والنقل النشط.

ب - عملية الإفراز: حيث يتم إرجاع 99% من الماء الراشح إلى الدم ويسمح فقط بخروج 1% من الماء إلى البول وتقوم خلايا الأنيبة الملتفة القريبة بهذا الامتصاص والإرجاع للماء. وتمتص خلايا الأنيبة القريبة أيضا الجلوكوز والبوتاسيوم وبعض الصوديوم والفوسفات والبيكربونات والأحماض الأمينية والبروتينات التي قد تنفذ إلى تجويف محفظة بومان. من هنا فانّ البول غير المرضي لا يحتوي الجلوكوز. وللكلية حد أقصى لامتصاص السكر بما يسمى بالعتبة الكلوية وهي كل ما زاد عن 150 ملجم جلوكوز في الدم فانّ زاد تركيز الجلوكوز في البول عن العتبة الكلوية أي 150 ملجم فإنه يظهر في البول ويحتاج طرد هذه الكمية إلى كميات زائدة من الماء وهذا ما يحدث عند الإصابة بمرض البول السكري . وفي لفة (هنل) تنشط خلايا اللفة لامتصاص الماء وإفراز وتركيز البولينا لذلك يصبح سائل الأنيبة مركزا بعد عبوره لفة (هنل). وتحدد الأنيبة الملتفة البعيدة كمية الصوديوم النهائية التي سوف تمتص، كما يحدد هذا الجزء الحجم النهائي للبول وينظم هذه العملية هرمون إدارة البول يفرز من سرير المخ وقشرة الغدة الكظرية وبذلك يصل البول إلى حجمه وتركيبه النهائي. وإذا اختل عمل

الكلية في الترشيح وتنظيم مكونات البول والدم احتاج الإنسان إلى عمليات غسيل الدم باستمرار وهذا شئ مكلف ومجهد كفى الله الكثير من عباده أعباءه المادية والنفسية والصحية والاجتماعية. لذلك كان عمل الكلية من العمليات المعجزة في جسم الإنسان وعلى العبد أنْ يحمد الله على هذه النعمة التي تساوي ملايين الملايين من الدولارات ولا تكافأ بمال الدنيا فالحمد لله رب العالمين.

****

القلب



قلب الإنسان أعجب وأتقن المضخات يعمل بدون توقف منذ الأسبوع الأول من وقت تلقيح الأنثى وحتى موته، ينبض عادة ما بين 60 :100 ضربة في الدقيقة، ويضخ في الدقيقة 5 لترات دم وهذه المضخة توصل الدم إلى شبكة من الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية التي إذا وضعت جنبا إلى جنب في خط مستقيم فإنّ طولها يتجاوز 60 ألف ميل .ومن الثابث علمياً إنّ أي عطب أو خلل يحدث في القلب ينعكس على كل خلايا الجسم وهذا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم :{ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدتْ فسد الجسد كله ألا وهي القلب} كما إنّ للقلب علاقة وطيدة وارتباط قوي بالمشاعر والخواطرفإذا خاف الإنسان زادت نبضات القلب وإذا حزن انقبض القلب وهكذا ففي صلاح القلب العضوي صحة الجسم وفي صلاح القلب المعنوي صلاح مشاعره وخواطره استقامة خُلق الإنسان.

القلب ليس مجرد مضخة: يقول تعالى في محكم الذكر: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [الأنفال]. في هذه الآية العظيمة إشارة إلى عمل القلب، وليس كما أخبرنا العلماء من قبل أنّ القلب مضخة فقط تضخ الدم ولا علاقة لها بالعواطف أو المشاعر. ويقول أيضاً: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" [الرعد]. ويقول أيضاً: "لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [الحج]. من هذه الآيات نستنتج أنّ الله تعالى حدد عمل القلب، فالقلب يطمئن، والقلب يمرض، والقلب يخشع ويخاف ويقسو. ويقول أيضاً: "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" [الزمر]. وفي هذه الآيات دليل على أنّ القلب يقسو ويلين، وهذه صفات مادية سوف نلمس جانباً منها من خلال الفقرات الآتية، وهي عبارة عن مؤشرات وقصص واقعية تتناولها وسائل الإعلام الغربية، وتنشرها كبريات الصحف والمجلات العلمية المتخصصة. وهذا إنْ دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ القرآن كتاب صادر من الذي يعلم أسرار القلوب، وهو القائل: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" [الحديد].

<u>من الواقع:</u> ذكرت امرأة تدعى كلير سيلفيا في 5/29عام 1988 تم زراعة قلب ورئة لها من شاب كان عمره 18 سنة مات في حادث سير، أنها بعد الزراعة أخذت تتصرف بطريقة ذكورية وتحب بعض الأكل الذي لم تكن تطيقه من قبل مثل الفلفل الأخضر والبيرة وقطع الفراخ. وعندما قابلت أهل الشخص المتبرع بالقلب تبين أنّ تصرفاتها أشبه ما تكون مرآة لتصرفات المتبرع. بعض العلماء تجاهلوا هذه القصة واعتبروها محض صدفة لكن بعضهم اعتبروه كدليل على وجود ما يدعى بذاكرة الخلية، والتي بدأت تستحوذ على الاهتمام العلمي مع تقدم تقنية زرع القلب.

<u>ذاكرة الخلية:</u> تعرف بأنّ كل خلية في أجزاء جسمنا تحتوي على معلومات عن شخصياتنا وتاريخنا، بل لها الفكر الخاص بها ، مما يؤدي عند زراعة عضو من شخص الى شخص آخر فإنه مع انتقال العضو؛ تقوم الخلايا من الشخص الأول بحمل ذاكرتها المخزنة إلى الجسم الثاني. الدليل على هذه الظاهرة يتزايد مع تزايد الأعضاء المزروعة مما دفع بعض العلماء الى بحث هذه الظاهرة بعمق.

تبادل الرسائل! وجدت د. كاندس بيرت (مؤلفة كتاب [جزيئات العاطفة]) أنّ كل خلية في الجسم والمخ يتبادلون الرسائل بواسطة أحماض أمينية قصيرة السلسلة كان يعتقد سابقا أنها في المخ فقط لكن أثبتت وجودها في أعضاء أخرى مثل القلب و الأعضاء الحيوية. وأنّ الذاكرة لا تخزن فقط في المخ ولكن في خلايا أعضائنا الداخلية و على أسطح جلودنا. ولقد قدّم د. أندرو أرمور عام 1991 مفهوم أنّ هناك عقل صغير في القلب وهو يتكون من شبكة من خلايا عصبية، ناقلات كيميائية، بروتينات، خلايا داعمة وهي تعمل باستقلالية عن خلايا المخ للتعلم والتذكر حتى الاحساس. ثم ترسل المعلومات إلى المخ (أولا) النخاع المستطيل حيث تنظم الأوعية الدموية (وثانيا) إلى مراكز المخ المختصة بالادراك واتخاذ القرار والقدرات الفكرية. ويعتقد هذا العالم أنّ الخلايا العصبية الذاتية في القلب المنقول إذا تم زرعه فإنّ هذه الخلايا تستعيد عملها وترسل إشارات من ذاكرتها القديمة الى المخ في الشخص الجديد. القلب المزروع يأتي أيضا بمستقبلات على سطح خلايا القلب والتي

هي خاصة بالمتبرع و التي تختلف عن مستقبلات الشخص الذي زرع له القلب و بذا يصبح المريض حاوياً لنوعين من مستقبلات الخلايا. هل القلب يفكر؟ يعتقد العلماء ما يدعى بنظرية (إشاعات المستشفى)على الرغم من أنّ قوانين المستشفى تحظر أي معلومات عن المتبرع فإنّ تحَدُث فريق العمل أثناء التخدير من الممكن أنّ يؤثرفي الشخص الذي تتم له عملية الزرع وذلك للخروج من مفهوم وجود ذاكرة للخلايا.

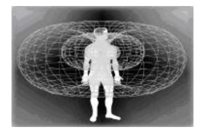
قصص أخرى ودلائلها: بول بيرسال ـ العالم في علم المناعة النفسعصبية و مؤلف كتاب شفرة القلب. قام ببحث تم عام 2002 تحت عنوان (تغيرات في شخصيات المزروع لهم توازي شخصيات المتبرعين)البحث شمل 74 تم زرع أعضاء لهم منهم 23 زرع القلب خلال 10 سنواتوذكر عددا من الحالات.

الحالة الأولى: حالة شاب عمره 18 سنة كان يكتب الشعر و يلعب الموسيقى ويغني وقد توفي في حادث سيارة وتم نقل قلبه إلى فتاة عمرها 18 سنة أيضا وفي مقابلة لها مع والدي المتبرع عزفت أمامهما موسيقى كان يعزفها ابنهما الراحل وشرعت في إكمال كلمات الأغنية التي كان يرددها رغم أنها لم تسمعها أبدا من قبل.

الحالة الثانية: رجل أبيض عمره 47 سنة تلقى زرع قلب شاب عمره 17 سنة أمريكي أسود، المتلقي للقلب فوجئ بعد عملية الزرع أنه أصبح يعشق الموسيقى الكلاسيكية واكتشف لاحقا أنّ المتبرع كان مغرما بهذا النوع من الموسيقى .

صدِّق أو لا تصدّق! تم زراعة قلب لفتاة عمرها 8 سنوات وكان القلب مأخوذا من فتاة مقتولة عمرها 10 سنوات وبعد الزرع أصيبت الفتاة بكوابيس مفزعة تصور قاتلا يقتل فتاة هذه الكوابيس كانت مرهقة جدا وذهب بها والدها إلى استشارة الطبيب النفسي. كانت الصور التي حلمت بها واضحة ومحددة لدرجة أنّ الطبيب والأم أخبرا الشرطة بصورة القاتل الذي ظهر في أحلام ابنتهم وبواسطة هذه الصفات قبضت الشرطة على القاتل وكان ما أخبرته الفتاة دقيقا جدا !!!!!!

<u>تأثير القلب على المخ :</u> تحدث العلماء دائما و لفترة طويلة عن استجابة القلب للإشارات القادمة من المخ، ولكنهم الآن أدركوا أنّ العلاقة ديناميكية ثنائية الاتجاه وأنّ كلاهما يؤثر في الآخر. وذكر الباحثون أربعة وسائل يؤثر القلب بها على المخ: عصبيا من خلال النبضات العصبية، وكيميائيا بواسطة الهرمونات والناقلات العصبية، وفيزيائيا بموجات الضغط، ويؤثر بواسطة الطاقة من خلال المجال الكهرومغناطيسي للقلب.إنّ المجال الكهربائي للقلب أقوى 60 مرة من المخ والمجال المغناطيسي أقوى 5000 مرة من المجال الذي يبعثه المخ.



المجال الكهرومغناطيسي للقلب: الصورة تظهرالمجال الكهرومغناطيسي للقلب والذي يعتبر الأقوى إيقاعا في الجسد البشري والذي لا يغلف كل خلية في الجسد فحسب بل ويمتد في الفضاء المحيط بنا. المجال القلبي من الممكن قياسه من مسافة عدة أقدام بواسطة أجهزة حساسة.

في تجربة عندما يتلامس شخصان أو يأتيان بالقرب من بعضهما وكيف يؤثر قلب أحدهما في موجات مخ الآخر.

The Electricity of Touch
Heartbeat Signal Averaged Waveforms

No Contact — Subject A Brainwave (EEG) / Subject B Heartbeat (ECG)
Holding Hands — Subject A Brainwave (EEG) / Subject B Heartbeat (ECG)
μ Volts / m Volts / Seconds

(ECG) Heartbeat رسم قلب

Brainwave(EEG) رسم مخ

Holding hands تلامس أيدي

No contact لا تلامس

شخص أ subject A

شخص ب subject B

الجهة اليمنى من الصورة عندما أمسكا بيدي بعضهما حدث انتقال للطاقة الكهربية من القلب التي تكون في الشخص ب إلى مخ الشخص أ والتي أمكن التقاطها في رسم مخه. وماذا بعد؟ نستنتج من كل ما سبق أنّ القرآن كتاب حق، وهو كما وصفه الله تعالى: " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"[فصلت]. وما هذه الملامح والإشارات إلا دليلاً على علاقة القلب بالأمور الروحية وقضايا الإيمان والكفر. "تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ"

****

الدماغ

هو آلة العقل عدد خلاياه العصبية 12 مليار خلية تقريبا، وفي كل ثانية تفكير أو قراءة تتدخل شبكة خلايا يقرب تعدادها من 100 مليار خلية في كل منها يحصل ما يقرب من 15 ألف تفاعل كيميائي وكهربي في الثانية، ولو أراد العلماء تمثيل هذه الصنعة الإلهية بآلة كمبيوتر تعمل كالدماغ للزم بناء مؤلف من 10 طبقات مشاد على مساحة 700 ألف كيلومتر مربع علماً أنّ برمجة الجزء الرئيسي منه فقط تستغرق عدة سنين.هذا الدماغ محاط بثلاثة أغشية ويوجد بين هذه الأغشية سائل النخاع الشوكي الذي يقوم بوظيفة الحماية والتغذية لهذا الدماغ الذي وزنه 1700جرام ومن تقدير البارىء إننا لانشعر بثقله في حين أنّ وزنه داخل الجمجمة 50جرام لإنه يطفو في سائل النخاع الشوكي والقاعدة الفيزيائية تقول :كل جسم يغمر في سائل يفقد من وزنه بقدر وزن السائل المزاح ولذا لا نشعر بثقله يقول الدكتور - محمد الحبال:إنّ الدماغ يتوضأ في اليوم والليلة خمس مرات فسائل النخاع الشوكي يتولد من منطقة خاصة في الدماغ تسمى الطفرة الشبكية ويدورفي مساحاته ويخرج من منطقة أخرى كشبكة المياه في أي مبنى ويقوم بواجباته وهذه الدورة تكون في اليوم والليلة خمس مرات بقدر عدد الصلوات ونحن نسجد على الفص الأمامي الذي فيه مركز اتخاذ القرار لأننا في مفهوم المخالفة والمؤمن عندما يسجد تعبداً لله فإنّ ناصيته ستكون مصيبة صادقة ويذكر الدكتور - الحبال أنّ الدماغ في الوضع الجانبي له داخل الجمجمة يبدو بوضوح كأنه رجل وهو ساجد كما في الصورة أعلاه

****

الجلد يتكلم

في هذا البحث نتعرف على اكتشافات طبية جديدة تثبت صدق كلام الله تبارك وتعالى عندما حدثنا عن تلك الجلود التي ستنطق يوم القيامة.... إنها آيات عظيمة تشهد على عظمة كلام الله سبحانه وتعالى، فهو القائل عن نفسه: " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا" [النساء]. وفي كل يوم تكشف الأبحاث العلمية لنا حقائق جديدة لم يكن لأحد علم بها وبعد أنْ نتأمل هذه الحقائق جيداً نرى في كتاب الله تعالى إشارات واضحة لها، وهذا يدل على أنّ القرآن كتاب الله عز وجل ويدل على صدق نبوة خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه . ومن الآيات التي تستحق الوقوف أمامها طويلاً وتدبرها جيداً ذلك المشهد الذي صوره لنا القرآن من مشاهد يوم القيامة، عندما يُعرض أولئك المشككون بكلام الله على النار لتشهد عليهم جلودهم بما كانوا يفترون على الله كذباً في الدنيا، يقول تعالى: " وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [فصلت]. وهنا لابد من طرح عدة أسئلة حول هذا النص العظيم: كيف يمكن للسمع والبصر والجلد أنْ ينطق ويتكلم؟ وكيف يمكن أنْ ينطق كل شيء؟ ولماذا ذكر الله تعالى هذا النص في كتابه؟ هذا ما سنبحثه بشيء من التدبر والتفكر لنعلم عظيم نعمة الله علينا ولنزداد إيماناً عسى أنْ نكون من الذين قال الله فيهم: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [الأنفال].

معجزة الجلد: الجلد هو أكبر عضو من أعضاء الجسم، إنه يعمل كغلاف وقائي يقيك شر المؤثرات المحيطية الضارة مثل الحرارة والبرودة والأوساخ والبكتريا والتلوث... وهو يعزل الجسد عن مختلف أنواع الصدمات والتآكل ويبقي الماء والجراثيم خارج الجسد ويمنعها من الدخول. الجلد يفرز الدهون والزيوت ليبقى في حالة مرنة وناعمة ويقاوم الجفاف، ويحوي الغدد الخاصة بإفراز العرق فتكون هذه الغدد بمثابة أداة لتصريف السموم والمواد الكيميائية غير الضرورية إلى خارج الجسم. الجلد يتألف من طبقات رقيقة تحوي الأنسجة والأوعية الدموية والخلايا العصبية والشعر والمستقبلات الحسيَّة... والجلد في حالة حركة دائمة، فالخلايا تنمو وتتحرك من الطبقات الداخلية إلى السطح الخارجي ثم تموت وتتبدل، ويبدل الجلد كل دقيقة بحدود 40 ألف خلية جلدية! وخلال شهر تتبدل كل خلايا الجلد، أي أن كل واحد منا يغير جلده كل شهر تقريباً دون أنْ يشعر! . إنّ 95 بالمئة من خلايا الجلد لها مهمة واحدة هي العمل على تجديد الخلايا، و 5 بالمئة تعمل على تلوين الجلد باللون المناسب، أي تعمل على صنع مادة (الميلانين)التي تعطي البشرة لونها، وقد وجد الباحثون أنّ تعريض الجلد للشمس لفترات طويلة يؤدي إلى الإصابة بسرطان الجلد، وتكون النسبة أكبر لدى النساء، ومن هنا ربما ندرك لماذا أمر الله المرأة بالحجاب!

تبلغ مساحة سطح الجلد الذي يغطي الإنسان بحدود 2 متر مربع، أي بحجم بطانية أو شرشف، ويبلغ وزن الجلد على الإنسان المتوسط بحدود 2.7 كيلو غرام. والجلد الذي تراه نظيفاً وناعماً وأملساً، يحوي على سطحه ملايين البكتريا والجراثيم. وهو يساعد على بقاء الجسم عند درجة الحرارة الصحيحة.

صورة لسطح الجلد بالمجهر الإلكتروني ونرى عليها عدداً ضخماً من البكتريا والأوساخ والغبار، ومن هنا ندرك لماذا حرص الإسلام على طهارة البدن وعلى الوضوء باستمرار والاغتسال أيضاً!

<u>ذاكرة الجلد</u>: لسنوات عديدة حاول العلماء كشف أسرار الذاكرة وتوجهوا إلى أعماق الخلية بهدف الكشف عن أماكن تخزين الذكريات والمعلومات لدى الإنسان. إنهم يعلمون أنّ هنالك ذاكرة وراثية يتم تخزينها في شريط المعلومات الوراثي المسمى DNA فماذا كانت نتائج آخر الأبحاث العلمية حول الذاكرة؟...في بحث علمي جديد نشرته مجلة علم الأعصاب في منتصف العام (2007) وجد الباحثون أنّ الخلايا تحوي جزيئات تسمى CaMKII وهذه الجزيئات مسؤولة عن تخزين الذكريات، وهذه النتيجة اكتشفت لأول مرة، وقد تأكد منها الباحثون من خلال مهاجمة هذه الجزيئات عند الفأر فكانت النتيجة أنه محيت الذاكرة تماماً ثم بعد ذلك استعادت قدرتها على التخزين، تماماً مثل القرص الصلب في الكمبيوتر عندما يخزن المعلومات ويمكن أنْ نمحوها ثم نخزن معلومات أخرى من جديد. ويمكن القول إنه من المحتمل أنْ تكون هذه الذاكرة موجودة في جميع الخلايا للكائنات الحية. وبخاصة أنّ العلماء بدأوا بالفعل يتحدثون عن ذاكرة للقلب وذاكرة للخلايا وذاكرة للجلد وغير ذلك من أنواع الذاكرة .

إنّ هذه الاكتشافات سوف تفيد الأطباء في معالجة الآلام المزمنة، لأنّ خلايا الجلد مثلاً تتذكر ما مر بها من آلام سابقة، مثل أولئك الذين تم بتر إحدى أيديهم فهم يتألمون وكأن يدهم لا زالت موجودة! ولذلك فإنّ خلايا الدماغ لا تزال تخزن ذكريات الألم وتتذكر هذه الآلام وتعمل على تحريضها باستمرار، ولذلك فإنّ اكتشاف سر الذاكرة سوف يساعد على محو بعض المعلومات المؤلمة من الخلايا.

رسم يمثل مقطعاً في الجلد البشري، حيث نلاحظ أنّ الجلد يتألف من طبقات وهذه الطبقات تتألف من خلايا، وهذه الخلايا لديها القدرة على تخزين المعلومات لفترات طويلة، ولذلك يقول العلماء إنّ للجلد ذاكرة طويلة الأمد!

وفي دراسة جديدة تبين أنّ خلايا الجلد تحمي نفسها بشكل دائم من هجوم البكتريا وأنّ استعمال الهواتف النقالة بكثرة يؤدي إلى نمو بعض أنواع البكتريا على الجلد، وتعتمد هذه العملية على مدى مناعة الإنسان. والسبب في ذلك أنّ للجلد مهام حساسة في تخزين المعلومات والأحداث وإنّ وجود الهاتف النقال بشكل دائم يؤدي إلى التشويش على عمل الخلايا بسبب الترددات الكهرطيسية التي يبثها ويستقبلها هذا الهاتف النقال.

<u>لغة الجلد</u>: إنّ العلماء يؤكدون وجود صوت لخلايا الجلد تنطق به، ولكننا لا نفقه ما تقوله!! وهذا الاكتشاف حديث لم يكن لأحد علم به زمن نزول القرآن ولكن القرآن أخبرنا بأنّ كل شيء ينطق ويسبح الله كما سنرى في فقرة لاحقة.

هذا هو رسم لشريط ال "دي إن إي" ويقول العلماء إن هذا الشريط الوراثي المعقد يصدر ذبذبات صوتية بشكل مستمر، أي أن له لغة ينطق بها!! وهذا الشريط موجود في جميع خلايا الجسد: خلايا العين وخلايا الأذن وخلايا الجلد. ولذلك فمن المحتمل أنه يقوم بتخزين المعلومات بطريقة ما، ومن الممكن استرجاع هذه المعلومات في وقت آخر. يوجد في أعماق خلايا الجلد سجلات خاصة أشبه بسجلات الكمبيوتر تحفظ المعلومات والأحداث التي تدور حول الجلد وتحفظ كذلك الأصوات التي تُحكى والأفعال التي نقوم بها. ويقول الدكتور - كلارك أوتلي - وهو الذي أشرف على مئات العمليات الخاصة بزرع الجلد ونقله من أشخاص لآخرين: إنّ الجلد يملك ذاكرة طوية جداً، فهو لا يَنْسَى!! وقد وصل هذا العالم إلى هذه النتيجة بعد أنْ وجد أنّ 70 بالمئة من الذين أُجريت لهم زراعة الجلد من أشخاص آخرين قد أُصيبوا بسرطان الجلد بعد فترة قصيرة من العملية . وهذه مشكلة كبرى لم يستطع الطب أنْ يجد لها علاجاً، ويقول العلماء إنّ جلد كل إنسان له خصوصية كبيرة فهو خزان للمعلومات ولذلك عندما يتم نقل جزء من هذا الجلد إلى شخص آخر (احترق جلده مثلاً) فإنّ الخلايا تنقل معها كل المشاكل والأحداث والمعلومات الخاصة بذلك الشخص، وهكذا يرفض جسم المريض أي جلد من شخص آخر!

<u>كل شيء يتكلم</u>: لقد تبين للعلماء أخيراً أنّ لكل شيء في الكون تردده الصوتي الخاص به ويسمى الرنين الطبيعي، وأنّ هذا الجسم عندما نعرضه لذبذبات صوتية بتردد يساوي تردده الخاص فإنه سيبدأ بالتجاوب والاهتزاز، ولذلك فإنّ جميع الأشياء في الطبيعة من إنسان أو جماد أو حيوان تتأثر بالصوت. ثم بعدما تطورت أجهزة قياس الترددات الصوتية وجد العلماء أنّ كل شيء في الكون تقريباً يصدر ترددات صوتية، فالخلايا تصدر هذه الترددات سواء في الإنسان أو النبات أو الحيوان. وكذلك النجوم تصدر أصواتاً، والكون في بداية خلقه أصدر ترددات صوتية بسبب توسعه المفاجئ، وكذلك اكتشف علماء وكالة ناسا

أنّ الثقوب السوداء تصدر ترددات صوتية، وأنّ النجوم النيوترونية تصدر ترددات صوتية تشبه صوت المطرقة، واكتشف علماء النبات أصواتاً خفية تصدرها النباتات وتتأثر بالأصوات أيضاً، الحشرات بجمع أنواعها لها ترددات صوتية خاصة بها، حتى إنّ خلايا القلب تصدر ترددات صوتية خاصة بها..... وهكذا كل شيء ينطق في هذا الكون!

وجه الإعجاز:

1- من خلال الحقائق السابقة يمكن القول إنّ ما تراه على سطح جلدك هو خلايا ميتة على وشك السقوط، ونحن كمؤمنين علَّمنا القرآن كيف نجعل خلايا جلدنا أكثر نشاطاً وحيوية من خلال تفاعلها وتأثرها بكلام الله تعالى، يقول تعالى: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ" [الزمر]. أي أنّ قراءة القرآن والتأثر بسماعه هو أفضل وسيلة لحماية خلايا الجلد وخلايا الجسد بشكل عام.

2- رأينا كيف أنّ خلايا الجلد تتجدد وتتبدل باستمرار، وهذا الموضوع أشار إليه القرآن في عذاب أولئك الذين كفروا بآيات الله حيث تُبدل جلودهم باستمرار ليبقى العذاب مستمراً، يقول تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا " [النساء]. فكلما احترقت الخلايا العصبية وأوشك الإحساس بالألم على الزوال تجددت هذه الخلايا وأصبح العذاب أشد، ولذلك كان أكثر دعاء النبي عليه الصلاة والسلام: اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك!

3- يقول العلماء اليوم إنّ خلايا الجلد تتأثر بالترددات الصوتية بل وتتجاوب معها، وبخاصة بعد أنْ اكتشف العلماء الذبذبات الصوتية التي يصدرها الشريط الوراثي المسمى DNA ، إذن الجلد عندما يقشعر بنتيجة الاستماع إلى خبر ما سار أو مؤلم فإنّ هذا نوع من التجاوب مع الصوت الذي استمع إليه هذا الإنسان. وهنا يتجلى قول الحق تبارك وتعالى: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" [الزمر]. فهذه الآية تؤكد أنّ خلايا الجلد عند المؤمن تتأثر بصوت القرآن وتتجاوب وتقشعر، بينما تجد الكافر لا يتأثر، لأنّ خلايا جلده اختزنت النفاق والكفر والفواحش والأفعال السيئة فلم تعد تستجب لأي ترددات صوتية إيمانية!

4- من خلال الحقائق السابقة يمكن القول إنّ جميع الخلايا تملك ذاكرة خاصة بها، وبخاصة خلايا السمع والبصر، ولذلك فإنّ هذا السمع وهذا البصر سيشهدان على صاحبهما يوم القيامة بما فعله من أعمال سيئة في الدنيا. ولكن الإنسان في ذلك اليوم لا يستغرب من شهادة السمع لأنّ الأذن كانت تسمع ما يقوله وما يُقال أمامه، وكذلك لا يستغرب شهادة البصر لأنّ العين كانت ترى ما ينظر إليه وتخزن المشاهد التي فيها معصية لله تعالى. هذا الإنسان يكون على قدر كبير من التعجب من شهادة جلده عليه، إذ أنّ الإنسان لا يتصور أنّ الجلد له دور في تخزين المعلومات والأحداث! ولذلك فإنّ هؤلاء الناس يسألون جلودهم يوم القيامة بقولهم " لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا " فتقول هذه الجلود: " أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ" وهنا تتجلى معجزة ثانية أيضاً، فكيف يمكن لكل شيء أنْ ينطق؟!

5- بما أنّ لكل شيء تردده الصوتي الخاص كما رأينا، لذلك فإنّ الله تبارك وتعالى قال: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" [الإسراء]. ويوم القيامة سوف يسمع الإنسان أصوات هذه المخلوقات والتي لم يكن يسمعها في الدنيا، سوف يسمع صوت جلده وهو يشهد عليه ويقول له: أتذكر يوم كذا وكذا عندما كنت تقوم بهذه الفاحشة وتظن أنه لا يراك أحد؟ ويقول له سمعه أتذكر عندما كنتَ تستمع إلى ما حرم الله من الأغاني والكلام الفاحش؟ ويقول له بصره أتذكر عندما كنتَ تنظر إلى ما حرَّم الله من النساء والشهوات؟ فعلى مَن عَلِم وعقل أنْ يشكر نعم الله عليه في حمايته لجسده بهذا الجلد الذي خلقه له وأنْ يعمل جاهداً على أنْ يكون جلده شاهداً له لا عليه .

ذاكرة الروائح

كيف استطاع سيدنا يعقوب تمييز رائحة قميص ابنه يوسف على مسافة بعيدة؟ وهل كشف العلماء أسراراً جديدة لحاسة الشم عند الإنسان؟ لنقرأ... كثيرةٌ هي الأباطيل التي ألصقها بعض المشككين بالقرآن الكريم، فهم يبحثون عن أي شيء غريب في القرآن ويقولون إنّ القرآن لا يوافق العقل أو المنطق أو الواقع، أو أنه يخالف الحقائق العلمية. ومن انتقاداتهم للقرآن ما جاء في سورة يوسف عليه السلام عندما وجد يعقوب ريح ابنه يوسف قبل أنْ يصل إلى بيته. فبعد رحلة طويلة لسيدنا يوسف تنقّل فيها من حضن أبيه إلى ظلام الجبّ إلى السجن وأخيراً إلى عرش الملك، بقي أبوه يعقوب عليه السلام واثقاً بالله لم يفقد الأمل

من رحمته، وبقي يتذكر ابنه ويأمل عودته بعد أنْ مضى على غيابه سنوات طويلة. وعندما أرسل يوسف قميصه لأبيه وقبل أنْ يصل القميص أخبرهم يعقوب أنه يجد ريح يوسف، يقول تعالى: " وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ" [يوسف]. والغريب في هذه الآية الكريمة هو كيف استطاع سيدنا يعقوب أنْ يجد ريح ابنه على مسافة طويلة قبل أنْ يصل القميص إليه؟ إنّ هذا الأمر غير منطقي كما يدعي بعض المشككين، ولكن السؤال: هل كشفت الأبحاث العلمية عن أشياء تؤكد صدق ما جاء في القرآن؟

اكتشاف علمي جديد: **من الأخبار العملية التي تلفتُ الانتباه أنّ العلماء وجدوا أثاراً لعضو ضامر يسمى vomeronasal في أنف الإنسان كان في يوم ما يلتقط الإشارات الكيميائية البعيدة الصادرة عن أشخاص آخرين، ويقول العلماء إنّ هذا العضو الحساس يقع في الدماغ خلف فتحتي الأنف.**

إنّ هذا العضو الضامر كان عبارة عن ثقبين صغيرين يلتقطان الإشارات الكيميائية التي يفرزها أشخاص آخرون ويحتوي على مجموعة من الأعصاب تستطيع تحليل هذه الإشارات والتعرف على صاحبها!

هذه الخلايا العصبية كانت فعالة منذ آلاف السنين ولكنها فقدت حساسيتها مع الزمن ولم يعد لها مفعول يُذكر، ولكن وكما نعلم هنالك كثير من الحيوانات تتخاطب بلغة الإشارات الكيميائية، مثل النمل مثلاً. ويؤكد العلماء أنّ هذا العضو كان مستخدماً بفعالية كبيرة لدى البشر في عصور سابقة حتى إنّ العلماء اليوم يعتقدون بوجود إشارات كيميائية يتم تبادلها بين البشر ويحاولون دراسة هذه الإشارات وتأثيراتها واستكشافها، ويعتقدون بوجود مواد كيميائية تميز كل إنسان عن الآخر، بل وتميز الرجال عن النساء، حتى إنّ هذه المواد تؤثر على الجاذبية التي تمارسها المرأة على الرجل. كما يؤكد الباحثون أنّ الكثير من الثدييات مثل الفئران تتخاطب بالرموز الكيميائية (مثلاً تفرز أنثى الفأر مواد كيميائية يستطيع الذكر تحليلها والإسراع إلى التزاوج!). ويقول العلماء إنّ الإنسان يستطيع أنْ يميز عشرة آلاف نوع مختلف من أنواع الرائحة . اكتشفت الدكتورة ـ ليندا باك ـ أنّ أجهزة التحسس في أنف الإنسان تتلقى الروائح وتعاملها مثل الرسائل المؤلفة من أحرف ألفبائية ثم تحولها إلى الدماغ ليتعرف عليها، وبالتالي هناك إمكانية للتعرف على آلاف المواد الكيميائية . والعلم اليوم يقرر حقيقة علمية وهي ثبات رائحة الإنسان وتميزها عن غيره. فلكل منا رائحة تختلف عن الآخر، حتى إنه ليمكننا القول بأنّ كل إنسان له بصمة كيميائية تتمثل في أنّ جسده يفرز مواد محددة تختلف عن أي إنسان في العالم، وتبقى هذه الرائحة مرافقه له في عرقه مثلاً منذ ولادته وحتى الموت.

كيف يفهم الدماغ لغة الروائح: يقول علماء ثلاثة من جامعة هارفارد الأمريكية وهم **Liman, Corey, and Dulac** :
هنالك جزيئات تدعى TRP2 تتوضع على الخلايا العصبية وعندما تأتي المواد الكيميائية التي يطلقها إنسان آخر فإنها تندفع عبر الجزيئات TRP2وتسبب تغيراً في توتر الخلية (الطاقة الكهربائية المختزنة في الخلية)، وبالتالي ترسل الخلية إشارات كهربائية إلى الدماغ يحللها الدماغ مثل رسالة بريد إلكتروني! وهنالك مواد كيميائية يطلقها الإنسان وتؤثر على سلوك الآخرين، ويطلق اليوم العلماء مصطلح "ذاكرة الرائحة" للدلالة على وجود تقنيات في دماغ الإنسان تستطيع تذكر الروائح والتفاعل معها بل وتستطيع هذه الروائح إحداث تغييرات فيزيولوجية في الإنسان.

وتؤكد الدكتورة ليندا باك من جامعة هارفارد أنّ الروائح تستطيع التأثير في سلوك البشر، وتستطيع الروائح تنشيط مناطق كثيرة في الدماغ فتجعل الإنسان يتذكر أشياء ارتبطت برائحة المادة التي يشمها، ويستطيع الإنسان تذكر أشياء مضى عليها عشرات السنين ويربطها بهذه الرائحة.

الرؤيا والشم **يؤكد العلماء وجود علاقة بين الروائح التي يشمها الإنسان وبين الكثير من مناطق الدماغ مثل التذكر والرؤيا وحتى تغير السلوك الإنساني. أي أنّ الرائحة التي يشمها الإنسان قد تؤثر في القسم الأمامي من الدماغ والمسؤول عن السلوك والقيادة واتخاذ القرارات.**

ولذلك من الممكن علمياً أنْ تتعطل منطقة ما من مناطق الدماغ بسبب معين، ثم تأتي رائحة تذكّر ذلك الشخص بالسبب الذي أدى لحدوث هذا التعطل وبالتالي تنشيط هذا الجزء المعطل وإعادته لصورته الطبيعية. كيف تحدث القرآن عن هذه الحقائق؟ والآن نأتي إلى الآية **الكريمة ونتأملها من جديد على ضوء هذه الاكتشافات، فقد أحضر إخوة يوسف قميص سيدنا يوسف وفيه رائحة سيدنا يوسف، هذه الرائحة انتقلت مع الريح لتصل إلى أنف سيدنا يعقوب قبل أنْ تصل القافلة. وبما أنّ البشر كانوا يملكون قدرة كبيرة على تحليل الإشارات الكيميائية أو الروائح، فإنّ سيدنا يعقوب استطاع تذكر رائحة ابنه الذي مضى على غيابه عشرات السنين، بينما بقية أفراد العائلة لم يصدقوا ذلك، إذ أنّ الجميع يظن بأنّ يوسف قد أكله الذئب، ولذلك قالوا له: (قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ). إذن ما جاء في القرآن موافق للمنطق العلمي وللمكتشفات الجديدة ولا يناقضها أبداً، وإذا تذكرنا بأنه قبل آلاف السنين لم يكن هنالك أي تلوث، فإنّ أي رائحة مميزة ستنتشر بشكل أفضل**

من انتشارها في عصرنا هذا بسبب التلوث الكبير للهواء. وإذا علمنا أيضاً أنّ العلماء يؤكدون قدرة الإنسان على تذكره الروائح لفترات طويلة من الزمن، وتذكرنا ما يقوله العلماء حول تأثير هذه الروائح على السلوك الإنساني، فيمكننا عندها أنْ نقتنع بقصة سيدنا يوسف وأنْ سيدنا يعقوب عليه السلام قد شمّ رائحة قميص ابنه وقد أعادت هذه الرائحة له البصر. وإذا تأملنا قصة سيدنا يعقوب عليه السلام عندما ابيضَّت عيناه بسبب حزنه على ولديه يوسف وأخيه، نجد أنّ العمى حدث نتيجة صدمة نفسية، أي أنّ السبب نفسي وليس عضوي. وبكلمة أخرى لم يكن هنالك خلل في العين بل إنّ الخلل حدث في الدماغ في منطقة الرؤيا. ورائحة قميص يوسف أو كما سمَّاها (ريح يوسف) قد أثَّرت ونشَّطت هذه المنطقة من الدماغ أي منطقة الرؤيا، وتذكَّر على الفور ابنه يوسف وتأكد أنه لا يزال حياً، وبالتالي فإنّ السبب الذي أدى إلى الخلل في الرؤيا قد انتفى، مما أدى إلى تصحيح الخلل في الرؤيا. رأينا أيضاً كيف أنّ دماغ الإنسان يقرأ الروائح كما يقرأ الرسائل المكتوبة، أي أنّ سيدنا يعقوب كان ينتظر هذه الرسالة ليتعرف من خلالها أنّ ابنه لا زال حياً يُرزق، وبالتالي ستكون سبباً في رد بصره إليه. وهذا ما قاله يوسف لإخوته عندما أمرهم أنْ يأخذوا قميصه لأنّ فيه رائحة سيدنا يوسف التي سيتعرف عليها الأب مباشرة حتى قبل أنْ يصل القميص: " اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" [يوسف]. ولذلك لم يقل سيدنا يعقوب: (إني لأشم ريح يوسف)، بل قال: (إني لأجد ريح يوسف)، لأنّ سيدنا يعقوب قد وجد فعلاً هذه الرائحة، وتعرَّف عليها جيداً لأنه كان يبحث عنها طوال سنوات، وهذا يدل على الثقة الكبيرة لسيدنا يعقوب بهذه الرائحة، وأنّ يوسف لا يزال حياً، فهل بعد ذلك شك في أنّ القرآن لا يقول إلا الحق، وأنّ كل كلمة جاء بها القرآن هي الصدق المطلق.

****

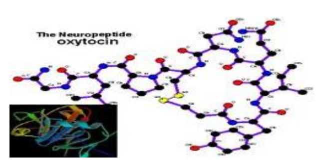
الجهاز الهرموني....آية من آيات الله

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت]

عالَم من الروعة في التنسيق والدقة وآية جديدة من آيات الخالق في أجسامنا تحكم ما لا يحصى من الأحداث الإرادية و اللاإرادية في حياتنا و تصرفاتنا. أحيانا يخطر على بالنا أنْ نفكر ولو قليلاً وبشيء من التعقيد ...كيف تعمل ملايين الخلايا في جسمنا ؟ كيف يتم التواصل فيما بينها...؟ لتعلم أخي المسلم أنه يتم حالياً داخل جسمك وفي هذه اللحظة تماماً ملايين الوظائف والمعالجات الحيوية. ومن خلال هذه التفاعلات يتم تثبيت ما تحتاج إليه كل خلية من خلايا جسمك من مواد ضرورية ، وكذلك يتم تحديد وظيفة كل خلية بالإضافة إلى اتخاذ ما يلزم من تدابير لتوفير احتياجاتها بتنسيق كامل بين مختلف الأجهزة وبسرعة خيالية مع قدرة على التصدي والاستجابة لأية تغيرات مفاجئة .وكل الخلايا التي يتشكل منها جسمك تعمل ضمن شبكة متكاملة فيما بينها وتلبّي احتياجاتك كافة دون أنْ تجعلك تشعر بشيء من ذلك. وهذا يحدث من خلال شبكة اتّصال فيما بينها على درجة عالية جداً من الكفاءة. وإحدى أهم العناصر التي تشارك في هذه العمليات الحيوية هي البروتينات التي تعتبر أحد العناصر الأساسية في كل خلية حية.

__الهرمونــــــات__ : هي مواد كيماوية تعمل بكميات غاية في البساطة وتدور في الدم بصفة مستمرة ليل نهار، تقرّر في جسدنا نسبة النمو والشكل والنعومة والرجولة والأنوثة والقوة والضعف والانفعالات وكل ما يمت إلى البقاء بصلة ولها أبعد الأثر في وظائف أعضاء الجسم جميعاً الخامل منها والعامل. وحتى تصرفات الشخص وأخلاقياته وعاداته وأحكامه على الأمور وعلى الأشخاص، كلها تقع تحت سيطرة هذه الهرمونات.

ويعتبر كل هرمون بمثابة رسول كيميائي محدد الوظيفة يسري في مجرى الدم، من الغدة المفرِزة إلى الخلية أو النسيج الهدف ليؤدى دور محدد، فالهرمونات في الأصل عبارة عن بروتينات أو سلاسل بيبتيدية، وهذه السلاسل تعتبر إحدى مراحل تكوين البروتين.



التركيب الكيميائي المعقد للهرمون

أ ـ تنتج هذه الهرمونات من مناطق محددة في جسم الكائن الحي تعرف بالغدد الصماء تنتقل إلى الدم مباشرة لتلعب دوراً كبيراً في تنظيم وظائف الجسم.

والغدد الصماء هي غدد لا قنوية ذات إفراز داخلي تتكون من مجموعة متخصصة من الخلايا تقوم بإرسال إفرازاتها مباشرة في الدم وليس عبر قنوات مثل باقي الغدد في الجسم. .

ب ـ لا تحدث الهرمونات تأثيرها في نفس المنطقة التي تفرزه بل تؤثر في مناطق أخرى بالجسم

ج ـ يعتبر وجود الهرمونات أساسياً في تنسيق وتنظيم وظائف الجسم لكن بكميات صغيرة

د ـ الهرمونات إما أنْ تكون لها تأثير حافزي أي منشط أو تأثير مثبط.

هـ ـ ومن ناحية التركيب الكيميائي وجد أنْ بعضها يتكون من بروتينات مثل الأنسولين وبعضها الآخر يتكون من استروئيدات مثل الهرمونات الجنسية وهرمونات الغدد الكظرية ومجموعة ثالثة تتكون من مشتقات الفينول مثل هرمون الأدرينالين الذي يفرز من نخاع الغدد الكظرية وتبرز أهمية الهرمونات في أنها تقوم مع الجهاز العصبي بتنظيم وظائف الجسم المختلفة وبينما يقوم الجهاز العصبي بعمله التنظيمي في فترة قصيرة جداً (قد لا يتعدى جزء من الثانية) تقوم غدد الإفراز الداخلي بعملها ببطء أى قد يستمر لدقائق أو ساعات أو أيام.

آليـة عمـل الهرمونـات: هنالك ثلاثة طرق رئيسة للتنشيط الهرموني:

1- قد ينشط الهرمون أحد الجينات. ومن الأمثلة عليها الهرمونات الجنسية، التي لها القدرة على الانتقال إلى داخل نواة الخلية والارتباط مع الحموض النووي. (DNA)

2 ـ قد ينشط الهرمون أحد الأنزيمات.ومن الأمثلة عليها هرمون الأدرينالين الذي ينشط أنزيماً معيناً داخل الغشاء الخلوي ، ويحدث هذا الأنزيم التغير المطلوب مع بقاء الهرمون خارج الغشاء الخلوي.

3 ـ قد يغير الهرمون من مقدرة الجدار الخلوي ليسمح بعبور بعض المواد إلى الداخل أو الخارج.ومن الأمثلة عليها هرمون الأنسولين وهرمون النمو، حيث يعتبران مثالان على مقدرة الهرمونات على تغير النفاذية. فالأنسولين يسمح بدخول الجلوكوز إلى داخل الخلية، أما هرمون النمو فيسمح بدخول الأحماض الأمينية إلى الخلية لكي يتم تصنيع البروتين.

لماذا يجب الحذر عند التعامل مع الهرمونات؟ أولاً: هذا يعود إلى طبيعة الهرمونات نفسها، فالهرمونات مواد حساسة جداً وتفرز بالجسم بنسب ضئيلة جداً لذا فأي خطأ سواء بالزيادة أو النقصان في نسبها سيؤدي إلى تأثير جوهري.

ثانياً: هناك علاقات مختلفة بين الهرمونات وبعضها فنجد مثلاً أنّ زيادة بعض هرمونات الجسم يؤدى إلى نقص هرمونات أخرى مثل هرمون الأنسولين المسئول عن تقليل نسبة السكر، هناك هرمون مضاد له وهو هرمون الجلوكاجون وهو المسئول عن زيادة نسبة السكر في الدم ولذلك فإنّ الجسم بطبيعته يقوم بعملية موازنة بين احتياجاته وبين نسب هذه الهرمونات في الدم فإذا تم تعاطى الهرمونات بطريقة صناعية غير مدروسة سيؤدى ذلك إلى تشويش هذه النسب الطبيعية الربانية في الجسم.

مثال آخر وهو وجود بعض هرمونات الجسم التي تتكامل مع بعضها البعض فوحدة واحدة من هرمون الاستروجين تزيد بطانة الرحم بمقدار 1 جم ، وكذلك وحدة واحدة من البروجوستيرون ، أما لو تم أخذ وحدتان واحدة من الاستروجين والأخرى من البروجستيرون مع بعضهم البعض سيزيد ذلك من بطانة الرحم بمقدار 8 جرام مرة واحدة ، فماذا يحدث إذا تم زيادة إحدى الهرمونين في توقيت لا يتطلب كل هذه الزيادة كما نرى الفرق شاسع وخطير.مِما سبق سنكتشف أنّ أي زيادة أو نقصان غير محسوبة في الهرمونات ستؤدى إلى اختلال الدورة السابقة التي تعمل مع معظم الهرمونات مما سيؤدى إلى مشاكل كثيرة لا حصر لها..... وسبحانه وتعالى يقول : " الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً " [الفرقان] ويقول الله تعالى:" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [التين] يقول الكاتب هارون يحيى في كتابه (معجزة خلق الإنسان): لقد خلق الله تعالى نظاماً وشبكةً بريدية في غاية الروعة حيث تقوم جزيئات الهرمونات بوظيفة ساعي البريد، فكما يقوم ساعي البريد بالتجول في جميع أنحاء المدينة ناقلاً الرسائل إلى الأماكن المطلوبة، كذلك تقوم الهرمونات بنقل الأوامر الصادرة من الدماغ إلى الخلايا ذات العلاقة . وهكذا تتم في الجسم جميع الفعاليات الضرورية لحياة الإنسان ولكن يجب ألا ننسى هنا أنّ الهرمونات لا تملك وعياً كما يملكه الإنسان، ولا تملك شعوراً ولا إدراكاً لكي تقوم بتعين الاتجاهات ومعرفة ما تحمله ولمَن تحمله، فهي لم تتلق أي تدريب في هذا المجال ولم تملك هذه

القابلية بعد سنوات من المران ومن التجارب. فالهرمونات التي نطلق عليها اسم (سعادة البريد) عبارة عن جزيئات معقدة جداً لا يمكن شرحها إلا بمعادلات ورموز كيميائية معقدة. وإنّ قيام جزيء الهرمون بمعرفة ما تحمله من رسائل وإلى أي خلية تحملها، ومواصلة سيرها في الظلام الدامس للجسم (الذي يكبرها بمليارات المرات) دون أنْ تضل طريقها، ثم قيامها بتنفيذ هذه الوظيفة على أحسن وجه ودون أي قصور، هذا كله عمل خارق ومعجزة مدهشة. ويكفي هذا المثال فقط لمعرفة مدى كمال وروعة الأنظمة التي أودعها الله تعالى في جسم الإنسان. وبعد... فهذه دعوة إلى الناس جميعا إلى التفكر ر في الخلق والمخلوقات كما قال تعالى: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُون).وسبحان الله المبدع العظيم القائل: (سنريهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد).

****

آيات عظمة الله في النباتات

قال تعالى في كتابه الحكيم: (وهو الذي أنزلَ مِن السماءِ ماءً فأخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرجنا منه خَضِراً نُخرجُ منه حَباً مُتراكباً ومِن النخلِ مِن طَلْعها قنوانٌ دَانيةٌ وجناتٍ مِن أعنابٍ والزيتونَ والرُّمانَ مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتشابِهٍ انظروا إلى ثمرِه إذا أثمرَ وينعه إنّ في ذلكمْ لآياتٍ لقومٍ يؤمنونَ) [سورة الأنعام] .إنّ النبات عالم قائم بذاته، ومازال العلماء يجتهدون في دراسته وفي كل يوم يقطعون في كشف خصائصه أشواطا شاسعة ... وقد قسم العلماء النبات إلى عدة أقسام مختلفة بالنسبة لصفاتها التشريحية، أو تناسلها، أو بيئتها.فينبت النبات عموماً من بذرة تتوافر لها ظروف خاصة، أهمها حيوية الأجنة فيها، وتحافظ البذور على حيويتها لمدة طويلة تعتبر في ذاتها دليلا على وجود الله، فقد أمكن استنبات حبات قمح وجدت في قبور الفراعنة. ويجب توافر الماء الضروري للإنبات والحرارة المناسبة، فكل بذرة تنبت في درجة حرارة معينة، والهواء ضروري للنبات، هو كائن حي يعيش ويحيا ويتنفس بل ويحس.. يحزن ويسعد.. فلقد أجريت تجارب على نباتات وضعت في مركبات فضاء ... وباجهزة القياس ... أوضحت التسجيلات أنّ صدمات عصبية أصابت النباتات وبدا عليها الاضطراب ... وما أنْ رجعت إلى الأرض حتى عاد إليها الاستقرار والهدوء. وإذا استنبتت البذرة وخرج الجنين الحي مكونا جذيرا صغيرا بدا يتغذى من الغذاء المدخر في البذرة حتى يستطيل عوده، ويضرب في الأرض ليأكل منها، شأنه في ذلك شأن الجنين في الإنسان والحيوان، يتغذى من أمه وهو في بطنها، ثم من لبنها، ثم يستقل عنها ويعتمد على نفسه في غذائه عندما يستوي عوده، فهل غير الله أودع في البذرة الحياة؟ ... وهل غير الله وهب الجذر قوة التعمق في الأرض وأخرج الساق وأنبت عليه الأوراق فالأزهار فالثمار؟ ... حياة معقدة دقيقة جليلة عاقلة رشيدة هدفها حفظ النوع ... وامتداد الحياة، فسبحان الحي منبع الحياة.

جهاز النبات الغذائي:

الجذور: تختلف الجذور، وهي أول أجزاء النبات الغذائي عن بعضها البعض اختلافا بينا بالنسبة لحاجة النبات، فهناك الجذور الوتدية، والجذور الدرنية، وأخرى ليفية، وغيرها هوائية، وجذور تنفسية، وكل هذه الأشكال لتتواءم مع إمكان حصول النبات على حاجته من الغذاء. وأما التي لا يوجد لها جذور مناسبة فيكون لها ممصات للتغذية، وما خلقت كل هذه إلا لتساعد على تغذية النبات وتهئية حياته. وللجذور فائدة هامة غير ذلك إلا وهي تثبيت النبات إذ يقع عليه أمر قيام النبات والاحتفاظ به ... فلا يسقط أو يقع ... وعندما تنظر إلى هذه الأشجار الضخمة الكبيرة واقفة شامخة. علينا أنْ نتذكر الجذر .. الذي يمسكها . وتنمو الجذور وعليها الشعيرات الجذرية التي تمتص المحاليل الأرضية بتأثير الضغط الأسموزي فتنتقل العصارة إلى أعلى بعمليات معقدة يعجز عن تركيبها أي معمل كيماوي مهما أوتي من أجهزة وتجهيزات ... يتغذى النبات وينمو ولابد لنموه من وجود الضوء والماء والكربون والأكسجين، والأيدروجين والآزوت، والفوسفور والكبريت، والبوتاسيوم ،والمغنسيوم والحديد . ومن العجيب أنّ كافة نباتات العالم تتغذى بهذه العناصر، ومع ذلك ينبت في الأرض التفاح الحلو، والحنظل المر، والقطن الناعم ، والصبار الشائك، والقمح والشعير والبرتقال والليمون ..عناصر واحدة، وماء واحد، وبذور تناهت في الصغر تخرج منها آلاف الأنواع، وعديد الأشكال، ومختلف الروائح والمذاق ! إنّ في ذلك لآية لأولى الألباب.

تبخر الماء (النتح) : وتتجلى قدرة الخالق في عملية النتح والنتح عبارة عن تبخر الماء من النبات عن طريق الأوراق، الأمر الذي يساعد على صعود العصارة من الأرض خلال الجذور. وينبغى ألا يستهان بتلك العملية فشجرة واحدة قد تنتج في اليوم العادي ما يقرب من خمسمائة لتر من الماء، وإذا ارتفعت درجة الحرارة وجف الجو، واشتدت قوة الرياح زاد النتح عن ذلك... ويعزى إليه تلطيف الجو في المناطق المعتدلة، وسقوط الأمطار في المناطق الاستوائية ذات الغابات الغزيرة بالأشجار الضخمة. وتتم عملية النتح بواسطة ثغور موجودة على الورقة، ومن عجائب آيات الخالق في هذه العملية، أنْ نرى اختلاف عدد الثغور في نبات عن نبات بما يلائم بيئته، فعدد ثغور النباتات الصحراوية أقل من نباتات الحقل مما يقلل النتح في الأولى عن الثانية. والجهاز الثغري نفسه آية من آيات الله، إذ يتكون من خليتين حارستين بينهما ثغر، وهذه الخلايا الحارسة تحرس الثغر فتنظم عملية فتحه وإغلاقه تبعا لحاجة النبات، فإذا ازداد تركيز السائل في الخلايا الحارسة سحبت الماء من الخلايا المجاورة، وتمتلئ حتى تاخذ شكلا كرويا،وبذلك ينفتح الثغر، فتتبخرالمياه، ويمتص الجذور الماء من التربة، أمّا إذا كانت

عصارة الخلايا الحارسة غير مركزة، فتكون متدللة الجوانب، متماسة الجدار بذلك الثغر. وينتج رطل خمسمائة رطل من الماء أثناء حياته . فانظر إلى هذه العملية الداخلية الخفية، كيف تتم بإتقان ونظام، وكيف تعمل أجهزتها بكيفية تنطق بالقدرة والكمال!!.

تكوين الغذاء: ومن آيات الله تكوين الغذاء في النبات، وتعرف هذه العملية بالتمثيل الكربوني يدخل ثاني أكيسد الكربون إلى النبات عن طريق الثغور، فيقابل المادة الخضراء والماء، وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضوء، أمّا طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثاني أكيسد الكربون، فهي عملية كيماوية معقدة، لم يقل العلم عنها إلا أنّ وجود المادة الخضراء والماء والحرارة، ينتج عنها تغيرات تنتهي بتكوين المواد الغذائية، ولا يتم إلا في الضوء، ولذا فهي تسمى أيضا (بالتمثيل الضوئي) ويقرر العلماء أنّ هذه العملية هي أصعب وأعجب عملية تقوم بها الحياة ولا يمكن لأي تركيبات أو أجهزة أنْ تقوم بمثل ما تقوم به ورقة خضراء في أي نبات.

تنفس النبات: اكتشف في عام 1779 م أنّ النبات يتنفس فيأخذ الأكسجين ويطرد ثاني أكسيد الكربون، مثله في ذلك مثل الإنسان والحيوان، ويصحب تنفس النبات ارتفاع في درجة الحرارة، ويتم التنفس في الليل والنهار، إلا أنّه في النهار لا تظهر نتيجة التنفس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربوني التي يجريها النبات بسرعة أكثر من عملية التنفس، فيخرج الأكسجين ويمتص ثاني أكسيد الكربون ، لذلك قد عرف بأنّ ارتياد الحدائق يكون نهارا، ولا يحسن ارتيادها ليلا حيث يتنفس النبات، ولا يوجد تمثيل كربوني، وبذلك ينطلق ثاني أكسيد الكربون ويأخذ النيات الأكسجين. وقد دلت الأبحاث، على أنّ عملية التمثيل الكربوني، كانت كفيلة وحدها باستهلاك ثاني أكسيد الكربون الموجود في العالم، لو أنّ الأمر قد اقتصر عليها، ولكن العليم الخبير قدّر ذلك فجعل الكائنات الحية الأخرى تخرج ثاني أكسيد الكربون. وكما أنّ الأجسام الميتة في تحللها تخرج ثاني أكسيد الكربون وكذلك بعض التفاعلات الأخرى.

وقضت حكمة الخالق أنْ تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو دائما، من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هواء، وأنّ هذه النسبة ينبغي أنْ تكون ثابتة على الدوام لعمارة العالم، فلم يحدث قط مهما اختلفت عمليات الاستهلاك وعمليات الإنتاج أنْ اختلفت هذه النسبة، فهل وجد كل هذا مصادفة دون تقدير أو تدبير.؟!

تحورات في النبات: هيئ النبات بما يتلاءم مع بيئته تلاؤما لا يمكن لغير الله أنْ يصنعه، فكل نبات بيئته معروفة، تختلف عن غيرها اختلافا جوهريا في كافة أجهزتها مِمّا يدهش المتأمل في ملك الله.

النباتات الصحراوية: وتسمي بالنباتات الزيروفيتية، ولها صفات شكلية وتركيبية، وتحورات تمكنها من مقاومة الجفاف والرياح، والضوء الشديد، وارتفاع الحرارة، وهذه النباتات إما أشجار أو شجيرات، كالسنط والعبل والنبق، وهي تكون خشنة كثيرة الأشواك، متشبكة الأغصان، ليظلل بعضها بعضا فيتكون منها شكل كروي ليحجب الشمس عنها ما أمكن لذلك سبيلا، فتأمن الأزرار الداخلية شدة الرياح. ولأوراق هذه النباتات بشرة ذات جدران خارجية ثخينة، تغطى بطبقة سميكة من مادة جافة وتغطى أحيانا بطبقة من الشمع وكذلك الحال في السوق والجذور فتغطى بالفلين كما في نبات الودنه والنجيلات، وفي بعضها تغطى السوق والأوراق بشعيرات وَبَرِيّة كثيفة، تمتلىء من المبدأ بالهواء، فتعطي للنبات لوناً إشعاعياً يعكس أشعة الشمس فيمنع النتح أو تقلله كما في نبات الطقطيق. وقد تلتوى الورقة حتى لا تقع عليها أشعة الشمس عمودية كما في الكافور. وقد تنطبق وريقات النبات بقلة عدد ثغورها وضيقها، وقد تغطى بطبقة شمعية، فيقف النتح كلية، ويبقى النبات في حالة سكون حتى يعود فصل المطر، كما في نبات اللصف، وقد تكون الثغور متعمقة في السطح الأسفل من الورقة، مفردة أو مجتمعة في فجوة كما في الفلة، أو تحدث الخلايا الحارسة قبوا على الثغر يجعلها بعيدا عن الجو. ولهذه النباتات خصائص تمكنها من الحصول على الماء، فجذورها كبيرةالحجم نسبيا، تتفرع في التربة وتتعمق فيها إلى مسافات بعيدة، لتسيطر على جزء كبير تمتص منه الماء. ولها تركيبات خاصة بتخزين الماء لاستعماله وقت الشدة، فقد تخزنه في أجزائها الأرضية كا لأبصال والكرومات والدرنات، أو في السوق الهوائية كما في التين الشوكي، أو في الأوراق كما في الصبار ... فسبحان العظيم القدير ..!! ومن آيات الله، أنّ هذه النباتات لمّا كان عددها قليلا ، وهي معرضة باستمرار لجور الحيوان، فإنها قد زودت بتحورات لتقي نفسها من الضرر، منها تغطية أوراق وسوق النباتات وثمارها بالأشواك كما في الخشير، أو تكون أطرافها حادة كالشوك كما في النبات السيلا، أو تغطى بأوبار صلبة كما في الحداقة، أو تطاير منها زيوت طيارة تبعد عنها الحيوان.

النباتات المائية: تعيش في الماء بعض أنواع النباتات المائية، وهي تختلف في تركيبها الداخلي وأشكالها الخارجية عن النباتات الأخرى. فلا تستعمل في امتصاصها الماء، إذ أنّ هذه النباتات تمتص الماء من جميع أجزاء جسمها ، و تتحور سوقها فتأخذ شكلا مغايرا.

النباتات المتسلقة: توجد بعض أنواع من النباتات ضعيفة الساق، ليس في مقدورها أنْ تستقيم بنفسها، فمن حكمة الخالق أنْ أوجد لها أدوات تسلق، تساعدها على الالتفاف على ما تتسلق عليه من دعائم ، كالمحاليق في نبات العنب والبازلاء، أو كالأشواك في بعض أنواع الورد، أو جذور عرضية تتسلق بها كما في نبات حبل المساكين.

النباتات آكلة الحشرات: إنّ من آيات صنع الله الدالة على قدرته سبحانه وتعالى، وبديع خلقه النباتات آكله الحشرات، فهذه النباتات تنمو في أرض قليلة الموارد العضوية، فلذلك نراها قد زودت بما يمكنها من اقتناص الحشرات، وامتصاص أجسامها. ومن العجيب أنّ كل نوع منها قد تحوَّر بما يلائم غذاءه تحورا يدهش المتأمل. ففي نبات (الديونيا)، نرى أنّ ورقتها ذات مصراعين يتحركان على العرق الأوسط، وكل منها مزود بزوائد شوكية على سطحه الأعلى. فإذا وقعت حشرة على النبات، يتنبه المصراعان فيقفلان فجأة حافظين الحشرة بينهما، ثم يفرز النبات الأنزيمات (عصارات) التي تهضم وتذيب الحشرات ثم يمتص ما يذوب منها، وبعد ذلك تعود الورقة لحالها الأولى، فاتحة مصراعيها استعدادا لقنص فريسة أخرى.



أمّا في حالة نبات (انيسز)، فإنّ أوراقه تحورت إلى شكل جرة لها غطاء يكون مقفلا في حالة صغر الورقة، ثم فجأة يفتح الغطاء بعد تمام نمو الورقة، وتملأ الجرة بسائل مائي حمضي يفرز من الغدد الموجودة على السطح الداخلي لجذب الحشرات التي إذا وقفت على الحافة ، فإنّها تزلق على سطحها الأملس، أو تجدبها إلى أسفل الجرة شعيرات دقيقة، وعند سقوطها في السائل داخل الجرة، يقفل الغطاء لمنعها من الفرار، ويفرز النبات الإنزيمات لهضم الحشرة ثم يمتصها.

وفي نبات (الدوسيرا)، تغطى أوراقه بزوائد كثيرة تنتهى أطرافها بغدد تفرز مادة لزجة حامضية، فإذا ما هبطت حشرات على رأس هذه الزوائد، فإنها تعلق بها وكلما حاولت الهرب زاد اشتباكها في زوائد أخرى حتى تتجمع الزوائد حولها، ويفرز النبات المواد الهاضمة التي تذيب جسم الحشرة، وبعد امتصاصها تعود الزوائد إلى الاعتدال، وترجع الورقة إلى شكلها الأصلي .

كيف يحفظ النبات نوعه: ومن آيات الله قدرة النبات على حفظ نوعه فالثمار، وهي أوعية غذائية لحفظ البذور، ومزودة بزوائد تساعده على انتشارها من مكان لآخر بعوامل عدة. فبذور النباتات الصحراوية التي تحملها الرياح، ذات حجم صغير ملساء ثم ليسهل نقلها بالهواء كالخشخاش والمثور، وقد تنمو عليها شعيرات لتخفف وزنها ك(الديميا) أو تنمو عليها زوائد كالأجنحة كما في نبات (الجكارند والحميض). ولبذور النباتات المائية زوائد تساعدها على العوم في الماء، وجذر سميك تحفظها من التعفن. وهناك أنواع من البذور ذات لون جذاب أو مذاق حلو، لتغري الإنسان أو الحيوان أو الطير على نقلها ونثرها، أو ذات خطافية لتشتبك بملابس الإنسان أو فراء الحيوان وتغلف الثمر في النبات ، بغلاف يلتف التفافا لولبيا بعد نضجها، يساعد على انتشار البذور إلى مسافات بعيدة عن النبات الأصلي، كالفول والبازلاء والحندقوق، وكالجوز الشيطاني، الذي يقدف بذوره بصوت كالطلق الناري يسمع على بعد كبير. تلك هي آيات بينات، لما زودت به النباتات من عجائب الحياة، لتحفظ حياتها في فصائل تقرب من نصف مليون صنف، اختلفت تراكيبها ومزاوجتها، ومعيشتها وأعمارها . ومن النبات ما يعمر أياما، ومنه ما يعمر سنين، ومنه ما يعمر أضعاف عمر الإنسان، فشجرة (سروة صونا) في لامبارديا، التي يبلغ ارتفاعها 120 قدما، ومحيطها 23 قدما، سبقت المسيح بأربعين سنة ومازالت قائمة. وقد قدر عمر شجرة في برابورن بمقاطعة (كنت)، بنحو ثلاثة آلاف سنة. ولعل أطول عمر لشجرة هي من نوع (تكسوديوم)، التي تعمر ستة آلاف سنة. أمّا تاريخ النبات على الأرض ، فقد ورد في تقرير علمي في أوائل فبراير 1956 ، أنّ البروفسور- روبرتسون - العالم النباتي، اكتشف في أعمال المسح الجوي الذي قامت به شركة (هنتنج) للأراضي الأردنية ، قطعة متحجرة لغصن شجرة قديمة ، موجودة في أراضي اللواء الجنوبي وأنه بعد تحليلها في معامل باريس العلمية، اتضح أنّ عمر هذه الشجرة 115 مليون سنة. وقد أبدى العلماء اهتماما بهذه الظاهرة التي قد تلقي أضواء على تقرير عمر الكون، وعلى تاريخ تسلسل الكائنات الحية، ومدى الفارق بين كل كائن ... نبات وحيوان وإنسان .. فسبحان الموجود قبل الوجود!!! ..

****

حقائق من سجل الغابات

جاء في الإنجيل ما معناه أنّ الله هو الدافع على الفوضى والارتباك، والحق أنّه سبحانه هو الذي نظم هذا الكون فأحسن تنظيمه وأبدعه أيّما إبداع. إنّ عوام الناس ينظرون إلى قمم الجبال من أسفل الوادي، فتأخذهم روعتها فينسبونها إلى الله تعالى، أو يسمعون صوت الريح العاصفة تقطع صمت الأشجار والنباتات، فيدركون جانباً من آيات الله التي تظهر في أرجاء هذا الكون ويتضاءل بجانبها ملك سليمان . حقيقة إنّ روعة هذا الكون، إنّما هي من إبداع الخالق الأعظم، ولكن وقوف الإنسان عند هذا الحد من الإعجاب يشبه الإنسان بمظهر بعض الأعمال التي ينتجها صانع أو نجار بارع، دون أنْ يجهد نفسه في تأمل دقة الصناعة وتفاصيلها وروائع الزوايا والتشابك" التعشيق" والحلي الداخلية وغير ذلك... ولو أنّ تدبير الله العالم الذي نحن فيه قد اقتصر على خلق الوديان الخصيبة مما تنقله عوامل التعرية من الطمي والرواسب وتجلبه من فوق سفوح الجبال، لكان هذا الأمر هينا من وجهة نظر المتخصصين في فسيولوجيا النبات أو علم الجولوجيا، ولكن لكي يدرك الإنسان روعة هذا العالم وما وراءه من جلال الحكمة والتدبير، لابد أنْ يدرسه بدقة وأنْ يتأمل في الغابات والحقول، عندئذ سوف يجد أنّ ما كان يعده طبيعياً ليس إلا إعجازاً إلهياً يعلو فوق مستوى البشر وتعجز عن إدراك كنهه، وهنا لاسبيل إلا إلى الإيمان بالله وبقدرته وجلاله.

ويقول - كارل هايم - في كتابه (المسيحية والعلوم الطبيعية) : إنّ عجائب الكون لا تسمح بالإيمان فحسب بل تدعو الناس إلى هذا الإيمان، وإنّ الاستدلال بالكون على وجود الله قد عاد إلى الظهور من جديد في عصر النهضة والتفكير العقلي بسبب انهيار

النظرية الآلية في تفسير الكون بعد أنْ كادت هذه النظرية تقضي على هذا النوع من الاستدلال . وإني أكتب هذا المقال من وجهة نظري متخصصاً في بحوث الغابات ومهتماً بدراسة علم البيئة وفسيولوجيا النباتات لكي أظهر جانبا مما للغابات من أدلة على وجود الله.

تجدد تربة الغابات: تظهر في جبال (أديروندداك) رمال عميقة يرجع أصلها إلى ما اكتسحته أنهر الجليد في سابق الأزمان. والتربة في هذه الأماكن ضعيفة بسبب نقص العناصر الغذائية وبخاصة عنصر البوتاسيوم الذي تجرفه المياه بمجرد تكونه نتيجة لتحيل المواد العضوية، ولا يتبقى من هذا العنصر إلا ما يدخل في تركيب المواد العضوية ذاتها. ولقد كانت تنمو على هذه السهول الرملية غابات من أشجار التنوب الفضي والصنوبر والشوكران ، ولكن سهولة طبيعة الأرض فوق هذه السهول أغرت باقتلاع هذه الأشجار وزراعة الأرض. وبعد انقضاء مائة عام زرعت الأرض في أثنائها زراعة عنيفة استنزفت عناصر التربة وأضعفت خصوبتها إلى حد كبير، ولذلك شرع في زراعتها بأشجار الغابات من جديد. وبعد مضي سنوات قليلة على زراعتها بأشجار الشوكران وأشجار الصنوبر الأبيض والأحمر، ظهرت أعراض نقص البوتاسيوم في التربة على الأشجار. وقد أظهرت بعض البحوث العلمية التي أجريت على نباتات هذه الغابات أنّ بعض الأشجار العشبية المستوطنة مثل أشجار القان الرمادي وأشجار الكريز الأسود، ظهرت على أوراقها أعراض نقص البوتاسيوم في صورة ألوان شاذة يمكن بواسطتها تحديد خواص التربة في المناطق المختلفة ومدى صلاحيتها لزراعة الأنواع المختلفة من الأشجار . لقد هيأ لنا الله بفضله الطريقة التي تعيننا على تحديد الأماكن التي تصلح لزراعة الشوكران وأشجار الصنوبر الأحمر والأبيض، وتحديد المناطق التي يمكن زراعتها ببعض الأشجار ذات القيمة الاقتصادية، مما لا يضره انخفاض مستوى عنصر البوتاسيوم في التربة مثل أشجار الصنوبر الأسكتلندي وغيرها. كما وجدنا أنّ أوراق بعض النجيليات وأشجار الفراولة البرية وأنواعا عديدة أخرى من الشجيرات العشبية وأشجار الصنوبر الأبيض يمكن تحليلها تحليلا كيمائيا للوقوف على مدى صلاحية الأماكن والمناطق المختلفة المزروعة فيها. فالصنوبر الأبيض مثلا تظهر عليه دلائل نقص البوتاسيوم عندما تنخفض نسبة البوتاسيوم في الأوراق الإبرية عن الرقم صفرإلى خمسة في المائة ويمكن الاستدلال بنسبة البوتاسيوم الموجودة في هذه الأوراق على نسبة البوتاسيوم الموجود في التربة والذي هو قابل للامتصاص. وهناك ظاهرة أخرى من الظواهر التي شوهدت في هذه الغابات، فالقان الأبيض، وهو عادة من الأعشاب التي تنمو بكثرة من تلقاء نفسها وتجوز زراعتها إلى حد بعيد في مناطق السهول تنمو تحت جذوره وفي حضانتها نباتات الصنوبر البيضاء التي تكون في هذه الحالة كثيفة غاية الكثافة. وقد لوحظ أنّ أعراض نقص البوتاسيوم لا تظهر على الأشجار الصنوبرية التي تنمو بجوار القان، وأثبتت تحاليل التربة والأوراق أنّ نسبة البوتاسيوم القابل للامتصاص كانت تحت هذه الظروف ثلاثة أمثالها في الأرض الخالية من أشجار القان ممّا يثبت أنّ لأشجار القان قدرة كبيرة على تجديد خصوبة التربة التي تكون عناصرها قد استنزفت بسبب الإجهاد المترتب على طول فترات زراعتها. ولاشك أنّ هذه التغذية المعدنية، تعتبر همزة الوصل التي يستخدمها الإنسان لكي يحول المواد غير العضوية الميتة إلى عالم الحياة. ومن الظواهر العجيبة الأخرى التي شوهدت في التربة في وادي (كونيكتيكت) ما لوحظ من أشجار السدر الأحمر يستطيع بمصاحبة خرطوم الأرض وهو من الدود أنْ يزيد من نسبة عنصر الكالسيوم بالتربة. فأوراق السدر الأحمر تتساقط على قاع الغابة، وعندئذ تنجذب ديدان الأرض إليها بسبب ارتفاع نسبة الكالسيوم بها. وسرعان ما تلتهم الديدان هذه الأوراق وتهضمها وبذلك تطلق في التربة عنصر الكالسيوم في صورة يسهل على النبات امتصاصها والاستفادة بها. ولا تقتصر فائدة السدر الأحمر على الناحية الغذائية وحدها، بل أنّه يؤدي إلى تحسين جميع الخواص الطبيعية للتربة مثل مساميتها، وسرعة رشح الماء خلالها، وقدرتها على الاحتفاظ بالماء ومنسوب الماء فيها. ولجميع هذه الصفات علاقة كبيرة بالاستفادة من مياه الفيضان والسيطرة عليها. ونستطيع أنْ نذكر أكثر من ذلك في سياق الحديث عن العناية الإلهية التي تتجلى في إعادة خصوبة التربة، ففي الغابات البكر التي لم يتدخل في أمرها الإنسان، تتكاثر الأشجار وتتابع أنواعها على مر الأجيال حتى تصل في نهاية الأمر إلى نوع من الاستقرار تميزه أشجار خاصة تنمو وتتكاثر فيها إلى ما شاء الله إلا إذا تدخل في أمرها الإنسان أو داهمتها النار، أو عبثت بها العواصف . ويؤدي تدخل الإنسان في أمر هذه الغابات الطبيعية بزراعتها واستنزاف خصوبتها، إلى نقص صلاحيتها لنمو الأشجار وعندئذ نكون قد خسرنا الأشجار والتربة ويعقب ذلك حدوث الفيضانات. إنّ الإنسان يبذل أموالا طائلة لكي يقلل من أخطار الفيضانات بإقامة مشروعات السدود الضخمة، ولكن إقامة هذه السدود ليست إلا حلا مؤقتا ضد قوة جبارة لا تستطيع أنْ تصدها حواجز الصخر أو البناء المسلح، ولا بد أنْ يقوم العلاج الحقيقي لمشكلة الفيضان على مهاجمتها في مصدرها. ولا يتم ذلك بإقامة السدود وإنّما بإعادة الأشجار والنباتات إلى الأرض ، وهو أمر تقوم به الطبيعة من تلقاء نفسها، فإنّه لا يكاد ينقضي عام على الأراضي والحقول التي تكون قد هجرت بسبب استنزاف عناصرها ونقص خصوبتها حتى تنمو بها الحشائش الكثيفة والأعشاب والشجيرات وبادرات الأشجار، وهذه كلها تعمل على عودة الخصب إلى الأرض من جديد وفي منطقة (بدمونت) التي تقع في شرق الولايات المتحدة تكفي خمسة وعشرون سنة لتكوين طبقة جديدة ظاهرة من المواد الدبالية التي تغطي سطح التربة وتعيد إليها خصوبتها. وحتى في المناطق التي هي أشد برودة من هذه المنطقة حيث يكون تحلل المواد العضوية أشد بطأ، فإنّ هذه الطبقة في تكوينها أكثر من **50** سنة. ويلاحظ أنّ التربة

التي تستصلح بهذه الطريقة لا ترجع كعهدها الأول من حيث معالجة أخطار الفيضان. ومع ذلك فإنّها تتحسن كثيرا عن ذي قبل. وفي ذلك يقول ـ جونث ـ :إنّ الطبيعة لا تعرف الإسراف. وإنها دائما صادقة وعظيمة وعنيفة. إنّها دائما صائبة. أمّا الخطأ فإنّه لا يحدث إلا من جانبنا. إنّ الطبيعة تحارب العجز ولا تكشف أسرارها إلا للقادرين المخلصين الأتقياء...

<u>سد فروج الغابات</u> : عندما انتشر مرض (الأندوثيا)، وهو المرض الذي يسبب الشلل لنباتات (الكستناء) أبي فروة خلال العقدين الأولين من هذا القرن، شاهد كثير من الناس فروجا في أسقف الغابات ولاحظوا أنّ هذه الفروج لاتسد أبدا. ولقد كان الكستناء الأمريكي يحتل مكانا بين سائر أنواعه في العالم لا يدانيه فيه مكان آخر، فقد كان يمتاز بنوعه ومقاومته للتعطش وبنخاعه الخشبي وما به من مادة التنين، ثم بثماره وبما يعطيه من الظل وغير ذلك من الصفات الممتازة العديدة الأخرى وكان ينمو على حواف الجبال ذات التربة الضعيفة كما ينمو في الوديان الخصبة. وقبل أنْ يصيبه هذا المرض الذي وصل إليه من آسيا حوالي 1900 ، لم تكن تصيبه أمراض أخرى، فلقد كان بحق ملك الغابة أمّا الآن فقد باد واندثر من الغابات ولم يعد يشاهد منه إلا بعض البراعم الضئيلة تنبثق بين حين وآخر من بقايا جذوع الأشجار التي كانت قائمة يوما من الأيام كأنما تذكرنا أنّ البقاء لله وحده، وأنّ أقوى الرجال كأقوى الأشجار لابد يوما أنْ يزول. وما لبثت الفروج التي حدثت في سماء الغابة حتى ملئت، لقد سدتها أشجار الخزامى، التي كأنما كانت تراقب ما نزل بأشجار (أبي فروة) من داء لتحل محلها بفارغ الصبر حتى تحصل على ما يكفيها من الضوء. فهي من الأشجار التواقة إلى الضوء والتي لا تحتمل المعيشة في الظل. وحتى ذلك الوقت كانت أشجار الخزامى من الأشجار الضئيلة في الغابة التي لا يمكن أنْ تعتبر من أشجار الخشب القيمة إلا نادرا. أما الآن فإنّ أحداً لايحزن على ما حل بأشجار الكستناء من خسارة، إذ تقوم مكانها جذوع الخزامى الضخمة التي تضيف كل منها إلى نفسها بسبب نموها السريع ما يقرب من بوصة في السمك وست بوصات في الارتفاع سنويا. وبالإضافة إلى سرعة نموها فإنها تعطي خشبها من النوع الممتاز. فهل تضع الطبيعة العبقرية خططها وتدبيرها للأمور بأكثر من تهيئة الظروف المناسبة ؟ وهناك من الاختصاصيين في فلاحة الغابات مَن ينصح المشتغلين بالغابات بأنْ يلجأوا دائما إلى كتاب الكون والطبيعة لكي يجدوا فيه حلا لكل مشكلة من المشكلات. ويقول ـ اسحق واطسن ـ في هذا المعنى: إنّ الطبيعة تحمل كتابها المفتوح ، وتسبح بحمد الله وجلاله. ويقول عالم النبات اللامع –آساجراي ـ في محاضراته التي ألقاها في جامعة ييل سنة 1880 : إنّ ما تنقله العلوم من عالم المجهول إلى عالم الطبيعة لا ينال من الإيمان أو يتعارض معه، فالعلوم تسير في نفس الاتجاه الذي تسير فيه الطبيعة. وعلى ذلك فإنّ وظيفة العلوم هي العمل أنْ ترد ظواهر الكون في نشأتها الأولى إلى قدرة الله جل جلاله...

****

نبات يذيب الثلج



هنالك كثير من الظواهر الغريبة في هذا الكون، ومن أغربها نبات يعيش في الجليد ولكنه يسخن ما حوله ليحافظ على بقائه ....يقول ـ عبد الدائم الكحيل :لقد قرأتُ مقالة منذ فترة حول عجائب عالم النبات ، ومما لفت انتباهي أنّ علماء الغرب قد أدهشهم السلوك العجيب لبعض أنواع النباتات وهذه النباتات تطلق الحرارة عندما تدعو الحاجة لذلك. طبعاً لا يمكن أبداً أنْ نظن بأنّ هذه النباتات لا تعقل أو لا عقل لها، بل زوّدها الله تعالى بجهاز دقيق لتحسس درجة الحرارة من حولها، وعندما تصل درجة الحرارة إلى حدود منخفضة جداً تبدأ الأجهزة الموجودة في هذه النباتات بتوليد الطاقة من خلال بعض العمليات الكيميائية والتي تولد بنتيجتها الطاقة الحرارية والتي تقوم بتسخين الجليد وإذابته وقد لاحظ العلماء أنّ حرارة الجو عندما تنخفض إلى ما دون الصفر فإنّ هذه النباتات تكون درجة حرارتها من 30 إلى 36 درجة مئوية، ولولا هذه الخاصية لَمَا استطاعت هذه النباتات العيش على الإطلاق. ومِن هذه النباتات نوع من أنواع الملفوف يدعى skunk cabbages أو علمياً Symplocarpus foetidus والذي أدهش العلماء أنّ هذا النبات ينمو في المنحدرات الثلجية!! ويصنع داخل الثلج "كهفه" الخاص .حيث تنخفض درجة الحرارة حول النبات إلى - 15 درجة مئوية (تحت الصفر) بينما تكون الحرارة في النبات 30 درجة مئوية، وهذه الظاهرة الفريدة لا توجد في أي مخلوق آخر، حيث تتجمد معظم الثدييات إذا بقيت في هذا الجو لفترة طويلة، بينما هذا النبات يعيش بشكل طبيعي ولفترات طويلة جداً في هذا الجو البارد. ومن هنا يمكن أنْ نستنتج أنّ الله تعالى قد زوّد هذا النبات بتقنية معقدة لتنظيم درجة الحرارة، فهو يعمل مثل مكيفات الهواء المزودة بجهاز التنظيم الحراري حيث تتحسس درجة الحرارة الخارجية فإذا انخفضت الحرارة تحت درجة محددة يعمل هذا المكيف وعندما ترتفع الحرارة إلى درجة محددة يتوقف هذا المكيف عن العمل، كذلك نجد أنّ النبات قد تمت برمجته من قبل الخالق عزّ وجل ليعمل بدقة كبيرة فلا يخطئ ولا يحتاج إلى صيانة أو قطع تبديل ولذلك لا تزال الآلية الدقيقة لهذا التنظيم الحراري المذهل مجهولة حتى الآن ، ولكن الله تعالى يحدثنا عن هدايته لهذا النبات وغيره من المخلوقات ليقوم بعمله على أكمل وجه، وهنا نستشعر قول الحق تعالى : (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه]، فالله تعالى هو الذي أعطى هذا النبات خلقه ثم هداه ليقوم بمهمته في هذه الحياة . تعتبر الآلية الدقيقة التي يستخدمها هذا النبات غير واضحة للعلماء، ويتساءلون: كيف يمكن لنبات لا يعقل أنْ يتحكم بهذا الشكل المذهل بدرجة حرارته، بل من أين يأتي بهذه الطاقة الحرارية وما هي التقنيات المعقدة التي يستخدمها؟؟ إنه الله

تعالى الذي هدى هذا النبات إلى عمله وقال:(الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[طه] ويفكر العلماء اليوم من الاستفادة من طاقة "النباتات الحارة" والاستعاضة عن الطاقة الكهربائية في تدفئة المنازل! فهذه النباتات تنتج طاقة كبيرة قياساً لحجمها، فالفارق في درجات الحرارة التي يتمكن هذا النبات من إحداثه بحدود 50 درجة مئوية (من الدرجة -15 وحتى 35)، وهذا المجال الحراري كافٍ لتسخين الماء أو تدفئة منزل مثلاً!! إذن هنالك طاقة مجانية يمكن الحصول عليها من هذا النبات، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ " [الحج]، أي أنّ كل ما نراه حولنا على الأرض مسخّر لنا أي يمكننا الاستفادة منه، فكلمة (سخّر) في اللغة تعني أنه قدّم عملاً بلا أجر، ولذلك فإنّ هذه النباتات يمكن أنْ نستفيد منها في توليد الكهرباء مثلاً لأنّ الله تعالى أكّد لنا أنّ كل ما في الأرض مسخر لنا أي يمكنا الاستفادة منه مجاناً. فهل نتفكّر في خلق هذه النباتات ودقة صنعها ، وهل نتذكر قول الحق تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل]

****

والله خلق كل دابة من ماء

ومن الدلالات العلمية لقول الحق سبحانه وتعالى : (واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ مِن ماءٍ)

(1) أنّ خلق الماء سابق لخلق جميع الأحياء ، وهو ما أثبتته الدراسات الأرضية.

(2) أنّ الله تعالى خلق كل صور الحياة الباكرة في الماء، والدراسات لبقايا الحياة في صخور قشرة الأرض تشير إلى أنّ الحياة ظلت مقصورة على الماء لمدة تصل إلى نحو 3400 مليون سنة (من 3800 مليون سنة مضت إلى نحو 400 مليون سنة مضت حين خلقت أول نباتات أرضية على اليابسة) ، وأنّ خلق النبات كان سابقا لخلق الحيوان في الوسطين المائي واليابس ، لأنّ الحياة الحيوانية على اليابسة لم تعرف قبل 365 مليون سنة مضت (في نهاية العصر الديفوني) .

(3) أنّ كل صور الحياة لا يمكن لها أنْ تقوم في غيبة الماء لأنّه أعظم مذيب على الأرض، وبذلك يشكل الوسيط الناقل لعناصر ومركبات الأرض إلى مختلف أجزاء النبات، ومنها إلى أجساد كل من الإنسان والحيوان، وذلك بما للماء من صفات طبيعية وكيميائية خاصة من مثل اللزوجة العالية، والتوتر السطحي الشديد، والخاصية الشعرية الفائقة.

(4) أنّ الماء يشكل العنصر الأساسي في بناء أجساد جميع الأحياء ، فيكون ما بين 71% من جسم الإنسان البالغ، و 93% من جسم الجنين ذي الأشهر المعدودة، ويكون أكثر من 80 % من تركيب دم الإنسان ، وأكثر من 90 % من تركيب أجساد العديد من النباتات والحيوانات. وأنّ جميع الأنشطة الحياتية وتفاعلاتها المتعددة لا تتم في غيبة الماء .

****

وإن مِن شيءٍ إلا يسبح بحمده

في بحث علمي نشر في المجلة العلمية المشهورة Journal of Plant Molecular Biology , وجد فريق من العلماء الامريكيين أنّ بعض النباتات الإستوائية تصدر ذبذات فوق صوتية تم رصدها و تسجيلها بأحدث الاجهزة العلمية المتخصصة . وكان العلماء الذين أمضوا قرابة ثلاث سنوات في متابعة ودراسة هذه الظاهرة المحيرة قد توصلوا إلى تحليل تلك النبضات فوق الصوتية إلى إشارات كهروضوئية بواسطة جهاز الرصد الالكتروني , oscilloscope وقد شاهد العلماء النبضات الكهروضوئية تتكرر أكثر من 100 مرةفي الثانيةو أشار البرفسور - وليام بروان - الذين كان يقود فريقاً متخصصاً من العلماء لدراسة تلك الظاهرة ، أنّ بعد النتائج التي تم التوصل إليها لم يكن ثمة أمامنا تفسيراً علمياً لتلك الظاهرة ، وقد قمنا بعرض نتائج بحثنا على عدد من الجامعات والمراكز العلمية المتخصصة في الولايات المتحدة وأوربا . ولكنهم عجزوا عن تفسير تلك الظاهرة وأصيبوا بالدهشة وفي المرة الأخيرة تم إجراء تلك التجربة أمام فريق علمي من بريطانيا ، وكان من بينهم عالم بريطاني مسلم من أصل هندي . وبعد خمسة أيام من التجارب المخبرية التي حيرت الفريق البريطاني وقف العالم البريطاني المسلم وقال : نحن المسلمون لدينا تفسيراً لهذه الظاهرة ومنذ 1400 سنة اندهش العلماء من كلام ذلك العالم وألحوا عليه أنْ يفسر لهم ما يريد أنْ يقوله فقرأ عليهم قوله سبحانه و تعالي: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" وما هي النبضات الكهروضوئية إلا لفظ الجلالة كما هو ظاهر على شاشة الجهاز وقد ساد الصمت والذهول في القاعة التي كان يتحدث بها العالم المسلم . سبحان الله ، فهاهي معجزة أخرى من معجزات هذا الدين الحق. فكل شيء يسبح باسم الله عز وجل . وقد قام المسؤول عن فريق البحث البروفسور - وليام براون - بالتحدث مع العالم الإسلامي لمعرفة هذا الدين الذي أنبألرسول الأمي قبل 1400 سنة بهذه المعجزة . فشرح له العالم المسلم الإسلام وقام بعد ذلك بإعطائه القرآن وتفسيره باللغة الإنجليزية وبعد عدة بأيام قليلة عقد البروفسور - وليام براون - محاضرة في جامعة كارنيج-ميلون. و قال البرفسور : لم أر في حياتي مثل هذه الظاهرة طوال فترة عملي التي استمرت 30سنة و لم يستطع أي من العلماء في فريق البحث تفسير هذه الظاهرة ، ولا توجد أي ظاهرة طبيعية تفسرها ، والتفسير الوحيد وجدناه في القرآن. لا يسعني حيال ذلك إلا أنْ أقول أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمد عبده ورسوله .وقد أعلن العالم إسلامه وسط دهشة الحضور.

الإعجاز الصحي
والدوائي

الإضجاع على الشق الأيمن

عن البرّاء بن عازب قال، قال النبيﷺ: {إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمتُ وجهي إليك وفوضتُ أمري إليك وألجأتُ ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإنْ مِتَّ من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به} قال فرددتها على النبيﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت : ورسولك قال :{لا ونبيك الذي أرسلت} رواه البخارى. إنّ الاستلقاء أو الاضطجاع على الفراش يمكن أنْ يكون على البطن أو على الظهر أو على أحد الشقين الأيمن أو الأيسر فما هي الوضعية الأمثل من أجل عمل الأعضاء؟ فحين ينام الشخص على بطنه كما يقول د ـ ظافر العطار ـ يشعر بعد مدة بضيق في التنفس لأنّ ثقل كتلة الظهر العظمية تمنع الصدر من التمدد والتقلص عند الشهيق والزفير كما أنّ هذه الوضعية تؤدي إلى انثناء اضطراري في فقرات الرقبة وإلى احتكاك الأعضاء التناسلية بالفراش مِمّا يدفع إلى ممارسة العادة السرية. كما أنّ الأزمة التنفسية الناجمة تتعب القلب والدماغ. ولاحظ باحث أسترالي* ارتفاع نسبة موت الأطفال المفاجئ إلى ثلاثة أضعاف عندما ينامون على بطونهم نسبة إلى الأطفال الذين ينامون على أحد الجانبين . كما نشرت مجلة (التايم) دراسة بريطانية مشابهة تؤكد ارتفاع نسبة الموت المفاجئ عند الأطفال الذين ينامون على بطونهم. ومن المعجز حقا توافق هذه الدراسات الحديثة مع ما نهى عنه معلم الخير محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺرجلا مضطجعا على بطنه فقال : { إنّ هذه ضجعة يبغضها اللهُ ورسولُه } رواه الترمذي بسنده. وما رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال : مرّ النبي صلى الله عيله وسلم على رجل نائم في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال : {قم واقعد فإنّها نومة جهنمية} رواه بن ماجة .ولقد حذر الباحثون اليابانيون من أنّ النوم على البطن قد يزيد خطر الإصابة بحصوات الكلى وأوضحت الدراسة أنّ المرضى ممن تعرضوا للإصابة بحصوات الكلى هم أكثر نوما على بطونهم مقارنة بالذين كانوا يستلقون على ظهورهم ولم يعانوا من المرض . أمّا النوم على الظهر فإنّه يسبب كما يرى الدكتور ـ العطار ـ التنفس الفموي لأنّ الفم ينفتح عند الاستلقاء على الظهر لاسترخاء الفك السفلي. لكن الأنف هو المهيأ للتنفس لما فيه من أشعر ومخاط لتنقية الهواء الداخل، ولغزارة أوعيته الدموية المهيأ لتسخين الهواء وهكذا فالتنفس من الفم يعرض صاحبه لكثرة الإصابة بنزلات البرد والزكام في الشتاء، كما يسبب جفاف اللثة ومن ثم إلى التهابها الجفافي، كما أنّه يثير حالات كامنة من فرط التصنع أو الضخامة اللثوية. وفي هذه الوضعية أيضا فإنّ شراع الحنك واللهاة يعارضان فرجان الخيشوم ويعيقان مجرى التنفس فيكثر الغطيط و الشخير... كما يستيقظ المتنفس من فمه ولسانه مغطى بطبقة بيضاء غير اعتيادية إلى جانب رائحة فم كريهة. كما أنّها تضغط على ما دونها عند الإناث فتكون مزعجة كذلك وهذه الوضعية غير مناسبة للعمود الفقري لأنه ليس مستقيماً وإنّما يحوي على انثناءين رقبي وقطني كما تؤدي عند الأطفال إلى تفلطح الرأس إذا اعتادها لفترة طويلة.

أمّا النوم على الشق الأيسر فهو غير مقبول أيضا لأنّ القلب حينئذ يقع تحت ضغط الرئة اليمنى، والتي هي أكبر من اليسرى مما يؤثر في وظيفته ويقلل نشاطه وخاصة عند المسنين .كما تضغط المعدة الممتلئة عليه فتزيد الضغط على القلب والكبد الذي هو أثقل الأحشاء لا يكون ثابتا بل معلقا بأربطة وهو موجود على الجانب الأيمن فيضغط على القلب وعلى المعدة مما يؤخر إفراغها. فقد أثبتت التجارب التي أجراها ـ غالتيه وبوتسيه ـ إنّ مرور الطعام من المعدة إلى الأمعاء يتم في فترة تتراوح بين 2.5 - 4.5 ساعة إذا كان النائم على الجانب الأيمن ولا يتم ذلك إلا في 8 -5 ساعات إذا كان على جنبه الأيسر. فالنوم على الشق الأيمن هو الوضع الصحيح لأنّ الرئة اليسرى أصغر من اليمنى فيكون القلب أخف حملا وتكون الكبد مستقرة لا معلقة والمعدة جاثمة فوقها بكل راحتها وهذا كما رأينا أسهل لإفراغ ما بداخلها من طعام بعد هضمه ... كما يعتبر النوم على الجانب الأيمن من أروع الإجراءات الطبية التي تسهل وظيفة القصبات الرئوية اليسرى في سرعة طرحها لإفرازاتها المخاطية هكذا ينقل الدكتور ـ الراوى ـ ويضيف قائلا: إنّ سبب حصول توسع القصبات للرئة اليسرى دون اليمنى هو؛ لأنّ قصبات الرئة اليمنى تتدرج في الارتفاع إلى الأعلى حيث أنّها مائلة قليلا مما يسهل طرحها لمفرزاتها بواسطة الأهداب القصبية أمّا قصبات الرئة اليسرى فإنّها عمودية مِمّا يصعب معه طرح المفرزات إلى الأعلى فتتراكم تلك المفرزات في الفص السفلي مؤدية إلى توسع القصبات فيه والذي من أعراضها كثرة طرح البلغم صباحا .هذا المرض قد يترقى مؤدياً إلى نتائج وخيمة كالإصابة بخراج الرئة والداء الكلوي وإنّ من أحدث علاجات هؤلاء المرضى هو النوم على الشق الأيمن ...

****

ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال

قال تعالى في معرض وصفه لفتية الكهف الذين لبثوا وهم نيام في كهفهم ثلاثة مائة سنين وازدادو تسعا :(ونقلبهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ) [سورة الكهف] إنّ من الإصابات الشائعة والصعبة العلاج التي تعترض الأطباء الممارسين في المشافي هي مشكلة حدوث ما تسمى بقرحة السرير عند المرضى الذين تضطرهم حالتهم للبقاء الطويل في السرير كما في كسور الحوض والعمود الفقري أو الشلول أو حالات السبات الطويل وقرحة السرير هذه عبارة عن قرحات تكون في الجلد والأنسجة التي تحته بسبب نقص التروية الدموية عن بعض مناطق الجلد، نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان الاضطجاع وأكثر ما تحصل في المنطقة العجزية والإليتين وعند لوحي الكتفين وكعبي القدمين، ولا وقاية من حدوثها هذه سوى تقليب المريض أكثر من (12) ساعة، وقد تكون هذه هي الحكمة من تقليب الله عز وجل لأهل الكهف لوقايتهم من تلك الإصابة وإنْ كانت قصة أهل الكهف كلها تدخل في نطاق المعجزة !!

*****

العطاس والتثاؤب

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :{ إنّ الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أنْ يُشَمِّتَه، وأمّا التثاؤب فإنّما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال ها ، ضحك منه الشيطان}. صحيح البخارى قال ابن حجر رحمه الله: قال الخطابي: معنى المحبة والكراهة فيهما منصرف إلى سببهما، وذلك أنّ العطاس يكون من خفة البدن وانفتاح المسام وعدم الغاية في الشبع، وهو بخلاف التثاؤب فإنّه يكون من علة امتلاء البدن وثقله من ما يكون ناشئا عن كثرة الأكل والتخليط فيه،

والأول يستدعى النشاط للعبادة والثاني على عكسه. وبين النبي صلى الله عليه وسلم كيف يُشَمّت العاطس في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال :{ إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فيقل : يهديكم الله ويصلح بالكم} صحيح البخاري والأطباء في العصر الحاضر يقولون: التثاؤب دليل على حاجة الدماغ والجسم إلى الأكجسين والغذاء، وعلى تقصير جهاز التنفس في تقديم ما يحتاجه الدماغ والجسم من الأكجسين، وهذا ما يحدث عند النعاس والإغماء وقبيل الوفاة.

والتثاؤب:هو شهيق عميق يجري عن طريق الفم ، وليس الفم بالطريق الطبيعي للشهيق لأنّه ليس مجهزا بجهاز لتصفية الهواء كما هو في الأنف، فإذا بقي الفم مفتوحا أثناء التثاؤب تسرب مع هواء الشهيق إلى داخل الجسم مختلف أنواع الجراثيم والغبار والهباء والهوام، لذلك جاء الهدي النبوي الكريم برد التثاؤب على قدر الاستطاعة ، أو سد الفم براحة اليد اليمنى أو بظهر اليد اليسرى.

والعطاس هو عكس التثاؤب ، فهو قوي ومفاجئ يخرج معه الهواء بقوة من الرئتين عن طريقي الأنف والفم ، فيجرف معه ما في طريقه من الغبار والهباء ة والهوام والجراثيم التي تسربت إلى جهاز التنفس لذلك كان من الطبيعي أنْ يكون العطاس من الرحمن لأنّ فيه فائدة الجسم ، وأنْ يكون التثاؤب من الشيطان لأنّ فيه ضررا للجسم، وحق على المرء أنْ يحمد الله سبحانه وتعالى على العطاس ، وأنْ يستعيذ به من الشيطان الرجيم في حالة التثاؤب .ومن المعروف طبياً أنه أثناء العطاس يرتفع الضغط داخل البطن مما قد يحدث أضراراً بالحوامل ومرضى الاستسقاء أو المصابين بفتق في السرة أوغيره كما يزداد الضغط داخل المخ والعينين مما قد يسبب أنزفة هنا وهناك إلا إنّ كل ذلك لا يحدث معظم الأحوال وذلك من رحمة الله تعالى الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ويقول الدكتور- احمد شوقي : إنّ ما يحدث أثناء لحظة العطاس وما يسبقه من شهيق عميق ومفاجئ تغيرات فسيولوجية يتحدث فيها الأطباء طويلا إلا أنّ ملخص القول أنّ رجمة الله تعالى تدرك الإنسان في هذه الحالة فتحميه من أضرار فجائية قد تحدث له وإذا منع الله عن الإنسان ضرراً فأقل شيء يفعله الإنسان أنْ يحمد الله عليه .

****

النقاهة من المرض

عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية رضى الله عنها قالت: دخل علّي رسول الله ﷺومعه علي رضى الله عنه، وعلي ناقه، ولنا دوالٍ معلقة، قالت: فقام رسول الله ﷺ يأكل، وقام علي رضى الله عنه أيضا يأكل، فقال رسول الله ﷺ: {مهلا يا علي إنّك ناقه} فجلس علي وأكل منها رسول الله ﷺثم جعلت لهم سلقا وشعيرا، فقال النبي ﷺ لعلي :{ من هذا فأَصِبْ فإنّه أوفق لك } رواه أحمد وأبو داود و ابن ماجة في المستدرك والترمذي وحسنه. والناقه : المريض المتماثل للشفاء. هكذا أرشد رسول الله ﷺعليا رضي الله عنه إلى وجوب اتباع الحمية والتدرج في الطعام عند المريض الذي يتماثل للشفاء، فاختار له الحساء المناسب للحالة التي هو فيها، فسَنّﷺ وجوب اتباع الحمية ومراعاة الحالة التي يكون فيها الإنسان في الطعام الذي يتناوله، وهو مبدأ من المبادئ المُجْمَع عليها عند الأطباء، فالمعدة بيت الداء والحمية أصل كل دواء.

****

العسل

قال تعالى :(وأوحى ربُّكَ إلى النحلِ أنِ اتخذي مِن الجبالِ بيوتاً ومِن الشجرِ ومِمّا يَعرشونَ * ثم كُلِي مِن كلِّ الثمراتِ فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُللا يَخرجُ مِن بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شفاءٌ للناس إنّ في ذلك لآيةً لِقوم يتفكرونَ) [سورة النحل] لقد جعل الله الشفاء في العسل وهيأ للنحل وسائل لحماية العسل من كل أذى ومن المواد التي تؤذيه مثل مادة الإيثانول ومن عجائب النحل ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة السُّكر عند النحل، فبعض النحل يتناول أثناء رحلاته بعض المواد المخدرة مثل الإيثانول ethanol وهي مادة تنتج بعد تخمّر بعض الثمار الناضجة في الطبيعة، فتأتي النحلة لتلعق بلسانها قسماً من هذه المواد فتصبح "سكرى" تماماً مثل البشر، ويمكن أن يستمر تأثير هذه المادة لمدة 48 ساعة.

إنّ الأعراض التي تحدث عند النحل بعد تعاطيه لهذه "المسكرات" تشبه الأعراض التي تحدث للإنسان بعد تعاطيه المسكرات، ويقول العلماء إنّ هذه النحلات السكرى تصبح عدوانية، ومؤذية لأنها تفسد العسل وتفرغ فيه هذه المواد المخدرة مما يؤدي إلى تسممه، ولكن الله تعالى يصف العسل بأنه (شفاء) في قوله تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) [النحل]. فماذا هيَّأ الله لهذا العسل ليبقى سليماً ولا يتعرض لأي مواد سامة؟ طبعاً من رحمة الله تعالى بنا ولأنه جعل في العسل شفاء، فمن الطبيعي أنْ يهيئ الله وسائل للنحل للدفاع عن العسل وبقائه صالحاً للاستخدام. وهذا ما دفع العلماء لدراسة هذه الظاهرة ومتابعتها خلال 30 عاماً، وكان لابد من مراقبة سلوك النحل. بعد المراقبة الطويلة لاحظوا أنّ في كل خلية نحل هناك نحلات زودها الله بما يشبه "أجهزة الإنذار"، تستطيع تحسس رائحة النحل السكران وتقاتله وتبعده عن الخلية!! وتأملوا معي الحكمة التي يتمتع بها عالم النحل، حتى النحلة التي تسكر مرفوضة وتطرد بل و"تُجلد" من قبل بقية النحلات المدافعات، أليس النحل أعقل من بعض البشر؟! إنّ النحلات التي تتعاطى هذه المسكرات تصبح سيئة السمعة، ولكن إذا ما أفاقت هذه النحلة من سكرتها سُمح لها بالدخول إلى الخلية مباشرة وذلك بعد أنْ تتأكد النحلات أنّ التأثير السام لها قد زال نهائياً. حتى إنّ النحلات تضع من أجل مراقبة هذه الظاهرة وتطهر الخلية من أمثال هؤلاء النحلات تضع ما يسمى "bee bouncers" وهي النحلات التي تقف مدافعة وحارسة للخلية، وهي تراقب جيداً النحلة التي تتعاطى المسكرات وتعمل على طردها، وإذا ما عاودت الكرة فإنّ "الحراس" سيكسرون أرجلها لكي يمنعوها من إعادة تعاطي المسكرات!!!

الإعجاز العلمي: ذكر القرآن في العسل شفاء للناظرين: وحتى نبين ذلك يجب أولا أنْ نذكر التركيب الكيماوي للعسل. فمهما يكن من أمر اختلاف لون العسل .. فإنّه بجميع ألوانه يحتوي على المركبات التالية:

1- الغلوكوز(سكر العنب): وهو يوجد بنسبة 75% والسكر الأساسي الرئيسي الذي تسمح جدران الأمعاء بمروره إلى الدم.. على عكس بقية الأنواع من السكاكر ـ وخاصة السكر الأبيض المعروف علمياً بقصب السكر- التي تتطلب من جهاز الهضم إ جراء عمليات متعددة، من التفاعلات الكيماوية، والاستقلابات الأساسية، حتى تتم عملية تحويلها إلى سكاكر بسيطة أحادية كالغلوكوز ـ يمكن الدم امتصاصها من خلال جدر الأمعاء . هذا وإنّ سكر (الغلوكوز) الذي في العسل .. بالإضافة إلى كونه سهل الامتصاص .. فإنّه سهل الادخار ذلك أنّه يتجه بعد الامتصاص إلى الكبد مباشرة فيتحول إلى غلوكوجين، يتم ادخاره فيه لحين الحاجة .. فإذا ما دعت الضرورة لاستخدامه .. يعاد إلى أصله (غلوكوز) يسير مع الدم ، ليستخدم كقوة محركة في العضلات. ومن الملاحظ أنّ القيمة الحرارية للعسل مرتفعة جدا، لاحتوائه على الغلوكوز.. وقد ثبت أنّ كيلو غراما واحدا من العسل يعطي 3150 حريرة.

2- بعض الأحماض العضوية بنسبة 0.08% ثمانية إلى عشرة الآف.

3- كمية قليلة من البروتينيات.

4- عدد لابأس به من الخمائر الضرورية لتنشيط تفاعلات الاستقلاب في الجسم، وتمثيل الغذاء.. ونستطيع أنْ نتبين الأهمية الكبرى لهذه الخمائر التي توجد في العسل إذا ما عرفنا وظائفها المبينة فيما يلي:

أ- خميرة (الأميلاز) : وهي التي تحول النشا الذي في الخبز ومختلف المواد النشوية، إلى سكر عنب.

ب- خميرة (الأنفزتاز) : وهي التي تحول سكر القصب (السكر العادي) إلى سكاكر أحادية (غلوكوز وفراكتوز) يمكن امتصاصها في الجسم .

ج- خميرتا (الكاتالاز) و (البيروكسيداز) : الضروريتان في عمليات الأكسدة والإرجاع التي في الجسم.

د- خميرة (الليباز) : الخاصة بهضم الدسم والمواد الشحمية.

5- أملاح معدنية بنسبة 0.018% وعلى الرغم من ضآلة نسبتها، فإنّ لها أهمية كبرى، بحيث تجعل العسل غذاء ذا تفاعل قلوي.. مقاوماً للحموضة.. له أهمية كبرى في معالجة أمراض الجهاز الهضمي المترافقة بزيادة كبيرة في الحموضة والقرحة. ومن أهم العناصر المعدنية التي في العسل : البوتاسيوم والكبريت والكالسيوم والصوديوم والفوسفور والمغنزيوم والحديد والمنغنيز... وكلها عناصر معدنية ضرورية لعملية بناء أنسجة الجسم الإنساني وتركيبها.

6- كميات قليلة من الفيتامينات لها وظائف حيوية (فيزيولوجية) مهمة، نفصلها على الشكل التالي:

أ- فيتامين ب1: وهو موجود بنسبة 0.15% ملغ/ لكل كيلو غرام من العسل وله دور أساسي في عمليات التمثيل الغذائي داخل الجسم، ولاسيما بالنسبة للجملة العصبية.

ب- فيتامين ب2: ويوجد بنسبة 1.5 ملغ / كغ.. وهي النسبة نفسها التي يوجد بها في لحم الدجاج.. وهو يدخل في تركيب الخمائر المختلفة التي تفرزها الغدد في الجسم.

ج- فيتامين ب3 : بنسبة 2 ملغ /كغ.. وهو فيتامين مضاد لالتهابات الجلد.

د- فيتامين ب5 : بنسبة 1 ملغ / كغ.

هـ- فيتامين بث : المضاد للنزيف.

و- فيتامين حـ : بنسبة 50 ملغ / كغ.. وهويزيد من مناعة الجسم ومقاومته للأمراض.

7- حبيبات غروية وزيوت طيارة، تعطيه رائحة وطعما خاصا.

8- مواد ملونة تعطيه لونه الجميل.

الشفاء في العسل : بعد أنْ تعرفنا على التركيب الكيماوي للعسل، وأهمية مركباته للإنسان.. نستطيع أنْ نخوض في خواصه العلاجية، مع شيء من الإيجاز والتبسيط، ويمكننا أنْ نجعل ذلك في الملاحظات التالية:

1- إنّ أهم خواص العسل إنه وسط غير صالح لنمو البكتيريات الجرثومية والفطريات... لذلك فهو قاتل للجراثيم، مبيد لها أينما وجد على عكس ماشاع في الولايات المتحدة منذ ثلاثين سنة من أنّ العسل ينقل الجراثيم، كما ينقلها الحليب بالتلوث. ولقد قام طبيب الجراثيم ـ ساكيت ـ باختبار أثر العسل على الجراثيم بالتجربة العلمية، فزرع جراثيم مختلف الأمراض في العسل الصافي وأخذ يترقب النتائج.. ولشد ما كانت دهشته عظيمة عندما رأى أنّ أنواعاً من هذه الجراثيم قد ماتت خلال بضع ساعات.. في حين أنّ أشدها قوة لم تستطع البقاء حية خلال بضعة أيام! لقد ماتت طفيليات الزحار (الديزيتريا) بعد عشر ساعات من زرعها في العسل.. وماتت جراثيم حمى الأمعاء (التيفوئيد) بعد أربع وعشرين ساعة.. أمّا جراثيم الالتهاب الرئوي فقد ماتت في اليوم الرابع.. كما أنّ الحفريات التي أجريت في منطقة الجيزة بمصر.. دلت على وجود إناء فيه عسل داخل الهرم مضى عليه ما ينوف على ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام ، وعلى الرغم من مرور هذه المدة الطويلة جدا، فقد ظل العسل محتفظا لم يتطرق إليه الفساد، بل إنّه ظل محتفظا حتى بالرائحة المميزة للعسل!!

2- إنّ العسل الذي يتألف بصورة رئيسية من الغلوكوز (سكر العنب) يمكن استعماله في كل الاستطبابات المبنية على الخواص العلاجية للغلوكوز.. كأمراض الدورة الدموية، وزيادة التوتر والنزيف المعوي، وقروح المعدة، وبعض أمراض المعي في الأطفال، وأمراض معدية مختلفة مثل التيفوس والحمى القرمزية والحصبة وغيرها.. بالإضافة إلى أنّه علاج ناجح للتسمم بأنواعه.

هذا.. وإنّ الغلوكوز المدخر في الكبد (الغلوكوجين) ليس ذخيرة للطاقة فحسب.. بل إنّ وجوده المستمر في خلايا الكبد وبنسبة ثابتة تقريبا يشير إلى دوره في تحسين وبناء الأنسجة والتمثيل الغذائي. ولقد استُعمِل الغلوكوز حديثا وعلى نطاق واسع .

<u>العسل وعلاج فقر الدم :</u> يحتوي العسل على عامل فعال جدا له تأثير كبير على الخضاب الدموي (الهيموغلوبين) ولقد جرت دراسات حول هذا الأمر في بعض المصحات السويسرية أكدت التأثير الفعال على خضاب الدم حيث ازدادت قوام الخضاب في الدم من 57 % إلى 80 % في الأسبوع الأول أي بعد أسبوع واحد من المعالجة بالعسل. كما لوحظت زيادة في وزن الأطفال الذين يتناولون العسل عن الزيادة في الأطفال الذين لا يعطون عسلا.

<u>العسل وشفاء الجروح :</u> لقد ثبت للدكتور ـ كرينتسكي ـ أنّ العسل يسرع في شفاء الجروح.. وعلل ذلك إلى المادة التي تنشط نمو الخلايا وانقسامها (الطبيعي) الأمر الذي يسرع في شفاء الجروح.

ولقد دلّت الإحصائيات التي أجريت في عام 1946 على نجاعة العسل في شفاء الجروح ذلك أنّ الدكتور : ـ س . سميرنوف ـ الأستاذ في معهد (تومسك) الطبي .. استعمل العسل في علاج الجروح المتسببة عن الإصابة بالرصاص في 75 حالة فتوصّل إلى أنّ العسل ينشط نمو الأنسجة لدى الجرحى الذين لا تلتئم جروحهم إلا ببطء. وفي ألمانيا يعالج الدكتور ـ كرونيتز ـ وغيره آلاف الجروح بالعسل وبنجاح مع عدم الاهتمام بتطهير مسبق، والجروح المعالجة بهذه الطريقة تمتاز بغزارة إفرازاتها إذ ينطرح منها القيح والجراثيم. وينصح الدكتور ـ بولمان ـ باستعمال العسل كمضاد جراحي للجروح المفتوحة... ويعرب عن رضاه التام عن النتائج الطبية التي توصل إليها في هذا الصدد لأنّه لم تحدث التصاقات أو تمزيق أنسجة أو أي تأثير عام ضار.

<u>العسل والتئام الجروح :</u> كان قدماء المصريين ينصحون بتغطية الجروح بقماش قطني مغموس بالعسل لمدة أربعة أيام، وقد جربها حديثا الجراح البريطاني د: ـ مخائيل بولمان ـ بمستشفى (نورفولك ـ نورويتش) بإنجلترا؛ حيث أتى العسل بنتائج مذهلة في تضميد جرح ناتج عن استئصال ثدي بسبب تسرطنه مِمّا أدى إلى تشكل جرح متكهف وعميق ومتقرح؛ فتحسن الجرح بسرعة فائقة بعد استعمال العسل ؛ حيث إنّ احتواء العسل على عناصر غذائية يلعب دورا واضحا في التشكل السريع للأنسجة النامية، كما إنّه يعمل على تهدئة الجروح الملتهبة والمتقيحة بطيئة الالتئام، كما يستعمل العسل كذلك في حالات الإصابة بالرصاص ؛ حيث أنّ العسل يزيد كمية إفراز(الجلوتاثيون) في الجرح مِمّا يساعد في عمليات التأكسد والاختزال وينشط نمو الخلايا وانقسامها ؛ فيسرع بالشفاء، ويسرع العسل من التئام الجروح خاصة إذا أخذ عن طريق الفم. كما يستعمل العسل كمهدئ للأعصاب وضد السعال والأرق والتهاب الشعب الهوائية والمغص وتقلص العضلات .

<u>العسل والأطفال:</u> ينصح كثير من الأطباء الطفل الذي لا يستطيع التحكم في عضلات المثانة البولية بعد سن 3 سنوات بتناول ملعقة عسل قبل النوم حيث يجذب العسل سوائل الجسم ؛ فيريح الكلى في أثناء الليل؛ حتى يتعود الطفل على عدم التبول ليلا، بل إنّ كبار السن ينصحون بتناول العسل قبل النوم لوقايتهم من النهوض في الساعات المبكرة للتبول . وفي إحدى مستشفيات أسبانيا أجريت تجربة على (30) طفلا لمدة (6) شهور وقورنوا بعدد مماثل من الأطفال الذين يأخذون الغذاء العادي؛ فظهرت زيادة في الوزن، وزيادة في عدد الكرات الدموية الحمراء، وزيادة في الهيموجلوبين، وزيادة في الكائنات النافعة بالأمعاء، علاوة على قدرة تحمل غير عادية بالنسبة للأطفال الذي يأخذون العسل، وينصح الأطفال في حالة إصابتهم بالأنيميا بإضافة ملعقة عسل صغيرة أو اثنين إلى وجبة الطفل، كما وجد أنّ العسل يساعد على تحسن نمو العظام والأسنان. وعند إصابة الجهاز الهضمي بالقرحة ينصح بتناول العسل مُذاباً في الماء الدافئ وقد نشر د.ـ سالم نجم ـ في مؤتمر الطب الإسلامي عام (1982) أنّ العسل أفاد في علاج الإسهال المزمن غير المعروف السبب. كما نصح ـ داود الإنطاكي ـ في القرن السادس عشر باستعمال عسل النحل لعلاج مرضى الصفراء وتسمم الكبد، وثبت في مستشفى في جامعة (بولونيا) بإيطاليا أنّ للعسل تأثير مقويا لمرضى الكبد، كما أنّ خليط العسل والليمون وزيت الزيتون يفيد في حالات أمراض الكبد والحويصلة المرارية.

<u>العسل والحساسية والجهاز التنفسي والروماتيزم:</u> أعلن الدكتور ـ وليام بيترسون ـ إخصائي أمراض الحساسية بجامعة (أيوا)الأمريكية أنّه قام بمعالجة (22) ألف مريض بالحساسية بمقدار ملعقة يوميا من عسل النحل الخام، وأكّد العسل فاعليته في (90 %) من الحالات وفي حالات الشعور بثقل الصدر والسعال وخشونة الصوت يفيد منقوع البصل مع العسل في جلي الصدر، وكذلك في علاج السعال الديكي. وكما أثبتت التجارب الطبية أنّ مزج العسل بالمواد الغذئية الخالية من فيتامين ك يظهر فعالية مؤكدة ضد النزيف. كما أثبت العسل فاعلية في حالة التهاب الأعصاب والروماتيزم، والتهاب المفاصل، وفي حالة التهاب الشعب الهوائية، وفي حالة شلل الأطفال تؤخذ ملعقتان من العسل مع كل وجبة حيث يرفع نسبة الكالسيوم في الدم.

<u>العسل وتسمم الحمل :</u> تظهر على كثير من السيدات الحوامل في الثلث الأخير من الحمل الأول بعض الأعراض المرضية مثل: انتفاخ الجسم، وارتفاع ضغط الدم، وزيادة الزلال في البول وازدياد نسبة اليوريا في الدم، وترجع هذه الأعراض إلى نقص مادة(بروستا جلاندين) في الدم، ومع تناول السيدة الحامل للعسل صباحاً ومساء يؤدي إلى تأثيره المهدئ وإدارار للبول بالإضافة إلى احتوائه على الدهنيات الفوسفورية الأساسية لمادة (البروستاجلادين).

<u>العسل والجلد:</u> وفي بعض الدول الأوروبية يقوم الريفيون بربط أماكن الحروق والجروح والتسلخات بأشرطة من القماش المدهون بالعسل وأثبتت حادثة واقعية لطفل انسكب علية كوب من الشاي المغلي أدى إلى التهاب جلد الصدر والبطن، ومع دهانه سريعا بالعسل المتجمد؛ في الصباح بعد الكشف عن أماكن الحرق تبين أنّ السطح البطني للجسم أبيض عادي، كأنْ لم يصبه شيء مع ظهور فقاعة بحجم حبة العنب في أعلى الصدر ممتلئة سائلا يبدو أنّها كانت قليلة الالتهاب؛ فلم تُرَ ،ولم تدهن بالعسل ، ومع المقارنة بين السطحين تبين المفعول الأكيد للعسل. وفي الطب الروسي الشعبي كانت تستعمل لبخة العسل المخلوط بالدقيق لعلاج الخراريج السميكة التي تصيب الأكف والأقدام وكذلك سل الجلد. والعسل يعتبر من مصادر الجمال؛ فكان يستخدم كمحلول للوجه مع اللبن؛ حيث يغذي العسل الجلد ويزيده بياضا ونعومة، ويقيه من الميكروبات، كما يعمل العسل على شد الجلد المرتخي والمتشقق،

والشفتين فينصح بخلط (30) جراما من العسل +(30) جراما من عصير الليمون +(15) جراما من ماء الكولونيا . ويعتبر العسل وعصير الليمون أحسن المواد لعلاج ضربة الشمس وتهيج وتبقع الجلد.

العسل والعيون: وبالنسبة لأهمية العسل للعين، ففي عام (1981) أشار د. - محمد عمارة - رئيس قسم طب العيون بجامعة المنصورة إلى نجاح العسل في علاج التهاب القرنية، وعتمات القرنية المترتبة عن الإصابة بفيروس الهربس، والتهاب وجفاف الملتحمة ، وينصح بوضع العسل في جيب الملتحمة الأسفل (2- 3) مرات يوميا مثل وضع المراهم تماما، وإنْ كان ذلك ربما يؤدي إلى حدوث حرقان وقتي بالعين وانهمار الدموع؛ فإنّه سرعان ما يتلاشى وتتحسن الحالة .

العسل وعلاج لجهاز التنفس: استعمل العسل لمعالجة أمراض الجزء العلوي من جهاز التنفس. ولا سيما - التهاب الغشاء المخاطي وتقشره، و كذلك تقشر الحبال الصوتية. وتتم المعالجة باستنشاق محلول العسل بالماء الدافئ بنسبة 10% خلال 5 دقائق . وقد بين الدكتور - كيزلستين - أنّه من بين 20 حالة عولجت باستنشاق محلول العسل ... فشلت حالتان فقط.. في حين أنّ الطرق العلاجية الأخرى فشلت فيها جمعيا.. وهي نسبة عالية في النجاح كما ترى. ولقد كان لقدرة العسل المطهر واحتوائه على الزيوت الطيارة أثر كبير في أنْ يلجأ معمل (ماك) الألماني إلى إضافة العسل إلى المستحضرات بشكل ملموس.

وهذا ويستعمل العسل ممزوجا بأغذية وعقاقير أخرى كعلاج للزكام ..وقد وجد أنّ التحسن السريع يحدث باستعمال العسل ممزوجا بعصير الليمون بنسبة نصف ليمونة في 100 غ من العسل .

العسل وأمراض الرئة: استعمل - ابن سينا - العسل لعلاج السل في أطواره الأولى .. كما أنّ الدكتور - ن .يورش - أستاذ الطب في معهد (كييف) يرى أنّ العسل يساعد العضوية في كفاحها ضد الإنتانات الرئوية كالسل وخراجات الرئة والتهاب القصبات وغيرها .. و على الرغم من أنّ البيانات الكثيرة للعلماء تشهد بالنتائج المدهشة غللعسل، في علاج السل فإنّه لا يوجد دليل على وجود خواص مضادة للسل في العسل ولكن من المؤكد أنّ العسل يزيد من مقاومة الجسم عموماً الأمر الذي يساعد على التحكم في العدوى.

العسل وأمراض القلب : عضلة القلب .. التي لا تفتأ تعمل باستمرار على حفظ دوران الدم، وبالتالي تعمل على سلامة الحياة.. لا بد لها من غذاء يقوم بأوردتها. وقد تبين أنّ العسل، لوفرة ما فيه من (غلوكوز) يقوم بهذا الدور ومن هنا وجب إدخال العسل في الطعام اليومي لمرضى القلب .

العسل وأمراض المعدة والأمعاء: إنّ المنطق الأساسي لاستعمال العسل كعلاج لكافة أمراض المعدة والأمعاء المترافقة بزيادة في الحموضة، هو كون العسل، غذاء ذا تفاعل قلوي .. يعمل على تعديل الحموضة الزائدة ففي معالجة قروح المعدة والأمعاء .. ينصح بأخذ العسل قبل الطعام بساعتين أو بعده بثلاث ساعات .. وقد تبين أنّ العسل يقضي على الآم القرح الشديدة، وعلى حموضة الجوف، والقيء .. ويزيد من نسبة (هيموغلوبين) الدم عند المصابين بقرح المعدة والاثنى عشر.

ولقد أثبتت التجربة اختفاء الحموضة بعد العلاج بشراب العسل، كما أظهر الكشف بأشعة رونتجن (التصوير الشعاعي) اختفاء التجويف القرحي في جدار المعدة، لدى عشرة مصابين بالقرحة من أصل أربعة عشر مريضا .. وذلك بعد معالجتهم بشراب العسل، لمدة أربعة أسابيع.. وهي نسبة في الشفاء عالية معتبرة.

العسل وأمراض الكبد: إنّ كافة الحوادث الاستقلابية تقع في الكبد تقريبا .. الأمر الذي يدل على الأهمية القصوى لهذا العضو الفعال.. وقد ثبت بالتجربة .. أنّ (الغلوكوز) الذي هو المادة الرئيسية المكونة للعسل، يقوم بعمليتين اثنتين:

1- ينشط عملية التمثيل الغذائي في الكبد.

2- ينشط الكبد لتكوين الترياق المضاد للبكتريا.. الأمر الذي يؤدي إلى زيادة مقاومة الجسم للعدوى. كما تبين أنّ العسل له أهمية كبيرة في معالجة التهاب الكبد والآلام الناتجة عن حصوات الطرق الصفراوية.

العسل وأمراض الجهاز العصبي: إنّ هذه الخاصة نابعة أيضا من التأثير المسكن للغلوكوز في حالات الصداع، والأرق ، والهيجان العصبي.. ولقد لاحظ الأطباء الذين يستعملون العسل في علاج الأمراض العصبية قدرته العالية على إعطاء المفعول المرجو.

العسل وأمراض الجلد والأرتيكاريا (الحكة): نشر الباحثون العاملون في عيادة الأمراض الجلدية، سنة 1945 ، في المعهد الطبي الثاني، في موسكو .. مقالة عن النجاح في علاج سبعة وعشرين مريضا، من المصابين بالدمامل والخراجات.. تم شفاؤهم بواسطة استعمال أدهان كمراهم. ولا يخفى ما للادِّهان بالعسل، من أثر في تغذية الجلد، وإكسابه نضارة ونعومة.

العسل وأمراض العين: استعمل الأطباء ، في الماضي، العسل ..كدواء ممتاز لمعالجة التهاب العيون .. واليوم وبعد أنْ اكتشفت أنواع كثيرة من العقاقير والمضادات الحيوية، لم يفقد العسل أهميته .. فقد دلت الإحصائيات على جودة العسل في شفاء التهاب الجفون والملتحمة، وتقرح القرنية، وأمراض عينية أخرى. ومن أكثر المتحمسين للاستطباب بمراهم العسل ، الأساتذة الجامعيون في منطقة (أوديسا) في الاتحاد السوفيتي، وخصوصا، الأستاذ الجامعي - فيشر والدكتور- ميخائيلوف - حتى إنّ تطبيب أمراض العين بمراهم العسل انتشر في منطقة (أوديسا) كلها. وقد كتب الدكتور- ع.ك. أوساولكو- مقالا ضمَّنه مشاهداته وتجاربه في استعمال العسل لأمراض العين، وقد أوجز النتائج التي توصل إليها بالنقاط التالية:

1- يبدي العسل بدون شك تأثيراً ممتازا على سير مختلف آفات القرنية الالتهابية، فكل الحالات المعندة على العلاج العادية والتي طبقنا فيها المرهم ذا السواغ العسلي تحسنت بسرعة غريبة. كما أنّ عددا من حادثات التهاب القرنية على اختلاف منشئه، أدى تطبيق العسل صرفا فيها إلى نتائج طيبة.

2- يمكننا أنْ ننصح باستعمال العسل كسواغ من أجل تحضير معظم المراهم العينية باعتبار أنّ للعسل نفسه تأثيرات ممتازة على سير جميع آفات القرنية.

3- من المؤكد أنّ ما توصلنا إليه من نتائج يدعو المؤسسات الصحية كافة والتي تتعاطى طب العيون أنْ تفتح الباب على مصراعيه لتطبيق العسل على نطاق واسع في معالجة أمراض العيون.

العسل ومرض السكري: نشر الدكتور - دافيدرف - الروسي عام 1915 خلاصة لأبحاثه في استعمال العسل لمرض السكر.. فبين ما خلاصته أنّ استعمال العسل لمرض السكر مفيد جدا في الحالات التالية :

1. كنوع من الحلوى ليس منها ضرر .
2. كمادة غذائية تضاف إلى نظام المريض الغذائي.. إذ أنّ تناول العسل، لا يشعر بعده، بأي رغبة في تناول أي نوع من الحلوى المحرمة عليه.. وهذا عامل مهم في الوقاية.
3. كمادة مانعة لوجود مادة (الأسيتون) الخطرة في الدم .. إذ أنّ ظهور (الأسيتون) في الدم يحتم استعمال السكريات ، واتباع نظام أكثر حرية في الغذاء ، على الرغم من مضارها للمريض .. وذلك للحيلولة دون استمرار وجوده .. والعسل باعتباره مادة سكرية يعمل على الحيلولة دون وجوده .
4. كمادة سكرية .. لا تزيد، بل على العكس تنقص من إخراج سكر العنب وإطراحه ... وقد تم تفسير ذلك عمليا بعد أنْ تم اكتشاف (هرمون) مشابه (للأنسولين) في تركيب العسل الكيميائي . هذا وقد بين الدكتور - لوكهيد - .. الذي يعمل في قسم الخمائر ب(أوتاوا) عاصمة كندا ، أنّ بعض الخمائر المقاومة للسكر ، وغير الممرضة للإنسان .. تظل تعيش في العسل .

العسل واضطرابات طرح البول: يرى الدكتور - ريمي شوفان - أنّ الفركتوز (سكر الفواكه) الذي يحتوي العسل على نسبة عالية منه يسهل الإفراز البولي أكثر من الغلوكوز (سكر العنب) ، وأنّ العسل أفضل من الاثنين معا ، لما فيه من أحماض عضوية وزيوت طيارة وصباغات نباتية تحمل خواص فيتامينية . ولئن كثر الجدل حول العامل الفعال الموجود في العسل الذي يؤدي إلى توسيع الأوعية الكلوية وزيادة الإفرازات الكلوية (الإدرار) ، إلا أنّ تأثيره الملحوظ لم ينكره أحد منهم ، حتى إنّ الدكتور - ساك - بيّن أنّ إعطاء مائة غرام ثم خمسين غراما من العسل يوميا أدى إلى تحسين ملموس ، وزوال كل من التعكر البولي والجراثيم العضوية .

العسل والأرق وأمراض الجهاز العصبي :لقد أثبتت المشاهدات السريرية الخواص الدوائية للعسل في معالجة أمراض الجهاز العصبي فقد بين البروفسور- ك . بوغو ليبوف - و- ف. كيسيليفا - نجاح المعالجة بالعسل لمريضين مصابين بداء الرقص (وهو عبارة عن تقلصات عضلية لا إرادية تؤدي إلى حركات عفوية في الأطراف) ففي فترة امتدت ثلاث أسابيع أوقفت خلالها كافة المعالجات الأخرى حصل كل من المريضين على نتائج باهرة.. لقد استعادا نومهما الطبيعي وزال الصداع ونقص التهيج والضعف العام.

العسل ومرض السرطان: لقد ثبت لدى العلماء المتخصصين أنّ مرض السرطان معدوم بين مربي النحل المداومين على العمل بين النحل. ولقد مال البعض إلى الاعتقاد بأنّ هذه المناعة ضد مرض السرطان، لدى مربي النحل.. مردها إلى سم النحل .. الذي يدخل مجرى الدم، باستمرار- نتيجة لما يصابون به من لسع النحل أثناء عملهم. ومال آخرون إلى الاعتقاد بأنّ هذه المناعة هي نتيجة لما يتناوله مربو النحل من العسل المحتوي على كمية قليلة من الغذاء الملكي، ذي الفاعلية العجيبة، وكمية أخرى من حبوب اللقاح. ولقد مال كثير من العلماء إلى الرأي الثاني .. خصوصاً بعد ما تم اكتشافه من أنّ نحل العسل، يفرز بعض العناصر الكمياوية على حبوب اللقاح، تمنع انقسام خلاياها .. وذلك تمهيدا لاختزانها في العيون السداسية، إنّ هذه المواد الكيماوية الغريبة ، التي تحد من انقسام حبوب اللقاح، والتي يتناولها الإنسان بكميات قليلة جدا مع العسل .. لربما لها أثر كبير في الحد من النمو غير الطبيعي لخلايا جسم الإنسان.. وبالتالي منع الإصابة بمرض السرطان. وعلى كل حال .. مازالت الفكرة مجرد شواهد وملاحظات .. لم يبت العلم فيها بشيء .. شأنها شأن الكثير من الملاحظات التي لم يُبَت فيها .. ولا يزال مرض السرطان لغزا يحير الأطباء .. ويجهد الدارسين.

العسل والأمراض النسائية: إقياء الحامل وحالات الغثيان التي تصاب بها أمور أرقت الأطباء .. لقد أجهدهم إيجاد الدواء المناسب ، حتى إنّ الطب النفسي قد خاض غمار تطبيب هذه الحالات ، على الرغم من عدم جدواه في ذلك بسبب طول مدة المعالجة وغلاء كلفة المادة . ولقد توصل حديثا بعض العلماء إلى استعمال حقن وريدية تحتوي على 40% من محلول العسل- الصافي- كان لها أثر فعال في الشفاء ، هذا وقد تبين أنّ إدخال العسل في الراتب الغذائي للمرأة الحامل يؤدي دورا كبيرا في مساعدتها أثناء فترة الحمل .

العسل غذاء مثالي : إنّ العسل غذاء مثالي لجسم الإنسان ، يقيه الكثير من المتاعب ، التي تجلبها له الأغذية الاصطناعية الأخرى .. وإنّ القيمة الغذائية للعسل تكمن في خاصيتين اثنتين متوفرتين فيه :

1. إنّ العسل غذاء ذو تفاعل قلوي .يفيد في تطرية وتنعيم جهاز الهضم وتعديل شيء من الحموضة الناتجة عن الأغذية الأخرى .
2. إنّ العسل يحوي على مضادات البكتيريا (الجراثيم) .. فهو بذلك يحمي الأسنان من نقص الكالسيوم ، وبالتالي يحول دون النخر .. على نقيض السكاكر الأخرى ، التي تحلل بقاياها بواسطة البكتيريا .. الأمر الذي يؤدي إلى تكوين أحماض ، منها اللبن الذي يمتص الكالسيوم من الأسنان تدريجيا .. فيحدث النخر فيها .

العسل غذاء جيد للأطفال والناشئين : يعمل على تغذية الطفل ولقد جرب الأثر الفعال للعسل على الأطفال في بعض المصحات السويسرية حيث جرى تقسيم الأطفال إلى ثلاث فئات : قدِّم للفئة الأولى نظام غذائي اعتيادي وقدم للفئة الثانية النظام السابق نفسه مضافا إليه العسل وقدم للفئة الثالثة النظام الغذائي نفسه للفئة الأولى مع إضافة أدوية مختلفة عوضا عن العسل لزيادة الشهية أو لرفع نسبة الخضاب فأعطت الفئة الثانية التي أعطيت عسلا أحسن النتائج بالنسبة للحالة العامة ، وأعلى زيادة في الوزن وأعلى

نسبة لخضاب الدم ويرى الدكتور ـ زايس ـ أنّ المواد الفعالة في العسل التي تؤثر على قوام الخضاب هي ما يحويه العسل من مواد معدنية كالحديد والنحاس والمنغنيز .

****

اللبن

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بلبن فشرب فقال : { إذا أكل أحدكم طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، وإذا سقي لبنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنّه ليس يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن } . رواه أحمد في مسنده وابن ماجة والترمذي وحسنه وأبو داود . والإعجاز في الحديث الشريف في قوله عليه الصلاة والسلام : { فإنّه ليس يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن } [اللبن : الحليب] ، وقد ثبت أنّ اللبن أكمل الأغذية من الناحية البيولوجية ، رغم أنّه ينقصه قليل من العناصر الغذائية ، ولكن رغم ذلك يُعد أفضل من أي غذاء منفرد وحيد ؛ ولا توجد مادة غذائية أخرى يمكن أنْ تقارن مع اللبن من حيث قيمته الغذائية المرتفعة ، وذلك لاحتوائه على المواد الغذائية الأساسية الضرورية التي لايستغني عنها جسم الإنسان في جميع مراحل نموه وتطوره كالبروتينات والكربوهيدرات والسكريات والدهون والمعادن والفيتامينات ؛ واللبن يمد جسم الإنسان بمجموعة كبيرة جدا من هذه العناصر والمركبات الغذائية الحيوية الهامة . يعتبر الحليب أكثر غذاء متكامل وُجد على سطح الأرض حيث أنّه صُمم ليكون غذاء لكل مولود للحيوانات اللبونة (كالبقر والمعز والغنم) والإنسان ، وبذلك فإنه يؤمن كميات كافية من الغذاء ، ومع ذلك فإنّ الحليب فقير بالفيتامين (سي) والحديد ، إلا أنّ الأطفال يولدون وفي أجسامهم كمية من الحديد وفيتامين (سي) تكفيهم لعدة أسابيع . وما يثير العجب أنّ عناصر الحليب الغذائية تكون بحالة جاهزة للهضم ولا يضيع منها أثناء الامتصاص في الأمعاء إلا النزر القليل ، والحليب ليس غذاء مفيدا للأطفال فحسب بل هو غذاء عظيم لكل جيل . والجدير بالذكر كما في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ أتى ليلة الإسراء والمعراج بقدح من خمر وقدح من لبن ، فنظر إليهما ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل عليه السلام : الحمد لله الذي هداك إلى الفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك . وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : { عليكم بألبان البقر فإنّها تَرُمُّ من كل الشجر وهو شفاء من كل داء } . أخرجه الحاكم في المستدرك .

نشرت مجلة اللانسست الطبية المشهورة عام 1985م دراسة قام بها الدكتور ـ غارلاند ـ من جامعة (كالفورنيا) في الولايات المتحدة حيث درس الغذاء الذي يتناوله ألفا رجل على مدى عشرين عاما ، فوجد أنّ أولئك الذين كانوا يشربون كأسين ونصف من الحليب يوميا أقل عرضة بكثير لسرطان القولون من أولئك الذين لايتناولون الحليب ، ولهذا كانت نصيحة الدكتور ـ غارلاند ـ أنْ يشرب الناس ما بين كوبين إلى ثلاثة أكواب من الحليب القليل الدسم للوقاية من سرطان القولون... وهناك دراسة أخرى من اليابان تشير إلى أنّ تناول الحليب يقلل من الإصابة بسرطان المعدة ... ومن المعروف لدى عامة الناس أنّ تناول الحليب عند المصابين بقرحة المعدة يخفف ألم القرحة ، وقد اكتشف العلماء في جامعة (نيويورك) في الولايات المتحدة أنّ الحليب يحتوي على مادة تسمى (البروستا غلاندين) وهي التي تقي من القرحة ... ومن الملاحظ كثرة التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال إلا أنّ هذا المرض يمكن الوقاية منه إذا ما أعطينا أطفالنا حليبا كامل الدسم .

****

الفاكهة أولا

جاء في القرآن الكريم قوله في سورة الواقعة مقدما الفاكهة على اللحم: (وفاكهةٍ مِمَّا يتخيرونَ ولَحمِ طيرٍ مِمَّا يشتهونَ) وجاء أيضا في سورة الطور : (وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ مِمّا يشتهونَ) وقال رسول الله ﷺ:{ إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنّه بركة} رواه الترمذي . إنّ تناول الفاكهة قبل الوجبة الغذائية له فوائد صحية جيدة، لأنّ الفاكهة تحوي سكاكر بسيطة سهلة الهضم وسريعة الامتصاص، فالأمعاء تمتص هذه السكاكر بمدة قصيرة تقدر بالدقائق فيرتوي الجسم وتزول أعراض الجوع ونقص السكر، في حين أنّ الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام المتنوع يحتاج إلى ما يقارب ثلاثة ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في غذائه من سكر، وتبقى عنده أعراض الجوع لفترة أطول. إنّ السكاكر البسيطة بالإضافة إلى أنّها سهلة الهضم والامتصاص فإنها مصدر الطاقة الأساسي لخلايا الجسد المختلفة. ومن هذه الخلايا التي تستفيد استفادة سريعة من السكاكر البسيطة هي خلايا جدر الأمعاء والزغابات المعوية حيث تنشط بسرعة عندما تصلها السكاكر الموجودة بالفاكهة وتستعد للقيام بوظيفتها على أتم وجه في امتصاص مختلف أنواع الطعام والتي يأكلها الشخص بعد الفاكهة. وربما كانت هذه هي الحكمة من تقديم الفاكهة على اللحم في الآيات القرآنية الكريمة وفي الحديث الشريف.

****

زمزم

لماء زمزم ميزة على غيره في التركيب، فقد قام بعض الباحثين من الباكستانيين من فترة طويلة فأثبتوا هذا، وقام مركز أبحاث الحج بدراسات حول ماء زمزم، فوجدوا أنّ ماء زمزم ماء عجيب يختلف عن غيره، قال المهندس ـ سامي عنقاوي ـ مدير- رئيس مركز أبحاث الحج- عندما كنا نحفر في زمزم عند التوسعة الجديدة للحرم كنا كلما أخذنا من ماء زمزم زادنا عطاء.. كلما أخذنا من الماء زاد.. شغّلنا ثلاث مضخات لكي ننزح ماء زمزم حتى يتيسر لنا وضع الأسس، ثم قمنا بدراسة لماء زمزم من منبعه لنرى هل فيه جراثيم؟! فوجدنا أنه لايوجد فيه جرثومة واحدة !! نقي طاهر ، لكن قد يحدث نوع من التلوث بعد ذلك في استعمال الآنية أو أنابيب المياه أو الدلو فالتلوث من غيره !، ولكنه نقي طاهر ليس فيه أدنى شيء . هذا عن خصوصيته ومن خصوصية ماء زمزم أيضا أنك تجده دائما .. ودائما يعطي منذ عهد الرسولﷺ إلى اليوم وهو يفيض في حين لاتستمر غيره من الآبار أكثر من مائة سنة أو خمسين سنة ، يغور ماؤها وتنتهي . فما بال هذا البئردائما لاتنفذ ماءه ؟ قال ﷺ: { ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له إنْ شربته تستشفي

شفاك الله وإنْ شربته لقطع ظمأك قطعه الله هي هزمة جبريل وسقيا الله لإسماعيل} رواه ابن عباس يقول الدكتور. زغلول النجار– :زمزم في ذاتها معجزة كبيرة لأنّ مكة المكرمة مقامة على كتلة هائلة من الصخور المصمتة النارية والمتحولة التي لا نفاذية ولا مسامية فيها على الاطلاق في حين المعروف أنّ الماء يخزن في الصخور المسامية التي تتميز بقدر عالٍ من المسامية فالصخور المصمتة لا يحتمل أبدا خروج الماء إلا بعض الحالات التي تتعرض فيها هذه الصخور لعمليات تشقق التي تسمح بنفاذ بعض الماء ولم يدرك العلماء حقيقة هذه البئر إلا بعد حفر الأنفاق حول مكة لاحظ القائمون بهذا الحفر أنّ هناك خطوطاً شعرية دقيقة للغاية تتحرك وسط هذه الصخور لمسافات طويلة تمتد لعشرة آلاف من الكيلو مترات فهو هزمة جبريل إذ طرق الأرض في هذا المكان فأدى إلى تشقق الصخور إلى مسافات طويلة من كل الاتجاهات لها صفات ماء زمزم ولم تعرف البشرية بئراً كزمزم انفجرت من أرض كأرض مكة ولا تزال في الجريان منذ ثلاثة آلاف من السنين مما يشهد بأنه معجزة من عند الله لهذا يقول عليه السلام {خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم }ولقد أثبت الدارسون لحقيقة ماء زمزم تميزه عن غيره وهو ماء مبارك في أرض طاهرة فهو لما شُرِب له يقول الشيخ الزنداني: هذا حق أنا علمت علما قاطعا بقصة رجل من اليمن – أعرفه فهو صديقي – هذا رجل كبير ، نظره كان ضعيفا .. بسبب كبر السن وكاد يفقد بصره !، وكان يقرأ القرآن وهو حريص على قراءة القرآن .. وهو يكثر من قراءة القرآن وعنده مصحف صغير .. هذا المصحف لا يريد مفارقته ، ولكن ضعف نظره فكيف يفعل؟! قال : سمعت أنّ زمزم شفاء فجئت إلى زمزم ، وأخذت أشرب منه فرأيته يأخذ المصحف الصغير من جيبه ويفتحه ويقرأ ، أي والله يفتحه ويقرأ وكان لا يستطيع أنْ يقرأ حروف هي أكبر من حروف مصحفه هذا ، وقال : هذا بعد شربي لزمزم . فيا أخي الكريم هذا حديث رسول اللهﷺ ، ولكن الدعاء شرطه أنْ يكون صاحبه موقنا بالإجابة شرط أنْ تكون مستجيبا ، شرطه أنْ تحقق شرط الجواب : (وإذا سألكَ عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)[سورة البقرة]

** يسرية شفيت من قرحة قرمزية في عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم ، يذكر أحد الإخوة المسلمين بعد عودته من أداء فريضة الحج فيقول : حدثتني سيدة فاضلة اسمها – يسرية عبد الرحمن حراز – كانت تؤدي معنا فريضة الحج ضمن وزارة الأوقاف عن المعجزة التي حدثت لها ببركات ماء زمزم فقال : إنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى نتج عنها صداع نصفي لا يفارقها ليل نهار ، ولا تهدئ منه المسكنات .. كما أنّها كادت تفقد الرؤية تماما بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها .. وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون فأكد أنّه لا سبيل إلى وقف الصداع إلا بإعطائها حقنة تقضي عليه ، وفي نفس الوقت تقضي على العين المصابة فلاترى إلى الأبد . وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي ، ولكنها كانت واثقة برحمة الله تعالى ومطمئنة إلى أنّه سيهيئ لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك .. ففكرت في أداء عمرة ، لكي تتمكن من التماس الشفاء مباشرة من الله عند بيته المحرم . وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة ، ولم يكن عدد الطائفين كبيرا وقتئذ ،، مما أتاح لها – كما تقول – أنْ تقبل الحجر الأسود ، وتمس عينها المريضة به .. ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوبا منه وتغسل به عينها .. وبعد ذلك أتمتْ السعي وعادت إلى الفندق الذي تنزل به . فوجئت بعد عودتها إلى الفندق أنّ عينها المريضة أصبحت سليمة تماما ، وأنّ أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يذكر . كيف تمّ استئصال قرحة بدون جراحة ؟! .. كيف تعود عين ميئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية بدون علاج ؟! وعلم الطبيب المعالج بما حدث ، فلم يملك إلا أنْ يصيح من أعماقه الله أكبر إنّ هذه المريضة التي فشل الطب في علاجها عالجها الطبيب الأعظم في عيادته الإلهية التي أخبر عنها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم : { ماء زمزم لِمَا شرب له ، إنْ شربتَه تستشفي شفاك الله ، وإنْ شربته لشبعك أشبعك الله ، وإنْ شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهي هزمة جبرائيل وسُقيا الله إسماعيل } رواه الدارقطني والحاكم .

** إخراج حصاة بدون جراحة : ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرأها ، وهي إنْ دلت على شيء فإنّما تدل على صدق ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه البئر المباركة – زمزم. فيروي صاحب هذه الحكاية الدكتور ـ فاروق عنتر ـ فيقول : لقد أصبت منذ سنوات بحصاة في الحالب ، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية ، ولكنني أجّلت إجراء العملية مرتين .. ثم عَنَّ لي أنْ أؤدي عمرة ، وأسأل الله أنْ يمن علّي بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة بدون جراحة ؟ وبالفعل سافر الدكتور ـ فاروق ـ إلى مكة ، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم ، وقبّل الحجر الأسود ، ثم صلّى ركعتين قبل خروجه من الحرم ، فأحسّ بشيء يخزه في الحالب ، فأسرع إلى دورة المياه ، فإذا بالمعجزة تحدث ، وتخرج الحصاة الكبيرة ، ويشفى دون أنْ يدخل غرفة العمليات . لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه ، ويتابعون حالته.

****

الماء الآسن

قال تعالى في سورة محمد : (مَثلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقونَ فيها أنهارٌ مِن ماءٍ غيرِ آسِنٍ وأنهارٌ مِن لبنٍ لم يتغير طعمه ....) .
قررت الآية الكريمة حقيقة علمية قبل أنْ يكتشفها العلم بوسائله وأدواته ، عالم الميكروبات أي الجراثيم التي توجد في الماء الراكد الذي يصير مستودعا لملايين البكتيريا والطفيليات الضارة التي تصيب الإنسان والحيوان بالأمراض ، فإنه لمّا اخترع الإنسان المناظير المكبرة رأى بواسطتها كيف أنّ الماء الراكد يموج بملايين الكائنات الدقيقة التي لاتُرى بالعين المجردة وتتكاثر بسرعة هائلة فتفسد الماء وتجعله متغير الرائحة والطعم وسببا في الأمراض والأوبئة التي ما كان أحد يعرف مصدرها قبل اكتشافها بواسطة المجهر (الميكروسكوب) أي مكبر الصور إلى درجة كبيرة .

****

شرب الماء والتنفس

عن ثمامة بن عبد الله قال : كان أنس بن مالك رضي الله عنه يتنفس في الإناء مرتين أو ثلاثة ، وزعم أنّ النبي كان يتنفس ثلاثا . صحيح البخاري وعن ابن أبي قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : { إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ... }. صحيح البخاري . وأخرج مسلم وأصحاب السنن من طريق أبي عاصم عن أنس أنّ النبي كان يتنفس في الإناء ثلاثا ويقول : (هو أروى وأمرأ وأبرأ) . أي أكثر ريّاً ، وأكثر إبراء من الأذى والعطش ، والمراد أنّه يصير هنيئا مريئا بريا سالما من مرض أو عطش أو أذى . قال بعض العلماء: النهي عن التنفس في الشراب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنّه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأمّا لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئا مما يتناوله فلا بأس. قلت: والأولى تعميم المنع لأنه لا يؤمن مع ذلك أنْ تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك... وقال القرطبي: معنى النهي عن التنفس في الإناء لئلا يتقذر به من بزاق أو رائحة كريهة تتعلق بالماء. هكذا فهم المتقدمون من العلماء الحديث الشريف، وزاد فيه المعاصرون معنى آخر، قال أحدهم: وهذا هدي آخر يشرفنا به سيدنا محمدﷺ فيه أدب رفيع وتوجيه سليم، وقد بعث ليتمم مكارم الأخلاق، والنفخ في الطعام والشراب خروج عن الآداب العامة، ومجلبة للاحتقار والازدراء، والنبي سيد المؤدبين وإمام المربين. والتنفس شهيق وزفير، الشهيق يدخل الهواء الصافي المفعم بالأوكسجين إلى الرئتين ليمد الجسم بما يحتاجه من الطاقة، والزفير يخرج من الرئتين الهواء المفعم بغاز الفحم مع قليل من الأكسجين، وبعض فضلات الجسم الطيارة التي تخرج عن طريق الرئتين بشكل غازي، هذه الغازات تكثر نسبتها في هواء الزفير في بعض الأمراض كما في التسمم البولي ... فهواء الزفير هو حامل لفضلات الجسم الغازية مع قليل من الأكسجين، لذلك نهي النبي عن النفخ في الطعام والشراب. وأرشد أيضاً إلى مبدأ صحي هام في أمره بالتنفس عند الشرب، فمن المعلوم أنّ شارب الماء دفعة واحدة يضطر إلى كتم نفسه حتى ينتهي من شرابه، وذلك لأنّ طريق الماء والطعام وطريق الهواء يتقاطعان عند البلعوم فلا يستطيعان أنْ يمرا معا، ولا بد من وقوف أحدهما حتى يمر الآخر. وعندما يكتم المرء نفسه مدة طويلة ينحبس الهواء في الرئتين فيأخذ بالضغط على جدران الأسناخ الرئوية فتتوسع وتفقد مرونتها بالتدريج، ولا يظهر ضرر ذلك في مدة قصيرة، ولكن إذا اتخذ المرء ذلك عادة له وصار يعب الماء عبا كالبعير تظهر عليه أعراض انتفاخ الرئة.. فيضيق نفسه عند أقل جهد، وتزرق شفتاه وأظافره، ثم تضغط الرئتان على القلب فيصاب بالقصور، وينعكس ذلك على الكبد فيتضخم، ثم يحدث الاستسقاء والوذمات في جميع أنحاء الجسم، وهكذا فإنّ انتفاخ الرئتين مرض خطير حتى أنّ الأطباء يعدونه أخطر من سرطان الرئة، والنبي لا يريد لأفراد أمته كل هذا العناء والعذاب، لذلك نصحهم أنْ يمصوا الماء مَصّا، وأنْ يشربوه على ثلاث دفعات فهو أروى وأمرأ وأبرأ .

****

النهي عن الشرب والأكل واقفا

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ (زجر عن الشرب قائما) رواه مسلم . وعن أنس وقتادة رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺأنّه نهى أنْ يشرب الرجل قائما ، قال قتادة : فقلنا فالأكل؟ فقال: {ذاك أشر وأخبث} رواه مسلم والترمذي. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيﷺ قال: {لا يشربنّ أحدكم قائماً فمَن نسي فليستقي} رواه مسلم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺعن الشرب قائما وعن الأكل قائما وعن المجثمة والجلالة والشرب من فِي السقاء.

<u>الإعجاز الطبي:</u> يقول الدكتور ـ عبد الرزاق الكيلاني -: أنّ الشرب وتناول الطعام جالسا أصح وأسلم وأهنا وأمرأ حيث يجري ما يتناول الآكل والشارب على جدران المعدة بتؤدة ولطف. أمّا الشرب واقفا فيؤدي إلى تساقط السائل بعنف إلى قعر المعدة ويصدمها صدما ، وإنّ تكرار هذه العملية يؤدي مع طول الزمن إلى استرخاء المعدة وهبوطها وما يلي ذلك من عسر هضم. وإنّما شرب النبي واقفا لسبب اضطراري منعه من الجلوس مثل الزحام المعهود في المشاعر المقدسة، وليس على سبيل العادة والدوام. كما أنّ الأكل ماشياً ليس من الصحة في شيء وما عرف عند العرب والمسلمين. ويرى الدكتور ـ إبراهيم الراوي -: أنّ الإنسان في حالة الوقوف يكون متوترا ويكون جهاز التوازن في مراكزه العصبية في حالة فعالة شديدة حتى يتمكن من السيطرة على جميع عضلات الجسم لتقوم بعملية التوازن والوقوف منتصبا. وهي عملية دقيقة يشترك فيها الجهاز العصبي العضلي في آنٍ واحد مِمّا يجعل الإنسان غير قادر للحصول على الطمأنينة العضوية التي تعتبر من أهم الشروط الموجودة عند الطعام والشراب، وهذه الطمأنينة يحصل عليها الإنسان في حالة الجلوس حيث تكون الجملة العصبية والعضلية في حالة من الهدوء والاسترخاء وحيث تنشط الأحاسيس وتزداد قابلية الجهاز الهضمي لتقبل الطعام والشراب وتمثله بشكل صحيح. ويؤكد د ـ الراوي ـ أنّ الطعام والشراب قد يؤدي تناوله في حالة الوقوف (القيام) إلى إحداث إنعكاسات عصبية شديدة تقوم بها نهايات العصب المبهم المنتشرة في بطانة المعدة، وإنّ هذه الإنعكاسات إذا حصلت بشكل شديد ومفاجيء فقد تؤدي إلى انطلاق شرارة النهي العصبي الخطرة لتوجيه ضربتها القاضية للقلب، فيتوقف محدثا الإغماء أو الموت المفاجيء . كما أنّ الاستمرار على عادة الأكل والشرب واقفا تعتبر خطيرة على سلامة جدران المعدة و إمكانية حدوث تقرحات فيها حيث يلاحظ الأطباء أنّ قرحات المعدة تكثر في المناطق التي تكون عرضة لصدمات اللقم الطعامية وجرعات الأشربة بنسبة تبلغ 95% من حالات الإصابة بالقرحة. كما أنّ حالة عملية التوازن أثناء الوقوف ترافقها تشنجات عضلية في المريء تعيق مرور الطعام بسهولة إلى المعدة ومحدثة في بعض الأحيان آلاما شديدة تضطرب معها وظيفة الجهاز الهضمي وتفقد صاحبها البهجة عند تناوله الطعام والشراب.

****

الجذام

قال رسول الله ﷺ{ فِرْ من المجذوم كما تفر من الأسد } رواه البخاري لقد أثبت علم الطب الحديث أنّ مرض الجذام من أخطر الأمراض الجلدية التي تنتقل بالعدوى من خلال ميكروب الجذام الذي أمكن مشاهدته والتعرف عليه أخيرا منذ أكثر من مائة عام

ومع ذلك لم يستطع العلم الحديث السيطرة عليه حتى الآن ومرض الجذام يصيب أطراف الأعصاب مثل أطراف أعصاب الذراعين ويجعل المريض يفقد الإحساس فلا يحس بالألم والحرارة والبرودة بل ويمكن أنْ تدخل الشوكة في قدمه دون أنْ يشعر فضلا عن إصابة المريض بضمور في عضلات اليدين والساقين وقروح في الجلد خاصة في القدمين واليدين وتتآكل عظامهما وتفقد بعض أجزاء منهما كالأصابع ويمكن أنْ يصيب القرنية فيؤثر على الإبصار. كما أنّ مرض الجذام يصيب أيضا الخصيتين .. وهذا يعني أنّ مريض الجذام يفقد القدرة الجنسية وبالتالي لا تكون له ذرية من أولاد والجذام نوعان النوع العقدي: وهو الذي يصيب ذوى المناعة الضعيفة ويظهر على هيئة عقيدات مختلفة الحجم تصيب الجسم وخاصة الوجه فتكسبه شكلا خاصا يشبه وجه الأسد .. كما يسبب هذا النوع سقوط شعر الحاجبين وقد يصيب الغشاء المخاطي للأنف ويسبب نزيفا ومنه النوع البقعي الخدرى: وهو يصيب الجلد على هيئة بقع باهتة مختلفة الأشكال والأحجام .. وتتميز هذه البقع بفقدان الحساسية والعرق ونقص في كمية صبغة خلايا الجلد وهذا النوع يصيب المرضى ذوي المناعة الجيدة نسبيا ومن عظمة التوجيه النبوى الشريف للذين أنعم الله عليهم بنعمة الصحة وعدم الابتلاء بهذا المرض اللعين قوله صلى الله عليه وسلم: {لا تديموا النظر إلى المجذومين} . فلقد أثبت علم النفس الحديث أنّ المجذوم إذا رأى صحيح البدن يديم النظر إليه فتعظم مصيبته وتزداد حسرته .. ومن ثم فقد جاء النهى عن النظر إليهم رعاية لمشاعرهم هكذا أدرك الرسولﷺ خطورة العدوى من مريض الجذام فأمر الأصحاء بالابتعاد عن المصابين به على الفور كما يبتعد الشخص عن الأسد المفترس ولا سيما أنّ ميكروب الجذام إذا تمكن من الشخص الصحيح افترسه. لقد قيل هذا الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .. ويجئ العلم الحديث ليثبت صحته وينصح بالتوجيه النبوي الشريف.

****

الحجر الصحي

قالﷺ : { الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها}. متفق عليه وقال ﷺ { الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، وإنّ الله جعله رحمة للمؤمنين، فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد} .البخاري وقال ﷺ: { الطاعون غدة كغدة البعير، المقيم بها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف} . رواه أحمد إنّ الحجر الصحي من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية.. ويظهر بجلاء كما تقدم أنّ الأحاديث النبوية الشريفة قد حددت مبادئ الحجر الصحي كأوضح ما يكون التحديد، فهي تمنع الناس من الدخول إلى البلد المصاب بالطاعون كما أنّها تمنع أهل تلك البلدة من الخروج منها ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية قديما ولا تزال يتم تنفيذه حتى اليوم. ومنع السليم من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون مفهوم بدون الحاجة إلى معرفة دقيقة بالمرض ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج و خاصة منع الأصحاء منهم يبدو عسيرا على الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبية الحديثة فالمنطق والعقل يفرض على السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أنْ يفر منها إلى بلدة سليمة حتى لا يصاب هو بالوباء !! ولكن الطب الحديث يقول لك: إنّ الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملا للميكروب وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس ولكن ليس كل مَن دخل جسمه الميكروب يصبح مريضا.. فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أنْ يبدو عليه أثر من آثار المرض. وهناك أيضا فترة حضانة وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأمراض منذ دخول الميكروب إلى الجسم وفي هذه الفترة يكون انقسام الميكروب وتكاثره على أشده ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذه أنّه يعاني من أي مرض.. ولكنه بعد فترة قد تطول أو قد تقصر على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه. ومن المعلوم أنّ فترة حضانة التهاب الكبد الوبائي الفيروسي قد تطول لمدة ستة أشهر .. كما أنّ السل قد يبقى كامنا في الجسم لمدة عدة سنوات. والشخص السليم الحامل للميكروب أو الشخص المريض الذي لا يزال في فترة الحضانة يُعرِّض الآخرين للخطر دون أنْ يشعر هو أو يشعر الآخرين لذا جاء المنع الشديد وكان الذنب كبيرا كالهارب من الزحف .

****

الهدي النبوي في وصف الطاعون

أخرج البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: { إنّ الطاعون رجز أرسل على مَن كان قبلكم أو على بني إسرائيل فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها }. وقالﷺ : { الطاعون شهادة لأمتي، ووخز أعدائكم من الجن، غدة كغدة الإبل تخرج في الآباط والمراق، مَن مات فيه مات شهيدا، ومَن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله، ومَن فَرَّ منه كان كالفارّ من الزحف}. المراق :أسفل البطن. الطبراني . حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن نعيم بن عبد الله المجمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال }. صحيح البخاري.

الطاعون وباء شديد الخطورة أصاب الأمم السابقة وكان شديد الفتك بهم ... أول وصف للطاعون معروف إلى الآن هو الذي سماه قدماء المصريين على أوراق البردى وقد حدث طاعون مريع عام 542 قبل الميلاد واكتسح شمال أفريقيا وأوربا وآسيا أي العالم القديم كله .. واستمر ينتشر من بلد إلى آخر لمدة خمسين عاما . وقد استمر الطاعون في الظهور من حين لآخر .. وقد ظهر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو المشهور بطاعون عمواس ، وعمواس هي قرية من قرى الشام انتشر فيها هذا المرض واستمر الطاعون في الظهور من حين إلى آخر .. وظهر بصورة وباء عالمي في القرن الرابع عشر الميلادي واكتسح أوربا وآسيا وكان عدد ضحاياه في أوربا وحدها خمسة وعشرين مليونا.. وهم ربع سكان أوربا آنذاك ... وقد أطلق عليه (الموت الأسود) لأنّه قلّما ينجو منه أحد ولايزال يوجد في مناطق الهند بصورة مرض متوطن وبصورة أقل في الصين وبعض جزر إندونيسيا وكينيا

والمدينة الوحيدة البعيدة عن هذا المرض هي المدينة المنورة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : { على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال } .
إنّ سبب الطاعون هو ميكروب صغير يبلغ طوله ميكرون ونصف (والميكرون واحد من مليون من المتر) . وقد اكتشف ميكروب الطاعون عام 1894 في الوباء الذي اكتسح الصين وقد اكتشفه العالمان - يرسن وشيبيا سابور وكيتا ستو- في هونج كونج كلا منهما على حدة .في عام 1898م قام العالم الفرنسي - بول لويس سيمون - بتجارب وأثبت أنّ الذي ينقل ميكروب الطاعون برغوث الفئران وعادة ما يعيش الميكروب على الحيوانات القارضة .. فإذا ما ابتدأ الوباء انتقل بواسطة البراغيث والحشرات إلى الفئران المنزلية ومنها إلى الإنسان كما قد ينتقل الميكروب بواسطة جرذان البواخر التي تعيش في مخازن السفن . ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث حتى يسدها .. فيزداد إحساس البرغوث بالجوع ويزداد عندئذ نهمه وقرصه وعضه .. فيمص الدم فتدخل محل الوخذة والقرصة وينتقل الميكروب بواسطة الأوعية اللمفاوية الموجودة في المراق (أسفل البطن) . أمّا إذا كانت العضة في اليد أو الذراع فتنتقل الميكروبات إلى غدة الإبط اللمفاوية .. فإذا كانت العضة في الوجه أو العنق انتقلت الميكروبات إلى غدة في العنق .
أعراض الطاعون : الطاعون نوعان أولا : الطاعون الغددي : وهو الذي ينتشر من الفئران إلى الإنسان بواسطة عض الحشرات وأهمها البراغيث ... فينتقل الميكروب بواسطة الأوعية اللمفاوية من موضع عضة البرغوث إلى الجلد عند اتصال الأوعية اللمفاوية وأهمها الموجودة في المراق وهي المنطقة الأربية عند اتصال الفخذ بالبطن وغدد الإبط اللمفاوية .. ومنها غدد العنق اللمفاوية وتتضخم هذه الغدد وتتورم وتمتلأ صديدا .. انظر إلى وصف النبي صلى الله عليه وسلم غدة كغدة البعير تخرج في المرق ... أليس هذا وصفا دقيقا !!! بليغا كل البلاغة !.
أمّا النوع الثاني : هو الطاعون الرئوي وهو أشد فتكا من الطاعون الغددي ولايكاد ينجو منه أحد .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : { لا يوردنّ مُمرض على مصح } . صحيح البخاري . قال ابن حجر رحمه الله وهو خبر بمعنى النهي ، والممرض – بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الراء - : هو الذي له إبل مرضى ، والمصح – بضم الميم وكسر الصاد - : مَن له إبل صحاح ، نهى صاحب الإبل المريضة أنْ يوردها على الإبل الصحيحة . وهو يتفق مع الحديث السابق ، فالعدوى بتقدير الله تعالى يمكن أنْ تحدث للحيوانات أيضا كما تحدث في الإنسان . والجدير بالذكر أنّ هذا لا يتعارض كما سبق معنا في قول النبي : { لا عدوى ولا صفر ولا هامة } فقال أعرابي : يارسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ؟ فقال رسول اللهﷺ :{ فمَن أعدى الأول ؟}. وهو جواب من النبي عليه الصلاة والسلام في غاية البلاغة والرشاقة ، وحاصله : من أين جاء الجرب للذي أعدى الأول بزعمهم ؟ فإنْ أجيب : من بعير آخر ، لزم التسلسل ، أو سبب آخر فليفصح به ، فإنْ أجيب بأنّ الذي فعله في الأول هو الذي فعله في الثاني ثبت المدعى ، وهو أنّ الذي فعل في الجميع ذلك هو الخالق القادر على كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى . ذكرت الأحاديث النبوية الشريفة التي مرت معنا أنّه { لا عدوى } وفي نفس الوقت قال : { فِر من المجذوم فرارك من الأسد } وقال كما في الحديث هنا { لا يوردنّ ممرض على مصح } وهذه الأحاديث الشريفة ترُد الناس إلى كمال التوحيد ، وتردهم إلى بارئهم الذي خلق الأسباب والمسببات . قال أحد الأطباء المختصين : ومما سبق أنْ شرحناه في موضوع الأمراض المعدية يتبين لنا إعجاز أحاديث المصطفى ، فالأحاديث النبوية الشريفة توضح بجلاء أنّ دخول الميكروب بذاته إلى جسم الإنسان ليس كافيا لحدوث المرض ، وأنّ هناك عوامل أخرى غير ظاهرة لنا هي المسؤولة في النهاية عن حدوث المرض ... ومنذ أنْ عرف الأتراك تلقيح الأبقار بالجدري ، ثم تلقيح الأطفال ، وتبعهم - جينير- الطبيب الإنجليزي ، ظهرت فائدة التلقيح والتطعيم ضد مختلف الميكروبات ، وفكرة التطعيم والتلقيح تتلخص في أنْ يدخل الإنسان الميكروب ميتاً أو مضعفاً إلى الجسم السليم ، فتتعرّف عليه أجهزة المناعة وتصنع المضادات ضده ، حتى إذا دخل الميكروب الحقيقي وجد أجهزة الدفاع على أتم استعداد لمقاومته .. وهكذا تتضح الرؤية ويُعلم أنّ الميكروب وحده ليس سببا للمرض ، وبذلك لاعدوى بذاتها وإنما العدوى ناتجة بقدر الله تعالى ، ومع هذا فنحن لا ننفي الأسباب بل نأخذ بالأسباب في عالم الأسباب مع الاعتقاد التام بأنها لا تضر ولا تنفع بذاتها وإنما الأمر كله بيد الله خالق الأسباب . وبهذا يتبين أنّ أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم تحمل في طياتها إعجازا علميا لم يُكشَف اللثام عنه إلا في القرن العشرين بعد أنْ تطورت علوم البشر عن أسباب المرض وجهاز المناعة .
****

الحمّى

قال ﷺ: { إنّ الحُمَّى مِنْ فَيحِ جهنم فأبردوها بالماء } . رواه البخاري وقوله عندما ذكرت الحمى فسبّها رجل فقال عليه الصلاة والسلام :{لا تسبها فإنها تنقي الذنوب كما تنقي النار خبث الحديد }. رواه مسلم . لقد تبين أنّه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة التي قد تصل إلى 41 درجة مئوية والتي وصفها عليه الصلاة والسلام بأنّها من فيح جهنم وقد يؤدي ذلك إلى هياج شديد ثم هبوط عام وغيبوبة تكون سببا في الوفاة .. ولذا كان لزاما تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فورا حتى ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض في ماء أو عمل كمادات من الماء البارد والثلج حيث أنّه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم كحالته الطبيعية بعد أنْ ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حمّ دعا بقِرْبَة من ماء فأفرغها على الرأس فاغتسل ولمّا كانت الحمى يستلزمها حمية عن الأغذية الرديئة وتناول الأغذية والأدوية النافعة وفي ذلك إعانة على تنقية البدن وتصفيته من مواده الرديئة التي تفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفي جوهر الحديد وقد ثبت علميا أنه عند الإصابة بالحمى تزيد نسبة مادة (الأنترفيرون) لدرجة كبيرة كما ثبت أنّ هذه المادة التي تفرزها خلايا الدم البيضاء تستطيع القضاء على الفيروسات التي هاجمت الجسم وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية .. فضلا عن

ذلك فقد ثبت أنّ مادة (الأنترفيرون) التي تفرز بغزارة أثناء الإصابة بالحمى لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتريا فحسب ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها وبالتالي حماية الجسم من ظهور أي خلايا سرطانية يمكن أنْ تؤدي إلى إصابة الجسم بمرض السرطان ولذا قال بعض الأطباء إنّ كثيرا من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير مثل مرض الروماتيزم المفصلي الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي في مثل هذه الحالات الحمى الصناعية أي إيجاد حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة ومن هنا ندرك حكمة رسول الله ﷺ في رفض سب الحمى بل والإشادة بها بوصفها تنقي الذنوب كما تنقي النار خبث الحديد كما أشار الحديث الشريف الذي نحن بصدده .

****

الميتة ... أولى الخبائث المحرمة

قال تعالى : (إنّما حَرّمَ عليكمُ المَيتةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ ومَا أُهِلَّ به لغيرِ اللهِ فمَنِ اضطرَّ غيرَ بَاغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ)[سورة البقرة] . وقال تعالى : (حُرِّمت عليكمُ الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ وما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ به والمُنخَنِقةُ والمَوقوذةُ والمُترَدِّيَةُ والنَّطِيحةُ وما أكل السَبُعُ إلا ما ذَكَّيتُمْ وما ذُبِحَ على النُّصُبِ وأنْ تستقسِموا بالأزلامِ ذالكم فِسقٌ اليومَ يَئِسَ الذِين كفروا مِن دينكم فلا تخشوهم واخشون اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا فمَنِ اضطر في مَخْمَصةٍ غَيرِ مُتجانفٍ لإثمٍ فإنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ) [سورة المائدة]

الميتة : لغةً هي ما فارقته الحياة . وفي الاصطلاح الشرعي هي ما فارقته الحياة من غير ذكاة مما يُذبح ، وما ليس بمأكول فزكاته كموته كالسبع ونحوها .

والمنخنقة : هي التي تموت خنقا ، وهو حبس النفس ، سواء فعل بها ذلك آدمي أو اتفق لها بحبل أو بين عودين ونحو ذلك .

والموقوذة :هي التي ترمَى أو تضرب بحجر أوعصا حتى تموت من غير تذكية .

والمتردية : هي التي تتردى من العلو إلى الأسفل فتموت كان ذلك من جبل أو بئر ونحوه .

والنطيحة : وهي الشاة التي تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أنْ تُذكَى .

وما أكل السبع : يريد به كل ما افترسه ذو ناب و أظفار من الحيوان كالأسد والنمر والضبع والذئب

إلا ما ذكيتم : نُصب على الاستثناء المتصل عند الجمهور وهو راجع على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة .

<u>حكمة التحريم :</u> تنفذ الجراثيم إلى الميتة من الأمعاء والجلد والفتحات الطبيعية لكن الأمعاء هي المنفذ الأكثر مفعمة بالجراثيم ، ولكنها أثناء الحياة تكون عرضة للبلعمة ولفعل الخمائر التي تحلها . أمّا بعد موت الحيوان فإنّها تنمو وتحل خمائرها الأنسجة وتدخل جدر المعي ومنها تنفذ إلى الأوعية الدموية واللمفاوية.. أمّا الفم والأنف والعينين والشرج فتصل إليها الجراثيم عن طريق الهواء أو الحشرات والتي تضع بويضاتها عليها. أمّا الجلد فلا تدخل الجراثيم عبره إلا إذا كان متهتكا كما في المتردية والنطيحة وما شابهها. وإنّ احتباس دم الميتة، كما ينقص من طيب اللحم ويفسد مذاقه فإنّه يساعد على انتشار الجراثيم وتكاثرها فيه. وكلما طالت المدة بعد هلاك الحيوان كان التعرض للضرر أشد عند أكل الميتة لأنّ تبدل لحمها وفسادها وتفسخه يكون أعظم، إذ إنه بعد 3-4 ساعات من الموت يحدث ما يسمى بالمصل الجيفي(التيبس الرمي) حيث تتصلب العضلات لتكون أحماض فيها كحمض الفسفوريك واللبنيك والفورميك ثم تعود القلوية للعضلات فيزول التيبس وذلك بتأثير التعفنات الناتجة عن التكاثر الجرثومي العفني التي تغزو الجثة بكاملها، وينشأ عن تفسخ وتحلل جثمان الميتة مركبات سامة ذات روائح كريهة كما أنّ الغازات الناتجة عن التفسخ تؤدي إلى انتفاخ الجثة خلال بضع ساعات، وهي أسرع في الحيوانات آكلة العشب من إبل وضأن وبقر وغيرها كما تعطي بعض الجراثيم أثناء تكاثرها مواد ملونة تعطي اللحم منظرا غير طبيعي ولونا إلى الأخضر أو السواد وقوامه ألين من اللحم العادي.

<u>الميتة بمرض :</u> قد تصاب البهائم بمرض جرثومي يمنع تناول لحمها ولو كانت مذكاة فتكون الحرمة أشد فيما لو مات الحيوان بذلك المرض لانتشار الجراثيم في جثته عن طريق الدم المحتبَّس وتكاثرها بشدة وزيادة مفرزاتها السمِّية.

<u>وأهم هذه الأمراض :</u>

السل : كثير التصادف في البقر ثم الدواجن من الطيور وقليل في الضأن وتوصي كتب الطب بإحراق جثة الحيوان المصاب بالسل الرئوي وسل البارايتوان وكذا إذا وجدت الجراثيم في عثلات الحيوان أو عقده اللمفاوية.

الجمرة الخبيثة: الحيوان الذي يصاب بالجمرة يجب أنْ لا يمس وأنْ يحرق ويدفن حتى لا تنتشر جراثيمه وتنتقل العدوى إلى الحيوان و إلى البشر.

الميتة هرما: كلما كبر سن الحيوان تصلبت وتليفت وأصبحت عسرة الهضم، علاوة على احتباس الدم في الجثة الميتة مما يجعل لحمها أسرع تفسخا.

الميتة اختناقا: الاختناق انحصار الحلق بما يسد مسالك الهواء. ومن علامات احتقان الملتحمة في عين الدابة وجود نزوف تحتها وجحوظ و زرقة الشفتين، ويؤكد علم الحيوان عدم صلاحية المنخنقة للأكل لفساد لحمها وتغير شكله إذ يصبح لونه أحمر قاتما.

الميتة دهسا أو رَضّا: وهي أنواع أشار إليها القرآن الكريم بقوله: (والموقوذةُ والمترديةُ والنَّطيحةُ).

أما مأكل السبع: فقد يميتها رضّا أو خنقا وكما ينجس الدم جثتها، علاوة على أنّ الرضوض تجعل الدم ينتشر تحت وداخل اللحم والأنسجة المرضوضة، لذا يسود لون اللحم ويصبح لزجا كريه الرائحة غير صالح للأكل. ويزيد الطين بلة انتشار الجراثيم من خلال السحجات والأنسجة المتهالكة، فتنتشر بسرعة خلال اللحم المرضوض وتتكاثر فيه بسرعة وتعجِّل تحلله وفساده.

****

تحريم الدم بين الطب والإسلام

قال تعالى:(قل لا أجدُ في ما أوحِيَ إليّ مُحرَّماً على طاعمٍ يطعمهُ إلا أنْ يكونَ ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزيرٍ فإنّهُ رِجسٌ أو فِسقاً أُهِلّ لِغيرِ اللهِ به فمَنِ اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربَّك غفورٌ رحيمٌ) [سورة الأنعام] قال القرطبي: اتفق العلماء على أنّ الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به.

<u>مضار تناول الدم على الصحة:</u> يحمل الدم سموما وفضلات كثيرة ومركبات ضارة، وذلك لأنّ إحدى وظائفه الهامة هي نقل نواتج استقلاب الغذاء في الخلايا من فضلات وسموم ليُصار إلى طرحها وأهم هذه المواد هي البولة وحمض البول والكرياتنين وغاز الفحم كما يحمل الدم بعض السموم التي ينقلها من الأمعاء إلى الكبد ليُصار إلى تعديلها. وعند تناول كمية كبيرة من الدم فإنّ هذه المركبات تمتص ويرتفع مقدارها في الجسم ، إضافة إلى المركبات التي يمكن أنْ تنتج عن هضم الدم نفسه مِمّا يؤدي إلى ارتفاع نسبة البولة في الدم والتي يمكن أنْ تؤدي إلى اعتلال دماغي ينتهي بالسبات. وهذه الحالة تشبه مَرضياً ما يحدث في حالة النزف الهضمي العلوي ويلجأ عادة هنا إلى امتصاص الدم المتراكم في المعدة والأمعاء لتخليص البدن منه ووقايته من حدوث الإصابة الدماغية. وهكذا فإنّ الدم كما رأينا يحتوي على فضلات سامة مستقذَرة ولو أُخِذ من حيوان سليم علاوة على احتوائه على عوامل مَرضية وجرثومية فيما لو أخذ من حيوان مريض بالأصل.

<u>الدم وسط صالح لنمو الجراثيم وتكاثرها :</u> إذ أنّه من المتفق عليه طبياً أنّ الدم أصلح الأوساط لنمو شتى أنواع الجراثيم ولتكاثرها فهو أطيب غذاء لهذه الكائنات وأفضل تربة لنموها وتستعمله المخابر لتحضير المزرعة الجرثومية.

<u>هل يصلح الدم ليكون غذاء للإنسان؟</u> إنّ ما يحتويه الدم من بروتينات قابلة للهضم[كالألبومين والغلوبولين والفبرينوجين] هو مقدار ضئيل (8غ / 100 مل) وكذلك الأمر بالنسبة للدسم في حين يحتوي الدم على نسبة كبيرة من خضاب الدم (الهيموغلوبين) وهي بروتينات معقدة عسرة الهضم جدا، لا تحتملها المعدة ـ في الأغلب. ثم إنّ الدم إذا تخثر فإنّ هضمه يصبح أشد عسرة وذلك لتحول الفيبرينوجين إلى مادة اللفين الذي يؤلف شبكة تحصر ضمنها الكريات الحمر والفيبرين من أسوأ البروتينات وأعسرها هضما ... وهكذا فإنّ علماء الصحة لم يعتبروا الدم بشكل من الأشكال في تعداد الأغذية الصالحة للبشر.

****

علة تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذي ناب

قال ﷺ: {حُرِّم على أمتي كل ذي مَخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع} رواه أبو داود لقد أثبت علم التغذية الحديثة أنّ الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها لاحتواء لحومها على سميات ومفرزات داخلية تسري في الدماء وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر في أخلاقياتهم .. فقد تبين أنّ الحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرَز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على القتال واقتناص الفريسة .. ويقول الدكتور ـ س لينج ـ أستاذ علم التغذية في بريطانيا : إنّ هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان حتى وهو حبيس في القفص عندما تقدم له قطعة لحم لكي يأكلها .. ويعلل نظريته هذه بقوله: ما عليك إلا أنْ تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقي نظرة على النمر في حركاته العصبية الهائجة أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضغها فترى صورة الغضب والاكفهرار المرسومة على وجهه ثم ارجع ببصرك إلى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما يأكل وهو يلعب مع الأطفال والزائرين وانظر إلى الأسد وقارن بطشه وشراسته بالجمل ووداعته وقد لوحظ على الشعوب آكلات لحوم الجوارح أو غيرها من اللحوم التي حرم الإسلام أكلها ـ أنّها تصاب بنوع من الشراسة والميل إلى العنف ولو بدون سبب إلا الرغبة في سفك الدماء.. ولقد تأكدت الدراسات والبحوث من هذه الظاهرة على القبائل المتخلفة التي تستمرئ أكل مثل تلك اللحوم إلى حد أنْ بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر كما انتهت تلك الدراسات والبحوث أيضا إلى ظاهرة أخرى في هذه القبائل وهي إصابتها بنوع من الفوضى الجنسية وانعدام الغيرة على الجنس الآخر فضلا عن عدم احترام نظام الأسرة ومسألة العرض والشرف .. وهي حالة أقرب إلى حياة تلك الحيوانات المفترسة حيث أنّ الذكر يهجم على الذكر الآخر من القطيع ويقتله لكي يحظى بإناثه إلى أنْ يأتي ذكر آخر أكثر شبابا وحيوية وقوة فيقتل الذكر المغتصب السابق وهكذا .. ولعل أكل الخنزير أحد أسباب انعدام الغيرة الجنسية بين الأوربيين وظهور الكثير من حالات ظواهر الشذوذ الجنسي مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعي ومن المعلوم أنّ الخنزير إذا رُبِّي ولو في الحظائر النظيفة ـ فإنّه إذا ترك طليقا لكي يرعى في الغابات فإنّه يعود إلى أصله فيأكل الجيفة والميتة التي يجدها في طريقه بل يستلذ بها أكثر من البقول والبطاطس التي تعوّد على أكلها في الحظائر النظيفة المعقمة وهذا هو السبب في احتواء جسم الخنزير على ديدان وطفيليات وميكروبات مختلفة الأنواع فضلا عن زيادة نسبة حامض البوليك التي يفرزها والتي تنتقل إلى جسم مَن يأكل لحمه .. كما يحتوي لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن من بين جميع أنواع اللحوم المختلفة مما يجعل لحمه عسير الهضم .. فمن المعروف علميا أنّ اللحوم التي يأكلها الإنسان تتوقف سهولة هضمها في المعدة على كمية الدهنيات التي تحويها وعلى نوع هذه الدهون فكلما زادت كمية الدهنيات كان اللحم أصعب في الهضم وقد جاء في الموسوعة الأمريكية أنّ كل مائة رطل من لحم الخنزير تحتوي على خمسين رطلا من الدهن .. أي بنسبة 50% في حين أنّ الدهن في الضأن يمثل نحو 17% فقط وفي العجول لا يزيد عن 5% كما ثبت بالتحليل أنّ دهن الخنزير يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة.. وأنّ نسبة الكولسترول في الخنزير 60% ومعنى ذلك بحساب بسيط أنّ نسبة الكولسترول في لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما في البقر .. ولهذه الحقيقة دلالة خطيرة لأنّ هذه الدهنيات تزيد مادة الكولسترول في دم الإنسان وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين وخصوصا شرايين القلب .. وبالتالي تسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية المنتشرة في أوروبا حيث ظهر من الإحصائيات التي نشرت بصدد مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أنّ نسبة الإصابة بهذين المرضين في أوروبا تعادل خمسة أضعاف النسبة في العالم الإسلامي وذلك بجانب تأثير التوتر العصبي الذي لا ينكره العلم الحديث

ومما هو جدير بالذكر أنّ آكلات اللحوم تعرف علميا بأنّها ذات الناب التي أشار إليها الحديث الشريف الذي نحن بصدده لأنّ لها أربعة أنياب كبيرة في الفك العلوي والسفلي .. وهذا لا يقتصر على الحيوانات وحدها بل يشمل الطيور أيضا إذ تنقسم إلى آكلات العشب والنبات كالدجاج والحمام .. وإلى آكلات اللحوم كالصقور والنسور وللتمييز العلمي بينهما يقال : إنّ الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد ولا يوجد هذا المخلب في الطيور المستأنسة الداجنة ومن المعلوم أنّ الفطرة الإنسانية بطبيعتها تنفر من أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم إلا في بعض المجتمعات التي يقال عنها مجتمعات متحضرة أو في بعض القبائل المختلفة كما سبق أنْ أشرنا . ومن الحقائق المذهلة أنّ الإسلام قد حدد هذا التقسيم العلمي ونبّه إليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمن. وما وباء (السارس) الذي اجتاح الصين وجنوب شرق آسيا إلا نتيجة لأكل لحم الجوارح والكلاب وحسب ما أعلن فتَحْتَ عنوان (السارس سببه اقبال الصينين على أكل القطط والكلاب البرية) قال علماء من الصين وهونج كونج أنّ الفيروس المسبب للالتهاب الرئوي اللانمطي (سارس) قد يكون انتقل إلى البشر من حيوانات سنور (قطط) الزباد وكلاب الراكون. وذكر راديو الصين نقلا عن العلماء أنّ خمسة من ضمن عشرة تجار حيوانات تم فحصهم في إقليم (جوانجدونج) جنوبي الصين وجد لديهم فيروس السارس ويعتقد أنّ المرض نبع من إقليم (جوانجدونج) على حدود هونج كونج. إلا أنّ خبير منظمة الصحة العالمية ـ بوب دايتز ـ قال أنّ التعليق على النتائج التي توصل إليها الباحثون(سابقٌ لأوانه) وصرَّح ـ دايتز ـ إنّ احتمال انتقال العدوى عن طريق الحيوانات كان احتمالا قائما.. ولا يزال التعليق على ذلك سابقا لأوانه وقال: أنّ ارتباط الفيروس بالحيوانات كان في مخيلة الكثيرين حينما زار خبراء منظمة الصحة العالمية أسواقا محلية وتحدثوا مع مسئولين في إقليم (جوانجدونج) في الشهر الماضي وأضاف أنّ الخبراء يجب مع ذلك أنْ يطلعوا على التقرير المفصل الذي أعده الباحثون قبل تقييم النتائج التي خلصوا إليها وأذاع راديو الصين نقلا عن ـ شوانج شيسيونج ـ رئيس وحدة مكافحة الأمراض في مدينة (شينتجين) في إقليم (جوانجدونج) أنّ نتائج تحليل العينات التي أخذت من ثلاثة من ضمن ستة من قطط الزباد\ أظهرت أنّها تحمل بوادر فيروس سارس وألغت مدينة (شينتجين) جميع تراخيص تجارة الحيوانات ولكن الخوف من انتشار السارس عن طريق الحيوانات الأليفة جعل السلطات في (بكين) والمدن الأخرى تأمر بجمع القطط والكلاب الضالة والحيوانات الأخرى وتقتلها. كما دفع أصحاب الحيوانات الأليفة إلى التخلي عن حيواناتهم وذكر الصندوق الدولي لرعاية الحيوانات في موقعه على الانترنت أنّ الذعر من السارس دفع بالمئات من مالكي القطط والكلاب في بكين إلى التخلي عن حيواناتهم خوف من أنْ يكونوا مصدرالمرض القاتل وطبقا لإحصاءات منظمة الصحة العالمية فإنّ السارس قضى على نحو 700 شخص وأصاب بالعدوى أكثر من ثمانية آلاف آخرين في أنحاء العالم.

****

التداوي

عن جابر رضي الله عنه عن رسولﷺ أنّه قال:{ فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل} صحيح مسلم . لقد دلّ الحديث على مشروعية التداوي واستجبابه، وأنّ الله جعل لكل داء دواء، وفي هذا تشجيع للبحث والتفتيش عن الأدوية المناسبة لمعالجة الأمراض، كما بين النبيﷺ في هذا الحديث القواعد الأساسية في علاج الأمراض وهي تشخيص الداء أولا ومعرفة حقيقته بواسطة الطبيب المختص، ثم وصف الدواء المناسب لهذا الداء. قال ـ ابن حجر ـ رحمه الله: فيه الإشارة إلى أنّ الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله ، وذلك أنّ الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع، بل ربما أحدث داء آخر إذا قدَّر الله ذلك، وإليه الإشارة بقوله:{ بإذن الله } فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته. والتداوى لا ينافي التوكل كما ينافيه دفع الجوع والعطش للأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:{ ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء}، جعل الإمام البخاري في صحيحه هذا الحديث عنوان باب من أبوب كتاب الطب في صحيحه. قال ـ ابن حجر ـ رحمه الله في شرحه للحديث: قوله{ إلا أنزل له شفاء} في رواية طلحة بن عمرو الزيادة في أول الحديث:{ يا أيها الناس تداووا} ووقع في رواية طارق بن شهاب عن ابن مسعود رفعه:{ إنّ الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتداووا} وفي حديث أسامة بن شريك:{ تداووا يا عباد الله فإنّ الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داءً واحداً هو الهرم}. أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذي ووقع في رواية أبي عبدالرحمن السلمي عن ابن مسعود نحو حديث الباب و زاد في آخره { عَلِمَه مَن عَلِمَه وجَهِلَه مَن جهله}. أخرجه النسائي وابن ماجة وصححه ابن حبان والحاكم ولأبي داود من حديث أبي رفعه :{ إنّ اللّه جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام}. وفي مجموع هذه الألفاظ ما يعرف منه المراد بالإنزال في حديث الباب وهوإنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ مثلا أوعبّر بالإنزال عن التقدير وفيها التقييد بالحلال فلا يجوز التداوي بالحرام.

****

الخمر وأضرارها

وعن علقمة بن وائل عن أبيه وائل الحضرمي، أنّ طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺعن الخمر؟ فنهاه أو كره أنْ يصنعها، فقال: إنّما أصنعها للدواء، فقالﷺ:{ إنّه ليس بدواء ولكنه داءٌ}. صحيح مسلم، وفي صحيح البخاري : وقال ابن مسعود في السُّكر: إنّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم. قال ـ ابن حجر ـ: ويؤيده ما أخرجه الطبراني من طريق قتادة قال:{ السكر خمور الأعاجم} وعلى هذا ينطبق قول ابن مسعود:{ إنّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم }. وأحسبه هذا أراد، لأنني أظن أنّ عند بعض المفسرين: سئل ابن مسعود عن التداوي بشيء من المحرمات فأجاب بذلك . وعن سفيان بن عيينة عن منصور عن أبي وائل قال : اشتكى رجل منا يقال له خثيم ابن العداء داء ببطنه ، فنعت له السكر ، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله فذكره . وروينا في نسخة داود بن نصير الطائي بسنده عن مسروق قال : قال عبدالله بن مسعود : لا تسقوا أولادكم الخمر فإنّهم ولدوا على الفطرة ، وإنّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم . ولجواب ابن مسعود شاهد أخرجه أبو يعلي وصححه ابن حبان من حديث أم سلمة قالت : اشتكت بنت لي

فنبذتُ لها في كوز ، فدخل النبي ﷺ وهو يغلي – من التخمر – فقال : ما هذا ؟ فأخبرته ، فقال : { إنّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم } . نشرت مجلة (اللانست البريطانية) وهي من أشهر المجلات الطبية في العالم مقالا عام 1987 بعنوان (الشوق إلى شرب الخمر) استهل المؤلف مقاله بالقول : إذا كنت مشتاقا إلى الكحول فإنك حقا تموت بسببه . وذكر المؤلف أنّ 200 ألف شخص يموتون سنويا في إنجلترا بسبب الكحول . وقد نشرت الكليات الملكية للأطباء الداخليين والنفسيين والأطباء الممارسين تقارير أجمعت كلها على خطر الكحول (الغول) ، وأن الكحول لايترك عضوا من أعضاء الجسم إلا أصابه ، وجاء في كتاب Alcoholism ذكر الأمراض الناجمة عن شرب الخمر فذكر منها أمراض الفم والبلعوم والمريء والمعدة والأمعاء ومرض الكبد الكحولي وتشمعه وأمراض المعثكلة (البنكرياس) . ثم قال : وتظهر تأثيرات الكحول فوريا على الدماغ ، وبعض هذه التأثيرات عابر والآخر غير قابل للتراجع ، فإنّ تناول كأس واحدة أو اثنتين من أي نوع من أنواع الخمر قد يسبب تموتا في بعض خلايا الدماغ ، وإذا ما استمر شارب الخمر في تناول المسكرات فقد يحدث له ما يسمى بتناذر (فيرينكه) وتناذر (كورساكوف) ويظهر المصاب بالتناذر خائفا هاذيا وتظهر في عينيه حركات متواترة ، وقد يحدث شلل في عضلات العين ويفقد المريض توازنه . ويصاب المريض بتناذر (كورساكوف) بفقد الذاكرة وعدم القدرة على خزن المعلومات ، ومتى أصيب شارب الخمر بهذه الحالة فإنّ احتمال الشفاء أمر نادر ، كما يؤثر الكحول على عضلة القلب ويؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم ومرض الشرايين الإكليلية . ومن الثابت علمياً أنّ للكحول علاقة بسرطان الفم والمريء والبلعوم والكبد ، فقد أظهرت الدراسات العلمية أنّ الكحول مادة مسرطنة ، كما أنّ له فعلا مشوها للأجنة من أمهات يشربن الخمر . وكل ذلك يؤكد الإعجاز في قول النبيﷺ في الخمر { إنّه ليس بدواء ولكنه داء } . وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: { كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومَن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يُدمنها ، ولم يتب ، لم يشربها في الآخرة } . صحيح مسلم . هذا الذي أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث الشريف قرره العلماء المتخصصون في أنواع الخمور فقالوا : توجد مادة الغول (الكحول الإيتيلي ، أو الإيتانول) في كثير من المشروبات الغولية التي تستخلص بتخمير النشا أو السكر أو غيرها من النشويات ، وهي وإنْ اختلفت في أسمائها كالبيرة والويسكي والشمبانيا والشيري وغيرها ، فإنها كلها ذات أصل واحد . وتختلف تأثيرات الغول (الكحول الإيتيلي) السُّمِّيَة باختلاف مستوى الغول في الدم ، فكلما أكثر شارب الخمر من تناوله للمسكر ارتفع مستواه في الدم ، وحين يبلغ مستوى الغول في الدم - 99 ميلي غرام فإنّه يسبب تغيرات في المزاج والشعور وعدم توازن في العضلات واضطراب في حس اللمس وتغيرات في الشخصية والسلوك . وإذا بلغ مستوى الغول – 199 ميلي غرام حدث اضطراب شديد في القوة العقلية وعدم انسجام في الحركات وفقد شارب الخمر توازنه في الوقوف والمشي ، ومتى بلغ مستوى الغول – 299 ميلي غرام ظهر الغثيان والإعياء وازدواج النظر واضطراب التوازن الشديد . وصدق رسول الله ﷺ في قوله : { كل مسكر خمر } ، وفي قوله أيضا : { كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام }، والفرق : مكيال كبير .

****

التداوي بالكي

قال رسول الله ﷺ { الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكيَّة بنار ، وأنا أنهى أمتي عن الكي } وفي رواية { وما أحب أنْ أكتوي } . وثبت في الصحيحين : {أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا ، وكواه عليه } . رواه البخاري . كان يُستعمل الكي بالنار في القديم لمداواة كثير من الحالات المرضية ، أمّا الآن فقد اقتصرت استعمالاته على حالة مرضية معينة . تختلف تأثيرات الكي بحسب نوع المكواة ، ودرجة حرارتها ، فالمكواة التي تكون بلون أحمر مبيض يكون فعلها سريعا ، وعميقا ، ولا تلتصق بالنسيج التي تكويها ، ولا تقطع النزف ، أمّا المكواة التي تكون بلون أحمر قاتم ، ففعلها أقل عمقا ، وأقل سرعة ، وتلتصق بالنسج التي تكويها ، وتقطع النزف . ويستعمل الكي الكهربائي ، أو الناري في الحالات التالية :

1- فتح المجاميع القيحية كالغلغمونات ، والدمامل ، والجمرة الحميدة . وميزة الكي هنا عن الشق بآلة حادة هي أنّ الكي يشق المجاميع ويخثر الأوعية الكائنة على مسير الشق فيسدها ويمنع نزفها ، كما يمنع دخول القيح والجراثيم إلى الدورة الدموية .

2- قطع النسيج ، وكي النقاط النازفة أثناء العمل الجراحي بنفس الوقت عوضا عن ربطها ، وفي هذا توفير للوقت .

3- استئصال وتخريب بعض الأورام الجلدية ، وبعض الأورام المثانية .

4- يستعمل الكي في حالات الآلام المعنَّدة التي ليست لها أسباب عضوية ، كالآلام النفسية ، وكذلك الآلام المعنَّدة التي لها أسباب عضوية ، ولكن لا يمكن إزالة هذه الأسباب العضوية مثل الآلام السرطان . إنّ آلية الاستفادة من الكي في حالة الآلام المعنَّدة هي إحداث تنبيه شديد للجملة العصبية التي تخضع أساسا لتنبيه المرض ، وفي هذه الحالة تستجيب الجملة العصبية للتنبيه الأشد ، وتنسى الأضعف ، أي : تستجيب لتنبيه الكي وتنسى تنبيه المرض وعندما يزول تنبيه الكي ، قد لا يعود تنبيه المرض لنسيانه من قبل الجملة العصبية .

****

فوائد الحجامة

قال ﷺ : { نِعم العبد الحجّام يذهب الدم ويجفف الصلب ويجلو عن البصر } رواه الترمذي وقد روي أيضا { أنّ النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجّام أجرة } البخاري ومسلم . لقد أثبث العلم الحديث أنّ الحجامة قد تكون شفاء لبعض أمراض القلب وبعض أمراض الدم وبعض أمراض الكبد .. ففي حالة شدة احتقان الرئتين نتيجة هبوط القلب وعندما تفشل جميع الوسائل العلاجية من مُدرَّات البول وربط الأيدي والقدمين لتقليل اندفاع الدم إلى القلب فقد يكون إخراج الدم بفصده عاملا جوهريا هاما لسرعة شفاء هبوط القلب كما أنّ الارتفاع المفاجئ لضغط الدم مصحوب بشبه الغيبوبة وفقد التمييز للزمان والمكان أوالمصاحب للغيبوبة نتيجة تأثير هذا الارتفاع الشديد المفاجئ لضغط الدم – قد يكون إخراج الدم بفصده علاجا لمثل هذه الحالة كما أنّ بعض أمراض الكبد مثل

التليف الكبدي لا يوجد علاج ناجح لها سوى إخراج الدم بفصده فضلا عن بعض أمراض الدم التي تتميز بكثرة كرات الدم الحمراء وزيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم تلك التي تتطلب إخراج الدم بفصده حيث يكون هو العلاج الناجح لمثل هذه الحالات منعا لحدوث مضاعفات جديدة ومما هو جدير بالذكر أنّ زيادة كرات الدم الحمراء قد تكون نتيجة الحياة في الجبال المرتفعة ونقص نسبة الأكسجين في الجو وقد تكون نتيجة الحرارة الشديدة بما لها من تأثير واضح في زيادة إفرازات الغدد العرقية مما ينتج عنها زيادة عدد كرات الدم الحمراء .. ومن ثَمّ كان إخراج الدم بفصده هو العلاج المناسب لمثل هذه الحالات ومن هنا جاء قوله ﷺ: { خير ما تداويتم به الحجامة } . وهو قول اجتمعت فيه الحكمة العلمية التي كشفتها البحوث العلمية مؤخرا .

****

القسط الهندي

قال رسول الله ﷺ: { إنَّ أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري} رواه البخاري و قال رسول اللهﷺ: { لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة، و عليكم بالقسط } رواه البخاري وقال رسول اللهﷺ : {عليكم بهذا العود الهندي فإنَّ فيه سبعة أشفية : يسعط به من العذرة ، ويلدُّ به من ذات الجنب } رواه البخاري (القسط) بضم القاف و سكون السين ، هو :العود . فيصح أنْ نقول : القسط البحري ، و يصح أنْ نقول : العود البحري ، و يقال مثل هذا في الهندي . وهذا العود يؤخذ من نبتة القسط التي يبلغ ارتفاعها (1.5م) و لها أوراق ، ساق ، و جذور ، و هو يعيش في الهند ، القسم المستعمل منه في العلاج هو قشور جذوره التي تكون بيضاء ، أو سوداء و سُمِّي البحري ، لأنّ العرب كانت تجلبه عن طريق البحر ، وأما تسميته بالحلو ، أو المر ، فذلك متعلق بطعمه.
(العذرة) بضم العين و سكون الذال هي التهاب الحلق و اللوزات . و الغمز هو:الضغط بالأصابع (السعوط) : هي تناول الدواء عن طريق الأنف بالتقطير (ذات الجنب) : قال عنه ابن حجر العسقلاني : (هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع (اللَّدود) قال ابن حجر العسقلاني : اللَّدود بفتح اللام و بمهملتين ،هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض القسط نوعان أحدهما الأبيض والمعروف بالبحري والآخر بالهندي وكلاهما يستعملان لإخراج البلغم ويقطعان الزكام ويفيدان في ضعف الكبد والمعدة والقسط الأبيض يدر الحيض إذا تدخن به وإذا تبخر به نفع من نزلات البرد وإذا سحق وخلط بالعسل نفع من أوجاع المعدة والكلى، وفتت حصاة المثانة وإذا طلى مخلوطا بالعسل فإنه مفيد للنمش والكلف. كما أنه يفيد لداء الثعلبة وفي المسند من حديث أم قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بهذا العود الهندي فانّ فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب" و يستعمل القسط في وقف الصداع المزمن شرابا وسعوطا ودهانا بالسمن ويعالج ضيق النفس والربو والسعال المزمن وآلام المعدة يزيل آثار الجروح والحروق بمزجه بالعسل واستخدامه كدهان ، ويستعمل القسط في الهند والصين بكثرة كمنبه ومقو ومدر للبول والطمث .القُسْط: هو دواء حبشي معروف، ينفع من استرخاء الأعصاب، ويقوي الكبد والقلب، وينفع من الفالج وأوجاع المفاصل والأوراك وعرق النسا شربا وطلاء بماء الصبار القسط الأسود و هو ليس بأسود و لكنه بني فالقسط الأسود أقوى من الأبيض القسط الهندي يدخل في مشاكل الغدد و ضعف الغدة الدرقية وهذا مجرب.منشط عام ، مفيد للأعصاب ، مذيب للكرسترول في الدم و بالذات السيئ ، مفيد لخلايا المخ ، منشط جنسي ، مدر للبول ، طارد للغازات و الرياح ، منقي للدم ، منشط للبنكرياس و هذا مجرب ، مخفض لضغط الدم ، موسع للأوردة والشرايين ، مفيد لمشاكل المفاصل ، مضاد حيوي قوي جدا جدا ، مفيد لمشاكل الكبد و الكلى ، يقضي على الزكام بخورا ، لمشاكل الجيوب الأنفية سعوطا يفضل القسط الأبيض فقط ، مسيل للدم (بدلا للأسبرين) ،مذيب للجلطات بأنواعها مجرب ، يتعب الجن و الشياطين و العفاريت ، و هناك أشياء أخرى لعل في المستقبل القريب نجد من فوائده الشيء الكثير و يكفي فقط قول نبينا محمد صلى الله عليه و على صحبه و سلم المبعوث رحمة للعالمين فيه سبعة أشفية لا توجد عليه آثار جانبية بل هو كله خير و هو أصل من أصول الطب النبوية ،فكل ما جاء به نبينا محمدﷺ خير لا يضرالقسط الهندي طعمه شديد المرارة و هذا هو طبعه فلو أخذنا من القسط المطحون مقدار ملعقة صغيرة كتلك التي نستخدمها لسكر الشاي مثلا في اليوم 7 مرات متفرقة فصاحب السكر و الجلطات و غيرها نفس المقادير تقريبا يستخدم منه مع الماء و هذا أفضل ، أو مع أي شيئ يذهب مرارة الطعم و لمرضى السكر يؤخذ ملعقة شاي من القسط الهندي المطحون مع ملعقة طعام عسل طبيعي مع نصف ليمونة معصورة ، الجميع يضاف الى كوب من الماء الساخن ثم يحرك الخليط ويترك حتى يبرد قليلا ثم يشرب القسط الهندي إذا طحن وخلط بالزيت ودهن به المصاب بالمس فإنه نافع بإذن الله.ولعلاج الصداع المزمن والشقيقة :يعمل من القسط مغلي بمقدار ملعقة صغيرة تضاف الى كوب ماء سبق غليه ويترك لمدة ربع ساعة ثم يشرب مرة في الصباح وأخرى في المساء. أو يمكن استخدامه بعد سحقه كسعوط أي يشم بين حين وآخر أو يمكن استخدامه دهانا على الجبهة وذلك بسحقه ثم خلطه مع سمن بري ويدهن به الرأس.

****

فوائد السنا

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: { بماذا كنت تستمشين ؟ قالت : بالشبرم ، قال : حار جار ، قالت : ثم استمشيت بالسنا ، فقال : لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا } . رواه الترمذي . وقال رسول اللهﷺ : { عليكم بالسنا والسنوت } رواه ابن ماجة .
(الاستمشاء) هو : تليين الطبع حتى يمشي ، ولا يصير بمنزلة الواقف ، المشي : هو الذي يمشي الطبع ، ويلينه ، ويسهل خروج الخارج . وقيل سمي بذلك لأنه يكثر مشي صاحبه إلى الخلاء ، ويكثر تردده إلى الخلاء بعد تناول الدواء . وقوله ﷺ: { بما كنتِ تستمشين ؟ } أي بماذا كنت تستطلقين ؟ ومعناه : بأي دواء كنت تسهلين بطنك .
(الشبرم) : هو حب صغير شبيه بالحمص . وقيل : هو قشر عرق شجرة ، وهو من الأدوية المسهلة ، التي أوصى الأطباء بترك استعمالها ، لخطرها ولشدة إسهالها .

قولهﷺ: { حار جار } قال ابن قيم الجوزية في كتابه (الطب النبوي) : (وفيه قولان أحدهما : أنّ الحار الجار بالجيم : الشديد الإسهال . الثاني : أنّ هذا الأتباع الذي يقصد به تأكيد الأول ، ويكون من بين التاكيد اللفظي) . والرأي الأول هو الأصح .
(السنا) : شجيرة يبلغ طولها 2-3 أمتار أوراقها صغيرة خضراء ، ولها أنواع عديدة ، توجد في السودان ، والجزيرة العربية ، والصومال والهند .
فوائد السنا :- يستخدم السنا مسهل ، وملين ، وذلك حسب الجرعة المستعملة : حيث إنّ آليات تأثيره هي : تنشيط الإفرازات من الغدد الهضمية ، وكذلك تحريض العضلات الملساء ، والحركات الدودية للأمعاء ، وخاصة على مستوى الكولون ، وكذلك التأثير على التبادل الشاردي على مستوى الكولونات ، كما يقوم بحبس الماء ضمن الكتلة الرازية ، وكل هذه الآليات تؤثر مجتمعة في إحداث الإسهال ، أو التليين لدى استخدام السنا . أمّا المادة المؤثرة في السنا والتي تحدث الإسهال والتليين فقيل إنّها حمض الكريزوفاني، وقيل حمض الإنتراكينون. هناك فرق بين الشبرم والسنا: هو أنّ الشبرم مسهل قوي جدا، وبالتالي يجب أنْ يكون بدقة، وبتحديد من الطبيب. في حين أنّ السنا مسهل مقبول. وهذا الاستبدال للشبرم بالسنا يدل على حكمة طبية نبوية عظيمة. كما أنّ السنا يمتاز عن غيره من المسهلات بعدم وجود إدمان عليه. أي أنّ الانقطاع لا يسبب الإمساك، وصعوبة التبرز ، كما أنّه لا حاجة لزيادة الجرع للحصول على نفس الفائدة الطبية في التليين.
2- يحتوي السنا على مواد مضادة للجراثيم، ومنه فائدة السنا في مقاومة الالتهابات الجرثومية وكذلك يحتوي على مواد مضادة للفطور، وبالتالي فعاليته في مقاومة الحمات الراشحة (الفيروسات) بإيقاف نموها.

****

الحناء

منذ القديم عرف الإنسان نبات الحناء واستخدمه في الزينة والتجميل حتى وُجِد أنّ الفراعنة قد استخدموه في صبغ الملابس المصنوعة من الكتان،كما أنّ لهذا النبات خصائص علاجية كثيرة استخدمت في علاج الأمراض الجلدية والباطنية وكان رسول اللهﷺ إذا اشتكى إليه أحد وجعاً في رأسه نصحه باستخدام الحناء وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصابته قرحة أو شوكة وضع عليها الحناء ..فما الذي أكسب الحناء هذه الخصائص العلاجية ؟ إنّ العلم الحديث بما أجراه من تحاليل وتجارب علمية على هذا النبات قد بين أنّ الحناء تحتوي على مواد مطهرة ومواد غروية هلامية تلعب دوراً فعالاً في قتل الميكروبات وعمل طبقة واقية على أماكن القرحة فتعطيها فرصة للالتئام ، كما تعمل الحناء على سحب الرطوبة عن طريق المواد القابضة من القرح فيجف عنها الماء كي تتمكن القوى الحيوية من إنبات اللحم في الأنسجة التالفة فتعمل على بناء الأنسجة من جديد فتسرع من عملية شفاء القروح المزمنة التي عجزت عنها الأدوية وأما الشوكة فإنّ الحناء تطري وترخي الجلد الذي به الشوكة فتخرج الشوكة بسهولة وتفيد الحناء في علاج وجع الرأس لأنها تحتوي على مواد تعمل على توسيع الشرايين في منطقة الرأس والجبهة فتزيل الصداع المزمن والآلام الموجودة بالرأس يقول داوود الأنطاكي في التذكرة قائلا :ليس في الخضابات أكثر سرياناً منها إذا خضبت بها اليد اشتدت حمرة البول ، ماؤها يفتح السدد ويذهب اليرقان والطحال ويفتت الحصى ويدر ويسقط الحمل وشرب مثقال من زهرها بثلاث أواق من الماء والعسل يقطع النزلات وأصناف الصداع وهي مع السمن ودهن الورد تحلل أوجاع المفاصل وبالسمن تقطع الجرب وتجلو الآثار، واستمرت الأبحاث على هذا النبات الساحر لتكشف المزيد من خصائصه الغلاجية حتى وجد أنّ لهذا النبات تأثيراً فعالاً على علاج الثعلبة وهي مرض يصيب شعر الرأس ويتميز بظهور بقع مستديرة خالية تماما من الشعر والحناء تحتوي على مواد فعالة تعالج هذا المرض كما وجد أيضا أنّ الحناء علاج فعال للإكزيما كما أنّ أوراق الحناء تحتوي على مواد فعالة تساعد في اسقاط حصوات الكلى حيث تقوم بإدرار البول وتوسيع الحالب فتعمل على إخراج الحصوات من الجسم دون أدنى ضرر يقع على الإنسان من استخدامها إلى غير ذلك من الأمراض التي تعالجها .

****

الإثمد وجلاء البصر

عن عبدالله بن العباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺقال:{ إنّ خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر وينبت الشعر} قال وكان رسول الله ﷺ إذا اكتحل بالإثمد يكتحل في اليمني ثلاثة يبدأ بها ويختم بها وفي اليسرى اثنتين. قال ابن حجر-: والإثمد حجر معروف أسود يضرب إلى الحمرة يكونه في بلاد الحجاز وأجوده ما يؤتي به من أصفهان يؤكد الدكتور ـ حسن هويدي ـ أنّ جلاء البصر بالإثمد إنّما يتم بتأثيره على زُمَر جرثومية متعددة، وبذلك يحفظ العين وصحتها، إذ أنّ آفات العين التهابية جرثومية وعندما تسلم الملتحمة من الاحتقان يمكن أنْ يكون البصر جيدا. ويقول أنّ إنباته للشعر ثابت علمياً، إذ أنّ من خصائص الإثمد الدوائية تأثيره على البشرة والأدَمَة فينبه جذور الشَّعرة ويكون عاملا في نموها، لذا يستعملون مركباته (طرطرات الإثمد والبوتاسيوم) لمعالجة بعض السعفات والصلع تطبق على شكل مرهم بنسبة 3% وهذه الفائدة في إنبات الشعر تنفع العين أيضا لأنها تساعد على نمو الأهداب التي تحفظ العين وتزيد في جمالها. يالروعة الاختيار النبوي، لقد كان عند العرب زمن النبيﷺ العديد من الأكحال استعملوها للزينة، وكما يقول الدكتور ـ محمود ناظم النسيمي ـ { فقد فضّل رسول اللهﷺ كحل الإثمد لأنّه يقوي بصيلات أهداب العين فيحفظ الرموش فتطول أكثر، وبذلك تزداد قدرتها في حفظ العين من أشعة الشمس وفي تصفية الغبار والأوساخ، فتزيد الرؤيا وضوحا وجلاء أكثر منها في استعمال الأكحال الخالية من الإثمد}.

****

الهدي النبوي في الوقاية من الأمراض

قالﷺ : { غطوا الإناء وأوكئوا السقاء ، فإنّ في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء} رواه مسلم لقد أثبت الطب الحديث أنّ النبي ﷺهو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية، فقد تبين أنّ الأمراض المعدية تسرى في مواسم معينة من السنة، بل إنّ بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن.. من أمثلة ذلك: أنّ الحصبة، وشلل الأطفال، تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفود يكثر في الصيف أمّا الكوليرا فإنّها تأخذ دورة كل سبع سنوات .. والجدري كل ثلاث سنين وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول ﷺ: { إنّ في السنة ليلة ينزل فيها وباء} .. أي أوبئة موسمية ولها أوقات معينة. كما أنّه ﷺ قد أشار إلى أهم الطرق للوقاية من الأمراض في حديثه: {اتقوا الذّر وهو الغبار} فإنّ فيه النسمة (أي الميكروبات) فمن الحقائق العلمية التي لم تكن معروفة إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب، أنّ بعض الأمراض المعدية تنتقل بالرذاذ عن طريق الجو المحمل بالغبار، والمشار إليه في الحديث بالذر.. وأنّ الميكروب يتعلق بذرات الغبار عندما تحملها الريح وتصل بذلك من المريض إلى السليم وهذه التسمية للمكروب بالنسمة هي أصح تسمية، فقد بين ـ الفيروز أبادي ـ في قاموسه أنّ النسمة تطلق على أصغر حيوان، ولا يُخفى أنّ الميكروب متصف بالحركة والحياة.. أمّا تسمية الميكروب بالجرثوم فتسمية لا تنطبق على المسمى لأنّ جرثومة كل شيء أصله حتى ذرة الخشب وهذا من المعجزات الطبية التي جاء بها رسول الله ﷺ.

****

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

إنّها القاعدة الصحية العريضة التي قررها الله عز وجل حين قال في كتابه العزيز (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين)[سورة الأعراف] وسنبين بعض أبعاد هذه القاعدة الكبيرة:

ـ <u>الغذاء في اعتبار القرآن</u>: الغذاء في اعتبار القرآن وسيلة لا غاية، فهو وسيلة ضرورية لابد منها لحياة الإنسان، دعا إليها القرآن (يا أيها الناس كلوا مِمَّا في الأرضِ حلالا طيبا)[سورة البقرة] وجعل الله في غريزة الإنسان ميلا للطعام وقضت حكمته أنْ يرافق هذا الميل لذة لتمتع الإنسان بطعامه ولتنبيه العصارات الهاضمة وأفعال الهضم. ومن الوجهة الغريزية فإنّه" الأصل في الأغذية أنها لبناء الجسم وإعاضة ما يندثر من أنسجته ولتقديم القدرة الكافية التي تستنفذ في الحفاظ على حرارته وفي قيام أجهزته بأعماله".

ـ <u>الاعتدال في الطعام والشرب</u>: الاعتدال في أي أمر هو أسمى درجاته، والاعتدال في أمر الطعام والشرب هو المقصد الذي ذهبت إليه الآية الكريمة(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ففي هذه الآية دعوة للإنسان إلى الطعام والشراب، ثم يأتي التحذير مباشرة عن الإفراط في ذلك. ولقد كان الاعتدال واقعاً في حياة الرسولﷺ وحياة صحابته، فلم تقتصر توجيهاته على عدم الإفراط في الطعام بل حذر أيضا من التقتير فيه، ومنع أقواماً عن الصوم أيام متتاليات دون إفطار. " لقد اتفق على مبدأ الاعتدال في الطعام والشراب كل مَن مر على الأرض من أنبياء وحكماء وأطباء، فهذا لقمان الحكيم يوصي ولده بقوله:" وإذا كنت في الطعام فاحفظ معدتك"، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر من البطنة فيقول:{ إياكم والبطنة في الطعام ، فإنّها مفسدة للجسم، مورثة للسقم...} على أنّ الدقة في بيان الاعتدال في الطعام و الشراب تظهر جلية في حديث الرسول ﷺ حيث يقول:{ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإنْ كان لا بد فاعلا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه}.

<u>الإسراف</u> : قبل أنْ نتكلم عن الإسراف نذكر بأنّ احتياجات الإنسان الطبيعي من العناصر الغذائية الأساسية(السكاكر، و الدسم، والبروتينات) ومن الفيتامينات و العناصر المعدنية تختلف حسب سنه وجنسه وعمله وحالته الغريزية، فالرجل الكهل مثلا يحتاج ل (20 - 60) غ من البروتينات، 100 غ من السكر كحد أدني ولكمية من الدسم بحيث تؤمن 20% من طاقته اليومية، ولكميات محدود من الفيتامينات والمعادن، لا مجال لذكرها هنا . والإسراف إمّا أنْ يكون بالتهام كمية كبيرة من الطعام فوق حاجة الإنسان: أو بازدراد الطعام دون مضغه جيدا ويسمى ذلك بالشره ، وسبب الشره نفسي غالبا، ويكون إمّا كظاهرة للحرمان أو التدليل، أو بسبب الملل كما هو عند بعض الأطفال، أو بسبب التعليق باللذة أو بسبب التقليد، وقد يكون سبب الشره غريزي كما في الحمل.

ـ <u>مضار الشره :</u>

أـ على جهاز الهضم: التخمة، وعسر الهضم، وتوسع المعدة، وهي حالات تسبب للشخص شعوراً مزعجاً.

ب ـ إنّ ازدراد وجبة كبيرة من الطعام قد تؤدي إلى :

1ـ هجمة خناق صدر وخاصة إذا كانت الوجبة دسمة، وهي حالة من الألم الشديد في الحلق يمتد للكتف والذراع الأيسر والفك السفلي بسبب نقص التروية القلبية، تظهر هذه الحالة عادة عند المصابين بأمراض الأوعية القلبية إثر الجهد، فالوجبة الغذائية الكبيرة تشكل على القلب عبئاً يماثل العبء الناتج عن الجهد العنيف.

2ـ ازدراد كمية كبيرة من الطعام تعرض الإنسان للإصابة ببعض الجراثيم، كضمات الكوليرا وعصيات الحمي التيفية، والأطوار الاغتذائية للأميبا وذلك لعدم تعرض كامل الطعام لحموضة المعدة وللهضم المبدئي في المعدة حيث أنّ حموضة المعدة هي المسؤولة عادة عن القضاء على مثل هذه الجراثيم.

3ـ توسع المعدة الحاد، وهي حالة خطيرة قد تؤدي للوفاة إذا لم تعالج .

4ـ إنفتال المعدة، وهي إصابة خطيرة ونادرة تحدث بسبب حركة حويّة معاكسة للأمعاء بعد امتلاء المعدة الزائد بالطعام .

5ـ المعدة الممتلئة بالطعام أكثر عُرضة للتمزق إذا تعرضت لرض خارجي من المعدة الفارغة، وقد يتعرض المرء للموت إذا تعرض لضرب على الشرسوف(فوق المعدة).

ج ـ الشره ضار بالنفس والفكر: فكثرة الأكل تؤدي إلى همود في النفس، وبلادة في التفكير، وميل إلى النوم، قال لقمان الحكيم{ يا بني، إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة} كما أنّ الشره يزيد الشهوة الجنسية، وكلنا نرى عموماً أنّ الشره يغير نفسية الإنسان فيجعلها أقرب إلى نفسية الحيوان رغماً عنه.

مضار الإسراف بنوع من الأطعمة:

1- السمنة: وهو المرض الخطير الذي نجده غالباً في أبناء الطبقات الغنية وعند أصحاب الوظائف الكسولة، ويحصل نتيجة الإكثار من الطعام، وخاصة السكاكر والدهون وبشكل خاص عند الأفراد الذين لديهم استعداد إرثي. والسمنة في الواقع مرض بشع يحد من إمكانات الفرد ونشاطاته بشكل كبير، كما يؤهب أو يشارك بعض الأمراض الخطيرة، كاحتشاء العضلة القلبية ، وخناق الصدر والداء السكري وفرط توتر الدم وتصلب الشرايين، وكل هذه الأمراض هي اليوم شديدة الشيوع في المجتمعات التي مالت إلى رفاهية الطعام والشرب.

2- نخر الأسنان: وهو أيضا من الأمراض الشائعة بسبب الإكثار من تناول السكاكر الاصطناعية خاصة التي تسمح بتخميرها للعصيات اللبنية بالنمو في جوف الفم.

3- الحصيات الكلوية: وهي أكثر حدوثاً عند الذين يعتمدون بشكل رئيسي على تناول اللحوم والحليب والجبن.

4- تصلب الشرايين: وهو داء خطير يشاهد بشكل ملحوظ عند الذين يتناولون كميات كبيرة من الدسم، حيث يصابون بفرط تدسم الدم.

5- النقرس(داء الملوك): وهو ألم مفصلي يأتي بشكل هجمات عنيفة وخاصة في مفاصل القدم والإبهام. ويشاهد أكثر عند الذين يتناولون كميات كبيرة من اللحوم. ويجب أنْ لا ننسى أنّ نسبة كبيرة من شعوب البلاد المتخلفة لا يحصلون على راتبهم الغذائي وأنّهم مصابون بواحد أو أكثر من أمراض سوء التغذية، وخاصة الأطفال، إذا تشير التقديرات العالمية أنّ سوء التغذية يشكل السبب الأول غير المباشر للوفيات عند الأطفال. إنّ القرآن عندما أشار إلى الطيب من الطعام، وحرم الخبيث منه، قد سهل على الإنسان الحصول على ما يلزمه من حاجات الغذاء دون نقص ، كما جعله في حماية من أمراض الخبائث وما ينتج عنها من ويلات تعاني منها البشر اليوم أشد العذاب، وهي تقف على أعلى مستوى من العلم و التقدم التكنولوجي.

****

الهدي النبوي في كراهة البدانة

قال ﷺ{ ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإنْ كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه} رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما وقوله{ المعدة بيت الداء} لقد توصل العلم إلى أنّ السمنة من الناحية الصحية تعتبر خللا في التمثيل الغذائي وذلك يرجع إلى تراكم الشحوم أو اضطراب الغدد الصماء.. والوراثة ليس لها دور كبير في السمنة كما يعتقد البعض وقد أكدت البحوث العلمية أنّ للبدانة عواقب وخيمة على جسم الإنسان وقد أصدرت إحدى شركات التأمين الأمريكية إحصائية تقرر أنّه كلما طالت خطوط حزام البطن قصرت خطوط العمر فالرجال الذين يزيد محيط بطونهم أكثر من محيط صدورهم يموتون بنسبة أكبر كما أثبتت البحوث أيضا أنّ مرض البول السكرى يصيب الشخص البدين غالبا أكثر من العادي كما أنّ البدانة تؤثر في أجهزة الجسم وبالذات القلب حيث تحل الدهون محل بعض خلايا عضلة القلب مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته وصدق رسول الله ﷺ حين حذر من السمنة والتخمة فقال: {المعدة بيت الداء } وحذرت البحوث من استخدام العقاقير لإنقاص الوزن لما تسببه من أضرار وأشارت إلى أنّ العلاج الأمثل للبدانة والوقاية منها هو إتباع ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى بعدم الإسراف في تناول الطعام والشراب وإتباع سنة رسول الله ﷺ في تناول الطعام كما أوضح الحديث الذي نحن بصدده... وجاء تطبيقاً لقوله تعالى: " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلِّ مسجدٍ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين"[سورة الأعراف]، وبهذا سبق الإسلام العلم الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنا إلى أهمية التوازن في تناول الطعام والشراب وحذر من أخطار الإسراف فيهما على صحة الإنسان.

وقاية الجهاز الهضمي: قال ﷺ{ أصل كل داء البردة} البردة: (التخمة): أخرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير هذا الحديث يعد علامة بارزة في حفظ صحة الجهاز الهضمي، وبالتالي وقاية الجسم كله من التسمم الذاتي الذي ينشأ عن (التخمة) وامتلاء المعدة وتحميلها فوق طاقتها من الأغذية الثقيلة، وعن تناول الغذاء ثانية قبل هضم الغذاء الأول، الأمر الذي يحدث عسر هضم وتخمرات.. وبالتالي التهابات معدية حادة تصير مزمنة من جراء توطن الجراثيم المرضية في الأمعاء التي ترسل سمومها إلى الدورة الدموية، فتؤثر على الجهاز العصبي والجهاز التنفسي، وعلى الجهاز البولي الكلوي وغير ذلك من أجهزة حيوية في الجسم، الأمر الذي يسبب اختلال وظائفها. ومن تخمة تؤدي إلى أمراض عديدة كما كشفتها البحوث الطبية الحديثة.

****

الغضب

روي أنّ رجلا قال للنبي ﷺأوصني قال : { لاتغضب } فردد مرارا قال : { لاتغضب } رواه البخاري. لقد ثبت علمياً أنّ الغضب كصورة من صور الانفعال النفسي يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب تأثير العَدو أو الجري على القلب وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضاته في الدقيقة الواحدة فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات وهذا بالتالي يُجهد القلب لأنّه يجبره على زيادة عمله عن معدلات العمل الذي يفترض أنْ يؤديه بصفة عادية أو ظروف معينة إلا أنّ العَدو أو الجري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلا لأنّ المرء يمكن أنْ يتوقف عن الجري إنْ هو أراد ذلك أمّا في الغضب فلا يستطيع الإنسان أنْ يسيطر على غضبه لاسيما وإنْ كان قد اعتاد على عدم التحكم في مشاعره

وقد لوحظ أنّ الإنسان الذي اعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم ويزيد عن معدله الطبيعي حيث إنّ قلبه يضطر إلى أنْ يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد المطلوب كما أنّ شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها وتفقد مرونتها وقدرتها على الاتساع لكي تستطيع أنْ تمرر أو تسمح بمرور أو سريان تلك الكمية من الدماء الزائدة التي يضخها هذا القلب المنفعل ولهذا يرتفع الضغط عند الغضب هذا بخلاف الآثار النفسية والاجتماعية التي تنجم عن الغضب في العلاقات بين الناس والتي تقوّض من الترابط بين الناس ومِمّا هو جدير بالذكر أنّ العلماء كانوا يعتقدون في الماضي أنّ الغضب الصريح ليس له أضرار وأنّ الغضب الكبوت فقط هو المسؤول عن كثير من الأمراض ولكن دراسة أمريكية حديثة قدّمت تفسيرا جديدا لتأثير هذين النوعين من الغضب مؤداه أنّ الكبت أو التعبير الصريح للغضب يؤديان إلى الأضرار الصحية نفسها وإنْ اختلفت حدتها ففي حالة الكبت قد يصل الأمر عند التكرار إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأحيانا إلى الإصابة بالسرطان أمّا في حالة الغضب الصريح وتكراره فإنّه يمكن أنْ يؤدي إلى الإضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبية لأنّ انفجار موجات الغضب قد يزيده اشتعالا ويصبح من الصعب التحكم في الانفعال مهما كان ضئيلا فالحالة الجسمانية للفرد لا تنفصل عن حالته النفسية مِمَّا يجعله يسري بسرعة إلى الأعضاء الحيوية في إفراز عصاراتها ووصول معدل إفراز إحدى هذه الغدد إلى حد سد الطريق أمام جهاز المناعة في الجسم وإعاقة حركة الأجسام المضادة المنطلقة من هذا الجهاز عن الوصول إلى أهدافها ، الأخطر من ذلك كله أنّ بعض الأسلحة الفعالة التي يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه والمنطلقة من غدة حيوية تتعرض للضعف الشديد نتيجة لإصابة هذه الغدة بالتقلص عند حدوث أزمات نفسية خطيرة وذلك يفسر احتمالات تحول الخلايا السليمة إلى سرطانية في غيبة النشاط الطبيعي لجهاز المناعة وصدق رسول اللهﷺ الذي أوصانا بعدم الغضب ومن هنا تظهر الحكمة العلمية والعملية في تكرار الرسول ﷺ توصيته بعدم الغضب .

<u>الغضب وآثاره السلبية :</u> يقول الدكتور- أحمد شوقي إبراهيم - عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب .. أنّ الميول الإنسانية تنقسم إلى أربعة أقسام ، ويختلف سلوك وتصرفات الأشخاص باختلاف هذه الميول ومدى السيطرة عليها : الميول الشهوانية تؤدي إلى الثورة والغضب .. والميول التسلطية تؤدي إلى الكبر والغطرسة وحب الرياسة .. والميول الشيطانية تسبب الكراهية والبغضاء للآخرين . ومهما كانت ميول الإنسان فإنّه يتعرض للغضب فيتحفز الجسم ويرتفع ضغط الدم فيصاب بالأمراض النفسية والبدنية مثل السكر والذبحة الصدرية . وقد أكدت الأبحاث العلمية أنّ الغضب وتكراره يقلل من عمر الإنسان . لهذ ينصح الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين في حديثه لاتغضب وليس معنى هذا عدم الغضب تماما بل عدم التمادي فيه وينبغي أنْ يغضب الإنسان إذا انتهكت حرمات الله ، ورسول الله ﷺ يقول لمَن يغضب : وإذا غضب أحدكم فليسكت .. لأنّ أي سلوك لهذا الغاضب لا يمكن أنْ يوافق عليه هو نفسه إذا ذهب عنه الغضب ولهذا يقول الرسول ﷺلا يقضين حَكمٌ بين اثنين وهو غضبان .. والقرآن الكريم يصور الغضب قوة شيطانية تقهر الإنسان وتدفعه إلى أفعال ما كان يأتيها لو لم يكن غاضبا ، فسيدنا موسى .. ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه .. فلما ذهب عنه الغضب .. " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح" .. وكأنّ الغضب وسواس قرع فكر موسى ليلقي الألواح .. وتجنب الغضب يحتاج إلى ضبط النفس مع إيمان قوي بالله ويمتدح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا السلوك في حديثه .. ليس الشديد بالصُّرعة وإنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب .. ولا يكون تجنب الغضب بتناول المهدئات لأنّ تأثيرها يأتي بتكرار تناولها ولا يستطيع متعاطي المهدئات أنْ يتخلص منها بسهولة ولأنّ الغضب يغير من السلوك فإنّ العلاج يكون بتغيير سلوك الإنسان في مواجهة المشكلات اليومية فيتحول غضب الإنسان إلى هدوء واتزان ... ويضيف الدكتور - أحمد شوقي - : أنّ الطب النفسي توصل إلى طريقتين لعلاج المريض الغاضب .. الأولى : من خلال تقليل الحساسية الانفعالية بتدريب المريض تحت إشراف طبيب على ممارسة الاسترخاء مع مواجهة نفس المواقف الصعبة فيتدرب على مواجهتها بدون غضب أو انفعال .. والثانية : من خلال الاسترخاء النفسي والعضلي وذلك بأنْ يطلب الطبيب من المريض أنْ يتذكر المواقف الصعبة وإذا كان واقفاً فليجلس أو يضطجع ليعطيه فرصة للتروِّي والهدوء .. هذا العلاج لم يتوصل إليه الطب إلا في السنوات القليلة الماضية بينما علّمه الرسول ﷺلأصحابه في حديثه .. { إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب أو فليضطجع }.

****

تحريم الإسلام للزنا والشذوذ الجنسي

قال تعالى : (ولا تقربوا الزِّنَى إنهُ كانَ فاحشةً وساءَ سبيلا) [سورة الإسراء] وعن عبد الله بن عباس أنّ النبي ﷺ قال : { ياشباب قريش احفظوا فروجكم فلا تزنوا ، ألا أنّ مَن حفظ فرجه فله الجنة} أخرجه الطبراني في الكبير . وعن الهيثم بن مالك الطائي مرفوعا إلى النبي ﷺ قال : { ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا تحل له } أخرجه ابن أبي الدنيا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : { لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن } . أخرجه الشيخان . قوله تعالى : (لا تقربوا الزنى) أي لا تقتربوا منه ولا من أسبابه ودواعيه لأنّ تعاطي الأسباب مُؤدٍ إليه وهو فعل شديد القبح وذنب عظيم .

<u>الحد من الزنى :</u> أوجب الله سبحانه وتعالى على أولي الأمر إقامة الحد على الزناة حفاظاً على الأعراض ، ومنعا لاختلاط الأنساب ، وتحقيقا للعفاف والصون وطهر المجتمع ، قال تعالى : (الزانيةَ والزَّاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةً ولا تأخذكم بهما رأفةً في دِينِ اللهِ إنْ كنتمْ تؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ وليشهدْ عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين) [سورة النور] وظاهر الآية ، الزناة مطلقاً هو الجلد مائة جلدة ، ولكن ثبت في السنة القطعيَّة المتواترة التفريق بين حد المُحْصَن وغير المحصن . حيث خُصِّصت الآية المذكورة في عقوبة الزاني والزانية غير المُحْصَنَيْن بالزواج ، الحُرّين ، البالغَين . وأضافت على العقوبة المذكورة وهي مائة جلدة ، تغريب عام (أي النفي سَنَة كاملة) .

الإعجاز العلمي : لقد أثبت علم الطب أنّ الزنى فيه أضرار صحية خطيرة تهدد البشرية بالأمراض الخبيثة التي يصعب علاجها ، فهو السبب المباشر في الزهري وهو مرض يعدي بمجرد اللمس ويؤثر تأثيراً سيئا في الجهاز العصبي ، وكذلك يسبب مرض السيلان الذي هو من المعضلات المرضية الخطيرة التي حار في علاجها الطب وهو يترك المصاب به في حالة من الألم والمرض يعطلان حركته ويشلان تفكيره ويجعلانه عضو أشل لا فائدة فيه، كما أنّه يسبب تشويه النَّسل، وقد ثبت أنّ كل امرأة اتصلت برجل مصاب بهذه الأمراض الخبيثة لابد أنْ تصاب هي الأخرى به وإننا نحمد الله تعالى ونشكره على تفضله تعالى بالارشاد إلى كل ما فيه صحة عباده وسلامتهم، فهو سبحانه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين يريد بهم الخير دائما.

تحريم الشذوذ الجنسي:_إنّ من أقذر ما لطخ بعض الناس صفحة البشرية وأكثرها اشمئزازا أنّهم حادوا عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها. فهم لم يكتفوا بإقامة علاقة سوية مع الجنس الآخر وفق قواعد الدين والفطرة لكنهم تركوا أنفسهم تأتمر بأومار الشيطان، ومضوا يمارسون نزواتهم على غير هدى، ويقومون بممارسات من علاقات جنسية شاذة سواء مع زوجاتهم (كالإتيان في الدبر) أو بولعهم مع أناس من جنسهم (اللواط و السحاق) ،أو بلغوا حدا أكبر من الانحطاط ليمارسوا الجنس مع الحيوانات أو مع الميتة. وقد حرم الله سبحانه كل هذه الأشكال من الممارسات الجنسية الشاذة:

اللواط: قال تعالى: (أتأتونَ الذُّكرَانَ مِن العالمينَ وتذرونَ ما خلقَ لكم ربكم مِن أزواجكم بل أنتم قومٌ عادون) وقال تعالى:(ولوطاً إذْ قال لقومه أتأتونَ الفاحشةَ مَا سَبقكم بها مِنْ أحدٍ من العالمين إنكم لـتأتونَ الرجالَ شهوةً مِن دونِ النساءِ بل أنتم قومٌ مسرفون) وقرر الشارع للّواط عقوبة رداعة قال ﷺ : { مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به } أخرجه الترمذي

الإعجاز العلمي: يرى علماء الاجتماع أنّ هذه الفاحشة المنكرة التي تنفر منها الطباع الكريمة هي أسوأ ما ينزل بالإنسان إلى أحط الحضيض من الكرامة الآدمية، وأنّ إشاعتها وتفشيها وتعودها يؤدي إلى تعطيل سنة الزواج التي هي سنة الله في خلقه والتي هي طريقة التناسل الطبيعية والتكاثر الذي عليه عمارة الأرض وإصلاحها، ثم إنّ علماء الطب يرون في جريمة اللواط من الأخطار الصحية لفاعلها مثل ما يصيب الزناة من أمراض جنسية خبيثة يصعب البرء منها مثل الزهرى والسيلان والقرحة والجرب كما أنّه يفقد الإنسان السيطرة على عملية التبرز فيحدث منه عن غير إرادة، وقد يفضي الأمر بالمجني عليه في الفسق أنْ يصير مخنثاً إذا لزمته العادة من صغره ويفقد بذلك رجولته.

تحريم الوطء في الدبر:قال تعالى: (فإنْ تطهَّرنَ فأتوهنَّ مِن حيث أمركم اللهُ) [سورة البقرة] وقال النبي ﷺ :{ ملعون مَن أتى امرأته في دبرها } أخرجه أبو داوود

مضار الفواحش والفوضى الجنسية:_لخص الدكتور ـ النسيمي ـ ما تؤدي إليه الحرية الجنسية من أضرار مهلكة ومدمرة للفرد والمجتمع بالأمور التالية:

1- إنّ إطلاق العنان للإنسان في ممارسة رغباته الجنسية وإشباع غرائزه وشهواته تؤدي بلا شك إلى أضرار فادحة تلحق بصحة الفرد وتدمر كيان الأسرة لَبِنَة المجتمع.

2- الفواحش هي السبب الوحيد تقريبا للإصابة بالأمراض الزهرية، وأهم العوامل في انتشارها، كالإفرنجي والسيلان البني وداء نقص المناعة المكتسبة (الإيدز).

3- اللواط، كما رأينا يزيد على الزنى بمضار متميزة، فالفاعل المعتاد على اللواط تتحرف عنده الميول الجنسية فلا يميل لمعاشرة زوجته وقد يقدم على طلاقها أو ممارسة الشذوذ الجنسي معها بإتيانها في الدبر، أمّا الملوط به فيتعرض لتوسع الشرج وارتخاء المصرة الشرجية وقد يصاب بسلس غائطي وقد يرتكس نفسيا فيتخنث.

4- إنّ شيوع التمتع باللذة الجنسية بالطريق المحرم وتيسير الوصول إليها يؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج الشرعي وتهربهم من مسؤولية بناء الأسرة التي هي لبنة المجتمع ، مِمّا يفكك عرى هذا المجتمع وتحويله إلى أفراد لا يجمع بينهم أي رابط مشترك.

أهم الأمراض التي تصيب الزناة والشواذ:

الأمراض الزهرية (الأمراض المنتقلة بالجنس) :_سميت هذه الأمراض بالأمراض الزهرية قديماً (فيينيرييل) نسبة إلى فينوس آلهة الحب عند الإغريق، وكانت تشمل عددا محصورا من الآفات، تنتقل كلها بالجماع. إلا أنّ توسّع الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي، وسعة انتشارها جعل هذا الاصطلاح قاصرا، والمصطلح الحديث الذي يجمعها هو الأمراض الجنسية المتنقلة بالجنس والتي يمكن أنْ تنتقل بأي شكل من أشكال الاتصال الجنسي سواء كان طبيعياً أو شاذاً، جماعا مهبليا عاديا، أو شرجيا أو فمويا ـ جنسيا. ولا شك، أنّ الأمراض الزهرية تشكل عقابا إلهيا عاجلا لمَن تجرأ واعتدى على الفطرة الإنسانية السليمة وسلك غير سبيل الهدى بارتكاب الفواحش من زنى ولواط وسحاق وغيرها. وانتشار هذه الأمراض مع الإباحية الجنسية والعلاقات الفاجرة ما هو إلا تحقيق لنبوءة سيد البشر وإعجاز نبوي لقولهﷺ: { ولم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلافشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا} رواه الحاكم في مستدركه عن عبدالله بن عمر وصححه السيوطي وقال الألباني حديث صحيح.

الإفرنجي : مرض أنتاني ظهر في أوربا في القرون الوسطى وسمي باللكمة الجبارة ويستوطن اليوم كل أرجاء العالم مع ثورات له بين الحين والآخر وترتبط ثوارته بالحروب وما يرافقها من فاقة وحاجة ودعارة ورخص جنسي، ينتقل بالاتصال الجنسي مع إمكانية انتقاله من الأم الحامل المصابة إلى وليدها عبر المشيمة، وتعتبر الحرية الجنسية اليوم مع انتشار اللواط والدعارة من أهم أسباب انتشاره يساعد على ذلك استعمال حبوب موانع الحمل وكثرة وسهولة السفر والترحال. ينجم الإفرنجي عن جراثيم دقيقة خيطية الشكل تدعى بالبريميات الشاحبة ويوجد تجمعات على طول الجراثيم الذي يبلغ 20 مكرونا. وهي جراثيم تموت بسرعة خارج الجسم الإنساني لذا انحصرت العدوى من المريض إلى السليم بالتماس الحار الرطب الذي يحصل مع الجماع ومقدماته.

وللإفرنجي شكلان: الإفرنجي المكتسب والإفرنجي الولادي.
الإفرنجي المكتسب: ويمر بمرحلتين الأولى خمجية شديدة السرية هي الإفرنجي الباكر والثانية غير معدية لكنها ذات آثار خطرة جدا على العضوية هي الإفرنجي المتأخر.
الإفرنجي الباكر ويبدأ بعد حضانة تقدر بثلاثة أسابيع بعد ليلة العدوى التي حصل فيها الجماع المشبوه، وذلك بظهور حطاطة حمراء في مكان دخول الجراثيم تتقرح بسرعة لتشكل قراحا صلبا مفردا غير مؤلم ذو حدود واضحة، يمكن أنْ يتوضع في أي مكان على الأعضاء التناسيلة أو الفم، على الشفة أو اللسان أو الشرج، يرافقه ضخامة في العقد اللمفاوية الذي يدعى (القرح الصلب) أو الإفرنجي الأولى. يشفى القرح الصلب خلال أسابيع ويدخل المرض دوركمون لتبدأ بعده أعراض الإفرنجي الثانوي(بعد 9 أسابيع من العدوى) ويستمر شهورا تبلغ السنتين. ويتظاهر بأعراض متباينة جدا حيث يشكو المريض من فتور وحرارة خفيفة وبحة صوت، كما تظهر بقع وردية بلون زهر الدراق في معظم أنحاء البدن(الوردة الإفرنجية) أو تظهر حطاطات نحاسية اللون متقرحة على الراحتين والأخمصين(الحطاطات الإنفرنجية) وهي إنْ ظهرت على الأماكن المتعطنة(الفرج والشرج) نمت كثيرا على شكل القرنبيط (الأورام القرنبيطية) ويمكن أنْ تتسحج وينزف منها مصل كريه الرائحة. وقد تظهر في باطن الفم تقرحات سطحية تغطيها غشاوة رمادية(الطلاوة الإفرنجية) وقد تسقط أشعار الفروة بغزارة مخلفة بقعا عديمة الشعر تدعى (الحاصة الخلالية). وقد تبدو تغيرات في لون الجلد على شكل رقط ناقصة الصباغ على الجذع وخاصة الرقبة. تغيب تظاهرات الدور الثانوي خلال بضعة أشهر ليدخل المرض في كمون طويل لا يكشف إلا بالفحوص المخبرية الخاصة لتبدأ بعد 2-8 سنوات ما يسمى : الإفرنجي المتأخر: وأهم مظاهر الصموغ الإفرنجية وهي أورام التهابية مخربة، تتلين عند نضجها ويخرج منها قيح صمغي، تشفي بعد أشهر تاركة ندبا مشوهة على الجلد، لكنها قد تتوضع داخل الأحشاء والدماغ أو الرئتين أو القلب لتأخذ أشكالا مميتة أحيانا ويصيب الإفرنجي في أدوراه المتقدمة الجهاز العصبي حيث يتبدى بأشكال مختلفة منها التهاب السحايا الإفرنجي، ومنها آفات تنكسية تصيب النخاع الشوكي مؤدية إلى الإصابة بالضنا الظهري.
الإفرنجي الولادي: إذا كانت الحامل مصابة بالإفرنجي فإنّ جراثيمه تمر عبر المشيمة إلى الجنين الذي يصاب بالمرض الذي يغلب أنْ يمته.
<u>السيلان البني</u> : وهو مرض إنتاني ينجم عن جراثيم مكورة مزدوجة تشبه حبة البن تدعى بالمكورات البنية. وتبدأ الأعراض بعد فترة حضانة تقدر بثلاثة أيام من الجماع المشبوه فيظهر عند الرجل التهاب حاد في الإحليل يؤدي إلى سيلان قيحي من الإحليل وقد ينتقل الأنتان إلى الأعلى فيصيب البروستات والبربخ والحويصلات المنوية أو الناقلة وتؤدي إلى العقم. أمّا عند المرأة فتكون الأعراض أقل حدة لقصر الإحليل عندها، وإذا انتقل عندها إلى الأعلى فيمكن أنْ يصيب المثانة أو ينتقل إلى المهبل فعنق الرحم فالطرق الناقلة للبيض وحتى المبيض. وفي حالات إدمان الآفة إنّ نقص المناعة يمكن أنْ ينقل الأنتان إلى الدم حيث يحدث تجثم الدم السيلاني في 1% من الإصابات فترتفع الحرارة مع طفح التهابي وعائي، ومن الدم ينتقل الجرثوم ليتوضع في أحد المفاصل الكبيرة كالركبة أو المرفق أو يتوضع في شغاف القلب فيحدث التهاب الشغاف الذي يغلب أنْ يهلك صاحبه بالموت.
<u>متلازم عوز المناعة المكتسبة " الإيدز aids</u>":الإيدز هو المحطة الأخيرة في رحلة الإنسان الشهواني الطويلة مع الأمراض الزهرية المختلفة، وإنّ العالم لم يواجه في تاريخه تهديدا مدمرا كالذي يواجه اليوم نتيجة انتشار الإيدز.
<u>العامل الممرض وطرق انتقاله " العدوى"</u>: ينجم الداء عن فيروس خاص يدعى "حمة عوز المناعة البشرية H. I.V " وهي هشة وضعيفة جدا خارج جسم الإنساني إذ هي حساسة للحرارة والمطهرات الكيماوية. تشاهد بكثرة في الدم المصاب والمني ومفرزات المهبل وعنق الرحم. والجماع بما يحدثه غالبا من سحجات مجهرية، وما يرافقه من غزارة في مفرزات المهبل وقذف مني ملوثة بالحمة هو السبب الغالب في انتقال الحمة من المريض إلى السليم. سواء أكان هذا الجماع طبيعيا بين الرجل وامرأة أو شاذا بين رجل وآخر، ولكن اللواط أكثر أثرا في إحداث مثل تلك الرضوض الشرجية أو في العضو لعنف الجماع فيها لذا يشكل اللواطيون النسبة الأعلى تعرضاً للإصابة. تليها فئة المومسات ومَن يتصل بهن وذلك لكثرة شركائهن الجنسيين وكثرة اتصالاتهن المحتملة للعدوى خاصة أنّ أغلبهن مصاب بتقرحات في عنق الرحم تكون مدخلا سهلا للحمات.
والتلوث بدم مصاب ينقل المرض سواء عند تلقي دماء مقطوفة من مرضى مصابين بالإيدز أو تلقي وخز إبرة ملوثة بدم المصاب وهذا يحدث عند مدمني المخدرات إذا اشتركوا في الحقن الوريدية. علماً بأنّ الإحصاءات الأوربية أثبتت أنّ ثلث المدمنين على المخدرات في أوربا مصابون بحمة الإيدز، المرأة الحامل المصابة بالإيدز تنقل الحمة إلى وليدها عبر المشيمة بنسبة 50%.
<u>تطور الإصابة ومظاهرها</u>: إنّ معظم عناصر الجهاز المناعي في البدن تتأثر بشدة بعد دخول حمة الإيدز، فهذه الحمة ترتبط بالمفاوية التائية فتقتلها أو تشلها. أمّا الخلايا البائية فلا ترتبط باللمفاويات التائية فتقتلها أو تشلها. أما الخلايا البائية فلا ترتبط بها الحمة مباشرة، ولكن نظرا لارتباطها الوثيق بالخلايا البائية فإنّ وظائفها تضطرب وتصبح مع الزمن غير قادرة على انتاج الأضاض التي يكافح بها البدن العضويات الدخيلة، كما أنّ الخلايا القاتلة (NK) ينقص عددها وتتأثر وظيفتها في مكافحة الأورام، أمّا البلعات فتضعف لتصبح غير قادرة على القيام بوظيفتها في البلعمة. ويستطيع البدن بعد دخول الحمة ب 3،4 أسابيع تكوين أضداد، لا تفيده في إكسابه أيّة مناعة، لكنها تفيد في الكشف عن الإصابة حيث تصبح التفاعلات ضد الإيدز إيجابية ويرافق هذا الانقلاب المصلي بعض الأعراض العامة من ترفع حراري، التهاب بلعوم وصداع وآلام مفصلية لا يأبه لها المريض عادة. بعد زوال هذه الأعراض يدخل المريض في دور من الكمون قد تمتد طويلا حيث يكون البدن في صراع مع المرض دون أنْ يبدي أيّة أعراض لكن النقص المتدرج في الخلايا التائية المؤازرة نتيجة التأثير المباشر للفيروس عليها يؤدي ببعض الانتانات التنفسية أو العصبية أو الهضمية لتكتسب فرصتها محدثة أخماجا انتهازية أو تضخم شامل في العقد اللمفاوية يسمى الاعتلال اللمفي المستمر المنتشر.

وهؤلاء إمّا أنْ يتوقف المرض عندهم إلى الحد أو أنْ يتقهقر مرة أخرى إلى اللاعرضية أو يتطور عندهم إمّا إلى ما يسمى المركب المرتبط بالإيدز أو إلى الإيدز الصحيح.

أهم مظاهره:

1ـ الاعتلال العقدي اللمفي المستمر المنتشر: تنبه حمة الإيدز الخلايا البائية الموجودة في العقد اللمفية إلى ضخامة معتدلة فيها وخاصة عقد الإبط والعنق حيث تصبح متحركة وغير مؤلمة بعد تناول الخمور وقد تترافق مع أعراض عامة كنقص الوزن والترفع الحراري والاندفاعات الجلدية حيث تصبح الحالة العامة للمريض سيئة.

2ـ المركب المرتبط بالإيدز ويتظاهر بنقص كبير في وزن المريض مع فمه وانحطاط في البدن وإسهال حاد متقطع يدوم أشهرا، وتعرق ليلي غزير، وترفع حراري معتدل، كما تبدو لويحات بيضاء في باطن الفم أو على اللسان توحي بظهور السلاق وتدل على انهيار المناعة عند المصاب.

3ـ الأعراض الفموية والجلدية: وأهمها ما يسمى الطلوان الشعري أو الوبري وهي لطخات على جانبي اللسان لا يمكن قلعها وهي العرض الوحيد الذي لا نجده إلا في الإيدز، ومنها داء المبيضات والخراجات السنية المعندة والتقرحات الفموية المختلفة المنشأ. كما يسيطر على الجلد عدد من الآفات بالحمات الراشحة كالحلا البسيط وداء المنطقة والمليساء المعدية والتآليل لكنها هنا تبدو أكبر حجما وأكثر انتشارا وعندا.

4ـ مظاهر الإيدز الصريح: وهو شكاية المريض من الأخماج والأورام الانتهازية.

أـ الأخماج الانتهازية: أمّا أخماج الجهاز التنفسي يحدث أغلبها بالتكيسات الرئوية الكارينية، ثم بالمتفطرات الطبرية أو الحمات المضخمة للخلايا أو بالمتفطرات السلبية. أمّا أخماج الجهازالهضمي فتتظاهر بنقص الوزن والإعياء وضخامة العقد، وعرضها الوصفي هنا عسر البلع مع ألم أو حرقة خلف المقص تنجم عن استيلاء المبيضات على الجهاز الهضمي وخاصة المريء. ويرافقه إسهال مائي أو مخاطي وقد يكون مدمى سببه طفيليات متنوعة من العصيبان الجرثومية الانتهازية. وحمات الحلأ البسيطة قد تسيطر على المستقيم ومنطقة ما حول الشرج مؤدية إلى تقرحات فيها، قد تنزف أثناء التغوط . أمّا أخماج الجهاز العصبي فأهمها التهاب الدماغ (فقدان الذاكرة للحوادث القريبة، الوسن والعنانة، الإبالة في السرير ونوبات من الاختلاج).

والتهاب السحايا ينجم عن المكورات المستكفية (صداع، نوبة صرعية، حرارة، وتخليط) والاعتلال النخاعي، والتهاب في الشبكية(عمى ليلي، تقلص ساحة الرؤية واضطرابها).

الأورام الانتهازية: يخفق الجهاز المناعي المنهار عند المصاب بالإيدز في التعرض إلى الخلايا السرطانية وقتلها مِمّا يؤدي إلى انتشار واسع للأورام الخبيثة عند مرضى الإيدز والتي تؤدي بهم وبسرعة إلى نهايتهم المحتومة. وأهم هذه الأورام:

الورم العفلي الكابوزي: ويتخذ في الإيدز ما يسمى بالشكل الوبائي ويكثر عند اللوطيين ويتظاهر ببقع وردية بنفسجية، ويزداد لونها شدة مع الزمن وقد تسود وتبرز وتتصلب ويزداد حجمها ثم تتقرح.

ب ـ اللمفاويات: أورام خبيثة تصيب النسج اللمفاوية ويمكن أن تتوضع في الدماغ أو في العظام أو في الأمعاء.

ج ـ سرطان اللسان الوسفي: حيث يؤدي إلى تقرح في جانبي اللسان تنبعث منه رائحة كريهة، ويتضخم ليعيق حركة اللسان والكلام ولا علاج له سوى استئصال اللسان بكامله. وقد عرضنا أهم الأمراض الزهرية وأكثرها انتشارا.

****

تحريم الوطء في المحيض

قال تعالى: (يسألونكَ عن المَحيضِ قل هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المَحيض ولا تقربوهنّ حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) [سورة البقرة] وأخرج الإمام مسلم قوله ﷺ: { إنّ اليهود كانت إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يجامعوها} فسأل أصحابه رسول الله ﷺ{ ما يصنعون} فقال: { اصنعوا كل شيء إلا النكاح} .

<u>أذى المحيض</u>: يقذف الغشاء المبطن للرحم أثناء الحيض وبفحص دم الحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعا من الغشاء المبطن للرحم.. ويكون الرحم متقرحا نتيجة لذلك.فهو معرض للعدوى البكتيرية. ومن المعلوم طبيا أنّ الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها... وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب يشكل خطراً داهماً على الرحم.. ومِمّا يزيد الطين بَلّة أنّ مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون فى أدنى مستواها أثناء الحيض.. إذ يقل إفراز المهبل الحامض الذي يقتل الميكروبات و يصبح الإفراز أقل حموضة إنْ لم يكن قلوي التفاعل ... . كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها... ليس ذلك فحسب ولكن جدار المهبل الذي يتألف من عدة طبقات يقل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها.

ـ يمتد الالتهاب إلى قناة الحيض إلى أدنى مستوى لها.

ـ يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول فالكلي.

ـ يصاحب الحيض آلام شديدة.وتصاب كثير من النساء أثناء الحيض بحالة كآبة وضيق كما أنّ حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى درجاتها أثناء الحيض لذلك نهى رسول الله ﷺعن تطليق النساء أثناء الحيض.

ـ تصاب بعض النساء بصداع نصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض وآلام مبرحة.

ـ تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة أثناء الحيض.

ـ يسبب الحيض فقر دم للمرأة و تنخفض درجة حرارتها درجة مئوية واحدة.
ـ تزيد شراسة الميكروبات أثناء الحيض في دم الحيض وخاصة ميكروبات السيلان.
ـ تصاب الغدد بالتغير فتقل إفرازاتها.
ـ يبطيء النبض وينخفض ضغط الدم فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل.
ـ لا يتم الحمل أثناء الحيض.
ـ لا يقتصر الأذى على الحائض بل ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطنها أيضا. ظهر بحث حديث قدَّمه البرفسور ـ عبدالله باسلامة ـ إلى المؤتمر الطبي السعودي جاء فيه أنّ الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة. تنتقل الميكروبات من قناة الرحم إلى مجرى البول البروستات والمثانة والتهاب البروستات سرعان ما يزمن لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة والتي نادرا ما يتمكن الدواء بكمية كافية من قتل الميكروبات المختفية في تلافيفها... فإذا ما أزمن التهاب البروستاتا فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولى التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ثم إلى الكلى... وهو العذاب المستمر... حتى نهاية الأجل وقد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين... وقد يسبب ذلك عقما بسبب انسداد قناة المني.

****

تحريم زواج الإخوة من الرضاع

قال رسول الله ﷺ: { يُحرَم من الرِّضاع ما يحرم من النَّسب} متفق عليه. أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت حديثا وجود أجسام في لبن الأم المرضعة الذي يترتب على تعاطيها تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات ... وهذه هي الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثا والتي لم يكتمل نمو الجهاز المناعي عندها... فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي ترضعه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو أختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية، ولقد وجد أنّ تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أنْ يؤدي إلى أعراض غير مرضية عند الإخوة في حالة الزواج فالتشابه في الجهاز المناعي يؤدي إلى شيء من عدم الانسجام ولا ينتج نسلاً صحيحاً. ومن هنا نجد الحكمة في هذا الحديث الشريف الذي نحن بصدده في تحريمه زواج الإخوة من الرضاع والذي حدد الرضعات بخمس رضعات مشبعات . وإنّ القرابة من الرضاعة تثبت وتنتقل في النسل. والسبب الوراثة ونقل الجينات، أي أنّ قرابة الرضاعة سببها انتقال جينات(عوامل وراثية) من حليب الأم واختراقها لخلايا الرضيع واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع يساعد على هذه النظرية أنّ حليب الأم يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا ومعلوم أنّ المصدر الطبيعي للجينات البشرية هو نواة الخلايا(DNA)كما يحتمل أنّ الجهاز الوراثي عند الرضيع يتقبل الجينات الغريبة لأنّه غير ناضج، حاله حال عدة أجهزة في الجسم، لا يتم نضجها إلا بعد أشهر وسنوات من الولادة وإذا صح تفسير قرابة الرضاعة بهذه النظرية فإنَّ لها تطبيقات في غاية الأهمية والخطورة.

****

عدم إكراه المرضى على الطعام

قال رسول اللهﷺ : { لا تكرهوا مَرضاكم على الطعام والشراب، فإنّ الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم} قوله ﷺ{ لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب} ليس معناه ألا نطعم المرضى، وإنّما ألا نجبرهم على تناول الطعام، بل يترك لهم تناول ما يرغبون من الطعام، وهذا القول النبوي نهي عن أمر محتمل في الحقيقة، وهو أنّ من حول المريض، والقائمون على خدمته يحاولون إجبار المريض على تناول الطعام ظنا منهم: أنّ ذلك يقوي الصحة ويساهم في الشفاء. وحقيقة الأمر ليست كذلك،إذ ثبت في الطب الحديث: أنّ معظم الأمراض ترافق بنقص الشهية إلى الطعام والرغبة فيه متعلقة بعلم الجهاز الهضمي مرافقا لمعظم الأمراض فإنَّ إجبار المريض على الطعام يعنى: عدم استفادة المريض من الطعام، ومن جهة ثانية فذلك يسبب عسرة هضم لدى المريض، وهذه تزيد الحالة سوءا، وتزيد المريض أضرارا بالجسم. ولابد من الإشارة هنا إلى أنّه إذا كان فقدان الرغبة في الطعام أو نقصانها من دلائل المرض، فإنّ عودة الرغبة إلى الطعام إلى سابق ما كانت عليه قبل المرض هو من دلائل الشفاء. والتعامل السديد مع المريض في مسائل الطعام والشراب هو: أنْ ندخل على أنبوب الهضم من الطعام والشراب القدر الذي يستطيع التعامل معه، فمقدار الطعام هنا مرتبط بمقدار فعالية الجهاز الهضمي وقدراته على العمل ومن هنا يستحب أنْ يكون مقدار الطعام قليلا، ويحدد هذا المقدار رغبة المريض وشهيته، وأنْ يكون نوع الطعام سهل الهضم ، وسهل الامتصاص أي: يستفاد منه بأقل عمل ممكن من جهاز الهضم، وينطبق ذلك أيضا على الشراب . أمّا قوله صلى الله عليه وسلم{ فإنَّ الله يطعمهم ويسقيهم} ليس معناه: أنَّ الله ينزل على المرضى العطام والشراب كي يتناولونه، وإنّما هي إشارة إلى سرٍ طبي ظل مجهولا قرونا كثيرة، وتكشف للعلم الحديث.الذي يقول: إنَّ المريض يكتسب الطاقة من مصادر داخلية، وهذه المصادر هي: 1- استقلاب الغليكوجين المدخر في الكبد والعضلات، وهذا المصدر سريع النفاذ، فإذا استمر المريض تحول الجسم إلى المصدر الثاني.
2- استحداث السكر، أي : توليد الغلوكوز من مصادر شحمية وبروتينة حيث تتحلل البروتينات إلى حموض أمينية، و تتحلل الشحوم إلى حموض شحمية ، ومن هنا تنقص الشحوم وتضمر العضلات عند المريض، وهذا ما يتظاهر خارجيا بالهزال.على أنّه متى عاد المريض إلى رغبته في الطعام قبل المرض يعود الجسم فيدخر الغذاء على شكل شحوم وبروتينات، فيكتنز ما تحت الجلد بالشحوم، وتنمو العضلات .

******

مرض يصيب المرأة المتبرجة

قال ﷺ:{ نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلنَ الجنة ولا يجدنَ ريحها} رواه أبو داود. وقال أيضا ـ { لا تقبل صلاة حائض إلا بخمار} رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ،لقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أنَّ تبرج المرأة وعريها يُعد وَبالا عليها حيث أشارت الإحصائيات الحالية إلى انتشار مرض السرطان الخبيث في الأجزاء العارية من أجساد النساء ولا سيما الفتيات اللاتى يلبسن الملابس القصيرة فلقد نشر في المجلة الطبية البريطانية: أنّ السرطان الخبيث (الميلانوما الخبيثة) والذي كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن في تزايد وأنّ عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعف حالياً حيث يصبن به في أرجلهن وأنّ السبب الرئيسى لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التي تعرض جسد النساء لأشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة ولا تفيد الجوراب الشفافة أو النايلون في الوقاية منه .. وقد ناشدت المجلة أطباء الأوبئة أنْ يشاركوا في جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنّه يقترب من كونه وباء. إنّ ذلك يذكرنا بقوله تعالى: " وإذ قالوا اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ مِن عندك فأمطِرْ علينا حجارةً مِن السماءِ أو ائتنا بعذاب أليم" [سورة الأنفال] ولقد حل العذاب الأليم أو جزء منه في صورة السرطان الخبيث الذي هو أخبث أنواع السرطان وهذا المرض ينتج عن تعرض الجسم لأشعة الشمس والأشعة فوق البنفسجية فترات طويلة وهو ما توفره الملابس القصيرة أو ملابس البحر على الشواطئ ويلاحظ أنه يصيب كافة الأجساد وبنسب متفاوتة ويظهر أولا كبقعة صغيرة سوداء وقد تكون متناهية الصغر وغالبا في القدم أو الساق وأحيانا بالعين ثم يبدأ بالانتشار في كل مكان واتجاه مع أنّه يزيد وينمو في مكان ظهوره الأول فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخد ويغزو الدم ويستقر في الكبد ويدمرها.. وقد يستقر في كافة الأعضاء ومنها العظام والأحشاء بما فيها الكليتان ولربما يعقب غزو الكليتين البول الأسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازي.. وقد ينتقل للجنين في بطن أمه ولا يمهل هذا المرض صاحبته طويلا كما لا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقي أنواع السرطان حيث لا يستجيب هذا النوع من السرطان للعلاج بجلسات الأشعة من هنا تظهر حكمة التشريع الإسلامي في ارتداء المرأة للزي المحتشم الذي يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة مع السماح لها بكشف الوجه واليدين فلقد صار واضحا أنّ ثياب العفة والاحتشام هي خير وقاية من عذاب الدنيا المتمثل في هذا المرض فضلا عن عذاب الآخر ثم هل بعد تأييد نظريات العلم الحديث لما سبق أنْ قرره الشرع الحكيم من حجج يحتج بها لسفور المرأة وتبرجها؟؟ .

****

النهي عن إطالة الأظافر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: {مِن الفطرة حلق العانة وتقليم الأظافر وقص الشارب} رواه البخاري. والتقليم لغة هو القطع، وهو تفعيل من القَلْم، وكلما قطعت منه شيئاً فقد قلمته، وشرعاً هو إزالة ما يزيد على ما يلامس رأس الإصبع من الظفر وهو سنة مؤكدة. وورد في الحديث قوله ﷺ:{ قلّم أظافرك فإنّ الشيطان يقعد على ما طال منها}.أما توقيت قصّ الأظافر فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: {وقَّتَ لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب و تقليم الأظافر ألا نترك أكثر من أربعين ليلة } رواه مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: {مَن قلّم أظافره يوم الجمعة وقي من السوء إلى مثلها}راوه الطبراني في الأوسط. فالسنة النبوية تضع حدين لتوقيت قص الأظافر، حداً أعلى لا يزيد عنه المسلم في ترك أظافره و هو أربعون يوماً حيث نهى أنْ تطوّل أكثر، و حداً أدنى أسبوع رغب فيه المسلمين بقص أظافرهم لتكون زينة يوم الجمعة و نظافته. و المعتمد عند الإمام ابن حنبل استحبابه كيفما احتاج إليه.

و قال النووي: يختلف ذلك باختلاف الأحوال و الأشخاص والضابط، الحاجة إليها، كما في جميع خصال الفطرة .

<u>الموانع الشرعية لإطالة الأظافر</u>: إنّ عدم قص الأظافر وتركها تطول لتصبح (مخالب) بشرية، سواءً كان ذلك إهمالاً، أو جهلاً، أو كان متعمداً على أنه تقليد (أو موضة) هو خصلة ذميمة مخالفة لسنن الفطرة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية. فالأظافر الطويلة قد تكون سبباً في منع وصول ماء الوضوء إلى مقدم الأصابع، و فيها تشبه و تقليد لأهل الكفر و الضلال، و تطبيع للمسلمين بطابع الحضارة الغربية، و فيها أيضاً نزوع إلى الطبيعة الحيوانية و تشبه بالوحوش ذوات المخالب، كما أنه عمل لا يقبله الذوق الإسلامي الذي تحكمه شريعة الله و نظرتها التكريمية للإنسان ـ الذي هو خليفة الله في الأرض هذا علاوة على أنّ ما ينجم من أضرار صحية جرّاء إطالة الأظافر، يجعلها تتعارض مع القاعدة الشرعية [لا ضرر ولا ضِرار] والتي جاءت لتحافظ على سلامة البشر.وعن قيس بن أبي حازم قال: صلى رسول اللهﷺ صلاة فأوهم فيها، فسئل فقال: ما لي لا أوهم و رفغ أحدكم بين ظفره و أنملته».ومعناه أنكم لا تقصون أظافركم ثم تحكون بها أرفاغكم فيتعلق بها ما في الأرفاغ من الأوساخ، و قال أبو عبيد: أنكر عليهم طول الأظافر و ترك قصها. والرفغ مفرد (أرفاغ) وهي مغابن الجسد كالإبط وما بين الفخذين وكل موضع يجتمع فيه الوسخ. و في بحث طريف قدمه د. يحي الخواجي و د. أحمد عبد الآخر في المؤتمر العالمي للطب الإسلامي أكّدا فيه أنّ تقليم الأظافر يتماشى مع نظرة الإسلام الشمولية للزينة و الجمال. فالله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، و جعل له في شكل جمالي أصابع يستعملها في أغراض شتى، و جعل لها غلافاً قرنياً هو الظفر يحافظ على نهايتها. وبهذا التكوين الخلقي يتحدد الغرض من الظفر ويتحدد حجمه بألا يزيد على رأس الإصبع ليكون على قدر الغرض الذي وجد من أجله. ومن جهة أخرى فإنّ التخلص من الأوساخ وعوامل تجمعها يعتبران من أهم أركان الزينة والجمال، وإنّ كل فعل جمالي لا يحقق

ذلك فهو مردود على فاعله. وإنّ تقليم الأظافر بإزالة الأجزاء الزائدة منها يمنع تشكل الجيوب بين الأنامل والأظافر و التي تتجمع فيها الأوساخ، و يحقق بذلك نظرة الإسلام الرائعة للجمال والزينة.

الأضرار الصحية الناجمة عن إطالة الأظافر : ***تحمي الأظافر نهايات الأصابع و تزيد صلابتها و كفاءتها وحسن أدائها عند الاحتكاك أو الملامسة، و إنّ الجزء الزائد من الظفر و الخارج عن طرف الأنملة لا قيمة له ووجوده ضار من نواح عدة لخّصها الزميلان خواجي وعبد الآخر في عاملين أساسيين :***

الأول: تتكون الجيوب الظفرية بين تلك الزوائد و نهاية الأنامل و التي تتجمع فيها الأوساخ و الجراثيم و غيرها من مسببات العدوى كبيوض الطفيليات، و خاصة من فضلات البراز التي يصعب تنظيفها، فتتعفن و تصدر روائح كريهة و يمكن أنْ تكون مصدراً للعدوى في الأمراض التي تنتقل عن طريق الفم كالديدان المعدية والزحار و التهاب الأمعاء، خاصة و أنّ النساء هن اللواتي يحضرن الطعام و يمكن أنْ يلوثنه بما يحملن من عوامل ممرضة تحت مخالبهن الظفرية.

الثاني: إنّ الزوائد (المخالب) الظفرية نفسها كثيراً ما تحدث أذيات Injuries بسبب أطرافها الحادة قد تلحق الشخص نفسه أو الآخرين و أهمها إحداث قرحات في العين و الجروح في الجلد أثناء الحركة العنيفة للأطراف خاصة أثناء الشجار و غيره. كما أنّ هذه الزوائد قد تكون سبباً في إعاقة الحركة الطبيعية الحرة للأصابع، و كلما زاد طولها كان تأثيرها على كفاءة عمل أصابع اليد أشد، حيث نلاحظ إعاقة الملامسة بأطراف الأنامل و إعاقة حركة انقباض الأصابع بسبب الأظافر الطويلة جداً و التي تلامس الكف قبل انتهاء عملية الانقباض، و كذا تقييد الحركات الطبيعية للإمساك و القبض و سواها.

وهناك آفات تلحق الأظافر نفسها بسبب كثرة اصطدامها بالأجسام الصلبة أو احتراقها، ذلك أنّ طولها الزائد يصعب معه التقدير و التحكم في البعد بينها و بين مصادر النار، كما أنّ تواتر الصدمات التي تتعرض لها الأظافر الطويلة تنجم عنها إصابات ظفرية غير مباشرة كخلخلة الأظافر أو تضخمها لتصبح مشابهة للمخالب Onchogrophosis أو زيادة تسمكها Onychausis. أو حدوث أخاديد مستعرضة فيها أو ما يسمى بداء الأظافر البيضاء. وتؤكد الأبحاث الطبية أنّ الأظافر الطويلة لا يمكن أنْ نعقم ما تحتها ولا بد أنْ تعلق بها الجراثيم مهما تكرر غسلها لذا توصي كتب الجراحة أنْ يعتني الجراحون و الممرضات بقص أظافرهم دوماً لكي لا تنتقل الجراثيم إلى جروح العمليات التي يجرونها و تلوثها. وهكذا تتضح لنا روعة التعاليم النبوية في الدعوة إلى قص الأظافر كلما طالت، واتفاق هذه التعاليم مع مقررات الطب الوقائي و قواعد الصحة العامة و التي تؤكد أنّ إطالة الأظافر تضر بصحة البدن.

****

تحريم الإسلام للوسم والوشم

الوسم: هو أثر الكية، وقد أجاز الإسلام وسم الحيوان في غير الوجه لما رواه جابر قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسم في الوجه». رواه مسلم. أما وسم الآدمي فقد اتفق فقهاء الأمة على تحريمه لكرامة الإنسان ولعدم جواز تعذيبه لغير ضرورة ولا حاجة. أما الوسم الناجم عن الكي لحاجة علاجية فهو جائز إذا لم يتوفر لدائه غيره من العلاجات لقول النبي ﷺ« وأنهى أمتي عن الكي». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أُتَيَ عمر بامرأة تشِم، فقام عمر في الناس فقال: «أنشدكم الله من سمع من النبي ﷺفي الوشم؟ قال أبو هريرة : فقلت: أنا سمعت، قال ما سمعت؟ قال : سمعت رسول الله ﷺيقول: «لا تشمن ولا تستوشمن» وفي رواية أن النبيﷺ قال: «العين حق ونهى عن الوشم» أخرجه البخاري ومسلم وأخرج الأولى النسائي.



<u>الوشم:</u> هو رسم ثابت ينفذ على جلد الإنسان، وغالبا ما يكون على المناطق المكشوفة من أنحاء الجسم، خاصة الوجه ويستعمل لذلك المواد الملونة والأدوات الثاقبة للجلد، ويكون الهدف الأولي لاستعمال الوشم هو شد انتباه الآخرين وتقليص الفوراق بين الناس ويستعمل لنواحي جمالية وقد يكون مرتبطا بالخرافات والتعاويذ الباطلة حيث أنّ قدماء المصريين كانوا يعتقدون أنّه يشفي من الأمراض وأنّه يدفع العين والحسد ويعتبر الوشم أيضا نوعا من افتداء النفس، فلقد كان من تقاليد فداء النفس للآلهة أو الكهنة أو السحرة الذين ينوبون عنها قديما ـ أنّ الشاب أو الرجل تتطلب منه الظروف في مناسبات خاصة أنْ يعرض جسمه لأنواع من التشريط والكي على سبيل الفداء، ولتكسبه آثار الجروح مناعة، وتجلب له الخير !! والملاحظ أنه من 5 -9 % من النصارى و المسلمين يستوشمون، رغم تحريم الديانتين للوشم.. فإذا كان الإسلام لعن فاعليه، فإنّ النصرانية حرمته أيضا منذ (مجمع نيقية)، ثم حرمه المجمع الديني السابع تحريما مطلقا باعتباره من العادات الوثنية وقد اهتمت المرأة خاصة بهذة التقنية حتى صارت لصيقة بها، وقد اعتمدتها لأغراض تجميلية، لكن الرجل بدوره لم يقف متفرجا على زينة المرأة فقط. لكنه بدوره جرب استعماله، ومن بين الفئات الذكورية التي عرفت بذلك. الجنود، السجناء، البحارة.

ينفذ الوشم من خلال تقنيتين، الأولى بأدوات ثاقبة للجلد مثل الإبر والسكاكين الدقيقة التي تمكن من إحداث جروح جلدية. أمّا التقنية الثانية فتعتمد على ملونات حيوانية ومساحيق مختلفة من الكحل والفحم وعصارة النباتات. وقد تنبهت كثير من الدول إلى ضرره فتم

تحريمة فقد تقدم ـ مارتن مادون ـ عام 1969 بمشروع قانون بتحريم الوشم رسميا في انجلترا، وأصدرت الحكومة اليابانية عام 1870 مرسوما يحرم الوشم. وفي تقرير نشره موقع قناة الجزيرة نقلا عن شبكة (رويتز) الإخبارية ليوم الخميس 17 /7 /2003 م حذرت اللجنة الأوروبية من أنّ هواة رسم الوشم على أجسامهم يحقنون جلودهم بمواد كيمياوية سامة بسبب الجهل السائد بالمواد المستخدمة في صبغات الوشم. وقالت إنّ غالبية الكيماويات المستخدمة في الوشم هي صبغات صنعت في الأصل لأغراض أخرى مثل طلاء السيارات أو أحبار الكتابة وليس هناك على الإطلاق بيانات تدعم استخدامها بأمان في الوشم أو أنَّ مثل هذه البيانات تكون شحيحة. وسألت اللجنة في بيان مصاحب لتقريرٍ عن المخاطر الصحية للوشم وثقب الجسم هل ترضى بحقن جلدك بطلاء السيارات؟.وقال التقرير إنّه إضافة إلى مخاطر العدوى بأمراضٍ مثل فيروس [إتش.آي.في] المسبب للإيدز والتهاب الكبد أو الإصابات البكتيرية الناجمة عن تلوث الإبر فإنّ الوشم يمكن أنْ يتسبب في الإصابة بسرطان الجلد والصدفية وعرض الصدمة الناتج عن الالتهاب الحاد بسبب التسمم أو حتى تغيرات سلوكية. وقال أنّه جرى الإبلاغ عن حالتي وفاة بسبب الوشم أو تخريم الجسم في أوروبا منذ نهاية عام 2002. ولقد حرم النبيﷺ قبل أكثر من 1400 سنة الوشم ولعن فاعله وفاعلته واللعن هو الإخراج من رحمة الله وذلك يدل على أنّ هذه الشريعة هي من صنع لطيف خبير.

****

الاختلاط

قال ﷺ: { لا يخلونَّ أحدُكم بامرأةً إلا مع ذى مَحرم} متفق عليه، وقال أيضا: { ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما}لقد أثبتت التجارب والمشاهدات الواقعية، أنّ اختلاط الرجال بالنساء يثير في النفس الغريزة الجنسية بصورة تهدد كيان المجتمع... كما ذكر أحد العلماء الأمريكيين ـ جورج بالوشي ـ في كتاب الثورة الجنسية.. وقال بأنّ الرئيس الأمريكي الراحل ـ كنيدى ـ قد صرّح عام 1962 بأنّ مستقبل أمريكا في خطر لأنّ شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه وأنّ من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين لأنّ الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية... ونتيجة للاختلاط الكائن بين الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات ذكرت جريدة لبنانية: أنّ الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة .. وأنّ أكثر من ستين في المائة من الطالبات سقطن في الامتحانات، تعود أسباب الفشل إلى أنّهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن..وهذا مصداق لمّا يذهب إليه الدكتور ـ ألكس كارليل ـ إذ يقول: عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعا من المادة التي تتسرب في الدم إلى دماغه وتخدره فلا يعود قادرا على التفكير الصافي .. ولذا فدعاة الاختلاط لا تسوقهم عقولهم وإنّما تسوقهم شهواتهم، وهم يبتعدون عن الاعتبار بما وصلت إليها الشعوب التي تبيح الاختلاط و التحرر في العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة.. من ذلك ما أورده تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية عن تحقيق جرائم الأحداث، من أنّ أهم أسبابها الاختلاط بين الشباب من الجنسين بصورة كبيرة.. وغير ذلك من شواهد يومية تقرر الحكمة العلمية والعملية للحديث الشريف، مما يعد إطارا منهجيافي تحديد مجالات العلاقات الاجتماعية بوجه عام ، وبين الرجل والمرأة بوجه خاص.. ثم إنّ الاختلاط من أعظم آثاره تلاشي الحياء الذي يعتبر سياجا لصيانة وعصمة المرأة بوجه خاص، ويؤدي إلى انحرافات سلوكية تبيح تقليد الغير تحت شعار الحضرية والتحرر، ولقد ثبت من خلال فحص كثير من الجرائم الخلقية أنّ الاختلاط المباح هو المسئول الأول عنها.. وماذا يقول أنصار الاختلاط عن فضيحة وزير الصناعة في انجلترا مع سكرتيرته التي أشارت إحدى الصحف إليها بأنّها تنتظر مولودا منه، الغريب أنّ صحيفة (التايمز) البريطانية قد أشارت إلى أن ماجريت تاتشر، قد لعبت دورا رئيسيا في إقناع وزير الصناعة ـ باركتسون ـ بعدم الزواج من سكرتيرته والاستمرار مع زوجته على أمل ألا يحط زواجه من السكرتيرة من قدره... وهذا الخبر يحمل في مضمونه أثر الاختلاط المحرم، فالاختلاط في عمومه يحمل من الآثار السيئة ما يجعل كثيرا من الدعاة المخلصين يدعون إلى تنظميه في إطار محدد يمنع شروره... مما يعد رجوعا إلى الهدى النبوي الشريف منذ أربعة عشر قرنا.."

****

مصافحة المرأة الرجل

قالوا: ماذا لو صافحت المرأة الرجل؟ قال علم التشريح: هناك خمسة ملايين خلية في الجسم تغطى السطح.. كل خلية من هذه الخلايا تنقل الأحاسيس فإذا لامس جسم الرجل جسم المرأة سرى بينهما اتصال يثير الشهوة، يقول ﷺ{ لئِنْ يُطعَن في رأس رجل بمِخْيَط مِن حديد خيرٌ مِن أنْ يمس امرأة لا تحل له}، { إنّي لا أصافح النساء] و{ ما مَسَّتْ يدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَ امرأة إلا امرأةً يملكها} ، { أي :يملك نكاحها }.

****

استعمال العطور

نهى الرسول ﷺالمرأة عن استعمال العطر عند السير في الطرقات ولو قصدت المسجد:{ المرأة إذا استعطرت فمرّت بالمجلس فهي زانية }، { لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرُجْنَ تَفِلاتٍ} ،{أي: بِلا طِيبٍ}، بل لقد بينﷺ بأنّ صلاة المرأة في المسجد وهي متعطرة لا تقبل منها فقال: { لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل } .أثبت علم التشريح أنّ أحاسيس الشم قد ركبت تركيباً يرتبط بأجهزة الشهوة فإذا أدرك الرجل أو المرأة شيئا من الرائحة سرى ذلك في أعصاب الشهوة و يذكر الدكتور ـ أحمد حجازي ـ في كتابه (أثر أريج الأزهار والعطور على الإنسان):أنه قد أجريت دراسة من قِبَل مؤسسة بحوث المعالجة بالذوق والشم بمدينة (شيكاغو) دلَّت على وجود تأثير قوي للروائح على التجاوب الجنسي عند الرجل والمرأة ، وأشارت إلى وجود روائح معينة إذا شمها الرجل اشتدت فيه الرغبة للمرأة.

****

القول المعروف

قال تعالى(.. فلا تخضعنَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبهِ مرضٌ وقُلْنَ قولا معروفاً).معنى قوله تعالى (لا تخضعن بالقول) أي لا تُلِنَ القول، أمرهن الله أنْ يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا وواضحا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المومسات والحكمة من ذلك كي لا يطمع الذي في قلبه تشوف للفجور والفسق والغزل فالمرأة عند مخاطبتها الأجانب عليها أنْ يكون في قولها غلظة من غير رفع صوت. ولقد أثبت العلم الحديث أنّ السماع وأجهزة السمع مرتبطة بأجهزة الشهوة فإذا سمع الرجل أو سمعت المرأة مناغمات من نوع معين كأنْ يحدث نوع من الكلام المتصل بهذه الأمور كما في سماع الموسيقى والأغاني التي تثير الشهوة بين الجنسين أو يكون لين في الكلام من المرأة أو الرجل فإنّ كله يترجم ويتحرك إلى أجهزة الشهوة وهذا كلام رجال التشريح المادى من الطب يبينونه ويدرسونه تحت أجهزتهم وآلاتهم وهذا كذلك ما أكده الشعراء في أشعارهم بقولهم: الأذن تعشق قبل العين أحيانا ونحن نقول سبحان الله الحكيم الذي صان المؤمنين و المؤمنات فأغلق عليهم منافذ الشيطان وطرق فساده بتحرميه للخلوة والاختلاط المحرم وتبرج المرأة وسفورها وكل ما من شأنه إثارة الغرائز بين الجنسين بل قد تهدد ـ الذين يعينون على ذلك ويعملون على وجودها بين المسلمين ويمكرون الليل والنهار بالمسلمين والمسلمات (والله خير الماكرين) ـ لقد توعدهم الله بالعذاب الأليم، قال تعالى(إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [النور]

****

هل التدخين من الخبائث

نبات التبغ: التبغ من الفصيلة الباذنجانية وسمي بهذا الاسم نسبة إلى منشئه في جزيرة Tabago الأمريكية حيث دلت بعض الحفريات عثر عليها هناك يعود تاريخها إلى عام 600 ق.م منها غليون من الفخار لتدخين التبغ. وفي عام 1915 جاء الرحالة أفيدوا بأوراقه إلى أوروبا. وقيل أنّ كرستوفر كولومبس هو أول مَن جاء بأوراقه لتدخينها في أوروبا، إلا أنّ السفير الفرنسي في البرتغال جان نيكوت هو الذي استقدم بذوره وزرعها في حديقة منزله بقصد الزينة، فأوراقه بيضاوية لزجة كبيرة الحجم وأزهاره جميلة حمراء.. وبعد ذلك شاع استعماله في أرجاء العالم ودخل البلاد الإسلامية حوالي سنة ألف هجرية وعرف في بلاد الشام باسم التتن(الدخان).

مكونات التبغ الضارة: يتكون التبغ من أكثر من 300 مادة تختلف حسب نوع التبغ وطريقة تدخينه. إذ تحوي أوراقه على عدد من أشباه قلويات سامة منها النيكوتين والبيروليدين وسموم أخرى غير معروفة تماماً.والنيكوتين مادة كيماوية تصنف من أشباه القلويات الطيارة الشديدة السمية. ويعتبرها الدوائيون من السموم العصبية المهلكة بحيث أنّ دخول قطرة واحدة منها إلى البدن الحي تؤدي إلى موته المباشر. ويشكل النيكوتين 2_4 ويشكل النيكوتين 2_8% من وزن أوراق التبغ الجافة. وأكد المؤتمر الدولي عن الصحة الذي أنعقد عام 1967 أنّ النيكوتين يمكن أنْ يؤدي إلى نوع من الاستعباد كالذي يلاحظ عند تعاطي الخمور أو الهيروئين. كما أنه يفتح الباب أمام سلسلة من العوامل المسرطنة والسامة، وتأثير مواد أخرى يحتويها دخان السجائر.لقد اكتشف النيكوتين العالمان الألمانيان ـ بوسان ورايمان ـ وأسمياها بهذا الاسم نسبة إلى ـ جان نيكوت. وهو ليس السم الوحيد الموجود في التبغ، فلا عبرة بقولهم عن سجائر بلا نيكوتين، فاحتراق السجائر ينجم عنها دخان يحتوي على 4/1 النيكوتين. وهو ليس السم الوحيد الموجود في التبغ، فلا عبرة بقولهم عن سجائر بلا نيكوتين، فاحتراق السجائر ينجم عنها دخان يحتوي عى 4/1 النيكوتين الموجود في التبغ علاوة على سموم أخرى من نواتج الاحتراق هي الأسس البريدية Bases Pyridic أهمها :

السيانيد:أو حمض سيانور الماء الذي يوجد في دخان التبغ بنسبة 1600 إلى المليون في حين لا تتسامح دور الصناعة بتجاوزه10 أجزاء من المليون من دخانها، وزيادته إلى أعلى من هذه النسبة تؤدي إلى انسمامات خطيرة.

أوكسيد الفحم co : وهو غاز سام جداً، وتركيزه في دخان التبغ يفوق 1000 مرة التركيز المسوح به في هواء الشهيق العادي، وهو يتحد مع هيمو غلوبين الدم مما يمنع وظيفة الدم في نقل الأوكسجين، وهذا سبب قصر النفس عند المدمنين على التدخين. ومنها الأمونياك الذي يؤدي إلى التهاب الغشاء المخاطي للأنف والعين والحنجرة ويثير البصاق والسعال عند المدخنين، ومنها غاز الإيتان والميتان والبروبان ومواد قطرانية مسرطنة لما تحتوي عليه من مادة البنزين.. كما يحتوي على مواد مسرطنة أخرى كالفينول والفورمالدهيد والأكرولئين ونتروسامين و 4_3 دوبانتربيرين وغيرها. وتحتوي خلاصات التبغ على كمية قليلة من الفحوم الهيدروجينية المتسلسلة المسرطنة والتي ترتفع نسبتها بعد الاحتراق.

الإنسمام الحاد بالتبغ : ينجم عن التعرض لكميات كبيرة دفعة واحدة كما يحصل أحياناً عند عمال التبغ والزراعة باستعمال مناقيع التبغ كقاتلة للحشرات. والمقدار السام هو 30 غ من هذا المنقوع أو 2غ إذا استنشقت عطوساً أو 30 غ سجائر عند غير المدمن. ويتجلى الانسمام الحاد بحس احتراق في البلعوم وألم في الشرسوف وأقياء وانتفاخ بطن مع إسهال وشحوب وأعراض عصبية من هياج ورجفان ودوار واختلاج ثم همود وسبات مع بطء في التنفس وضعف في القلب قد ينتهي بالموت خلال ربع ساعة إلى 24 ساعة.

مضار عادة التدخين: " الإنسمام المزمن بالتبغ " أكدت إحصاءات وزارة الصحة الأمريكية أنّ تعاطي التدخين يؤدي إلى وفيات تعادل 1000 وفاة يومياً في الولايات المتحدة وهو رقم يزيد 7 مرات عن الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق، وتنجم عن الإنسمام البطيء والتخزين المزمن لدخان التبغ بسبب ما يحتويه من سموم ومواد قطرانية وفحوم وطيلة فترة التدخين وعدد السجائر المدخنة يومياً، وحسب طريقة استعمالها فالغليوم الطويل والنرجيلة تخفف من مقادير السموم الممتصة وخاصة الأخيرة إذ يذوب قسم منها في ماء النرجيلة. وفي تقرير للجنة الطبية الأمريكية نشر في 1964/1/11 أكد أنّ التدخين ضار بالصحة حتماً وسبب رئيسي لعدد من الأمراض المميتة. ولا تختلف الآثار الضارة كثيراً بين تدخين السجائر ذات المصفات وغير المصفات ويموت المزيد من البشر بعد سنوات من الألم والزلة والعجز. وتؤكد الأبحاث أنّ ضرر التدخين لا ينحصر بالمدخن، فالجلوس في غرفة مغلقة فيها مدخنون ولمدة أربع ساعات فإنها تعادل تدخين 10 سجائر. وأنّ مضار التدخين لا تحدث جميعها عند كل المدخنين، لأنّ احتمال الأبدان يختلف حسب بنية الشخص وطبيعة حياته وطراز ونوع التدخين، إلا أنّ مضاره المشكل الحقيقي هو أنه لا يمكن المدخن ولا لطبيبه أنْ يعرف هل سينجو من مضاره الخطيرة أم لا، ولن يعرفا أيضا متى، ولا نوع المرض في لحظة حرجة لا ينفع بعدها الندم أما استنشاق مسحوق التبغ " سعوطاً" إلى داخل المنخر، فإنه عدا عن سُمِّيَّة النيكوتين، فمسحوق التبغ يخرش الغشاء المخاطي للأنف مؤدياً إلى التهابه الزمن، وإذ وصل التخريش إلى نفير أوستاش أدى إلى التهاب الأذن الوسطى واضطرب السمع، والتخريش المزمن يمكن أنْ يؤدي إلى سرطان موضع. وأما مضغ التبغ فهو أشد طرق تعاطي التبغ ضرراً، فعدا عن تأثيره السام فهو يخرش بطانة الفم والبلعوم والمرئ ويزيد إفراز اللعاب مما يضطر المدمن إلى عادة البصاق والتفل المستمر كما يؤدي إلى التهاب مزمن في الأغشية المخاطية مع التهاب اللثة واللسان، وإلى جفاف الفم الدائم وسرطان اللسان.

مخاطر التدخين على جهاز التنفس: 1. النيكوتين والقطران يخربان النسيج المبطن للأسناخ الرؤية مما يؤدي إلى نقص واضح في الوظائف التنفسية (من نقص السعة التنفسية، نقص حجم الهواء الزفيري ونقص نفوذ الأغشية الرئوية).

2. إنّ دخان التبغ يصيب بالشلل الأهداب المهتزة للقصبات، ويعطل بذلك أهم وسيلة من وسائل الدفاع الموجودة في الطرق التنفسية، ويزداد التأثير السمي على الأهداب كلما زادت كثافة التدخين وتقارب الفواصل بين سيجارة وأخرى. كما يزيد إفراز المخاط الذي يساعد بدوره على نهي النشاط الهدبي. وتضعف وظيفة البلعمة أيضاً مما يعطل الدفاع ضد العوامل المؤذية الداخلة مع هواء الزفير مما يجعل إصابة المدخنين المدمنين بذات القصبات والرئة تبلغ 50% . ويؤهب التدخين للإصابة بانتفاخ الرئة.

3. العلاقة السببية بين التدخين وسرطان الرئة أصبحت واضحة بما لا يقبل الشك(5و8) : هذا ما يؤكده تقرير اللجنة الاستشارية الأمريكية، ويضيف أنّ خطر نشوء السرطان يزداد مع طول فترة التدخين وعدد السجائر التي يدخنها ويقل بقطع التدخين، وأنّ خطر الإصابة عند المدخن المعتدل بسرطان الرئة يبلغ 9 أضعاف الخطر الذي يتعرض له غير المدخن. أما المدمن فإنّ خطر تعرضه للإصابة يعادل 20 ضعفاً. ففي إحدى الإحصاءات تبين ظهور 60 إصابة بسرطان الرئة بين 1000 مدخن مقابل إصابتين فقط بين 1000 شخص غير مدخن. كما أكدت الأبحاث أنّ التصفية المستعملة في السجائر لا تضبط شيئاً من الفورمالدهيد والأكرولئين والأملاح الأمونياكية الموجودة في دخان السجائر وهي كلها مركبات يمكن أنْ تسبب الطفرات في الخلايا المؤدية للسرطان. وعليه المصافي إذا كان توقف كمية من القطران، لكنها لا تلغي من أثر السجائر المسرطن الأكيد.

خطر التدخين على القلب والأوعية: أجريت تجارب في جامعة واشنطن سجلت فيها بدقة نسبة هرموني الأدرينالين والنور أدرينالين في دماء عشرة متطوعين قبل وأثناء وبعد التدخين وقد تبين بشكل لا يقبل الجدل أنّ التدخين يزيد بشكل حاد إنتاج هذه الهرمونات بعد 10 دقائق من بدنه يرتفع معها بنفس الوقت عدد النبض والضغط الدموي، مما يؤدي إلى إصابة القلب بالإرهاق ويجعله مستعداً للإصابة بالدم لأنّ سموم التدخين تؤدي إلى استحالة شحمية في جدران الشرايين الباطنة وتليف القميص المتوسط لها أي إلى إصابتها بـ " العصيدة الشريانية" . ويؤكد الدكتور - Alton Ochsen - أنّ الوفيات الناجمة عن الإصابات القلبية الوعائية معظمها يعود إلى الدخين. ويرجع سبب هذا إلى ثلاثة أمور أولاها نقص الأوكسجين عند المدمنين لتعطل قسم كبير من الخضاب باتحاده مع أول أكسيد الفحم وهذا يفرض جهداً إضافياً على قلب المدخن. ثانيهما زيادة القلبية والذي يسببها النيكوتين الذي يقود إلى زيادة الجهد المضني للعضلة للشرايين الناجم عن النيكوتين والذي يضيف عبئاً آخر على القلب. وللتدخين تأثير على الأوعية المحيطية، فالتهاب الأوعية الخثرية الساد (داء برجر) يندر حصوله عند غير المدخنين، إذ تصاب الأوعية الصغيرة السطحية وتنسد مؤدية إلى ظهور ألم يأتي على المشي" العرج المتقطع" ولا يتراجع المرض ما لم يقلع المصاب عن التدخين. كما يعد التدخين عاملاً رئيسياً في تفاقم داء (رينو) الذي يحدث غالباً عند النساء والمدخنات العصبيات. ويتصف بشحوب ثم زرقة ثم احمرار في اليدين وقد يؤدي إلى تقرح وموات في الأصابع. هذا وتشير تقاريرالمجمع الطبي الملكي البريطاني (1971) إلى أنّ تعاطي التدخين يؤدي اليوم إلى عدد من الوفيات لا تقل عن تلك التي كانت تسببها الجائحات كالكوليرا في الأجيال السابقة.

خطر التدخين على الحواس والجملة العصبية : يلتقط الدماغ النيكوتين المنحل في دم المدخن بسهولة فائقة، ويعمل بتأثيرات

معقدة، ومتعددة الاتجاهات، فهو منبه عصبي ومهدئ نفسي إلى جانب آثاره الضارة، فهو منبه في حالات الانحطاط الجسمي والفكري، ومهدئ في تأثير حسي يرتبط بمذاق الدخان ورائحته ورؤيته تصاعد الدخان. أما التنشيط المنسوب للتدخين، فما هو إلا تنبيه فيزيولوجي ضار تال لتأثير النيكوتين بسبب حضه على إفراز الأدرينالين وهذا الأخير يحرر الغليكوجين من الكبد والعضلات فيزداد سكر الدم ويشعر المدخن بنشاط، لكن الأدرينالين مقبض وعائي أيضاً، وإنّ الإسراف في التدخين يعرض صاحبه بفعل الأدرينالين المفرط إلى استنفاد مدخرات النشاط عندهم وإلى تعرضهم إلى نقص دائم في سكر الدم وإلى الشعور بالتعب المزمن . تلك التأثيرات من تنبيه وتهدئة تحدث لدى المعتاد. أما غير المعتاد فإنّ إسرافه في التدخين في وقت ما قد يعرضه للإنسمام الحاد بالتبغ بأعراضه التي سبق ذكرها. والمدخن عصبي المزاج يثور بسهولة وقليل القدرة على التركيز. ويحدث التدخين نقصاً في القدرة الكهربائية للدماغ وتصلبات عصيدية في شرايينه بفعل المركبات القطرانية الثقيلة، وقد يظهر نوباً صرعية كامنة. وللتدخين تأثير واضح على الأعصاب حيث تنقص ترويتها بما يحدثه من تقبض وعائي ولتأثيره السمي المباشر عليها، ويتجلى ذلك برجفان بالأطراف وفقدان حاسة الذوق وصداع وآلام عصبية في الأطراف. والتدخين يضعف الذاكرة لتأثيره المنبه على الدماغ ولأنّ الإفراط في استعمال المنبهات يورث الفتور. وفي دراسة شملت 6800 طالب تبين وجود علاقة واضحة بين حاصل الذكاء والتدخين وكانت نسبة الذكاء عند المدخنين أقل، ومتناسبة مع درجة الانسمام بالتبغ. وتصاب العين بالتهابات متكررة في الملتحمة وجفاف الأجفان، كما يلتهب العصب البصري لنقص الوارد من الفيتامين ب12 عند المدخن بسبب مادة السيانيد التي يحويها دخانه والتي تتلف هذا الفيتامين.

خطر التدخين على جهاز الهضم : الفم هو المستقبل الأول للسجائر والشفة بالرض وبحرارة الاحتراق ومع تماس التبغ لها يمكن إصابتها بالسرطان، فقد تأكد أنّ 90% من سرطانات الشفة تحدث عند المدخنين. وتضعف حاسة الذوق عند الإدمان ويتسخ الفم مما يؤهب كثيراً إلى التهاب البلعوم واللوزات المتكرر، كما تكثر تقرحات اللثة واللسان، وقد تظهر طلاوة بيضاء هي مقدمة لتطور سرطان اللسان. وقد تلتهب الغدد اللعابية في البداية وتضخم ثم يؤدي الأمر إلى تليفها وضمورها. أما المرئ فإنّ نسبة حدوث السرطان فيه عند المدخنين عالية وقد تحدث تشنجات في المرئ يرافقها عسرة بلع. وتضمر مخاطية المعدة والأمعاء مع الاستمرار في التدخين ويساعد ذلك على حدوث القرحة الهضمية، ويعتبر التدخين ضاراً جداً عند وجودها إذ يعاكس التئامها وقد يؤدي إلى نزفها الصاعق أو انثقابها، وكلاهما خطر على الحياة. وتنقص حركات الأمعاء الحوية مما يؤدي إلى إصابة المدخن بالإمساك وإلى نقص في الشهية وعسرات في الهضم. ونظراً لأنّ النيكوتين يستقلب في الكبد فإنّ تراكمه فيها يؤدي إلى تسمم الخلية الكبدية وحدوث القصور الكبدي وقد يؤدي إلى تشمع الكبد أو أنْ يتطور إلى الأسوأ وإلى الإصابة بسرطان الكبد، كما تكثر الإصابة بسرطان المعثكلة عند المدخنين.

خطر التدخين على الجهاز البولي والوظيفة الجنسية التناسلية : كتب البروفسور الروسي - إ.م بارودمنسكي - يقول : إنّ أكثر السريريين يعتبرون التدخين واحداً من الأسباب الهامة جداً لحدوث العنانة وخاصة عند مشاركته لعوامل أخرى مؤذية كالغول. وتشير التجارب أنّ النيكوتين يزيد في بادئ الأمر من قابلية الاستثارة في المراكز العصبية الجنسية. وعند الإدمان تتناقص قابلية الإستثارة في تلك المراكز حتى الانطفاء. كما أنّ للنيكوتين تأثيراً سمياً على مركزي النعوظ والدفق النخاميين. وتأثيره هذا يفضي إلى ضعف فاعلية النعوظ، لكن هذا قد تسبقه مرحلة تشتد فيها سرعة الاستثارة مع ما يرافقها من سرعة الدفق (الإنزال) .
ويؤكد - بارودمنسكي - أيضاً أنّ الإفراط في التدخين هو من أسباب اضطراب تشكل الحيوانات المنوية والذي يؤدي إلى العقم. فالتدخين بما فيه من حمض سيان الماء له تأثير سمي على الأنابيب المولدة للنطاف ضمن الخصية فيقل انتاجها من النطاف ويشوهها. والحقيقة فإنّ التدخين يؤثر على كامل الأفعال الانعكاسية المؤدية في النهاية للقيام بالعمل الجنسي، بدءاً من رائحة الكريهة التي تنفر المعافى من صاحبه وتخفف لديه الرغبة في اللقاء، علاوة على أنّ الاضطرابات الوعائية التي تنجم عن التدخين، وخاصة أثر النيكوتين الثابت في إحداث العصيدة الشريانية، والتي يمكن أنْ تحدث في الشرايين المغذية للقضيب، فتقل ترويته وقد يفقد القدرة على الانتصاب. فإذا أضفنا إلى ذلك كله ما ذكرناه من تأثيرات سمية للتدخين على الغدد الصماء المشرفة على عمل الخصيتين، وعلى المراكز الجنسية النخاعية، مما يقلل من الاستجابة العصبية للمثيرات الجنسية، ويؤدي بدوره إلى ضعف النعوظ وعدم قدرته على الاستمرار المدة الكافية لتأدية العمل الجنسي. أما عند المرأة، فإنّ تقرير الكلية الملكية الطبية البريطانية لعام 1992 والذي يبحث في تأثيرات التدخين على الأجنة فقد جاء فيه ما يلي: يؤدي التدخين عند الحوامل إلى كثرة الإجهاض والإملاص (ولادة أجنة ميتة) وإلى كثرة حدوث الخداج (الولادة قبل الأوان) وإلى نقص في وزن الوليد، وكثرة وفاة الرضع في الشهر الأول من ولادتهم ، مع كثرة حدوث العيوب الخلقية. ويؤكد التقرير أنّ الوفاة في المهد ترجع في كثير من الأجيال إلى تدخين الأبوين في المنزل، كما يكثر في تلك المنازل إصابة الأطفال بالربو والأمراض التنفسية وأنّ ثلث حالات الصمم عند الأطفال يعود إلى أنّ أحد الأبوين مدخن. وكان - سمبسون - أول من نشر عام 1957 بحثاً عن تأثير التدخين على المواليد لأمهات مدخنات. كما أكد - Lowe- أثر التدخين على صغر حجم ووزن المولود وإلى ولادة أجنة ميتة وإلى زيادة العيوب الخلقية وخاصة في القلب. ويعود ذلك إلى عوز الأوكسجين الدائم في دم الحامل للإنسمام المزمن بأول أوكسيد الفحم الذي يشل عمل قسم من الخضاب الدموي، كما أنّ النيكوتين يضيق الأوعية المغذية للمشيمة مما ينطلق معه مادة التيوسيانات الذي ينطلق من دم الأم إلى الجنين والذي يملك تأثيرات تؤخر نمو الجنين وأخرى مشوهة. وتؤكد الأبحاث أنّ الشريان المبيضي يتأثر بشكل خاص من تأثيرات النيكوتين المقبضة مما يؤثر سلباً على إنتاج الهرمونات الجنسية المبيضية. كما أنه يؤخر إفراز الهرمون الملوثن

L.H مما يساعد في حدوث الإباضة وما ينتج عن ذلك من قلة الخصب والإنجاب . والنيكوتين يطرح مع الحليب عند المرضع مما يؤدي إلى إنسمام الرضيع وحدوث أقياء متكررة وتشنجات وتسرع في قلب الوليد. أما المرأة غير المرضع فتفرزه أيضاً من غدة ثدييها ثم تعود فتمتصه حيث نجد أنّ تركيزه في مفرزات الثدي يعاد 5_ 10 أضعاف تركيزه في الدم وتدل الأبحاث . أنّ أنسجة الثدي تتخرش به ويمكن أنْ يؤدي للإصابة بسرطان الثدي . والتدخين ينقص من إفراز الهرمون النخامي المدر للبول ويؤهب للإصابة بسرطان المثانة.

تلوث البيئة : وتزداد خطورة غاز أول أكسيد الفحم في الغرفة المكتظة بالمدخنين حيث يؤدي التسمم المزمن به إلى اضطرابات هضمية وتنفسية تتظاهر بانقباض في الصدر ووهن ونوبات من الصداع وأرق عند النوم . ويؤكد تقرير لمنظمة الصحة العالمية (كانون الثاني 1976) أنّ 90% من حالات سرطان الرئة تنجم عن التبغ علاوة على مساهمته الأكيدة في حالات " الجلطة " وأحداث جملة من السرطانات في الحنجرة والمريء والبلعوم . وينصح التقرير الحكومات جميعها بمنع زراعة التبغ وتسويقه لأنّ ضرر الدخان لا يقتصر على المدخن بل يتعداه إلى المجتمع، فالتدخين يلوث البيئة وخاصة زوجات أو أزواج المدخنين وأطفالهم الذين يعانون من أمراض خطيرة ومتعددة بسبب تدخين رب المنزل .

هل التدخين من المحرمات : عرف العالم الإسلامي التبغ منذ عدة قرون، لكن آثاره الضارة وخواصه السمية لم تكن قد درست بعد، وخاصة بعد الإدمان عليه لذا اضطربت فيه أقوال العلماء تبعاً لمعرفتهم الضحلة عنه في زمانهم . وهذا ما يؤكده العلامة ابن عابدين في حاشيته في معرض حديثه عن التتن : " فمنهم مَن قال بكراهته، وبعضهم قال بحرمته وبعضهم قال بإباحته" .

لقد استعرضنا في بحثنا الكم الهائل من الأضرار والمخاطر التي عرفها الأطباء عن التدخين، والتي تعاني منها البشرية اليوم، وإذا كنا قد عرفنا أنّ النبي ﷺ إنما أرسله الله لهذه الأمة، ليحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، بعد هذا نحب أنْ نتسائل: هل يمكن لعاقل أنْ يعتبر التدخين من الطيبات؟ أم هو حتماً من الخبائث؟ قبل أنْ نجيب على هذا السؤال، سنعرض بإيجاز خلاصة لأحدث التقارير الصادرة عن المؤسسة الصحية العالمية عن مخاطر التدخين، منها تقرير الكلية الملكية البريطانية للأطباء (13) عام 1977 الذي يقول أنّ الإدمان على النيكوتين أكثر حدوثاً من الاعتماد على الخمر. فإذا شرب الخمر مئة شخص فإنّ 10 - 15% منهم سيكونون مدمني خمر وبالمقارنة فإنّ السجائر إذا دخنها 100 شخص فإنّ 85% منهم سيصبحون مدمنين له. وفي تقرير وزير الصحة الأمريكي إيفريت كوب أنّ ضحايا التدخين في الولايات المتحدة تبلغ 350 ألف نسمة نتيجة التدخين المباشر و50 ألفاً نتيجة التدخين السلبي ، أي أنّ 400 ألف ضحية يلاقون حتفهم سنوياً بسبب التبغ أما الخمور فإنها تقضي على 125 ألف نسمة سنوياً، أما باقي المخدرات مجتمعة فإنّ ضحاياها تبلغ 6 آلاف نسمة . وتقدر منظمة الصحة العالمية أنّ ضحايا التبغ تتجاوز مليون شخص كل عام في حين لم تتجاوز ضحايا القنبلة الذرية 260 ألف شخص، وأنّ ضحايا الإيدز المرعب منذ ظهوره عام 1981 وحتى عام 1992 قد بلغت ربع مليون شخص كما وردوا في سجل المنظمة، والتي تعتبر أنّ هناك نقصاً في التبليغ وترفع الرقم إلى 1.7 مليون ضحية . ويؤكد تقرير منظمة الصحة العالمية لعام 1986 أنّ أستخدام التبغ بكافة صوره تدخيناً وسعوطاً يعيق الوصول إلى قرار المنظمة وهو الصحة للجميع عام 2000 . ويؤكد التقرير أنّ التوقف عن استعمال التبغ سيؤدي إلى تحسين المستوى الصحي وإطالة الأعمار بما لا تستطيعه جميع الوسائل الأخرى. أما تقرير الكلية الطبية الملكية البريطانية لعام 1983 فيؤكد أنّ ثلاثة من عشرة أشخاص سيلاقون حتفهم بسبب أمراض ناجمة عن التدخين وأنّ أغلب الباقين سيعانون من أمراض لها علاقة بالتدخين . ومن الناحية الاقتصادية، تقول إحصائية طريفة من ألمانيا أنّ الدولة حصلت على 12 ألف مليون مارك ضرائب على التبغ، بينما كان محصلة الخسائر المادية الناجمة عن تدخين 80 ألف مليون مارك علاوة إلى وفاة 140 ألف شخص سنوياً بأمراض ناجمة عن التدخين وإصابة 140 ألف آخرين . والسعودية وحدها من بين الدول العربية تدفع أكثر من 100 مليون ريال سنوياً ثمن سجائر مستوردة علاوة عن أنها تنفق آلاف الملايين في مداواة مرضى التدخين.

وبعد هذا يقول الدكتور ـ محمد علي البار ـ : إنه من اليسير إدراك حتمية تحريم المخدرات، فإنّ التبغ الذي يفوقها في ضحاياه لاشك سيكون أشد حرمة . وأنّ القول بإباحته أو بكراهته لأنّ بعض الناس لا يضرهم التدخين فهذه حجة غير مقبولة لأنّ أضراره كثيراً ما تتراكم في البدن دون أنْ تظهر إلا بعد إجراء فحوص دقيقة، حتى ولو سلمنا بذلك فإنّ حرمته لا تسقط بعد أنْ علمنا أنّ الغالبية العظمى ممن يتعاطونه يتأذون به وبدرجات متفاوتة حتى الموت. وهذه حجة لو صح استخدامها في تحليل الخمر فإنّ بعض الناس قد لا يبدو عليهم أي ضرر ظاهر، فالتبغ الذي يقتل الملايين ويسبب الأمراض الوبيلة لعشرات الملايين جعل المفكرين العقلاء في العالم مثل السناتور الأمريكي ـ روبرت كينيدي ـ يسمي شركات التبغ بالقتلة، وجعلت وزير الصحة الأمريكي يسميهم " تجار الموت " صحيحٌ أنّ التدخين لم يكن زمن النبوة فليس في شرعنا نص خاص بتحريمه لكن الإسلام جاء بقواعد عامة تضمن سلامة المواطن في المجتمع الإسلامي، فقوله تعالى : "ولا تلقوا بأيديكم في التهلكة ". وقوله تعالى : "ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً". تؤكد تحريم كل ما يورد الإنسان إلى الهلاك، التدخين واحد منها كما هو مسلم به. والإسلام يحرم الانتحار والتدخين انتحار كما أوضحنا . يؤيد هذا ما جاء في الحديث النبوي الكريم : { لا ضرر ولا ضرار } وقول النبيﷺ : { مَن تحسّى سماً فقتل نفسه فسمه يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً } رواه البخاري . والتدخين يدخل ضمن المهدئات القوية والتي تصنف تحت اسم المفترات وقد ورد عن أم سلمة رضي الله عنها : { نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر } رواه أحمد وأبو

داوود بسند حسن. وكما رأينا فإنّ ما يتفق على التدخين من ملايين الدولارات (لحرقه في الهواء) وكثيراً ما يمتنع المدمن عن دفع حاجيات عياله، لينفقها على سجائره، كل هذا يجعل منه إسراف وتبذير محض والله سبحانه وتعالى يقول : "ولا تبذر تبذيراً، إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين" . فإضاعة أموال الفرد والأمة واضحة مع شيوع هذه العادة القبيحة، وكذا الخسائر الناجمة عن زراعة التبغ بشغلها مساحات واسعة من الأرضي بدلاً من زراعة القوت الضروري ، علاوة على الخسائر الفادحة التي تنجم عن الحرائق التي يسببها إلقاء أعقاب السجائر المشتعلة هنا وهناك، حيث يقدر أنّ ثلث الحرائق التي تنشب في العالم تنجم عنها. وقد حرم التدخين عدد كبير من مشاهير علماء الأمة الإسلامية منهم الشيخ محمد الخواجة، من كبار علماء الدولة العثمانية والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والعلامة البجيرمي في حاشيته على الخطيب، والعلامة إبراهيم اللقاني في رسالته " نصيحة الإخوان باجتناب الدخان" والعلامة الشيخ سالم السنهوري، والإمام المهدي زعيم طائفة المهدية في السودان، كما أجمع علماء المملكة السعودية على تحريمه ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن باز ، كما حرمه مشاهير علماء سورية ومنهم الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ على الدقر والشيخ أحمد الحامد والإمام المحدث الشيخ محمد جعفر الكتاني. كما نشر المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية رسالة عام 1988 بعنوان " الحكم الشرعية في التدخين " وفيها فتاوى عشرة من كبار علماء مصر المعاصرين وعلى رأسهم الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر مفتي الديار المصرية السابق جاء فيها: أصبح واضحاً جلياً أنّ شرب الدخان، وإنْ أختلف أنواعه وطرق استعماله، يلحق بالإنسان ضرراً بالغاً، إنْ عاجلاً أو آجلاً، في نفسه وماله ويصيبه بأمراض كثيرة ومتنوعة وبالتالي يكون استعماله محرماً بمقتضى النصوص التي سبق إيرادها، ومن ثم فلا يجوز للمسلم استعماله بأي وجه من الوجوه حفاظاً على الأنفس والأموال، وحرصاً على اجتناب الأضرار التي أوضح الطب حدوثها .

****

طب العبادات

قال تعالى: (يأيُّها الذين آمنوا إذا قمتمْ إلى الصلاة فاغسلوا وجوهَكم وأيديكم إلى المرافقِ وامسحوا برءوسِكم وأرجلَكم إلى الكعبين، وإن كنتم جُنُباً فاطَّهروا) [سورة المائدة] كما قال في سورة التوبة: (فيه رجالٌ يحبونَ أنْ يتطهروا،و اللهُ يحبُّ المُطَهِّرينَ) [سورة التوبة] وقال سبحانه وتعالى: (إنّ الله يحب التوابينَ ويحب المتطهرينَ) [سورة البقرة] ويقول جل وعلا: (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) [سورة الأنفال] كما قال في أول سورة المدثر: (يأيُّها المُدَثِّرْ ، قُمْ فأنذِرْ، وربَّك فكبِّرْ، وثيابَك فطَهِّرْ) وهكذا تكرر في القرآن الكريم تأكيد الخالق الحكيم سبحانه وتعالى على قيمة الطهارة بين عباده، وجعلها واجبة على كل المسلمين في الوضوء لخمس صلوات في اليوم هي الفرائض، هذا غير النوافل، كما أنّه جل وعلا افترض الغسل الشرعي لتطهير الجسد في مناسبات عدة للرجال والنساء، ويكفي بيانا لأهمية الطهارة في الإسلام أنّ أولى خطوات الدخول إلى الإسلام أنْ يغتسل المرء ثم يتلفظ بعد الغسل بالشهادتين. وقد روي مسلم أنّ النبي ﷺقال:{ الطهور شطر الإيمان}.وروي الطبراني أنّه ﷺ قال:{ طهروا هذه الأجساد طهركم الله}. ولم يكتفِ الإسلام بالاهتمام بالطهارة للإنسان نفسه فقط بل اهتم بطهارة المجتمع بشكل عام. وكمثال على هذا ما رواه الطبراني عن جابر رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ { نهى أنْ يُبَال في الماء الجاري}. وعلى هذا فإنّ التبول في الماء الراكد أشد نهيا وتحريما، وقد تبين أنّ كثيرا من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود وشلل الأطفال والتهاب الكبد المعدي تنتقل عن طريق الماء وتعيش فيه، فكان النهي هنا واجبا لصحة الناس ومنع العدوى من تلك الأمراض. ولأهمية الطهارة في الإسلام سر لطيف، يعيننا على إدراك قدرها، والسر في هذا هو أنّ هذا الدين يعلي من قدر أتباعه حين يقولون سمعنا وأطعنا، فيصيبهم من خير الأعمال الصالحة التي يتقربون بها إلى الله، والمسلم حين يتطهر إرضاء لله فإنّ الله يتم نعمته عليه فيسمو بنفسه وروحه، ويأخذ إلى آفاق من الطهر والنور، ويشبع أشواقه إلى السكينة والطمأنينة والهدوء النفسي بما لا تستطيع فعله كل عقاقير الأرض الكيماوية. عن جابر رضي الله عنه في سبب نزول قول الله تعالى: { فيه رجال يحبون أنْ يتطهروا، و الله يحب المطهرين } أنّ الرسول الله ﷺ قال: {يا معشر الأنصار إنّ الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهوركم؟ قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء، فقال: ذالكم فعليكموه}.

<u>الاستنجاء:</u> لقد فطر الله جل وعلا الإنسان وجبله على أنْ يتخلص أولا بأول مِمّا في أمعائه وفي مثانته من غائط وبول وغيرهما من نفايات الجسم، حتى يظل الجسم الإنساني في حالة من النقاء والصحة والقدرة على أداء الوظائف الطبيعية والحيوية التي يقوم بها. وبعد عملية التخلص تلك فإنّه يجب على المسلم أنْ ينظف هذه الأماكن بالماء، وفي هذا يقول رسول اللهﷺ :{ تنزهوا من البول فإنّ عامة عذاب القبر منه" متفق عليه، ومعنى التنزه هو التطهر والاستنجاء. ولهذه العملية فائدة طبية وقائية عظيمة، فقد أثبت الطب الحديث أنّ النظافة الذاتية لتلك الأنحاء تقي الجهاز البولي من الالتهابات الناتجة عن تراكم الميكروبات والجراثيم، كما أنّها تقي الشرج من الاحتقان ومن حدوث الالتهابات والدمامل، وفي حالة المرضى خصوصا مرضى السكر أو البول السكري فلأن بول المريض يحتوي على كمية كبيرة من السكر، فإذا بقيت آثار البول فإنّ هذا يجعل العضو عرضة للتقيح والالتهابات، وقد تنتقل الأمراض في وقت لاحق إلى الزوجة عند الجماع، وقد يؤدي إلى عقم تام. كذلك استن الإسلام استعمال اليد اليسرى لإزالة النجاسة، حتى تظل اليد اليمنى المخصصة للطعام طاهرة نظيفة، وكذلك اشترط غسلها بعد التطهر، وقد يعجب البعض من اهتمام الإسلام حتى بهذه الأمور، ولكن لا عجب لمَن يعرف لهذا الدين قدره، ومن يؤمن أنه الدين الذي أتمه الله وأكمله منهاجا أبديا للبشر إلى قيام الساعة، منهاجا لا يحمل إلا الخير لعباده المسلمين (اليومَ يئسَ الذين كفروا مِن دينِكم فلا تخشوهم واخشونِ، اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا) [سورة المائدة]

*حدث غريب في إنجلترا: في عام 1963 في دولة إنجلترا وبالتحديد في مدينة (داندي) حدث أنْ انتشر مرض التيفود بشكل عاصف مِمّا أصاب السكان بالدعر الشديد، وبذل الجميع طاقتهم في محاولات شتى لوقف انتشار المرض، وفي النهاية اتفق العلماء على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمرون الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه، واستبدالها باستخدام المياه مباشرة في النظافة وذلك لوقف انتشار العدوى. وبالفعل استجاب الناس، وللعجب الشديد توقف فعلا انتشار الوباء وتمت محاصرته، وتعلم الناس هناك عادة جديدة عليهم بعد معرفة فائدتها، وأصبحوا يستخدمون المياه في النظافة بدلا من المناديل الورقية، ولكننا لسنا متأكدين ماذا يقول هؤلاء لو علموا أنّ المسلمين يفعلون هذا من أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ليس لأنّ التيفود تفشّى بينهم ولكن لأنّ خالق التيفود وغيره من الأمراض أمرهم بكل ما يجلب لهم الصحة والعافية فقالوا سمعنا وأطعنا " ألا يَعلمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيفُ الخبيرُ "[سورة الملك]

أهمية الاغتسال: يقول تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاةَ وأنتم سُكارى حتى تعلموا ما تقولونَ ولا جُنُباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) [سورة النساء] ويقول جل وعلا آمرا نبيه أيوب (اركضْ بِرجلِكَ هذا مُغتَسلٌ باردٌ وشرابٌ) [سورة ص] لقد اكتشف الإنسان على مدار التاريخ الأهمية العظمى لتنظيف بدنه عن طريق الاغتسال وعالج به كثيرا من الأمراض، ولكن لم يعرف التاريخ أمة جاء لها تنظيم لهذا الأمر أعظم من ذاك التنظيم الذي كرم به الله أمة الإسلام؛ فالمسلون كما أمرهم الخالق الحكيم سبحانه وتعالى يجب أنْ يغتسلوا مع دخولهم هذا الدين لأول مرة وحتى قبل نطق شهادتي أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله، ويجب أنْ يغتسلوا بعد كل مباشرة زوجية، وكذلك يستحب لهم في الصباح كل يوم جمعة وصباح العيدين؛ وكذلك وجوب أن تغتسل المرأة بعد المحيض حتى تطهر، بل إنّه يسن الغسل بين الجماعين كما جاء في صحيح المسلم:" إذا جامع أحدكم وأراد أنْ يعاود فعليه بالطهارة فإنّ ذلك أنشط" والحكمة في هذا أنّ الاستحمام يجدد النشاط للجسم والعقل ويعيد النظافة والتألق ويجعل المرء في أكمل حالاته النفسية والجسمية.

معلومات هامة عن الاغتسال: ـ إنّ الاغتسال بالماء الساخن وحمامات البخار يعمل على تفتح مسام الجسم جميعها، ويؤدي هذا بالتبعية إلى تنفس خلايا الجسم بشكل طبيعي، ومعروف أنّ خلايا جسم الإنسان تحتاج إلى عملية التنفس مثلها مثل أي كائن حي، وكذا يجدد الاغتسال بالماء الساخن الخلايا التالفة والمتهالكة فيكتسب الجسم النشاط والحيوية، وتهدأ الأعصاب، ولو كان الحمام الساخن في الليل فإنّه يساعد على النوم الطبيعي العميق، والحمام الساخن يقلل من احتمالات الإسهال لأنه يعين على الهضم الجيد.

ـ الاغتسال بالماء البارد: يجعل جميع خلايا الجسم بما فيها من شرايين وأوردة تعاود الانكماش بعد التمدد، وهذا يساعدها على اكتساب المرونة اللازمة التي تقيها الكثير من أمراض القلب والدورة الدموية؛ مِمّا ينشط التنفس ويزيد من احتمالات اعتدال النبض والضغط، والحمام البارد يفيد لمَن كان بدنه نشيطا ولا يعاني من مشكلات في الهضم، ويمكن أنْ يستعمل بعد الماء الساخن لتقوية البشرة وإمداد الجسم بالحيوية والنشاط، على ألا يكون الماء شديد البرودة. ولا يستعمل الحمام البارد عقب الجماع أو عقب الطعام مباشرة لما يسببه من أخطار.

ـ الاغتسال مع التدليك: والاغتسال مع التدليك يجدد نشاط الجسم بشكل مدهش، ويجدد الحيوية باستمرار ويساعد على النوم الصحي العميق، وكذا ينبه الحواس وينشط الدورة على تخفيف العبء الواقع على القلب. ويستحسن الاغتسال باستعمال زيت الزيتون مع التدليك عقب ممارسة الرياضة.

المقاصد الصحية للغسل: يقوم الجلد بوظائف هامة، فهو وما يفرزه من طلاء دهني يقي البدن ويحفظه من المخرشات الآلية والجرثومية، وهو حصن الدفاع الأول ضد الجراثيم. وفيه غدد عرقية تفرغ العرق أيام الحر مِمّا يعمل على التوازن الحراري في البدن ويطرح عددا من السموم الداخلية عن طريق التعرق فيساعد بذلك عمل جهاز البول ويخفف من أعبائه، والجلد هو عضو حاسة اللمس والتي تجعل البدن على اتصال بما يحيط به. هذه الوظائف التي يؤديها الجلد تجعل من نظافته والحرص على سلامته من الأمور الهامة جدا لصحة البدن. وإنّ تراكم المفرزات العرقية والدهنية وما ينضم إليها من الغبار والأوساخ والملوثات المهنية يؤدي إلى سد المسام الجلدية مما يعيق وظائفه ويضر بالبدن ضررا بالغا، علاوة على تعرض الجلد نفسه للالتهابات الجرثومية والفطرية و انبعاث الروائح الكريهة منه، تلك الرائحة التي لا يمكن إخفاؤها بالتألق والزينة وإنّما بالنظافة التامة التي يحفظها الاغتسال المتكرر والتي تضمن رونق الجلد ورائحته الطبيعية. من هنا نرى عظمة الإسلام في تعدد المناسبات التي أوجب فيها على المسلم أنْ يغتسل أو التي ندب فيها الغسل، محافظة منه على صحة الفرد والمجتمع ثم أنّه جعل فروضا للغسل ليعمل المسلم على إتقان نظافة البدن بشكل لا مثيل له.

الوضوء سلاح المؤمن: قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاةَ فاغسلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافق وامسحوا برءوسِكم وأرجلَكم إلى الكعبين، وإن كنتم جُنُباً فاطهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمّموا صَعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديَكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) [سورة المائدة] وقالﷺ: { مَن توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره} رواه مسلم: وقال: {إنّ أمتي يدعون يوم القيامة غُرّاً مُحَجّلِين من آثار الوضوء فمَن استطاع منكم أنْ يطيل غُرَّته فليفعل} متفق عليه .إنّ الوضوء ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة، وليس مجرد تطهير للجسد يتوالى عدة مرات في اليوم، بل إنّ الأثر النفسي والسمو الروحي الذي يشعر به المسلم بعد الوضوء لشيء أعمق من أنْ تعبر عنه الكلمات، خاصة مع إسباغ الوضوء وإتقانه. فللوضوء دور كبير في حياة المسلم، وهو يجعله دائما في يقظة وحيوية وتألق، وقد قال عنه النبي ﷺ فيما رواه مسلم:{ مَن توضأ فأحسن الوضوء خرجت الخطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره} وعنه ﷺ فيما رواه أحمد عن أبي

أمامة:{ مَن توضأ فأسبغ الوضوء وغسل يديه ووجهه ومسح على رأسه وأذنيه ثم قام إلى صلاة مفروضة غفر له في ذلك اليوم ما مشت إليه رجلاه وقبضت عليه يداه وسمعت إليه أذناه ونظرت إليه عيناه وحدَّث به نفسُه من سوء}.

الوضوء وأسراره الثمينة: إنّ عملية غسل الأعضاء المعرضة دائما للأتربة من جسم الإنسان لاشك أنها في منتهى الأهمية للصحة العامة، فأجزاء الجسم هذه تتعرض طوال اليوم لعدد مهول من الميكروبات تعد بالملايين في كل سنتمتر مكعب من الهواء، وهي دائما في حالة هجوم على الجسم الإنساني من خلال الجلد في المناطق المكشوفة منه، وعند الوضوء تفاجأ هذه الميكروبات بحالة من كسح شاملة لها من فوق سطح الجلد، خاصة مع التدليك الجيد وإسباغ الوضوء، وهو هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك لا يبقى بعد الوضوء أي أثر من أدران أو جراثيم على الجسم إلا ما شاء الله.

ـ المضمضة: أثبت العلم الحديث أنّ المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات وتحفظ اللثة من التقيح، وكذا فإنّها تقي الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقى بعد الطعام في ثناياها، فقد ثبت علميا أنّ تسعين في المئة من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان وأنّ المادة الصديدية والعفونة مع اللعاب والطعام تمتصها المعدة وتسرى إلى الدم.. منه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضا كثيرة. وفائدة أخرى هامة جدا للمضمضة، فهي تقوى بعض عضلات الوجه وتحفظ للوجه نضارته واستدارته، وهو تمرين هام يعرفه المتخصصون في التربية الرياضية، وهذا التمرين يفيد أيضا في إضفاء الهدوء النفسي على المرء لو أتقن تحريك عضلات فمه أثناء المضمضة.

ـ غسل الأنف: أظهر بحث علمي حديث أجراه فريق من أطباء جامعة الإسكندرية أنّ غالبية الذين يتوضئون باستمرار قد بدا أنفهم نظيفاً خاليا من الأتربة والجراثيم والميكروبات، ولذلك جاءت المزراع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات في حين أعطت أنوف مَن لا يتوضئون مزراع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى.. والكروية السبحية السريعة الانتشار. ومن المعروف أنّ تجويف الأنف من الأماكن التي يتكاثر فيها العديد من هذه الميكروبات والجراثيم، ولكن مع استمرار غسل الأنف والاستنشاق والاستنثار بقوة ـ أي طرد الماء من الأنف بقوة ـ يحدث أنْ يصبح التجويف نظيفا خاليا من الالتهابات والجراثيم، مِمّا ينعكس على الحالة الصحية للجسم كله، حيث تحمي هذه العملية الإنسان من خطر انتقال الميكروب من الأنف إلى الأعضاء الأخرى في الجسم.

ـ غسل الوجه واليدين: ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين فائدة كبيرة جدا في إزالة الأتربة والميكروبات فضلا عن إزالة العرق من سطح الجلد، كما أنّه ينظف الجلد من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية، وهذه تكون غالبا موطنا ملائما جدا لمعيشة وتكاثر الجراثيم. ثبت علميا أنّ الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته...فإنّ الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه فإنّ إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة وهذه الحكة بالأظافر.. التي غالبا ما تكون غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجلد. كذلك فإنّ الإفرازات المتراكمة هي دعوة للبكتريا كي تتكاثر وتنمو لهذا فإن الوضوء بأركانه قد سبق علم البكتريولوجيا الحديثة والعلماء الذين استعانوا بالمجهر على اكتشاف البكتريا والفطريات التي تهاجم الجلد الذي لا يعتني صاحبه بنظافته التي تتمثل في الوضوء والغسل ومع استمرار الفحوص والدراسات.. أعطت التجارب حقائق علمية أخرى.. فقد أثبت البحث أنّ جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عند عدم غسلهما.. ولذلك يجب غسل اليدين جيدا عند البدء في الوضوء.. وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ{ إذا استيقظ أحدكم من نومه.. فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا) .ومن ذلك كله يتجلى الإعجاز العلمي في شرعية الوضوء في الإسلام . وقال الدكتور ـ أحمد شوقي إبراهيم ـ عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب.. توصل العلماء إلى أنّ سقوط أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة ويقلل الأيونات الموجبة مما يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق.. ويؤكد ذلك أحد العلماء الأمريكيين في قوله: إنّ للماء قوة سحرية بل إنّ رذاذ الماء على الوجه واليدين ـ يقصد الوضوء ـ هو أفضل وسيلة للاسترخاء وإزالة التوتر...

ـ غسل القدمين: أمّا غسل القدمين مع التدليك الجيد فإنّه يؤدي إلى شعور بالهدوء والسكينة، لما في الأقدام من منعكسات لأجهزة الجسم كله، وكأنّ هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت يدلك كل أجهزة جسمه على حدة بينما هو يغسل قدميه بالماء ويدلكهما بعناية. وهذا من أسرار ذلك الشعور الطاغي بالهدوء والسكينة الذي يلف المسلم بعد أنْ يتوضأ.

ـ أسرار أخرى: وقد ثبت بالبحث العلمي أنّ الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين والساقين أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز المنظم للدورة الدموية وهو القلب، ولذا فإنّ غسل هذه الأطراف جميعا مع كل وضوء ودلكها بعناية يقوي الدورة الدموية، مِمّا يزيد في نشاط الجسم وحيويته. وقد ثبت أيضا تأثير أشعة الشمس ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية في إحداث سرطان الجلد، وهذا التأثير ينحسر جدا مع توالي الوضوء لما يحدثه من ترطيب دائم لسطح الجلد بالماء، خاصة تلك الأماكن المعرضة للأشعة ، مِمّا يتيح لخلايا الطبقات السطحية والداخلية للجلد أنْ تحتمي من الآثار الضارة للأشعة.

****

السواك بين الطب والإسلام

قال النووي: السواك لغة بكسر السين، ويطلق على الفعل وهو الاستياك وعلى الآلة التي يستاك بها والتي يقال لها (المسواك)

الهدى النبوى فى السواك: عن أبي هريرة رضي الله عن أنّ النبيﷺ قال:{ لولا أنْ أشق على أمتي لأمرتهم بالسِّواك مع كل صلاة ـ وفي رواية ـ عند كل وضوء} رواه الشيخان. وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺقال:{ عليك بالسواك فإنّه مطهرة للفم ومرضاة للرب}.

فقه السواك: قال النووي: السواك سُنَّة وليس بواجب في حال من الأحوال بإجماع مَن يعتد به في الإجماع. قال ابن القيم:{ يستحب السواك للمفطر والصائم وفي كل وقت لعموم الأحاديث الواردة فيه ولحاجة الصائم إليه، ولأنّه مرضاة للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر ولأنّه مطهرة للرب والطهور للصائم من أفضل أعماله}.

الاستياك ونظافة الفم وأثرها على الصحة العامة: إنّ الفم بحكم موقعه كمدخل للطعام والشراب، وباتصاله بالعالم الخارجي، يصبح مضيفة لكثير من الجراثيم، والتي نسميها (الزمرة الجرثومية الفموية) ومنها المكورات العنقوية والعقدية والرئوية، والعصيات اللبنية والعصيات الخناقة الكاذبة والملتوية الفوهية والفنسانية وغيرها. هذه الجراثيم تكون بحالة عاطلة عند الشخص السليم ومتعايشة معه، لكنها تنقلب ممرضة مؤذية إذا بقيت ضمن الفم، وبين الأسنان، فضلات الطعام والشرب. فإنّ هذه الجراثيم التي تعمل على تفسخها وتخمرها ، وتنشأ عنها روائح كريهة، وهذه المواد تؤذي الأسنان كذلك محدثة فيها النخور أو إلى تراكم الأملاح حول الأسنان محدثة فيها(القلح) أو إلى التهاب اللثة وتقيحها. كما يمكن لهذه الجراثيم أنْ تنتقل بعيدا في أرجاء البدن محدثة التهابات مختلفة كالتهاب المعدة أو الجيوب أو القصبات، وقد تحدث خراجات في مناطق مختلفة من الجسم وقد تؤدي إلى انسمام الدم أو تجرثمه وما ينجم عن ذلك من أمراض حموية عامة. وأهم ما يجب العناية به في الفم الأسنان. فللأسنان وظائفها الهامة، ولأمراضها أثر كبير على الصحة العامة، هنا يأتي دور السواك، الذي له أهميته القصوى في تخفيف البلاء الناجم عنها. فاللعاب الراكد يحتوي على أملاح بصورة مركزة، فإذا وجد سطحاً بعيداً عن حركات التنظيف الطبيعية كحركة اللسان، أو الاصطناعية كالسواك، فإنّ هذه الأملاح تترسب، وخاصة في الشق اللثوي شيئا فشيئا مكونة ما يسمى باللويحات السنية. وعندئذ تفعل الجراثيم فعلها متفاعلة مع بقايا الطعام والخاصة السكرية الموجودة في الفم مكونة أحماضا عضوية تقوم بإذابة المينا ثم العاج ويتسع النخر مع استمرار إهمال نظافة الفم.

المسواك: أصح ما ورد في السنة أنّ النبي ﷺ أستاك بسواك من أراك. وشجرة الأراك من الفصيلة الأركية وهي شجرة دائمة الخضرة تنمو في المناطق الحارة في عسير وجيزان من الأراضي السعودية وفي مصر والسودان وفي غور الساعاد(قرب القدس) وفي اليمن وجنوب أفريقيا والهند. لها ثمر عند تمام نضجه، حلو الطعم، حاذق، يمكن أنْ يُؤكل، يؤخذ السواك من جذورها ومن أغصانها الصغيرة.

إعجاز السنة النبوية في السواك: وقد أوردت المجلة الألمانية الشرقية في عددها الرابع(1961) مقالا للعالم ـ رودات ـ مدير معهد الجراثيم في جامعة روستوك يقول فيه ـ قرأت عن السواك الذي يستعمله العرب كفرشاة للأسنان في كتاب لرحالة زار بلادهم، وقد عرض للأمر بشكل ساخر، اتخذه دليلا على تأخر هؤلاء القوم الذين ينظفون أسنانهم بقطعة من الخشب في القرن العشرين. وفكرت! لماذا لا يكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية؟ وجاءت الفرصة سانحة عندما أحضر زميل لي من العاملين في حقل الجراثيم في السودان عددا من تلك الأعواد الخشبية وفورا بدأت أبحاثي عليها، فسحقتها وبللتها، ووضعت المسحوق المبلل على مزارع الجراثيم، فظهرت على المزراع آثار كتلك التي يقوم بها البنسلين... وإذا كان الناس قد استعملوا فرشاة الأسنان من مائتي عام فلقد استخدم المسلمون السواك منذ أكثر من 14 قرنا ولعل إلقاء نظرة على التركيب الكيمائي لمسواك الأراك يجعلنا ندرك أسباب الاختيار النبوي الكريم، والذي هو في أصله، وحي يوحى: وتؤكد الأبحاث المخبرية الحديثة أنّ السواك المخضر من عود الأراك يحتوي على العفص بنسبة كبيرة وهي مادة مضادة للعفونة، مطهرة قابضة تعمل على قطع نزيف اللثة وتقويتها، كما تؤكد وجود مادة خردلية هي (السنيجرين) ذات رائحة حادة وطعم حراق تساعد على الفتك بالجراثيم.وأكد الفحص المجهري لمقاطع المسواك وجود بلورات السيليكا وحماضات الكلس والتي تفيد في تنظيف الأسنان كمادة تزلق الأوساخ والقلح عن الأسنان. وأكد د ـ طارق الخوري ـ وجود الكلورايد مع السيليكا وهي تزيد بياض الأسنان، وعلى وجود مادة صمغية تغطي المينا وتحمي الأسنان من التسوس، إنّ وجود الفيتامين ج وثري ميتيل أمين يعمل على التئام جروح اللثة وعلى نموها السليم، كما تبين وجود مادة كبريتية تمنع التسوس.

****

يقظة الفجر مع ريح الصبا

قال تعالى: (أقِمِ الصلاةَ لدُلوكِ الشمسِ إلى غَسقِ الليلِ وقرآنَ الفجرِ إنّ قرآنَ الفجرِ كان مشهودا) [سورة الإسراء] يرغب القرآن بالنوم المبكر والاستيقاظ منذ الفجر وقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنّه قال: { بورك لأمتي في بكورها} وقال: { ركعتا الفجر خير من الدنيا وما عليها} ، وتحقيقا لذلك، أمر عليه الصلاة والسلام بعدم الزيارات بعد العشاء بقوله:{ لا تجتمعوا بعد صلاة العشاء إلا لطلب العلم}.أما الفوائد الصحية التي يجنيها الإنسان بيقظة الفجر فهي كثيرة منها :

1 ـ تكون أعلى نسبة لغاز الأوزون(O3) في الجو عند الفجر، وتقل تدريجيا حتى عند طلوع الشمس، ولهذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبي، ومنشط للعمل الفكري والعضلي، وبحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية و العضلية تكون في الصباح الباكر، ويستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر الجميل المسمى بريح الصبا، لذة ونشوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل.

2 ـ إنّ أشعة الشمس عند شروقها قريبة إلى اللون الأحمر، ومعروف تأثير هذا اللون المثير للأعصاب، والباعث على اليقظة والحركة، كما أنّ نسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروقوهي الأشعة التي تحرض الجلد على صنع فيتامين د.

3 ـ الاستيقاظ الباكر يقطع النوم الطويل، وقد تبين أنّ الإنسان الذي ينام ساعات طويلة وعلى وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب وخاصة مرض العصيدة الشرياني الذي يأهب لهجمات خناق الصدر لأنّ النوم ما هو إلا سكون مطلق، فإذا دام طويلا أدى ذلك لترسب المواد الدهنية على جدران الأوعية الشريانية الإكليلية القلبية، ولعل الوقاية من عامل من عوامل الأمراض

الوعائية، هي إحدى الفوائد التي يجنيها المؤمنون الذين يستيقظون في أعماق الليل متقربين لخالقهم بالدعاء والصلاة، قال تعالى في سورة الفرقان: (والذين يبيتونَ لربهم سجداً وقياماً)[سورة الفرقان] .وقال تعالى مرغبا في التهجد في سورة المزمل: (إنّ ناشئةَ الليلِ هي أشدُّ وَطَأً وأقومُ قيلا) [سورة المزمل]. وناشئة الليل هي القيام بعد النوم.

4 ـ من الثابت علمياً أنّ أعلى نسبة للكورتزون في الدم هي وقت الصباح حيث تبلغ(7 - 22) مكروغرام/100 مل بلاسما، ومن المعروف أنّ الكورتزون هو المادة السحرية التي تزيد فعاليات الجسم بالطاقة اللازمة له. وإذا ما أضفنا هذه الفوائد إلى تلك التي بيناها عند الحديث عن الصلاة والوضوء نجد أنّ المسلم الملتزم بتعاليم القرآن، هو إنسان فريد بالفعل، حيث يستيقظ باكرا ويستقبل اليوم الجديد بجد ونشاط ويباشر أعماله اليومية في الساعات الأولى من النهار ، حيث تكون إمكاناته الذهنية والنفسية والعضلية على أعلى مستوى، مما يؤدي لمضاعفة الإنتاج، كل ذلك في العالم ملؤه الصفاء والسرور والانشراح ولو تصورنا أنّ ذلك الإلزام أخذ طابعاً جماعياً فسيغدو المجتمع المسلم، مجتمعاً مميزا فريدا وأهم ما يميزه هو أنّ الحياة تدب فيه منذ الفجر.

<u>الفوائد الصحية للمشي إلى المساجد :</u> لقد حضّ النبي ﷺعلى صلاة الجماعة في المسجد وبيَّن أنّ في كثرة الخطى إلى المساجد الأجر الكبير وكلما كانت المسافة التي يقطعها المصلي أبعد كان الأجر الذي يناله من الله أعظم قال رسول الله ﷺ{ إنّ أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى، فأبعدهم. والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصليها ثم ينام} وفي رواية { حتى يصليها مع الإمام في جماعة} صحيح مسلم. ولَمّا كانت آلة الذهاب إلى المسجد هي المشي على القدمين فإنّ المسلم مأمور أنْ يذهب إلى المسجد في كل يوم خمسة مرات فنجد أنّ المسلم يمشي كل يوم مسافة معينة تتفاوت من مسلم إلى آخر بحسب بُعد منزله عن المسجد فالإسلام أمر المسلم بالمشي إلى المساجد فإذا فرضنا أقل وقت يلزم المسلم للذهاب إلى المسجد والعودة منه 5 دقائق فإنّ المسلم يمشي كل يوم مالا يقل عن 25 دقيقة كأقل تقدير وقد جاءت الدراسات العلمية تدعو إلى المشي ولو نصف ساعة يوميا وتبين مدى الفائدة التي يحصل عليها الإنسان من المشي.

<u>المشي نصف ساعة يوميا يقلل ضغط الدم:</u> قال الباحثون في جامعة (إلينوي)الأمريكية إنّ التمارين المعتدلة البسيطة مثل المشي نصف ساعة يوميا، يساعد في تقليل ضغط الدم الشرياني إلى حدوده الطبيعية وخاصة عند الأمريكيين الأفارقة. وأكد الباحثون أنّه ليس بالضرورة أنْ تكون التمارين قاسية وعنيفة لتحقيق الفوائد الصحية، بل يكفي ممارسة رياضة معتدلة للمحافظة على سلامة الجسم والتخلص من ارتفاع الضغط، وأشاروا إلى أنّ 40 مليون شخص في الولايات المتحدة يعانون من ارتفاع ضغط الدم الشرياني التي تزيد قراءاته الانقباضي والانبساطي عن 140 / 90 مليمتر زئبق، 40 % منهم من الأمريكيين الأفارقة. وقام الباحثون في الدراسة التي استمرت ستة أشهر بمتابعة 40 شخصا من الأمريكيين الأفارقة المصابين بارتفاع ضغط الدم تراوحت أعمارهم بين 35 و59 عاما، إذ أعطوهم مقياسا لمسافة السير عند مشيهم ثلاثين دقيقة أو 1.5 ميل يوميا إضافة إلى نشاطاتهم العادية، أي ما يصل إلى 10 آلاف خطوة أو ما بين 3.5 و4 أميال يوميا . وينصح الأطباء هؤلاء المرضى بالمشي والحركة في حياتهم العادية الدرج بدلا من المصاعد الكهربائية ووقف السيارات في أماكن بعيدة عن العمل والمنزل، وتقليل الملح في غذائهم، وحذروا من أنّ ترك هذه الحالة دون علاج قد يؤدي إلى الإصابة بمشكلات في البصر وأمراض القلب والسكتات وقصور الكلى. وكانت دراسة سابقة عن آثار المشي في ضغط الدم العالي أجريت على 15 سيدة في سن اليأس، وأوضحت الدراسة أنّ السيدات اللاتي مشين مسافة ثلاثة كيلومترات أو حوالي 1.9 ميلا يوميا، أظهرنَ انخفاضا في قراءات ضغط الدم الانقباضي بحوالي 11 نقطة بعد مرور 24 أسبوعا كما أنّ المشي يقلل نسبة الدهون، فالمشي لمسافة ميل يساعد على حرق 60 سعرة حرارية، وإذا ما زاد الإنسان سرعته وخطوته أثناء المشي بمعدل 25 ميل خلال 30 دقيقة فإنّ الجسم سوف يحرق 200 سعرة حرارية.

<u>يعمل المشي على تحسين عمل القلب:</u> إذ يفيد المشي في تحسين أداء القلب والمحافظة على صحته وخفض الكولسترول وخفض ضغط الدم وتحسين التمثيل الغذائي والاستفادة من العناصر الغذائية، إذ تشير الدراسات إلى أنّ معدل التمثيل الغذائي يكون بطيئا لدى الإنسان البدين الذي لا يمارس الحركة، بينما التمثيل الغذائي يكون سريعا لدى من يمارس الحركة أو الرياضة ويقوي العظام ويحافظ على صحة المفاصل ويقوي العضلات ويخفف من حدة التوتر النفسي، إذ أنّ الرياضة بشكل عام تساعد على إفراز هرمون الإندروفين الذي يمنح الإنسان الشعور بالراحة والسعادة. ورياضة المشي بذلك تخفف من حدة التوتر والشعور بالقلق والاضطرابات الناجمة عن ضغوط الحياة اليومية التي لا تنتهي. وعن طريق مزاولة الأنشطة الرياضية بما في ذلك رياضة المشي يحصل الإنسان على مفهوم الذات من الناحية الايجابية حيث يشعر بالسعادة والسرور والنظرة المتفائلة عن شخصيته وذاته. الأمر الذي يجب الإيمان به والاقتناع التام بجدواه ضرورة المشي على أي حال من الأحوال ولا شك أن الخالق سبحانه وتعالى حين جعل المشي سمة في كل إنسان علم أنّه سيحفظ توازن الإنسان ويحافظ على لياقته لأبسط أنواع الرياضة فبمجرد المشي يكتسب الإنسان الكثير من اللياقة البدنية ويقضي على الكثير من الأمراض التي يمكن أنْ تعتري الإنسان لكثرة جلوسه وقلة حركته والمشي هو الرياضة الوسط بين الرياضات فلا هو بالعنيف فيجهد الجسد ويؤدي إلى تضخم العضلات كما نراه عند الذين يمارسون ألعاب القوى ولا هو سيء لدرجة وصول الإنسان معه إلى الترهل لذا كان المشي هو الحل الوسط لمقاومة ما ينتج جراء تركه.

<u>المشي واللياقة البدنية:</u> إنّ المشي من أقل التمارين الرياضية ضررا على المفاصل، والأقل في احتمالات الإصابة خلال التمارين. المشي من التمارين التي يحرق فيها الأكجسين (أيروبك)، وهو بالتالي يفيد القلب والرئتين ويحسن من الدورة الدموية.وهو من الرياضات المتوسطة الإجهاد التي تساعد الناس على المحافظة على لياقتهم ورشاقتهم بحرق الطاقة الزائدة، ويقوي العضلات والجهاز الدوري ويحسن من استخدام الأكسجين والطاقة في الجسم. ولذلك يقلل من المخاطر المرتبطة بالسمنة والسكري وسرطان الثدي وسرطان القولون وأمراض القلب.ويعتبر المشي مشابها لتمارين حمل الأثقال، فالمشي بقامة مستقيمة متزنة يقوي العضلات في الأرجل والبطن والظهر، ويقوي العظام ويقلل من إصابتها بالهشاشة.ويفيد المشي في التخلص من الضغوط النفسية والقلق

والإجهاد اليومي، ويحسن من الوضع النفسي ومن تجاوب الجهاز العصبي(اليقضة) وهذا ناتج من المركبات التي يفرزها الجسم خلال المشي. يساعد المشي على التخلص من الوزن الزائد، وهذا بالطبع يعتمد على مدة المشي وسرعته(مقدرا الجهد المبذول) فالشخص الذي يمشي بمعدل 4 كم / ساعة يحرق ما بين 200 -250 سعرا حراريا في الساعة(22 - 28 جرام من الدهون). وأكدت مقالة نشرت في مجلة(B.M.T) الشهيرة أنّه للوقاية من مرض شرايين القلب والجلطة القلبية يجب على الإنسان أن يمارس نوعا من أنواع الرياضة البدنية كالمشي السريع، أو الجري، أو السباحة لمدة 20 -30 دقيقة مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل. ولهؤلاء نقول: لم يحثنا رسول الله عليه الصلاة والسلام على المشي إلى المساجد مرتين أو ثلاثا في الأسبوع؛ بل خمس مرات في اليوم الواحد، وقد يكون المسجد على بعد عشر دقائق أو يزيد. يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: كان رسول الله عليه السلام إذا مشى تكفأ تكفؤا، وكان أسرع الناس مشياً ... .

****

فوائد الصلاة الصحية

__ضبط إيقاع الجسم:__ أضهرت البحوث العلمية الحديثة أنّ مواقيت صلاة المسلمين تتوافق تماما مع أوقات النشاط الفسيولوجي للجسم ، ممّا يجعلها وكأنها هي القائد الذي يضبط إيقاع عمل الجسم كله.

وقد جاء في كتاب(الاستشفاء بالصلاة) للدكتور ـ زهير رابح -:إنّ الكورتيزون الذي هو هرمون النشاط في جسم الإنسان يبدأ في الازدياد وبحدة مع دخول وقت صلاة الفجر، ويتلازم معه ارتفاع منسوب ضغط الدم، ولهذا يشعر الإنسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر بين السادسة والتاسعة صباحا، لذا نجد هذا الوقت بعد الصلاة هو وقت الجد والتشمير للعمل وكسب الرزق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد:{ اللهم بارك لأمتي في بكورها}، كذلك تكون في هذا الوقت أعلى نسبة لغاز الأوزون في الجو، ولهذا الغاز تأثير منشط للجهاز العصبي وللأعمال الذهنية والعضلية، ونجد العكس من ذلك عند وقت الضحى، فيقل إفراز الكورتيزون ويصل لحده الأدنى، فيشعر الإنسان بالإرهاق مع ضغط العمل ويكون في حاجة إلى الراحة، ويكون هذا بالتقريب بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، وهنا يدخل وقت صلاة الظهر فتؤدي دورها كأحسن ما يكون من بث الهدوء والسكينة في القلب والجسد المتعبين. بعدها يسعى المسلم إلى طلب ساعة من النوم تريحه وتجدد نشاطه، وذلك بعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر، وهو ما نسميه(القيلولة) وقد قال عنها رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن ابن عباس{ استعينوا بطعام السحر على الصيام، وبالقيلولة على قيام الليل} وقالﷺ:{ أقيلوا فإنّ الشاطين لاتقيل} وقد ثبت علميا أنّ جسم الإنسان يمر بشكل عام في هذه الفترة بصعوبة بالغة، حيث يرتفع معدل مادة كيميائية مخدرة يفرزها الجسم فتحرضه على النوم، ويكون هذا تقريبا بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، فيكون الجسم في أقل حالات تركيزه ونشاطه، وإذا ما استغنى الإنسان عن نوم هذه الفترة فإنّ التوافق العضلي العصبي يتناقص كثيرا طوال هذا اليوم، أكد الباحثون في دراسة نشرت في مجلة (العلوم النفسية) عام 2002 أنّ القيلولة لمدة -10-40 دقيقة (وليس أكثر) تكسب الجسم راحة كافية، وتخفف من مستوى هرمونات التوتر المرتفعة في الدم نتيجة النشاط البدني والذهني الذي بذله الإنسان في بداية اليوم. وتقول الدراسة التي تمت تحت إشراف الباحث الأسباني د ـ إيسكالانتي ـ :{ إنّ القيلولة تعزز الذاكرة والتركيز، وتفسح المجال أمام دورات جديدة من النشاط الدماغي في نمط أكثر ارتياحا} .كما شدد الباحثون على عدم الإطالة في القيلولة، لأنّ الراحة المفرطة قد تؤثر على نمط النوم العادي. وأشار الدكتور- إيسكالانتي ـ إلى أنّ الدول الغربية بدأت تدرج القيلولة في أنظمتها اليومية، وأوصى بقيلولة تتراوح بين 10 -40 دقيقة.

ثم تأتي صلاة العصر ليعاود الجسم بعدها نشاطه مرة أخرى ويرتفع معدل(الأدرينالين) في الدم، فيحدث نشاط ملموس في وظائف الجسم خاصة النشاط القلبي، ويكون هنا لصلاة العصر دور خطير في تهيئة الجسم والقلب بصفة خاصة لاستقبال هذا النشاط المفاجئ، والذي كثيرا ما يتسبب في متاعب خطيرة لمرضى القلب للتحول المفاجئ للقلب من الخمول إلى الحركة النشطة. وهنا يتجلى لنا السر البديع في توصية مؤكدة في القرآن الكريم بالمحافظة على صلاة العصر حين يقول تعالى "حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسْطى وقوموا لله قانتين" [سورة البقرة]، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنّ الصلاة الوسطى هنا هي صلاة العصر.

ومع الكشف الذي ذكرناه من ازدياد إفراز هرمون (الأدرينالين) في هذا الوقت يتضح لنا السر في التأكيد على أداء الصلاة الوسطى، فأداؤها مع ما يؤدى معها من سنن ينشط القلب تدريجيا، ويجعله يعمل بكفاءة أعلى بعد حالة من الخمول الشديد ودون مستوى الإرهاق، فتنصرف باقي أجهزة الجسم وحواسه إلى الاستغراق في الصلاة، فيسهل على القلب مع الهرمون تأمين إيقاعهما الطبيعي الذي يصل إلى أعلاه مع مرور الوقت. ثم تأتي صلاة المغرب فيقل إفراز (الكورتيزون) ويبدأ نشاط الجسم في التناقص، وذلك مع التحول من الضوء إلى الظلام، وهو عكس ما يحدث في صلاة الصبح تماما، فيزداد افراز مادة(الميلاتونين) المشجعة على الاسترخاء والنوم، فيحدث تكاسل للجسم وتكون الصلاة بمثابة محطة انتقالية. وتأتي صلاة العشاء لتكون هي المحطة الأخيرة في مسار اليوم، والتي ينتقل فيها الجسم من حالة النشاط والحركة إلى حالة الرغبة التامة في النوم مع شيوع الظلام وزيادة إفراز(الميلاتونين)، لذا يستحب للمسلمين أنْ يؤخروا صلاة العشاء إلى قبيل النوم للانتهاء من كل ما يشغلهم، ويكون النوم بعدها مباشرة، وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل لما تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العشاء في أحد الأيام وظن الناس أنه صلى ولن يخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إعتموا بهذه الصلاة ـ أي أخروها إلى العتمة- فقد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلّها أمة قبلكم} ولا ننسى أنّ لإفرازالميلاتونين بانتظام صلة وثيقة بالنضوج العقلي والجنسي للإنسان، ويكون هذا الانتظام باتباع الجسم لبرنامج ونظام حياة ثابت،ولذا نجد أنّ الالتزام بأداء الصلوات في أوقاتها هو أدق أسلوب يضمن للإنسان توافقا كاملا مع أنشطته اليومية، مما يؤدي إلى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري.

- <u>وقاية من الدوالي :</u> مرض دوالي الساقين عبارة عن خلل شائع في أوردة الساقين، يتمثل في ظهور أوردة غليظة ومتعرجة وممتلئة بالدماء المتغيرة اللون على طول الطرفين السفليين، وهو مرض يصيب نسبة ليست بضئيلة من البشر، بين عشرة إلى عشرين بالمائة من مجموع سكان العالم، وفي بحث علمي حديث تم إثبات علاقة وطيدة بين أداء الصلاة وبين الوقاية من مرض دوالي الساقين. يقول الدكتور ـ توفيق علوان ـ الأستاذ بكلية طب الإسكندرية بالملاحظة الدقيقة لحركات الصلاة، وجد أنّها تتميز بقدر عجيب من الانسيابية والانسجام والتعاون بين قيام وركوع وسجود وجلوس بين السجدتين، وبالقياس العلمي الدقيق للضغط الواقع على جدران الوريد الصافن عند مفصل الكعب كان الانخفاض الهائل الذي يحدث لهذا الضغط أثناء الركوع يصل للنصف تقريبا. أما حال السجود فقد وجد أنّ متوسط الضغط قد أصبح ضئيلا جدا، وبالطبع فإنّ هذا الانخفاض ليس إلا راحة تامة للوريد الصارخ من قسوة الضغط عليه طوال فترات الوقوف. إنّ وضع السجود يجعل الدورة الدموية بأكملها تعمل في ذات الاتجاه الذي تعمل به الجاذبية الأرضية، فإذا بالدماء التي طالما قاست في التسلق المريرمن أخمص القدمين إلى عضلةالقلب نجدها قد تدفقت منسكبة في سلاسة ويسر من أعلى إلى أسفل، وهذه العملية تخفف كثيرا من الضغط الوريدي على ظاهر القدم من حوالي (100 - 120 سم /ماء) حال الوقوف إلى (1.33 سم/ماء) عند السجود، وبالتالي تنخفض احتمالات إصابة الإنسان بمرض الدوالي الذي يندر فعلا أنْ يصيب مَن يلتزم بأداء فرائض الصلاة ونوافلها بشكل منتظم وصحيح.

<u>الصلاة وتقوية العظام:</u> تمر العظام في جسم الإنسان بمرحلتين متعاقبتين باستمرار، مرحلة البناء تليها مرحلة الهدم ثم البناء وهكذا باستمرار، فإذا ما كان الإنسان في طور النمو والشباب يكون البناء أكثر فتزداد العظام طولا وقوة، وبعد مرحلة النضوج ومع تقدم العمر يتفوق الهدم وتأخذ كمية العظام في التناقص ، وتصبح أكثر قابلية للكسر ، كما يتقوس العمود الفقري بسبب انهيار الفقرات و نقص طولها ومتانتها. ويرجع نشاط العظام وقوتها بشكل عام إلى قوى الضغط والجذب التي تمارسها العضلات وأوتارها أثناء انقباضها وانبساطها، حيث إنّ هذه العضلات والأوتار ملتصقة وملتحمة بالعظام. وقد ثبت مؤخرا أنه يوجد داخل العظم تيار كهربي ذو قطبين مختلفين يؤثر في توزيع وظائف خلايا العظم حسب اختصاصها، خلايا بناء أو خلايا هدم، كما يحدد بشكل كبيرا أوجه نشاط هذه الخلايا، وأثبتت التجارب أنّ في حالة الخمول والراحة يقل هذا التيار الكهربي مِمّا يُفْقِد العظام موادها المكونة لها فتصبح رقيقة ضعيفة، وحتى في السفر إلى الفضاء أثبتت التجارب أنّه في الغياب التام للجاذبية تضعف العضلات وترق العظام نتيجة عدم مقاومتها لعبء الجاذبية الأرضية. من هذا نستنتج أنّ الراحة التامة تصيب العظام بضمور عام، ذلك أنّ فقدان الحركة يؤدي إلى نشاط الخلايا الهدامة وضعف في خلايا البناء مِمّا يؤدي إلى نقص المادة العظمية. وهنا يأتي سؤال: هل يمكن أنْ تمر بالمسلم أيام فيها راحة متصلة وخمول طويل لجسمه؟ وهل يمكن أنْ يتوقف ذلك التيار الكهربي المجدد لنشاط العظام في جسده؟ إنّ أداء سبع عشرة ركعة يومياً هي فرائض الصلاة، وعدد أكثر من هذا هي النوافل لا يمكن إلا أنْ يجعل الإنسان ملتزما بأداء حركي جسمي لا يقل زمنه عن ساعتين يومياً، وهكذا وطيلة حياة المسلم لأنه لا يترك الصلاة أبدا فإنّها تكون سببا في تقوية عظامه وجعلها متينة سليمة، وهذا يفسر ما نلاحظه في المجتمعات المحافظة على الصلاة ـ كما في الريف المصري مثلا ـ من انعدام التقوس الظهري تقريبا والذي يحدث مع تقدم العمر، كما يفسر أيضا تميز أهل الإسلام الملتزمين بتعاليم دينهم صحيا وبدنيا بشكل عام وفي الفتوحات الإسلامية على مدار التاريخ والبطولات النادرة والقوة البدنية التي امتاز بها فرسان الإسلام ما يغني عن الحديث ، ولن يعرف غير المسلم قيمة الصلاة إلا حين يصلي ويقف بين يدي الله خاشعا متواضعا يعترف له بالوحدانية ويعرف له فضله وعظمته، فتسري في قلبه وأوصاله طاقة نورانية تدفع العبد دائما للأمام على صراط الله المستقيم.

<u>الصلاة وقاية وعلاج لتشوهات القوام:</u> إنّ حياة الراحة والرخاء في الوقت الحاضر سواء أكانت في الحركات اليومية أم حركات العمل وخاصة العمل الفقير للحركات، وطريقة الحياة الجالسة تؤدي إلى كثير من العيوب والتشوهات القوامية. ونلاحظ أنّ التشوهات في المصانع أخذت دورا كبيرا فنتجت التشوهات نتيجة لإدراة الآلات بأجزاء محددة من الجسم كالجانب الأيمن مثلا بصفة مستمرة فتقوى عضلات هذا الجانب دون الجانب الآخر. واستدارة الكتفين على سبيل المثال من العيوب المنتشرة ويرجع ذلك إلى ضعف عضلات الظهر المتصلة بجانبي العمود الفقري من منطقة الرقبة إلى منتصف الظهر وأيضا بعظام الكتفين، وغير ذلك من العيوب الأخرى مثل تحدب الظهر والتجويف القطني والانحناء الجانبي وتفلطح القدمين.. إلخ. وتنشأ معظم هذه الحالات عن طريق العادات القوامية السيئة وأوضاع المهنة الخاطئة التي بسببها يحدث تغير في أوضاع الهيكل العظمي. كما يكون أحد أسبابها الرئيسية ـ سوء التغذية. نلاحظ أنّ هناك أعدادا هائلة من الناس اليوم أصبح عملهم الوحيد هو الجلوس على كرسي لساعات طويلة في المكاتب، يضع أحدهم خلالها يديه أمامه على الطاولة يكتب أو يطبع على الحاسوب ، أو غير ذلك من الوظائف ، فنتج عن ذلك أوجاع أسفل الظهر؛ فترى الموظف يقوم من كرسيه فيضع يديه على خاصرتيه ويحاول فرد ظهره للخلف. هذا فضلا عن العيوب القوامية التي من الممكن أنْ تنتج عن هذا الجلوس خاصة إذا لم يكن في وضع صحيح. وفي بريطانيا تعاني مواقع العمل فقدان 30 مليون يوم عمل و200 مليون جنيه إسترليني سنويا تنفق على استخراج شهادات الأطباء للمصابين بآلام الظهر أو الانزلاق الغضروفي بالإضافة إلى تحمل هيئة التأمين الصحي 160 مليون جنيه أخرى للإنفاق منها على علاج المصابين ويفسر الاختصاصيون أسباب شيوع آلام الظهر والانزلاق الغضروفي في المجتمعات الصناعية بأنّها تعود إلى التغيرات الجذرية المفروضة على حركة الأفراد والتي تلجئهم إلى الوقوف ساعات طويلة أمام الآلات والمعدات داخل المواقع الصناعية والانتاجية، و الجلوس ساعات طويلة أخرى خلف المكاتب وتقييد حركة الدورة الدموية والعمود الفقري الذي يعد الدعامة الأساسية لجسم الإنسان مِمّا يؤدي إلى الإصابة بآلام الظهر والانزلاق الغضروفي والتهابات المفاصل والحوض(وهذه تشيع عادة مع المتقدمين في السن).

إلا أنّ الإصابات الشائعة في الظهر والتي تصيب الكثيرين من مختلفي الأعمال من الشباب، لايرى الاختصاصيون وسيلة للتغلب عليها سوى في تغيير أنماط السلوك الحركي. إذ أنّ معظم الأفراد في المجتمعات الصناعية يستنفذون ساعات طويلة خلال اليوم في الجلوس خلف مكاتبهم، أو على مقاعد وسائل النقل العام أو في سياراتهم الخاصة الأمر الذي يؤدي إلى الإصابة بآلام الرقبة بسبب قلة الحركة، أو التشوه في العمود الفقري الناجم عن الجلوس في أوضاع غير صحية أو رفع أحمال ثقيلة بيد واحد تسبب ضغوطا على الذراع ومن ثم الكتف والظهر ومعاناة آلام (اللومباجو) وهي آلام في الجزء الأسفل من الظهر، في الوقت الذي يؤدي فيه اختلال الجهاز العصبي إلى الإصابة المباشرة بعرق النساء. وينصح الأطباء للتخلص من آلام الظهر والانزلاق الغضروفي بالجلوس في أوضاع صحية تسمح بسهولة انسياب الدورة الدموية، وممارسة الرياضة البدنية بصورة يومية كلما أمكن ذلك، والسير لمدة لا تقل عن نصف ساعة يوميا، إذ أنّ السير يساعد في الحفاظ على استقامة العمود الفقري لأطول فترة، كذلك السير بخطوات واسعة الأمر الذي يمنح عضلات الساقين فرصة أكبر لحرية الحركة .

أهمية النشاط البدني: وقد أدركت الدول المتقدمة في المجالات الصناعية أهمية التمرينات التعويضية للعمال، فقامت بعض المصانع بتخصيص دقائق تتراوح بين 5- 15 دقيقة يقوم خلالها العامل بتأدية بعض التمرينات التعويضية التي تجدد نشاطه وتساعد في إزالة فضلات التعب ليعود إلى عمله ويواصل العمل بكفاءة أكبر مما يزيد الإنتاج. وقد أثبتت التجارب الحديثة أنّ قيام العامل في فترات الراحة بتمرينات تعويضية تساعد على إراحة العضلات العاملة، فيكون العامل أكثر إنتاجا من جلوسه بلا حركة خلال فترات الراحة. وتقع التمرينات التعويضية في المرتبة الأولى للتمتع بالصحة ومنع حدوث التشوهات. وبالتالي فإنّ إعطاء هذه التمرينات يجنب التعب من خلال الراحة الإيجابية، كما أنّها تجنب العامل أو الموظف بعض الأخطاء القوامية التي يعتاد عليها أثناء أداء عمله.

أهمية الصلاة كنشاط بدني: من ذلك ندرك أنّ الشيء المهم هو أنّ يكون هناك نشاط بدني رياضي تعويضي للعمال والموظفين، والغرب يستخدم التمارين لأنها المجال الوحيد لديه، أما نحن فلدينا المجال الأوسع ألا وهو الصلاة، لأنّ إجراء درس تمارين رياضية في أحد مصانعنا أو مكاتبنا قد يكون غير مستساغ أو غير مألوف، بينما أداء الصلاة شيء مألوف بل ومفروض. خاصة إذا علمنا أنّ درس التمرينات الذي يقوم به العمال أو الموظفون في الغرب يحتوي على حركات الصلاة نفسها، حيث إنّ الدرس يجب أنْ يحتوي على تمارين لأعضاء الجسم الرئيسية وهي الرأس، والجذع، اليدين، الرجلين. وهذا تماما ما تحتويه الصلاة. كما أنّه ليس هناك أفضل من الصلاة كنشاط بدني رياضي يمكن أنْ تعطي نموا متزنا حقيقيا لجميع أجزاء الجسم، والمحافظة على اعتدال القوام، وتحسين النغمة العضلية التي تزيد من كفاءة العضلة لأداء عملها بقدرة وكفاءة. ولهذا، فمن مصلحة القائمين على المكاتب والمصانع والمؤسسات والدوائر...إلخ - أنْ يخصصوا مكاناً لأداء الصلاة جماعة في مكان العمل، وأنْ يسمحوا بإقامتها في أوقاتها، والمصنع أو المكتب.. سيكون مأجورا في ذلك وجامعا بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، وهذا من أسباب الزيادة في الربح، والبعد عن الخسارة، فضلا عن النجاح والتوفيق في العمل. وإنّ عدم السماح بأداء الصلاة يعد خيانة في حق العامل أو الموظف، ولهذا الأمر مضار كثيرة مختلفة لابد وأنْ تعود على أصحاب العمل أنفسهم. فأثر الصلاة لابد وأنْ يعود على المصلي وبالتالي يعود على المصنع أو المكتب... من ناحية الإخلاص والصدق في العمل،وزيادة الإنتاج، وتحمل السؤولية... إلخ. فالعامل لم يعد جزءا من الآلة كما كان، وإنّما أصبح سيدا لها، ولكي تتحقق هذه السيادة لابد أنْ يكون قادرا على التحكم فيها وإدارتها بأقصى كفاءة، والصمود للعمل أطول فترة ممكنة بالمستوى نفسه بما يضمن زيادة الإنتاج. ولا تتطلب سيادة العامل على آلته إلمامه بالنواحي الفنية والميكانيكية فقط، وإنّما تستلزم الكفاءة البدنية بجانب سلامة القوام ولا شك أنّ العامل المصاب بتشوه أو عاهة دائمة يؤثر هذا تأثيرا مباشرا على إنتاجه، فيجهد بسرعة، وتزيد وتستفحل التشوهات في جسمه إذا لم تعالج بسرعة. ويجمع العلماء على أنّ الجسم السليم الخالي من التشوهات القوامية هو أقدر الأجسام على الصمود والمثابرة وبذل الجهد بمستوى عال لساعات طويلة قبل أنْ يظهر التعب والإجهاد. وكما ذكرتُ من قبل فإنّ الصلاة تؤمن للمصلي الكفاءة البدنية وسلامة القوام. ولذلك فإنّ على أصحاب العمل أنْ يكونوا هم أول مَن يحرص على إقامة الصلاة جماعة في أماكن عملهم طالما أنْ آثارها الإيجابية ستعود عليهم، وإنْ سمحوا لعمالهم، أو موظفيهم بالذهاب إلى المسجد للصلاة - في حال وجود مسجد قريب - فهذا يكون أحسن وأفضل للجميع. وإنّ المهارة في العمل يمكن أنْ تزداد إذا تخللت فترات العمل الطويلة استراحة يقضيها الإنسان في الصلاة والمشي إلى المساجد لأدائها، فالواضح أنّ هذه الفترات التي تتخلل ساعات العمل الطويلة يمكن أنْ تؤدي إلى زيادة كفاءة الذهن والجهاز العصبي، بل تساعد على سرعة اتخاذ القرارت الصحيحة. وفي هذا المجال أيضا تزداد كفاءة العضلات بل وقوة تحملهما، وهكذا تنشط مهارة الشخص وكفاءته في أداء أعماله. ولقد أوضح دكتور - ب .ل .جيدز - أنّ ممارسة بعض التمرينات البدنية قبل إجراء اختبارات مهنية معينة ترتبط بالتذكر والملاحظة والتركيز وكفاءة الإنتاج، تؤثر تأثيرا إيجابياً. وهنا لابد من القول من أنّ إقامة الصلاة في أماكن العمل - أو في المساجد القريبة - يجب أنْ يكون هدفها الأول والأخير هو العبادة. أمّا آثارها الإيجابية فإنّها تعود على أصحاب العمل تلقائيا كنتيجة لإقامة الصلاة.

أثر الصلاة كبناء: من فوائد الصلاة البدنية أنّها تزيد القوة العضلية والمرونة... الخ، وبذلك يرتفع المستوى الصحي لكل من العامل والموظف، وينعدم ظهور تشوهات قوامية بسبب المهنة أو الحرفة، وبالتالي يرتفع مستوى الإنتاج.

أثر الصلاة كعلاج: في الصلاة يتم تشغيل أجزاء الجسم التي لا يستخدمها العامل في عمله أو الموظف في مكتبه، وبالتالي لا تهبط نغمتها العضلية، ولا تفقد اتزانها العضلي على الجانب الآخر. كما أنّ التناوب بين العمل والصلاة يبعد العامل أو الوظف عن التعب والإعياء الفكري والجسدي. كما أنّ الصلاة إلى الصلاة تصلح ما فسد بينهما من جسم العامل أو الموظف بسبب المهنة، أو بسبب الجلوس الطويل، الذي لو ترك دون علاج لازداد واستفحل وأصبح عيبا وتشوها قواميا. ولو أنّ كل صاحب

مصنع أو متجر أو مكتب... الخ يخصص مكانا لصلاة الجماعة في مكان العمل، ويسمح لعماله أو موظفيه بأداء الصلاة في أوقاتها، ويشجع غير المصلين من المسلمين على أدائها، لكان ذلك خيرا له وللمصلى ولعادت الفائدة على صاحب العمل وعلى إنتاجه كما سبق وأوضحت، وإلا فهم خاسرون بالتأكيد ذلك لأنّ العامل أو الموظف حين يشعر بالتعب والألم تقل كفاءته ويقل إنتاجه وبالتالي تعود الخسارة على صاحب العمل وهذا أقل ما فيه، وأمّا ما فيه من معصية الله بترك الصلاة وعدم التشجيع على إقامتها وراء ذلك.

الصلاة وقاية علاج لتشوهات القوام: إننا إذا نظرنا إلى التمارين التالية التي يصفها الأطباء كعلاج لبعض تشوهات القوام نلاحظ أنّها حركات مشابهة لهيئات الصلاة وحركاتها. فمن الحركات التي تعد وقاية وعلاج لتشوه انحراف الرأس: حركة التسليم في الصلاة. ونلاحظ أنّ هذه الحركة هي واحدة من الحركات التي يصفها الأطباء كعلاج؛ ذلك لأنّ حركة لف الرأس يمينا ويسارا في التسليم، تخلص الرقبة ـ الحاملة للرأس ـ من التيبس وتساعد على زيادة مرونة فقرات العمود الفقري العليا في الرقبة وتمنع تصلبها والتصاقاتها وبالتالي تمنع حدوث انحرافات في الرأس، خاصة أنّ هذه الحركة تتكرر في خمس أوقات على مدار اليوم. وكون حركة التسليم وقاية وعلاج لمثل هذه الانحرافات فهي إحدي الفوائد البدنية المصاحبة للفوائد الروحية للصلاة المقصود منها العبادة. ويستفيد المصلى الفائدة البدنية من التسليم بطريقة تلقائية دون انتباه منه ودون أنْ يلقي لذلك بالا. كذلك من الحركات التي تعد وقاية وعلاج لتشوهات القوام مثل: انحناء الظهر أو تحدبه، والانحناء الجانبي، والتجوف القطني، واستدارة الكتفين وتسطح الظهر، وتفلطح القدم: الركوع، السجود، ورفع اليدين، والنزول والقيام، والجلوس. فمثلا؛ ميل الجذع للأمام في الركوع والسجود يساعد على تمدد فقرات العمود الفقري وتباعدها عن بعضها البعض، وإنّ طول العمود الفقري يزداد بضعة سنتمترات في الركوع والسجود عن طوله في الوقوف وهذا يؤمن للعمود الفقري المرونة اللازمة ويمنع التيبس فيه، وبالتالي يمنع من حدوث مثل هذه التشوهات، وكذلك يفيد في علاجها. وهذا يفسر قلة نسبة الإصابة بمثل تشوه انحناء الظهر أو تحدبه مثلا عند المصلين بالمقارنة مع غيرهم وخاصة من غير المسلمين. كذلك حركة رفع اليدين في الصلاة التي يكررها المصلي عددا كبيرا من المرات في اليوم؛ ففيها تقوية عضلات الصدر والكتفين، وزيادة مرونة مفصل الكتف، وكذلك تحسين الهيئة في الحزام الكتفي وأعلى الجسم. وأثناء السجود ووضع الكفين على الأرض يتم إرجاع الكتفين إلى الخلف، وهذا جميعه يمنع من الإصابة بتشوه استدارة الكتفين وتسطح الصدر ويفيد في علاجه وهناك تمارين علاجية يصفها الأطباء لمَن لديه مثل هذا التشوه الغرض منها هو الحصول على هذه الفوائد. وهكذا تتأكد تلك الفوائد البدنية التي قدر الله أنْ يحصل عليها المصلى عاجلا في الدنيا بالوقاية من مثل هذه التشوهات أو علاجها وفوائد أخرى غير ذلك، فضلا عما سيناله المصلى في الآخرة من أجر ومثوبة مقابل أدائه لهذه العبادة.

تنبيهات: سبحان مَن شرع هذه الصلاة التي كل حركة وكل هيئة فيها هي وقاية وعلاج لمثل هذه التشوهات القوامية؛ وكون حركات الصلاة هذا شأنها فهذه أيضا إحدى الفوائد التي تضاف إلى ما سبق وأنْ ذكرته من الفوائد البدنية في الفصول السابقة.
وأود أنْ أنبه مرة أخرى إلى أنّ أحد شروط الاستفادة من حركات الصلاة هو إزالة أسباب حدوث الآلام أو التشوهات، وهي العادات السيئة أو الأوضاع الخاطئة وإلا فإنّ الأثر الإيجابي الذي تحدثه الصلاة بهذا الخصوص سيضيع نتيجة الاستمرار في ذلك. كما أود أنْ أنبه إلى أنّه وإنْ كانت الصلاة تفيد في علاج مثل هذه التشوهات فهذا لايعني أنْ يهمل المسلم الذي يصاب بأحدها زيارة الطبيب للكشف على على حالته وأخذ العلاج اللازم حتى ولو كان ذلك تمارين رياضية مشابهة لحركات الصلاة ، فهذه التمارين سوف تكون إضافة علاجية أخرى جيدة إلى حركات الصلاة تساعده في الشفاء من إصابته بإذن الله تعالى . وأنبه أيضا إلى أنّ بحثي في هذا الفصل ليس هدفه وصف حركات الصلاة كتمارين علاجية للمصابين بمثل هذه التشوهات ، أو أنْ يترك المصاب بأحدها التمارين العلاجية التي وصفها له الطبيب بحجة أنّه مواظب على أداء الصلاة – إنّما هدفه بيان الفوائد والمنافع التي ينعم الله بها على المصلي بهذه الصلاة المباركة ، ومن هذه المنافع الوقاية من هذه التشوهات القوامية . وقد أثبتت ذلك بالكشف عن التمارين العلاجية التي توصف لهذه التشوهات التي – كما رأيت – من بينها تمارين مشابهة تماما لحركات الصلاة ، أو أنّها تمنح فوائد حركات الصلاة نفسها ، مثل : الركوع والسجود والتسليم وغيرها . ومن الطبيعي أنْ يؤكد أطباء العظام على أنّ حركات الصلاة هذه تفيد فعلا في الوقاية من العديد من العيوب والتشوهات القوامية ، كيف لا وهم يصفون لمرضاهم تمارين علاجية مشابهة لحركات الصلاة هذه ...

الصلاة كعلاج نفسي : تساعد الصلاة الخاشعة على تهدئة النفس وإزالة التوتر لأسباب كثيرة ، أهمها شعور الإنسان بضآلته وبالتالي ضآلة كل مشكلاته أمام قدرة وعظمة الخالق المدبر لهذا الكون الفسيح ، فيخرج المسلم من صلاته وقد ألقى كل ما في جعبته من مشكلات وهموم ، وترك علاجها وتصريفها إلى الرب الرحيم ، وكذلك تؤدي الصلاة إلى إزالة التوتر بسبب عملية تغيير الحركة المستمر فيها ، ومن المعلوم أنّ هذا التغيير الحركي يحدث استرخاء فسيولوجيا هاما في الجسم ، وقد أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أي مسلم تنتابه حالة من الغضب ، كما ثبت علميا أنّ للصلاة تأثيرا مباشرا على الجهاز العصبي ، إذ أنّها تهدئ من ثورته وتحافظ على اتزانه ، كما تعتبر علاجا ناجعا للأرق الناتج عن الاضطراب العصبي . ويقول الدكتور ـ توماس هايسلوب ـ :إنّ من أهم مقومات النوم التي عرفتُها في خلال سنين طويلة من الخبرة والبحث الصلاة ، وأنا ألقي هذا القول بوصفي طبيبا ، فإنّ الصلاة هي أهم وسيلة عرفها الإنسان تبث الطمأنينة في نفسه والهدوء في أعصابه . أما الدكتور ـ إليكسيس كارليل ـ الحائز على جائزة نوبل في الطب فيقول عن الصلاة : { إنّها تحدث نشاطاً عجيبا في أجهزة الجسم وأعضائه ، بل هي أعظم مولد للنشاط عُرف إلى يومنا هذا ، وقد رأيتُ كثيرا من المرضى الذين أخفقت العقاقير في علاجهم كيف تدخلت الصلاة فشفتهم تماما من عللهم ، إنّ الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط ، ولقد شاهدت

تأثير الصلاة في مداواة أمراض مختلفة مثل التدرن البريتوني والتهاب العظام والجروح المتقيحة والسرطان وغيره . أيضا يعمل ترتيل القرآن الكريم في الصلاة حسب قواعد التجويد على تنظيم التنفس خلال تعاقب الشهيق والزفير ، وهذا يؤدي بدوره إلى تخفيف التوتر بدرجة كبيرة ، كما أنّ حركة عضلات الفم المصاحبة للترتيل تقلل من الشعور بالإرهاق وتكسب العقل نشاطا وحيوية كما ثبت في بعض الأبحاث الطبية الحديثة . وللسجود دور عميق في إزالة القلق من نفس المسلم ، حيث يشعر فيه بفيض من السكينة يغمره وطوفان من نور اليقين والتوحيد . وكثير من الناس في اليابان يخرون ساجدين بمجرد شعورهم بالإرهاق أو الضيق والاكتئاب دون أنْ يعرفوا أنّ هذا الفعل ركن من أركان صلاة المسلمين .

* تحكي لنا السيدة الفلبينية (جميلة لاما) قصتها مع الصلاة : لم أكن أعرف لحياتي معنى ولا هدفا ، سؤال ظل يطاردني ويصيبني بالرعب كل حين : لماذا أحيا ؟ وما آخر هذه الرواية الهزلية ؟ كان كل شيء من حولي يوحي بالسخف واللامعقول . فقد نشأت في أسرة كاثوليكية تعهدتني بتعليمي هذا المذهب بصرامة بالغة ، وكانوا يحلمون أنْ أكون إحدى العاملات في مجال التبشير بهذا المذهب على مستوى العالم ، وكنت في داخلي على يقين أنّ هذا أبدا لن يحدث . كنت أستيقظ كل يوم عند الفجر ، شيء ما يحدثني أنْ أصلي كي أخرج من الضيق الشديد والاكتئاب الذي كان يلازمني في هذا الوقت ، وكان ذلك يحدث أيضا عند الغروب ،وفعلا اخذت أصلي على الطريقة النصرانية ، فهي الطريقة الوحيدة التي أعرفها ، إلا أنّ إحساسي بالفراغ الروحي ظل يطاردني ويسيطر عليّ رغم صلواتي المتتابعة. كنتُ متعطشة لشيء آخر لم تكن لدي أي صورة واضحة عنه ، كانت الدموع تنهمر من عيني كثيرا ، وكنت أدعو الله أنْ يمنحني النور والبصيرة والصبر ، وازددت هما وقلقا ، وراح الفراغ يطاردني والحيرة تتملك حياتي بما فاض تماما عن قدرتي على الاستيعاب . وتكمِّل جميلة : وفي أحد الأيام ومع ازدياد حالة التوتر أحسست برغبة قوية تدفعني للبحث عن مكان للصلاة لا صور فيه ، وبحثت عن ذك المكان طويلا حتى وجدته أخيرا، مسجد صغير جميل في أطراف بلدنا بين المروج الخضراء في وسط حقول الأرز، لأول وهلة عندما وضعت قدمي على أعتابه دق قلبي بعنف وانشرح صدري وأيقنت أنّه المكان الذي حدثتني نفسي طويلا للبحث عنه. وعلمتني إحدى المسلمات كيف أتوضأ وكيف أصلى لله الواحد القهار، وشاركت المسلمين الصلاة لأول مرة في حياتي، وعندما بدأت الصلاة غمرتني السكينة ولفتني الطمأنينة كما لم يحدث لي من قبل، وعندما سجدت لله مع جموع المصلين فاضت روحي بسعادة لا حدود لها، لقد شعرت أني سأطير فرحا بعثوري على هذه الصلاة. وفي النهاية تقول جميلة: الصلاة، هي تماما ما كنت أتعطش له، لقد أصبحت صديقتي المحببة، ورفيقتي الدائمة التي أتخلص معها من كل ضيق ومن أيّة معاناة، لقد ودعت الاكتئاب إلى الأبد فلم يعد له أي معنى في حياتي بعد أنْ هداني الله جل وعلا للإسلام وأكرمني بحب الصلاة ولا أجد ما أقول تعليقا على هذا سوى: الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أنْ هداني الله .

*يحكي محمد منصور من بيروت قصته مع الصلاة: كنت أعمل في مطعم سياحي يرتقي ربوة خضراء تطل على البحر مباشرة، وذلك قبل الحرب التي أطاحت بخيرات بلادي، كانت ظروف عملي تحتم علي أنْ أنام طوال النهار لأظل مستيقظا في الليل، وكان صاحب المطعم يحبني كثيرا ويثق في، ومع الوقت ترك لي الإدارة تماما وتفرغ هو لأشغاله الأخرى، وكان هذا على حساب صحتي، فلم أكن أترك فنجان القهوة والسيجارة كي أظل متيقظا طوال الليل.

وفي إحدى الليالى لم يكن لدينا رواد كثيرون وانتهى العمل بعد الفجر قبل الفجر، وكان هذا حدثا فريدا في تلك الأيام، أنهينا العمل وأغلقتُ المطعم، وركبت سيارتي عائدا إلى البيت، وفي طريق عودتي توقفت قليلا لأتأمل منظر البحر البديع تحت ضوء القمر، وطال تأملي رغم شدة البرد، ملأت عيني بمنظر النجوم المتلألئة، ورأيت شهابا يثقب السماء فتذكرت حكايات أبي لنا عن تلك الشهب التي يعاقب الله بها الشياطين التي تسترق السمع إلى أخبار السماء، دق قلبي بعنف وأنا أتذكر أبي ذلك الرجل الطيب ذو الأحلام البسيطة، تذكرته وهو يصلي في تواضع وخشوع، وسالت دمعة من عيني وأنا أتذكر يوم مات كيف أوصاني بالصلاة وقال لي أنها كانت أخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قبل موته. ذهبت أبحث عن مسجد وأنا لا أدري هل صلى الناس الفجر أم لم يصلوا بعد، وأخيرا وجدت مسجدا صغيرا، فدخلت بسرعة فرأيت رجلا واحد يصلي بمفرده، كان يقرأ القرآن بصوت جميل، وأسرعت لأدخل معه في الصلاة، وتذكرت فجأة أنّي لست متوضأ، بل لابد أنْ أغتسل فذنوبي كثيرة وأنا الآن في حكم مَن يدخل الإسلام من جديد، الماء بارد جدا ولكنني تحملت، وشعرت بعد خروجي وكأني مولود من جديد، لحقت بالشيخ وأتممت صلاتي بعده، وتحادثنا طويلا بعد الصلاة، وعاهدته ألا أنقطع عن الصلاة معه بالمسجد بإذن الله. غبت عن عملي لفترة، كنت فيها أنام مبكرا وأصحو لصلاة الفجر مع الشيخ، ونجلس لنقرأ القرآن حتى شروق الشمس، وجاءني صاحب المطعم وأخبرته أني لن أستطيع العمل معه مرة أخرى في مكان يقدم الخمر وترتكب فيه كل أنواع المعاصي، خرج الرجل يضرب كفاً بكفٍ وهو يظن أنّ شيئا قد أصاب عقلي. أفاض الله علي من فضله وعمني الهدوء والطمأنينة واستعدت صحتي، وبدأت في البحث عن العمل يتوافق مع حياتي الجديدة، ووفقني الله في أعمال تجارة المواد الغذائية، ورزقني الله بزوجة كريمة ارتدت الحجاب بقناعة تامة، وجعلت من بيتنا مرفأ ينعم بالهدوء والسكينة والرحمة، لكم أتمنى لو يعلم جميع المسلمين قيمة تنظيم حياتهم وضبطها على النحو الذي أراده الله تعالى وكما تحدده مواقيت الصلاة، لقد أعادتني الصلاة إلى الحياة بعد أنْ كنت شبحا هلاميا يتوهم أنه يحيا .

<u>فوائد الصلاة البدنية العامة للجسم</u>: إنّ الفوائد البدنية للصلاة تحصل نتيجة لتلك الحركات التي يؤديها المصلي في الصلاة من رفع لليدين وركوع وسجود وجلوس وقيام وتسليم وغيره.. وهذه الحركات يشبهها الكثير من التمارين الرياضية التي ينصح الأطباء الناس ـ وخاصة مرضاهم ـ بممارستها، ذلك لأنهم يدركون أهميتها لصحة الإنسان ويعلمون الكثير عن فوائدها.

* فهي غذاء للجسم والعقل معا، وتمد الإنسان بالطاقة اللازمة للقيام بمختلف الأعمال. وهذه الفوائد وغيرها يمكن للإنسان أنْ يحصل عليها لو حافظ على الصلاة، وبذلك فهو لا يحتاج إلى نصيحة الأطباء بممارسة التمارين، لأنّه يمارسها فعلا ما دامت هذه التمارين تشبه حركات الصلاة.
* ومن فوائد الصلاة أنّها تقوي عضلات البطن لأنّها تمنع تراكم الدهون التي تؤدي إلى البدانة والترهل، تزيد الصلاة من رشاقة الجسم. والصلاة بحركاتها المتعددة تزيد من حركة الأمعاء فتقلل من حالات الإمساك وتقي منه، وتقوي كذلك من إفراز المرارة.
وضع الركوع والسجود وما يحدث فيه من ضغط على أطراف أصابع القدمين يؤدي إلى تقليل الضغط على الدماغ، وذلك كأثر تدليك أصابع الأقدام تماما، مما يشعر بالاسترخاء والهدوء. والسجود الطويل يؤدي إلى عودة ضغط الدم إلى معدلاته الطبيعية في الجسم كله، ويعمل على تدفق الدم إلى كل أجهزة الجسم.
* تنشيط الجهاز الهضمي، زيادة المناعة ضد الأمراض والالتهابات المفصلية، وهي تؤمن لمفاصل الجسم كافة صغيرها وكبيرها حركة انسيابية سهلة من دون إجهاد، وتؤمن معها إدامة أدائها السليم مع بناء قدرتها على تحمل الضغط العضلي اليومي.
* زيادة القوة والحيوية والنشاط، تقوية ملكة التركيز، وتقوية الحافظة (الذاكرة) ؛ إكساب الصفات الإرادية كالشجاعة والجرأة، إكساب الصفات الخلقية كالنظام والتعاون والصدق والإخلاص .. وما شابه ذلك. وتشكل الصلاة للرياضيين أساسا كبيرا للإعداد البدني العام، وتسهم كثيرا في عمليات التهيئة البدنية والنفسية للاعبين ليتقبلوا المزيد من الجهد خصوصا قبل خوض المباريات والمنافسات، كما أنّها تساعد على النمو المتزن لجميع أجزاء الجسم.
*الصلاة تساعد الإنسان على التأقلم مع الحركات الفجائية التي يتعرض لها كما يحدث عندما يقف فجأة بعد جلوس طويل مِمّا يؤدي في بعض الأحيان إلى انخفاض الضغط، وأحيانا إلى الإغماء. فالمداومون على الصلاة قلما يشتكون من هذه الحالة. وكذلك قلما يشتكي المصلون من نوبات الغثيان أو الدوار.
* في الصلاة توسيع الشرايين والأوردة، وإنعاش الخلايا وحفظ لصحة القلب والرئتين، إذ أنّ حركات الإيمان أثناء الصلاة تفرض على المصلي اتباع نمط فريد أثناء عملية التنفس مِمّا يساعد على إدامة زخم الأوكسجين ووفرته في الرئتين. وبهذا تتم إدامة الرئتين بشكل يومي وبذلك تتحقق للإنسان مناعة وصحة أفضل.
* تجعل لدى المصلي مقدرة لمواجهة المواقف الصعبة بواقعية وهدوء. وهي أيضا حافز على بلوغ الأهداف بصبر وثبات. هذه الفوائد هي لجميع فئات الناس من المصلين: رجالا ونساء، شيوخا وشبابا وأطفالا، وهي بحق فوائد عاجلة للمصلي تعود على نفسه وبدنه، فضلا عن تلك المنافع والأجر العظيم الذي وعده الله به في الآخرة. وفضلا عن هذه الفوائد العامة لجميع فئات الناس، هناك بعض الفوائد الخاصة ببعض فئات الناس أو ببعض الحالات الخاصة، من هؤلاء المرأة الحامل:
<u>فوائد الصلاة البدنية للحامل</u>: في عصرنا الحاضر، تدخل الحامل إلى المستشفى للولادة وهي خائفة وقلقة ومتوترة بسبب عدم ثقتها بنفسها وعدم سيطرتها على جسدها.. وهذا الخوف والتوتر سيسبب لها تقلص عضلاتها، وتقلص عضلاتها سيسبب لها الألم ، وألالم سيسبب لها من جديد الخوف، وهكذا تدور الدائرة. ويحدث أحيانا كثيرة، بسبب تقلص عضلات الحامل وعدم مرونة الأعضاء الأخرى التي تشترك في عملية الولادة، أنْ تتعسر ولادتها، فالجنين عليه أنْ يمر ـ بعد خروجه من الرحم ـ من الحوض ثم المهبل. يحاول المرور أولا من الحوض فلا يستطيع لأنّ الحوض غير مرن، وقد يكفي أحيانا أنْ يتمدد شيئا قليلا فينزلق الجنين من خلاله، ولكن، يخبرها القائمون على عملية الولادة بأنه لابد من إجراء عملية قيصرية (شق بطن) لإخراج الجنين وإنقاذه قبل أنْ يموت. وفي حالة نجاح الجنين في المرور عبر الحوض، يكون قد بقي عليه أنْ يخرج من الفتحة المهبلية، وأحيانا كثيرة يكون رأسه أكبر منها والمهبل غير قادر على التمدد، إذن لابد من مداخلة جراحية وإحداث شق لتوسعة هذه الفتحة لإتاحة الفرصة أمام الجنين للخروج، وايضا لتفادي التمزق، وهذه المداخلة الجراحية (الشق) أخذت تحدث على نطاق واسع مع هذا الجيل الجديد من النساء وفي معظم بلدان العالم. ولكن هذه الجراحة البسيطة خير من التمزق بكثير، وفي كلتا الحالتين يعود السبب إلى عدم مرونة الأعضاء ونعود بالتالي إلى السبب الرئيس في ذلك ألا وهو قلة الحركة والتعود على الكسل والخمول. وهذا ما جعل الأطباء وغيرهم ممن لهم علاقة بالأمر يقومون بوضع تمارين رياضية خاصة بالحامل، وإعداد برامج لفترة الحمل وكذلك لفترة ما بعد الولادة، للتعويض عن الحركة المفقودة والضرورية للحامل. وتوضح عدة دراسات: أنّ ممارسة بعض هذه التمارين الخاصة بالحامل تسهل من عملية الحمل والولادة، والأطباء عامة ينصحون كل حامل بممارسة هذه التمارين، ولا يكاد مستشفى للولادة يخلو من بعض الرسومات والصور التي توضح بعض هذه التمارين.
وتوضح الدراسات: بأنّ مضاعفات الحمل وعدد الولادات القيصرية وتهتك الأنسجة أثناء الولادة يكون أقل لدى السيدات اللاتي يمارسنها بالمقارنة بغير الممارسات. وهكذا يتضح لنا أهمية التمارين الرياضية وضرورتها للمرأة الحامل، بقي أنْ نعرف أنّ الكثير من هذه التمارين يشبه تماما حركات الصلاة وهيئاتها..! وهذه بعض منها.
<u>تمارين رياضية للحامل مشابهة لحركات الصلاة:</u>
1 ـ تمرين ميل الجذع للإمام .وهو تمرين يشبه الركوع في الصلاة .
2- تمرين القرفصاء والقيام وهو مشابه للنزول والقيام الذي يقوم به المصلي.
3- تمرين وضع الصدر ـ الركبة وهو يبدو بوضوح مشابه للسجود في الصلاة .
4 ـ تمرين الجلوس والاسترخاء وهو مشابه للجلوس في الصلاة .

إنّهم يذكرون أنّ لكل تمرين من هذه التمارين فوائد بدنية متعددة تعود على الحامل، والسؤال الآن إذا كانت هذه التمارين المفيدة للحامل تشبه حركات وهيئات الصلاة، أفلا تحصل الحامل على الفوائد نفسها أيضا إذا حافظت على أداء الصلاة؟والجواب، نعم بالتأكيد خاصة إذا علمنا أنّ عدد مرات تكرار حركات الصلاة خمس أوقات في اليوم سيكون أكبر بكثير من عدد مرات تكرار هذه التمارين الرياضية. ولو أنّ الأطباء أو الذين وضعوا هذه التمارين يعلمون أنّ جميع الحوامل يصلين هذه الصلاة لَمَا وجدوا حاجة في وضع هذه التمارين ولا اكتفوا بنصح الحامل بالمحافظة على الصلاة، ولأخبروا الحامل بأنّ صلاتها تغني عن هذه التمارين التي لو مارستها فإنها لن تمارسها خمس مرات في اليوم كما تفعل مع الصلاة، ولكن الذين اشتهروا بأنهم واضعوا هذه التمارين هم من غير المسلمين، وأكثر اللاتي يمارسنها هن من غير المسلمات، أي ليس لديهن هذه الصلاة حتى يؤدينها ويكتفين بها، إذن فملجأهن الوحيد هو هذه التمارين التي ينصحهن بها أطباؤهن.
أمّا المرأة المسلمة فلديها الصلاة التي أنعم الله عليها بها، فهي إذا حافظت عليها عبادة لله عز وجل، فسيكون فضل الله عليها عظيما بأنْ يعجل لها هنا في الدنيا بفوائد بدنية كبيرة تكسبها بطريقة تلقائية، وتنفعها في حملها وولادتها وبعد طهارتها من النفاس، فضلا عن المنافع والأجر العظيم في الآخرة.
فوائد الصلاة البدنية للحامل لفترة الحمل: إذا كان لابد من ذكر بعض الفوائد البدنية التي تكتسبها المرأة الحامل من الصلاة، فهذه أهم الفوائد البدنية والنفسية:
- تكسب مرونة لمعظم أعظاء وعضلات الجسم، وتسهل حركة العمود الفقري مع الحوض مفصليا للمحافظة على ثبات الجسم واعتدال قوامه.
- تنشيط الدورة الدموية في القلب والدماغ والشرايين والأوردة، مِمّا يساعد في توصيل الغذاء إلى الجنين بانتظام عبر الدم، ويساعد أيضا في نمو الجنين نموا طبيعيا.
- المحافظة على مرونة مفاصل الحوض وعضلات البطن حيث لها أكبر الأثر في قوام الأم الحامل.
- تحسين النغمة العضلية.
رفع المعنويات وإكساب الثقة بالنفس، والسيطرة على الجسم، والقدرة على التركيز. تقول الدكتورة - نجوى السعيد - مدرسة بكلية طب جامعة طنطا، ودكتورة النساء والولادة بمركز الرياض الطبي بالرياض : إنّ الحامل كما هو معتاد دائما وخاصة في الشهور الأخيرة تكون مثقلة بالجنين، ولكن عندما تؤدي الصلاة فإنّ حركتها تساعد على نشاط الدورة وعدم التعرض لدوالي القدمين، كما يحدث لبعض السيدات. إنّ معظم شكوى الحوامل هي عسر الهضم مما يجعل الإحساس بالانتفاخ والتقيؤ صعب الاحتمال، وفي الصلاة: الصحة بإذن الله والتغلب على عسر الهضم الذي يصاحب الحوامل، فالركوع والسجود يفيدان في تقوية عضلات جدار البطن، ويساعدان المعدة على تقلصها وأداء عملها على أكمل وجه. وهناك تمرينات مفيدة للحامل قريبة الشبه تماما بحركات الصلاة التي تجعل أربطة الحوض لينة وخاصة في الأسابيع الأخيرة من الحمل، كما أنها تقوي عضلات البطن وتمنع الترهل. كما أنّه في الأسابيع الأخيرة للحمل هناك تمرينات تشبه تماما الركوع والسجود أثناء الصلاة، وهذه مهمة جدا لدفع الجنين خلال مساره الطبيعي في الحوض كي تتم ولادة طبيعية بإذن الله... وهذه الفوائد والمنافع التي تجنيها الحامل من صلاتها تعود عليها بالنفع أيضا وقت الولادة، حيث تساعدها في تخطي هذه العملية بكل يسر وسهولة، وإنهائها في أقصر وقت ممكن بسبب ثقتها بنفسها وسيطرتها على جسمها، وقدرتها على التركيز طوال العملية بدلا من الخوف والصراخ والحركات الفوضوية.
فوائد الصلاة لفترة ما بعد الولادة: أمّا من فوائد الصلاة البدنية لفترة ما بعد الولادة - أي بعد الطهارة وزوال المانع من الصلاة - أنّها تكسب عضلات الحوض القوة، وكذلك عضلات البطن والصدر وبالتالي يتأثر العمود الفقري بهذا النشاط العضلي وينتصب معتدلا.
كذلك مفاصل الحوض والأطراف تصبح أكثر مرونة واستعداداً للحركة. مما يسمح للمرأة بالعودة إلى رشاقتها وجمالها وقوتها.
إذن، فالصلاة هي خير رياضة للبدن وخير تعويض عن الحركة المفقودة يمكن أنْ تمارسها الحامل دون أي خطورة أو خوف أو وجل، بل حتى دون استشارة الطبيبة كما هو مطلوب عند ممارسة التمارين الرياضية. والحامل المحافظة على الصلاة إذا أرادت الاستزادة من الحركة بتمارين الحامل فلا بأس بذلك، بل يمكنها أيضا الاستزادة من الصلوات فباب التنفل مفتوح ومستحب، خاصة إذا لم يكن لديها أي معرفة بالتمارين الرياضية. أمّا في مدة النفاس حيث لاصلاة فيها فيستحب للمراة ممارسة التمارين الرياضية الخاصة بهذه الفترة، وذلك من أجل أنْ تعود لها لياقتها البدنية.
تنبيه: لقد وردت - في بعض الفصول السابقة - بعض المقارنات بين الصلاة والتمارين الرياضية، والهدف منها ليس أنْ يترك الإنسان ممارسة هذه التمارين إذا كان محافظا على أداء الصلوات، بل الهدف من عقد هذه المقارنات هو الكشف عن فوائد الحركات التي يؤديها المسلم في الصلاة، وهذا لا يتم إلا بتسليط الضوء عليها، وبيان أنّ هناك الكثير من التمارين الرياضية التي توصف كوقاية وعلاج، ويؤمن الناس بفوائدها البدنية والنفسية، إنّما هي في الواقع مشابهة لحركات الصلاة. وإذا كان من المتفق عليه بأنّ لهذه التمارين المشابهة لحركات الصلاة فوائد كثيرة، فمن الطبيعي إذن أنْ ينتج عن حركات الصلاة من الفوائد مثل ما للتمارين الرياضية المشابهة لها. وبهذه الطريقة أستطيع أنْ أثبت فوائد حركات وهيئات الصلاة، وإلا فلا مانع من أنْ يمارس المسلم التمارين الرياضية، فذلك زيادة في الفائدة والقوة والمنعة، وخاصة المرأة، فهي مثلا لا تستطيع أداء الصلاة فترة الحيض والنفاس، بينما تستطيع ممارسة التمارين الرياضية. وقد أشرت سابقا إلى أنّ الإسلام قد اهتم بالرياضة وحث عليها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة لنا في ذلك. ولكن من الخطأ، بل ومن الخطورة بمكان أنْ تترك الصلاة أو تهمل على حساب ممارسة تمارين رياضية الكثير منها يشبه حركات الصلاة.
****

فوائد القرآن الصحية

قال تعالى : (ونُنُزِّلُ مِنَ القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ ولا يزيدُ الظالمين إلا خسارا)[سورة الإسراء] إنّ القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمدﷺ ليس فقط كتاب دين أو كتاب فقه، إنه كتاب جامع معجز، جمع بين دفتيه كل صنوف العلم، وكل أشكال الحكمة، وكل دروب الأخلاق والمثل العليا، وكذلك كل تصانيف الأدب، وكما قال تعالى في سورة الأنعام" ما فرَّطنا في الكتابِ مِن شئ "، ومن بين ما جمع القرآن الكريم من علوم جمع أيضا علم الطب والشفاء، فكان حقا هدى وشفاء ورحمة كما وصفه قائله جل وعلا" ياأيُّها الناسُ قد جاءتكم موعظةٌ مِن ربِّكم وشفاءٌ لِمَا في الصدورِ وهدًى ورحمةٌ للمؤمنين" [سورة يونس] فالقرآن شفاء ورحمة لمَن غمر الإيمان قلوبهم وأرواحهم، فأشرقت وتفتحت وأقبلت في بشر وتفاؤل لتلقى ما في القرآن من صفاء وطمأنينة وأمان، وذاقت من النعيم مالم تعرفه قلوب وأرواح أغنى ملوك الأرض، قال تعالى: (وإذا قُرِئ القرآنُ فاستمعوا له وأنصِتوا لعلكم تُرحمون واذكر ربَّك في نفسِك تضرُّعاً وخِيفةً ودونَ الجَهرِ مِن القولِ بالغُدوِّ والأصالِ ولا تكُن مِنَ الغافلين إنّ الذينَ عِندَ ربِّك لا يستكبرونَ عَنْ عبادته ويُسبحونه، وله يسجدونَ)[سورة الأعراف] إنّه حقا سد منيع يستطيع الإنسان أنْ يحتمي به من مخاطر كل الهجمات المتتالية على نفسه وقلبه، فيقي القلب من الأمراض التي يتعرض لها كما أنّه ينقيه من الأمراض التي علقت به كالهوى والطمع والحسد ونزغات الشيطان والخبث والحقد ..الخ، فهو كتاب ومنهج أنزله رب العالمين على قلب محمدﷺ ليكون لعباده هاديا ونذيرا وشفاء لما في الصدور. ومن المعلوم أنّ ترتيل القرآن حسب قواعد التجويد يساعد كثيرا على استعادة الإنسان لتوازنه النفسي، فهو يعمل على تنظيم النفس مما يؤدي إلى تخفيف التوتر بدرجة كبيرة، كما أنّ حركة عضلات الفم المصاحبة للترتيل السليم تقلل من الشعور بالإرهاق، وتكسب العقل حيوية متجددة. قال تعالى : (وبالحقِّ أنزلناهُ وبالحقِّ نَزَلَ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً وقرآناً فَرقْناه لِتقرأهُ على الناس على مُكثٍ ونزلناهُ تنزيلا قل آمِنوا به أو لا تؤمنوا إنّ الذين أوتوا العلم مِن قبله إذا يُتلى عليهم يَخرون للأذقانِ سُجداً ويقولون سبحانَ ربنا إنْ كان وعد ربنا لمفعولا ويَخرونَ لِلأذقانِ يبكونَ ويزيدُهم خشوعاً)[سورة الإسراء] قال تعالى في سورة العصر:(والعصرِ، إنّ الإنسان لَفِي خُسرٍ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ وتَواصَوا بالحقِ وتَواصَوا بالصبرِ) ففي هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للفكر الإنساني كما يريده الله عز وجل، وتبرز لنا معالم شخصية المسلم كما أرادها الخالق، فعلى امتداد الزمان في جميع العصور، وعلى طريق حياة الإنسان مع تقدم الدهر ليس هناك إلا منهج واحد، فقط يربح دائما في النهاية وطريق واحد فقط هو طريق النجاة، ذلك المنهج وذلك الطريق هما اللذان تصفهما السورة وتوضح معالمهما وكل ما وراءهما ضياع وخسارة، فالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هي أسس هذا المنهج ومعالم هذا الطريق، فمن تركها فهو من الخاسرين. هكذا بكل حسم ووضوح، هكذا وبكل إشراق المعاني وبكل دقة الألفاظ وببلاغة لا نظير لها يصل القرآن إلى قلب الفكرة، فيهدي إلى طريق التفكير الصحيح ومنهج العمل المستقيم، وهكذا دائما دأب كلمات القرآن في الوصول إلى قلب الحقائق وجوهرها من أقرب طريق وبأبلغ الألفاظ وأقلها. إنّ القرآن الكريم يجمع قلوب المسلمين على حب الواحد القهار، ويصل بين قلوبهم وبين الباقي الأزلي الذي أبدع هذا الوجود، فيعلمهم كيف يؤمنون به بالغيب دون رؤيته، ويكتفون بآثار خلقه وإبداعه على صفحة الكون الفسيح، ويعلمهم التوكل عليه في كل أمورهم، ويزرع فيهم الإيثار والتواد والتراحم والترابط، فتلتقي أرواحهم وترتقي نفوسهم وتتآلف قلوبهم برباط شفاف نسيجه حب الله والوجل من قدرته سبحانه وتعالى، نسيج متراكب من الخوف والرجاء، من رقة الشعور وعلو الهمة، إنّها معان عميقة يتشربها القلب المؤمن من آيات القرآن الكريم فتؤدي إلى نمو المجتمع المسلم نموا طبيعيا نحو القوة والنضج والتقدم المستمر. " محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معه أشِداءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم تراهمْ رُكَّعاً سُجَّداً يبتغونَ فضلا مِن اللهِ ورِضواناً سِيماهمْ فِي وُجوهِهم مِنْ أثرِ السُّجودِ ذلك مَثَلُهمْ في التَّوراةِ ومَثَلهمْ في الإنجيلِ كزرعٍ أخرجَ شَطئهُ فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقهِ يُعجِبُ الزرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكفَّارَ وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً" [سورة الفتح] كانت نتائج الأبحاث التي أجريت على مجموعة من المتطوعين في الولايات المتحدة عند استماعهم إلى القرآن الكريم مبهرة، فقد تم تسجيل أثر مهدئ لتلاوة القرآن على نسبة بلغت 97% من مجموع الحالات، ورغم وجود نسبة كبيرة من المتطوعين لا يعرفون اللغة العربية؛ إلا أنه تم رصد تغيرات فسيولوجية لا إرادية عديدة حدثت في الأجهزة العصبية لهؤلاء المتطوعين، مِمّا أدى إلى تخفيف درجة التوتر لديهم بشكل ملحوظ. ليس فقط، فلقد تمت تجربة دقيقة بعمل رسم تخطيطي للدماغ أثناء الاستماع إلى القرآن الكريم، فوجد أنه مع الاستماع إلى كتاب الله تنتقل الموجات الدماغية من النسق السريع الخاص باليقظة(13 - 12) موجة / ثانية إلى النسق البطئ (8 - 18) موجة / ثانية وهي حالة الهدوء العميق داخل النفس، وأيضا شعر غير المتحدثين بالعربية بالطمأنينة والراحة والسكينة أثناء الاستماع لآيات كتاب الله، رغم عدم فهمهم لمعانيه !! وهذا من أسرار القرآن العظيم، وقد أزاح الرسول ﷺ النقاب عن بعضها حين قال :{ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمَن عنده} رواه مسلم ..لا نظن أنّ هناك على وجه الأرض مَن ينكر أنّ القرآن يزيل أسباب التوتر، ويضفي على النفس السكينة والطمأنينة، فهل ينحصر تأثير القرآن في النفوس فقط؟ إنّ الله تعالى يقول في سورة الإسراء " ونُنُزِّلُ مِنَ القرآنِ ما هو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين" إذن فالقرآن شفاء بشكل عام كما ذكرت الآية، ولكنه شفاء ودواء للمؤمنين المتدبرين لمعاني آيات الله، المهتدين بهدى منه سبحانه وتعالى وبسنة النبي ﷺ ، أولئك المؤمنون هم الذين جاء عنهم في سورة الأنفال " إنّما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلتْ قلوبُهم وإذا تليتْ عليهم آياتُه زادتْهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلونَ، الذين يقيمون الصلاة ومِمّا رزقناهم ينفقونَ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ" وإذا تساءلنا كيف يكون القرآن شفاء للبدن؟ فإنه من المعلوم طبيا بصورة قاطعة أنّ التوتر والقلق يؤدي إلى نقص في مناعة الجسم ضد كل الأمراض، وأنّه كلما كانت الحالة النفسية والعصبية للإنسان غير مستقرة كلما كانت فرص تعرض لهجمات الأمراض أكثر، وهكذا تتضح لنا الحقيقة جلية، فالقرآن شفاء بدني كما أنه

شفاء روحي ونفسي، لأنه يعمل على إعادة توازن الجهاز النفسي والعصبي للمؤمن باستمرار قراءته والاستماع إليه وتدبر معانيه، كما ثبت عمليا أنّ سماع القرآن ـ بغض النظر عن فهمه واستيعابه ـ يؤدي إلى زيادة درجة المناعة عند الناس ، وهذا مصداق قوله تعالى " فيه شفاءٌ للناسِ " فهو يعني يؤهل جهاز المناعة لمقاومة كل الأمراض وبالتالي يزيد من مناعة جسمه ويؤمن دفاعاته الداخلية، فيصبح في أمانٍ مستمر من اختراقات المرض له بإذن الله، ويقاوم بتلك القوى النورانية المتدفقة الميكروبات والجراثيم التي تهاجم في كل لحظة جسمه بضراوة في موجات متتالية رغبة في إسقاطه في براثن المرض. ليس هذا فحسب بل لقد قضى هذا القرآن العظيم على الكثير من الأمراض المستعصية والتي حار المهرة من الأطباء في علاجها وبرئـها.

حقائق علمية: في عام 1839 اكتشف العالم ـ هنريك ويليام دوف ـ أنّ الدماغ يتأثر إيجابياً أو سلبياً لدى تعريضه لترددات صوتية محددة. فعندما قام بتعريض الأذن إلى ترددات صوتية متنوعة وجد أنّ خلايا الدماغ تتجاوب مع هذه الترددات .ثم تبين للعلماء أنّ خلايا الدماغ في حالة اهتزاز دائم طيلة فترة حياتها، وتهتز كل خلية بنظام محدد وتتأثر بالخلايا من حولها. إنّ الأحداث التي يمر بها الإنسان تترك أثرها على خلايا الدماغ حيث نلاحظ أنّ أي حدث سيء يؤدي إلى خلل في النظام الاهتزازي للخلايا لأنّ آلية عمل الخلايا في معالجة المعلومات هو الاهتزاز وإصدار حقول الكهربائية والتي من خلالها نستطيع التحدث والحركة والقيادة والتفاعل مع الآخرين . وعندما تتراكم الأحداث السلبية مثل بعض الصدمات التي يتعرض لها الإنسان في حياته وبعض المواقف المحرجة وبعض المشاكل التي تسبب

لخلايا دماغه نوعاً من الفوضى إنّ هذه الفوضى متعبة ومرهقة لأنّ المخ يقوم بعمل إضافي لا يُستفاد منه.

ويؤكد العلماء اليوم أن كل نوع من أنواع السلوك ينتج عن ذبذبة معينة للخلايا ويؤكدون أيضاً أن تعريض الإنسان إلى ذبذبات صوتية بشكل متكرر يؤدي إلى إحداث تغيير في الطريقة التي تهتز بها الخلايا، وبعبارة أخرى إحداث تغيير في ترددات الذبذبات الخلوية . فهنالك ترددات تجعل خلايا الدماغ تهتز بشكل حيوي ونشيط وإيجابي، وتزيد من الطاقة الإيجابية للخلايا وهنالك ترددات أخرى تجعل الخلايا تتأذى وقد تسبب لها الموت! ولذلك فإنّ الترددات الصحيحة هي التي تشغل بال العلماء اليوم، كيف يمكنهم معرفة ما يناسب الدماغ من ترددات صوتية؟ اكتشف العلماء أنّ شريطDNA داخل كل خلية يهتز بطريقة محددة أيضاً، وأنّ هذا الشريط المحمل بالمعلومات الضرورية للحياة، عرضة للتغيرات لدى أي حدث أو مشكلة أو فيروس أو مرض يهاجم الجسم، ويقول العلماء إنّ هذا الشريط داخل الخلايا يصبح أقل اهتزازاً لدى تعرضه للهجوم من قبل الفيروسات! والطريقة المثلى لجعل هذا الشريط يقوم بأداء عمله هي إعادة برمجة هذا الشريط من خلال التأثير عليه بأمواج صوتية محددة، ويؤكد العلماء أنه سيتفاعل مع هذه الأمواج ويبدأ بالتنشيط والاهتزاز، ولكن هنالك أمواج قد تسبب الأذى لهذا الشريط. يقوم كثير من المعالجين اليوم باستخدام الذبذبات الصوتية لعلاج أمراض السرطان والأمراض المزمنة التي عجز عنها الطب، كذلك وجدوا فوائد كثيرة لعلاج الأمراض النفسية مثل الفصام والقلق ومشاكل النوم، وكذلك لعلاج العادات السيئة مثل التدخين والإدمان على المخدرات وغير ذلك .إنّ أفضل علاج لجميع الأمراض هو القرآن ففي داخل كل خلية نظام اهتزازي أودعه الله لتقوم بعملها، فالخلايا لا تفقه لغة الكلام ولكنها تتعامل بالذبذبات والاهتزازات تماماً مثل جهاز الهاتف الجوال الذي يستقبل الموجات الكهرطيسية ويتعامل معها، ثم يقوم بإرسال موجات أخرى، وهكذا الخلايا في داخل كل خلية جهاز جوال شديد التعقيد، فهناك آلاف الملايين من خلايا دماغك تهتز معاً بتناسق لا يمكن لبشر أنْ يفهمه أو يدركه أو يقلده، ولو اختلت خلية واحدة فقط سيؤدي ذلك إلى خلل في الجسم كله! كل ذلك أعطاه الله لك لتحمده سبحانه وتعالى فهل نحن نقدر هذه النعمة العظيمة؟

<u>الآيات القرآنية تحمل الشفاء :</u> يقول العلماء اليوم وفق أحدث الاكتشافات إنّ أي مرض لا بد أنْ يحدث تغيراً في برمجة الخلايا فكل خلية تسير وفق برنامج محدد منذ أنْ خلقها الله وحتى تموت، فإذا حدث خلل نفسي أو فيزيائي فإنّ هذا الخلل يسبب فوضى في النظام الاهتزازي للخلية، وبالتالي ينشأ عن ذلك خلل في البرنامج الخلوي. ولعلاج ذلك المرض لا بد من تصحيح هذا البرنامج بأي طريقة

ممكنة. إنّ آيات القرآن تحمل وجود نظام رقمي دقيق ولكن لغة الأرقام ليست هي الوحيدة التي تحملها الآيات إنما تحمل هذه الآيات أشبه ما يمكن أنْ نسميه" برامج أو بيانات "وهذه البيانات تستطيع التعامل مع الخلايا، أي أنّ القرآن يحوي لغة الخلايا !! فآيات القرآن تحمل بيانات كثيرة، تماماً مثل موجة الراديو التي هي عبارة عن موجة عادية ولكنهم يحمّلون عليها معلومات وأصوات وموسيقى وغير ذلك . يقول تعالى: " وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا [الرعد]. لو تأملنا هذه الآية بشيء من التعمق يمكن أنْ نتساءل: كيف يمكن للقرآن أنْ يسير الجبال، أو يقطّع الأرض أي يمزقها، أو يكلم الموتى؟ إذن البيانات التي تخاطب الموتى وتفهم لغتهم موجودة في القرآن إلا أنّ الأمر لله تعالى ولا يطلع عليه إلا مَن يشاء من عباده. بالنسبة للجبال نحن نعلم اليوم أنّ ألواح الأرض تتحرك حركة بطيئة بمعدل عدة سنتمترات كل سنة وتحرك معها الجبال، وهذه الحركة ناتجة عن أمواج حرارية تولدها المنطقة المنصهرة تحت القشرة الأرضية، إذن يمكننا القول إنّ القرآن يحوي بيانات يمكن أنْ تتعامل مع هذه الأمواج الحرارية وتحركها وتهيجها فتسرع حركتها، أو تحدث شقوقاً وزلازل في الأرض أي تقطّع القشرة الأرضية وتجزّئها إلى أجزاء صغيرة، هذه القوى العملاقة يحملها القرآن، ولكن الله تعالى منعنا من الوصول إليها، ولكنه أخبرنا عن قوة القرآن لندرك عظمة هذا الكتاب، والسؤال: الكتاب الذي يتميز بهذه القوى الخارقة، ألا يستطيع شفاء مخلوق ضعيف من المرض؟؟ ولذلك فإنّ الله تعالى عندما يخبرنا أن ْالقرآن شفاء فهذا يعني أنه يحمل البيانات والبرامج الكافية لعلاج الخلايا المتضررة في الجسم، بل لعلاج ما عجز الأطباء عن شفائه .
إنّ صوت القرآن هو عبارة عن أمواج صوتية لها تردد محدد، وطول موجة محدد، وهذه الأمواج تنشر حقولاً اهتزازية تؤثر على خلايا الدماغ وتحقق إعادة التوازن لها مما يمنحها مناعة كبيرة في مقاومة الأمراض بما فيها السرطان، إذ أن ما هو إلا خلل في عمل الخلايا، والتأثير بسماع القرآن على هذه الخلايا يعيد برمجتها من جديد وكأننا أمام كمبيوتر مليء بالفيروسات ثم قمنا بعملية إدخال برامج جديدة فيصبح أداؤه عاليا، هذا يتعلق ببرامجنا نحن البشر فكيف بالبرامج التي يحملها كلام خالق البشر سبحانه وتعالى؟
<u>التأثير المذهل لسماع القرآن:</u> إنّ السماع المتكرر للآيات يعطي الفوائد التالية والمؤكدة - :زيادة في مناعة الجسم - .زيادة في القدرة على الإبداع - .زيادة القدرة على التركيز - .علاج أمراض مزمنة ومستعصية - .تغيير ملموس في السلوك والقدرة على التعامل مع الآخرين وكسب ثقتهم - .الهدوء النفسي وعلاج التوتر العصبي - .علاج الانفعالات والغضب وسرعة التهور - .القدرة على اتخاذ القرارات السليمة - .سوف تنسى أي شيء له علاقة بالخوف أو التردد أو القلق - .تطوير الشخصية والحصول على شخصية أقوى - . علاج لكثير من الأمراض العادية مثل التحسس والرشح والزكام والصداع - .تحسن القدرة على النطق وسرعة الكلام - .وقاية من أمراض خبيثة كالسرطان وغيره - .تغير في العادات السيئة مثل الإفراط في الطعام وترك الدخان.

<u>ومن الحالات التي عالجها [كتاب الله] وشفت تماما بإذن الله:</u> مرض السرطان ـ سرطان الكبد ـ سرطان الدم ـ الفشل الكلوي ـ نزيف الدماغ ـالأمراض الجلدية ـ الشلل الكامل ـ الإجهاض ـ العقم وغيرها كثير. ومن نماذج ووقائع المعالجين بالرقية الشرعية ما يلي:
1- رجل كان مصابا بمرض السرطان لم يجد علاجا له في المملكة فاضطر للذهاب إلى أمريكا وكان معه أخوه وبعد فحصه قال الطبيب لمرافقه: أنّه لا يمكن علاج هذا المرض فقد استفحل وسيبقي على هذه الحال حتى يموت. وفي الليل تذكر أخوه المرافق قوله تعالى: " وإذا مرضتُ فهو يَشفينِ " فأخذ يقرأ عليه طوال الليل ما استطاع من سورة الفاتحة حتى سورة الناس وبعدها نام فلما جاء الغد وجد أخاه بدأ يتحسن فأعاد عليه القراءة مرة أخرى كما فعل في المرة الأولى وبدأ التحسن واضحا فكرر عليه القراءة عدة مرات ثم أعاد عليه الفحص مرة أخرى وبعد الفحص قال الطبيب لأخيه مستغربا: هل هذا المريض الذي فحصناه في المرة السابقة؟! أجابه : نعم.. فقد شفي هذا الرجل بتوفيق من الله ثم بقراءة القرآن الكريم عليه.
2 ـ شاب في التاسعة عشر من عمره أصيب فجأة بنزيف في الدماغ وأجريت له عملية جراحية وكانت ناجحة لكنه لم يفق، وبقي على هذه الحالة مدة شهر فأحضر له والده شيخا يقرأ عليه فأفاق قليلا فواصل القراءة فتكلم ومع الاستمرار في القراءة تحرك ومشى وشفي.

3 - رجل تزوج بامرأة وعاشا 16 عاما لم يرزقا بولد، مع أنّ التحاليل أثبتت أنه لا يوجد لديهما مانع من الإنجاب لكن تلك إرادة الله. ستة عشر عاما وهما يلهثان وراء الأطباء بحثا عن العلاج ولكن لم يفد ذلك شيئا، وأخيرا فكرا في العلاج بالرقية الشرعية فتوجها إلى شيخ يعالج بالقرآن فقرأ عليهما، وبعد شهرين من ذلك حملت الزوجة ورزقا بتوءم، ذكر وأنثى.

الرقية الشرعية { القرآن الكريم والأدعية النبوية} : اعلم أنّ كتاب الله كله شفاء قال تعالى: " ونُنَزِّلُ مِنَ القرآنِ ماهو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ" ومن آيات الشفاء الكريمة ما يلي: سورة الفاتحة، من سورة البقرة(1 :5،102 ،164، 165، 255 :257، 286:284) من سورة آل عمران(1: 5،18 ،26، 27،173,85 ،174) من سورة الأنعام الآية 17، من سورة الأعراف (54:56،117:119) من سورة يونس(82:97) من سورة الإسراء الآية 82، من سورة الكهف الآية 39، من سورة طه(65:69)، من سورة المؤمنون(115:118) من سورة يس(1:9) من سورة الصافات(1:10) من سورة غافر(1:3) من سورة الأحقاف(29:32) من سورة الرحمن(31:35) من سورة الحشر(21:24) من سورة الملك(1:4) من سورة القلم الآيتان(51،52) من سورة الجن (1:9)، وسور الكافرون والإخلاص والفلق والناس. ومن الطب النبوي ما يلى: ** ضع يدك اليمنى على مكان الألم وقل: بسم الله (ثلاثا) ثم قل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر(7 مرات).

** اللهم رب الناس اذهب البأس اشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر شقما.

** أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أنْ يشفيني(7 مرات).

**باسم الله أرقي نفسي من كل شيء يؤذيني، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيني، باسم الله أرقي نفسي.

** أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

** باسم الله الكبير، نعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار.[لعلاج الصداع والحمى]

**أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأنْ يحضرون .

** أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن.

** اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوارة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر وليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء.

** ضع إصبعك [السبابة] في الأرض ثم ارفعها وقل باسم الله تربة ربنا بريقة بعضنا يشفي به سقمنا بإذن ربنا.

** أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

** ياحليم يا كريم اشفيني.

** باسم الله يبريني من كل داء يشفيني.

** ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض واغفر لنا حوبنا [أي ذنبنا العظيم] وخطايانا أنت رب الطيبين أنزلْ رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع.

** اللهم ذو السلطان العظيم والمَنِّ القديم ذو الوجه الكريم، ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات اللهم اشفني من أنفس الجن وأعين الإنس. آمين وصلى الله على نبينا وآله أجمعين.

طرق استعمال الرقية الشرعية:

** تقرأ الرقية مع النفث ومسح موضع الألم باليد اليمنى{ النفث: نفخ لطيف بلا ريق}

** أو تقرأ في ماء مع النفث ثم يشرب منه المريض بأي مرض كان ويصب عليه الباقي.

** أو تقرأ الرقية في زيت ويدهن به المريض. [اقرأها بنفسك أو تقرأ عليك أفضل الراقين شيخ صالح]

** أو تكتب في ورقة ثم توضع في ماء يشربه المريض.

****

تأثير القرآن على النبات: هناك دراسة أخرى أجريت في مصر على النباتات، أحضرت خمس نبتات قمح، واحدة وضع جنبها مسجل لتلاوة قرآنية وواحدة كلام عربي عادي وواحدة بقت على حالها ولم يوضع أمامها أي شئ، وواحدة موسيقى، وواحدة وضعت جنبها كلمات شتم وسب للنبات، فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أنّ التي شُتِمَت ماتت وأنْ التي سمعت موسيقى انتعشت قليلا، أمّا تلك التي لم يوضع أمامها أي شئ كان نموها عادي والتي استمعت إلى الكلام العربي نمت زيادة قليلة عن التي لم يوضع بجانبها شئ، أما التي استمعت إلى القرآن فقد زادت 70 % عن باقي النباتات .

****

البكاء من خشية الله

البكاء هو مظهر من مظاهر انفعال النفس الإنسانية كما إنّه أي البكاء فطرة بشرية كما ذكر أهل التفسير، فقد قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى: (وإنّه هو أضْحَكَ وأبْكَى) [سورة النجم] " أي قضى أسباب الضحك والبكاء. وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ لأنّ الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء... ولقد ذكر القرآن البكاء في عدة مواضع فمدح البكائيين من معرفة الله وخشيته كقوله تعالى: (ويَخرونَ للأذقانِ يبكونَ)[سورة الإسراء] هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم؛ وحُقَّ لكل مَن توسم بالعلم وحصل منه، بل إنّ القرآن لام مَن يسمعون القرآن ولا يبكون مقرين بذنوبهم، وكذلك قوله تعالى:(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسولِ

ترى أعينَهم تفيضُ مِنَ الدمع مِمّا عرفوا مِنَ الحقِّ يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[سورة المائدة]:قال تعالى: (أفَمِنْ هذا الحديثِ تعجبونَ وتضحكونَ ولا تبكونَ)[سورة النجم] : قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري في تأويل" لا تبكون" مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله؛ وأنتم من أهل معاصيه، " وأنتم سامدون" يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر،معرضون عن آياته! كما روى البخاري في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: { سبعة يظلهم الله في ظله...} وفيه { ورجل ذكر الله ففاضت عيناه} ، وفي أبواب المساجد {ذكر الله خالياً}.قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد ورد في البكاء من خشية الله على وفق لفظ الترجمة حديث أبي ريحانة رفعه { حرمت النار على عين بكت من خشية الله} الحديث أخرجه أحمد والنسائي وصححه الحاكم، وللترمذي نحوه عن ابن عباس ولفظه { لا تمسها النار} وقال: حسن غريب، وعن أنس نحوه عند أبي يعلى، وعن أبي هريرة بلفظ {لا يلج النارَ رجلٌ بكى من خشية الله} الحديث وصححه الترمذي والحاكم.

وقال تعالى: (وإذا سمعوا ما أُنزِلَ إلى الرسول ترى أعينَهم تفيضُ من الدمع مِمَّا عرفوا من الحق) ، هذه أحوال العلماء .. كما قال تعالى : (اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتشابهاً مَثانِيَ تقشَعِرُّ منه جلودُ الذين يخشونَ ربَّهم ثم تلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذِكرِ الله)[سورة الزمر] .وقال: (إنّما المؤمنونَ الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم)[سورة الأنفال] وقوله تعالى: (ويَخرونَ للأذقانِ يبكونَ ويزيدُهم خشوعاً)[سورة الإسراء]. يقول تعالى: ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم ـ من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان ـ إذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون؛ ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا؛ يعني خضوعا لأمر الله وطاعته، واستكانة له. وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (ويخرون للأذقان يبكون)[سورة الإسراء] : أي خضوعا لله عز وجل، وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله وأورد حديث أسامة بن زيد الذي رواه الشيخان: أنّ رسول الله ﷺرفع إليه ابن ابنته وهو في الموت؛ ففاضت عينا رسول الله ﷺ؛ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال :{ هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده؛ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء}.وذكر حديث أنس عند البخاري ـ وشاركه مسلم في بعضه ـ أنّ رسول اللهﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه، وهو يجود بنفسه؛ فجعلت عينا رسول اللهﷺ تذرفان؛ فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال: إنّ العين تدمع، والقلب يحزن؛ ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون. وقد قال ابن كثير في تفسيرقوله تعالى " وإذا تتلى عليهم آياتُ الرحمنِ خرُّوا سُجداً وبُكِياً" [سورة مريم] سجدوا لربهم؛ خضوعا واستكانة وحمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة... فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا؛ إقتداء بهم، وإتباعا لمنوالهم. من تلك الآيات والأحاديث يتبين لنا أنّ الإسلام قد رغب في البكاء من خشية الله تعالى وحبب فيه كتعبير عن مظهر من مظاهر الخوف والخشية لله عز وجل.

<u>فوائد البكاء الصحية</u>: فوائد البكاء، وعملها في الإنسان من الناحية الفيزيولوجية فهي محط نقاش واكتشاف، وأما من الناحية النفسية فهي جلاء للهموم والتماس للراحة ورقة للقلب ونقاوة للنفس وهي بالنهاية ملجأ كل مصاب يسلو إليها ويرى عزاءه فيها.

يقول الدكتور عادل الشافعي: البكاء هو نعمة من الله. لأنه أصدق تعبير عن المشاعر الإنسانية فالطفل الصغير يبكي فنلبي حاجته وهنا البكاء أداة تعبير وحيدة تعوضه عن الكلام والحركة حتى يتمكن من التواصل مع الآخرين. أما بالنسبة للكبار فالأمر يختلف. عندما نحزن نبكي. وعندما نفرح نبكي.. فما هو البكاء؟ من الناحية الطبية هو خروج ما تفرزه الغدد الدمعية لوسط العين ويصاحبه سيلان مائي بالأنف والبلعوم وتقلص للعضلات العينية مع قبض عضلات الوجه والبطن وارتفاع بالحجاب الحاجز.وأحيانا يرافقه سعال خفيف. هذا ما يحدث للجسم فهل له فائدة طبية.. نعم ـ البكاء كالمطر؛ لأن البكاء يحدث نتيجة شحن العواطف بالانفعالات النفسية فتعمل على حث المراكز السمباثوية بالجهاز العصبي فترسل إشارات للغدد الدمعية بالتحضير والانقباض وارتخاء القنوات الدمعية فتندفع الدموع خارج الغدة للعين فتغسلها وتنقيها تماما من أي ميكروبات أو إفرازات أخرى وبعض من هذه الدموع يصل للأنف عن طريق قناة توصل بينهم مما يساعد على تطهير الأنف ونزول السائل منها فالسائل الدمعي يحتوي على سائل نقي به بعض الأملاح والمواد التي تفرز من الغدد الدمعية لذا فهو ذو طعم مالح قليلا مما يساعده على تعقيم العين والملتحمة . وهذا ما يحدث للمطر حين تحتقن السماء بالغيوم والسحاب فتأتي الرياح فتحركها ليسقط المطر الذي يغسل الأشجار والطرق وكل ما على الأرض فترى الأماكن كأنها غُسلت من جديد .. هذا ما يحدث للإنسان بعد البكاء يستلقي ويهدأ ويبدأ من جديد . ويضيف أما من الناحية النفسية ؛ فالبكاء المخرج الأفضل لكل التوترات النفسية والانفعالات لأنه لو أخفى الإنسان هذه التغيرات النفسية والعصبية بداعي الرجولة والخوف من الضعف أمام الآخرين أو الشعور بالانهزامية . فهنا تكمن الخطورة . حيث سيعاني من العقد والمشكلات التي يزخر بها الطب النفسي ، حيث سيؤدي ذلك لارتفاع ضغط الدم المنتشر كثيرا هذه الأيام وربما لإظهار داء السكري إذا كانت عنده ميول أو تاريخ أسري للسكري . كذلك حبس البكاء والمشاعر كثيرا ما يؤدي إلى تقرح بالمعدة وأمراض القولون العصبي ولهذا نجد أنّ النساء وهن أكثر قدرة على البكاء بسبب الاختلاف الفسيولوجي والهرموني عن الرجال ولأن البكاء ربما يكون مظهرا مقبولا من السيدة كتعبير عن الرقة أو الضعف أو الشفافية لهذا نجد أنهن أقل عرضة لكثير من الأمراض التي تنجم عن عدم البكاء . لذلك علينا ألا نحرم أنفسنا رجالا ونساء من البكاء إن طاب لنا ترطيبا للنفس وحرصا على الصحة حتى ولو من وراء حجاب .

<u>حماية القرنية :</u> ومن جهته يقول الدكتور سمير جمال (طبيب عيون) : لا يشكل البكاء غسولا للعين فقط وإنما للنفس أيضا ولفهم فوائد البكاء بتفصيل أكبر لابد من التحدث قليلا عن ماهية الدمع ووظائفه حيث أنه يشكل المادة الأساسية للبكاء وهو سائل كالبلازما الدموية دون وجود كريات دم وهو غني بالبوتاسيوم (أربعة أضعاف تركيزه في الدم) ويحتوي على عناصر مناعية دفاعية وهي الجلوبيولينات المناعية وخاصة (IGA200 ملغ/ ل) وكذلك IGM و IGE ودورها معروف في الدفاع عن الجسم ضد الأخطار الخارجية كالجراثيم والفيروسات وكذلك على خميرة أنزيم الليزوزيم (15جرام / لتر) وهي خميرة ذات قدرة كبيرة مضادة للبكتيريا

وذلك بحلها للغلاف الخلوي لبعض الجراثيم " موجبة الجرام " لاحتوائها على مورامينيدايز . وكذلك يحتوي الدمع على اللاكتوفيرين وهي مادة بروتينية ذات خاصية جذب عالية لعنصر الحديد الضروري لنمو البكتيريا ، وبالتالي تلعب دورا أساسيا في مقاومة البكتيريا وكذلك دورا في تعديل الجذور الحرة وخاصة جذر الهيدروكسي الضار لخلايا الجسم وأيضا تلعب دورا مثبطا للمتممة وهذا يمنح الدمع دورا مضادا للالتهابات أيضا . وكذلك الشوارد المغذية الأخرى والأوكسجين والجلوكوز. والإفراز الدمعي نوعان أساسيان يمثلهما الشريط الدمعي(بسمك8 ميكرونات) المؤلف من ثلاث طبقات من الخارج إلى الداخل، دهنية.. مائية.. مخاطية ويلعب رفيف الأجفان دورا أساسيا في تكوينه ويفرز من قبل غدد الدمع الملحقة بالأجفان وهو ثابت وموجود دائما لحماية القرنية والملتحمة.والنوع الثاني للإفراز الدمعي هو الانعكاسي وهو ناجم عن إفراز مائي غزير للغدة الدمعية الأساسية وذلك بتنبيه العصب الدمعي المفرز للغدة الوارد عن طريق العصب السابع، ويجري الدمع من الزاوية أعلى وخارج العين(اللحاظ) إلى الزاوية الداخلية(الموق) حيث يزول ثلاثة أرباعه عن طريق نقطتين صغيرتين في الأجفان نحو قنيتين دمعيتين فكيس الدمع ثم القناة الدمعية الأنفية نحو تجويف الأنف بآلية فاعلة لوجود مضخة ماصة للدمع... ويواصل: أما ربع الدمع فيطرح عن طريق التبخر وفي الحالة الطبيعية تستوعب العين الرتوج الملتحمة وسطح القرنية الملتحمة والطرق المفرغة بحدود(30 ميكرولترات) من الدمع وكل ما يزيد على ذلك يفيض ويسيل خارج الأجفان وهو ما نسميه بالدماغ، وهذا ما يخلص العين من الأجسام العالقة كالغبار في حال تخريشها، إذن نستطيع أن نلخص فوائد الدمع بأشكال الحماية المختلفة التي يؤمنها للعين كالحماية الميكانيكية والبصرية وهو يشكل حاجزا مقاوما وسطحا انزلاقيا ممتاز أو مرطبا دائما للعين وحافظا للحرارة السطحية يحميها من الجفاف ويؤمن سطحها بصريا منتظما. وبوجود المخاطية في الشريط الدمعي يلتقط الجزيئات الغريبة والبكتيريا العالقة حيث يؤمن رفيف الأجفان طرحها خارجا، ومن الحمايات أيضا حماية مضادة للبكتيريا وحماية فيزيائية بتغيير درجة حمض الدمع مما يجعلها وسطا غير ملائم لنمو الجراثيم الممرضة وحماية كيميائية كوجود عناصر ليزوزيم والاكتوفيرين معدلة الديفانات المفرزة من قبل بعض الجراثيم، وحماية مناعية دفاعية وحماية علاجية، حيث يشكل الشريط الدمعي وسطا ممتازا لاستقبال الأدوية الموضعية وحماية غذائية حيث يغذي القرنية والملتحمة باستمرار فهو وسط تبادلي فعال للاوكسجين والجللوكوز والشوارد وبقية العناصر. ونجد مما سبق أنّ للدمع فوائد جمة بشكليه الأساسي والانعكاسي كحال البكاء والضحك أو أية شدة نفسية وما فاض الدمع لأي سبب إلا كان عاملا مهما يخلص العين ليس فقط من السموم ولكنه يساعد البدن أيضا على طرح سمومه وبالتالي راحة النفس ويبقي الضحك خير من البكاء.

<u>بكاء الأحشاء</u>: ويقول الدكتور عدنان فضلي استشاري الطب النفسي: نعم، نحن ننصح المريض أو أي فرد يتعرض لمواقف محزنة أو مؤلمة أنْ يعبر عن شعوره بالبكاء، فمن خلال البكاء يشعر الإنسان بالارتياح من ثقل يتعب كاهله، وإنّ الكبت قد يؤدي إلى نتائج وخيمة والمصابون بالاكتئاب هم أكثر الناس عرضة للبكاء حيث يجد المريض متنفسا لهمومه، غير أنه في حالات الاكتئاب الشديدة تستعصي الدموع حيث يتمنى المريض لو أنه يستطيع البكاء.. حتما إنّ البكاء يخفف من حدة التوتر والضغوط النفسية والنساء هن أسرع في البكاء من الرجال بحكم تكوينهن البيولوجي، فكثير من الرجال "يبكون بصمت"! فطالما سألت رجالا يعانون من الاكتئاب، هل تنتابهم نوبات بكاء فيجيبوا بإباء وشمم كما يقولون" عيب على الرجل أنْ يبكي"! عندما فجعت شاعرتنا العربية الخنساء بأخيها صخر ملأت الدنيا صراخا وبكاء، وهي التي قالت لولا هذا البكاء سواء منفردة أو مع الآخرين لحاولت الانتحار!! ومن الناس ممن يتألمون أو يحزنون يلجأون لتناول المهدئات أو الخمر للتغلب على مظاهر الأسى والحزن وهذا النوع من الكبت، والذي قد يظهر فيما بعد على شكل اضطراب نفسي شديد ولو بعد حين، إن كبت مشاعر الحزن وعدم التعبير عنها قد يؤدي إلى ظهور مجموعة من الأمراض العضوية كتقرح الأمعاء أو قرحة المعدة، وذلك بسبب التوترات والضغوط المتواصلة ويمكن تلخيصها بمقولة أحد الأطباء النفسانيين: إن الدموع التي لا تجد لها منفذا من العيون تجعل الأحشاء تبكي!! ويقول الدكتور يوسف عبدالفتاح طبيب نفسي: بكاء الأطفال أحد مظاهر الطفولة النمائية فقد ارتبط البكاء بالطفولة، حيث شاع القول لمن يبكي من الكبار أنه يبكي مثل الأطفال. ويؤدي البكاء وظيفة سيكولوجية مهمة بالنسبة للطفل فهو بمثابة التنفيس الانفعالي والتعبير السلوكي عن مشاعر الغضب أو الحزن أو الرفض لما يتعرض له ويشعر به وهذا أمر لازم وضروري لإخراج هذه الطاقة الانفعالية المكبوتة ، ويرى علماء النفس أنّ البكاء شأنه شأن سلوكيات أخرى تستخدم للتنفيس الانفعالي أو تفريغ الشحنة الانفعالية الكامنة في الشخصية فالبكاء والصياح والصوت الحاد المرتفع وتخريب الألعاب أو الممتلكات والتململ كلها وسائل تعبيرية عن حالة انفعالية مرتبطة بالغضب أو الحزن ولما كان الإحباط الذي يتعرض له الطفل يولد شحنة نفسية عدوانية فإن البكاء يُعد بمثابة التعبير عن هذه الشحنة والتخلص منها ، وكف البكاء أو عدم البكاء قد يكون مؤشرا لكبت هذه الشحنة الانفعالية في النفس ، وقد تنتقل إلى اللاشعور حيث ينساها الطفل لكنها لا تختفي تماما وتبقى لتعبر عن نفسها في الكبر بأساليب رمزية أو مرضية كالقلق والعدوان المدمر الظاهر كلما أتيحت الفرصة للطفل .

وقد وُجد حديثا أنّ هناك علاقة وثيقة بين الوظائف الفسيولوجية والسيكولوجية للانفعالات عموما ، ووسائل التعبير عنها سواء بالبكاء أو غيره من الأساليب ، فقد تبين مثلا إن البكاء ينشط الغدد الدمعية ويغسل مقلة العين ويطهرها ويقلل من الضغط الذي نتعرض له ، كما تبين أنه يؤثر على الأجهزة الفسيولوجية الأخرى مثل الشرايين والأعصاب التي تصبح متوترة في حالة الانفعال ، كما تزداد ضربات القلب ومعدل النبض والتعرق ويزيد إفراز الأدرينالين من الكليتين ، وهي من المؤشرات الفسيولوجية للقلق والاضطراب الانفعالي لدى الطفل الذي لاتلبث أنْ تخف حدتها بعد نوبة البكاء وتفريغ الطاقة والشحنة الانفعالية التي لدى الطفل ، لذلك يجب ألا ينزعج الآباء والأمهات من بكاء أطفالهم باعتباره أحد وسائل التنفيس كما ذكرنا وبالتعلم الاجتماعي تقل نوبات البكاء لدى الطفل حين يعرف أنّ البكاء وحده ليس كافيا لتحقيق ما يريد وتغيير العالم المحيط به .

****

الصوم ضرورة حيوية

لم يعد هناك أي شك لدى الباحثين المنصفين من أنّ الصوم هو ضرورة من ضرورات الحياة . وقد أثبتت الحقائق التاريخية والدينية والعلمية هذه المقولة . لقد عرف الإنسان الصوم ومارسه منذ فجر البشرية . وأقدم الوثائق التاريخية ما نقش في معابد الفراعنة وما كتب في أوراق البردي من أنّ المصريين القدماء مارسوا الصوم وخاصة أيام الفتن حسب ما تمليه شعائرهم الدينية . وللهنود والبراهمة والبوذيين تقاليدهم الخاصة في الصوم حددتها كتبهم المقدسة . ولعل أبو قراط – القرن الخامس قبل الميلاد – أول من قام بتدوين طرق الصيام وأهميته العلاجية . وفي عهد البطالسة كان أطباء الإسكندرية ينصحون مرضاهم بالصوم تعجيلا للشفاء .

كما أنّ كافة الأديان السماوية قد فرضت الصيام على أتباعها . كما يتبين لنا من النص القرآني فيقول تعالى (ياأيُّها الذين آمَنوا كُتِبَ عليكمُ الصيامُ كما كُتِبَ على الذين مِن قبلكم)[سورة البقرة] . والحقيقة أنّ الإنسان لا يصوم بمفرده ، فقد تبين لعلماء الطبيعة أنّ جميع المخلوقات الحية تمر بفترة صوم اختياري مهما توفر الغذاء من حولها ، فالحيوانات تصوم وتحجز نفسها أياما وربما شهورا متوالية في جحورها تمتنع فيها عن الحركة والطعام ، والطيور والأسماك والحشرات كلها تصوم . إذ أنّ من المعروف تماما أنّ كل حشرة تمر أثناء تطورها بمرحلة الشرنقة التي تصوم فيها تماما تكون معتزلة ضمن شرنقتها . وقد لاحظ العلماء أنّ هذه المخلوقات تخرج من فترة صيامها هذه وهي أكثر نشاطا وحيوية . كما أنّ معظمها يزداد نموا وصحة بعد فترة الصوم هذه . ويعتبر العلماء الصوم ظاهرة حيوية فطرية لا تستمر الحياة السوية والصحة الكاملة بدونها . وإنّ أي مخلوق لابد وأنْ يصاب بالأمراض التي يعاف فيها الطعام إذا لم يصم من تلقاء نفسه ، وهنا تتجلى المعجزة الإلهية بتشريع هذه العبادة . فالصيام يساعد على التكيف مع أقل ما يمكن من الغذاء مع مزاولة حياة طبيعية ، كما أن العلوم الطبية العصرية أثبتت أن الصوم وقاية وشفاء لكثير من أخطر أمراض العصر ؟ فمع قلة كمية الطعام الوارد إلى الأمعاء ، يقل ضغط البطن على الصدر ، فينتظم التنفس ويعمل بصورة أكثر راحة وانسجاما ، إذ تتمدد الرئتان دون عوائق ، ويقل العبء الملقى على القلب فتقل ضرباته لعدم الحاجة إلى بذل ذلك الجهد الكبير لدفع الدم إلى الجهاز الهضمي للعمل على هضم تلك الكميات الهائلة من الطعام . وقبل كل شيء فإن الجهاز الهضمي يحصل على الراحة اللازمة لتجديد أنسجته التالفة ، وحيويته التامة ، كما أن قلة نواتج التمثيل الغذائي وفضلاته تسمح بفترة راحة لجهاز الإفراغ الكلي تجدد بها نشاطها وتجبر ضعفها ، وبذا يكون الصوم فرصة ذهبية للعضوية لاستعادة توازنها الحيوي وتجديد نفسها . وقد أكد البروفسور ـ نيكولايف بيلوي ـ من موسكو في كتابه (الجوع من أجل الصحة)1976 : أنَّ على كل إنسان وخاصة سكان المدن الكبرى أنْ يمارس الصوم بالامتناع عن الطعام لمدة 3-4 أسابيع كل سنة كي يتمتع بالصحة الكاملة طيلة حياته . أما ـ ماك فادون ـ من علماء الصحة الأمريكيين فيقول : إنّ كل إنسان يحتاج إلى الصوم وإنْ لم يكن مريضا لأنّ سموم الأغذية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض فتثقله ويقل نشاطه فإذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه وتذهب عنه حتى يصفو صفاء تاما ويستطيع أنْ يسترد وزنه ويجدد خلاياه في مدة لا تزيد عن 20 يوما بعد الإفطار . لكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل .

وقد كان ـ ماك فادون ـ يعالج مرضاه بالصوم وخاصة المصابين بأمراض المعدة وكان يقول : فالصوم لها مثل العصا السحرية ، يسارع في شفائها ، وتليها أمراض الدم والعروق فالروماتيزم .... أما ـ الكسيس كاريل ـ الحائز على جائزة نوبل في الطب فيقول في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) : إنّ كثرة وجبات الطعام ووفرتها تعطل وظيفة أدت دورا عظيما في بقاء الأجناس الحيوانية وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام ، ولذلك كان الناس يصومون على مر العصور ، وإنّ الأديان كافة لاتفتأ تدعو الناس إلى وجوب الصيام والحرمان من الطعام لفترات محدودة ، إذ يحدث في أول الأمر شعور بالجوع ويحدث أحيانا تهيج عصبي ثم يعقب ذلك شعور بالضعف، بيد أنه يحدث إلى جانب ذلك ظواهر خفية أهم بكثير، فإنّ سكر الكبد يتحرك ويتحرك معه أيضا الدهن المخزون تحت الجلد. وتضحي جميع الأعضاء بمادتها الخاصة من أجل الإبقاء على كمال الوسط الداخلي وسلامة القلب. وإنّ الصوم لينظف ويبدل أنسجتنا، والصوم الذي يقول به كاريل يطابق تماما الصوم الإسلامي من حيث الإمساك فهو يغير من نظام الوجبات الغذائية ويقلل كميتها. وقد سئل أحد المعمرين وهو ـ ميشيل أنجلو ـ عن سر صحته الجيدة وتمتعه بنشاط غير عادي بعد أنْ تجاوز الستين من عمره فقال: إنّ السبب في احتفاظي بالصحة والقوة والنشاط إلى اليوم هو أني كنت أمارس الصوم من حين لآخر؟ ويرى الدكتور ـ محمد سعيد السيوطي ـ أنّ الصيام الحق يمنع تراكم المواد السمية الضارة كحمض البول والبولة وفوسفات الأمونياك والمنغنيزا في الدم وما تؤهب إليه من تراكمات مؤذية في المفاصل، الكلى الحصى البولية ويقي من داء الملوك النقرس وينقل أبحاث الغرب أنّ الصيام ليوم واحد يطهر الجسم من فضلات عشرة أيام، وهكذا فإنّ شهر الصيام يطهر الجسم من فضلات وسموم عشرة أشهر على الأقل. ومن هنا نرى الحكمة من أنّ النبي ﷺ أمر بصيام ستة أيام من شوال، وحتى تكتمل عملية التنظيف، وأردفه بأيام معدودات من كل شهر لكمال الحيطة. يقولﷺ :{ مَن صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كصوم الدهر} [رواه الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري]. ويكتب الدكتور ـ إبراهيم الراوي ـ عن أثر الصيام على القدرات الفكرية عند الإنسان: يؤثر الصيام في تنشيط الخلايا الدماغية التي تضاعف حيويتها لتوقف نشاط الجهاز الهضمي فيندفع الدم بغزارة إلى أنسجة المخ لتغذية تلافيفه، وتزويد الحجر الدماغية بالغذاء الأمثل لعملها. نعم ، إنّ المخ البشري يحتوي على 15 ألف مليون خلية ألهمتها القدرة الإلهية قابليات خارقة على التفكير والتعمق في المسائل المعقدة وحلها وتزداد هذه القابليات مع زيادة ورود الدم إليها . وهكذا نرى أصحاب العقول المفكرة يصومون كل فترة لتجديد نشاط أدمغتهم . ويتفق الباحثون على أهمية الصوم الحيوية من ناحية أنّ تخزين المواد الضرورية في البدن من فيتامينات وحوامض أمينية يجب ألا يستمر زمنا طويلا ، فهي مواد تفقد حيويتها مع طول مدة التخزين . لذا يجب إخراجها من (المخزن) ومِن ثم استخدامها قبل أنْ تفسد . وهكذا فإنّ الجسم بحاجة من فترة لأخرى إلى فرصة لإخراج مخزونه من المواد الحيوية قبل تفككها وتلفها . وهذه الفرصة لا تتاح إلا في الصوم ، وبالصوم وحده يتمكن الجسم من تحريك مخزونه الحيوي واستهلاكه قبل فوات آوانه ، ومن ثم يقوم بتجديده بعد الإفطار . وقد بين ـ ألن سوري ـ قيمة الصوم في تجديد حيوية

الجسم ونشاطه ولو كان في حالة المرض ، وأورد حالات عدد من المسنين ، تجاوزت أعمارهم السبعين ، استطاعوا بفضل الصوم استرجاع نشاطهم وحيويتهم الجسمانية والنفسانية حتى أنّ عددا منهم استطاع العودة إلى مزاولة عمله الصناعي أو الزراعي كما كان يفعل في السابق نسبيا .

لمحة عن الصيام : الصيام هو حرمان البدن من المواد الغذائية ليوم أو أكثر . وقد دلت التجارب على أنّ حرمان الماء أشد تأثيرا من حرمان الغذاء ، فالإنسان يعيش حوالي 40 يوما إذا أعطي الماء فقط . ويحصل الجسم على الطاقة أثناء الصيام من مدخراته السكرية أولا والتي تكون على شكل غليكوجين مدخرة في الكبد والعضلات . وهذه تصرف خلال الفترات الأولى من الصيام . وبعد ذلك يلجأ البدن إلى مدخراته الشحمية ، إلا أنه لا يستهلك الداخل منها في تركيب الخلايا الأساسية مطلقا مهما طال أمد الصيام ، ثم يعمد الجسم بعد ذلك إلى تجميع المواد الناجمة عن هذه العملية ويعيد استعمالها لاستخراج الطاقة ولصيانة الأعضاء والأنسجة الحيوية أثناء الصوم . وفي الصيام المديد ، وبعد أنْ يستهلك البدن مدخراته من الغليوكوجين والشحوم ، عند ذلك يلجأ إلى أكسدة المواد البروتينية ويحولها إلى سكر لتأمين ما يلزمه من الطاقة ، وهذا يعني تخريبه للنسج البروتينية المكونة للحم العضلات وما يلحق من جراء ذلك من أذى بيّن يلحق الأعضاء المعنية (ويدعو العلماء عملية إذابة المدخرات الدهنية ومن ثم بروتينات الجسم بعملية الانحلال الذاتي ويستخدم فيها البدن العديد من الخمائر). وإنّ الحرمان الشديد يؤدي إلى ظهور اضطرابات غذائية عصبية في الدماغ المتوسط مما يؤثر على الغدد الصم وعلى السلوك والانفعال النفسي . ومن هنا نرى أهمية كون الصيام الإسلامي مؤقتا من الفجر إلى الغروب دون تحريم لنوع ما من الأغذية مع طلب الاعتدال وعدم الإسراف في الطعام في فترة الإفطار . وقد سجل - درينيك و مساعدوه - 1964- عددا من المضاعفات الخطيرة من جرّاء استمرار الصيام لأكثر من 31 – 40 يوما . وتتضح هنا المعجزة النبوية بالنهي عن الوصال في الصوم . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : { إياكم والوصال قالها ثلاث مرات . قالوا فإنك تواصل يا رسول الله قال : إنكم لستم في ذلك مثلي ، إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني } رواه الشيخان وقد غضب رسول الله ﷺعندما بلغه أنّ بعض المسلمين قرروا اعتزال النساء وصوم الدهر فقال : { أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمَن رغِب عن سنتي فليس مني } رواه البخاري ومسلم . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيﷺ قال : { بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل فإنّ لجسدك عليك حقا ، صم وأفطر ، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر ، قلت : يا رسول الله إنّ لي قوة ، قال : صُمْ صوم داود عليه السلام ، صم يوما وأفطر يوما ، فكان يقول : ياليتني أخذت بالرخصة . } رواه البخاري ومسلم

صوموا تصحوا :_عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : {.. صوموا تصحوا .. } يقول صاحب الظلال في معرض تفسيره لآيات الصوم : .. وذلك كله إلى جانب ما ينكشف على مدار الزمن من آثار نافعة للصيام في وظائف الأبدان ، ومع أنني لا أميل إلى تعليق الفرائض والتوجيهات الإلهية بما يظهر للعين من فوائد حسية ، إذ الحكمة الأصلية فيها هي إعداد الكائن البشري لدوره على الأرض ، وتهيئته للكمال المقدر له في الحياة الآخرة ... مع هذا فإني لا أحب أنْ أنفي ما تكشف عنه الملاحظة أو يكشف عنه العلم من فوائد لهذه الفرائض ، وذلك ارتكازا إلى المفهوم من مراعاة التدبير الإلهي بهذا الذي ينكشف عنه العلم البشري. فمجال هذا العلم محدود لا يرتقي إلى اتساع حكمة الله في كل ما يروض به هذا الكائن البشري.. فنحن حينما نصوم، إنما نتعبد بهذا الصوم خالقنا العظيم جل جلاله، الذي أمرنا بالصيام، امتثالا لأمره سبحانه وخضوعا لإرادته. وإنّ ما يكشفه العلم لنا من فوائد صحية لهذا الصوم فما هي إلا عظات، تزيد المؤمن إيمانا بصدق مُبَلِّغ الشريعة صلى الله عليه وسلم وحبا بالخالق البارئ منزل هذا التشريع.

لقد قام عدد من الباحثين الغربيين، ومنذ أواخر القرن الماضي، بدراسة آثار الصوم على البدن منهم - هالبروك - الذي قال: ليس الصوم بلعبة سحرية عابرة، بل هو اليقين والضمان الوحيد من أجل صحة جيدة. وفي أوائل هذا القرن قام الدكتور- دووي - بأبحاث موضوعية عن الصوم لخصها في كتابه(الصوم الذي يشفي). كما قامت مناظرات عديدة تناقش هذا الموضوع لعل أهمها مناظرة(ايكوس)التي جمعت مشاهير الأطباء البريطانيين والمهتمين بتقويم الصحة وتدبير الطعام، كان على رأسهم طبيب الملك (ويلكوكس) وقد أجمع الحاضرون على أهمية تأثير(الصوم الصحي) على عضوية الإنسان. والصوم الصحي أو الصوم الطبي كما يسموه والذي قامت عليه دراسات الغرب يمكن أنْ تعرِّفه بأنه الإقلاع عن الطعام كلياً أثناء النهار ولا يسمح له إلا ببعض جرعات من الماء إذا ما أحس بعطش شديد ودعت الضرورة القصوى إليه. وفي المساء يعطى وجبة واحدة تتألف من كوب من الحليب أو شوربة خضر و100 غ من اللحم أو الدجاج أو السمك ثم بعض الفواكه وتكون هذه الوجبة الوحيدة خلال يوم وليلة. وكما رأينا فهو أقرب ما يكون إلى(صومنا الإسلامي) لذا رأينا أنْ نورد خلاصة لأهم الدراسات: منها دراسة (شلتون) في كتابه عن الصوم ودراسة (لوتزنر) في كتابه العودة إلى حياة سليمة بالصوم ترجمة الدكتور- طاهر إسماعيل - وإليكم أهم هذه الفوائد للصيام:

1 - الصوم راحة للجسم يمكنه من إصلاح أعطابه ومراجعة ذاته.

2 - الصوم يوقف عملية امتصاص المواد المتبقية في الأمعاء ويعمل على طرحها والتي يمكن أنْ يؤدي طول مكثها إلى تحولها لنفايات سامة. كما أنه الوسيلة الوحيدة الفعالة التي يسمح بطرد السموم المتراكمة في البدن والآتية من المحيط الملوث.

3 - بفضل الصوم تستعيد أجهزة الإطراح والإفراغ نشاطها وقوتها ويتحسن أداؤها الوظيفي في تنقية الجسم، مِمّا يؤدي إلى ضبط الثوابت الحيوية في الدم وسوائل البدن. ولذا نرى الإجماع الطبي على ضرورة إجراء الفحوص الدموية على الريق، أي يكون المفحوص صائما. فإذا حصل أنّ عاملا من هذه الثوابت في غير مستواه فإنه يكون دليلا على أنّ هناك خللا ما.

4 - بفضل الصوم يستطيع البدن تحليل المواد الزائدة والترسبات المختلفة داخل الأنسجة المريضة.

5 - الصوم أداة يمكن أنْ تعيد الشباب والحيوية إلى الخلايا والأنسجة المختلفة في البدن. ولقد أكدت أبحاث (مورغوليس) أنّ الصوم وحده قادر على إعادة شباب حقيقي للجسد.

6 ـ الصوم يضمن الحفاظ على الطاقة الجسدية ويعمل على ترشيد توزيعها حسب حاجة الجسم.
7 ـ الصوم يحسن وظيفة الهضم، ويسهل الامتصاص ويسمح بتصحيح فرط التغذية.
8 ـ الصوم يفتح الذهن ويقوي الإدراك.
9 ـ الصوم علاج شافٍ، هو الأكثر فعالية والأقل خطراً لكثير من أمراض العصر المتنامية. فهو يخفف العبء عن جهاز الدوران، وتهبط نسبة الدسم وحمض البول في الدم أثناء الصيام، فيقي البدين من الإصابة بتصلب الشرايين، وداء النقرس، وغيرها من أمراض التغذية والدوران وآفات القلب. وهكذا وبعد أنْ ينظف الجسم من سمومه وتأخذ أجهزته الراحة الفيزيولوجية الكاملة بسبب الصوم، يتفرغ إلى لأم جروحه وإصلاح ما تلف من أنسجته وتنظيم الخلل الحاصل في وظائفها. إذ يسترجع الجسد أنفاسه ويستجمع قواه لمواجهة الطوارئ بفضل الراحة والاستجمام اللذان أتيحا له بفضل الصوم،فالصوم ضرورة حيوية لكل إنسان حتى ولو كان يبدو صحيح الجسم فالسموم التي تتراكم خلال حياة الإنسان لا يمكن إزالتها إلا بالصيام والامتناع عن الطعام والشراب يقول أحد الأطباء:يدخل إلى جسم كل واحد منا في فترة حياته من الماء الذي يشرب فقط أكثر من مئتي كيلو غرام من المعادن والمواد السامة وكل واحد منا يستهلك في الهواء الذي يستنشقه عدة كيلو غرامات من المواد السامة والملوثة مثل أكاسيد الكربون والرصاص والكبريت ، فتأمل معي كم يستهلك الإنسان من معادن لا يستطيع الجسم أن يمتصها أو يستفيد منها بل هي عبء ثقيل تجعل الإنسان يحس بالوهن والضعف وحتى الاضطراب في التفكير بمعنى آخر هذه السموم تنعكس سلبا على جسده ونفسه وقد تكون هي السبب الخفي الذي لا يراه الطبيب لكثير من الأمراض المزمنة ولكن ما هو الحل؟ إنّ الحل الأمثل لاستئصال هذه المواد المتراكمة في خلايا الجسم هو استخدام سلاح الصوم الذي يقوم بتنظيف وصيانة هذه الخلايا بشكل فعال وفي صيامنا لله شهراً في كل عام انما نتبع نظاماً ميكانيكياً جيدا لتصريف مختلف أنواع السموم من أجسادنا كما ثبت أنّ صيام يوم واحد فقط ينقي الجسم من سموم عشرة أيام . يقول الدكتور ـ ليك ـ: يوفر الجسم بفضل الصوم الجهد، والطاقة المخصصة للهضم، ويدخرها لنشاطات أخرى، ذات أولوية وأهمية قصوى: كالتئام الجروح، ومحاربة الأمراض . وليعلم أنّ الصائم قد يشعر ببعض المضايقات في أيام صومه الأولى، كالصداع والوهن والنرفزة وانقلاب المزاج، وهذه تفسر بأنّ الجسم عندما يتخلص من رواسبه المتبقية داخل الأنسجة ، ينتج عن تذويبها سموم تتدفق في الدم قبل أنْ يلقي بها خارج الجسم ، وهي إذ تمر بالدم ، تمر عبر الجسد وأجهزته كلها من قلب ودماغ وأعصاب مِمّا يؤدي إلى تخريشها أول الأمر وظهور هذه الأعراض ، والتي تزول بعد أيام من بدءالصيام . وأخيرا فإنّ للصوم آثاره الرائعة على النفس البشرية ، ونظرا للعلاقة الوثيقة بين الاطمئنان النفسي وصحة الجسد عموما ، فإنّ الآثار والفوائد النفسية التي يجنيها الصائم لها مردودها الإيجابي في حسن سير الوظائف العضوية لكل أجهزة البدن . ومن وصايا لقمان لابنه قوله : { يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة } . يقول الإمام الغزالي رحمه الله : الصيام زكاة النفس ورياضة للجسم فهو للإنسان وقاية وللجماعة صيانة . في جوع الجسم صفاء القلب وإنقاذ البصيرة لأنّ الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر الشجار فيتبلّد الذهن . أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق . فالصيام ينمي الإخلاص للخالق سبحانه وتعالى ، فهو سرّ بين العبد وربه لا رقيب على تنفيذه إلا ضميره ورغبته الصادقة في رضاء الله سبحانه ، وعند الجوع يزول البطر وتنكسر حدة الشهوات . وإنّ البطر والأشر هما مبدأ الطغيان والغفلة عن الله ، فلا تنكسر النفس ولا تذل كما تذل بالجوع ، فعنده تسكن لربها وتخشع له . وهذه أمور كلها تخفف من توتر الجهاز العصبي وتهدئه . والجوع يساعد الصائم على السيطرة على نفسه . ويدعم الجوع في كسر حدة الشهوات ، مراقبة الصائم الله واستشعاره أنه في عبادة له ، مما يصرفه عن التفكير بالمعاصي والفواحش ، والصيام يؤدي إلى صفاء الذهن وتقوية الإرادة وترويض النفس على الصبر . عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال : { الصوم نصف الصبر } رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . وأخيرا فإنّ الصوم يعمل على الحفاظ على إيقاظ الشعور المشترك في صفوف الأمة حيث يذوق الجميع غنيهم وفقيرهم آلام الجوع ومرارة العطش .

<u>التداوي بالصوم</u> : استخدم الجوع كوسيلة علاجية منذ أقدم العصور ، ولجأ إليه أطباء اليونان أمثال أسكابياد وسيلوس لمعالجة كثير من الأمراض التي استعصيت على وسائل المداواة المتوفرة لديهم حينئذ . وفي القرن الخامس عشر قام ـ لودفيفو كورنا ـ باستعمال الصوم في معالجة مختلف الأمراض المعندة وطبق طريقته في الصوم على نفسه وعاش ما يقارب مائة سنة وهو بصحة جيدة بعد أنْ كان يعاني من داء عضال ، وألف في أيامه الأخيرة رسائل في المعالجة بالصوم تحت شعار (مَن يأكل قليلا يعمر طويلا) . ولعل هذا نجده في ظلال الآية الكريمة : " كلو واشربوا ولا تسرفوا " [سورة الأعراف] .ونستشعره أبدا في توجيهات النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ومنها قوله : { ما ملأء ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه } رواه الترمذي . ومع بداية عصر النهضة نشطت الدعوة من جديد إلى المعالجة بالصوم في كل أوربا منها ما كتبه الطبيب السويسري ـ بارسيلوس ـ: إنّ فائدة الصوم في العلاج تفوق مرات ومرات استخدام الأدوية المختلفة . أما ـ فينيامين – الأستاذ في جامعة موسكو – فقد كتب يقول : لو راقبنا الإنسان عن كثب لوجدنا أنّ نفسه تعاف الطعام وترفضه في بعض الفترات ، وكأنها بذلك تفرض على نفسها الصيام المؤقت الذي يؤمن لها التوازن الداخلي ويحفظها من المؤثرات الخارجية . ومن فرنسا عمد الدكتور ـ هلبا– 1911 إلى طريقة المعالجة بالصوم على فترات متقطعة ، فكان يمنع الطعام عن مرضاه خلال بضعة أيام ، يقدم لهم بعدها وجبات خفيفة . وفي عام 1928 ألقى الدكتور ـ دترمان ـ في المؤتمر الثامن لاختصاصي الحمية الغذائية في أمستردام محاضرة ، دعا فيها إلى استخدام الجوع على فترات متقطعة في الممارسة الطبية . وقد أقر المجتمعون فائدة الصيام لمعالجة الأمراض الناجمة عن فرط التغذية أو اضطراب الاستقلاب وفي حالات تصلب الشرايين وارتفاع الضغط الدموي وفي الاختلاجات العضلية . وفي عام 1941 صدر كتاب بو خنجر (المعالجة بالصوم كطريقة بيولوجية) شرح فيه المؤلف كيفية استخدام الصوم في معالجة كثير من الأمراض المستعصية ، ويبين أن الجوع يغير من تركيب البنية العضوية للجسم ويؤدي إلى طرح السموم منه .

معالجة البدانة بالصيام : حظيت البدانة وما يرافقها من اضطراب استقلاب الدسم اهتماما كبيرا، بل وإجماعا لدى المؤلفين حول استفادتها من العلاج بالصوم. ذلك أنّ السمنة المفرطة وازدياد تراكم الشحوم في البدن تشكل خطرا حقيقيا على حياة الشخص من جراء تعرضه لآفات شديدة الخطورة: كتصلب الشرايين، وارتفاع الضغط الدموي، وتشمع الكبد، والعنانة، والداء السكري، وأمراض القلب العضوية، والنزيف الدماغي، وغيرها. وللبدانة أسباب ولكن أهمها تضخم المدخول الغذائي نسبة للمجهود العملي الذي يقوم به الشخص وهي مرتبطة بعوائد التغذية التي تعوّد عليها الشخص منذ صباه. ويعتبر الصيام وسيلة غريزية مجدية في إذابة الشحوم في البدن واعتدال استقلاب الأغذية فيه. كما أنّ مشاركة الجوع بالعلاجات الفيزيائية كالمشي والتمارين الرياضية والتدليك والحمامات المائية تعطي أفضل النتائج، فضلا عن أنها وسائل غير مؤذية ولا تقضي إلى النتائج الوخيمة المشاهدة عند استعمال الهرمونات والمدرات ومثبطات الشهية التي يهرع إليها البدينون بغية إنقاص وزنهم. ويرى بلوم أنه بفضل الصوم يستطيع الإنسان تحمل مسؤولياته على وعي كامل منه وحزم. وينتبه للعيب الذي أصابه جسديا ونفسيا مِمّا يقوي لديه العزيمة والصبر على تحمل الجوع، علما بأنّ الصائم يفقد الإحساس بالجوع بعد اليوم الرابع من بدء العلاج. هذا وتوصي كتب الطب الإنسان البدين أنْ يصوم بضعة أيام كل أسبوع صياما جزئيا يقتصر فيها على اللبن و الفواكه والماء. وهناك مدارس توصي بالصيام المطلق عن الطعام لمدد مختلفة على أنْ تكون تحت إشراف طبي. ويرى ـ فيدوتوف ـ أنّ البدين يتحمل الجوع بشكل جيد ويوصي بالصوم لمدة 5- 15 يوما تعقبها فترات استراحة يتناول فيها المريض وجبات خفيفة. ولم يلاحظ عند المعالجين أي اضطراب في حالتهم الصحية. إنّ الصيام يؤدي حتما إلى إنقاص الوزن، بشرط أنْ يصاحبه اعتدال في كمية الطعام في وقت الإفطار، وألا يتخم الإنسان معدته بالطعام والشراب بعد الصيام، لقد كان رسول الله ﷺ يبدأ إفطاره بعدد من التمرات لاغير أو بقليل من الماء ثم يقوم إلى الصلاة، وهذا الهدي هو خير هدي لمَن صام عن الطعام والشراب ساعات طوال، فالسكر الموجود في التمر يشعر الإنسان بالشبع لأنه يمتص بسرعة إلى الدم، وفي نفس الوقت يعطي الجسم الطاقة اللازمة. أما لو بدأت طعامك بعد جوع بأكل اللحوم والخضروات والخبز فإنّ هذه المواد تأخذ وقتا طويلا كي يتم هضمها ويتحول جزء منها إلى سكر يشعر الإنسان معه بالشبع، وفي هذا الوقت يستمر الإنسان في ملء معدته فوق طاقتها توهما منه أنه مازال جائعا، ويفقد الصيام هنا خاصيته المدهشة في جلب الصحة والعافية والرشاقة، بل يصبح وبالا على الإنسان حيث يزداد معه بدانة وسمنة.

وقاية من الأورام: يقوم الصيام مقام مشرط الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة والضعيفة من الجسم، فالجوع الذي يفرضه الصيام على الإنسان يحرك الأجهزة الداخلية لجسمه لاستهلاك الخلايا الضعيفة لمواجهة ذلك الجوع، فتتاح للجسم فرصة ذهبية كي يسترد خلالها حيويته ونشاطه، كما أنه يستهلك أيضا الأعضاء المريضة ويجدد خلاياها، وكذلك يكون الصيام وقاية للجسم من كثير من الزيادات الضارة مثل الحصوة والرواسب الكلسية والزوائد اللحمية والأكياس الدهنية وكذلك الأورام في بداية تكونها.

يحمي من السكر: فعلا هو خير فرصة لخفض نسبة السكر في الدم إلى أدنى معدلاته، وعلى هذا فإنّ الصيام يعطي غدة البنكرياس فرصة رائعة للراحة، فالبنكرياس يفرز الأنسولين الذي يحول السكر إلى مواد نشوية ودهنية تخزن في الأنسجة، فإذا زاد الطعام عن كمية الأنسولين المفرزة فإنّ البنكرياس يصاب بالإرهاق والإعياء، ثم أخيرا يعجز عن القيام بوظيفته، فيتراكم السكر في الدم وتزيد معدلاته بالتدريج حتى يظهر مرض السكر. وقد أقيمت دور للعلاج في شتى أنحاء العالم لعلاج مرضى السكر باتباع نظام الصيام لفترة تزيد على عشر ساعات وتقل عن عشرين كل حسب حالته، ثم يتناول المريض وجبات خفيفة جدا، وذلك لمدة متوالية لا تقل عن ثلاثة أسابيع. وقد جاء هذا الأسلوب بنتائج مبهرة في علاج مرضى السكر ودون أية عقاقير كيميائية.

الأمراض الجلدية: إنّ الصيام يفيد في علاج الأمراض الجلدية، والسبب في ذلك أنه يقلل نسبة الماء في الدم فتقل نسبته بالتالي في الجلد، مِمّا يعمل على:

ـ زيادة مناعة الجلد ومقاومة الميكروبات والأمراض المعدية الجرثومية.

ـ التقليل من حدة الأمراض الجلدية التي تنتشر في مساحات كبيرة في الجسم مثل مرض الصدفية.

ـ تخفيف أمراض الحساسية والحد من مشاكل البشرة الدهنية.

ـ مع الصيام تقل إفرازات الأمعاء للسموم وتتناقص نسبة التخمر الذي يسبب دمامل وبثورا مستمرة.

تقول السيدة- إلهام حسين ـ وهي ربة بيت مصرية: عندما كنت في العاشرة من عمري أصبت بحالة حادة من مرض الصدفية، ذلك المرض الذي يظهر على شكل بقع حمراء تكسوها طبقة قشرية، ولم يكن لدي أي أمل أيامها في الشفاء، بعد أنْ قال عدد من أشهر أطباء الأمراض الجلدية في مصر لوالدي: يجب أنْ تتعودوا على هذا وأنْ تتعايشوا وتتعايش ابنتكم مع الصدفية، فهي ضيف ثقيل وطويل الإقامة. وبحلول العقد الثاني من عمري، وباقترابي من سن الزواج، أصبحت أعاني من حالة اكتئاب وعزلة عن المجتمع، وضيق في الصدر لا يطاق، واقترح عليّ أخيرا أحد أصدقاء أبي المتدينين الصيام، وقال لي: جرِّبي يا ابنتي أنْ تصومي يوما وتفطري يوما، فقد عالج الصيام أمراضا عند زوجتي لم يعرف الأطباء لها علاجا، ولكن اعلمي أنّ الشافي هو الله وأنّ أسباب الشفاء كلها بيده، فاسأليه أولا الشفاء من مرضك ثم صومي بعد ذلك" " فعلا بدأت الصيام، فقد كنت أبحث عن أي أمل يخرجني من الجحيم الذي يحيط بي، وتعودت مع الوقت علي الإفطار على خضروات وفاكهة فقط ثم بعد ثلاث ساعات آكل وجبتي الأساسية وأفطر في اليوم التالي وهكذا. وكانت المفاجأة المذهلة للجميع أن المرض بدأ في التراجع بعد شهرين من بدء الصيام. لم أصدق نفسي وأنا أبدو طبيعية وأرى أثر المرض يتلاشى يوما بعد يوم حتى كأني في النهاية لم يصب جلدي بذلك المرض في حياتي أبدا.

وقاية من داء الملوك: وهو المسمى بمرض(النقرس) والذي ينتج عنه زيادة التغذية والإكثار من أكل اللحوم، ومعه يحدث خلل في تمثيل البروتينات المتوافرة في اللحوم خاصة الحمراء داخل الجسم، مما ينتج عنه زيادة ترسيب حمض البوليك في المفاصل خاصة مفصل الإصبع الكبير للقدم، وعند إصابة مفصل بالنقرس فإنه يتورم ويحمر ويصاحب هذا ألم شديد، وقد تزيد كمية أملاح البول في الدم ثم تترسب في الكلى فتسبب الحصوة، وإنقاص كميات الطعام علاج رئيسي لهذا المرض الشديد الانتشار.

جلطة القلب والمخ: أكد الكثيرون من أساتذة الأبحاث العلمية والطبية- وأغلبهم غير مسلمين - أنّ الصوم لأنه ينقص من الدهون في الجسم فإنه بالتالي يؤدي إلى نقص مادة" الكوليسترول" فيه، وما أدراك "ما الكوليسترول"؟؟ إنها المادة التي تترسب على جدار الشرايين، وبزيادة معدلاتها مع زيادة الدهون في الجسم تؤدي إلى تصلب الشرايين، كما تسبب تجلط الدم في شرايين القلب والمخ.
لا نندهش إذن عندما نستمع إلى قول الحق سبحانه وتعالى" وأنْ تصوموا خير لكم إنْ كنتم تعلمون" وقول رسوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه النسائي عن أبي أمامة، قلت يا رسول الله مرني بعمل ينفعني الله به. قال عليه الصلاة والسلام{ عليك بالصوم فإنه لا مثيل له}
فكم من آلاف من البشر جنت عليهم شهيتهم المتوثبة دائما إلى الطعام والشراب دون علم ولا إرادة، ولو أنهم اتبعوا منهاج الله وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعدم الإسراف في الأكل والشرب، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر لعرفوا لآلامهم وأمراضهم نهاية، ولتخففت أبدانهم من عشرات الكيلوجرامات.
آلام المفاصل: آلام المفاصل مرض يتفاقم مع مرور الوقت، فتنتفخ الأجزاء المصابة به، ويرافق الانتفاخ آلام مبرحة، وتتعرض اليدان والقدمان لتشوهات كثيرة، وذلك المرض قد يصيب الإنسان في أية مرحلة من مراحل العمر، ولكنه يصيب بالأخص المرحلة ما بين الثلاثين والخمسين، والمشكلة الحقيقية أنّ الطب الحديث لم يجد علاجا لهذا المرض حتى الآن، ولكن ثبت بالتجارب العلمية في بلاد روسيا أنه يمكن للصيام أنْ يكون علاجا حاسما لهذا المرض، وقد أرجعوا هذا إلى أنّ الصيام يخلص الجسم تماما من النفايات والمواد السامة، وذلك بصيام متتابع لا تقل مدته عن ثلاثة أسابيع، وفي هذه الحالة فإنّ الجراثيم التي تسبب هذا المرض تكون جزءا مِمّا يتخلص منه الجسم أثناء الصيام، وقد أجريت التجارب على مجموعة من المرضى وأثبتت النتائج نجاحا مبهرا.
* يقول - سليمان روجرز- من نيويورك: لقد كنت مصاباً منذ ثلاث سنوات بحالة شديدة من التهابات المفاصل، ومع أنه كان التهابا غير مزمن، إلا أنه كان كافيا لإعاقتي عن السير الطويل والجري، ولم أكن أستطيع الجلوس أكثرمن نصف ساعة دون أنْ أشعر بتيبس تام في سيقاني. لقد حاولتُ العلاج بطرق مختلفة باءت كلها بالفسل، ثم شاءت إرادة الله أنْ أتعرف على صديق زنجي عرفني طريق المسجد ودعاني إلى الإسلام، وكنا أيامها في رمضان المبارك، أعجبت جدا بفكرة الصيام ذاتها ولكني تمهلت في قرار تحولي للدين الإسلامي رغم أنه الأقرب إلى قلبي، بما يحويه من مبادئ سامية وعادلة ترفض الاضطهاد والتفرقة، وهما من أخطر المشكلات التي نعانيها يوميا في حياتنا في نيويورك. لقد باشرتُ الصيام قبل أنْ أسلم، وكنت أعتمد على تناول الخضروات الطازجة شديدة الخضرة، والفواكه، والتمر فقط في وقت الإفطار، ولا آكل بعد هذا إلا وجبة رئيسية عند السحور، والآن أنا أستطيع أنْ أجري والحمد لله بسرعة كبيرة، وذهبت كل آلامي بعد طول معاناة، وقد كانت الطريقة الوحيدة التي وجدتها تصلح كشكر لله على نعمته عليّ أنْ أدخل الإسلام بعد اقتناع تام."

****

العلم الحديث يكشف حكمة صيام الأيام البيض

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأنْ أوتر قبل أنْ أنام. وجاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري أنّ: المراد بالبيض الليالي التي يكون القمر فيها من أول الليل إلى آخره. وقد دل هذا الحديث على أنه ﷺ كان يأمر الصحابة بصيام هذه الأيام البيض، محمول على الندب لا الوجوب. فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض له عارض فلا يصومها مما يدل على عدم الوجوب، وهذا متفق عليه. وسميت بالبيض لأنّ لياليها بيضاء من شدة ضوء القمر عند اكتماله.. ولأنها أشبهت النهار لشدة ضوئها واكتماله.. وانسحب الاسم إلى اليوم لأنّ اليوم يشمل بياض النهار وسواد الليل. قال ابن سينا في القانون: ويأمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر، لأنّ الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخره - لأنها تكون قد نقصت - بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها، لتزايد النور في جرم القمر.... العلم الحديث يكشف السر: وقد ظهرت في الأعوام الأخيرة أبحاث علمية كثيرة مفادها أنّ القمر عندما يكون بدرا، أي في الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، يزداد التهيج العصبي والتوتر النفسي إلى درجة بالغة.. ويقول الدكتور - ليبر- عالم النفس بميامي في الولايات المتحدة: أنّ هناك علاقة قوية بين العدوان البشري والدورة القمرية وخاصة بينه وبين مدمني الكحول، والمَيَّالين إلى الحوادث وذوي النزعات الإجرامية، وأولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي. ويشرح - ليبر- نظريته قائلا: إنّ جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكون من 80% من الماء والباقي هو المواد الصلبة. ومن ثم فهو يعتقد بأنّ قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضا هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في أيام البيض. ويقول الدكتور - ليبر - في كتابه(التأثير القمري) إنه نبه شرطة ميامي، كما طلب وضع أخصائي التحليل النفسي في مستشفى جاكسون التذكاري في حالة طوارئ تحسبا للأحداث التي ستقع نتيجة الاضطرابات في السلوك الإنساني، والمتأثرة بزيادة جاذبية القمر.. ويقول الدكتور- ليبر: إنّ ما حدث كان جحيما انفتح، فقد تضاعفت الجريمة في الأسابيع الثلاثة الأولى من يناير 1973، كما وردت أنباء عن جرائم أخرى غريبة وجرائم ليس لها أي دافع.. وأصبح من المعروف أنّ للقمر في دورته تأثيرا على السلوك الإنساني وعلى الحالة المزاجية، وهناك حالات تسمى: الجنون القمري حيث يبلغ الاضطراب في السلوك الإنساني أقصى مداه في الأيام التي يكون القمر فيها بدرا(في الأيام البيض). وصدق الله إذ يقول " ألا يعلم مَن خلق وهو اللطيفُ الخبيرُ"[سورة الملك]، فما أحكمه وأعلمه بأسرار النفس وأسرار تكوينها أخلاطها وهرموناتها، وصلى الله وسلم على محمد الذي لا ينطق عن الهوى أفضل وأكمل ما صلى على أحد من العالمين.

****

الإيمان الديني يزيد فرص الشفاء من الأمراض

كشفت دراسة تجريبية في مراحلها الأولى أنّ مرضى القلب الذين يملكون إيمانا دينيا قويا، لديهم قدرة أكبر على التماثل للشفاء وإكمال الفترة التأهيلية التي تعقب الإصابة. ويحاول الباحثون في مركز (غيسرنغ) الطبي وجامعة (باكينل) توسيع الدراسة لتحديد علاقة الإيمان الديني ومدى تأثيرها الإيجابي على المدى البعيد على صحة القلب والأوعية الدموية. ويأمل - تيموتي ماكونيل - رئيس وحدة إعادة تأهيل مرضى القلب في مركز غيسرنغ ، وهو مستشفى مركز ضخم لأمراض القلب يضم 437 مريضا في تأمين موافقة مائة من مرضى القلب لإجراء دراسة موسعة في إطار زمني مدته خمسة أعوام. وفي الدراسة التجريبية استعان - ماكونيل - ب 21 مريضا بينهم مَن أصيب مؤخرا بأول نوبة قلبية أو أجريت لهم عملية لتوسيع الشرايين. وتم إجراء بحث لتحديد مدى إيمان ومعتقدات المشاركين، قبل البدء في البرنامج التأهيلي الذي استغرق 12 أسبوعا. وقال بروفسور - كريس بوياتزيس - الأخصائي النفس من جامعة(باكنيل) عن الدراسة التجريبية لقد اكتشفنا رابطا مثيرا بين الإيمان الديني وفرص التعافي فكلما زاد إيمان المريض بالدين زادت ثقته في مقدرته الشخصية على إكمال المهام والعمل وعلق - مايك ماكولاف - أستاذ مساعد لعلم النفس بجامعة ميامي، بالقول إنّ الكشف ليس بالمفاجأة فالدراسات التي أجراها للكشف عن مدى صحة البشر، أثبتت العديد منها نفس النتائج.

****

الله والعلاج الطبي

بول إرنست أدولف - طبيب وعضو جمعية الجراحين الأمريكية - يقول: أحب أنْ أقول أولا إنني أؤمن بالله إيمانا راسخا لا ريب فيه، وليس إيماني به نتيجة خبرة روحية فحسب، ولكن اشتغالي بالطب قد دعم ذلك الإيمان. لقد درست عندما كنت أتعلم الطب أحد المبادئ المادية الأساسية التي تفسر ما يحدث من تغيرات داخل الجسم عندما يصيبها عطب أو تلف، تفسيرا ماديا صرفا، كما فحصت قطاعات مجهرية لهذه الأنسجة، وتبينت أنّ الظروف المناسبة تعينها على أنْ تلتئم بسرعة وتتقدم نحو الشفاء. وعندما اشتغلت جراحا في أحد المستشفيات بعد ذلك، كنت أستخدم المبدأ السابق استخداما يتسم بالثقة فيه والاطمئنان إليه. ولم يكن على إلا أنْ أهيئ الظروف المادية والطبية المناسبة، ثم أدع الجرح يلتئم وكلي ثقة بالنتيجة المرتقبة. ولكنني لم ألبث غير قليل حتى اكتشفت قد فاتني أنْ أضمن علاجي وأفكاري الطبية أهم العناصر وأبعدها أثرا في إتمام الشفاء ألا وهو الاستعانة بالله. وعندما كنت أعمل جراحا في أحد المستشفيات، جاءتني ذات يوم جدة جاوزت السبعين تشكو من شدخ في عظام ردفها، وبعد أنْ وضعتُ فترة العلاج أدركتُ من فحص سلسلة الصور التي أخذت لها على فترات تحت الأشعة أنها تتقدم بسرعة عجيبة نحو الشفاء، ولم تمض أيام قليلة حتى تقدمتُ مهنئا بما تم لها من شفاء نادر عجيب، عندئذ استطاعت السيدة أنْ تتحرك فوق المقعد ذي العجلات، ثم سارت وحدها متوكئة على عصاها، وقررتُ أنْ تخرج تلك السيدة في مدى أربع وعشرين ساعة وتذهب إلى بيتها، فلم يعد بها حاجة إلى البقاء في المستشفى وكان صباح اليوم التالي هو الأحد، وقد عادتها ابنتها في زيارة الأحد المعتادة حيث أخبرتُها أنها تستطيع أنْ تأخذ والدتها في الصباح إلى المنزل لأنها تستطيع الآن أنْ تسير متوكئة على عصاها. ولم تذكر لي ابنتها شيئا مما جال في خاطرها ولكنها انتحت بأمها جانبا وأخبرتها أنّها قد قررت بالاتفاق مع زوجها أنْ يأخذ الأم إلى أحد ملاجئ العجزة لأنهما لا يستطيعان أنْ يأخذاها إلى المنزل. ولم تكد تنقضي بضع ساعات على ذلك حتى استدعيتُ على عجلٍ لإسعاف السيدة العجوز. ويا لهول ما رأيت. لقد كانت المرأة تحتضر، ولم تمض ساعات قليلة حتى أسلمت الروح. إنها لم تمت من كسر في عظام ردفها ولكنها ماتت من انكسار قلبها. لقد حاولت دون جدوى أنْ أقدم لها أقصى ما يمكن من وسائل الإسعاف وضاعت كل الجهود سدى. قد شُفيتْ من مرضها بسهولة ولكن قلبها الكسير لم يمكن شفاؤه برغم ما كانت قد تناولته في أثناء العلاج من الفتيامينات والعقاقير المقوية وما تهيأ لها من أسباب الراحة ومن الاحتياجات التي كانت تتخذ لتعينها على المرض وتعجل لها الشفاء. لقد التأمت عظامها المكسورة التئاما ومع ذلك فإنها ماتت. لماذا ؟ إنّ أهم عامل في شفائها لم يكن الفيتامينات ولا العقاقير ولا التئام العظام، ولكنه كان الأمل وعندما ضاع الأمل تعذر الشفاء. أثرت هذه الحادثة في نفسي تأثيرا عميقا، وقلت في نفسي: لو أنّ هذه السيدة وضعت أملها في الله ما ضيعها وما انهارت ولما حدث لها ما حدث. وبرغم أنني كنت أؤمن بالله خالق كل شيء بحكم اشتغالي بالعلوم الطبية، فإنني كنت أوفق بين معلوماتي الطبية والمادية وبين اعتقادي في وجود الله كما لو لم تكن هنالك صلة بين هذين الأمرين. ولكن هل يوجد ما يدعو إلى هذا الانفصال بين هاتين الناحيتين؟ هاهي ذي السيدة العجوز التي تم لها الشفاء وسلامة الجسد فقدت روحها ونظرة التفاؤل إلى الحياة. لقد عقدت كل آمالها حول ابنتها الوحيدة، وعندما تخلت عنها ابنتها انهارت آمالها فواجهت الموت بدلا من أنْ تواجه الحياة. ولقد صدق عيسى الصلاة والسلام عندما قال: كيف ينتفع الإنسان بهذه الدنيا إذا ملكها كلها وفقد روحه. لقد أيقنتُ أنّ العلاج الحقيقي لابد يشمل الروح والجسم معا وفي وقت واحد، وأدركت أنّ من واجبي أنْ أطبق معلوماتي الطبية والجراحية إلى جانب إيماني بالله وعلمي به، ولقد أقمت كلتا الناحيتين على أساس قويم. بهذه الطريقة وحدها استطعت أنْ أقدم لمرضاي العلاج الكامل الذي يحتاجون إليه. ولقد وجدت بعد تدبرعميق أنّ معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغي أنْ تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة. والواقع أنّ النتيجة التي وصلت إليها تتفق كل الاتفاق مع النظريةالطبية الحديثة عن أهمية العنصر السيكولوجي في العلاج الحديث، فقد دلت الإحصائيات الدقيقة على أنّ 80% من المرضى بشتى الأمراض في جميع المدن الأمريكية الكبرى ترجع أمراضهم إلى حد كبير إلى مسببات نفسية، ونصف هذه النسبة من الأشخاص الذين ليس لديهم مرض عضوي في أية صورة من الصور. وليس معنى ذلك أنّ هذه الأمراض مجرد أوهام خيالية حقيقة، وليست أسبابها خيالية ولكنها موجودة فعلا ويمكن الوصول إليها عندما يستخدم الطبيب المعالج بصيرته بها.

فما هي الأسباب الرئيسية لما نسميه الأمراض العصبية؟ إنّ من الأسباب الرئيسية لهذه الأمراض الشعور بالإثم والخطيئة والحقد والقلق والكبت والتردد والشك والغيرة والأثرة والسأم. ومِمّا يؤسف له أنّ كثير مِمَّن يشتغلون بالعلاج النفسي قد ينجحون في تقصي أسباب

الاضطراب النفسي الذي يسبب المرض، ولكنهم يفشلون في معالجة هذه الاضطرابات لأنهم لا يلجأون في علاجها إلى بث الإيمان بالله في نفوس هؤلاء المرضى. ونحب فوق ذلك أنْ نتساءل عن هذه الاضطرابات الانفعالية والعوامل التي تسبب تلك الأمراض، إنها هي ذاتها الاضطرابات التي جاءت الأديان لكي تعمل على تحريرنا منها. فلقد أحاط الله بقدرته وحكمته حاجاتنا النفسية ودبر لها العلاج الكامل. ولقد وصف الأخصائيون النفسيون القفل الذي يغلق باب الصحة، وأدنا الله بالمفتاح الذي يفتح هذا الباب. ولا يمكن أنْ يقودنا التخبط الأعمى إلى فتح هذا القفل المعقد، بل إنه لا يستطيع أنْ يمدنا بالمفتاح الذي يفتح باب الروح الإنسانية، فالله وحده هو الذي بستطيع أنْ يهدينا طريق الصواب، ويقول الشاعر- كوبر - في هذا المعنى: [الجحود الأعمى يوقعنا في الأخطاء ، ويجعلنا نبعثر آياته ونكفر بها ، استعن بالله على فهم الأمور، وسوف يوضح لك كل غامض عليك] فماذا يخبرنا الله - المستعان على فهم الأمور - عن هذه المفاتيح؟ إنّ ذلك يتلخص في أننا نركب الإثم والذنوب ونحتاج إلى عفو الله ومغفرته، حتى نعودإلى رحابه ونعفو عن غيرنا، إنّ المذنبين الذين ينالهم هذا الصفح تتجلى في نفوسهم روح الله فيذهب عنهم الخوف القلق، ولا يكون هنالك سبيل إلى إصابتهم بالكبت والغيرة والأثرة. فعندما تحل محبته في القلب، تفارقها الشرور والآثام ولا ينتابها السأم وتفيض بالأمال الحية التي تنبعث منها الحياة. لقد وجدت في أثناء ممارستي للطب أنْ تسلحي بالنواحي الروحية إلى جانب إلمامي بالمادة العلمية يمكناني من معالجة جميع الأمراض علاجا يتسم بالبركة الحقيقة، أما إذا أبعد الإنسان ربه عن هذا المحيط، فإنّ محاولاته لا تكون إلا نصف العلاج، بل قد لا تبلغ هذا القدر.فمعظم القرح المعدية لا ترجع إلى ما يأكله الناس كما يقال، وإنما إلى ما تأكل قلوبهم، ولابد لعلاج المريض بها من علاج قلبه وأحقاده أولا، وليكن لنا أسوة بالأنبياء الذين كانوا يُصلُّون من أجل أعدائهم ويدعون لهم بالخير. فإذا تطهرت قلوبنا وصرنا مخلصين، فإننا نشق طريقنا نحو الشفاء، وبخاصة إذا كان العلاج الروحي مصحوبا بتناول المواد ضد الحامضي وغيرها من العقاقير التي تساعد على الشفاء من هذه القرح. وهنالك كثير من الحالات النفسية التي يلعب الخوف والقلق دورا هاما فيها، فإذا عولج الخوف والقلق على أساس تدعيم إيمان الإنسان بالله، فإنّ الصحة والشفاء يعودان إلى الإنسان بصورة كأنها السحر في كثير من الحالات. ولا يتسع المقام لذكر كثير من الحالات التي تم فيها الشفاء فورا بسبب الالتجاء إلى الله والثقة به، وقد وصفت كثيرا من هذه الحلات في أحد الكتب التي ألفيتها وهو كتاب (الصحة تتدفق)، وبينتُ في هذا الكتاب كيف كان الإيمان بالله جزءا هاما من العلاج النفسي والطبي، وكيف أدى إلى نتائج تدعو إلى العجب. إنّ الجسم الإنساني يصبح على أفضل ما يمكن عندما يكون على وفاق مع صانعه وخالقه، وبدون ذلك يصيبنا الاضطراب والمرض. نعم هنالك إله. ولقد عرفته في مواطن كثيرة، وهو الذي يشفي العظام المكسورة والقلوب المحطمة.

****

الإعجاز الغيبي

والتاريخي

أنباء الغيب

لقد اشتمل القرآن الكريم على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمدﷺ بها، ولا سبيل لمثله أنْ يعلمها مِمّا يدل دلالة بينة على أنّ هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب، لا يعقل أنْ يكون نابعاً من نفس محمد ولا غير محمد من الخلق. بل هو كلام علام الغيوب وقيوم الوجود، الذي يملك زمام العالم " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر..."[سورة الأنعام]. من ذلك قصص عن الماضي البعيد المتغلغل في أحشاء القدم. وقصص عن الحاضر الذي لا سبيل لمحمد إلى رؤيته ومعرفته فضلا عن التحدث به. وقصص عن المستقبل الغامض الذي انقطعت دونه الأسباب، وقصرت عن إدراكه الفراسة والألمعية والذكاء.. وسر الإعجاز في ذلك كله أنه وقع كما حدث وما تخلف. وجاء على النحو الذي أخبر به في إجمال ما أجمل وتفصيل ما فصل. وأنه إنْ أخبر عن غيب الماضي صدقه ما شهد به التاريخ. وإنْ أخبر عن غيب الحاضر صدقه ما حدث في حياته ﷺ وما جاء به الأنبياء. وإنْ أخبر عن غيب المستقبل صدقه ما تلده الليالي وما تجئ به الأيام.

غيب الماضي: أما غيوب الماضي في القرآن فكثير، تتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل، ولم يكن لعلم محمد بها من سبيل. منها قصة نوح التي قال الله فيها: " تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا "[سورةهود]، ومنها قصة موسى التي يقول الله فيها: " وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر. وما كنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر. وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا، ولكنا كنا مرسلين* وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك، لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون*"[سورة القصص] ومنها قصة مريم وفيها يقول الله: "ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك. وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم. وما كنت لديهم إذ يختصمون*" [سورة آل عمران] ومن أمثلة غيب الماضي كذلك صلب المسيح عليه السلام التي ظل الناس في شك من حقيقة أمرها.

* كما في الأناجيل عند النصارى، فقد شهد قوم عيسى عليه السلام وكذلك جماهير الرومان حادثة الصلب، ولم يساورهم شك في أنّ عيسى عليه السلام قتل وصلب، إلا أنّ الحواريين شاهدوا عيسى عليه السلام بعد حادثة الصلب المزعوم حيا، كما ورد ذلك في إنجيل لوقا وفيما هم يتكلمون بهذا وقف - يسوع - نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا. فقال لهم ما بالكم مضطربين. ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. انظروا يديَّ ورجليّ إني هو. جسوني وانظروا فإنّ الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه. وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءا من سمك مشوي وشيئا من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم. وقد أصبح الجميع في حيرة من حقيقة الأمر، فالناس يقولون: إنه صلب وقد رأوه ذلك رأي العين، والحواريون يقولون: إنهم قابلوه بعد حادثة الصلب المزعوم بجسده وروحه حيا يرزق. ولم يجدوا تفسيرا لهذا التناقض إلا قولهم: إنه صلب ومات ودفن ثم بعث من بين الأموات، ولكن القرآن الكريم جاء ليكشف عن هذا السر ويزيل ذلك الغموض فقال تعالى: " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما* "[سورة النساء]. فالحقيقة أنّ الذي صلب هو الشبه، فالذين قالوا: رأيناه مصلوبا" أخبروا بما رأوا إذ ظنوا الشبه هو عيسى عليه السلام نفسه، والذين قالوا: رأيناه بعد الحادثة هم على حق، لأنه لم يصلب، وأتى القرآن الكريم بالعلم الذي يكشف الحقيقة ويخرج الناس من الاختلاف وهذا النوع من الإعجاز يعد من أدلة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنّ القصة وقعت بعيدة عن زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصار أهلها في ارتباك وحيرة، ويأتي نبي أمِّيٍّ في أمة بعد قرون يكشف لهم السر ويبين لهم التفسير الحقيقي للمشاهدات التي تبدومتناقضة، فيرفع عنها التناقض ويزيل الإشكال. وهذا دليل على أنّ هذا العلم الذي جاء على يد النبي الأمي لا يمكن أنْ يكون إلا من عند الله. وبعد اعتناق العدد الكثير من الأحبار والرهبان الإسلام طوال التاريخ إقرارا بصدق ما جاء في القرآن من خبر صادق عن التاريخ الصحيح للرسل وأتباعهم، والذي جاء على يد نبي أمى ليس في ثقافة قومه شئ من هذه الأخبار.

غيب الحاضر : أما غيب الحاضر فنريد به ما يتصل بالله تعالى والملائكة والجنة والنار ونحو ذلك، مما لم يكن للرسول ﷺ سبيل إلى رؤيته ولا العلم به، فضلا عن أنّ يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح، الذي أيده ما جاء به الأنبياء وكتبهم عليهم الصلاة والسلام. وأمثلة هذا الضرب كثيرة في القرآن، لا تحتاج إلى عرض ولا بيان ومن أمثلة غيب الحاضر كذلك ما يلي:

أنباء المنافقين: لقد فضح الله المنافقين في عصر الرسولﷺ مِمّا كان قائما بهم وخفي أمرهم عليه كقوله: " ومِن الناس مَن يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد*"[سورة البقرة]، كقوله في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون .."والذينَ اتّخَذوا مسجداً ضِراراً و كفراً وتفريقاً بَينَ المُؤمنينَ وإرْصَاداً لِمَنْ حَاربَ اللهَ ورسولَه مِن قبل ولَيَحْلفنّ إنْ أَرَدْنا إلا الحُسنَى واللهُ يَشهدُ إنّهم لكاذبونَ" [سورة التوبة]

*استحالة تمني اليهود الموت: لقد تحدى القرآن اليهود بأنْ يتمنوا الموت فلم يفعلوا مع أنه كان في دائرة استطاعتهم وفي مقدور أقل رجل منهم فدلّ هذا التحدي مع الانصراف والعجز على أنّ القرآن كلام من يستطيع تصريف القلوب وتحريك الألسنة، وهو الله وحده. أما محمد صلوات الله عليه وسلامه فمحال أنْ يغامر بنفسه ودعوته ويتحدي بهذا الأمر الظاهرة سهولته، وهو بشر لا يعلم الغيب ولا يستطيع أنْ يقلب القلوب ولا أنْ يعقد الألسنة. وبيان ذلك أنّ اليهود زعموا أنهم هم الشعب المختار وأنّ الدار الآخرة وقف عليهم وخالصة لهم من دون الناس، فخاطب الله رسوله في سورة البقرة يرد عليهم ويتحداهم بقوله: "قلْ إنْ كانتْ لَكُم الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصةً مِن دُونِ النَّاسِ فتَمنَّوا الموتَ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ" ، فلم يستطع أحد منهم قولها وبَانَ كذبهم وبلغ من أمر القرآن معهم أنه نفى عنهم هذا التمني نفيا يشمل آباد المستقبل فقال" ولن يتمنّوه أبدا" [آية] . بل أعلن القرآن في السورة نفسها مبلغ حرصهم على الحياة فقال: " وَلتَجِدنّهمْ أَحْرَصَ النّاسِ على حياةٍ ومِنَ الذينَ أشْركوا يَودُّ أَحَدُهم لو يُعمَّرُ ألفَ سنةٍ. وما هو بمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذابِ أن يُعَمَّرَ.

واللهُ بصيرٌ بما يَعملون " [آية] . فكان ذلك علما جديدا من أعلام النبوة، لأنه تنويه بغيب حاضر لم يكن يعلمه محمد صلى الله عليه وسلم ولا قومه عن هؤلاء اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ومن أحرصهم على إفحام الرسول ﷺ وتعجيزه.

من غيب المستقبل ما يلي:

*دخول مكة آمنين: رأى الرسول ﷺ في نومه كأنه هو وأصحابه وقد كانوا بالمدينة، قد دخلوا مكة آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فقصّ رؤياه على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها من عامهم ثم خرجوا محرمين يسوقون الهدي إلى مكة يقصدون عمرة و نسكا. ولكنهم ما كادوا يبلغون الحديبية حتى صدتهم قريش وكادت تكون حرب لولا أنّ الرسول ﷺ رضي بصلح بينه وبينهم وإنْ كان قاسيا، إيثاراً منه للمسالمة وحبا للسلام العام ثم قفل راجعاً على أنْ يؤدي نسكه في العام القابل وعزّ ذلك على أصحابه، واتخذ المنافقون منه حطباً لنفاقهم ولكن على رغم هذا وعلى ما هو معروف من غدر قريش نزلت الآية الكريمة تحمل تلك الوعود الثلاثة المؤكدة إذ قال سبحانه: " لقد صَدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقِّ لتدخُلُنَّ المسجدَ الحَرَامَ إن شَاءَ اللهُ آمِنينَ مُحَلِّقِينَ رُؤوسَهمْ ومُقَصِّرينَ .." [سورة الفتح] ثم وقع هذا التنبؤ كما أخبر، مع أنّ ظروفه لم تكن تسمح به في مجرى العادة فتم الأمر على أكمله في العام الذي بعد عام الحديبية.

*سنسمه على الخرطوم: من عجائب هذا الباب أنّ القرآن عرض لتعيين أحداث جزئية، تقع في المستقبل لشخص معين، ثم تحقق الأمر كما أخبر. هذا هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول الله فيه: " ولا تُطعْ كُلَّ حَلافٍ مَهينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَميمٍ * مَنَّاعٍ للخَيرِ مُعتدٍ أثِيمٍ عُتُلٍ بعدَ ذلكَ زَنِيمٍ * أن كانَ ذا مَالٍ وبَنِينٍ * إذا تُتْلى عليه آياتُنا قالَ أسَاطيرُ الأولينَ * سَنَسِمُهُ على الخُرطومِ " [سورة القلم] أي سنجعل له علامة على أنفه يعرف بها وقد كان وبقي أثر الضربة سمة فيه وعلامة له.

*سيهزم الجمع ويولون الدبر: يتنبأ القرآن بهزيمة جموع الأعداء في وقت لا مجال فيه لفكرة الحرب ، فضلا عن التقاء الجمعين وانهزام المشركين وذلك قوله سبحانه في سورة القمر " سيُهْزَمُ الجَمعُ ويولونَ الدُّبُرَ " مع أنّ الجهاد لم يشرع إلا في السنة الثانية للهجرة . فأين ما يتنبأ به القرآن إذن ؟ وأنّى لمحمد ذلك إنْ لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم . روي ابن أبي حاتم أنّ عمر جعل يقول حين نزلت هذه الآية : أي جمع هذا ؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يقولها . أي يردد الآية .

*عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن: مِمّا جاء في معرض التحدي بالقرآن ، من قوله سبحانه : " فإنْ لمْ تفعلوا ولن تفعلوا " [سورة البقرة]. وقوله : " قُل لَئِن اجتمعتِ الإنسُ والجِنُّ على أنْ يأتوا بمثْلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيرا " [سورة الإسراء] فإنّ ما تراه في هاتين الآيتين من القطع بانتفاء قدرة المخاطبين وجميع الإنس والجن على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآن ، وقد تناول أطواء المستقبل (والمستقبل غيب) لا يملكه محمد ولا مخلوق غيره ، ومع ذلك تحققت نبوءة القرآن ، حيث انقرضت طبقة المخاطبين به دون أنْ يستطيعوا معارضة أقصر سورة منه ، ومضت بعدهم أجيال وأجيال من عرب وأعاجم ، وكلهم قد باءوا بالعجز ولم يستطيعوا المعارضة إلى اليوم ، مع وجود أعداء للإسلام في هذه العصور المتأخرة ، أكثر وأقدر وأحرص على هدم هذا الدين من أولئك الأعداء الأولين . لاحظ مع هذا ما يثيره هذا التحدي الطويل العريض الجريء ، من الحميَّة الأدبية التي تبعث روح المنافسة على أشدها في نفوس مَن يتحداهم . ثم لاحظ أنّ المتأخرين من الناقدين لايعييهم في العادة أنْ يستدركوا على السابقين ، إما نقصا يعالجونه بالكمال ، أو كمالا يعالجونه بما هو أكمل منه وإذا فرضنا أنّ واحدا قد عجز عن هذا فمن البعيد أنْ تعجز عنه جماعة . وإذا عجزت جماعة فمن البعيد أنْ تعجز أمة . وإذا عجزت أمة فمن البعيد أنْ يعجز جيل . وإذا عجز جيل فمن البعيد أنْ تعجز أجيال ، فكيف يصدر إذن مثل هذا التحدي عن رجل يعرف ما يقول ، فضلا عن رجل عظيم ، فضلا عن رسول كريم ، فضلا عن محمد أفضل المرسلين ؟! وهل يمكن أنْ يفسر هذا التحدي الجريء الطويل العريض إلا بأنه استمداد من وحي السماء ، واستناد إلى مَن يملك السمع والأبصار ، وحديث عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ؟!

انتصار الإسلام على كل الأديان: ما جاء في التنبؤ بمستقبل الإسلام ونجاحه نجاحا باهرا، فقد أخبر القرآن والمسلمون في مكة قليل مستضعفون في الأرض يخافون أنْ يتخطفهم الناس بأنّ الإسلام سيظهر ويبقي، وأنّ كتابه سيكتب له الحفظ والخلود منفردا بهذه الميزة عن سائر كتب الله. اقرأ إن شئت قوله تعالى في سورة الرعد: " كذلكَ يَضربُ اللهُ الحقَّ والباطلَ فأمّا الزَّبدَ فيذهب جُفاءً. وأمّا ما ينفعُ النّاسَ فيمكثُ في الأرضِ" وممّا يؤيد صدق هذه النبوءة أنّ الإسلام على الرغم من الأعاصير العاتية التي واجهته في أزمان متطاولة وعهود مختلفة بقي ثابتا يسامي الجبال، شامخا يطاول السماء، وكذلك لقي كتابه العزيز ولا يزال يلقي من الهمز واللمز والتضليل والبهتان الكثير ما لم يلقه كتاب قبله ومع ذلك فالقرآن هو القرآن ، لا يزال عرشه في سمائه، يمد العالم كله بحرارته وضيائه، ولم تنل منه هذه إلا كما ينال نباح الكلاب من عاليات السحاب.

---

*عصمة الرسول ﷺ: ومنه إنباء القرآن بأنّ الله عاصم رسوله وحافظه من الناس، لا يصلون إليه بقتل ولا يتمكنون من اغتيال حياته الشريفة بحال " واللهُ يعصِمُكَ مِن الناسِ" [سورة المائدة] ولقد تحققت نبوءة القرآن هذه، ولم يتمكن أحد من أعداء الإسلام من قتله مع كثرة عددهم ووفرة استعدادهم وهو أضعف منهم في حين كم من الملوك والأمراء والفراعنة قد ضرجت الأرض بدمائهم وهم بين جنودهم وخدامهم. ومن شواهد حماية الله لرسوله وإنجازه له هذا الوعد، ما ورد عن علي رضي الله عنه قال كنا إذا احمر البأس وحمى الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ

*انتصار الروم البيزنطيين: مثال آخر مدهش عما يكشفه القرآن الكريم عن المستقبل يمكننا أنْ نجده في الآيات الأولى من سورة الروم التي تشير إلى الإمبراطورية البيزنطية وهي الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية إذ تذكر هذه الآية أنّ الإمبراطورية البيزنطية هزمت هزيمة نكراء، ولكنها سوف تنتصر بعد ذلك بوقت قصير. قال تعالى: " ألم * غُلِبتِ الرومُ* في أدنَى الأرضِ وهم من بعدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* في بِضْعِ سِنِين للهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنونَ* بنصرِ اللهِ يَنصرُ مَن يشاءُ وهُو العزيزُ الرَّحيمُ* وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وعدَه ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمونَ* " [سورة الروم]. وهذه الآية التي تتحدث عن هذا الموضوع نزلت في عام 620 ميلادية بعد سبع سنوات تقريبا من هزيمة الإمبراطورية على يد الفرس الوثنين، وقد أشارت الآية إلى أنّ الروم البيزنطيين سوف يحرزون النصر في معركة أخرى قريبة. وبالفعل فقد عانى الروم البيزنطيون حينها من خسائر جسيمة جعلت أمر بقاء إمبراطوريتهم على محك، ولذلك كان من المستبعد انتصارها مرة أخرى، فلم يكن الفرس فقط هم الخطر الوحيد الداهم بل كان معهم أيضا الآفار و السلاف واللومباريون، فقد وصل الأفار إلى أسوار ، فأمر إمبراطور البيزنطيين آنداك هرقل أنْ يصهر الذهب والفضة الذي في الكنائس ويحول إلى أموال تغطي الجيش، وعندما لم يكن ذلك كافيا، أذيبت حتى التماثيل البرونزية وحولت إلى أموال، مما ألّب الكثير من الولاة ضد هرقل ووصلت الإمبراطورية إلى مشارف الانهيار. فقد غزوا الفرس الوثنين كلا من وادي الرافدين وكيليكيا وسوريا وفلسطين ومصر التي كانت من قبل تحت الحكم البيزنطي. وباختصار فإنّ الجميع كانوا يتوقعون أنْ تدمر الإمبراطورية البيزنطية. لو كان في تلك اللحظات نزلت الآيات الأولى من سورة الروم لتعلن أنّ الإمبراطورية سوف تحرز النصر في غضون بضع سنوات من هزيمتها. وهذا النصر بدا مستحيلا في أعين العرب المشركين إلى درجة دفعت بهم إلى السخرية من هذه الآيات القرآنية، وظنوا أنّ هذا النصر الموعود في القرآن لن يتحقق. وبعد ما يقارب السبع سنوات من نزول الآيات من سورة الروم، وفي الشهر الثاني عشر من عام 627 م وقعت معركة حاسمة بين الإمبراطورية الفارسية والبيزنطيون الفرس هزيمة غير متوقعة وربحوا المعركة. وبعد أشهر قليلة توصل الفرس إلى معاهدة مع الروم أجبرتهم على إعادة الأراضي التي استولوا عليها.
وفي نهاية الأمر فإنّ نصر الروم الذي أعلنه الله في القرآن الكريم تحقق كاملا.
*قصة سراقة مع النبي ﷺ عند الهجرة: لَمّا هاجر النبي ﷺهو وصاحبه أبو بكر في قصة الهجرة المشهورة وتبعتهم قريش بفرسانها، أدركهم سراقة بن مالك المدلجي وكاد يمسك بهم، فلما رآه سيدنا أبي بكر قال أتينا يا رسول الله فقال له النبي ﷺ: لا تحزن إنّ الله معنا. فدعا النبيﷺ على سراقة فساحت يدا فرسه في الرمل فقال سراقة: إنّي أراكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أنْ أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ ، وفي رواية أنّ النبي ﷺ قال لسراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى وتاجه. فلما فتحت فارس والمدائن وغنم المسلمون كنوز كسرى أتي أصحاب رسول الله بها بين يدي عمر بن الخطاب، فأمر عمر بأنْ يأتوا له بسراقة وقد كان وقتها شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين من العمر، وكان قد مضى على وعد رسول الله له أكثر من خمسة عشر سنة فألبسه سواري كسرى وتاجه وكان رجلا أزب أي كثير شعر الساعدين فقال له: أرفع يديك وقل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي، وقد روى ذلك عنه بن أخيه عبد الرحمن بن ماللك بن جعشم وروى عنه بن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاوس. ولقد مات سراقة في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان. فمن أخبر محمدا بن عبدالله هذا الإنسان الهارب من القتل بأنّ الله سوف يغنم أمته كنوز كسرى وتاجه ولبسها سراقة الأعرابي.
*وفاة أبي ذر الغفاري: وعن إبراهيم بن الأشتر أنّ أبا ذر لمّا حضره الموت وهو بالربذة فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ فقالت: أبكي أنه لا يد لي بنفسك وليس عندي ثوب يسع لك كفناً، قال: لا تبكي فإنّي سمعتُ رسول اللهﷺ يقول:{ ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين}. قال: فكل مَن كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، ولم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق فإنك سوف ترين ما أقول، فإني والله ما كذبت ولا كذبت، قالت: وأنى ذلك وقد انقطع الحاج، قال: راقبي الطريق، قال: فبينا هي كذلك إذا هي بالقوم تَخُبُّ بهم رواحلهم كأنهم الرخم، فأقبل القوم حتى وقفوا عليها فقالوا: ما لك؟ فقالت: امرؤ من المسلمين تكفنوه وتؤجرون فيه، فقالوا: ومن هو؟ قالت أبو ذر، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ووضعوا سياطهم في محورها يبتدرونه، فقال: ابشروا فأنتم النفر الذي قال رسول اللهﷺ فيكم ما قال، ثم أصبحت اليوم حيث ترون، ولو أنّ لي ثوبا من أثوابي يسع لأكفن فيه فأنشدكم بالله لا يكفني رجل منكم كان عريفا أو أميرا أو بريدا فكل القوم قد نال من ذلك شيئا إلا فتي من الأنصار كان مع القوم، قال: أنا صاحبك، ثوبان في عيبتي من غزل أمي و أحد ثوبي هذين اللذين علي، قال: أنت صاحبي فكفنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه منهم حجر بن الأدبر ومالك الأشتر في نفر كلهم يمان. وفي رواية أخري قال أخبرنا أحمد بن محمد بن أيوب قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن سعد بن إسحاق قال حدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي عن عبدالله بن مسعود قال لَمّا نفي عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أنْ اغسلاني وكفناني وضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمارا فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطأها فقام إليه الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فاستهل عبدالله يبكي ويقول صدق رسول الله{ تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك} ثم نزل هو وأصحابه فواروه ثم انصرفوا.
*في ظهور نار الحجاز: عن أبي ذر، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ فرأينا ذا الحليفة، فتعجل رجال إلى المدينة، وبات رسول الله ﷺ وبتنا معه، فلما أصبح سأل عنهم، فقالوا إلى المدنية، فقال: تعجلوا إلى المدينة والنساء، أما إنهم سيدعونها أحسن ما كانت. ورواه ابن شيبة من غير ذكر:{ بأرض اليمن}، ولفظه:{ ليتركنها أحسن ما كانت، ليت متى تخرج نار من جبل الوراق تضيء لها أعناق الإبل ببصرى بروكا كضوء النهار}.وأخرج الطبراني، في آخر حديث لحديفة بن أسيد: وسمعت رسول اللهﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان أو ركوبة(وهي ثنية بين مكة والمدينة) تضيء منها أعناق الإبل ببصري قلت: وركوبة ـ كما ـ سيأتي ثنية قريبة من ورقان،

ولعله المراد بجبل الوراق. قال الحافظ ابن حجر: وروماني لم يذكرها البكري، ولعل المراد: رومة، البئر المعروفة بالمدينة. وهذه النار مذكورة في الصحيحين، في حديث:{ لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز}.ولفظ البخاري:{ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري}.وروى الطبراني، بسند ضعيف، عن عاصم بن عدي الأنصاري، قال: سألنا رسول الله ﷺ حدثان لما قدم، فقال:{ أين جئت؟ فقال: مِن حبس سيل، فدعوت بنعلي، فانحدرت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، سألتنا عن حبس سيل فقلنا: لا علم لنا به، وإنه مر بي هذا الرجل فسألته فزعم أنّ به أهله، فسأله رسول الله ﷺ، فقال: أين أهلك؟ فقلا: بحبس سيل، فقال: أخرج أهلك منها، فإنه يوشك أنْ تخرج منها نار تضيء أعناق الإبل ببصري}.وروى عن رسول اللهﷺ { يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير سير ببطيئة الإبل، تسير النهار وتقيم الليل}.وظهور النار المذكور بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهارا بلغ حد التواتر عند أهل الأخبار، وكان ظهورها لإنذار العباد بما حدث بعدها، فلهذا ظهرت على قرب مرحلة من بلد النذير ﷺ، وتقدمها زلازل مهولة، وقد قال تعالى: " ومَا مَنَعَنَا أن نُرسِلَ بالآياتِ إلا أن كَذَّبَ بِها الأولونَ وآتينا ثمودَ النَّاقةَ مُبْصِرةً فظلمُوا بِها ومَا نُرسِلُ بالآياتِ إلا تَخويفاً" [سورة الإسراء] وقال تعالى: " لهم من فَوقِهِمْ ظُللٌ مِنَ النَّارِ ومِن تَحتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِكَ يُخوِّفُ اللهُ به عبادَه يا عبادِ فاتقونِ" [سورة الزمر]

ظهور النار: ولمّا ظهرت النار العظيمة الآتية وصفها، وأشفق منها أهل المدينة غاية الإشفاق، التجأوا إلى نبيهم المبعوث بالرحمة، فصرفت عنهم ذات الشمال وزاحت عنهم الأوجال، وظهرت بركة تربته صلى الله عليه وسلم في أمته، ولعل الحكمة في تخصيصها بهذا المحل ـ مع ما قدمناه من كونه حضرة النذير ـ الرحمة لهذه الأمة فإنّها ظهرت بغيره، وسلطان القهر والعظمة التي هي من آثاره قائم لربما استوليت على ذلك القطر ولم تجد صارفا، فيعظم ضررها على الأمة، فظهرت بهذا المحل الشريف لحكمة الإنذار، فإذا تمت قابلتها الرحمة فجعلتها بردا وسلاما، إلى غير ذلك من الأسرار. وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مستهل جمادى الآخر، أو آخر جمادىالآخر، أو آخر جمادى الأول سنة أربعة وخمسين وست مائة، لكنها خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك، واشتدت في يوم الثلاثاء على ما حكاه القطب القسطلاني. وظهرت ظهورا عظيماً، اشترك في إدراكه العام والخاص، ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه، في الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها، وانزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت تزلزل بقية الليل، واستمرت إلى يوم الجمعة ولها دوي أعظم من الرعد، فتموج الأرض وتتحرك الجدران، حتى وقع في يوم واحد دون ليلة ثماني عشرة حركة، على ما حكاه القسطلاني. وقال القرطبي: قد خرجت نار الحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وست مائة، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت بقريظة، بطرف الحرة ترى في صفة البلد العظيم، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموعة ذلك مثل النهر أحمر وأزرق، له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور بين يديه، وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر. وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى ـ وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام. ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة الشريفة وغيره أنّ في ليلة الأربعاء ثالثة جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وباتت في تلك الليلة تزلزل، ثم استمرت تزلزل كل يوم وليلة مقدار عشر مرات. قال: والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أنْ سمعنا منه صوتا للحديد الذي فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف. زاد القاشاني: ثم في اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، إلى أنْ اضطربت منائر المسجد، وسُمِع لسقف المسجد صرير عظيم. قال القطب القسطلاني: فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشى الأفق سواده، فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة الشرق. قال القاضي سنان: وطلعتُ إلى الأمير ـ وكان عزالدين منيف بن شيحة وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله، فأعتق كل مماليكه، ورد على الناس مظالمهم زاد القاشاني: وأبطل المكس. ثم هبط الأمير للنبي ﷺ وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت، ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار، ولم يبق أحد في النخل إلا جاء إلى حرم الشريف وبات الناس يتضرعون ويبكون، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤوسهم مقرين بذنوبهم مبتهلين مستجيرين بنبيهم ﷺ وقال القطب: ولمّا عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة واعتبر، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر، وأظهر التوبة والإنابة، وأعتق جميع مماليكه، وشرع في رد المظالم وعزم أهل المدينة على الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار، وفزعوا إلى التضرع والاستغفار، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشريف سنان وأعيان البلد، والتجأوا إلى الحجرة الشريفة، وباتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال، فصرف الله تعالى تلك النار العظيمة ذات الشمال، ونجوا من الأهوال، فسارت تلك النار من مخرجها وسالت ببحر عظيم من النار، وأخذت في وادي أحيليين وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ومالت من مخرجها إلى جهة الشمال، واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون. وذكر القطب القسطلاني في كتاب أفرده لهذه النار، وهو ممّن أدركها لكنه كان بمكة فلم يشاهدها: إنّ ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة، وأنها دامت إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب، ثم خمدت ـ فجملة ما أقدمت اثنين وخمسين يوما، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطفئة أياما ثم ظهرت، قال: وهي كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى، فهي لا يؤمن عودها وإنْ طفيء وقودها. فكأن ما ذكره المؤرخون من المدة باعتبار انقطاعها بالكلية، وطالت مدتها ليشتهر أمرها فينزجر بها عامة الخلق ويشهدوا من عظمها عنوان النار التي أنذرهم بها حبيب الحق صلى الله عليه وسلم. وذكر القسطلاني عن مَن يثق به: أنّ أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إلى هذه النار للإتيان بخبرها، فلم تجسر الخيل على القرب منها، فترجل أصحابها واقتربوا منها فرأوا أنها ترمي بشرر كالقصر، ولم يظفروا بجلية أمرهم، فجرد عزمه للإحاطة بخبرها،، فذكر أنه وصل منها إلى قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع أنْ يجاوز موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابلة ما يتصاعد من اللهب، فعاين نارا كالجبال الراسيات،

والتلال المتجمعة السائدات، تقذف بزبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج، وعقد لهيبها في الأفق قتاما حتى ظن الظان أنّ الشمس والقمر كسفا إذ سلبا بهجة الإشراق في الأفاق، ولولا كفاية الله كفتها لأكلت ما تقدم عليه من الحيوان والنبات والحجر.
قلت: وذكر القسطلاني: إنّ هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرارة ووادي الشظاة، وهي تسحق ما والاها، وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى من قوة اللظى، وأنّ طرفها الشرقي أخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت، وأنّ طرفها الشامي وهو الذي يلي الحرم ـ اتصل بجبل يقال له: وعيرة، على قرب من شرقي جبل أحد، ومضت في الشظاة الذي في طرفه وادي حمزة رضى الله عنه، ثم استمرت حتى استقرت تجاه حرم النبي صلى الله عليه وسلم فطفئت. وقال القسطلاني: إنّ ضوءها استوى على ما بطن من القيعان وظهر من التلال، حتى كأن الحرم النبوي عليه الشمس مشرقة، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة، ودام على ذلك لهبها حتى تأثرت له النيران، صار نور الشمس على الأرض تعتريه صفرة، ولونها من تصاعد الالتهاب تعتريه حمرة، والقمر كأنه قد كسف من اضمحلال نوره. قال: وأخبروني جمع ممن توجه للزيارة على طريق المشيان أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجد وآخرون: أنهم شاهدوا من جبال سارية. قلت: نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة: أنّ هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها، ورآها أهل ينبع. قال أبو شامة: أخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب. قال أبو شامة: وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان، وكنا حيارى من سبب ذلك، إلى أنْ بلغنا الخبر عن هذه النار. وكل مَن ذكر هذه النار يقول في آخركلامه: وعجائب هذه النار وعظمتها يكل عن وصفها البيان والأقلام، وتجل عن أنْ يحيط بشرحها البيان والكلام، فظهر بظهورها معجزة للنبي ﷺلوقوع ما أخبر به وهي هذه النار، إذا لم تظهر من زمنه ﷺ قبلها ولا بعدها نار مثلها.قلت: قد تقدم عن القرطبي أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى. وصرح الشيخ عماد الدين ابن كثير بما يقتضي أنه أضاءت من هذه النار أعناق الإبل ببصرى فقال: أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي قال: أخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار ممن كان بحاضرة بلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار، فقد تحقق بذلك أنها الموعودة بها، والحكمة في إنارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصول الإنذار، ليتم به الانزجار.

*إسلام عمرو بن عبسة: قال عمرو بن عَبَسَة السلمي: " كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ـ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ـ. فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى فدَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قال: أَنَا نَبِيٌّ. فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ. فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ. قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ ـ قَالَ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ ـ. فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: {إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ! وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي.} قَالَ [عمرو بن عبسة] فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِﷺ الْمَدِينَةَ. وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ رسول اللهﷺ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ. فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ؟قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى... "مما يستفاد من هذه القصة: أنّ رسول الله ﷺ متيقن من أنّ الإسلام سيقوى وتكون له شوكة ودولة، وأنّ ذلك سيكون على عهد رسول الله ﷺ.. وما يهم هنا: أنّ عمرو بن عبسة سيمتد به العمر حتى يُسلِمَ بعد ظهور الإسلام، وإلا لما كان محمدﷺ سيتركه دون أنْ يخبره بتعاليم الإسلام، مع احتمال وفاته على غير إسلام كامل، بل يؤجل ذلك إلى ما بعد الهجرة. أما طلبُ تأجيل إشهار إسلام عمرو بن عبسة فمن باب السياسة الشرعية، والأخذ بالأسباب.فقد رأى رسول الله ﷺأنّ الأفضل لعمرو بن عبسة تأخير إعلان إسلامه والالتحاق بالسابقين الأولين من المسلمين؛ رحمة به، وادخاره للمستقبل، وإبعاداً له عن مظان الخطر.

*تحقق الوعد النبوي لتميم الداري: بعد إسلامه بقليل.. قال تميم الداري: يا رسول الله إني لي جيرة من الروم بفلسطين، لهم قرية يقال لها حبرا [الخليل]، وأخرى يقال لها بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي ـ قال: " هما لك"ـ قال: " فاكتب لي بذلك كتاباً ". فكتبَ له: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب محمد رسول الله ﷺ لتميم بن أوس الداري، أنّ له قرية حبرا وبيت عينون، قريتها كلها: سهلها وجبلها وماؤها وحرتها وأنباطها وبقرها، ولِعَقِبِه من بعده..". فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كتبَ له كتاباً نصُّه: هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله ﷺ الذي استخلِف في الأرض بعده، كتبه للداريين [تميم الداري وأبناؤه] ألا يفسد عليهم مأثرتهم قرية حبرا وبيت عينون، فمَن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئاً، وليقمْ عمرو بن العاص عليهما، فليمنعهما من المفسدين . وعائلة التميمي التي تنتسب إلى تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ أصيلة في الخليل (حبرون)، وهي من أعرق العائلات الخليلية لغاية الآن...

****

فرعون ذو الأوتاد

قال تعالى:"ألمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ{6} إرَمَ ذاتِ العِمادِ{7} التي لمْ يُخْلَقْ مِثْلُها في البلادِ{8} وثَمودَ الذينَ جَابوا الصَّخرَ بالوادِ{9}وفرعونَ ذِي الأوتادِ {10}الذينَ طَغَوْا في البلادِ {11}فأكثروا فيها الفسادَ{12} فَصَبَّ عليهم رَبُّكَ سَوطَ عذابٍ{13} إنّ ربّكَ لبِالمِرْصادِ{14} "[سورة الفجر]. وقال تعالى: " كذبتْ قبْلهُمْ قومُ نوحٍ وَعادٌ وفرعونُ ذو الأوتادِ) [سورة ص]
السؤال الذي يطرح نفسه: هل كان(ذو الأوتاد) اسما لفرعون أم صفةً أطلقت عليه؟ يرد في كتب التفسير القول إنّ(فرعون ذو الأوتاد) هو(فرعون صاحب الأبنية المحكمة والملك الثابت، أو أنه) فرعون صاحب المباني العظيمة التي تشبه الجبال في الثبات أو أنه صاحب الجنود الأقوياء، أو المباني المتينة(الأهرامات)، ويقال أنّ فرعون كان يجعل لكل مَن يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه. لكن ملاحظتنا على هذه التفسيرات أنها لا تنصب على فرعون محدد بذاته، بل يمكن أن يوصف بها فراعنة كثر إذا تعلق الأمر بأصحاب الأبنية المحكمة والملك الثابت، أما الأهرام فتعود لملوك من الألف كثر إذا تعلق الأمر بأصحاب الأبنية المحكمة والملك الثابت، أما الأهرام فتعود لملوك من الألف الثالث ق .م. وليس للرعامسة الذين توحي رواية التوارة أنّ الخروج حدث في زمنهم. وأما ما يورده بعض الباحثين أنّ ذلك تم بطريق التعذيب فيمكن نقضه بالعودة إلى قوله تعالى في القرآن الكريم على لسان فرعون حين آمن السحرة بموسى " قالَ آمنتُم له قبْلَ أنْ آذنَ لكم إنّه لكبيرُكُمُ الذي علمَّكمُ السِّحر فلأقطعنّ أيديَكم وأرجلَكم مِن خِلافٍ ولأُصَلِّبَنّكم في جُذوعِ النّخلِ ولَتعلمُنّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى"[سورة طه] وهذا يعني أنّ فرعون ذا الأوتاد كان يصلب معارضيه في جذوع النخل بعد أنْ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ولا يشدهم بالأوتاد. ولقد ذهب المؤرخون العرب القدامى إلى إعطاء أسماء لفرعون موسى. فقال بعضهم إنه الوليد بن مصعب. وقال آخرون إنّ قابوس بن مصعب، ولم يقل أحد إنه ذو الأوتاد مِمّا يعني أنّهم كانوا يجهلون هذا الاسم أو هذه الصفة. وقد انفرد القرآن الكريم بإيرادها، وأكدها مرتين. وطبيعي أنه إذا ورد ضمن أسماء ملوك مصر من يعني اسمه(ذو الأوتاد) أنْ يكون هذا الملك دون سواه هو فرعون موسى. ويكون هذا دليلا إضافيا على إعجاز القرآن الكريم وكونه منزلا، وكاشفا إضافيا عن التزوير الذي مارسه كتبة التوارة المتداولة. والسؤال الآن: هل ورد في أسماء ملوك مصر اسم بمعنى (ذو الأوتاد) ؟ والجواب نعم: إنه اسم آخر ملوك الأسرة الأولى، والذي ورد في قائمة مانيتو بصيغة (بيينخيس) وهو قاعا. فهذا الاسم مؤلف من ثلاثة مقاطع هي بي وإن وخيو حيث السين إضافة يونانية، والضمة فوق الياء أصلها واو الجمع فلنحاول قراءة هذه المقاطع على أساس اللغة المصرية القديمة.
وبالعودة إلى الجهد الطيب والقيم للدكتور ـ على فهمي خشيم ـ في كتابه (آلهة مصر العربية) يتبين لنا أنّ بـ ء في البداية تعني ذا أو ذو بالعربية. وأما النون في المصرية فتقابل اللام في العربية وهي جذر " أل" التعريف في العربية. فالمقطع بين (بي.إن) في اسم بيينخيس) يعني"ذو أل " ويبقى المقطع خيو. ويقول الدكتور على فهمي خشيم لقد تطورت دلالة الجزر أخ في المصرية الذي يبدو أنه يفيد أساسا الماء، فكان يدل على النبات المائي، ثم على البنت عامة، وعلى الزهر، كما دلّ على النجوم (زهور السماء)، وبالتالي دل على الليل. وفي كلها معنى الكثرة والوفرة.وبذا تطورت دلالة الجذر ءخ لتعني الرفاهية والعز، ثم المجد والحكم والقوة والسلطان. وهذا ما نجده في الأكادية: " أخو : نبت ". " أخو :حام " مدافع. " أكو : عظيم كبير . " خو " : مجيد. " أقو " : تاج . " أقو : ماء " وفي العربية : أقا ـ أقاة : شجر . " أخيه" آخيه ، وتد (يتخذ من الشجر ويفيد الربط والقوة) . " أخو " "أخ " : حاكم سيد (نائب الملك عند عرب النبط، والأمير عند عرب الهكسوس) . وفي مواضع أخرى ترد "خو " (يد تمسك بسوط أو مدقة) بمعنى يقوى، يحكم، " خو" بمعنى الروح المتعالية. " خا " (عمود) بمعنى وخيه أو أخيه (وتد) ش .
ويقول د. خشيم إن المصرية "خء" تساوي بالضبط مقلوبها "ءخ"في معجم هذه اللغة، بل حتى في كل ما اشتق من اللفظين وهو كثير وترد الكلمة المصرية " خي " عند أمبير بمعنى مشيمة. وهي بذلك تفيد مثلها يعني الوتد الربط. ولقد استشرنا الزميل عبدالحكيم ذنون فيما يعنيه هذا المصدر نفسه (خ) في السومرية والآشورية والآرامية، فأكد أنه حيثما ورد في الكتابات السماوية والآرمية فإنه يعني " الربط".وبهذا المفهوم يعني"أخ"حيث الأخ مرتبط بأخيه ـ مثلما يعني "وتد"حيث تربط به الخيمة أو الدابة .....إلخ ..وواضح من هذه المعطيات أنّ المقطع " خيو " في اسم " بيينخيس " يمكن أنْ يترجم إلى " أوتاد" ويكون الاسم معني" بيينخيس " في هذه الحالة هو " ذو الأوتاد ". ويكون صاحب هذا الاسم تحديدا هو فرعون موسى. مما يعني أنّ واقعة الخروج من مصر إنما تمت حوالي العام 3000 ق .م. أي قبل الزمن التوراتي المقدر لها بحوالي 1700 سنة.

****

اليهود والتحالف مع الأقوى

قال تعالى: " ضُرِبتْ عليهم الذِّلةُ أيْنَ ما ثُقِفُوا إلا بحبلٍ مِن اللهِ وحبلٍ من الناس وباءوا بغضبٍ مِنَ اللهِ وضُرِبتْ عليهمُ المسْكنةُ ذلكَ بِأنّهم كانوا يكفرونَ بآياتِ اللهِ ويقتلونَ الأنبياءَ بغيرِ حقٍ ذلكَ بِما عَصَوا وكانوا يعتدونَ" [سورة آل عمران] ضربت عليهم الذلة أي اليهود، أينما ثقفوا أي أينما وجدوا، إلا بحبل من الله وحبل من الناس، أكثر المفسرين فسرها بعهد الله وعهد الناس. أخرج ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس وحبل من الناس قال: بعهد من الله وعهد من الناس. ومن معاني الحبل هو العهد والوصل والسبب. فمعنى الحبل في هذه الآية السبب فاليهود ضربت عليهم الذلة أينما وجدوا إلا بسبب من الله وهو إتباعهم الوحي والهدي النبوي عندما اتبعوا سيدنا موسى عليه السلام فأعزهم الله بعدما كانوا أذلة، أو بسبب من الناس من خلال تملق الأقوياء والتحالف معهم وجعلهم أداة وسيلة تحقيق أهدافهم. وهذا ما يصدقه الواقع والتاريخ فاليهود قوم انتهازيين وصوليين، يتملقون الأقوياء ويتحالفون معهم من أجل خدمة أهدافهم، فحين ظهر قورش في بلاد فارس، وأصبح قوة جبارة، ساعده اليهود واعتبروه مخلصا ربانيا لهم، بل وصفوه بالمسيح المنتظر، وجاء في سفر أشعيا: (هكذا يقول الرب لمسيحه، لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما، وأحل أحزمة ملوك، لأفتح أمامه المصراعين، فلا تغلق الأبواب، إنني أمشي أمامك، وأمهد الهضاب، وأحطم مصراعي النحاس، وأكسر مزاليج الحديد، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابئ، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفني). وقد قدم قورش هذا وعدا لليهود بالعودة إلى فلسطين، على نفس الطريقة التي صدر بها وعد بلفور. وعندما كانت العلاقات

بين الكلدانيين والمصريين متوترة، ومرشحة للاصطدام، قدر اليهود أنّ النصر سيكون حليف المصريين، لذلك سارعوا للتحالف معهم، وخالفهم في ذلك النبي" أرميا الكاهن" فقد كان اعتقاده أنّ النصر سيكون من نصيب بختنصر وجيشه. ولمّا انتصر جيش بختنصر، اقتحم بختنصر القدس وساق اليهود أسرى إلى بابل، وقدر للنبي" أرميا" موقفه فترك له الحرية في البقاء أو الهجرة. وحين برز المسلمون كقوة عالمية سارع اليهود للتحالف معهم وكسب ودهم، بل راحوا يتجسسون لهم على الروم وغيرهم. وفي الأندلس استقبلوا المسلمين، فلما خرجوا منها كانوا معهم، واستقروا في أقطار المغرب وتركيا، فلما أفل نجم المسلمين، راحوا يتجسسون عليهم لمصلحة الاستعمار الغربي، بل راحوا يغرونه بالغزو. وحين سطع نجم هولاكوا في المشرق كاتبه يهود بغداد وحالفوه وقدموا له المال والمشورة، قبل أنْ يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة ومليونا من المسلمين سلم اليهود، فلم يقتل منهم أحد، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب وفي العصر الحديث ابتدأ رهانهم على فرنسا فحالفوها، وراحوا يتعلمون الفرنسية، ويعلمون في خدمة النفوذ الفرنسي، فلما برزت إنكلترا قوة جديدة، تحولوا إليها وربطوا مصيرهم بها، ورحوا يغرون الإنكليز باستعمار فلسطين وغيرها، واتخذوا من "لندن " مقرا لحركتهم ونشاطهم، فلما توحدت ألمانيا وبرزت قوة سياسية، تركوا لندن، توجهوا إلى برلين، وقام بعضهم بترجمة التوارة للألمانية، كما راحوا يتعلمون الألمانية، ويعقدون المؤتمرات هناك، ويكتبون بالألمانية كافة القرارت، بقي الحال هكذا حتى بعد ظهور هتلر، حيث ظلوا على صلة به، يحاولون استثمار كرهه للمساعدة في الهجرة إلى فلسطين. وفي كتاب الصهيونية في زمن الدكتاتورية " لكاتبه اليهودي ليني برينر " والذي قام بترجمته و التقديم له د. محجوب عمر وأصدرته :" مؤسسة البحوث العربية " قد كشف المؤلف عن وثيقة باسم " أنقرة " وفيها أدلة على اتصال الإرهابي " شتيرن " صاحب العصابة التي حملت اسمه ، وقد قام بالاتصال أولاً بالفاشيين الإيطاليين ثم جانبهم ، بشرط المساعدة على قيام دولة إسرائيل ، وكان هذا عام **1940** حين كان نجم " المحور " في صعود وانتصاراتهم تدوي في العالم ، وخسارتهم للحرب تبدو بعيدة جداً . ففي عام **1940**م جرى اتصال بيهودي يعمل مع الشرطة البريطانية في القدس وكان عميلا (لموسليني) وكان الاتفاق يقضي بأنْ يعترف (موسليني) بدولة عبرية في فلسطين ، وفي مقابل ذلك يحارب اليهود إلى جانب المحور .ولم يكتف " شتيرن " بهذا الاتصال ، فأراد أنْ يكون مع الألمان وبشكل مباشر ، لذا أرسل " نفتالي لونستيك " إلى بيروت (وكانت بحكم حكومة " فيشي " التي أقامها المحور في فرنسا) . وفي كانون الثاني **1942**م قابل " لونستيك " الألماني " رودلف روزين وأوتوفرن " الذي كان مسؤلاً عن الإدارة الشرقية في الخارجية الألمانية . إنّ تاريخ الوثيقة هو **11** كانون الثاني **1941**م ، وكانت جماعة " شتيرن " لا يزالون يعتبرون أنفسهم " الأرجون الحقيقي ". ولم يَتبينوا اسم " المقاتلين من أجل الحرية " إلا فيما بعد ، (حيث حصل الانشقاق) وفي الوثيقة قالت مجموعة " شتيرن " للنازيين : (إنّ جلاء اليهود عن أوروبا هو شرط مُسبَق لحل المسألة اليهودية ، وهذا لا يمكن إلا من خلال إقامة الدولة اليهودية وفي حدودها التاريخية ، وإنّ المصالح المشتركة يمكن أنْ تكون في إقامة نظام جديد في أوروبا ، متسق مع المفهوم الألماني والطموحات القومية للشعب اليهودي ، كما تجسدها المنظمة العسكرية القومية ، وإنّ التعاون بين ألمانيا الجديدة وبين عبرانية شعبية متجددة ممكن ، كما أنّ إقامة الدولة اليهودية التاريخية على أسس قومية شمولية ، ومرتبط بمعاداة مع الريخ الألمانية ، ستكون في مصلحة الحفاظ على موقع نفوذ ألماني مستقبلي في الشرق الأوسط وتقويته . وانطلاقاً من هذه الطموحات القومية المذكورة والخاصة بحركة الحرية الإسرائيلية من جانب الرايخ الثالث (هتلر) ، تعرض أنْ تشارك بنشاط في الحرب إلى جانب ألمانيا) . والغريب أنّ " شتيرن " ويشاركه آخرون يشعرون بأنّ الصهاينة هم الذين خانوا المحور وليس العكس . يوم أنْ قام هتلر بإغلاق النوادي اليهودية ، ومصادرة صحفها ، استثنى الصحف الصهيونية ، حيث استمرت على الكتابة والنشر ، وهذه الصلة صارالبحث فيها ، من المحرمات ومن يبحث فلن يجد داراً تنشر له ، لأنّ سيف الإرهاب الصهيوني مسلط فوق الرؤوس في الغرب . ثم تحولوا بعد ذلك إلى لندن وحالفوا الإنكليز . وبعد الحرب العالمية الثانية أدركوا أنّ مركز القوة قد تحوّل إلى أمريكا ، فتوجهوا إلى هناك ، رامين بثقلهم المالي والإعلامي والتنظيمي . وغداً إذا ما شعروا بأنّ روسيا أو الصين مرشحة للصعود

.***********

المصائب التي حلت بآل فرعون

قال تعالى : " فأَرْسَلنا عليهمُ الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَفادعَ والدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مُجرمينَ" [سورة الأعراف]. وقال تعالى: " ولقد أخذنا آلَ فِرعونَ بالسنينَ ونقْصٍ مِنَ الثَّمراتِ لعلهم يَذكرونَ"[سورة الأعراف]

هذه الكوارث التي حلت بمصر لم تكتشف إلا في عام **1909** عندما عثر علماء الآثار على كتاب من ورق البردي دُوِّن عليه أحد رجال قصر فرعون النكبات التي حلت بمصر ولقد تم الاحتفاظ بهذا المخطوط الهام في متحف " ليدن" في هولندا ولقد قام بترجمته الباحث والخبير في تاريخ مصر القديمة أ. هـ كاردنير وإليكم بعض العبارات من لوح البردي بعد ترجمته: الوباء في كل أنحاء الأرض، الدم في كل مكان، النهر هو كالدم، ونتيجة للهلاك الذي حل البارحة لقد استلقى الناس متعبين مثل الكتان المقطع. إنّ مصر الدنيا تبكي، القصر بكامله دون موارده التي كان ترده من القمح والشعير والأوز والسمك. المغفرة لقد هلكت البذور في كل جانب. إنّ الارتباك والضجة المخيفة امتدت في كل الأرض لم يكن هناك خروج من القصر ولم يستطع أحد رؤية وجه رفيقه لمدة تسعة أيام لقد تدمرت البلدان بالمد المحتوم لقد عانت مصر العليا من الخراب.. الدم في كل مكان وكان ينتشر الطاعون في جميع أنحاء البلاد لا أحد حقا سيبحر إلى بيبلوس اليوم ماذا سنفعل من أجل الأوز من أجل موميائنا؟ لقد نضب الذهب. لقد عاد الرجال مشمئزين من تذوق الكائنات الحية وهو متعطشين للماء. ذلك هو ماؤنا وتلك هي سعادتنا ماذا سنفعل بالنسبة لذلك؟ كل شيء تدمر. إنّ سلسلة الكوارث التي حلت بشعب مصر بحسب هذه الوثيقة(البردي) تتوافق تماما مع وصف القرآن لهذه المحنة.

****

نجاة فرعون ببدنه

كشف الدكتور- موريس بوكاي - في كتابه القرآن والعلم الحديث عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليم مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آية للعالمين حيث قال تعالى: " فاليومَ نُنَجِّيكَ ببدنِكَ لتكونَ لمَنْ خَلفكَ آيَة وإنّ كثيراً مِنَ النَّاسِ عَن ءاياتنا لغافلونَ) [سورة يونس]. يقول الدكتور بوكاي: إنّ رواية التوارة بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأنّ منفتاح خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام،وإنّ الدراسة الطبية لمومياء منفتاح قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون. إنّ التوارة تذكر أنّ الجثة ابتلعها البحر ولكنها لا تعطي تفصيلا بشأن ما حدث لها لاحقا. أما القرآن فيذكر أنْ جثة الفرعون الملعون سوف تنقذ من الماء كما جاء في الآية السابقة،وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أنّ الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ أنها لم تظهر أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل في الماء.. ولقد ذكر موريس بوكاي ما نصه: وجاءت نتائج التحقيقات الطبية لتدعم الفرضية السابقة، ففي عام 1975 جرى في القاهرة انتزاع خزعة صغيرة من النسيج العضلي، بفضل المساعدة القيمة التي أسداها الأستاذ Michfl Durigon . وأظهر الفحص الدقيق بالميكروسكوب حالة الحفظ التامة لأصغر الأجزاء التشريحية للعضلات، وتشير إلى أنّ مثل هذا الحفظ التام لم يكن ممكنا لو أنّ الجسد بقي في الماء بعض الوقت، أو حتى لو أنّ البقاء خارج الماء كان طويلا قبل أنْ يخضع لأولى عمليات التحنيط. وفعلنا أكثر من ذلك ونحن مهتمون بالبحث عن الأسباب الممكنة لموت فرعون. جرت الدراسات الطبية - الشرعية للمومياء بمساعدة Ceccaldi مدير مخبر الهوية القضائية في باريس والأستاذ Durigon وسمحت لنا بالتحقيق من وجود سبب لموت سريع كل السرعة بفعل كدمات جمجمية - مخية سببت فجوة ذات حجم كبير في مستوى صاقورة القحف مترافقة مع آفة رضية، ويتضح أنّ كل هذه التحقيقات متوافقة مع قصص الكتب المقدسة التي تشير إلى أنّ فرعون مات حين ارتد عليه الموج. ويبين الدكتور- بوكاي - وجه الإعجاز في هذه القضية قائلا: وفي العصر الذي وصل فيه القرآن للناس عن طريق محمد ﷺ، كانت جثث كل الفراعنة الذين شك الناس في العصر الحديث صوابا أو خطا أنّ لهم علاقة بالخروج ، كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية.في عصر محمد ﷺ كان كل شيء مجهولا عن هذا الأمر ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبالتالي فإنّ جثة فرعون موسى التي مازالت ماثلة للعيان إلى اليوم تعد شهادة مادية في جسد محنط لشخص عرف موسى عليه السلام، وعارض طلباته،وطارده في هروبه ومات غريقا في أثناء تلك المطاردة ولقد كانت بقايا الملح العالق في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقا وأنّ جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فورا ثم اسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه، لقد أنقذ الله جثته من التلف التام ليصبح آية للناس كما ذكر القرآن الكريم. ولقد ظهر من آثار قبر منفتاح أنه لم يكن مهيأ كما يجب لدفن ملك مثله لأنّ موته لم يكن متوقعاً ولا منتظراً فلم يهيأ له قبر خاص. فمِن أين عرف محمد وهو الأمي الذي لايقرأ ولا يكتب أنْ فرعون الغريق لم يبتلعه البحر ولم تأكله الأسماك وإنما نجّى الله جثته وألقى ببدنه على الشاطيء؟ ومن أين عرف أنّ قوم منفتاح أخذوا بدنه ووضعوه في مقبرة وادي الملوك ليأتي بعد ثلاث آلاف سنة من موته وبعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن مَن يكشف عن تلك الجثة المحنطة؟ ثم إنه مِمّا يؤكد صدق الوحي عن بقاء بدن فرعون سليما أنه لم يأتِ ذكرها في التوارة ولم يذكرها الإنجيل أصلا ولم تكن معلومة لدى المؤرخين قديما حتى يقال أنْ محمدا نقلها عن غيره.

****

ذكر هامان في القرآن

قال تعالى: "وقالَ فرعونُ يأ يُّها الملأُ ما علمتُ لكم مِن إلهٍ غيري فأوْقِدْ لي ياهامانُ على الطينِ فاجعل لي صرْحاً لعلّي أطّلِعُ إلى إلهِ مُوسى وإنِّي لأظنُّه مِنَ الكاذبينَ " [سورة القصص] يخاطبُ فرعون وجهاء قومه، أنه لا يعرف معبودا لهم غيره، فينادي هامان طالبا منه أنْ يبني له من الطين المحروق وهو القرميد بناء شاهقا، لعله يرى إله موسى... تشير هذه الآية إلى معجزات عديدة منها:

1- تأليه فرعون نفسه: في قوله " ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري" والأبحاث الأثرية التي قامت حول الحضارة المصرية القديمة تؤكد أنّ الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يُصرِّحون ببنوتهم للإله(رع) الذي يمثل إله الشمس والذي كان يعبدها قدماء المصريين، بل إنّ اسم (رع) دخل في ألقاب الفراعنة،مثل(رع نب) أي الرب الذهبي ولعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول (بريستد) عالم الآثار، والتي حفظتها نصوص الأهرام هي أنشودة للشمس تردد فيها هوية الملك بإله الشمس، إنّ هذه الأنشودة تخاطب مصر، في تعداد طويل ورائع للمنافع التي تستمتع بها، تحت حماية وسيادة إله الشمس، فعلى ذلك يمنح فرعون مصر المنافع نفسها، ولهذا يجب أنْ يتسلم نفس الهبات من مصر، ولذا الأنشودة بأكملها تعاد بوضع اسم فرعون أينما يجيء اسم (رع أو حورس) في الأنشودة الأصلية.

2- الإعجاز الثاني هو استعمال الفراعنة الآجر في بناء الصروح: فقد طلب فرعون من هامان أنْ يبني له من الطين المحروق(الآجر) صرحاً، وهذا يعتبر من الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم فقد ظل الاعتقاد السائد عند المؤرخين أنّ الآجر لم يظهر في مصر القديمة قبل العصر الروماني، وذلك حسب رأي المؤرخين والذي يرى في ذلك إشكالا في أنّ الآيات السابقة التي تبين طلب فرعون من هامان أنْ يبني له صرحا من الآجر أو الطين المحروق وظل هذا هو رأي المؤرخين إلي أنْ عثرعالم الآثار(بتري) على كمية من الآجر المحروق بنيت به قبور وأقيمت به بعضا من أسس المنشأت، ترجع إلى عصور الفراعنة (رعمسيس الثاني ومرنبتاح وسيتي الثاني) من الأسرة التاسعة عشر(1308 - 1184 ق .م) وكان عثوره عليها في: موقع أثري غير بعيد من (بي رعمسيس أو قنطير) عاصمة هؤلاء الفراعنة في شرق الدلتا.

3- أما الإعجاز الثالث هو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسمه" هامان"...ذكرالدكتور موريس بوكاي ما نصه: (يذكر القرآن الكريم شخصا باسم هامان هو من حاشية فرعون، وقد طلب إليه هذا الأخير أنْ يبني صرحا عاليا يسمح له، كما يقول ساخرا من موسى، أنْ يبلغ رب عقيدته. وأردت أنْ أعرف إنْ لم يكن هذا الاسم يتصل باسم هيروغليفي من المحتمل أنه محفوظ وثيقة من وثائق العصر، عندئذ سيكون قد حصل نقحرة (أي كتابة حروف لغة بحروف لغة أخرى) من لغة إلى أخرى، ولم أكن لأرضى بإجابة إلا إذا كان مصدرها رجلا

حجة فيما يخص اللغة الهيروغليفية وهو يعرف اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، فطرحت السؤال على عالم المصريات وهو فرنسي يتوافر فيه الشرطان المذكوران تماما. لقد كتبت أمامه اسم العلم العربي(أي هامان) ولكنني أحجمت عن إخبار مخاطبي بحقيقة النص المَعْنِي واكتفيت بإخباره أنّ هذا النص يعود تاريخه بشكل لا يقبل النقض إلى القرن السابع الميلادي، وكان جوابه أنّ هذا الأصل مستحيل، لأنه لا يمكن وجود نص يحتوي على اسم علم من اللغة الهيروغليفية وله جرس هيروغليفي ويعود إلى القرن السابع الميلادي وهو غير معروف لحد الآن والسبب أنّ اللغة الهيروغليفية نسيت منذ زمن بعيد جدا، بَيْدَ أنه نصحني بمراجعة (معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة) والبحث فيه إنْ كان هذا الاسم الذي يمثل عندي الهيروغليفية موجودا فيه حقا. لقد كان يُفترض ذلك، وعند البحث وجدته مسطورا في هذا المعجم تماما كما توقعته، ويا للمفاجأة..!! ها أنا فضلا عن ذلك أجد أنّ مهنته كما عُبر عنها باللغة الألمانية (رئيس عمال المقالع) ولكن دون إشارة إلى تاريخ الكتابة إلا أنها تعود إلى الإمبراطورية التي يقع فيها زمن موسى، وتشير المهنة المذكورة في الكتابة إلى أنّ المذكور كان مهتما بالبناء مِمّا يدعو إلى التفكير بالمقاربة التي يمكن إجراؤها بين الأمر الذي أصدره"فرعون" في القرآن وبين هذا التحديد في الكتابة قال تعالى: " وقالَ فرعونُ يأيُّها الملأُ مَا علمتُ لكم مِن إلهٍ غَيري فأوقِدْ لِي ياهامانُ على الطِينِ فَاجْعلْ لِي صَرحاً لَعلِّي أَطّلِعُ إلى إلهِ موسى وإنّي لأظنُّهُ مِن الكاذبينَ" [سورة القصص]

****

فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة

قال الله تبارك وتعالى: " فاختلفَ الأحزابُ مِن بينِهم فَويْلٌ للذينَ كفروا مِن مَشهَدِ يومٍ عظيمٍ"[سورة مريم]. وقال تعالى: " ومِن الذينَ قالوا إنّا نَصارَى أخذنا مِيثاقَهمْ فنسُوا حَظّاً مِمّا ذُكِّروا بهِ فأغْرَينا بينهمُ العَداوةَ والبَغْضاءَ إلى يومِ القيامةِ وسوفَ يُنَبِئَهمُ اللهُ بما كانُوا يصنعونَ"[سورة المائدة].تبين الآية الأولى أنّ المسيحين انقسموا أحزابا. بعض هذه الأحزاب على حق وبعضها الآخر على ضلال. وتبين الآية الثانية شيئين: أولهما:أنّ فريقا من المسيحيين قد نسي كثيرا من تعاليم دينهم مِمّا كان سببا في أنْ أصبح بعضهم لبعض عدوا. وثانيها: أنّ هذه العداوة لن تزول ولكنها ستستمر حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

<u>تطابق الحقائق</u>: ولكي ترى عظمة هاتين الآيتين في مجال حقائق التاريخ يجب علينا أنْ نتتبع سيرة المسيحية من بدء ظهورها حتى الآن وسنجد حينئذ أنّ هذا التاريخ لم يحد يوما عن منطوق هاتين الآيتين بل سار على نهجهما وترسم خطاهما فقد بدأت النصرانية في فلسطين واحتكت أول الأمر باليهودية التي اضطهدت دعاتها فرحل بعضهم إلى الإسكندرية ورحل آخرون إلى روما. وقد أخذت المسيحية تنتشر في الإمبراطورية الرومانية انتشارا سريعا واخذ الأباطرة في بادئ الأمر يضطهدون معتنقيها لأنها بدعوتها إلى عبادة الله كانت تحرم الرق الذي كان عماد النظام الاقتصادي الروماني، وكذلك كانت تدعو إلى المساواة في مجتمع ساده نظام الطبقات والإغريق في طلب الثروة والجاه، ولكن الاضطهاد لم يزد المسيحية إلا انتشارا وقوة حتى أصبح عدد المسيحيين أكثر من الوثنيين فجعلها(قسطنطين) دين الدولة الرسمي. ولما تولى(ثيودوسيوس) أخذ يحارب الوثنية فأغلق معابدها وجعل الناس يُعمَّدون قسرا، ومع ذلك فلم يلبث المسيحيون أنْ انقسموا فرقا اشتد الخلاف بينها اشتدادا صحبه اضطراب في الأمن مما اضطر الأباطرة إلى التدخل بينها ومناصرة بعضها على البعض الآخر وانقسموا إلى ثلاثة فرق: الملكانية والنسطورية واليعاقبة. والملكانيون هم اتباع(أريوس) الذي قال بأنّ الميسح مخلوق وليس مولودا من الأب ولذا لا يساويه في الجوهر. أما النسطوريون وهم أتباع (نسطور) فقد قالوا: إنّ للمسيح طبيعتين إحداهما إلهية والثانية بشرية، فهو بالأولى ابن الله وبالثانية ابن مريم. وإلى ذلك يشير القرآن بقوله (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون)[سورة التوبة]، ويعني القرآن الكريم بهذا أنهم قلدوا الديانات الوثنية القديمة في هذه العقيدة مثل(الزردشتية والبراهمية والهندستانية والبوذية والرومانية والمصرية). فقد كان المصريين يعتقدون أنّ (حوريس) ولد من الإله الأعظم (أوزوريس) والعذراء (ايزس). كما أنّ الرومان كانوا يعتقدون أنّ الإله (جوبيتر) أنجب (بريسيوس) من العذراء (داناي) وأنجب (ديونيسيس) من العذراء (سيميل) وأنجب (هرقل) من العذراء (ألكمين). أما الهند فقد ولد (كيرشنا) في كهف بينما كانت أمه العذراء وخطيبها هاربين من غضب الملك. وقد بلغ من تأثر المسيحية بالديانات المجوسية في هذه العقيدة أنّ تاريخ ولادة المسيح غير مرارا إلى إن استقر يوم 25 ديسمبر وهو اليوم الذي كان المصريون يحتفلون فيه بمولد مخلصهم (حورس)، وهو نفس اليوم الذي كان الفرس يحتفلون فيه بميلاد (متزا)، كما كان هذا اليوم أحد الأعياد الدينية المماثلة في الدولة الرومانية وتخالف الكنيسة الشرقية الكنيسة الغربية في ذلك فتجعل يوم ميلاد المسيح اليوم السابع من يناير. أما الحزب الثالث وهو حزب اليعاقبة فيعتقدون أنّ المسيح هو الله نزل إلى الأرض، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في سورة المائدة بالآية التاسعة عشرة التي تقول: " لقد كفرَ الذينَ قالوا إنّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ وقالَ المسيحُ يا بني إسرائيل اعبدوا اللهَ ربِّي وربّكم إنه مَن يُشرِك باللهِ فقد حرّم اللهُ عليه الجنّةَ ومأواهُ النّارُ وما للظالمينَ مِن أنصار". وليت الأمر اقتصر على هذا الانقسام، بل إنّ الخلاف أخذ يزداد اتساعا وتعددا كلما تقدمت الأيام، ففي القرن الحادي عشر انقسمت الكنيسة إلى فرعين: الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ثم أخذ الخلاف يتسع ويتشعب وأخذت الفرق تتوالد فتنشأ منها فرق جديدة وأحزاب جديدة رغما من الجهود العديدة التي بذلت لتوحيد الكنيسة.

<u>أسباب الانقسام</u>: بُنيت المسيحية على دعائم أربع:1- الإيمان بالله. 2- الزهد. 3- الحب والتراحم. 4- التسامح المطلق وعدم الاعتداء حتى يكون دفعا لشر. هذه هي المبادئ الأربعة التي جاءت بها المسيحية، فقد جاءت بوحدانية خالصة وإيمان مطلق حتى كان المسيح عليه السلام إذا دعا لمريض بالشفاء قال له بعد أنْ يبرأ: (شفاك إيمانك). غير أنّ اختلاط المسيحية بالوثنية أدخل فيها مبدأ تقديس الأشخاص والأشياء، فوجد من بين المسيحيين من ينادي بألوهية المسيح، وأباح الكاثوليك منهم عبادة القديسين والصور ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في سورة التوبة إذ يقول: " اتخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً مِن دُونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريمَ وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إلهَ إلا هوَ سُبحانه عمّا يُشركونَ" [سورة التوبة]. وما صكوك الغفران التي يمنحها البابا للعصاة فتغفر ذنوبهم إلا من آثار هذا التقديس

الذي ورثته المسيحية عن الوثنية. وبذلك يكون قد اختل أول ركن من أركان المسيحية من أساسه وهو إيمانهم بالله. أما الزهد في المسيحية فحدِّث عنه ولا حرج، إذ كان يفترش الغبراء ويلتحف السماء ويتخذ القمر له مصباحا، ومع ذلك كان يقول: من أغنى مني؟ لم يكن له مسكن يأوي إليه، ويظهر ذلك من رده على شخص قال له: (يا سيد أتبك أين تمضي) فقال له: (للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له مكان يسند رأسه). كما أنه ضرب المثل الأعلى في الصوم فواصل الصوم أربعين يوما لم يذق فيها طعاما. كان يشترط فيمن يتبعه أنْ يتجرد من الدنيا كتجرده فيترك كل شيء وراءه، ويظهر ذلك من قوله لأحد من تقدم عليه (إنْ أردت أنْ تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني). وأقوال عيسى عليه السلام في السلام وفي الحث على الزهد كثيرة أهمها ما ورد في صلاة المسيحيين الرئيسية: (خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم) ويحذر الناس من الاكتناز بقوله : (لا تكتنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكتنزوا لكم كنوزا في السماء) . ويحذرهم من المال بقوله : (لابقدر أحدكم أن يخدم سيدين . لأنه إما أنْ يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحقر الآخر . لا تقدرون أنْ تخدموا الله والمال لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون) . ويبغضهم في الغنى بقوله : (الحق أقول لكم أنه يعسر أنْ يدخل غني ملكوت السماوات ، وأقول لكم إنّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أنْ يدخل غني إلى ملكوت الله) . هذه نظرة المسيحية في الحياة نظرة احتقار للمادة وبُعد عن النعيم والترف وتحذر من المال لأنه العدو الأكبر للإنسان ، ولكن هذا الركن من أركان المسيحية ما لبث أنْ انهار هو أيضا فقد انصرف دعاة المسيحية عن الشؤون الدينية وانغمسوا في أعمال السياسة والحرب وتناسوا أقوال المسيح عليه السلام : (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .فنازعوا الملوك ممالكهم وسيادتهم وتحايلوا على اصطياد المال بكل طريق وما كانت تحصل عليه من أملاكها الواسعة كان الباباوات يجمعون المال بأساليب شتى كبيع الوظائف الدينية وحل عقود الزواج وبيع صكوك الغفران . يشير القرآن إلى ذلك حيث يقول في سورة التوبة : " يأيّها الذين آمَنوا إنّ كثيراً مِن الأحْبارِ والرُّهبَانِ ليَأكلونَ أموالَ النّاسِ بالباطِلِ ويصدونَ عن سبيلِ اللهِ والذِينَ يكنزونَ الذّهبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقُونها فِي سبيلِ اللهِ فَبشّرهم بعذابٍ أليم"[سورة التوبة]. وقد أخذ الجزء الأكبر من إيراد الكنيسة يتسرب إلى جيوب الأساقفة ورؤساء الأديرة الذين ألقوا عبء القيام بأعمالهم الدينية على عاتق صغار القساوسة نظير أجور بخسة وقد تأثرت الكنيسة بأسرها بمساوئ رعاتها حتى أنّ الأديرة التي نشأت فيما مضى لقمع الشهوة الدنيوية ونشر الهدى والصلاح قد تحولت إلى بؤرللفساد والجهل وانتقل الفساد من رجال الدين على المجتمع بصورة أعم. أما المبدأ الثالث الذي امتازت به دعوة المسيحية وهو الحب والتراحم الذي يتمثل في أعلى درجاته في قول المسيح عليه السلام: (أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى من أساء إليكم). فقد تتلاشى كذلك نتيجة لتعلقهم بالمادة وتكالبهم عليها وانعدام الصلة بينهم وبين الله. وكذلك نسي المسيحيون ما دعا إليه المسيح عليه السلام من عدم الاعتداء والتسامح المطلق بقوله: (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ومن سلبك قميصك فأعطه رداءك). نسوه لأنهم كلما انغمسوا في المادة باعدت بينهم وبين الله فتعلقوا باللذات وكثرت بينهم الإحن وقادهم التكالب على الدنيا إلى الحروب والاعتداءات.

العداوة بينهم وازديادها على مر الأيام: اختلف المسيحيون أول ما اختلفوا على شخصية المسيح فنشأت بينهم أحزاب مختلفة لم يقتصر الخلاف بينها على خلاف في النظريات والعقائد والطقوس بل تعدّاه إلى فتن دموية قامت بين تلك الطوائف، ومن أمثال تلك الفظائع التي تقشعر منها الأبدان ما ارتكبه الرومان مع أقباط مصر، فقد كان الرومان على المذهب الملكاني والمصريون معظمهم من اليعاقبة وعقب استرداد هرقل لمصر من الفرس حاول أنْ يوفق بين المذهبين فأبي القبط ذلك فلجأ الرومان إلى القوة وكان جزاء مَن يرفض تغيير عقيدته أنْ يُجلَد أو يضرب أو يلقى في السجن حتى يلقى حتفه وكان القساوسة من القبط يقتلون أو يشردون. أما بطرقهم بنيامين فقد اختفى وطلبه الرومان فلم يعثروا له على أثر . وقد استمر هذا الإرهاب عشر سنين فتن فيها الناس عن عقيدتهم وأخذ الباقون يظهرون غير ما يبطنون تفاديا للعقاب ونستطيع أنْ نتصور ما كان في قلوب الفريقين من حقد إذا نحن تأملنا قليلا هذه الحادثة التي يرويها التاريخ فقد ذكر المؤرخون أنّ الروم حينما اتفقوا مع المسلمين على تسليم حصن بابليون أعطاهم المسلمون مهلة ثلاثة أيام لإخلاء الحصن وكان آخر أيامهم في ذلك اليوم هو يوم عيد الفصح ولكن نكبتهم هذه وحرمة ذلك اليوم لم تمنعهم من إرواء غليلهم والتنكيل بأسرى الأقباط الذين سجنوهم من قبل في الحصن فسحبوهم من سجونهم وضربوهم بالسياط وقطّع الجند أيديهم . فأي فظاعة أشد من هذه الفظاعة وأي قسوة بلغ من هذه القسوة وهل ذلك كان نتيجة أتباع دين نبي كان يدعو إلى الحب والتراحم والتسامح ؟ وليت الأمر اقتصر على مصر فقط ، بل إنّ أباطرة الدولة الرومانية الشرقية اضطهدوا النسطوريين أيضا في آسيا الصغرى والشام وفلسطين مما كان سببا في التجاء علمائهم إلى العراق وفارس . وتظهر البغضاء الكامنة في قلوب المسيحيين بعضهم لبعض بوضوح في أيام الحروب الصليبية فعلى الرغم من وحدة غرضهم وهو القضاء على المسلمين وعلى الرغم من موجة التحمس الديني التي سادت أوروبا في ذلك الوقت فإنّ سيرتها من أولها إلى آخرها تدل على انعدام الإخلاص وأول مظهر يدل على ذلك هو تغرير إمبراطور القسطنطينية بحملة بطرس الناسك وعمله على التخلص منها بسبب ما تتطلبه من تموينات وما كان سيلازم بقاء ثلاثمائة ألف محارب من اختلال في الأمن في عاصمة ملكه فسهّل لهم العبور إلى الضفة الأخرى من (البسفور) فكانوا لقمة سائغة ابتلعها السلجوقيون بدون مشقة إذ أبادوا الحملة عن آخرها . فبما تفسر عمل الإمبراطور الذي يستغيث بمسيحي أوروبا لإنقاذه من السلاجقة حتى إذا هبوا لنجدته عمل إلى التخلص منهم . ومن أظهر الأمثلة على انعدام الإخلاص بين المسيحيين بعضهم مع بعض قصة الحروب الصليبية الثالثة فقد أدى الخلاف بين ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وبين فيليب أغسطس ملك فرنسا إلى عودة ملك فرنسا إلى بلاده وترك ريتشارد وحيدا ليحارب صلاح الدين وزاد الطين بلّة أنّ فيليب أخذ يدس الدسائس لريتشارد بالاستعانة ببعض ملوك أوروبا كما أخذ أخو ريتشارد في إنجلترا يعمل على اغتصاب العرش منه وكان من جراء ذلك أنْ حُرم ريتشارد ثمن انتصاراته واضطر إلى العودة وإلى عقد صلح مع صلاح الدين . وليت الأمر اقتصر على هذا فإنّ هذا الفارس الصليبي المغوار الذي أحرز انتصارات عظيمة في الشرق لقي من المسيحيين جزاء سنمار . فبدلا من أنْ يحتفلوا به ويكرموه كبطل من أبطالهم قبضوا عليه وسجنوه . ولقد كانت حركة الإصلاح الديني

فيما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر أعنف حركة دينية شهدها التاريخ فقد أدت الخلافات الدينية إلى مشاحنات ومطاحنات واضطهادات كانت أشد ما عرف من نوعها في تاريخ الأديان ولكي نرى مبلغ ما أثاره من عدواة يجب أنْ نستعرض أهم مظاهرها وهي
1- حرب الثلاثين عاما وقد استمرت من 1618 إلى 1648 وكان تأثيرها في ألمانيا سيئا إذ ظلت ميدانا للحرب وفريسة للنهب مدة ثلاثين سنة هلك فيها نصف سكانها تقريبا واندثرت فيها معالم الصناعة والتجارة والفنون .
2- اضطهاد هيجونوت فرنسا : كان (برتستانت) فرنسا يدعون (الهيجونوت) وكانوا أقلية ضئيلة في وسط أغلبية كاثوليكية عظيمة ولذلك كان تاريخهم فيها حافلا بالاضطهادات والحروب والمذابح التي من أشهرها(سان برثلميوا) في 24 أغسطس سنة 1572 إذ بينما كان(كوليني) زعيم الهيجونوت وأحد وزراء الملك شارل التاسع في ذلك الوقت مارا أطلق عليه رجل الرصاص فأصابه إصابة غير قاتلة فعزم الملك على الانتقام فخلف الكاثوليك عاقبة التحقيق وانفضاح أمرهم فبيتوا يوم(عيد القديس ثلميو) مذبحة هائلة ووضعوا علامات على بيوت الهيجونوت وانتقل الخبر من باريس إلى الأقاليم فقلدوها وكانت النتيجة أنّ قتل من الهيجونوت ألفا نفس في باريس وثمانية آلاف في الأقاليم وحينما تولى رشيليو مقاليد الأمور في فرنسا عمل على إخضاع الهيجونوت وكانوا إذ ذاك يقيمون في مدن محصنة فاستلزم إخضاعهم حروبا طويلة الأمد.
3- محاكم التفتيش: وهي محاكم لم يرَ التاريخ لها مثيلا كان شعارها القسوة التي لا رحمة فيها والاضطهاد الذي لا هوادة فيه لأعداء الكاثوليك وكانت تستمد سلطتها من البابا مباشرة ولا دخل للحكومات في تصرفاتها اللهم إلا القيام بتنفيذ أحكامها. كانت جسامتها سرية وكانت تتجسس بكل الطرق وتقبض على مَن تشاء وتعذب المقبوض عليهم بما تراه حتى تكرهم على الاعتراف بالإلحاد وحينئذ توقع عليهم عقوبة الإحراق أو السجن المؤبد ومصادرة الأملاك حتى التائبون منهم يسجنون طول حياتهم تطهيرا لهم من جريمة الإلحاد وكانت هذه المحاكم تراقب المطبوعات وتحرق مالا يتفق منها مع المذهب الكاثوليكي. ويذكر التاريخ هذه المحاكم كأعظم نقطة سوداء في تاريخ المسيحية لِمَا أجرته على الشعوب البرئية من الويلات.
4- مجلس الدم: لما كثر في سكان الأرض المنخفضة مذهب كلفن أشتد شارل في معاملتهم وأقام محاكم التفتيش بها فأحرقت عددا من البروتستانت ولما خلفه ابنه فليب الثاني ملك أسبانيا استمر في سياسة الاضطهاد وأخذت الجنود تتحرش بالأهالي فقامت الثورة وأنقض الناس على الكنائس الكاثوليكية وكسروا ما فيها من تماثيل وصور فما كان من فليب إلا أنْ أرسل(دوق ألفا) على رأس جيش عظيم من الأسبان لمعاقبة الثورة فكون المجلس المعروف بمجلس الدم لكثرة ما أهرقه من الدماء وقد اقترف(ألفا) من الفظائع ما يندر وجود مثله في التاريخ... القرن الماضي من هذا القرن حدثت في أوربا وحدها الحروب التالية:
1- الحرب العالمية الأولى.
2- الحرب الأسبانية الأهلية.
3- الحرب اليونانية الإيطالية.
4- الحرب العالمية الثانية.
5- الحرب الروسية الفنلدية. أما الحروب التي حدثت بين المسيحين في غير أوربا فأهمها الحروب التي كانت تنشب من حين لآخر بين جمهوريات أمريكا الجنوبية وأهمها:
1- الحرب بين البرازيل والأرجنتين 1851 - 1852 م.
2- الحرب بين باراجوي وبولفيا 1922 - 1925 م.
3- الحرب بين باراجواي والبرازيل وأرجواى 1864 - 1870 م.
4- الحرب بين شيلي من جهة وبين بوليفيا وبيرو 1879 - 1883 م.
5- الحرب بين بيرو وكولومبيا 1932- 1934 م.
6- الحرب بين جواتمالا من جهة والسلفادور وهندوراس وكوستاركا من جهة أخرى 1906 م.
7- الحرب بين نيكارجوا وهوندوراس 1907 م. كذلك الحرب بين أمريكا والمكسيك 1846 م - 1848 م. ولو أنك أردت أنْ تتخذ القرن التاسع مقياسا نقيس به مقدار ما يكنه المسيحيون بعضهم لبعض من عدواة كما دل عليه القرآن الكريم لوجدت فيه من الحروب والثورات ما يصعب تتبعه وحصره وأبرز حروب هذا القرن الحروب النابوليونية التي شملت أوربا كلها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى شمال أوربا كلها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ولو أنك رجعت إلى ما سبقه من القرون لوجدت أنّ تاريخ معظم المسيحين مخضب بالدماء لا أثر للسلم أو التسامح فيه، ومن حروبهم المشهورة حرب السنين السبع التي امتدت من سنة 1756 إلى سنة 1763 م هي حرب من سلسلة الحروب التي كثرت في القرن الثامن عشر ومما يستحق الإشارة إليه أيضا من تلك الحروب حرب المائة عام بين إنجلتر وفرنسا التي ابتدأت سنة 1338 م استمرت مستعرة ما يزيد على قرن من الزمان.

****

ذكر كلمة الملك في سورة يوسف

عندما يذكر القرآن حكام مصر القدامى لا يذكرهم إلا بلقب(فرعون) وذلك في حوالي ستين آية كريمة إلا فس سورة واحدة ذكر فيها حاكم مصر بلقب(ملك) وذلك في سورة يوسف، قال تعالى: " وقال الملِكُ إنّي أرى سبعَ بَقراتٍ سِمانٍ يَأكلهنّ سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سنبلاتٍ خُضرٍ وأُخرَ يابساتٍ"، وقوله تعالى:" وقال الملكُ ائتوني به" إنها سورة يوسف ...لم يذكر فيها لقب فرعون مع أنّ يوسف عليه السلام عاش في مصر... وذكرت السورة في ثلاث آيات هي [43 و 50 و 54] أنّ حاكم مصر كان لقبه ملكا وليس فرعونا فكيف هذا؟.. لقد بقيت هذه الآيات الثلاث إعجازا قرآنيا، حتى فكك(شامبليون) حجر رشيد وتعرّف على الكتابة الهيروغلوفية في أواخر القرن التاسع

عشر، فتعرّف العالم على تاريخ مصر في مطلع القرن الحالي بشكل دقيق فظهرت المعجزة. إنّ حياة يوسف عليه السلام في مصر كانت أيام(الملوك الرعاة: الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة، وظلوا في مصر من 1730 ق.م إلى 1580 ق.م حتى أخرجهم أحمس الأول وشكل الدولة الحديثة(الإمبراطورية). لذلك كان القرآن العظيم دقيقا جدا في كلماته لم يقل : قال فرعون ائتوني به، ولم يقل: وقال فرعون إني أرى سبع بقرات سمان، بل قال: وقال الملك. لأنّ يوسف عليه السلام عاش في مصر أيام(الملوك الرعاة) حيث تربع على ملوك بدل فرعون الذين انحسر حكمهم إلى الصعيد وجعلوا عاصيمتهم طيبة.
أليس هذه المعجزة قرآنية تاريخية تشهد بدقته وصحته... وتشهد بالتالي بنبوة محمد بن عبد الله؟!.

****

قصة أهل الكهف

قال تعالى: " أمْ حَسِبتَ أنّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانوا مِن آياتنا عَجباً"[سورة الكهف] لقد ذكر الله تعالى قصة أهل الكهف هؤلاء الشباب الذين فروا من ظلم الملك الطاغية ولم يكن في زمان النبي ﷺ أي دليل مادي يؤكد صدقه ﷺ، إلى أنْ انقضى تسعة عشر قرنا على خبرهم، ومرور أربعة عشر قرنا على ما جاء في القرآن الكريم بشأنهم وجاء عصرنا هذا فاكتشف عالم الآثار الأردني السيد(رفيق وفا الدجاني) عام 1963 عند منطقة الرحيب بالأردن، مغارة الكهف التي اتخذها أصحاب الكهف مرقدا لهم حين دخلوها هاربين بأنفسهم، وفارين بدينهم وإيمانهم بالله عز وجل من طغيان الملك، وظهر في الكهف ثمانية قبور، وهو العدد الذي ذكره القرآن الكريم وبقرب باب الكهف وجدت جمجمة كلب(الفك العلوي فقط) وكان حارسهم . وعدد أصحاب الكهف سبعة منهم الراعي، وثامنهم كلبهم، وقد دفن الكلب على عتبة الباب حيث كان يحرس، ولم يدفن في القبر الثامن. يقول تعالى عن هذه القصة، بأسلوب القرآن المعجز: " سيقولونَ ثلاثةٌ رابِعهمْ كلبُهم ويقولونَ خمسةٌ سادسُهمْ كلبُهم رَجْماً بالغيبِ ويقولونَ سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم قل ربِّي أعلمُ بِعدَّتِهم ما يعلمهمْ إلا قليلٌ فلا تمارِ فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً" [سورة الكهف] وقد دُرست فجوات الكهف وخاصة موضع دخول الشمس إليه فتبين أنّ فتحة الكهف الجنوبية كان اتجاهها جنوب غربي، فإذا وقف شخص داخل الكهف في وقت الأصيل تزاورت الشمس عن الكهف ذات اليمين. وحين تتوسط الشمس السماء لا يدخل الكهف منها شيء، وإذا مالت نحو الغروب دخل قسم من أشعتها فجوة الكهف. فما وصف به المكتشف الكهف هو الوصف الدقيق الذي جاء فيه القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: " وترى الشمسَ إذا طلعتْ تزَاورُ عَن كَهفِهِمْ ذاتَ اليمينِ وإذا غربتْ تقرِضُهمْ ذاتَ الشمالِ وهم فِي فَجْوةٍ مِنه ذلكَ مِن آياتِ اللهِ مَن يهدِ اللهُ فهو المهتدِ ومَن يضللْ فلن تجدَ له ولياً مرشداً"[سورة الكهف] وبتفسير أوضح إنّ الشمس تبعد أشعتها عند بزوغها وتميل عنه في غروبها، بسبب اتجاه فجوة الكهف إلى الجنوب الغربي وقد وجد على جدران الكهف كتابات بلغات قديمة مختلفة تشير إلى وحدانية الله عز وجل... والسؤال الآن، كيف عرف محمد ﷺ تفاصيل قصة الكهف قبل خمسة قرون من مولده ومن نزول القرآن الكريم. ومن الجدير بالذكر أنّ أولئك الفتية (أصحاب الكهف) كانوا في عهد الإمبراطور(تراجان) الذي حكم بين سنة (98 - 117م) كما تدل على ذلك البينات الأثرية فقد أشارت أسفار التاريخ إلى أنّ هذا الطاغية كان يسجد للأوثان ويقضي بالموت على كل مَن يرفض عبادة آلهته ويقدم لها القرابين وأصدر مرسوما بذلك وكان المسيحيون في فترة حكمه يلاحقون ويقتلون ثم أفاقوا من نومهم في عهد الإمبراطور الصالح(ثيودو سيوس) في الفترة الواقعة بين 408 و450 وتضيف هذه البينات والقرائن إلى أن ّهذا الإمبراطور الظالم ـ تراجان فتح شرق الأردن سنة 106 وبني في عمان المدرج الروماني الذي لا يزال ماثلا حتى الآن وهو يستوعب نحو 60 ألف شخص وقد عثر في هذا المدرج على الآلهة الحجرية التي عبدها الرومان في ذلك العهد، ومن أبرز هذه القرائن تلك النقود البيزنطية التي عثر عليها في الكهف وهي من عهد(تراجان) وجميع هذه القرائن والبينات تطابق فترة نومهم كما وردت في القرآن الكريم أي 300 سنة شمسية.

****

قوم عاد

قال تعالى: " وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قومِ اعبدوا اللهَ مَالكم مِن إلهٍ غيرهُ إنْ أنتمْ إلا مفترونَ"[سورة هود]. كان المؤرخون منذ القديم يشككون في حقيقة قوم عاد لأنهم لم يجدوا لهم أثرا على الأطلاق، واستمر ذلك حتى مطلع القرن العشرين، حيث قامت وكالة الفضاء الأمريكية برحلة حول الأرض بوساطة مكوك فضائي مزود بجهاز رادار له قدرة على اختراق التربة إلى عشرات الأمتار، وحين مرّ المكوك بصحراء الربع الخالي، صوّر مجرى لنهرين جافَّين يندفع أحدهما من الغرب إلى الشرق والأخر من الجنوب إلى الشمال، فانبهرالأمريكيون لأنّ الربع الخالي الآن من أكثر أجزاء الأرض جفافا وقحولة، ومع ذلك كانت به أنهار جارية في الماضي غير البعيد. وفي مرحلة ثانية زودوا المكوك بجهاز رادار له قدرة اختراق أكبر، فصوّر مجرى النهرين وأنهما يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كيلو مترا في جنوب شرق الربع الخالي، وصوّر المكوك بين مصبي النهرين ضفاف البحيرة وعمرانا لم تعرف البشرية نظيرا له في ضخامته، فجندوا علماء التاريخ وعلماء الآثار وعلماء الأديان، وقالوا ماذا يمكن أنْ يكون هذا العمران فأجمعوا على أنه قصور إرم التي وصفها القرآن قال تعالى: " إرمَ ذاتِ العِمادِ التي لمْ يُخْلقْ مِثلُها فِي البلادِ "[سورة الفجر] واكتشفوا حينما بدأوا في إزالة الرمال عن هذه المدينة قلعة ذات ثمانية أضلاع على أسوار المدنية، مقامة على أعمدة ضخمة عديدة يصفها ربنا "إرم ذات العماد". قال تعالى في كتابه العزيز: "وإلى عادٍ أخاهمْ هوداً قال يا قومِ اعبدوا اللهَ مالكم مِن إلهٍ غيره إنْ أنتم إلا مفترونَ{50} يا قومِ لا أسألكمْ عليه مِن أجرٍ إنْ أجْريَ إلا على الذي فَطَرني أفلا تعقلونَ{51} ويا قومِ استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه يُرسلِ السماءَ عليكم مِدراراً ويزدْكمْ قوةً إلى قُوتِّكم ولا تتولّوا مُجرمينَ{ 52} قالوا يا هودُ ما جِئتنا ببينةٍ وما نحنُ بتاركِي آلهتنا عن قولِك وما نحنُ لك بمؤمنينَ{53}" [سورة هود]. قال تعالى في كتابه العزيز: " فإنْ أعرضوا فقلْ أنذرْتُكمْ صَاعقةً مِثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ{13} إذْ جاءتهمُ الرُّسلُ مِن بينِ أيديهم ومِن خلفِهم ألا تعبدوا إلا اللهَ قالوا لو شاءَ ربُّنا لأنزلَ ملائكةً فإنّا بما أرسِلتُم به كافرونَ{14} فأمّا عادٌ فاستكبروا في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وقالوا

مَنْ أشدُّ منا قوةً أولم يَرَوا أنّ اللهَ الذي خلقهمْ هو أشدُّ منهم قوةً وكانوا بآيتِنا يجْحَدونَ{15}فأرْسَلنا عليهم ريحاً صَرصَراً في أيَّامٍ نَحِساتٍ لنُذيقَهمْ عذابَ الخِزيِ في الحَياةِ الدنيا ولَعذابُ الآخرةِ أخْزى وهمْ لا يُنصرونَ{16}" [سورة فصلت].
****

وجئنا بكم لفيفا

قال تعالى: " وقلْنا مْن بَعده لبَني إسرائيلَ اسكنُوا الأرضَ فإذا جاءَ وعدُ الآخرةِ جِئنا بكم لفيفاً" [سورة الإسراء] كلمة لفيف: تعني الشيء المجتمع والملتف من كل مكان واللفيف؛ القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحدا، واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، واللفيف الجمع العظيم من أخلاط شتى فيهم الشريف والدنيء والمطيع والعاصي والقوي والضعيف. وهذه هي من الإعجاز الغيبي الذي جاء به القرآن الكريم وتدل على أنّ من علامات قرب الساعة هو اجتماع اليهود في مكان واحد ولم يجتمع اليهود في التاريخ في مكان واحد عبر التاريخ إلا مؤخرا في فلسطين. مَن أنبأ محمدا بهذا إنه الله خالق السماوات والأرض.
****

مخطوطات البحر الميت

عُثر أخيراً على مخطوطات قديمة في حفرة داخل أوانٍ من الفخار في كهوف بجوار البحر الميت وتملك الأردن هذه المخطوطات التي قال عنها الدكتور ـ ف. البراين ـ وهو عُمدة في علم آثار الإنجيل: (إنه لا يوجد أدنى شك في العالم حول صحة هذا المخطوط وسوف تعمل هذه الأوراق ثورة في فكرتنا عن المسيحية، وقال عنها القس(أ. باول ديفنر) رئيس كل القديسين في واشنطن في كتابه مخطوطات البحر الميت (إنّ مخطوطات البحر الميت وهي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة، قد تُغيِّر الفهم التقليدي للإنجيل). وقد جاء في هذه المخطوطات: إنّ عيسى كان مسيح المسيحين وإنّ هناك مسيحا آخر..
****

وقالت اليهود عزير ابن الله

إنّ من أهم الحقائق التاريخية التي كشف عنها القرآن، في الإخبار عن غيب الماضي، والتي تعتبر من غرائب الأخبار، الإخبار عن أنّ اليهود زعمت أنّ: عزير ابن الله. وغرابة هذا الخبر في أهل الكتاب كغرابته في غيرهم. لقد أخبرنا الله في القرآن الكريم أنّ اليهود تزعم أنّ عزير ابن الله، فقال تعالى في سورة التوبة: " وقالتِ اليهودُ عزيرٌ ابنُ اللهِ وقالتِ النصارى المسيحُ ابنُ الله ذلك قولُهم بأفواهِهم يُضاهئونَ قولَ الذينَ كفروا مِن قبلُ قاتلهم اللهُ أنّي يؤفكونَ"[سورة التوبة] أما النصارى فما أنكروا هذا، وهم لا ينكرونه إلى يومنا هذا، وهو أمر معروف عنهم قبل الإسلام وبعده. وأما اليهود فما يقولون هذا، وما كان فيهم مَن يقول: عزير ابن الله في زمن نزول القرآن، وإنما هي قالة تاريخية لفئة منهم، قالتها ثم انقرضت، كما نقله القرطبي عن النقاش، وكما هو معروف في كتب اليهود وعقائدهم. ولذلك ضرب أعداء الإسلام في الكلام على هذا الموضوع، وزعموا أنّ في القرآن من الأخبار عن عقائد اليهود ما ليس في عقائدهم، وقال اليهود منهم: إنّ القرآن يقوِّلنا ما لم نقل في كتبنا ولا في عقائدنا. إلى أنْ جاء العصر الحديث، وكشف المعرفة التاريخية لعقائد بعض قدماء المصريين ما أثبت هذا الخبر القرآني، ليكون الآية الناطقة، والحجة البالغة، الدالة على أنّ هذا القرآن من عند الله وليس من صنع البشر. قال صاحب مجلة الغراء: في سورة التوبة نقرأ هذه الآية: " وقالتِ اليهودُ عُزيرٌ ابنُ اللهِ وقالتِ النصارى المسيحُ ابنُ اللهِ ذلك قولُهم بأفواهِهِمْ يُضاهِئونَ قولَ الذينَ كفروا مِن قبلُ قاتلهم اللهُ أنّي يؤفكونَ".قال: فصدر هذه الآيةِ وهو قوله تعالى: "وقالتِ اليهودُ عُزيرٌ ابنُ اللهِ" يتضمن من وقائع التاريخ، وحقائق العلم، أمرا لم يكن أحد يعرفه على وجه الأرض في عصر نزول القرآن. ذلك أنّ اسم عزير، لم يكن معروفا عند بني إسرائيل إلا بعد دخولهم مصر، واختلاطهم بأهلها، واتصالهم بعقائدها ووثنيتها. قال: واسم" أوزيرس" كما ينطق به الإفرنج، أو" عوزر" كما ينطق به قدماء المصريين. وقدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد، وانتحلوا عبادة الشمس، كانوا يعتقدون في" عوزر"أو" أوزيريس" أنه ابن الله. وكذلك بنو إسرائيل في طور من أطوار حلولهم في مصر القديمة، استحسنوا هذه العقيدة عقيدة أنّ عوزر ابن الله، وصار اسم أوزيرس أو عوزر من الأسماء المقدسة التي طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين، وصاروا يسمون أولادهم بهذا الاسم الذي قدسوه ضلالا وكفرا، فعاب الله عليهم ذلك في القرآن الحكيم، ودلهم على هذه الوقائع من تاريخهم الذي نسيه البشر جميعا. قال صاحب مجلة الفتح: إنّ اليهود لا يستطيعون أنْ يدعوا في وقت من الأوقات أنّ اسم عزير، كان معروفا عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين، وهذا الاسم في لغتهم من مادة"عوزر" وهي تدل على على الألوهية، ومعناه: الإله المعين، وكانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين في اسم عوزر أوأوزيرس، الذي كان عندهم في الدهر الأول بمعنى الأول بمعنى الإله الواحد، ثم صاروا يعتقدون أنه ابن الله، عقب عبادة الشمس. واليهود أخذوا منهم هذا الاسم في الطور الثاني، عندما كانوا يعتقدون أنّ أوزيرس ابن الله. قال: فهذا سر من أسرار القرآن، لم يكتشف إلا بعد ظهور حقيقة ما كان عليه قدماء المصريين، في العصر الحديث، وما كان شيء من ذلك معروفا في الدنيا عند نزول القرآن . حتى إنّ أعداء الإسلام كانوا يصوغون من جهلهم بهذه التاريخية شبهة يلطخون بها وجه الإسلام ، ويطعنون بها في القرآن ، فقال اليهود : إنّ القرآن يقولنا ما لم نقل في كتبنا ولا في عقائدنا ، وأتى دعاة النصرانية منهم بما شاء لهم أدبهم من السب والطعن والزراية بالقرآن ، ودين الإسلام ، ونبي الإسلام . وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى : (وقالت اليهود) قال : هذا لفظ خرج على العموم ، ومعناه الخصوص ، لأنه ليس كل اليهود قالوا ذلك ، وهذا مثل قوله تعالى : (الذين قال لهم الناس) ولم يقل ذلك كل الناس . قال النقاش : لم يبق يهودي يقولها ، بل انقرضوا ، فإذا قالها واحد ، تلزم الجماعة شنعة المقالة ، لأجل نباهة القائل فيهم ، وأقوال النبهاء أبدا مشهورة في الناس ، يحتج بها ، فمن هاهنا صح أنّ تقول الجماعة قول نبيها والله أعلم وبهذه المعجزة الغيبية ، عن أمر تاريخي قديم ، كان الناس يجهلونه جهلا تاما عند نزول القرآن ، ممّا يدلنا دلالة قاطعة على أنّ هذا الكلام إنما هو كلام عالم الغيب والمحيط به ، لا كلام أمي ، لا علم له بهذه الحقيقة التاريخية ، بل لم يكن كلام أحد من البشر في ذلك الوقت ، لأنّ الجميع كانوا يجهلون هذا ولا سيما أنّ أهل الكتاب من اليهود كانوا ينكرونه .

وإنه لفي زُبُر الأولين

لقد أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء أنْ يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه إذا بُعِث وهم أحياء وأنْ يبلغوا أقوامهم بذلك ليشيع خبره بين جميع الأمم. قال تعالى : " وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ النبيينَ لَمَا ءاتيتُكم مِن كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لِمَا معكم لتُؤمِنُنَّ به ولَتنصُرُنَّه قالَ ءاقررتُم وَأخذتُمْ على ذَلكمْ إصْرِي قالوا أقرَرَنا قالَ فاشْهدُوا وأنا معكم مِن الشاهدِين " [سورة آل عمران] . وذلك لأنّ الرسل كانوا يبعثون في أقوامهم خاصة ، وبعث محمد ﷺ للناس كافة ، فبُشِّر به جميع الأنبياء ، وكان مما قاله عيسى عليه السلام لقومه كما ذكر الله تعالى عنه " وإذْ قالَ عيسى ابنُ مريمَ يا بني إسرائيلَ إنّي رسولُ اللهِ إليكم مُصدِّقاً لِمَا بينَ يَديّ مِن التوراةِ ومبشراً برسولٍ يأتِي مِن بعدي اسمه أحمدُ فلمّا جاءهم بالبيناتِ قالوا هذا سحرٌ مُبينٌ " [الصف] . والبشارات في الكتب السابقة هي تلك الأنباء والأوصاف التي وردت عن مَقْدِم محمد ﷺ مُبَينة اسمه وصفاته البدنية والمعنوية ونسبه ومكان بعثته ، وصفة أصحابه وصفة أعدائه ، ومعالم الدّين الذي يدعو إليه ، والحوادث التي تواجهه ، والزمن الذي يبعث فيه ، ليكون ذلك دليلا على صدقه عند ظهوره بانطباق تلك الأوصاف عليه ، وهي أوصاف وبشارات تلقاها أهل تلك الأديان نقلا عن رهبانهم وأحبارهم وكهنتهم قبل ولادة محمد ﷺ بقرون كثيرة .
وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك البشارات ، ودلل بها على صدق محمد ﷺ فقال تعالى : " ويقولُ الذينَ كفروا لستَ مرسَلا قلْ كفَى باللهِ شهيداً بَينِي وبينكم ومَن عنده علمُ الكتابِ " [الرعد] . وقال تعالى : " أوَلمْ يكُن لهمْ ءايةً أن يعلمهُ علماءُ بَنِي إسرائيلَ " [الشعراء] . وقال تعالى : " وإنّه لَفِي زُبُرِ الأولينَ " [الشعراء] . وقال تعالى عن محمد ﷺ: " الذينَ ءاتيناهُمُ الكتابَ يعرفُونهُ كمَا يعرفونَ أبناءَهم " [البقرة] وهذا يعني انطباق البشارات على محمد ﷺ يدل على أنه المقصود بها ، وأنه الرسول الذي أخبر الله بمقدمه ، ومن هذه البشارات ما يأتي :

1- النبي الأمي :

لقد أشار القرآن الكريم إلى أميّة الرسول ﷺ وإنها مذكورة عند أهل التوراة والإنجيل . قال تعالى : " الذِينَ يتبعونَ الرّسولَ النبيَّ الأمّيَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم فِي التوراةِ والإنجيلِ " [الأعراف] . إنّ أميّة النبي ﷺ وكيفية بدء الوحي إليه لأول مرة موجود عند أهل الكتاب إلى يومنا هذا . فقد جاء في سفر أشعيا : " ويدفع الكتاب للأمي ويُقال له : اقرأ هذا أرجوك فيقول : أنا أمي أي لستُ بقارئ . وهذا ترجمة للنص الذي ورد في نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس المعتمدة عند النصارى وهي أوثق النسخ للتوراة والإنجيل عندهم .
وفي النسخة المسماة Bible Good News ورد ما ترجمته كالآتي : إذاً تعطيه إلى شخص لا يستطيع القراءة وتطلب إليه أنْ يقرأه عليك سيجيب بأنه لا يعرف كيف . وبينما نجد هذا النص الواضح في الطبعات الإنجليزية نرى أنّ القِسَس العرب قد حرّفوا هذا النص في نسخته العربية فجعلوا العبارة كالآتي : أو يُدفع الكتاب لمَن لا يعرف الكتابة ويقال له : اقرأ هذا فيقول : لا أعرف الكتابة . فانظر كيف حرّفوا النص ! فالسائل يطلب القراءة والنبي ينفي عن نفسه معرفة الكتابة ! وهذا التحريف مقصود لئلا تتطابق الحادثة المذكورة في النص السابق مع قصة نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ومطالبته له بالقراءة فنفى النبيﷺ عن نفسه القدرة على القراءة . قال الحافظ ابن حجر : وقد وقع في مرسل عبيد بن عمير عند ابن إسحاق أنّ النبي ﷺقال : { آتاني جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب قال : اقرأ ، قلتُ : ما أنا بقارئ } . وكم من الزمن قد مر بعد عيسى عليه السلام وما نزل وحي على نبي أمي إلا على النبي الأمي محمد ﷺ الذي يجدون أميته مكتوبة عندهم حتى يومنا هذا .

2- اسم النبي :

أ- لاتزال نسخ التوراة باللغة العربية تحمل اسم محمد جليا واضحا إلى يومنا هذا . ففي نشيد الأنشاد من التوراة في الاصحاح الخامس الفقرة السادسة عشر وردت هذه الكلمات : حِكو مَمْتَكيم فِكلّو محمديم زيه دُودي فَزيه ريعي . ومعنى هذا : كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وهذا خليلي . فاللفظ العبري يذكر اسم محمد جليا واضحا ويلحقه بيم – التي تُستعمل في العبرية للتعظيم . واسم محمد مذكور أيضا في المعجم المفهرس للتوراة عند بيانه هذا اللفظ المتعلق بالنص السابق " محمد يم" . لكن يد التحريف عند اليهود والنصارى تأبى التسليم بأنّ لفظ " محمد " هو اسم النبي وتُصرُّ على أنه صفة للنبي وليس اسما له . فيقولون إنّ معنى لفظ " محمد يم" هو " المتصف بالصفات الحميدة " كما جاء في نسخة الملك جيمس المعتمَدة عند النصارى . وعليه فيكون المعنى لهذه الإشارة عندهم " كلامه أحلى الكلام إنه صاحب الصفات الحميدة " . فمَن هو يا أهل الكتاب ،غير " محمديم " محمد العظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كلامه أحسن الكلام وهو المحمود في صفاته كلها ، وهو حبيب الله وخليله كما جاء ذلك في نفس النشيد عقب ذكر اسمه . " هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي .
ب- وأما ما جاء عن اسمه عند النصارى فقد ورد في عدة أماكن ، منها ما جاء في إنجيل يوحنا في قول عيسى عليه السلام وهو يخاطب أصحابه : " لكني أقول لكم إنه من الخير لكم أنْ انطلق لأنه إنْ لم أنطلق لا يأتيكم المعزي الفارقليط . " وكلمة " المعزي " أصلها منقول عن الكلمة اليونانية باراكلي طوس المحرفة عن الكلمة بيركلوطوس التي تعني محمد أو أحمد . " إنّ التفاوت بين اللفظين يسير جدا ، وإنّ الحروف اليونانية كانت متشابهة ، وإنّ تصحيح " بيركلوطوس " إلى " باراكلي طوس " من الكاتب في بعض النسخ قريب من القياس ، ثم رجّح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى . "
ج- وهناك إنجيل اسمه إنجيل " برنابا " استبعدته الكنيسة في عهدها القديم عام 492 م بأمر من البابا جلاسيوس ، وحرّمت قراءته وصودر من كل مكان ، لكن مكتبة البابا كانت تحتوي على هذا الكتاب . وشاء الله أنْ يظهر هذا الإنجيل على يد راهب لاتيني اسمه " فرامرينو " الذي عثر على رسائل " الإبريانوس " وفيها ذكر إنجيل برنابا يستشهد به ، فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن إنجيل برنابا وتوصل إلى مبتغاه عندما صار أحد المقربين إلى البابا " سكتش الخامس " فوجد في هذا الإنجيل أنه سيزعم أنّ عيسى هو ابن الله وسيبقى ذلك إلى أنْ يأتي محمد رسول الله فيصحح هذا الخطأ . يقول إنجيل برنابا في الباب "22 " : " وسيبقى هذا إلى أنْ يأتي

محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله " . وقد أسلم فرامرينو وعمل على نشر هذا الإنجيل الذي حاربته الكنيسة بين الناس .

د- هذا وقد كان اسم النبي صلى الله عليه وسلم موجودا بجلاء في كتب اليهود والنصارى عبر التاريخ ، وكان علماء المسلمين يُحاجُّون الأحبار والرهبان بما هو موجود من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ، قال تعالى : (الذينَ يتبعونَ الرسولَ النبيَ الأميَ الذي يجدونه مكتوباً عندهم فِي التوارةِ والإنجيلِ يأمُرهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويحلُ لهم الطيباتِ ويُحرِّمُ عليهمُ الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرَهمْ والأغلالَ التي كانتْ عليهم فالذين آمنُوا به وعزَّروه ونصروهُ واتبعوا النورَ الذي أنزِلَ معه أوْلئكَ هم المفلحونَ)[الأعراف] ومن ذلك: ـ جاء في سفر أشعيا:" إني جعلت اسمك محمدا، يا محمد يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد" ذكر هذه الفقرة علي بن ربن الطبري الذي كان نصرانيا فهداه الله للإسلام في كتابه" الدين والدولة، وقد توفي عام 247هـ .

ـ وجاء في سفر أشعيا أيضا:" سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد"

ـ وجاء في سفر حبقوق:" إنّ الله جاء من التيمان، والقدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده" ذكره علي بن ربن الطبري في كتابه الدين والدولة وذكره إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قسا نصرانيا فأسلم في عصرنا ونشر العبارة السابقة في كتاب له عام 1409 هـ .

ـ وجاء في سفر أشعيا أيضا:" وما أعطيه لا أعطيه لغيره، أحمد يحمد الله حمدا حديثا، يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية وسكانها، ويوحدون الله على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية". وذكره عبدالله الترجمان الذي كان اسمه:انسلم تورميدا، وكان قسا من أسبانيا فأسلم وتوفي 832 ه.ولقد روى جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله يقول: إنّ لي أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب. قال تعالى: (وإذْ قال عيسى ابنُ مريمَ يابني إسرائيلَ إنّي رسولُ اللهِ إليكم مصدِّقاً لِمَا بينَ يديَ مِن التوراةِ ومبشراً برسولٍ يأتي مِن بعدي اسمُه أحمدُ فلمّا جاءهم بالبيناتِ قالوا هذا سحْر مبينٌ)[سورة الصف].

ـ يقول مطران الموصل السابق الذي هداه الله للإسلام، وهو البروفيسور عبد الأحد داود الآشوري في كتابه:محمد في الكتاب المقدس: إنّ العبارة الشائعة عند النصارى:" المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" لم تكن هكذا، بل كانت:" المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد"

هـ ـ ولقد جاء ذكر اسم النبي ﷺفي الكتب المقدسة عند الهندوس فقد جاء في كتاب" السامافيدا" ما نصه" أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست من النور كما يُقبس من الشمس"..

و- وجاء في كتاب أدروافيدم أدهروويدم وهو كتاب مقدس عند الهندوس" أيها الناس اسمعوا وعُوا يُبعَث المحمد بين أظهر الناس... وعظمته تحمد حتى في الجنة ويجعلها خاضعة له وهو المحامد".

ز- وجاء في كتاب هندوسي آخر هو بفوشيا برانم":" في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم محامد الملقب بأستاذ العالم، والملك يطهره بالخمس المطهرات". وفي قوله الخمس المطهرات إشارة إلى الصلوات الخمس التي يتطهر بها المسلم من ذنوبه كل يوم.

3- نسبه ﷺ: لقد دعا سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام الله وهما بمكة أنْ يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له، وأنْ يبعث فيهم رسولا منهم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى دعاءهما في قوله تعالى: (ربنا واجعلنا مُسلمَينِ لكَ ومِن ذريتنا أمةً مسلمةً لكَ وأَرِنا مناسكنا وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم{ 128} ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم"{ 129})[سورة البقرة]

أ- وقد جاء في التوراة ذكر للوعد الإلهي لإبراهيم أنْ يجعل من ذرية إسماعيل أمة هداية عظيمة، فقد ورد في سفر التكوين (26) ما يأتي:" وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمّره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، واجعله أمة كبيرة."

ب- وورد فيه أيضا:" وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك". ولم تكن هناك أمة هداية من نسل إسماعيل إلا أمة محمد ﷺ التي قال الله عنها: (كنتُم خيرَ أمةٍ أخرجتْ للناس)[سورة آل عمران] .

ج- وقد جاء في التوراة في سفر التثنية على لسان موسى عليه السلام : " قال لي الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه . " والمقصود بإخوتهم أبناء إسماعيل عليه السلام لأنه أخو إسحاق عليه السلام الذي ينسب إليه بنو إسرائيل ، حيث هما ابنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد ﷺ من ذرية إسماعيل ولو كانت البشارة تخص أحدا من بني إسرائيل لقالت : " منهم " فمحمد صلى الله عليه وسلم هو من وسط أخوتهم ، وهو مثل موسى عليه السلام نبي ورسول وصاحب شريعة جديدة ، وحارب المشركين وتزوج وكان راعي غنم ، ولا تنطبق هذه البشارة على يوشع كما يزعم اليهود لأنّ يوشع لم يوحَ إليه بكتاب ، كما جاء في سفر التثنية : " ولم يقم بعْد نبي في إسرائيل مثل موسى . " كما أنّ البشارة لا تنطبق على عيسى عليه السلام كما يزعم النصارى ، إذْ لم يكن مثل موسى عليه السلام من وجوه ، فقد ولد من غير أب وتكلم في المهد ولم تكن له شريعة كما كان لموسى عليه السلام ، ولم يمت بل رفعه الله تعالى إليه

د- وفي إنجيل – مَتّى جاء ما يلي : " قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله يُنزَع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره " وهذا معناه أنّ الرسالة تنتقل من بني إسرائيل إلى أمة أخرى ، فيكون الرسول المُبَشَّر به من غير بني إسرائيل .

4- مكان بعثتهﷺ :

أ- تذكر التوراة المكان الذي نشأ فيه إسماعيل عليه السلام ، فقد جاء في سفر التكوين : " وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البريَّة وكان ينمو رامي قوس . وسكن في بريَّة فاران وقد أشار

النبيﷺ إلى أنّ إسماعيل عليه السلام كان راميا ، فقد مرّ على نفرٍ من قبيلة أسلم يرمون بالسهام فقال لهم : (ارمو بني إسماعيل فإنّ أباكم كان راميا "
ب- كما جاء في التوراة في سفر أشعيا : " وحي من جهة بلاد العرب " وهذا إعلان عن المكان والأمة التي سيخرج منها الرسول حاملا الوحي من الله إلى الناس .
ج- ويأتي تحديد آخر للمكان الذي سترتفع فيه الدعوة الجديدة بشعاراتها الجديدة التي ترفع من رؤوس الجبال ويهتف بها الناس ، فتقول التوراة في سفر أشعيا : " غنُّوا للرب أغنية جديدة ، تسبيحهُ من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها ، لترفع البريّة ومدنها صوتها الديار التي سكانها قيدار . لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا "والأغنية عندهم هي الهتاف بذكر الله الذي يُرفع به الصوت من رؤوس الجبال ، وهذا لاينطبق إلا على الأذان عند المسلمين ، كما أنّ سكان سالع ، والديار التي سكنها قيدار هي أماكن في جزيرة العرب ، وكل ذلك يدل على أنّ مكان الرسالة الجديدة والرسول المبشر به هو جزيرة العرب .
د- وجاء في التوراة في سفر التثنية : " جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلالأ من جبل فاران " . ويرى بعض شُرَّاح التوراة مِمَّن أسلم أنّ هذه العبارة الموجودة في التوراة تشير إلى أماكن نزول الهدى الإلهي إلى الأرض . فمجيئه من سيناء : إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام . وإشراقه من ساعير : إعطاؤه الإنجيل للمسيح عليه السلام . وساعير : سلسلة جبال ممتدة في الجهة الشرقية من وادي عربة في فلسطين وهي الأرض التي عاش فيها عيسى عليه السلام . وتلألؤه من جبل فاران : إنزاله القرآن على محمد ﷺ وفاران هو الاسم القديم لأرض مكة التي سكنها إسماعيل عليه السلام .
هـ- وجاء في التوراة أنّ داود عليه السلام يترنم ببيت الله ويتمنى أنْ يكون فيه ، ويُعلِّل ذلك بمضاعفة الأجر هناك وتقول التوراة نقلا عنه : " ما أسعد أولئك الذين يتلقون قوتهم منك ، الذين يتوقون لأداء الحج إلى جبل المجتمع الديني الذي خَلُص لعبادة الله وهم يمرون عبر وادي بكة الجاف فيصبح مكانا للينابيع " . وفي نسخة أخرى : " فيصيرونه بئرا أو ينبوعا " ، ووادي بكة قد ورد ذكره في القرآن الكريم وأنه هو الذي فيه البيت الحرام قال تعالى : " إنّ أولَ بيتٍ وضِع للنّاسِ لَلذِي بِبَكةَ مباركاً وهدى للعالَمين [96] فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ومَن دخلهُ كان آمناً وللهِ على الناس حِجُّ البيتِ مَن استطاعَ إليه سبيلا ومَن كفرَ فإنّ اللهَ غنيٌ عنِ العالمين [97] " [آل عمران] وقد ذكر الله جفاف هذا الوادي بقوله سبحانه وهويذكر دعاء إبراهيم عليه السلام :" ربنا إنّي أسكنتُ مِن ذرِّيتي بوادٍ غيرِ ذي زرع عند بيتِكَ المحرّم . . . " [إبراهيم] . ومعلوم أنّ هذا الوادي الجاف قد جعل الله فيه بئر زمزم عندما سكنت هاجر فيه مع ابنها إسماعيل عليه السلام وقد أحرج النصارى العرب بالنص على وادي بكة ! فحرّفوه كما في الكتاب المقدس عندهم في الطبعة العربية فقالوا : " عابرين في وادي البكاء " وحذفوا أيضا لفظ " الحجاج " الذي ورد في النص الإنجليزي المذكورة ترجمته سابقا . ولا توجد صلة بين وادي بكة والبكاء ، وقد ورد اسم " بكة " في النص الإنجليزي مبتدئا بحرف كبير مما يدل على أنه علم غير قابل للترجمة Baca . وكما جاء في الكتب الزرادشتية بشارات تشير إلى المكان الذي تظهر فيه دعوة ﷺ ومن ذلك : إنّ أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين ، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام .
5- صفاته ﷺ: من صفاته ﷺأنه أمي ، وقد سبق بيانه .
أ- كما وصف في سفر أشعيا بأنه راكب الجمل وفي هذا إشارة إلى أنه من الصحراء وهكذا كان محمدﷺ.
ب- ووصف في المزامير بأنّ : " ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية " ، وقد انتهى ملوك اليمن ولم يظهر نبي دان له ملوك اليمن إلا محمدﷺ
ج - ووُصف فيها أيضا بأنه " يُصلّى عليه ويُبارك عليه كل وقت " وهكذا شأن محمدﷺ فالمسلمون يباركون عليه كل يوم عدة مرات في صلاتهم .
د - ووُصف فيها أيضا بأنه " مُتقلِّد سيفا " ، وفيها ايضا ما يلي : " وأنه يرمي بالنُّبل " .
ه - وجاء في إنجيل – متّى – وصفه بأنه الحجر الذي أتم بناء النبوة ، ففيه : " قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله يُنزَع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره " وأمة محمدﷺ أمة أميّة ، لم يكن لها شأن بين الأمم ، وكان من العجيب أنّ يكون الرسول الذي يخرج منها هو رأس الزاوية في بناء النبوة . وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : {إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، فيعجبون له ويقولون : هلا وُضعتْ هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين} وتذكر هذه البشارة على لسان عيسى عليه السلام أنّ صاحب هذا الوصف ليس من بني إسرائيل ، وأنّ النبوة ستنتزع من بني إسرائيل وتعطى لأمة أخرى " تعمل أثماره " أي تحقق ثماره ، فكانت هذه الأمة التي كانت مزدراة في أعين الناس هي أمة محمد ﷺ وهي الأمة الجديدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس .
و- وجاء في سفر أشعيا " وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين . هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزة . فإنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب . فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عدد قِسِيِّ أبطال بني قيدار تقل ، لأنّ الرب إله إسرائيل قد تكلم " . تفيد هذه البشارة أنّ الله أوحى إلى أشعيا : " لأنّ الرب إله إسرائيل قد تكلم " بأنّ وحيا سيأتي من جهة بلاد العرب " وحي من جهة بلاد العرب " وأنّ تلك الجهة من بلاد العرب هي الوعر التي تبيت فيها قوافل الددانيين ، وددان قرب المدينة النبوية المنورة كما تدل على ذلك الخرائط الكنسية القديمة . ويأمر الوحي الذي تلقاه أشعيا أهل تيماء أنْ يقدموا الشراب والطعام لهارب يهرب من أمام السيوف ، ومجيء الأمر بعد الإخبار عن الوحي الذي يكون من جهة بلاد العرب قرينة بأنّ الهارب هو صاحب ذلك الوحي الذي يأمر الله أهل تيماء بمناصرته " هاتوا ماءً لملاقاة العطشان ، يا سكان أرض

تيماء وافوا الهارب بخبزة " وأرض تيماء منطقة من أعمال المدينة ، وفيها يهود تيماء الذين انتقل معظمهم إلى يثرب . ويذكر المؤرخون الإخباريون العرب نقل عن اليهود في الجزيرة العربية أنّ أول قدوم اليهود إلى الحجاز كان في زمن موسى عليه السلام عندما أرسلهم في حملة ضد العماليق في تيماء ، وبعد قضائهم على العماليق وعودتهم إلى الشام بعد موت موسى مُنِعُوا من دخول الشام بحجة مخالفتهم لشريعة موسى لاستبقائهم ابنا لملك العماليق . فاضطروا للعودة إلى الحجاز والاستقرار في تيماء ثم انتقل معظمهم إلى يثرب . فأهل يثرب من اليهود هم من أهل تيماء المخاطبين في النص . وكان تاريخ مخاطبة أشعيا لأهل تيماء في هذا الاصحاح هو النصف الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد . ويفيد الوحي إلى أشعيا أنّ الهارب هرب ومعه آخرون : " فإنهم من أمام السيوف قد هربوا " . ثم يذكر الوحي الخراب الذي يحل بمجد قيدار بعد سنة من هذه الحادثة ، مما يدل على أنّ الهروب كان منهم ، وأنّ عقابهم كان بسبب تلك الحادثة : " فإنه هكذا قال لي السيد الله : في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار ، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تَقِل " وتنطبق هذه البشارة على محمدﷺ وهجرته تمتم الانطباق ، فقد نزل الوحي على محمد ﷺفي بلاد العرب ، وفي الوعر من بلاد العرب ، في مكة والمدينة . وهاجر الرسولﷺ من مكة من أرض بني قيدار . قريش الذين كانوا قد عينوا من كل بطن من بطونهم شابا جلدا ليجتمعوا لقتل محمدﷺ ليلة هجرته ، فجاء الشباب ومعهم أسلحتهم فخرج الرسول مهاجرا هاربا ، فتعقبته قريش بسيوفها وقِسِيها كما تذكر العبارة : " فإنهم من امام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدودة . ثم عاقب الله قريشا أبناء قيدار بعد سنة ونيف من هجرته ﷺبما حدث في غزوة بدر من هزيمة نكراء أذهبت مجد قريش ، وقتلت عددا من أبطالهم : " كما قال لي السيد الله : في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار ، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل " . وتؤكد العبارة أنّ هذا الإخبار وأنّ هذا التبشير بنزول الوحي في بلاد العرب ، وبعثة النبي ﷺوما يجري له من هجرة ونصر هو بوحي من الله : " لأنّ الرب إله إسرائيل قد تكلم " إنّ ما حملته هذه البشارة من معانٍ لابد أنْ يكون قد وقع ، لأنه يقع في عصر آلة الحرب فيه السيف والنبل ، وقد انتهى عصر الحرب بالسيف والنبل . * فهل نزل وحي في بلاد العرب غير القرآن؟! * وهل هناك نبي هاجر من مكة إلى المدينة واستقبله أهل تيماء غير محمد ﷺ؟!* وهل هناك هزيمة لقريش بعد عام من الهجرة إلا على يد رسول الله ﷺ في غزوة بدر؟! إنّ هذه البشارة تدل على صدق رسالة محمد ﷺ، وإنها إعلان إلهي عن مَقْدَمه ينقلها أحد أنبياء بني إسرائيل أشعيا، وبقي هذا النص إلى يومنا هذا على الرغم من حرص كفرة أهل الكتاب على التحريف والتبديل.

ز- وجاء في صفته في المزامير:" انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد تقلد سيفك"

- وجاء في التوارة في سفر أشعيا في وصفه:" هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سَرَت به نفسي، وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته" وهذا يتطابق مع ما نقله الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو رضي الله عنه من التوارة التي قرأها في زمنه، فقد قال عطاء بن يسار له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺفي التوارة: قال: أجل والله إنه لموصوف في التوارة ببعض صفته في القرآن: يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي ، سميَّتُك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأنْ يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا.

ط - وجاء في صفة الدين الذي يأتي به ما يأتي: أولا: الأذان للصلاة كما سبق بيانه. ثانيا: الصلاة كتفا إلى كتف: فقد جاء التوارة في سفر صفنيا ما يأتي: لأنّي حينئذ أحوّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوا بكتف واحدة. وبالإسلام توحدت لغة العبادة لله، فيقرأ القرآن في الصلاة بلغة واحدة هي العربية، ويصفون كتفا إلى كتف. ثالثا: تحويل القبلة: فقد جاء في إنجيل يوحنا ما يأتي: إنّ امرأة سامرية تقول لعيسى عليه السلام:" آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إنّ في أورشليما الموضع الذي ينبغي أنْ يُسجد فيه قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون" وهذا إعلان بأنّ القبلة ستتحول من بيت المقدس. ولا يكون ذلك إلا على يد رسول، كما حدث على يد النبي ﷺ وفقا لأمر الله القائل"(فولِّ وجهَكَ شطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُ ما كنتُمْ فولُّوا وجوهَكمْ شطرَه وإنّ الذِينَ أوتوا الكتابَ ليعلمونَ أنه الحقُّ مِن ربهمْ وما الله بغافلٍ عمّا يعملون)[سورة البقرة].

رابعا: الهداية إلى جميع الدين الحق: فقد جاء في إنجيل يوحنا ما يأتي: يقول عيسى عليه السلام: إنّ لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أنْ تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية قال تعالى: (ونزَّلنا عليك الكتابَ تبياناً لكلِّ شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين)[سورة النحل]. وقال تعالى: (وما ينطِقُ عنِ الهوى{3} إنْ هو إلا وحيٌ يوحى{4})[سورة النجم].

خامسا: ذكر بعض شعائر دينه ﷺفي الكتب السابقة: فقد جاء في كتاب: بفوشيا برانم وصف لأصحاب محمد ﷺبأنهم:" هم الذين يختتنون، ولا يربون القزع، ويربون اللحى، وهم مجاهدون وينادون الناس للدعاء بصوت عال، ويأكلون أكثر الحيوانات إلا الخنزير، ولا يستعملون الدرباء للتطهير بل الشهداء هم المتطهرون، ويسمون" بمسلي"بسبب أنهم يقاتلون من يلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج منا وأنا الخالق".وجاء في كتاب" محمد في الأسفار العالمية" ما ترجمه الأستاذ عبدالحق من كتب الزرادشتية بشأن محمد وأصحابه" إنّ أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون، وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس،ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويؤمئذ يصبحون هم أتباع النبي رحمة للعالمين، وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ. وإنّ نبيهم ليكونن فصيحا يتحدث بالمعجزات.

****

قصة طوفان نوح

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأمم السابقة البائدة وكيف كانت مواقفهم تجاه الرسل الله تعالى ومن القصص التي وردت في القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام والطوفان قال تعالى: " كذبتْ قومُ نوحِ المرسلين{105} إذ قال لهم أخوهم نوحٌ ألا تتقونَ{106} إنّي لكم رسولٌ أمينٌ{107} فاتقوا اللهَ وأطِيعونِ {108} وما أسألكمْ علَيه مِنْ أجرٍ إنْ أجريَ إلا على ربِّ العالَمين{109} فاتقوا اللهَ وأطيعونِ{110} قالوا أنؤمنُ لكَ واتبعَك الأَرذَلونَ{111} قال وما عِلمِي بما كانوا يعملون{112} إن حسابُهم إلا على ربِّ لو تشعرونَ{113} وما أنا بطاردِ المؤمنين{114} إنْ أنا إلا نذيرٌ مبينٌ{115} قالوا لئِن لم تنتهِ يانوحُ لتكونَنَ مِن المَرجومين{116} قال ربِّ إنّ قومِي كذَّبونِ{117} فافتحْ بينِي وبينهم فتحاً ونجِّني ومَن معي مَن المؤمنين{118} فأنجيناه ومَن معه في الفُلك المشحون{119} ثم أغرقْنا بعدُ الباقين{120} إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرُهم مؤمنين{121} وإنّ ربَّكَ لَهو العزيزُ الرحيمُ{122}" [سورة الشعراء]وقال تعالى : (إنّا أرْسلنا نوحاً إلى قومِه أنْ أنذِر قومَك مِن قبل أن يأتيهم عذابٌ أليمٌ{1} قال يا قومِ إنّي لكم نذيرٌ مبينٌ{2})

<u>الإعجاز الغيبي:</u> لعلّ هذه القصة من أعظم صور الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم والتي صدَّقتها المكتشفات الأثرية الحديثة:

<u>قصة الطوفان عند الحضارات القديمة:</u> من المعروف منذ زمن طويل أنّ قصص الطوفان تنتشر انتشارا واسعا في جميع أنحاء العالم، فهناك قصص عن الطوفان في بعض مجتمعات الشرق الأدنى القديم، وفي الهند وبورما والصين والملايو واستراليا وجزر المحيط الهادي، وفي جميع مجتمعات الهنود الأحمر. ولعل أهم هذه القصص قصة الطوفان السومرية، وقصة الطوفان البابلية، وقصة الطوفان اليهودية كما ترويها التوارة وعلى الرغم من التحريف الذي يشوب تلك القصص إلاأنها متفقة على أنه قد حدث طوفان عظيم وأنه كان هناك رجل صالح قام ببناء سفينة وحمل فيها من كل حيوان زوجين إضافة إلى أهله ومَن تبعه من الناس المؤمنين بالله:

أولا: قصة الطوفان السومرية: كان الناس يعتقدون حتى أواخر القرن الماضي أنّ التوارة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان، ولكن الاكتشافات الحديثة أثبتت أنّ ذلك مجرد وهم، حيث عثر في عام 1853م على نسخة من رواية الطوفان البابلية وفي الفترة ما بين 1889 م،1900 م، اكتشفت أول بعثة أثرية أمريكية قامت بالتنقيب في العراق اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة " نيبور" (نفر) ثم تبعه آخرون، ويبدو من طابع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى ما يقرب من عهد الملك البابلي الشهير"حمورابي" وعلى أنه من المؤكد أنها كانت قبل ذلك... ملخص القصة حسب الرواية السومرية تتحدث عن ملك يسمى(زيوسودا) كان يوصف بالتقوى ويخاف من الله، ويكب على خدمته في تواضع وخشوع أخبر بالقرار الذي أعده مجمع الآلهة بإرسال الطوفان الذي صاحبه العواصف والأمطار التي استمرت سبعة أيام وسبع ليال يكتسح هذا الفيضان الأرض، حيث يوصف (زيوسودا) بأنه الشخص الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة...

ثانيا: قصة الطوفان البابلية:

1- ملحمة جلجامش: في الثالث من ديسمبر 1872 م أعلن (سيدني سمث) نجاحه في جمع القطع المتناثرة من ملحمة جلجامش بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثنى عشر نشيدا، أو بالأحرى لوحا، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر: وملخص القصة أنه كان هناك رجل يسمى جلجامش أمرته الآلهة بأنْ يبني سفينة، وأنْ يدع الأملاك وأنه احتمل على ظهر الفلك بذور كل شيء حي، والفلك التي بناها سيكون عرضها مثل طولها وأنه نزل مطر مدرار.. الخ ثم استوت السفينة على جبل نيصير(نيزير)[وهو جبل بين الدجلة والزاب الأسفل].

2- قصة بيروسوس: في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى أيام الملك"أنتيوخوس"(260 280ق ، م) ، كان هناك أحد كهنة الإله"ردوك"البابلي، ويدعى بيروسوس قد كتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية في ثلاثة أجزاء وحوى الكتاب على قصة الطوفان وتقول أنه كان يعيش ملك اسمه" أكسيسوس ثووس" هذا الملك يرى فيما يرى النائم أنّ الإله يحذره من طوفان يغمر الأرض ويهلك الحرث والنسل فيأمره بأنْ يبني سفينة يأوي إليها عند الطوفان. فيبني هذا الملك سفينة طولها مائة وألف ياردة وعرضها أربعمائة وأربعون ياردة، ويجمع فيه كل أقربائه وأصحابه، ويختزن فيه زادا من اللحم والشراب فضلا عن الكائنات الحية من الطيور وذات الأربع. ويغرق الطوفان الأرض.. وتستقر السفينة على جبل حيث ينزل وزوجته وابنته وقائد الدفة، ويسجد الملك لربه ويقدم القرابين الخ...

ثالثا : قصة الطوفان اليهودية كما ترويها التوراة : وردت هذه القصة في الإصحاحات من السادس إلى التاسع من سفر التكوين وتجري أحداثها على النحو التالي : (رأى الربُّ أنّ شر الإنسان قد كثر في الأرض ، فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسّف في قلبه ، وعزم على أنْ يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور عن وجه الأرض ، وأنْ يستثني من ذلك نوحا لأنه كان رجلا بارا كاملا في أجياله ، وسار نوح مع الله وتزداد شرور الناس وتمتليء الأرض ظلما ، ويقرر الرب نهاية البشرية ، ويحيط نوحا علما بما نواه ، آمراً إياه بأنْ يصنع فلكا ضخما ، وأنْ يكون بالقار والقطران من داخل ومن خارج ، حتى لايتسرب إليها الماء ، وأنْ يُدخل فيها اثنين من كل ذي جسد حي ، ذكرا وأنثى ، فضلا عن امرأته وبنيه ونساء بيته ، هذا إلى جانب طعام يكفي مَن في الفلك وما فيه .. ويكرر الرب أوامره في الإصحاح التالي فيأمره أنْ يدخل الفلك ومن معه ذلك لأنّ الرب قرر أنْ يُغرق الأرض ومَن عليها بعد سبعة أيام ذلك عن طريق مطر يسقط على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة ، ويصدع نوح بأمر ربه فيأوي إلى السفينة ومَن معه وأهله ، ثم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء ، واستمر الطوفان أربعين يوما على الأرض . وتكاثرت المياه ورفعت الفلك عن الأرض وتغطت المياه ، ومات كل حي كان يدب على الأرض ، من الناس ، والطيور والبهائم والوحوش وبقي نوح والذين معه في الفلك حتى استقرت الفلك على جبل أراراط . إنّ هذه النصوص برغم ما حوت من تحريف إلا أنها بمجموعها تؤكد حدوث قصة الطوفان وهي في شكلها العام تتطابق مع القرآن الكريم فمَن أخبر محمدا بتفاصيل تلك القصة التي كانت أحداثها قبل ولادته بآلاف السنين .

<u>الأدلة الأثرية في العراق تدل على ثبوت قصة الطوفان :</u> لقد عثر عالم الآثار- سيرليونارد- في (أور) عام1928 م على طبقة من الغرين السميك الذي يقدَّر بحوالي ثمانية أقدام والذي اعتبره دليلا ماديا على الطوفان السومري هذا مع ملاحظة أنّ تلك الطبقة الغرينية تقع فوق وتحت هذا وتحت آثار تنتمي إلى عصر حضارة العبيد، والتي تمثل عصر ما قبل الأسرات الأولى في جنوب العراق، ثم اتجه - دولي - بعد ذلك إلى الحفر في موضع بعيد عن(أور) بحوالي ثلاثمائة ياردة من ناحية الشمال الغربي للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية، وكانت نتيجة الحفر إيجابية، مما أدى إلى القول بوجهة نظره المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة. وهناك من الأدلة كذلك ما حدثنا عنه "سيرليونارد وولي" من أنه قد وجد في أور أسفل طبقة المباني طبقة طينية مليئة بقدور من الفخار الملون، مختلط بها أدوات من الصوان والزجاج، وكان سمك هذه الطبقة 16 قدما(3 أمتار) أسفل المباني الطينية التي يمكن أنْ تعود إلى 2700 ق .م وأنّ أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان، ويستنتج " وولي" أنّ سبب اختفاء هذا الفخار الملون الذي كان منتشرا على طول بلاد الرافدين قبل الطوفان اختفاء تاما مرة واحدة كان الطوفان، الذي قضى قضاء تاما على سكان هذه البلاد.

<u>اكتشاف شواهد على الحياة قبل الطوفان: واشنطن - ناسا:</u> عثر مستكشفون أمريكيون على عمق مئات الأمتار تحت سطح البحر الأسود على بقايا منطقة سكانية في بقعة وقعت فيها سيول مدمرة قبل 7500 عام تعادل في هميتها اكتشاف أطلال بومبي المدينة الرومانية القديمة التي دمّرها بركان (فيزوف) قبل عدة قرون . وذكرت (رويترز) في تحقيق لها بهذا الشأن أنّ (روبرتبا لارد) أحد المستكشفين أوضح أنّ فريقه من جمعية (ناشيونال جيو غرافيك) عثر على هيكل مستطيل قد يكون لبناء على عمق نحو 310 أمتار تحت سطح البحر مما يشير إلى أنّ أناسا كانوا يعيشون هناك قبل إغراق طوفان هائل للمنطقة الأمر الذي يعتبرشواهد على مستوطنات بشرية . وقال (بالارد) في حديث هاتفي من سفينة الأبحاث (نور درنهور ايزون) على مسافة 20 كيلو مترا قبالة الساحل التركي أنّ الاكتشاف هائل ويرجع المعمار والقطع الفنية فيه إلى العصر البرونزي الحديث الذي كانت بدايته قبل نحو 7000 عام كما أنه يضم كمية كبيرة من الأطلال تحت سطح الماء مما يشير إلى أنّ عددا كبيرا من الناس كانوا يعيشون فيها واعتبر هذا الاكتشاف يفوق في أهميته اكتشاف حطام التايتانيك في عام 1985 . وأضاف أنّ فريقه توصّل إلى هذا الاكتشاف قبل ثلاثة أيام في الأسبوع الثاني من بعثة تستغرق خمسة أسابيع ويأمل أعضاء الفريق في التوصل إلى اكتشافات أخرى وسيقومون بعمليات تجفيف وتصوير وثائقي دقيق قبل إحضار أي شيء إلى السطح . وتمّ التعرف على القطع المكتشفة بمَجسّات ضوئية " سونار " وتمّ تصويرها بواسطة عربة متنقلة اسمها ازجوس في حجم الغسالة الكهربائية متصلة بباخرة الأبحاث بكابلات من الألياف الزجاجية وتبلغ مساحة الهيكل المستطيل الذي تم اكتشافه أربعة أمتار عرضا و15 مترا طولا .

****

عرش بلقيس

قال تعالى (قالَ الذي عِنده علمٌ مِنَ الكتابِ أنا آتيكَ به قبلَ أن يرتدَّ إليك طرفُك) [النمل] قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ وموضوع نقل العرش لم يكن إلا ضربا من ضروب السحر فكيف يتمكن مخلوق من إحضار عرش ملكة سبأ في ذلك العصر من على بعد آلاف الكيلو مترات في جزء من ثانية أي قبل أنْ يرتد إلى سليمان طرفه ؟ ولكن العلم الحديث يخبرنا بأنّ هذا لا يتحتم أنْ يكون سحرا ! فحدوثه ممكن من الناحية العلمية أو على الأقل من الناحية النظرية بالنسبة لمقدرتنا في القرن العشرين . أما كيف يحدث ذلك فهذا هو موضوعنا .. الطاقة والمادة صورتان مختلفتان لشيء واحد ، فالمادة يمكن أنْ تتحول إلى طاقة والطاقة إلى مادة وذلك حسب المعادلة المشهورة وقد نجح الإنسان في تحويل المادة إلى طاقة وذلك في المفاعلات الذرية التي تولد لنا الكهرباء ولوأنّ تحكمه في هذا التحويل لا يزال يمر بأدوار تحسين وتطوير ، وكذلك فقد نجح الإنسان – ولو بدرجة أقل بكثير – من تحويل الطاقة إلى مادة وذلك في معجلات الجسيمات و لو أنّ ذلك مازال يتم حتى الآن على مستوى الجسيمات . فتحوّل المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة أمر ممكن علميا وعمليا فالمادة والطاقة قرينان ، ولايعطل حدوث هذا التحول على نطاق واسع إلا صعوبة حدوثه والتحكم فيه تحت الظروف والإمكانيات العلمية والعملية الحالية ، ولا شك أنّ التوصل إلى الطرق العلمية والوسائل العملية المناسبة لتحويل الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة في سهولة ويسر يستدعي تقدما علميا وفنيا هائلين . فمستوى مقدرتنا العلمية والعملية حاليا في هذا الصدد ليس إلا كمستوى طفل يتعلم القراءة فإذا تمكن الإنسان في يوم من الأيام من التحويل السهل الميسور بين المادة والطاقة فسوف ينتج عن ذلك تغيرات جذرية بل وثورات ضخمة في نمط الحياة اليومي وأحد الأسباب أنّ الطاقة ممكن إرسالها بسرعة الضوء على موجات ميكرونية إلى أي مكان نريد ، ثم نعود فنحوّلها إلى مادة ! وبذلك نستطيع أنْ نرسل إي جهاز أو حتى منزلا بأكمله إلى أي بقعة نختارها على الأرض أو حتى على القمر أو المريخ في خلال ثوان أو دقائق معدودة. والصعوبة الأساسية التي يراها الفيزيائيون لتحقيق هذا الحلم هي في ترتيب جزيئات أو ذرات المادة في الصورة الأصلية تماما، كل ذرة في مكانها الأول الذي شغلته قبل تحويلها إلى طاقة لتقوم بوظيفتها الأصلية. وهناك صعوبة أخرى هامة يعاني منها العلم الآن وهي كفاءة والتقاط الموجات الكهرومغناطيسية الحالية والتي لا تزيد على 60 % وذلك لتبدد أكثرها في الجو كل هذا كان عرضا سريعا لموقف العلم وإمكانياته الحالية في تحويل المادة إلى طاقة والعكس.. فلنعد الآن لموضوع نقل عرش الملكة بلقيس، فالتفسير المنطقي لِمَا قام به الذي عنده علم من الكتاب - سواء أكان أنسي أو جني - حسب علمنا الحالي أنه قام أولا بتحويل عرش ملكة سبأ إلى نوع من الطاقة ليس من الضروري أنْ يكون في صورة طاقة حرارية مثل الطاقة التي نحصل عليها من المفاعلات الذرية الحالية ذات الكفاءة المنخفضة، ولكن طاقة تشبه الطاقة الكهربائية أو الضوئية يمكن إرسالها بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية. والخطوة الثانية هي أنه قام بإرسال هذه الطاقة من سبأ إلى مُلك سليمان، ولأن سرعة انتشار الموجات الكهروغناطيسية هي نفس سرعة انتشار الضوء أي 300000 كم - ثانية فزمن وصولها عند سليمان ثلاثة آلاف كيلومترا.. والخطوة الثالثة والأخيرة أنه حوّل هذه الطاقة عند وصولها إلى مادة مرة أخرى في نفس الصورة التي كانت عليها أي أنّ كل جزئ وكل ذرة

رجعت إلى مكانها الأول!. إنّ إنسان القرن العشرين ليعجز عن القيام بما قام به هذا الذي عنده علم من الكتاب منذ أكثر من ألفي عام. فمقدرة الإنسان الحالي لا تتعدى محاولة تفسير فهم ما حدث. فما نجح فيه إنسان القرن العشرين هو تحويل جزء من مادة العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم إلى طاقة بواسطة الانشطار في ذرات هذه العناصر. أما التفاعلات النووية الأخرى التي تتم بتلاحم ذرات العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين والهليوم والتي تولد طاقات الشمس والنجوم فلم يستطع الإنسان حتى الآن التحكم فيها. وحتى إذا نجح الإنسان في التحكم في طاقة التلاحم الذري، لا تزال الطاقة المتولدة في صورة بدائية يصعب إرسالها مسافات طويلة بدون تبديد الشطر الأكبر منها. فتحويل المادة إلى موجات ميكرونية يتم حاليا بالطريقة البشرية في صورة بدائية تستلزم تحويل المادة إلى طاقة حرارية ثم إلى طاقة ميكانيكية ثم إلى طاقة كهربائية وأخيرا إرسالها على موجات ميكرونية. ولهذا السبب نجد أنّ الشطر الأكبر من المادة التي بدأنا بها تبددت خلال هذه التحويلات ولا يبقي إلا جزء صغير نستطيع إرساله عن طريق الموجات الميكرونية. فكفاءة تحويل المادة إلى طاقة حرارية ثم إلى طاقة ميكانية ثم إلى طاقة كهربائية لن يزيد عن عشرين في المائة 20 % حتى إذا تجاوزنا عن الضعف التكنولوجي الحالي في تحويل اليورانيوم إلى طاقة فالذي يتحول إلى طاقة هو جزء صغير من كتلة اليورانيوم أما الشطر الأكبر فيظل في الوقود النووي يشع طاقته على مدى آلاف وملايين السينين متحولا إلى عناصر أخرى تنتهي بالرصاص . وليس هذا بمنتهى القصد ! ففي الطرف الآخر يجب التقاط وتجميع هذه الموجات ثم إعادة تحويلها إلى طاقة ثم إلى مادة كل جزئ وكل ذرة وكل جسيم إلى نفس المكان الأصلي ، وكفاءة تجميع هذه الأشعة الآن وتحويلها إلى طاقة كهربائية في نفس الصورة التي أرسلت بها قد لا تزيد عن 50 % أي أنه ما تبقى من المادة الأصلية حتى الآن بعد تحويلها من مادة إلى طاقة وإرسالها عن طريق الموجات الكهرو مغناطيسية الميكرونية واستقبالها وتحويلها مرة أخرى إلى طاقة هو 10 % وذلك قبل أنْ نقوم بالخطوة النهائية وهي تحويل هذه الطاقة إلى مادة وهذه الخطوة الأخيرة – أي تحويل هذه الطاقة إلى مادة في صورتها الأولى – هو ما يعجز عنه حتى الآن إنسان القرن العشرين ولذلك فنحن لا ندري كفاءة إتمام هذه الخطوة الأخيرة وإذا فرضنا أنه تحت أفضل الظروف تمكن الإنسان من تحويل 50 % من هذه الطاقة المتبقية إلى مادة فالذي سوف نحصل عليه هو أقل من 5 % من المادة التي بدأنا بها ومعنى ذلك أننا إذا بدأنا بعرش الملكة بلقيس وحوَّلناه بطريقة ما إلى طاقة وأرسلنا هذه الطاقة على موجات ميكرونية ، ثم استقبلنا هذه الموجات وحولناها إلى طاقة مرة أخرى أو إلى مادة فلن نجد لدينا أكثر من 5 % من عرش الملكة بلقيس وأما الباقي فقد تبدد خلال هذه التحويلات العديدة نظرا للكفاءات الرديئة لهذه العمليات ، وهذه الـ 5 % من المادة الأصلية لن تكفي لبناء جزء صغير من عرشها مثل رجل أو يد كرسي عرش الملكة . إنّ الآيات القرآنية لا تحدد شخصية هذا الذي كان (عنده علم من الكتاب) هل كان إنسيا أم جنيّا ! وقد ذكر في كثير من التفاسير أنّ الذي قام بنقل عرش بلقيس هو من الإنس ويدعى آصف بن برخياء ، ونحن نرجح أنّ الذي قام بهذا العمل هو عفريت آخر من الجن ، فاحتمال وجود إنسان في هذا العصر على هذه الدرجة الرفيعة من العلم والمعرفة هو احتمال جد ضئيل . فقد نجح هذا الجني في تحويل عرش بلقيس إلى طاقة ثم إرساله مسافة آلاف الكيلو مترات ثم إعادة تحويله إلى صورته الأصلية من مادة تماما كما كان في أقل من ثانية ، أو حتى في عدة ثواني إذا اعتبرنا عرض الجني الأول الذي أبدى استعداده لإحضار العرش قبل أنْ يقوم سليمان عليه السلام من كرسيه . فمستوى معرفة وقدرة أي من الجنيين الأول والثاني منذ نيف وألفي عام لأرفع بكثير من مستوى المعرفة والقدرة الفنية والعلمية التي وصل إليها إنسان القرن العشرين .

****

إقرار بشرية عيسى ﷺ وتحريف الإنجيل

قال تعالى : (ما المسيحُ بنُ مريمَ إلا رسولٌ قدْ خلتْ مْن قبلِهِ الرُّسلُ وأمُّه صِدِّيقةٌ كانا يأكلانِ الطعامَ انظر كيف نبينُ لهم الآياتِ ثم انظر أنّى يُؤفكونَ) [المائدة] لقد ظلّ كبار رجال الكنيسة يجتمعون كل عام تقريبا منذ سنة 1915 لإصلاح معتقداتهم الدينية . وقرروا ما يأتي :

1- إنّ عيسى ليس إلا بشرا ، كما أنه ليس هو الله بأي معنى من معاني الكلمة .

2- وأنّ بنوته لله معناها قربه من الله فقط – وهي مرحلة من الرقي الروحي مفتوحة لكل بني آدم . وأنّ نظرية [الحبل بلا دنس] ابتدعت لمجرد تعزيز الاعتقاد في ألوهيته

3- وأنّ الاعتقاد في زلّة آدم اعتقاد خطأ ؛ لأنّ الإنسان يبرز إلى الوجود من غير أنْ تكون الخطيئة مركوزة في فطرته إذ أنها أمر كسبي ، وليس في وسع أحد أنْ يكفّر عن خطايا غيره .

4- وأنّ معظم الشعائر الدينية المسيحية مقتبسة من الوثنية ، ومنها العشاء الرباني .

5- وأنّ عيسى يشارك معاصريه في أخطائهم .

6- وأنّ الكتاب المقدس ليس كلام الله صرفا ، ولكنه مشوب بالأقاصيص التي كانت تجري على ألسنة الناس . ألست ترى معي أنّ ما أقروه قد أتى على بنيان المسيحية من القواعد ، وأنّ نبينا محمد ﷺ قد سبقهم إليه منذ 14 قرنا .

****

أدلة الوحي العلمية

روى البخاري في صحيحه ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أنّ الحارث بن هشام سأل رسول اللهﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول اللهﷺ : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس – وهوأشده عليّ – فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي المَلك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول) قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقا . إنّ الماديين ينكرون ما وراء المادة ويسرفون في الشكوك ويستخفون بأمر النبوات والوحي ، لولا أنْ صدمهم العلم نفسه صدمة عنيفة غيّرت رأيهم في إنكار ما وراء المادة والأدلة التي سنذكرها ما هي في الواقع إلا أدلة لإمكان الوحي وتقريبه إلى العقول :

الدليل الأول : التنويم المغناطيسي أو التنويم الصناعي ، وهو من المقررات العلمية الثابتة . كشفه الدكتور – مسمر – الألماني في القرن الثامن عشر ، وحمل العلماء على الاعتراف به وقد نجح في ذلك بعد أنْ اختبروا به الآلاف المؤلفة من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه . واخيرا أثبتوا بواساطته ما يلي :

1- أنّ للإنسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا .

2- أنّ الشخص المنوّم في حالة التنويم يرى ويسمع من بُعد شاسع ويقرأ من وراء حُجُب . ويخبر عما سيحدث .

3- التنويم درجات يزداد العقل الباطن سموا بتنقله فيها . إلى غير ذلك مما لا نسلّم بجميع تفاصيله ، وإنْ كنّا نسلّم هذا العلم وتجاربه لثبوت الدليل بها في الجملة ، وله في الغرب أنصار ودور وكتب وله مستشفيات يؤمها الناس للتداوي به ، وليس من موضوعنا التوسع فيه ولكن نريد أنْ يرى القارئ الكريم إلى أي حد أظهر الله في هذا العصر آيات باهرات على أيدي الماديين الذين ينكرون ما وراء المادة ويسرفون في الإنكار فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يثبتون ما وراء المادة ويسرفون في الإثبات .

الدليل الثاني : إنّ العلم الحديث استطاع أنْ يخترع من العجائب الكثير كالهاتف ، واللاسلكي وغيره ، وبواسطتهم أمكن الإنسان أنْ يخاطب مَن كان في آفاق بعيدة عنه . فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أنْ يعجز الإله الخالق القادر عن أنْ يوحي إلى بعض عباده ما شاء عن طريق المَلك أو غيره ؟! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

الدليل الثالث : استطاع العلم أيضا أنْ يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد الجاهل بأصوات وأنغام على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره يسمونه بـ - الفونغراف - أَبَعْدَ هذه المخترعات القائمة يُستبعد على القادر بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أنْ يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواصّ عباده بكلام مقدس يهدي به خلقه على وجهٍ يجعل ذلك الكلام منتقشا في قلب رسوله حتى يحكمه بدقة وإتقان كذلك

الدليل الرابع : قرر العلم الحديث أنه شُوهد على بعض الناس أنهم يظهرون بمظاهر روحانية ، تعتبر من الخوارق التي لم يكن يحلم بحدوثها العلماء ، على حين أنّ هؤلاء الذين أتوا بتلك الظواهر الخارقة كانوا في حالة ذهول وقد استحال تعليل ما أتوا تعليلا ماديا يستند إلى الحس ، وقد اختبروا تلك الظواهر ، واستحضروا لشهودها أكبر مُشعوذي الأرض ، فشهدوا بأنها ليست من الشعوذة في شيء ؛ وإنما هي أحداث روحانية ، لا أثر فيها للمهارة وخفة اليد . تلك حقيقة من حقائق العلم الحديث الحاضر يقرون فيها أنه قد يُفتح على بعض الناس في حالة من حالات ذهولهم بانكشافات وظواهر روحيّة ، فكيف يستبعد بجانب هذا الكشف العلمي أنْ يفتح الله على بعض الممتازين من خلقه بانكشافات علمية عن طريق الوحي بينما هم من كملة العقول والأخلاق ؟ .

الدليل الخامس : العبقرية . ويعرّفها أفلاطون بأنها حال من إلهية مولدة للإلهامات العلوية للبشر ، ويقرر الفلاسفة أنها حالٌ علويّة لا شأن للعقل فيها . ويقول الطبيعيون : أنها هِبة من الطبيعة نفسها لا تحصّلها دراسة ، ولا يوجدها تفكير . وهذه أمثلة للعبقرية والعباقرة تشع على موضوع الوحي نورا كشّافا يهدي الحيارى الضالين إلى سواء السبيل :

1- قال الأستاذ – ميرس – الإنجليزي في كتابه الشخصية الإنسانية ما ترجمته : كان للمستر بيدار خاصّة تكاد تلتحق بالمعجزات . فإنه كان يعين على البديهة العوامل التي إذا ضرب بعضها في بعض أنتجت عددا من سبعة أو ثمانية أرقام . فإذا سُئل مثلا ما هما العددان اللذان إذا ضرب أحدهما في الآخر نتج العدد (17861) أجابك على الفور بأنهما (337 ، 53) . وهو يقول : إنه لايدري على أية حال يأتي بهذا الجواب فكانت الإجاة عنده كأنها غريزة طبيعية .

2- ذكر المسيو – رينه – الشاعر الفرنسي أنه ينام غالبا وهو يعمل قطعة من الشعر لم تتم، ثم يستيقظ فيجدها تامة.

3- ومن الجديد في هذه المواهب الخارقة التي يتجلى بها بعض البشر فتاة من منطقة" بنيجالور" في الهند اسمها" شاكونتالا" ... زارت معظم دول العالم تعرض على الناس موهبتها النادرة، فهي خبيرة في العمليات الحسابية.. وأحيانا تفوق الحسابية بسرعتها في التوصل إلى النتائج الحسابية، ومع ذلك فإنّ الشابة أمية حرمت من التعليم في صغرها بسبب فقر أسرتها.. وموهبة الفتاة الأمية قد حيرت العلماء. كانت" شاكونتالا" في الثالثة من عمرها عندما بدأت عمليات الحساب من جمع وضرب وطرح وقسمة تستهويها، وكانت تساعد أمها الأمية على عمليات الحساب البسيطة عندما ترافقها إلى السوق لشراء بعض الحاجيات، زارت الفتاة معظم الدول الأوروبية، وأثارت فضول العلماء. وفي رحلتها الأخيرة إلى مدينة تكساس بالولايات المتحدة طلب إليها الخبراء أنْ تدخل في مسابقة مع جهاز الحاسوب لاستخراج الجذر الثالث والعشرين لرقم كبير جدا !!، وقد سبقت الحاسوب في التوصل إلى النتيجة بثوان قليلة فقط!! وحتى الآن يحار العلماء في تفسير موهبة " شاكونتالا" ولكنهم يقولون أنهم إذا اكتشفوا كيف يمكن للمخ القيام بهذه المعجزة فقد نستغني عن الحاسبات ونعود للإنسان.. وهذه الأمثلة التي سيقت تثبت وجود اتصالات روحانية باطنة في بعض الأفراد تمد الإنسان بعلم من طريق غير معتاد؛ وذلك يقرب الوحي أيما تقريب؛ في وقت اشتد شك الناس فيه حتى كذبوا بالنبوات وسخروا بالشرائع مع أنها أعظم عوامل التحول الفكري والاجتماعي في الإنسان، وغيرت مجرى التاريخ، ومن العار الجارح لكرامة البشر أنْ تكون تلك التحولات والأحداث قامت على أوهام خاطئة أو على أكاذيب متعمدة، ألا لقد أسفر الصبح لذي عينين.

****

قميص يوسف عليه السلام

قال تعالى: (اذهبوا بقميصِي هذا فألقوهُ على وجهِ أبي يأتِ بصيراً...)[سورة يوسف]

لم يكن قميص النبي يوسف عليه السلام- الذي ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا - لم يكن أبدا أكذوبة من الأكاذيب أو ضربا من الخيال، أو نوعا من السحر والأساطير. بل كان حقيقة أخبرعنها مَن لاينطق عن الهوى، الصادق الأمين وأكدها اليوم الطب الحديث على يد طبيب من المسلمين تدبر كتاب الله خير تدبير فدله على خير عظيم وكنز ثمين.

<u>براءة اختراع دولية لقطرة عيون قرآنية:</u> يتحدث العالم المسلم ـ الأستاذ عبدالباسط محمد السيد ـ الحاصل على براءتي اختراع دوليتين؛ براءة الاختراع الأوروبية عام 1991 م وبراءة الاختراع الأمريكية عام 1993 م. بعد أنْ قام بتصنيع قطرة عيون لمعالجة المياه البيضاء استلهمها من نصوص سورة يوسف عليه السلام!! ـ حول هذا الموضوع يتحدث فيقول: .. من القرآن الكريم كانت البداية ذلك أني كنت في فجر أحد الأيام أقرأ في كتاب الله عز وجل في سورة يوسف فاستوقفتني تلك القصة العجيبة وأخذت أتتدبر في الآيات الكريمات التي تحكى قصة تآمر إخوة يوسف عليه وما آل إليه أمر أبيه بعد أنْ فقده وذهاب بصره وإصابته بالمياه البيضاء ثم كيف أنّ رحمة الله تداركته بقميص الشفاء الذي ألقاه البشير على وجهه فارتد بصيرا. وأخذتُ أسأل نفسي تُرى ما الذي يمكن أنْ يوجد في قميص يوسف حتى يحدث ذلك الشفاء وعودة الإبصار إلى ما كان عليه ومع إيماني بأنّ القصة تحكى معجزة أجراها الله على يد نبي من أنبياء الله وهو سيدنا يوسف إلا أني أدركت أنّ هناك بجانب المغزى الروحي الذي تفيده القصة مغزى آخر ماديا يمكن أنْ يوصلنا إليه البحث تدليلا على صدق القرآن الذي نقل إلينا تلك القصة كما وقعت أحداثها في وقتها وأخذت أبحث حتى هداني الله إلى ذلك البحث. يقول القرآن الكريم (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم).

البياض الذي يصيب العين أو المياه البيضاء والتي تسمى الكاتركت عبارة عن عتامة تحدث لعدسة العين تمنع دخول الضوء جزئيا أو كليا وذلك حسب درجة العتامة وعندما تبلغ هذه العتامة حدها الأقصى تضعف الرؤية من رؤية حركة اليد على مسافة قريبة من العين إلى أنْ تصل إلى الحد الذي لا يميز الإنسان فيه شيئا مما يراه. وبشرح علمي مبسط لعملية المياه البيضاء فإنّ عدسة العين مكونة من كبسولة بها بروتين هذا البروتين عبارة عما يسمى بـ (الفا كريستالين) و(بيتاكريستالين) و(جاما كريستالين) و(زلال) وتغير طبيعة هذا البروتين Denature protein هي التي تسبب تلك العتامة التي تبدأ ثم تزداد تدريجيا وهذا البروتين الموجود في كبسولة عدسة العين يكون موزعا ومرتبا ترتيباً متناسقا في صورة صغيرة أي أنّ كل نوع منها يكون في صورة صغيرة مكونة من ذراعين مطويتين حول بعضها في صورة متناسقة لكي تؤدى وظيفتها في إنفاذ الضوء الساقط على العين وتغير طبيعة هذا البروتين هو تغير في درجة التناسق والترتيب الدقيق هذا التغير يؤدى إلى توزيع عشوائي ولتقريب الصورة من القارئ نقول: إنّ زلال البيض شفاف يسمح بمرور الضوء أو يمكن رؤية الأشياء من خلاله وعند تسخينه فأنه يتجلط Coagulation ويتحول إلى التوزيع العشوائي ويصبح معتما لا يمكن رؤية الأشياء من خلاله وهذه هي العتامة.

ـ هناك أسباب كثيرة تؤدى إلى ظهور المياه البيضاء أو العتامة: فقد يتعرض الإنسان لخبطة أو ضربة مباشرة على عدسة العين الموجودة خلف القرنية الأمر الذي يسبب تغيرا في طبيعة البروتين أي في ترتيبه وتناسقه وهو ما يسبب تغيرا في درجة انطواء البروتين في نقطة الخبطة أو الضربة، وتكون هذه نواة لاستمرار التغير وزيادة درجات الانطواء والعشوائية وقد يولد بها الطفل وهو صغير ولا يعرف لها سبب واضح. كما أنّ لطبيعة العمل تأثير واضح، فالإنسان الذي يتعرض لاختلاف درجات الحرارة مثل عمال الأفران فرغم أنّ العين شحمة تقاوم التغير في درجات الحرارة إلا أنّ استمرار التعرض لدرجات حرارة عالية قد يسبب هذا التغير التدريجي، وكذلك تعرض الإنسان لأنواع مختلفة من الإشعاع أو الضوء المبهر وهو ما يسمىRadiation Cataract وكذلك عمال اللحام الذين لا يستخدمون واقيا للأطياف المنبعثة من اللحام. كذلك العتامة الناتجة من كبر السن Senile Catract حيث أنّ بروتين كبسولة العين لا يتغير منذ الولادة لذلك يأتي وقت في أواخر العمر تحدث فيه نواة التغير وتستمر حتى تصل إلى حالة العتامة الكاملة. وجود بعض الأمراض مثل مرض السكر الذي يزيد من تركيز السوائل حول عدسة العين ويمتص ماء العدسة وذلك يسبب ظهور الكاتركت سريعا.

ـ هناك علاقة وطيدة بين المياه البيضاء والحزن حيث أنّ الحزن يسبب زيادة هرمون(الأدرينالين) وهذا يعتبر مضادا(للانسولين) وبالتالي فإنّ الحزن الشديد ـ أو الفرح الشديد ـ يسبب زيادة مستمرة في هرمون الأدرينالين الذي يسبب بدوره زيادة في سكر الدم وهو أحد مسببات العتامة هذا بالإضافة إلى تزامن الحزن مع البكاء.

*** في أول ظهور المياه البيضاء يشعر الإنسان وكأن الدنيا في وضح النهار ملبدة بالغيوم.**

*** حتى وقتنا الحالي يتركز العلاج في الجراحة سواء التقليدية بإزالة العدسة المعتمة أو بشفط بروتين العدسة وزرع عدسة داخل جزء الكبسولة وفي كل هذه الأحوال بالطبع لا تعود قوة الإبصار إلى ما كانت عليه كما أنّ ذلك يتبعه كثير من المضاعفات هناك أيضا بعض قطرات العين وظيفتها تأخير الوصول إلى العتامة عند ظهور المبادئ الأولى لها.**

*** توجد في المراجع والدوريات العلمية محاولات عامة لعلاج هذه الحالة ترتكز على تحويل البروتين ـ وخاصة زلال البيض ـ إلى حالته بعد تجلطه وقد أمكن بالطريقة الكيميائية هذا التحويل لكن بصورة جزئية وليس بصورة كاملة وهذا التحويل الذي اعتمد على الطرق الكيميائية لا يمكن إجراؤه في بروتين عدسة العين.لقد كان التفكير منحصرا في الوصول إلى مواد تسبب انفراداً للبروتين غير المتناسق بتفاعل فيزيائي وليس كيميائي حتى يعود إلى حالة الانطواء الطبيعية المتناسقة ولمّا كان هذا الأمرلا يوجد به بحوث سابقة في الدوريات العلمية لذلك كان يمثل صعوبة في كيفية البداية أو الاهتداء إلى أول الطريق ولقد وجدنا أول بصيص أمل في سورة يوسف ﷺ فقد جاء عن سيدنا يعقوب عليه السلام في سورة يوسف قول الله تعالى: "وتولّى عنهم وقال يا أسفىَ على يوسفَ وابيضتْ عيناه مِن الحُزنِ فهو كظيمٌ" وكان ما فعله سيدنا يوسف بوحي من ربه أنْ طلب من إخوته أنْ يذهبوا لأبيهم بقميص الشفاء" اذهبوا بقميصي هذا فألقوهُ على وجهِ أبي يأتِ بصيراً وأتوني بأهلِكمْ أجمعينَ* ولَمّا فَصَلتِ العيرُ قال أبوهم إنّي لأجدُ ريحَ يوسفَ لولا أن تفنِّدونَ* قالوا تاللهِ إنّك لفِي ضلالكَ القديمِ* فلمّا أن جاءَ البشيرُ ألقاه على وجههِ فارتدَّ بصيراً قال ألمْ أقل لكمْ إنِّي أعلمُ مِن اللهِ ما لا تعلمونَ" مِن هنا كانت البداية والاهتداء. ماذا يمكن أنْ يوجد في قميص سيدنا يوسف ﷺ من شفاء؟؟وبعد التفكير لم نجد سوى العَرَق وكان البحث في مكونات عرق الإنسان حيث أخذنا**

العدسات المستخرجة من العيون بالعمليات الجراحية التقليدية وتم نقعها في العرق فوجدنا أنه تحدث حالة من الشفافية التدريجية لهذه العدسات المعتمة. ثم كان السؤال التالي هل كل مكونات العرق في هذه الحالة أم أحد هذه المكونات؟ وبالفصل أمكن التوصل إلى أحد المكونات الأساسية وهى مركب من مركبات البولينا(الجواندين) و التي أمكن تحضيرها كيميائيا وبإجراء التجارب على حيوانات التجارب المستحدث بها عتامة أو بياض لعدسة العين عن طريق الإشعاع أو عن طريق ما يسمى بالعتامة المتسببة بالجالاكتوز وُجد أنّ وضع هذه المركبات المحضَّرة كيميائيا تسبب بياضا لعدسة العين وظهر هذا أولا من اتجاه حيوانات التجارب الأرانب للبرسيم كما أظهرت الفحوص الطبية باستخدام **Slit Lamp** وكذلك التصوير بالموجات فوق الصوتية وكذلك انعكاس الضوء الأحمر من عدسة العين وتطلب الأمر بعد ذلك إجراء الفحوص على عينة فسيولوجية مكونة بالحاسب الآلي والتي يتم حجز نصف الساعة بها بمقدار ربع مليون دولار وتم إحداث عتامة لعدسة العين وحساب كمية الضوء النافذ من خلالها قبل وضع القطرة فوجد أنها لا تزيد عن 2 % وبوضع القطرة وجد أنّ كمية الضوء النافذ تزداد من 2% إلى 60 % في خلال ربع ساعة ثم 90 % خلال عشرين دقيقة ثم 95 % خلال ثلاثين دقيقة ثم 99 % خلال الساعة. وبما أنّ العرق يعتبر من المواد الإخراجية التي يتخلص منها الجسم وخاصة المادة الفعالة من هذا العرق والتي سبق وأنْ قلنا أنها أحد مشتقات البولينا لذلك كان لابد من إجراء تجارب رسمية على حيوانات التجارب وإعطاؤها هذه المركبات بعشرة أضعاف سواء عن طريق الفم أو بالحقن حول الغشاء البروتيني للقلب فلم يوجد لها أي آثار جانبية أو آثار سُمِّيَّة من قريب أو من بعيد فلم تؤثر على وظائف الكبد أو الكليتين أو المخ أو صورة الدم .

* سجلت النتائج التي أجريت على 250 متطوعا زوال هذا البياض ورجوع الإبصار في أكثر من 90 % أما الحالات التي لم تستجب فوجد بالفحص الاكلينكى أنّ بروتين العدسة حدث له شفافية لكن توجد أسباب أخرى مثل أمراض الشبكية هي التي تسببت في عدم رجوع قوة الإبصار إلى حالتها الطبيعية حول الغشاء البريتوني، أما تأثيرها للقلب فلم يوجد لها أي أثار جانبية أو أثار على وظائف الكبد أو الكليتين أو المخ أو صورة الدم.

* تعالج هذه القطرة أيضا بياض قرنية العين فقد يكون ضعف الإبصار نتيجةحدوث بياض في هذه القرنية وهو ما ينتج أيضا من تجلط أو تغير طبيعة بروتين القرنية وثبت أيضا بالتجريب أنّ وضع هذه القطرة مرتين يوميا لمدة أسبوعين يزيل هذا البياض ويحسن من الإبصار كما يلاحظ الناظر إلى الشخص الذي يعاني من بياض في المنطقة السوداء أو العسلية أو الخضراء وعند وضع القطرة تعود الأمور إلى ما كانت عليه بعد أسبوعين. ولقد كان العلاج قبل ذلك هو إجراء ترقيع للقرنية من قرنية عيون أشخاص ميتين ولقد وجد أنّ هذا الأمر رغم صعوبته يسبب نقلا للأمراض الفيروسية ومنها الإيدز علاوة على عدم رجوع البياض إلى صورته الطبيعية.

* إنني أشعر من واقع التجربة العلمية بعظمة وشموخ القرآن وأنه كما قال الله تعالى: " وننزِّلُ مِن القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين" ولهذا علينا أنْ نعود إلى هذا الكتاب العظيم فبه يكون تقدمنا ونستعيد دورنا في هداية الناس أجمعين وقد اشترطنا على الشركة التي ستقوم بتصنيعه بالإشارة إلى أنه دواء قرآني حتى يعلم العالم كله صدق هذا الكتاب وفاعليته في إسعاد الناس في الدنيا والآخرة. فالقرآن لا تفنى عجائبه وفي اعتقادي أنّ العكوف على القراءة الواعية لنصوص القرآن والسنة سوف تفتح آفاقا جديدة في شتى المجالات كلها لخدمة الإنسان في كل مكان.

****

الإشارات الطبية المستنبطة من عقوبة قوم لوط

أما بعد، فإنّ كتاب الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قد ذكر قوم لوط وذكر فاحشتهم التي ابتدعوها في نحوٍ من 83 آية في تسعِ سورٍ من القرآن الكريم ففي سورة الأعراف مثلاً يصفهم الله تعالى بقوله: (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتونَ الفاحشةَ ما سبقكم بها مِن أحدٍ مِنَ العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون، فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) وفي سورة الحجر يقول الله سبحانه وتعالى في حقهم أيضاً: (فأخذتهم الصيحةُ مشرقين، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل، إنّ في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين، وإنّها لبسبيلٍ مقيم، إنّ في ذلك لآية للمؤمنين).إنّ قصة قوم لوط بمجموعها، آية من آيات الله للمؤمنين "إنَّ في ذلك لآية للمؤمنين" ولكنها تحتوي على آيات كثيرة يمكن استنباطها للمتفحصين والمدققين وللمتفكرين الناظرين في الأمر لقوله تعالى " إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين"، والواسم هو الناظر إليك من قرنك إلى قدمك. وسنذكر أدناه بعض الحقائق الطبية والعلمية المستنبطة من هذه الآيات:

1) إنّ عمل قوم لوط الشنيع هذا كان الأول من نوعه لقوله تعالى(ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين) فهو عمل مكتسب من عاداتهم السيئة وطبائعهم وليس وراثياً، لأنهم كانوا أول مَن مارسوه. فلو كان وراثياً لكانت أجيالهم السابقة تمارسه أيضاً ولكان ذَكَرَ ذلك القرآن الكريم، فهم يتحملون وزر عملهم ووزر مَن عمل به إلى يوم القيامة كما أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: { مَن سنّ في الإسلام سنة حسنة ، فعُمِل بها بعدهُ كُتِب لهُ مثل أجر مَن عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء. ومَن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعُمِل بها بعده كُتِب له مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء}.

2) ومن الناحية الطبية يمكن أنْ نتساءل عن الحكمة من خصوصية عقوبة قوم لوط بجعل عاليهم سافلهم وقصفهم بحجارة السجّيل

المنضود (رشقات متناسقة متتالية من الطين المحترق أو المعدن الحار) التي قامت بحرقهم وإصابتهم كلٍّ بفرده لقوله تعالى ((مسوّمة)) أي مهدّفة ومصوّبة بحيث أصابت كل شخص منهم بنصيب وكما جاء بالتفاسير (إنها كانت معلّمة مكتوب على كل منها اسم صاحبها الذي ستقتله. ثم كان دفنهم في أعماق الأرض التي قلبها رأساً على عقب ولم تترك أجسادهم مطروحة على الأرض في موقع الأحداث كما حدث لقوم عاد مثلاً في قوله تعالى في سورة الحاقة "فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية" فكانت أجسادهم (قوم عاد) ملقاة على الأرض كأنهم سيقان النخل الميتة الهزيلة. فما هو السر في هذا النوع من عذاب قوم لوط؟ إنه والله أعلم كانوا حاملين أو مصابين بمرض جنسي انتقالي وبائي فأراد الله أنْ يطهر البيئة والمنطقة المحيطة من رجسهم ودنسهم ومرضهم الذي يحملوه منعاً للتلوث كما طهرها من شركهم وكفرهم، وهذا الاستنباط يعتمد على الأسباب التالية:

أ. أصبح هذا الشذوذ الجنسي أمراً مألوفاً لديهم يمارسونه بصورة علنية في أماكنهم العامة ونواديهم كما قال تعالى لهم "وتأتون في ناديكم المنكر" أي أنهم كانوا لا يستخفون ولا يستترون ولا يتحرجون منه، والذي يؤكد ذلك مجيئهم إلى سيدنا لوط عليه السلام عندما عرفوا بوجود ضيوف عنده، ومطالبتهم إياه وبصورة وقحة تنمّ عن المستوى الدنيء الذي وصلوا إليه بالمجاهرة بمثل هذه المعصية وبصورة علنية غير مراعين للآداب العامة، ولا محترمين للضيف الذي يكون في حماية مضيّفه إلى غير ذلك من الاعتبارات التي تعارف عليها الناس في مجتمعاتهم والتزموا بها مع اختلاف معتقداتهم. ومن بين هؤلاء العرب في جاهليتهم حيث كان للضيف عندهم المقام الأسمى. لقد ناقش قوم لوط نبيهم بوضوح فاضح وجادلوه جدالاً ساخناً في شأن أضيافه (الرسل – الملائكة) فكان نقاشهم وجدالهم أعظم دليل على قبح سلوكهم الشائن والمعلن والذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى:" ولمَّا جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيب، وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزونِ في ضيفي أليس منكم رجلٌ رشيد، قالوا لقد علمتَ مالنا في بناتك مِن حقٍ وإنك لَتعلمُ ما نريد".وهكذا وعندما أصبح أمرهم شائعاً علناً صَدَق عليهم قول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: { لم تظْهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا }

ب. ومما يعضد هذا الاستنباط قولهم (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) أي يتنـزهون...لقد كان آل لوط طاهرين غير ملوثين وبمفهوم المخالفة إنهم كانوا (أي قوم لوط) ملوثين غير طاهرين؛ وحاملين لمرض جنسي انتقالي خطير!!. وكذلك لقول سيدنا لوط عليه السلام لقومه أثناء المناقشة التي دارت بينهما ومطالبتهم إياه بتسليم أضيافه لهم لارتكاب الفاحشة معهم بأنّ البديل لهذا العمل الشائن والقبيح والضار هو الزواج الطبيعي (الشرعي) من النساء وأتباع سنة الفطرة في العلاقات الجنسية وليس بالشذوذ والانحراف عن ذلك فقال الباري عز وجل على لسانه " قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم". وفي قوله (بناتي) أي بنات القوم والعشيرة لأنه كان رئيسهم ونبيهم وكل نساء قومه بمثابة بناته. والشاهد هنا في قوله "هن أطهر لكم" أي أنّ ممارسة الغريزة الجنسية عن طريق الزواج الشرعي بهنَّ هو عين (الطهر) والخير والنماء والصحة والعافية للفرد والمجتمع وفي حالة الانحراف عنه إلى الشذوذ الجنسي (عمل قوم لوط أو الزنا) هو التلوث والضرر والمرض (المخالف للطهارة) وفي ذلك إشارة غير مباشرة من سيدنا لوط عليه السلام لوقايتهم من الأمراض التي تنتقل عن الممارسات الجنسية غير الشرعية.

ج. إنّ طريقة دفن الموتى المتوفين بمرض متلازم نقص المناعة المكتسب (الإيدز) تشبه إلى حد كبير نوع العقاب الذي وقع على قوم لوط من تحريق ثم دفن في أعماق الأرض حتى لا ينتشر الجرثوم الذي حملوه في محيطهم وبين مجتمعاتهم، لأنّ هذا الجرثوم (كما في فايروس الإيدز مثلاً) معدٍ بجميع إفرازات جسد حامله من دم ومني وبول ولعاب قال تعالى في سورة هود (فلمّا جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود، مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) وقال تعالى: (كذَّبت قومُ لوط بالنذر، إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسَحَر) .وكما جاء في تفسير القرطبي: (فنرى أنّ الله تعالى رماهم أولاً بريح حاصب تحمل الحصى كل حصاة تحمل اسم صاحبها تُصيبه ولا تخطئه، ثم رماهم الله تعالى بحجارة من سجيل منضود شديد كثير نُضِّدَ بعضه فوق بعض حتى صار جسداً واحداً علامة لهم).فلما جاء موعد هلاكهم أدخل جبريل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي (سدوم، عامورا، دادوما، ضعوة و قتم) فرفعها من تخوم الأرض إلى أدناها من السماء بما فيها ثم نكسوا على رؤوسهم أتبعهم بالحجارة المحترقة جزاءاً وفاقا وعلاجاً حصيناً مانعاً من انتشار وبائهم في الأرض المحيطة بهم والذين هم ليسوا على شاكلتهم في الكفر والشذوذ الجنسي ولا يمارسون هذه العادة القبيحة. وبمقارنة بسيطة مع التعليمات حول دفن المرضى المصابين بمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) الصادرة عن اللوائح الصحية الدولية ترى سبق القرآن الكريم للطب الحديث في الوقاية من أمراضٍ وبائية كهذه فالتقت حقائق الطب والعلم الصحيحين بكتاب الله المؤيدان له على الدوام، وأصبح القرآن مفتاح العلوم. وهذه التعليمات هي:

تعليمات دفن الموتى والمصابين بمرض الإيدز: 1.إبلاغ دائرة الخدمات الوقائية عند حدوث الوفاة. 2.لا يجوز دفن الجثة من قبل ذويها (عندما تكون الإصابة بأحد الأمراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية كالحمى النـزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب الإيدز). 3. تدفن الجثة من قبل دائرة صحة المحافظة وتحت إشراف شعبة الأوبئة بالتعاون مع أمانة العاصمة أو

البلديات في المحافظات في الأماكن المخصصة لهذا المرض في مقبرة المدينة التي حدثت فيها الوفاة ولا يجوز نقل الجثة إلى منطقة خارج منطقة الوفاة. 4. سد كافة منافذ الجثة ويمنع تسرب الإفرازات منها مع لف الجثة بقماش مشبع بمحلول مادة (الفورمالين) مع التأكد إلى القائمين على العمل بالعملية بوجوب اتخاذهم كافة الاحتياطات اللازمة لمنع انتقال العدوى. 5. توضع الجثة في تابوت معدني في قاعه طبقة خاصة من مادة كالفحم أو نشارة الخشب ومضاف إليه مادة مطهرة (الفورمالين) ويقفل جوانب التابوت وفتحاته باللحيم. 6. يوضع التابوت المعدني في داخل صندوق خشبي بسمك (2سم) وجوانبه غير قابلة لنفوذ السوائل ويحكم إقفاله بواسطة المسامير اللولبية. 7. يحفر القبر بعمق مترين مع إضافة المواد المطهرة إلى قاع القبر وإلى التراب بعد تغطية التابوت به. 8. يكون الدفن بإشراف وحضور ممثل المؤسسة الصحية. وينظم محضر خاص بالدفن وتسلم شهادة الوفاة إلى ذوي المتوفى بعد انتهاء مراسيم الدفن. 9. لا يجوز نقل جثة المتوفى بأحد الأمراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية والحمى النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) إلا بعد انقضاء فترة سنتين من تأريخ الدفن وبعد الحصول على الإجازة الصحية الخاصة بذلك من وزارة الصحة. ولو تأملنا الآيات النازلة بحق قوم لوط من جهات كثيرة احتوتها لوجدنا أنّ الله تعالى جعل عقوبتهم المخصوصة بهم وقاية صحية لبني آدم فدفنَهُم بالأعماق وتغطيته أجسادهم بالحصى المحترق المتراكم عليهم كالخراسانات الاسمنتية دليل على أنّ الوقاية من الجراثيم التي يحملونها لا يُتَحصّن منها إلاّ هكذا... وأصبح دفن الموتى بمرض (الإيدز) في زماننا هذا بتعليمات مشددة كما هو مبين في التعليمات السابقة، ومقاربة كثيراً لنوعية عقوبة قوم لوط بل نجد في خصوصية عقوبتهم إجراءات أشد وأقسى لكونها عقوبة جماعية (والعياذ بالله) واحتمالات انتشار الوباء في حالتهم أكبر وأخطر من الحالات الفردية والله أعلم.

3) **يقول الله عز وجل في محكم كتابه (ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون)فما هذه الآيات البينات التي تركها الله لنا كعلامة وبراهين ودلالات على عذاب قوم لوط جزاءً وفاقاً على ما اقترفوه ومخالفتهم لإرشادات نبيهم سيدنا (لوط) ﷺ؟ إنّ من هذه العلامات والبراهين (والله أعلم) هو الموقع الجغرافي والجيولوجي في مكان نزول العذاب عليهم في قراهم ومساكنهم، قال تعالى " فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل " فقد طمرهم الله سبحانه وتعالى في الأعماق وغمرتهم الحجارة السجيلية المحترقة ودَكَّتهم دكاً. ونتيجة لهذه الظاهرة الكونية وربما لموقعهم الجغرافي في حوض البحر الميت (موقع قراهم) المنخفض والذي يُعتبر أخفض منطقة بالعالم عن مستوى سطح البحر بمقدار 400م حيث أشار الله عز وجل إلى ذلك في آية أخرى بقوله "غُلِبَت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون-" وأدنى الأرض من معانيها (أخفض منطقة في الأرض) وهذا المكان الذي وقعت فيه المعركة بين الروم والفرس (الجولة الأولى) في عهد الرسول ﷺ (العهد المكي) وهذا الانخفاض في موقع الحدث له أهمية طبية وقائية كبيرة تدل على تحوطات الأمان التي اتخذها الله جلّت قدرته لوقاية البشر والبيئة من محيط هؤلاء القوم الذين وقع عليهم العذاب من الجراثيم المعدية التي كانوا يحملونها في أجسادهم. فإنه لو كانت مواقعهم مرتفعة عن المستوى المحيط بها لترسبت إفرازاتهم بعد تفسخ أجسادهم في التربة وكذلك إلى المياه الجوفية وانتقلت منها إلى الأنهار أو الآبار المحيطة بهذا الموقع وحدث التلوث ووقعت العدوى وانتشر المرض. ولكن لمّا كان موقعهم الذي حدثت فيه هذه العقوبة هو أخفض منطقة ليس بمحيطهم فقط وإنما على مستوى العالم أجمع فإنه لا مجال لانتقال هذه المواد الملوّثة إلى موقع آخر لأنّ جميع المواقع المحيطة بهم هي أعلى من موقعهم! إضافة إلى ذلك فقد غطى الله عز وجل بحكمته وتقديره العجيب مكان العقوبة ببحيرة من الماء شديد الملوحة (البحر الميت) والذي سمِّي (بالميت) لأنّ الأحياء لا تستطيع أنْ تعيش فيه كالأسماك والنباتات المائية وغيرها لشدة ملوحته وكثافته العالية بحيث أنّ الشخص الذي يسبح فيه لا يغطس وكما نعلم إنّ الماء شديد الملوحة لا تعيش فيه الجراثيم وإنما يُقضى عليها بسبب التركيز العالي للملح الذي يسحب الماء منها بسبب خاصية (Hyperosmolar) فيصيبها بالجفاف والموت. لذلك جعل موقعهم (إضافة إلى انخفاضه الشديد كما ذكرنا) مغطى بمادة معقمة تقتل الجراثيم في حالة تسربها من إفرازا تهم المعدية (كطبقة عازلة). فسبحان الله العظيم الذي قدّر لهؤلاء القوم المنحرفين هذا النوع من العذاب من جنس عملهم وخلّص البشرية من دنسهم ومرضهم الوبائي الذي كانوا يحملونه وجعل هذه الوسائل للقضاء على هذا الوباء ومنع تسربه وانتشاره وترك لنا هذه العلامات والآيات الباهرات لنستدل بها على عظيم ودقيق صنعه ورحمته بالمؤمنين الموحدين وشديد عقوبته للمخالفين المنحرفين.**

4) **وفي قوله تعالى (فما خطبكم أيها المرسلون، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، لنرسل عليهم حجارة من سجيل...) فقوم لوط إذن من المجرمين بفعلهم الشنيع إضافة إلى إنهم كافرين... فالشذوذ الجنسي هو فعل إجرامي يعاقب الله عليه في الدنيا والآخرة، وليس كما يتشدق به بعض دعاة حقوق الإنسان والماديون وغيرهم من الملحدين (بأنه من حق الفرد وهو حر في تصرفه). إنّ الشذوذ الجنسي جريمة (كما قرر ذلك القرآن الكريم) ليس فقط لكونه مخالفاً للفطرة البشرية وناقلاً للأمراض الوبائية وفعلاً مضاداً للأخلاق والأديان وغير ذلك من الأسباب التي لا يعترف بها هؤلاء الماديون ولا يؤمنون بها، ولكننا نستطيع دحض دعواهم بالدليل التالي: فإنه لو كان عملهم صحيحاً فإنه سيكون مفيداً للمجتمع! ولكن إذا قمنا بنشره وعممناه على الناس لانقطع النسل الآدمي وهلكت البشرية! لذلك كان هذا النوع من الشذوذ فعلاً إجرامياً بحق وحقيقة وهناك قاعدة لمعرفة أي عمل من الأعمال هل هو خير ومفيد أم هو شر وضار وهي أنْ نقوم بتعميم هذا العمل على كافة أفراد المجتمع ونرى ما الذي سيحصل من إتباع الناس جميعاً لهذا النوع من العمل فلو قال أُناس أنّ (الخمر) مثلاً مفيد ونافع ونقوم بتعميم شرب الخمر على كافة الناس صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً (لأنه أمرٌ مفيد كما يقولون!) فما الذي سيحصل في هذا المجتمع إنه بالتأكيد ستضطرب الأمور وتقع المشاكل والحوادث**

التي لا حصر لها وعلى كافة المستويات وتقف عجلة الحياة. كذلك لو عممنا مثلاً (الأمانة) في قوم لعاش الناس ينعمون بالخير آمنين في سربهم لا يكدر عيشهم شيئاً. وهكذا بالنسبة للغريزة الجنسية التي أنعمها الله علينا لحفظ النسل والذرية فإنه لو استعملت في غير موضعها (كما فعل قوم لوط) لانقطع النسل وتوقفت الحياة وفي ذلك جريمة كبرى ما بعدها من جريمة. وخلاصة القول: أنّ العبرة النهائية والهامة من قصة قوم لوط ونوعية العذاب الذي وقع عليهم (ومن قصص الأنبياء جميعاً عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام) أنّ العقاب في الدنيا والآخرة لكل من يخالف أوامر الله عز وجل وتعاليم رسله وأنبياءه في كل زمان ومكان لقوله عز وجل في محكم كتابه " فليحذرِ الذينَ يخالفونَ عنْ أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ".

****

الإعجاز التشريعي

في

القرآن الكريم

الإعجاز التشريعي في القرآن

إذا كان الغربيون يتباهون بأنّ حضارتهم كانت أول حضارة سبقت وأعلنت حقوق الإنسان رسميا في مختلف دولها لأول مرة في التاريخ ويتفاخرون بأنهم لأول مرة في التاريخ وفي القرن العشرين وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ويعتبرونه النموذج المثالي لهذه الحقوق فإنهم نسوا أو تناسوا أنّ القرآن الكريم قد قرر هذه الحقوق منذ أربعة عشر قرنا بأسمى مبدأ للبشرية جمعا يقول تعالى: "يأيّها الناسُ إنا خلقناكم مِن ذكرٍ وأنثى وجعلْناكمْ شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكمْ إنّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ"[سورة الحجرات] والخطاب في هذه الآية موجّه للناس جميعا وأنهم خلقوا على اختلاف أجناسهم وألوانهم ودياناتهم من رجل واحد وامرأة واحدة وأنهم متساوون في الميلاد والأصل ، والقرآن بهذه الآية يركز على وحدة الجنس البشري ولا فضل لأحد إلا بالتقوى وقد اشتمل القرآن على كثير من المبادئ السامية التي تدل على عظمته وأصالته ومنها :

1- مبدأ حرية العقيدة والرأي في قوله تعالى : " لا إكراهَ في الدِّينِ قدْ تبيَّنَ الرشدُ مِنَ الغَي " [البقرة] وقوله تعالى : " قلْ يا أيّها الكافرونَ لا أعبدُ ما تعبدونَ ، ولا أنتمْ عابِدونَ مَا أعبدُ ولا أنا عابدٌ ما عبدتُم ، ولا أنتمْ عابدونَ ما أعبدُ لكم دينُكمْ ولِيَ دِينِ " [الكافرون] .

2- قواعد عادلة في المعاملات : في قوله تعالى : (يا أيّها الذينَ آمنُوا أوفوا بالعقودِ) [المائدة] وقوله تعالى : (وأوفوا بعهدِ اللهِ إذا عاهدتُمْ ولا تنقضُوا الأيمانَ بعدَ توكيدِها)[النحل] وقوله تعالى : (الذِينَ يأكلونَ الرِّبا لايقومونَ إلا كما يقومُ الذي يتخبَّطُه الشيطانُ مِن المسِّ ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيعُ مِثْلُ الرِّبا وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرّمَ الرِّبا فمَن جاءَه موعظةٌ مِن ربهِ فانتهى فلَه ما سلفَ وأمرُهُ إلى اللهِ ومَن عادَ فأولئكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خالدونَ)[البقرة] وقوله تعالى : (ياأيّها الذِينَ آمنوا إذا تداينتُم بدَينٍ إلى أجلٍ مسمّى فاكتبوه ولْيكتب بينَكم كاتبٌ بالعدلِ ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتبَ كما علّمَه اللهُ فليكتُبْ ولْيُملِلِ الذي عليه الحقُّ وليتقِ اللهَ ربَّه ولا يبْخسْ منه شيئاً ...)[البقرة] .

3- قوانين الأحوال الشخصية : وهي قواعد عادلة ومستقرة لتعلقها بأحوال الإنسان الشخصية في الأسرة ، فوضع الشرع لها نظاما كاملا مفصلا في مسائل الزواج والطلاق والحمل والعدة والرضاع والنفقة والميراث وحقوق الأبناء وذوي القربى وتوسع في أحكامها الكلية وجعلها مرنة وقابلة لاجتهاد المجتهدين من الفقهاء في استنباط أحكامها بما يساير الزمان والمكان .

4- القانون الجنائي : وهو بحق أعظم برهان يدل على عظمة القرآن في تشريعه لجرائم الحدود التي بيّن نوعها وحدد عقوباتها التي تتمثل فيها العدالة والحكمة والرحمة بما فيه الكفاية للردع والزجر بصورة تكفل الأمن والسلام للعباد والبلاد .

دعائم الشريعة الإسلامية : لابد لكل تشريع من دعائم يقوم عليها وتساعد على بقائه ودوامه بين الناس راضين بدالته ومطمئنين إلى حكمته وتمشيه مع مصالح الأفراد والجماعة ، والشريعة الإسلامية بحمد الله لها دعائمها الثابتة وخصائصها التي تجعل الناس تنقاد إليها عن قناعة وثقة لأنها تتفق مع الفطرة السليمة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، وهي كما تشهد لها جميع الشواهد شريعة تخاطب العقول السليمة وتحض على العمل وتدعو للجهاد في سبيل الله وتنادي بالتسامح والحرية والمساواة والبر والتقوى . ومن أهم دعائم الشريعة الإسلامية ما يأتي :

1- أنها شريعة سمحة لا تكلف الناس فوق طاقتهم لأنّ تكاليفها كلها ميسرة لا مشقة فيها في حدود استطاعة كل إنسان ، ويقول الله سبحانه وتعالى في وصفها : (ما جعل الله عليكم في الدين من حرج) [سورة الحج] كما يقول سبحانه : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) [سورة البقرة] .

2- أنها جاءت شريعة عامة لانظر فيها إلى حالات فردية أو جزئية أو شخصية .

3- أنها سنت للناس رُخصا عند الضرورة رفعا للضرر ومنعا للمشقة ، فمثلا فرضت الشريعة الصيام ولكنها رخّصت بالفطر للمسافر والمريض وغير ذلك من الرخص .

4- قلة تكاليفها : لأنها اقتصرت على الأركان الخمسة وما يتصل بها ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : { إنّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودا فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تبحثوا عنها } .

5- التدرج في الأحكام : لأنها عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئا فشيئا من غير تشديد ولا تعقيد في النهي عنها وتحريمها ، فمثلا في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجة في تحريمها بأسلوب حكيم لم يشعر الناس معه بغضاضة أو حرج أو مشقة .

6- مسايرة مصالح الناس : وذلك أنه شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذا كان في ذلك المصلحة العامة كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات المواريث ، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة ، كما أنّ بعض الأحكام في السنة نسخت ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : { كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترقق القلب وتدمع العين وتذكر بالآخرة } .

أهم المبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية :

1ــ مبدأ التوحيد : فقد جمع الناس إله واحد . قال تعالى : (قلْ يا أهلَ الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينَكم ألا نعبدَ إلا اللهَ...) [سورة آل عمران] .

2- مبدأ الاتصال المباشر بالله دون وساطة فقال سبحانه وتعالى : (وقال ربُّكم ادعوني استجِبْ لكم)[سورة غافر] وقوله تعالى: (فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ)[سورة البقرة]

3- مبدأ التخاطب مع العقل : على العقول مناط خصوصا فيما يتعلق بأمور الدنيا وبمعرفة الخالق لقوله تعالى : (فاعتبروا يا أولي الأبصارِ) [سورة الحشر] وقوله سبحانه : (. أفلا تعقلون) [سورة الأنبياء] ويروي عن النبي ﷺقال : { إنما يرتفع العباد في الدرجات عند ربهم على قدر عقولهم }

4- مبدأ إحاطة العقيدة بالأخلاق الفاضلة لقوله تعالى : (وعبادُ الرحمنِ الذينَ يمشونَ في الأرضِ هوناً وإذا خاطبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سلاماً) [سورة الفرقان] .

5- مبدأ التأخي بين الدين والدنيا في التشريع فقد جاءت أحكامه بأمور الدين والدنيا ودعا إليهما مصداقا لقوله تعالى : (وابتغِ فيمَا آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبَكَ مِن الدنيا)[سورة القصص] .

6- مبدأ المساواة والعدالة بين الناس جميعا لقوله تعالى : (إنّا خلقناكم مِن ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتعَارفوا إنّ أكرمَكمْ عِندَ اللهِ أتقاكمْ) [سورة الحجرات] وقول الرسول ﷺ لابنته : { اعملي يافاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئا } .

7- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو في الحقيقة دستور لجميع نواحي الإصلاح .

8- مبدأ الشورى لقوله تعالى : (وشاوِرْهمْ في الأمْر)[سورة آل عمران] .

9- مبدأ التسامح ، وهو من أسمى وأهم ما يعرف اليوم بمبدأ التعايش السلمي .

10- مبدأ الحرية لقوله تعالى : (لا إكراهَ في الدِّينِ) [سورة البقرة] .

11- مبدأ التكافل الاجتماعي فقد جعل الله الزكاة فيها حق الفقير في مال الغني وليست تفضلا من الأغنياء على الفقراء . وهذه المبادئ تدل على متانة بناء التشريع الإسلامي وقوة أركانه وصلاحيته للأحكام في كل زمان ومكان بين جميع الأجناس ، ويدل على ذلك أنّ الأمة الإسلامية ازدهرت وقويت شوكتها حينما كانت تخضع في جميع شؤونها للشرع الإسلامي ، وأنها ضعفت وتفككت حينما انصرفوا عن شريعته وجمد الفقهاء وركنوا إلى التقليد وحاولوا أنْ يخضعوا التشريع لأهوائهم وشهواتهم وأدى ذلك على الاستعانة بالقوانين الوضعية على اعتبار أنّ الفقه الإسلامي لم يَعُد يتفق مع التطورات العالمية وما تقتضيه المدنية الحديثة من مجاراة الدول القوية الغنية . وقد جاء التشريع الإسلامي بحلول جذرية لكثير من الجرائم التي كانت منتشرة وأوجد لها الحدود التي تكفُل القضاء عليها منها :

<u>جريمة قتل النفس</u> : قال تعالى : (وما كانَ لمُؤمنٍ أن يقتُل مؤمناً إلا خطأ ومَن قتلَ مؤمناً خطأ فتحريرُ رَقبةٍ مؤمنةٍ ودِيَةٌ مُسلَّمةٌ إلى أهله إلا أن يصَّدَّقوا فإن كانَ مِن قومٍ عدوٍ لكمْ وهو مؤمنٌ فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ وإن كانَ مِن قومٍ بينَكم وبينهم ميثاقٌ فديَّةٌ مُسلّمةٌ إلى أهله وتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ فمَن لم يجِدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ توبةً مِنَ الله وكان اللهُ عليماً حكيماً) [سورة النساء] .

وقال تعالى : (مِن أجلِ ذلكَ كتبنا على بَني إسرائيلَ أنَّه مَن قتلَ نفساً بِغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرضِ فكأنَّما قتلَ النَّاسَ جميعاً ومَنْ أحيَاها فكأنَّما أحيَا النَّاسَ جميعاً ولقدْ جاءتهمْ رُسُلُنا بالبيناتِ ثم إنّ كثيراً منهم بعدَ ذلكَ في الأرضِ لمسرفونَ)[سورة المائدة] .

وقال صلى الله عليه وسلم : { كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه } وتعتبر الشريعة الإسلامية التعدي على النفس من أخطر الجرائم ، لأنّ الإسلام أعلى من شأن الإنسان بقوله تعالى : (ولقدْ كرَّمْنا بَني آدمَ) [سورة الإسراء] وعلى قدر ما أعلى الإسلام من قدر الإنسان فإنه قد اشتد في العقوبة على مَن يعتدي على حياة غيره بغير حق ، بل إنّ الإسلام اعتبر قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعا ، وأنّ إحياء النفس الواحدة بمثابة إحياء الناس جميعا ، وقد جعل الله عقاب القاتل كعقاب الكافر .

وبهذا الحكم العادل جعل الشرع القصاص علاجا يمنع العدوان ، إذ لم يجعل الإسلام لدم أحد من الناس فضلا على دم آخر ، بل إنّ الإسلام ليقتص من الحاكم نفسه إذا اعتدى على أحد من رعيته بالقتل العمد ، لأنّ الإسلام نظر إلى القاتل على اعتبار أنه بفعلته الشنعاء قد سلب القتيل حياته وترتب على ذلك أنه يتّم أطفاله وأيم زوجته وحرم المجتمع من يد عاملة في خدمته كما أنه تحدى بذلك شعور مجتمعه وخرج على نظامه وقوانينه . ومن عدالة الإسلام في تشريعه أنْ جعل عقوبة القاتل أنْ يُقتل لأنّ ذلك من الجزاء العادل الذي يستحقه بغير إبطال ولا هوادة ولا بحث في بواعث القتل ، وحتى هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم انتحارا لهم عذاب شديد يوم القيامة لأنهم قنطوا من رحمة الله ولا يقنط من رحمة الله إلا الكافرون . ولا شك أنّ رحمة الله عظيمة بفرضه القصاص الذي جعل فيه حياة الناس وأمنهم ومنع العدوان بينهم ، لأنّ مَن يهم بالقتل والفتك بغيره وهو يعلم أنّ في ذلك هلاكه سيتردد ولا يقدم على تنفيذ جريمته فيبقى ذلك الخوف على حياة مَن يهم بقتله وهلاك نفسه ، وإنّ مَن يتدبر قوله تعالى : (ولكمْ فِي القِصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ)[سورة البقرة] ليجد فيها كل الإعجاز البياني والتشريعي من حيث روعة الأسلوب وروعة المعنى وهما يؤكدان معجزة القرآن الكريم .

<u>جريمة الحرابة</u> : قال تعالى : (إنّما جزاءُ الذينَ يحاربونَ اللهَ ورسولَه ويسعَوْنَ في الأرضِ فساداً أن يُقتّلوا أو يُصَلّبوا أو تُقطّعَ أيديهمْ وأرْجُلُهم مِن خِلافٍ أو يُنفَوا مِن الأرضِ ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ) [المائدة]

والحرابة جريمة يعاقب عليها الشرع في إحدى الحالتين الآتيتين :

(أ) الاستيلاء على مال الغير مغالبة وفي خفاء عن المجتمع .

(ب) قطع الطريق على الناس ومنع المرور فيه بقصد السلب والنهب والإخافة والإرهاب . والمحاربون هم الذين يجتمعون بقوة وشركة ويحمي بعضهم بعضا ويقصدون إيذاء الناس في أرواحهم وأموالهم ، ويخيفونهم ويثيرون الفزع والقلق في نفوسهم لإخضاعهم لأهوائهم الشريرة . وقد نص القرآن على عقوبتها بقطع اليد اليمنى وترك بقية الأطراف سليمة لكي يعمل بها لكسب رزقه من وجه حلال إذا ارتدع ، وتجمع هذه العقوبة بين القسوة والرحمة في آن واحد ، وهذا ضرب من الإعجاز في العقوبة والردع معا ، وقد أحل الشرع بعد ذلك قتله إذا تمادى في الجريمة ولم يرتدع ،ويعاقب المحارب بالقتل إذا قتل سواء استولى على المال أم لم يستول عليه . وقد نصت الآية على أنواع أخرى من العقوبات التي توقع عى المحاربين الآثمين غير قطع أيديهم

وأرجلهم من خلاف ، هي قتلهم وصلبهم تشهيرا بسوء عملهم وإذلالاً لهم . ومن هذه الأحكام تدل دلالة واضحة على أنّ الشريعة الإسلامية تنظر إلى آثار الجريمة التي فيها اعتداء شنيع على الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ، وإزهاق أرواحهم وسلب أموالهم وشددت العقوبة بما يناسب ما أحدثته الحرابة من عدوان وترويع للآمنين ثم إنّ لهم في الدار الآخرة عذابا عظيما هو عذاب الجحيم . والمقرر في الشريعة الإسلامية أنّ جريمة الحدود لا يثبت ارتكابها إلا بوسائل إثبات مشددة ومحدودة ، وهي في جملتها لا تخرج عن الاعتراف الصريح والإقرار والبينة ، ويزيد بالبينة شهادة رجلين عدلين ويكون الإقرار في مجلس القضاء أمام القاضي .
وقد أثبتت الأيام أنّ المجتمع الإسلامي عندما طبق أحكام الحدود عاش آمنا مطمئنا على أمواله وأعراضه ونظامه ، بل إنّ المجرم نفسه كان يسعى لإقامة الحد عليه رغبة منه في تطهير نفسه بالتكفير عن ذنبه ، وعندما تهاون المجتمع الإسلامي في تطبيق الحدود وانساق مع تشريعات الغرب الوضعية وبهره زخرفها الزائف تسرب إليه الفساد وشاع فيه الإجرام ، و كاد يلحق بدول الغرب في التفنن في أساليب الجريمة . ويروي التاريخ أنّ هشام بن عبد الملك من خلفاء بني أمية عطل حد السرقة والحرابة سنة ، فتضاعفت حوادثها وصار الناس غير آمنين على أنفسهم ولا على أموالهم من النهب والسلب ، واستشرى خطر اللصوص في البوادي والحواضر ، فلما تفاقم الأمر واضطربت الأحوال أعاد هشام بن عبد الملك العقوبة كما شرعها الله تعالى ، فكان الإعلام بالإعادة وحده كافيا لردع المجرمين وصيانة الحقوق وحفظ الأموال والنفوس . وكان من أبشع جرائم الحرابة في عصورنا الحديثة ما كان يحدث في الحجاز قبل الحكم السعودي لحجاج بيت الله من الاعتداء عليهم واغتصاب أموالهم وإزهاق أرواحهم ، حتى أنّ الفقهاء المتأخرين أوجبوا على كل مَن يخرج للحج أنْ يكتب وصيته قبل أنْ يغادر بلده ، وكانت الحكومة في مصر وسوريا ترسل مع بعثاتها للحج الجنود المسلحين لحمايتها ، فلما حكم الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود ونفذ الأحكام الشرعية كما أمر الله ورسوله ، هاب اللصوص وقطاع الطرق عقوبتها الشرعية التي تنفذ فورا ، حتى أنه ليذكر بالحمد لهذا الملك الراحل أنّ عدد الأيدي التي قطعت في مملكته لا تزيد على ستة عشر يدا خلال أربعة وعشرين عاما هي مدة حكمه . ومن الناس مَن يلهجون باستغلاظ عقوبة الحرابة ويحسبون أنها غير إنسانية ، وأولئك ينظرون إلى العقوبة ولا ينظرون إلى الجناية ، ويرحمون الجاني ولا يرحمون المجني عليه ، والمجني عليه هنا هو الجماعة التي تنهب أموالها وتسفك دماؤها ، وإنه كلما عظمت الجريمة كان لابد من أنْ تكون العقوبة قاسية ورادعة . والنبي صلوات الله عليه وسلامه يقول : " من لا يَرحم لا يُرحم " ولو أنّ عقوبة الحرابة طُبقت في أمريكا وأوروبا حيث العصابات الدولية لأمن الناس على أنفسهم ، ولما اضطرت الحكومة إلى تجنيد آلاف الجنود وصرف الأموال الطائلة في مطاردة هذه العصابات الآثمة .
<u>جريمة السرقة :</u> قال تعالى : " والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقْطَعوا أيْدِيَهما جزاءً بما كسَبَا نَكالاً مِنَ اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ " [سورة المائدة] . وقالﷺ: { كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وأيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها } .
السرقة نزعة شريرة تحمل صاحبها على ارتكاب جرائم عديدة فظيعة في سبيل الاستيلاء على مال غيره ، خفية أو كرها بدافع من خبث الطبع وفساد المنشأ وسوء التربية ، وهي عوامل تجره إلى ارتكاب جريمة القتل أحيانا إذا أعترضه معترض ، وقد يصل به الإجرام إلى قتل الأب أو الأم أو الأخوة من أجل سلب أموالهم ، وكثيرا ما سولت هذه النزعة الشريرة إلى خلق عصابات من الأشرار تعبث بالأمن في كثير من الدول ، وتستطيع بقوة سلاحها وإرهابها ووسائلها الإجرامية أنْ تسطو على أموال البنوك وخزائن الحكومات ، ومتاع الأغنياء تسلب ما فيها وتخرب وتدمر ما شاء لها التدمير والتخريب ، وتعاني الحكومات من ويلاتها وتنفق الأموال الطائلة في مكافحتها ومقاومتها ، وكثيرا ما فرضت هذه العصابات سلطانها على الأبرياء الآمنين وروعتهم . وهؤلاء السارقون الذين يجمعون الأموال الطائلة المنهوبة لا يجدون لها مصرفا إلا مجال الموبقات والمنكرات ، وشراء ذمم الناس للتستر عليهم وتحريضهم على الفجور بأموالهم ونفوذهم ، ويلاحظ أنّ أكثر دور اللهو والميسر والدعارة كلها من منشآت أثرياء اللصوص ويقوم على حمايتها أعوانهم الفجرة . ونظرا لخطورة جريمة السرقة وويلاتها شرع الإسلام عقوبات قاسية ورادعة تكفل القضاء عليها والتقليل من مضارها، مستهدفة بهذه العقوبات مصلحة الجماعة لأنها تريد المحافظة على الضروريات اللازمة للناس في حياتهم التي قوامها : حماية النفس والعقل والنسل والمال وقد انتهج الإسلام لتحقيق هذه الغاية وسيلتين رئيسيتين هما : أولا وسيلة تهذيب نفس المسلم ذاته عن طريق المجتمع الإسلامي القائم على دعائم الاستقامة والمحبة والطهر والتعاون على البر والتقوى ، وثانيا وسيلة ما شرعه القانون الجناني الإسلامي من إقامة الحدود لحماية الضروريات اللازمة لأمن الإنسان فجعل حد الردة لحماية الدين وحد القصاص للحفاظ على الأنفس ، وحد شرب الخمر لحماية العقل، وحد الزنا والقذف لحماية العرض والنسل الخ ...
<u>عقوبة السرقة :</u> واجهت الشريعة الإسلامية جريمة السرقة بعقوبة قاسية هي قطع اليد ، لتكفل بذلك استئصال شأفة الجريمة ولتكون بقسوتها رادعة وزاجرة لكل مَن تسول له نفسه العدوان على مال الغير خفية أو غضبا ، تهدف العقوبة إلى قطع اليد هي الأداة التي استعملها السارق وساعدته على ارتكاب جريمته، وذلك لمنع استعمالها مرة أخرى في السرقة ، وحكمه التشريع في قطع اليد أنها تعتبر أنّ الجرائم الخطيرة لا يفلح في ردها إلا عقوبات صارمة ومؤلمة ، ليس فيها لين أو رخاوة ليكون الجزاء من جنس العمل ، ولتكون العقوبة ملازمة للجاني وظاهرة للناس ومحذرة لهم .
<u>شروط قطع اليد</u> : اشترط في السرقة المعاقبة بقطع اليد أنْ يكون الجاني بالغا من الرشد عاقلا وغير محتاج ولا مضطر للسرقة، وأنْ يكون المسروق مملوكا للغير ومحفوظا في حرز ولا يقل نصابها عن سبعة عشر جراما من الذهب أو ما يعادل ذلك نقدا، وهذا هو العقاب المقدر لحد القطع، وإذا قل عن ذلك فلا قطع، وقد اتفق الفقهاء على قطع يد السارق اليمنى في السرقة الأولى فإذا عاد للسرقة تقطع رجله اليسرى في رأى بعض الفقهاء وذلك لشل حركة السارق فإذا عاد بعد ذلك فلا قطع وإنما يحبس إلى مدة غير محدودة حتى يموت أو يتوب نهائيا.

حالات لا تقام فيها الحدود: لا يطبق حد السرقة إذا حصلت في الأماكن العامة أثناء العمل فيها وحيث لا حراسة فيها للمال أو في أماكن مأذون للجاني بدخولها ، ولم يكن الشيء المسروق محرزا ، أو أنْ تحصل السرقة بين الأصول والفروع من أفراد الأسرة أي بين الأب وولده أو بين الزوج وزوجته ، أو كان المال المسروق مجهولا لا يُعرَف صاحبه ، أو كان الجاني دائنا لصاحب المال المسروق ، وكان مماطلا وجاحدا ، وإن السارق استولى على ما يوازي حقه فقط .

وقد يحلو لبعض الناقدين الجاهلين بحكمة التشريع الإسلامي أنْ يصفوا عقوبة قطع اليد بالقسوة وعدم الرحمة ، ويتباكون على الأيدي المقطوعة ناسين أو متناسين ما أحدثته هذه الأيدي الآثمة من أذى وقتل وتخريب وفساد في الأرض وترويع الآمنين ، فهم يشفقون على الجاني ولا يشفقون على المجني عليهم ، وحقيقة الواقع الذي لا خفاء فيها في عصرنا أنّ بعض الدول الإسلامية التي طبقت أحكام الشريعة الإسلامية قلت فيها جرائم السرقة ، ثم إنّ قطع اليد لا يقصد الشرع به الرغبة في قطع الأيدي ، بل هو الرغبة في سلامة هذه الأيدي من القطع بمثل هذه العقوبة المخيفة التي تمنع السارق من ارتكاب جرائمه ، فهل بعد ذلك رحمة في قسوة الأحكام التي تحفظ الأمن وتمنع الإجرام

****

من الإعجاز الاجتماعي للقرآن الكريم

لَمّا جاء الإسلام وشرع أهله في إحياء موات العلم ، ونقل كتبه القيمة إلى لغتهم، نظروا في كل شيء مستهدين بالأصول الأولية للقرآن الكريم ، كقوله تعالى : (إنّا كلَّ شيءٍ خلقنَاهُ بِقَدرٍ ")[سورة القمر] ، وقوله تعالى : (وإن مِن شيءٍ إلا عندنا خزائنُهُ . وما نُنَزِّلهُ إلا بِقَدَرٍ معلومٍ)[سورة الحجر] فأدركوا على وجه عام أنّ لكل شيء في هذا الوجود نظاما يجري عليه كما فعل بعض المؤرخين ، وخاصةً ابن خلدون . ولكن المعارف التي كانت قد جمعت عن الأمم لم تكن تكفي لتكوين علم خاص بها . وتلت هذا الدور نهضة أوربا ، فادخر الله هذا السبق للفيلسوف الفرنسي الكبير - أوجست كومت 1798 - 1853 . واضع أصول الفلسفة الوضعية فإنه أول مَن جعل للاجتماع علما ووضعه في رأس جميع العلوم البشرية لشرف موضوعه من ناحية ، ولأنه لايتسنى إلا لمَن يأخذ من كل علم بطرف لتشعب بحوثه واستنادها على جملة المعارف البشرية . فعلم الاجتماع البشري أحدث العلوم وضعا ولكنه أشرفها موضوعا ؛ إذ يعرفنا على أي الأصول تقام الجماعات ، وبأيها تحفظ وجودها وترتقي ، وما هي عوامل الأليف التي تقوي وجودها ، وعوامل التحليل التي تفصم عرى ألفتها وهذه كلها معارف عالية ضرورية للمجتمع . ومن قواعد علم الاجتماع أنّ الإنسان لا يستطيع أنْ يؤثر في المجتمع لمجرد رأي يبدو له في إصلاحه ولكن ذلك لا يكون إلا إذا فهم الكافة سداد هذا الرأي وعملوا به عند ذاك يوجد في المجتمع ميل شديد للتحول عن الجهة التي يُراد تحويله منها إلى الوجهة التي يريده على أنْ يكون عليها وهذا كله مصداق لقوله تعالى : " إنّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بِأنفسِهم " [سورة الرعد] فمعنى الآية أنّ الأمة التي تريد أنْ يحول الله عنها حالا لا ترضاه لمجتمعها يجب عليها أنْ تغير من نفسيتها أولا فإنْ فعلت حول الله عنها ما تكره ووجّه إليها من نعمه ما تحب . وهذا وحده معجزة علمية للقرآن ولعله أحد أسباب تنبيه القرآن على وجوب الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر ، لقد أثبت القرآن أنّ للاجتماع نواميس ثابتة قبل أنْ يتخيلها أعلم علماء الأرض تخيلا ، فتعيين تلك النواميس والتحسس مما خفي منها هو الشغل الشاغل اليوم لفلاسفة الاجتماع ، قال تعالى : " سُنَّةَ اللهِ في الذِينَ خَلَوْا مْن قبلُ وكان أمرُ اللهِ قَدَراً مقدوراً " [سورة الأحزاب] ، وقال تعالى : " فهلْ ينظرونَ إلا سُنَّةَ الأولينَ فلن تجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلا ولن تجدَ لسُنَّةِ الله تحويلا " [سورة فاطر] ولم يكتف القرآن بهذا بل لقد قرر أنّ الجماعات كالآحاد لها آجال لا تستطيع أنْ تتعداها . وهو ما هدى إليه علم الاجتماع الحديث بعد أنْ وجد أنّ وجوه الشبه بين الفرد والمجتمع واحدة ، فقال تعالى : " ولكلِّ أمةٍ أجلٌ ، فإذا جاءَ أجلُهم لا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمونَ " [سورة الأعراف] ولقد تكرر مثلها في سور كثيرة من القرآن. فالذي يتأمل في سبق القرآن الكريم العالم كله أربعة عشر قرنا في وضع أصول العلم الاجتماعي ويكون من غير أهل هذا الدين يدهش كل الدهش ولا يكاد يصدق . وجدير بالمسلمين أنْ يجعلوا كتابهم نبراسا يضيء لهم الطريق.

*****

الإعجاز الاقتصادي في القرآن الكريم

قال تعالى : (الذِين يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلا كما يقومُ الذي يتخبَّطُه الشيطانُ مِنَ المَسِّ ذلك بِأنّهمْ قالوا إنَّما البيعُ مِثْلُ الرِّبا وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّم الرِّبا فمَن جاءَه مَوعظةٌ مِن ربِّه فانتهى فله ما سلفَ وأمرُه إلى اللهِ ومَنْ عادَ فأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدونَ) [سورة البقرة] وعن جابر قال لعن رسول الله ﷺ: { آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء}.

تعريفه : الربا في اللغة : الزيادة ، والمقصود به هنا : الزيادة على رأس المال .

حكمه : وهو محرم في جميع الأديان السماوية ، ومحظور في اليهودية والمسيحية والإسلام جاء في العهد القديم : (إذا أقرضت مالا لأحد من أبناء شعبي، فلا تقف منه موقف الدائن . لا تطلب منه ربحا لمالك) وفي كتاب العهد الجديد : (إذا أقرضتم لمن تنتظرون منه المكافأة ، فأي فضل يعرف لكم ؟ ولكن افعلوا الخيرات ، وأقرضوا غير منتظرين عائدتها . وإذا يكون ثوابكم جزيلا) - واتفقت كلمة رجال الكنيسة على تحريم الربا تحريماً قاطعاً.

مضار الربا على الاقتصاد والمجتمع والفرد: الآثار النفسية والخلقية: أنزل الله دينه ليقيم العباد على منهج العبودية الحقة، التي تعرج بهم إلى مدارج الكمال، وتسمو بهم إلى المراتب العليا، وبذلك يتخلصون من العبودية، ليقصروا أنفسهم على عبادة رب الخلائق، ويتخلصون بذلك من الفساد الذي يخالط النفوس في تطلعاتها ومنطلقاتها. إنّ الإسلام يريد أنْ يطهر العباد في نفوسهم الخافية المستورة، وفي أعمالهم المنظورة، وتشريعات الإسلام تعمل في هذين المجالين والقرآن الكريم سماهما بالتزكية والتطهير قال تعالى"خُذْ مِنْ أموالِهمْ صَدَقَةً تُطَهُرُهمْ وتُزَكِّيهم بها وصَلِّ عليهم إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهمْ واللهِ سميعٌ عليمٌ"[سورة التوبة] وقد

أقسم الرب تبارك وتعالى في سورة الشمس أقساما سبعة على أنّ المفلح مَن زكا نفسه، والخائب مَن دساها، " قَدْ أفلحَ مَن زكّاها*وقَدْ خابَ مَن دسَّاها "[سورة الشمس] والربا واحد من الأعمال التي تعمق في الإنسان الانحراف عن المنهج السوي، ذلك أنّ المرابي يستعبده المال، ويعمي ناظريه بريقه، فهو يسعى للحصول عليه بكل السبل، وفي سبيل تحقيق المرابي لهدفه يدوس على القيم، ويتجاوز الحدود، ويعتدي على الحرمات ، إنّ الربا ينبت في النفس الإنسانية الجشع ، كما ينبت الحرص والبخل ، وهما مرضان ما أصابا نفسا إلا أفسدا صاحبها ، ومع الجشع والبخل تجد الجبن والكسل ، فالمرابي جبان يكره الإقدام ، ولذلك يقول المرابون والذين ينظرون لهم : إنّ الانتظار هو صنعة المرابي ، فهو يعطي ماله لمن يستثمره ، ثم يجلس ينتظر إنتاجه لينال حظا معلوما بدل انتظاره ، وهو كسول متبلد لا يقوم بعمل منتج نافع ، بل تراه يريد من الآخرين أنْ يعملوا ، ثم هو يحصل على ثمرة جهودهم ، ولعل الآية القرآنية تشير إلى هذا المعنى قال تعالى : (وما آتيتُم مِن رِباً لتربوا فِي أموالِ الناسِ فلا يربوا عندَ اللهِ وما آتيتُمْ مِن زكاةٍ تريدونَ وجْهَ اللهِ فأولئكَ هُمُ المُضْعفونَ)[سورة الروم] فالآية تشير إلى أنّ المرابي يعطي ماله للآخرين كي ينمو من خلالها .وأكد سبحانه أنه يذهب بركة الربا ويصيبه بالهلاك والدمار في قوله تعالى : " يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا ويُرْبِي الصَّدقاتِ واللهُ لا يحبُّ كلَّ كفَّارٍ أثيمٍ" [سورة البقرة]. الربا يحدث آثاراً خبيثة في نفس متعاطيه وتصرفاته وأعماله وهيئته ، ويرى بعض الأطباء أنّ الاضطراب الاقتصادي الذي يولد الجشع ، يسبب كثيرا من الأمراض التي تصيب القلب ، فيكون من مظاهرها ضغط الدم المستمر ، أو الذبحة الصدرية أو الجلطة الدموية ، أو النزيف في المخ ، أو الموت المفاجئ . ولقد قرر عميد الطب الباطني في مصر الدكتور- عبدالعزيز إسماعيل - في كتابه (الإسلام والطب الحديث) أنّ الربا هو السبب في كثرة أمراض القلب .

<u>تخبط المرابي</u> : وقد وصف القرآن الحال الذي يكون عليها المرابي بحال الذي أصابه الشيطان بمس قال تعالى : " ...لا يقومونَ إلا كمَا يقومُ الذي يتخبَّطُهُ الشيطانُ مِن المَسِّ...." والتخبط في اللغة - كما يقول النووي - رحمه الله تعالى - الضرب على غير استواء، يقال : خبط البعير إذا ضرب بأخفافه ، ويقال للرجل الذي يتصرف تصرفا رديئا ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء ، وهي الناقة الضعيفة البصر . ولأنّ الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله ، فهذا هو المراد بمس الشيطان، ومَن كان كذلك كان في أمر الدنيا متخبطا ، فتارة الشيطان يجره إلى النفس والهوى وتارة الملك يجره إلى الدين والتقوى ، فحدثت هناك حركات مضطربة ، وأفعال مختلفة ، فهذاهو التخبط الحاصل بفعل الشيطان . ولكني أرى أنّ هذا التخبط الذي يصيب آكل الربا ليس مقصورا على هذا الجانب الذي ذكره الرازي ، بل هو أوسع مما أشار إليه وهو ملازمة لحالته النفسية واضطرابه في تصرفاته.

<u>انعكاسات الربا على المجتمعات الإنسانية</u> : لا يمكن أنْ تقوم المجتمعات الإنسانية مالم يترابط الناس فيما بينهم بروابط الود والمحبة القائمة على التعاون والتراحم والتكافل والأخوة بين أبناء الأمة الوحدة . والأفراد في المجتمعات ،أو القطاع من الأمة الذين لا تؤرقهم آلام إخوانهم وأوجاعهم ومصائبهم كالعضو المشلول ، الذي انعدم فيه الإحساس ، وانقطعت روابطه بباقي الجسد ، ومثله كمثل الحمار الذي يدور حول الرحى ، ذلك أنّ اهتماماته وتطلعاته وغاياته تدور حول أمر واحد هو مصالحة الذاتية، فلا تراه لدموع الثكالى ، ولا لأنات الحزانى ، ولا لأوجاع اليتامى ، يرى البؤساء والفقراء فلا يعرف من حالهم إلا أنهم صيد يجب أنْ تمتص البقية الباقية من دمائهم . ألم يصل الحال بالمرابين قساة القلوب إلى أنْ يستعبدوا في بعض أدوار التاريخ أولئك المعسرين الذين لم يستطيعوا أنْ يفوا بديونهم وما ترتب عليها من ربا خبيث . ألم يخرج أبو لهب العاص بن هشام إلى بدر ، لأنّ العاص مدين لأبي لهب ففرض عليه الخروج إلى المعركة بدلا عنه . كيف ينعم مجتمع إذا انبث في جنباته أكلة الربا الذين يقيمون المصائد والحبائل لاستلاب المال بطريق الربا وغيره من الطرق!! وكيف يتآلف مجتمع يسود فيه النظام الربوي الذي يسحق القوي فيه الضعيف.. كيف نتوقع أنْ يحب الذي نهبت أموالهم، وسلبت خبراتهم - ناهبيهم وسالبيهم !! إنّ الذي يسود في مثل هذه المجتمعات هو الكراهية والحقد والبغضاء ، فترى القلوب امتلأت بالضغينة ، والألسنة ارتفعت بالدعاء على هؤلاء الأشقياء الذين سلبوهم أموالهم، كثيرا ما يتعدى الأمر ذلك عندما يقومون بثورات تعصف بالمرابين وأموالهم وديارهم ، وتجرف في طريقها الأخضر واليابس. يقول المراغي رحمه الله تعالى : " الربا يؤدي إلى العدواة والبغضاء والمشاحنات والخصومات ، إذ هو ينزع عاطفة التراحم من القلوب ، ويضيع المروءة ، ويذهب المعروف بين الناس ، ويحل القسوة محل الرحمة ، حتى إنّ الفقير ليموت جوعا ، ولا يجد مَن يجود عليه ليسد رمقه ، ومِن جراء هذا منيت البلاد ذات الحضارة التي تعاملت بالربا بمشاكل اجتماعية ، فكثيرا ما تألب العمال وغيرهم على أصحاب الأموال ، وأضربوا عن العمل بين الفينة والفينة ، والمرة بعد المرة . ومنذ فشا الربا في الديار المصرية ضعفت فيها عاطفة التعاون والتراحم ، وأصبح المرء لا يثق بأقرب الناس إليه، ولا يقرض إلا بمستند وشهود ، بعد أنْ كان المقرض يستوثق من المقترض - و لو أجنبيا - بألا يحدث أحدا بأنه اقترض منه ، وما كان المقرض في حاجة في وصول حقه إليه إلى مطالبة ، بلا محاكم ومقاضاة "ولقد بلغت خسة الطبع وفساد الخلق بالمرابين اليهود إلى أنْ يتآمروا على المجتمعات التي فتحت أبوابها لهم ، بل على العالم بأسره ، ويوقدون نيران الحروب ، ويسعون في الفساد ، وقد نبأنا القرآن خبرهم ، وكشف لنا جرمهم عندما قال : " وقالتِ اليهودُ يَدُ اللهِ مغلولةٌ غُلَّتْ أيدِيهم ولُعِنُوا بِما قالوا بلْ يَداه مبسوطتانِ ينفقُ كيفَ يشاءُ ولَيَزيدَنَّ كثيراً منهم ما أنزلَ إليك مِن ربِّكَ طغياناً وكُفراً وألقينا بينَهُمُ العدواةَ والبَغْضاءَ إلى يوم القيامةِ كلَّما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ ويسْعَونَ في الأرضِ فساداً واللهُ لا يحبُّ المفسدينَ " [سورة المائدة] وقد نبه كثير من الكتاب المحققين إلى أنّ أباطرة اليهود هم الذين كانوا وراء إشعال نيران الحروب في القرن الماضي، كما أنهم هم الذين أوقدوانيران الحربين العظميين في القرن . لقد سالت الدماء أنهارا ، أهدرت ملايين من الدنانير ، كل ذلك ليربو مال اليهود ، وتعظم سيطرة اليهود في العالم .

<u>الخلل الذي يصيب المجتمع بسبب اختلال توزيع الثروة فيه</u> : إذا أصبح المال دُولَة بين الأغنياء ، شقي أغنياء ذلك المجتمع وفقراؤه والربا يركز المال في أيدي فئة قليلة من أفراد المجتمع الواحد ، ويحرم منه المجموع الكثير ، وهذا خلل في توزيع المال ، يقول

الدكتور ـ شاخت ـ الألماني ، مدير بنك الرايخ الألماني سابقا في محاضرة ألقاها في سوريا في عام 1953 : إنه بعملية رياضية (غيرمتناهية) يتضح أنّ جميع المال صائر إلى عدد قليل جدا من المرابين، ذلك أنّ الدائن المرابي يربح دائما في كل عملية ، بينما المدين معرض للربح والخسارة ، ومِن ثَم فإنّ المال كله في النهاية لابد بالحساب الرياضي أنْ يصير إلى الذي يربح دائما .. وهو الذي يجعل اليهود يصرون على التعامل بالربا ، ونشره بين العباد ، كما يحرصون على تعليم أبنائهم هذه المهنة ، كي يسيطروا على المال ويحوزوه إلى خزائنهم. وهذا الخلل الذي يحدثه الربا في المجتمعات الإنسانية ـ وهو خلل توزيع الثروة ـ داء يعجز علاجه الأطباء ، وقد اعترف رجال الاقتصاد الكبار في العالم الغربي ، ومن هؤلاء ـ شارل رست ـ ، ورست هذا ـ كما يقول العالم الاقتصادي المسلم ـ عيسى عبده ـ رحمه الله ـ حجة في تاريخ المذاهب الاقتصادية وصاحب مدرسة ليس لها نظير في العالم الغربي، وقد اعترف(رست) بعجزه التام عن حل مشكلات العالم الذي يعيش فيه ، بعد أنْ بلغ قمة نضجه ، يقول (رست) : إنني وقد قاربت سن التقاعد ، أريد أنْ أوصي الجيل الأصغر مني سنا في هذه القضية : لقد أصبحنا الآن بعد هذه الجهود الطويلة في بلبلة مستمرة ، فكلنا يشقى بسبب توزيع الثروة، وتوزيع الدخل ، سواء منها ما كان جزئيا ، مثل قضية الفائدة والربا ، أم ما كان مثل تفاوت الطبقات ، تعبنا في هذا ولم نصل إلى شيء بالله عليك ألم يصرح (رست) بالنتيجة الحتمية التي يصير إليها كل معرض عن هدي السماء : لقد أصبحنا في بلبلة مستمرة ..، كلنا يشقى بسبب توزيع الثروة .. تعبنا ولم نصل إلى شيء ..، إنه الشقاء ، شقاء الحياة الدنيا ، وشقاء الآخرة أشد وأبقى قال تعالى : (ومَنْ أعرضَ عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضَنكاً ونحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى . قال (ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقدْ كنتُ بصيراً . قالَ كذلِك أتتْك آياتُنا فنسيتَها وكذلك اليومَ تُنسَى . وكذلك نجْزِي مَنْ أسرفَ ولَم يؤمن بآياتِ ربِّه ولَعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى)[سورة طه]

<u>تدمير الربا للمجتمعات</u> : الربا بما يحدثه في النفوس من أمراض ، وبما يوجده في الاقتصاد من بلايا ، وبما يصنعه من خلل – يصيب المجتمعات الإنسانية بالدمار . وصاحب الموسوعة الاقتصادية يقرر أنّ : الربا لعب دورا هاما في انهيار المجتمعات البدائية وظهور الاقتصاديات القائمة على الرق فنظر لأنّ القرض كان مضمونا بشخص المقترض نفسه إلى جانب ضمانات أخرى كانت النتيجة نزع ملكية صغار المزارعين ، وتحويل عدد منهم إلى رقيق ، مما أدى في النهاية إلى تركيز الملكية العقارية في أيدي قلائل . هذا ما فعله الربا في الماضي ، وقد استطاع الكتّاب الذين عرفوا باطن الأمور أنْ يدركوا آثاره في تلك المجتمعات ، ولكن كثيرا من هؤلاء يظنون أنّ الفائدة الربوية اليوم لاتحدث في المجتمعات الإنسانية ما أحدثته في المجتمعات البدائية . لقد حول المرابون في القديم البشر إلى عبيد يعملون في المزارع التي سرقوها من أولئك العبيد ، ولا يزال المرابون إلى اليوم يسعون إلى السيطرة على ثمار جهود البشر ، وسرقة عرقهم وأموالهم . إنّ عصور الربا الفاحش لم تنته بعد ، فذلك وهم . إنّ لائحة مقرضي المال الصادر في بريطانيا في سنة 1927 تسمح للمرابين بفرض فائدة تبلغ 48 في المائة ، وهذه هي النسبة المقررة أما المتعامل بها فكانت أعلى من ذلك بكثير ، وينقل لنا ـ أنور قرشي ـ بعض الأمور المذهلة التي كانت تجري في بريطانيا العظمى في الربع الأول من هذا القرن من تقرير أعدته لجنة مشتركة من مجلس اللوردات ومجلس العموم عن صكوك مقرضي المال في سنة 1925 ، وعن طريق تقصي أضرار إقراض المال في (ليفربول) في سنة 1924 . لقد توصل أصحاب التقرير إلى أنّ بعض القروض كانت تصل نسبة الفائدة فيها إلى 250 في المائة و 260 و400 و433 في المائة ، بل بلغت النسبة في بعض الأحيان ، كما يقول التقرير إلى 866 و 1300 في المائة في السنة . لم يكن ما تحدث عنه تقرير مجلس اللوردات ومجلس العموم في أعظم دولة آنذاك حالات فردية لقد قال ممثل اتحاد مقرضي المال للجنة المشتركة : إنّ إقراض المال مهنة ضخمة ، وإني أقدم إليكم الأرقام ، هل يدهش سعادتكم أنْ تعرفوا أنّ هناك ما يزيد على 300 من مقرضي المال المسجلين في هذه البلاد ، وتحدث التقرير عن وجود 1380 من هؤلاء المرابين في (ليفربول و بركنهيد) ، وبمقارنة عددهم بعدد السكان وجد أنّ كل 730 لهم مقرض مرابي . وقد كانت الحال في أمريكيا في الربع الأول من هذا القرن كما يقول ـ إقبال القرشي – لا تقل سوء اعن حال بريطانيا ، وقد نقل وقائع وتقارير تدل أنّ المرابين كانوا ينالون نسبا عالية تبلغ 20 في المائة ، و40 في المائة و100 في المائة ، وأكثر من هذا . أما في بلد متأخر كالهند مثلا فيكفي أنْ نعلم أنّ فلاحي مقاطعة (البنجاب) كانوا يدفعون فوائد تعادل ضعف ريع الأرض كلها ، كما جاء في كتاب (سير مالكو لم لوبال ن در النج) الموسوم بـ (الكلاسيكي) . قد يقال أنّ الحال اليوم قد تغيرت ، والفائدة أصبحت محددة ، وهي لا ترهق الأفراد ولا المؤسسات ولا الحكومات ، أقول هذا قصور في النظر وخطل في القول ، فإنّ فوائد البنوك الربوية وبيوتات المال في أوائل هذا القرن لم تكن تتعدى الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة أو الستة أو السبعة في المائة على أكثر تقدير ، أما اليوم فإنّ الفائدة التي كانت تعلنها البنوك الربوية قد بلغت 18 ، أو 20 في المائة وهي اليوم 10 في المائة ، و11 في المائة ، و12 في المائة ، وقد بلغ الربا في بعض التعاملات في الكويت (800) في المائة فيما عرف بأزمة المناخ ، ويذكر المطلعون على تفاصيل الأزمة أنّ حجم الأموال التي سببت الأزمة بلغ (27) مليارا منها (9) مليارات تراكمت بسبب الربا ، والذين لا يأكلون الربا كانوا أبعد الناس عن التأثر بهذه الأزمة . ومما يدل على أنّ هذا البلاء لا يزال آخذا بأنفاس الناس ، ولا يزال رابضا على قلوبهم ، أنّ ما يسمى بدول العالم الثالث ، اليوم مثقلة بديون لا تستطيع صادراتها كلها أنْ تفي بسداد خدمة الدين الربوية .

<u>الآثار الاقتصادية للربا</u> : الربا آفة من الآفات إذا أصابت الاقتصاد فإنها تنتشر فيه انتشار السرطان في جسم الإنسان ، وكم عجز الأطباء عن علاج السرطان فإنّ المفكرين ورجال السياسة والاقتصاد عجزوا عن علاج بلايا الربا ، ومن العجيب أنّ بعض الناس ظنوا أنّ الربا يحدث خيرا للناس ، ومثلهم في ذلك مثل الذين يظنون أنّ التورم في بعض الأجسام الناشئ عن المرض صحة وعافية ، فليس كل تضخم في الجسد صلاحا ، إنّ السرطان إنما هو تكاثر غير طبيعي لخلايا الجسد ، وهذا التكاثر ليس في مصلحة الإنسان ، بل هو مدمر لحياته ، وفاتك به . وكذلك ما يولد الربا ليس صلاحا للاقتصاد بل هو مدمرللاقتصاد ، والمشكلة أنّ بلايا الربا لا تظهر مرة واحدة في كيان المجتمع وكيان الاقتصاد ، يقول الرازي : إنّ الربا وإنْ كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة .

وهذا مستفاد من النص القرآني : " يمحقُ اللهُ الرِّبا "[سورة البقرة] فالمحق نقصان الشيء حالا بعد حال ، ومنه محاق القمر يعني انتقاصه ليلة بعد أخرى ، فالذين يتعاملون بالربا يظنون أنّ فيه كسبا ، والحقيقة التي أخبر بها العليم الخبير ، والتي كشف عنها واقع البشر الذي دمره سرطان الربا أنّ الربا ممحقة للكسب مدمر للاقتصاد ، ذلك أنه يصيبه بعلل خبيثة يعي الطبيب النطاسي دواؤها ، الربا ليس بركة ورخاء بل هو مرض عضال يذهب المال ويقلله ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنّ الربا وإنْ كثُر فإنّ عاقبته تصير إلى قل " أي قلة ، رواه ابن ماجه وأحمد والبيهقي في شعب الإيمان وعلماؤنا الذين أبصروا الحقائق من خلال النصوص القرآنية والحديثية أدركوا هذه الحقيقة، وقد نقلنا قول الرازي الذي يقول فيه : إنّ الربا وإنْ كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة، وإنّ الصدقة وإنْ كانت نقصانا في الصورة فهي زيادة في الحقيقة ويقول المراغي : إنّ عاقبة الربا الخراب والدمار، فكثيرا ما رأينا ناسا ذهبت أموالهم، وخربت بيوتهم بأكلهم الربا .

ويقول القاسمي : المال الحاصل من الربا لا بركة له، لأنه حاصل من مخالفة الحق فتكون عاقبته وخيمة . والآفات الاقتصادية التي يجلبها الربا كثيرة، منها :

1 - تعطيل الطاقة البشرية : الربا يعطل الطاقات البشرية المنتجة ، ويرغب في الكسل وإهمال العمل، والحياة الإنسانية إنما ترقى وتتقدم إذا بذل الجميع طاقاتهم الفكرية والبدنية في التنمية والإعمار، والمرابي الذي يجد المجال رحبا لإنماء ماله بالربا يسهل عليه الكسب الذي يؤمن له العيش، فيألف الكسل، ويمقت العمل، ولا يشتغل بشي من الحرف والصناعات الشاقة، وذلك يقضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أنّ مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والعمارات.

ثم إنّ تعطيل الربا للطاقات المنتجة لا يتوقف على تعطيل طاقة المرابي، بل إنّ كثيرا من طاقات العمل ورجال الأعمال قد تقل أو تتوقف، ذلك أنّ الربا يوقع العمال في مشكلات اقتصادية صعبة، فالذين تصيبهم المصائب في البلاد الرأسمالية لا يجدون إلا المرابي الذي يقرضهم المال بفوائد عالية تعتصر ثمرة أتعابهم، فإذا أحاطت هذه المشكلات بالعمال أثرت في إنتاجهم.

هذا جانب وجانب آخر أنّ الربا يسبب الركود الاقتصادي والبطالة وهذا يعطل الطاقات العاملة في المجتمعات الإنسانية .

2 - تعطيل المال : وكما يعطل الربا جزءا من الطاقات البشرية الفاعلة، كذلك يعطل الأموال عن الدوران والعمل، والمال للمجتمع يعد بمثابة الدم الذي يجري في عروق الإنسان، وبمثابة الماء الذي يسيل إلى البساتين والحقول، وتوقف المال عن الدوران يصيب المجتمعات بأضرار فادحة، مثله كمثل انسداد الشرايين، أو الحواجز التي تقف في مجرى الماء وقد رهب الله تبارك وتعالى الذي يكنزون المال، وتهددهم بالعذاب الأليم الموجع " والذِينَ يكْنزونَ الذَّهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في سبيلِ اللهِ فبشِّرهم بعذابٍ أليمٍ. يومَ يُحمَى عليها في نارِ جهنَّمَ فتُكوَى بها جباهُهُمْ وجُنُوبُهم وظهورُهم هذا ما كنزتمْ لأنفسكمْ فذوقوا ما كنتُمْ تكنزونَ " [سورة التوبة] وقد شرع الله من الأحكام ما يكفل استمرار تدفق المال إلى كل أفراد المجتمع، بحيث لا يصبح المال دولة بين الأغنياء دون غيرهم، " كي لا يكونَ دُولَةً بينَ الأغنياءِ منكم " [سورة الحشر] والمرابي بجبنه وتطلعاته إلى الكسب الوفير لا يدفع ماله إلى مشروعات النافعة والأعمال الاقتصادية إلا بمقدار يضمن عودة المال وافرا كثيرا، وهو يحبسه إذا ما أحس بالخطر، أو طمع في نيل نسبة أعلى من الفائدة في المستقبل، عندما يقل المال في أيدي الناس يقع الناس في بلاء كبير . ثم إنّ مقترضي المال بالرباء لا يسهمون في الأعمال المختلفة إلا إذا ضمنوا نسبة من الربح أعلى من الربا المفروض على الدين .

3 - التضخم : التضخم يقصد به وجود اتجاه صعودي في الأثمان بسبب وجود طلب زائد أو فائض بالنسبة إلى إمكانية التوسع في العروض والتضخم له أسباب طبيعية وأسباب غير طبيعية، ومن الأسباب غير الطبيعية الربا، فالمرابي بما يفرضه من فائدة مرتفعة يجبر أصحاب السلع والخدمات على رفع أثمان هذه السلع والخدمات، ولا شك أنّ التضخم يسيء إلى الناس كثيرا خاصة أصحاب الدخول النقدية الثابتة كالموظفين والعمال، ومن ثم تنخفض دخولهم الحقيقية، وإذا اضطرت الحكومات إلى مواجهة الأمر برفع دخول الموظفين والعمال فالملاحظ أنّ تقرير الزيادة لا يتم بسرعة وفي الوقت المناسب، ولذلك يجب أنْ يعمل المفكرون ورجال السياسة والاقتصاد على محاربة التضخم، خاصة ذلك النوع الذي يسميه الاقتصاديون بالتضخم الجموح والذي ترتفع فيه الأثمان ارتفاعا غير طبيعي، ومن أعظم الأسباب التي تؤدي إليه الربا، فمنعه إنما هم علاج لمرض خطير .

4 - الكساد والبطالة : إذا ارتفعت أثمان الأشياء ارتفاعا عاليا فإنّ الناس يكفون عن الإقبال على السلع والخدمات المرتفعة الأثمان، إما لعدم قدرتهم على دفع أثمانها، أو لأنها ترهق ميزانيتهم، وإذا امتنع الناس عن الشراء كسدت البضائع في المخازن والمتاجر، وعند ذلك تقلل المصانع من الإنتاج، وقد تتوقف عنه، ولابد في هذه الحالة من أنْ تستغني المصانع والشركات عن جزء من عماله وموظفيها في حالة تخفيض إنتاجها، أو تستغني عن جميع عمالها وموظفيها إذا توقفت عن الإنتاج، وعندما يحس المرابون بما يصيب السوق من زعزعة يزيدون الطين بلة، فيقبضون أيديهم، ويسحبون أموالهم فعند ذلك تكون الهزات الاقتصادية ،الأمر عجيب، لأنّ الأموال في المجتمع كثيرة، ولكنها في خزائن المرابين، والناس بحاجة إلى السلع، ولكنهم لا يشترونها لعدم وجود المال بين أيديهم، والعمال يحتاجون إلى عمل، ولكن المصانع والشركات تمتنع من تشغيلهم لحاجتها إلى المال من جانب وإلى تصريف بضاعتها من جانب،إنّ الربا يحدث خللا في دورة التجارة، والإسلام في سبيل إصلاح هذا الخلل حرم الربا، وشرّع تشريعات كثيرة تمنع تركز المال في أيدي طائفة من أفراد المجتمع . واليوم تعاني أمريكا زعيمة العالم الرأسمالي من أزمة بطالة مخيفة . إنّ تكبيل الأمم بهذه القيود الرهيبة يجعلها تعمل ولا تستفيد من عملها شيئا، كل عملها يذهب إلى خزائن المرابين، وعند ذلك لا يستطيع الأفراد الحصول على حاجياتهم، ومع ذلك فإنّ الدولة تفرض المزيد من الضرائب، وترفع الأسعار لمواجهة العجز في مدفوعاتها، فتقوم الثورات وتحصل الاضطرابات وتزهق الأرواح، وما يحدث في كثير من دول العالم ليس بسر . وقد يصل الأمر إلى درجة تعجز الدولة عن السداد وعند ذلك تلغي الدولة ديونها كما حدث في كوبا 1961 ، وكوريا الشمالية في سنة 1974 ، ويقول - ستيروات جراينبوم - أستاذ البنوك والتمويل بجامعة (نورث وسترن) : تصور نفسك أحد الحكام الدكتاتوريين في أمريكا اللاتينية، وقد غرقت في الديونن فإذ ما وافقت على شروط صندوق النقد

الدولي، وخفضت مثلا من حجم الواردات ، فسوف تواجه بمظاهرات الاحتجاج، وحركات التمرد في الشوارع، وإذا ما عجزت عن سداد الديون، وتوقفت عن الدفع فسوف تنبذ من المجتمع الدولي ومن أسواق الإقراض العالمية، وعندما توقن أنّ الحل الأول سيعلقك مشنوقا على فرع شجرة ـ قطعا ـ ستسلك الطريق الثاني : وهو التوقف عن السداد .

5 ـ توجيه الاقتصاد وجهة منحرفة : ومن بلايا الربا أنه يوجه الاقتصاد وجهة منحرفة، فالمرابي يدفع لمَن يعطيه ربحا أكثر، وآخذ القرض الربوي لايوظف المال الذي اقترضه إلا في مجالات تعود عليه بربح أكثر مما فرضه عليه المرابي، إذن القضية تكالب على تحصيل المال، وفي سبيل تتجاوز المشروعات النافعة التي تعود بالخير على المجتمع، ويوظف المال في المشروعات الأكثر إدرارا للربح.

6 ـ تشجيعه على المغامرة والإسراف : الحصول على المال بالربا سهل ميسور، ما دام المرابي يضمن عودة المال إليه، ولذا فإنّ الذين ليس لهم تجربة، وليس عندهم خبرة ـ يغريهم الطمع، فيأخذون القروض بالربا، ثم يدخلون في أعمال ومشروعات قد يكون محكوما عليها بالفشل، أو يدخلون في أعمال هي أقرب إلى المقامرة منها إلى الأعمال الصالحة، ومتى كثر هذا النوع من الأعمال فإنه يضر باقتصاد الأمة، والمرابي لا يمتنع من إمداد هؤلاء بالمال، لأنه لا يشغل باله الطريقة التي يوظف المال بها،وكل ما يشغله عودة المال برباه، وقد أوجب علينا الإسلام عدم تمكين السفيه من التصرف في ماله حفاظا على ثروة الأمة من الضياع " ولا تُؤتوا السُّفهاءَ أموالَكُمُ التي جعلَ اللهُ لكم قياماً " [سورة النساء] ولاحظ قوله : (أموالكم) فقد جعل مال السفيه مالا للأمة بها قوام أمرهم، فالربا يسهل وضع الكثير من مال الأمة بين أيدي المغامرين والجهلاء الذي قد يبددون هذه الأموال، ويزداد الأمر سوءا عندما يستولى المرابي على بيوتهم ومزارعهم والبقية الباقية من مصانعهم ومتاجرهم . وسهولة الإقراض بالربا تشجع على الإسراف وإنفاق المال فيما لا يفيد ولا يغني، وقد ذكرت مجلة (التايم) الأمريكية في الدراسة التي قدمتها عن ديون العالم الثالث في مطلع هذا العالم أنّ دولة (ليبريا) انغمست في الدين الربوي من أجل استضافة اجتماعات منظمة الوحدة الإفريقية . كما ذكرت أنّ جمهورية (إفريقيا الوسطى) قامت بإنفاق خمس مليون دولار أمريكي (نصف الميزانية السنوية لتلك الدولة تقريبا وذلك في عام 1977) على حفل تتويج الإمبراطور بوكاسا . يقول المراغي يسهل على المقترضين أخذ المال من غير بدل حاضر ويزين لهم الشيطان إنفاقه في وجوه الكماليات التي كان يمكن الاستغناء عنها، ويغريهم المزيد من الاستدانة، ولا يزال يزداد ثقل الدين على كواهلهم حتى يستغرقوا أموالهم، فإذا حل الأجل لم يستطيعوا الوفاء وطلبوا تأجيل الدين، ولا يزالون يماطلون ويؤجلون، والدَّين يزداد يوما بعد يوم، حتى يستولى الدائنون قسرا على كل ما يملكون فأصبحوا فقراء معدمين، وصدق الله " يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا ويربي الصَّدقاتِ " [سورة البقرة]

7 ـ وضع مال المسلمين بين أيدي خصوم الإسلام : من أخطر ما أُصيب به المسلمون أنهم أودعوا الفائض من أموالهم في البنوك الربوية في دول الكفر، وهذا الإيداع يجرد المسلمين من ادوات النشاط الاقتصادي ومن القوة القاهرة في المبادلات، ثم يضعها في أيدي أباطرة المال اليهودي الذين أحكموا سيطرتهم على أسواق المال، وهذه الفوائد الخبيثة التي يدفعها لنا المرابون هي ثمن التحكم في السيولة الدولية .

****

الإعجاز اللغوي والبياني

في

القرآن الكريم

الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم

قضية الإعجاز البياني بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث ، فمنذ أنْ تلا المصطفى ﷺ في قومه ما تلقى من كلمات من ربه ، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حسّ لغته وذوقها الأصيل ، سليقة وطبعا ، إلا أن يُسلّم بأنه ليس من قول البشر . ومن هنا كان حرص طواغيت الوثنية من قريش ، على أنْ يحولوا بين العرب وبين سماع هذا القرآن . فكان إذا أهل الموسم وآن وفود العرب للحج ، ترصدوا لها عند مداخل مكة ، وأخذوا بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا وحذروه من الاصغاء إلى ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من كلام قالوا إنه السحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه ، وبين المرء وزوجه وولده وعشيرته . وربما وصلت آيات منه إلى سمع أشدهم عداوة للإسلام ، فألقى سلاحه مصدقا ومبايعا ، عن يقين بأنّ هذه الكلمات ليست من قول البشر . حدثوا أنّ " عمر بن الخطاب " خرج ذات مساء متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه ، في مكان عند " الصفا " سمع أنهم مجتمعون فيه ، فلقيه في الطريق مَن سأله : أين تريد يا عمر ؟ أجاب : أريد محمدا هذا الصابي الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب آلهتها ، فأقتله . قال له صاحبه : غرتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ سأله عمر ، وقد رابه ما سمع : أي أهل بيتي تعني ؟ فأخبره أنّ صهره وابن عمه " سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل " قد أسلم . وكذلك أسلمت زوجته ، أخت عمر " فاطمة بنت الخطب " . فأخذ " عمر " طريقه إلى بيت صهره مستثار الغضب ، يريد أنْ يقتله ويقتل زوجته فاطمة . فما كاد يدنو من الباب حتى سمع تلاوة خافتة لآيات من سورة طه ، فدخل يلح في طلب الصحيفة التي لمح أخته تخفيها عند دخوله ... وانطلق من فوره إلى البيت الذي اجتمع فيه المصطفى بأصحابه ، فبايعه ، وأعز الله الإسلام بعمر ، وقد كان من أشد قريش عداوة للإسلام وحربا للرسول . [سيرة بن هشام] . وفي حديث بيعة العقبة ، أنّ الرسول ﷺ ندب صاحبه " مصعب بن عمير " ليذهب مع أصحاب العقبة إلى يثرب ، ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام . فنزل هناك على " أسعد بن زرارة " الأنصاري الخزرجي . فحدث أنْ خرجا يوما إلى حَي بني عبد الأشهل رجاء في أنْ يسلم بعض القوم . فما سمع كبير الحي " سعد بن معاذ " ، وأسيد بن حضير " بقدوم مصعب وأسعد ، ضاقا بهما وأنكرا موضعهما من الحي ، قال سعد بن معاذ لصاحبه أسيد بن حضير : " لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين فأزجرهما وانههما عن أنْ يأتيا دارينا . فإنه لولا أنّ أسعد بن زرارة منى حيث علمت ، كفيتك ذلك : هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما " والتقط أسيد بن حضير حربته ومضى إلى صاحبي رسول الله فزجرهما متواعدا : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إنْ كانت لكما بنفسيكما حاجة . قال له مصعب بن عمير : أو تجلس فتسمع ، فإنْ رضيت أمرنا قبلته ، وإنْ كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ فركّز أسيد حربته واتكأ عليها يصغي إلى ما يتلو مصعب من القرآن . ثم أعلن إسلامه من فوره ، وعاد إلى قومه فعرفوا أنه جاء بغير الوجه الذي ذهب به . وما زال أسيد بسعد بن معاذ حتى صحبه إلى ابن خالته أسعد بن زرارة ، فبادره سعد سائلا في غضب وإنكار : يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني.أتغشانا في دارنا بما نكره؟"" ولم يجب أبو أمامة ، بل أشار على صاحبه " مصعب " الذي استهل سعد بن معاذ حتى يسمع منه ، ثم تلا آيات من معجزة المصطفى ، نفذت إلى قلب ابن معاذ فمزقت عنه حجب الغفلة وغشاوة الضلال . وأعلن إسلامه وعاد إلى قومه فسألهم : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ فأجابوا جميعا : سيدنا ، وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة . فعرض عليهم الإسلام " فوالله ما أمسى في حي بني عبد الأشهل رجل أو امرأة إلا مسلما ومسلمة [سيرة بن هشام] . هل فرض القرآن إعجازه على هؤلاء الذين استنارت بصائرهم فآمنوا بمعجزة المصطفى بمجرد سماعهم آيات منها ، دون غيرهم ممَّن لجّوا في العناد والتكذيب ؟ إنّ القرآن لم يفرض إعجازه البياني من أول المبعث ، على هؤلاء الذين سبقوا إلى الإيمان به فحسب ، بل فرضه كذلك على مَن ظلوا على سفههم وشركهم ، عنادا وتمسكا بدين الآباء ونضالا عن أوضاع دينية واقتصادية واجتماعية لم يكونوا يريدون لها أنْ تتغير . وفي الخبر إنّ من طواغيت قريش وصناديد الوثنية العتاة مَن كانوا يتسللون في أوائل عصر المبعث خفية عن قومهم ، ليسمعوا آيات هذا القرآن دون أنْ يملكوا إرادتهم . روى " ابن إسحاق " في السيرة أنّ أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل ابن هشام المخزومي ، والأخنس بن شريق الزهري ، خرجوا ذات ليلة متفرقين على غير موعد ، إلى حيث يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلى ويتلو القرآن في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، ولا أحد منهم يعلم بمكان صاحبيه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : " لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا " ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة التالية ، عاد كل منهم إلى مجلسه لا يدري بمكان صاحبيه فباتوا يستمعون للمصطفى حتى طلع الفجر فتفرقوا وجمعهم الطريق فتلاوموا ، وانصرفوا على ألا يعودوا ،لكنهم عادوا فتسللوا في الليلة الثالثة وباتوا يستمعون إلى القرآن [سيرة بن هشام] .

<u>إعجاز النظم في القرآن الكريم</u> : لإعجاز النظم عدة مظاهر تتجلى فيها :

المظهر الأول : الخصائص المتعلقة بالأسلوب وإليك هذه الخصائص :

<u>الخاصة الأولى :</u> إنّ هذا الأسلوب يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم. بيان ذلك أنّ جميع الفنون التعبيرية عند العرب لا تعدو أنْ تكون نظما أو نثرا . وللنظم أعاريض، وأوزان محددة معروفة، وللنثر طرائق من السجع، والإرسال وغيرهما مبينة ومعروفة. والقرآن ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا في تسجيعه، إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة في هذا ولا ذاك، ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بتوقيع موزون ينبعث من تتابع آياته، بل يسري في صياغته، وتآلف كلماته، وتجد في تركيب حروفه تنسيقا عجيبا يؤلف اجتماعها إلى بعضها لحنا مطربا يفرض نفسه على صوت القارئ العربي كيفما قرأ، طالما كانت قراءته صحيحة ومهما طفت بنظرك في جوانب كتاب الله تعالى ومختلف سوره وجدته مطبوعا على هذا النسق العجيب فمن أجل ذلك تحيّر العرب في أمره، إذ عرضوه على موازين الشعر فوجدوه غير خاضع لأحكامه، وقارنوه بفنون النثر فوجدوا غير لاحق بالعهود من طرائقه فكان أنْ انتهى الكافرون منهم إلى أنه السحر، واستيقن المنصفون منهم بأنه

تنزيل من رب العالمين. وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأمثلة التي توضح هذه الحقيقة، وتجليها، قال تعالى : " حَم{1} تنزيلٌ مِن الرَّحمنِ الرَّحيمِ{2} كتابٌ فُصِّلتْ آياتُه قرآناً عربياً لِقومٍ يعلمونَ{3} بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرُهم فَهمْ لا يسمعونَ {4} وقالوا قلوبُنا في أكنَّةٍ مِمَّا تدعونا إليه وفي آذانِنا وَقْرٌ ومِن بينِنا وبينِك حجابٌ فاعملْ إننا عاملونَ {5} قلْ إنَّما أنا بَشَرٌ مثْلُكم يُوحَى إلَّى أنَّما إلهُكم إلهٌ واحدٌ فاستقيموا إليه واستغفروه وويلٌ للمشركين ..{6} "[سورة فصلت] . وهذه الآيات بتأليفها العجيب، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن أبي ربيعة وكان من أساطين البيان استولت على أحاسيسه، ومشاعره، وطارت بلبه، ووقف في ذهول، وحيرة، ثم عبر عن حيرته وذهوله بقوله : " والله لقد سمعت من محمد قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ... والله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم" . وإليك سورة من سوره القصار تتجلى فيها هذه الحقيقة أمام العيان مَن ينكرها فكأنما ينكر الشمس في وضح النهار. بسم الله الرحمن الرحيم " والشمسِ وضُحاها {1}والقمرِ إذا تلاها{2} والنهارِإذا جلاها {3} والليلِ إذا يغْشاها{4} والسماءِ وما بناها {5} والأرضِ وما طَحاها {6} ونفسٍ وما سوَّاها {7} فألْهَمَها فُجورَها وتقواها {8} قدْ أفلحَ مَن زكَّاها{9} وقدْ خابَ مَن دسَّاها{10} كذَّبتْ ثمودُ بطَغْواها {11} إذِ انبعثَ أشْقاها {12} فقالَ لهمْ رسولُ اللهِ ناقةَ اللهِ وسُقْيَاها {13} فكذَّبوه فعَقروها فَدَمْدَمَ عليهمْ ربُّهم بذنبِهمْ فسوّاها{14} ولا يَخافُ عُقْباها {15} " [سورة الشمس].

تأمل هذه الآيات ، وكلماتها ، وكيف صيغت هذه الصياغة العجيبة ؟ وكيف تألفت كلماتها وتعانقت جملها ؟ وتأمل هذا النغم الموسيقي العذب الذي ينبع من هذا التآلف البديع ، إنه إذا لامس أوتار القلوب : اهتزت له العواطف وتحركت له المشاعر ، وأسالت الدموع من العيون ، وخرت لعظمته جباه أساطين البيان ، أشهد أنه النظم الإلهي الذي لا يقدر على مثله مخلوق .

وهذه الحقيقة توجد في سائر كتاب الله لا تتخلف في سورة من سوره ولا في آياته ، ومن أجل ذلك عجز أساطين البيان عن الإتيان بأقصر من مثله . وفي هذا يقول الرافعي رحمه الله : وذلك أمر متحقق بعد في القرآن الكريم : يقرأ الإنسان طائفة من آياته ، فلا يلبث أنْ يعرف لها صفة من الحس ترافد ما بعدها وتمده ، فلا تزال هذه الصفة في لسانه ، ولو استوعب القرآن كله ، حتى لا يرى آية قد أدخلت الضيم على أختها ، أو نكرت منها ، أو أبرزتها عن ظل هي فيه ، أو دفعتها عن ماء هي إليه : ولا يرى ذلك سواء وغاية في الروح والنظم والصفة الحسية ، ولا يغتمض في هذا إلا كاذب ، ولا يهجن منه إلا أحمق على جهل وغرارة ، ولا يمتري فيه إلا عامي أو أعجمي وكذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

<u>الخاصية الثانية</u> : هي أنّ التعبير القرآني يظل جاريا على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ ، وعمق المعنى ودقة الصياغة وروعة التعبير ، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والوعود والوعيد وتلك حقيقة شاقة ، بل لقد ظلت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربية والبيان . وبيان ذلك أنّ المعنى الذي يُراد عرضه ، كلما كان أكثر عموما وأغنى أمثلة وخصائص كان التعبير عنه أيسر ، وكانت الألفاظ إليه أسرع ، وكلما ضاق المعنى وتحدد ، ودق وتعمق كان التعبير عنه أشق ، وكانت الألفاظ من حوله أقل ، ولذا كان أكثر الميادين الفكرية التي يتسابق فيها أرباب الفصاحة والبيان هي ميادين الفخر والحماسة والموعظة والمدح والهجاء ، وكانت أقل هذه الميادين اهتماما منهم ، وحركة بهم ميادين الفلسفة والتشريع ومختلف العلوم ، وذلك هو السر في أنه قلما تجد الشعر يقتحم شيئا من هذه الميادين الخالية الأخرى . ومهما رأيت بليغا كامل البلاغة والبيان ، فإنه لا يمكن أنْ يتصرف بين مختلف الموضوعات والمعاني على مستوى واحد من البيان الرفيع الذي يملكه ، بل يختلف كلامه حسب اختلاف الموضوعات التي يطرقها ، فربما جاء بالغاية ووقف دونها ، غير انك لا تجد هذا التفاوت في كتاب الله تعالى ، فأنت تقرأ آيات منه في الوصف ، ثم تنتقل إلى آيات أخرى في القصة ، وتقرأ بعد ذلك مقطعا في التشريع وأحكام الحلال والحرام ، فلا تجد الصياغة خلال ذلك إلا في أوج رفيع عجيب من الاشراق والبيان ، وتنظر فتجد المعاني كلها لاحقة بها شامخة إليها . ودونك فاقرأ ما شئت من هذا الكتاب المبين متنقلا بين مختلف معانيه ، وموضوعاته لتتأكد من صدق ما أقول ، ولتلمس برهانه عن تجربة ونظر . ويقول الرافعي في معرض حديثه عن أسلوب القرآن : لا ترى غير صورة واحدة من الكمال ، وإنْ اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام . ويقول في معرض حديثه عن روح التركيب في أسلوب القرآن : وهذه الروح لم تُعرف قط في كلام عربي غير القرآن ، وبها انفرد نظمه ، وخرج مما يطيقه الناس ، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين ، إذ نراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة ، وتأليفها ، ثم إلى تأليف هذا النظم ، فمن هنا تعلق بعضه على بعض ، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب ، وأنّ العبارات على جملة ما حصل به من جهات الخطاب : كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم ، ضرب الأمثال إلى نحوها مما يقدر عليه . ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ، وموقعها في النفوس ، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازا ، كما تعرف من كلام البلغاء ، عند تباين الوجوه التي يتصرف فيها ، على أنهم قد رفهوا عن أنفسهم وكفوها أكبر المؤونة فلا يألون أنْ يتوخوا بكلامهم إلى أغراض ومعان يعذب فيها الكلام ويتسق القول وتحسن الصنعة مما يكون أكبر حسنا في مادته اللغوية ، وذلك شائع مستفيض في مأثور الكلام إلى غيره ، وأفضوا بالكلام إلى المعنى ما يشبه في اثنين متقابلين من الناس منظر قفا إلى وجه . وعلى أننا لم نعرف بليغا من البلغاء تعاطى الكلام في باب الشرع وتقرير النظر ، وتبيين الأحكام ونصب الأدلة وأقام الأصول والاحتجاج لها والرد على خلافها إلا جاء بكلام نازل عن طبقة كلامه في غير هذه الأبواب ، وأنت قد تصيب له في غيرها اللفظ الحر والأسلوب الرائع والصنعة المحكمة والبيان العجيب ، والمعرض الحسن فإذا صرت إلى ضروب من تلك المعاني ، وقعت ثمة على شيء كثير من اللفظ المستكره ، والمعنى المستغلق ، والسياق المضطرب والأسلوب المتهافت والعبارة المبتذلة ، وعلى النشاط متخاذلا ، والعُرى محلولة ، والوثيقة واهنة .

<u>الخاصية الثالثة</u> : أنّ معانيه مصاغة بحيث يصلح أنْ يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم ، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم . خذ آية من كتاب الله تعالى مما يتعلق بمعنى تتفاوت في مدى فهمه العقول ، ثم اقرأها

على مسامع خليط من الناس يتفاوتون في المدارك، والثقافة، فستجد أنّ الآية تعطي كلا منهم معناها بقدر ما يفهم، وأنّ كلا منهم يستفيد منها معني وراء الذي انتهى عنده علمه . وفي القرآن الكثير من هذا وذاك فلنعرض أمثلة منه : من القبيل الأول قوله تعالى : " تباركَ الذي جعلَ في السماءِ بُروجاً وجعلَ فيها سِراجاً وقمراً منيراً " [سورة الفرقان] فهذه تصف كلا من الشمس والقمر بمعنين لهما سطح قريب يفهمه الناس كلهم، ولها عمق يصل إليه المتأملون والعلماء ، ولها جذور بعيدة يفهمها الباحثون والمتخصصون ، والآية تحمل بصياغتها هذه الدرجات الثلاثة للمعنى ، فتعطي طاقته وفهمه . فالعامي من العرب يفهم منها أنّ كلا من الشمس والقمر يبعثان بالضياء إلى الأرض ، وأنما غاير في التعبير عنه بالنسبة لكل منهما تنويعا للفظ ، وهو معنى صحيح تدل عليه الآية ، والمتأمل من علماء العربية يدرك من وراء ذلك أنّ الآية تدل على أنّ الشمس تجمع إلى النور الحرارة فلذلك سماها سراجا ، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه .

الخاصية الرابعة : وهي ظاهرة التكرار ، وفي القرآن من هذه الظاهرة نوعان :

أحدهما : تكرار بعض الألفاظ أو الجمل .

ثانيهما : تكرار بعض المعاني كالأقاصيص ، والأخبار .

فالنوع الأول : يأتي على وجه التوكيد ، ثم ينطوي بعد ذلك على نُكت بلاغية ، كالتهويل ، والإنذار ، والتجسيم ، والتصوير . وللتكرار أثر بالغ في تحقيق هذه الأغراض البلاغية في الكلام ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم " الحَاقَّةُ * ما الحَاقَّةُ * وما أدراكَ ما الحَاقَّةُ * " [سورة الحاقة] وقوله تعالى :" سأُصْليهِ سَقَرَ * وما أدراك ما سَقَرُ * [المدثر]

والنوع الثاني : وهو تكرار بعض القصص والأخبار يأتي لتحقيق غرضين هامين :

الأول : إيصال حقائق ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بالطريقة التي تألفها ، وهي تكرار هذه الحقائق في صور وأشكال مختلفة من التعبير والأسلوب ولقد أشار القرآن إلى هذا الغرض بقوله : (ولَقَدْ صَرَّفنا فِي هذا القرآنِ لِيَذَّكروا وما يزيدُهم إلا نفوراً) .

الثاني : إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارات ، وبأساليب مختلفة تفصيلا وإجمالا ، الكلام في ذلك حتى يتجلى إعجازه ، ويستبين قصور الطاقة البشرية عن تقليده أو اللحاق بشأوه ، إذ من المعلوم أنّ هذا الكتاب إنما تنزل لإقناع العقلاء من الناس بأنه ليس كلام بشر ، ولإلزامهم بالشريعة التي فيه ، فلابد فيه من الوسائل التي تفئ بتحقيق الوسيلة إلى كلا الأمرين .

ومن هنا كان من المحال أنْ تعثر في القرآن كله على معنى يتكرر في أسلوب واحد من اللفظ ، ويدور ضمن قالب واحد من التعبير ، بل لابد أنْ تجده في كل مرة يلبس ثوبا جديدا من الأسلوب ، وطريقة التصوير والعرض ، بل لابد أنْ تجد التركيز في كل مرة منها على جانب معين من جوانب المعنى أو القصة ولنضرب لك مثالا على هذا الذي نقول بقصة موسى عليه السلام إذ أنها أشد القصص في القرآن تكرارا ، فهي من هذه الوجهة تعطي فكرة كاملة على هذا التكرار .

وردت هذه القصة في حوالي ثلاثين موضعا ، ولكنها في كل موضع تلبس أسلوبا جديدا وتخرج إخراجا جديدا يناسب السياق الذي وردت فيه ، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر ، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل .

الخاصية الخامسة : وهي تداخل أبحاثه ، ومواضعه في معظم الأحيان فإنّ مَن يقرأ هذا الكتاب المبين لا يجد فيه ما يجده في عامة المؤلفات والكتب الأخرى من التنسيق والتبويب حسب المواضيع ، وتصنيف البحوث مستقلة عن بعضها ، وإنما يجد عامة مواضيعه وأبحاثه لاحقة ببعضها دونما فاصل بينهما ، وقد يجدها متداخلة في بعضها في كثير من السور والآيات . والحقيقة أنّ هذه الخاصة في القرآن الكريم ، إنما هي مظهر من مظاهر تفرده ، واستقلاله عن كل ما هو مألوف ومعروف من طرائق البحث والتأليف .

المظهر الثاني : المفردة القرآنية : إذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية رأيتها تمتاز بميزات ثلاث رئيسية هي : 1 - جمال وقعها في السمع .

2 - اتساقها الكامل مع المعنى .

3 - اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات . وقد نجد في تعابير الأدباء والبلغاء كالجاحظ والمتنبي كلمات تتصف ببعض هذه الميزات الثلاثة أما أنْ تجتمع كلها معا وبصورة مطردة لا تتخلف أو تشذ فذلك مما لم يتوافر إلا في القرآن الكريم وإليك بعض الأمثلة القرآنية التي توضح هذه الظاهر وتجليها : انظر إلى قوله تعالى في وصف كل من الليل والصبح : (والليلِ إذا عَسْعَسَ * والصُّبحِ إذا تنفَّسَ *) [سورة التكوير] ألا تشم رائحة المعنى واضحا من كل هاتين الكلمتين : عسعس وتنفس ؟ ألا تشعر أنّ الكلمة تبعث في خيالك صورة المعنى محسوسا مجسما دون حاجة للرجوع إلى قواميس اللغة ؟ وهل في مقدورك أنْ تتصور إقبال الليل ، وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدق وأدل من " عسعس " . وهل في مقدورك أنْ تتصور انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من " تنفس " ؟ اقرأ قوله تعالى : (يا أيُّها الذين آمَنوا مَا لَكمْ إذا قيلَ لَكُمُ انفِروا في سبيلِ اللهِ أثَّاقلتُمْ إلى الأرضِ أرضِيتُم بالحياةِ الدُّنيا مِنَ الآخرةِ فما متاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخرةِ إلا قليلٌ)[التوبة] .

وادرس الأداء الفني الذي قامت به لفظة " أثاقلتم " بكل ما تكونت به من حروف ، ومن صورة ترتيب هذه الحروف ، ومن حركة التشديد على الحرف اللثوي " الثاء " والمد بعده ، ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقلة ، ثم التاء المهموسة ، والميم التي تنطبق عليها الشفتان ، ويخرج صوتها من الأنف ، ألا تجد نظام الحروف ، وصورة أداء الكلمة ذاتها أوحت إليك بالمعنى ، قبل أنْ يَرِد عليك المعنى من جهة المعاجم ؟ ألا تلحظ في خيالك ذلك الجسم المتثاقل ، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل ؟ ألا تحس أنّ البُطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المتثاقل ؟

جرّب أنْ تبدِّل المفردة القرآنية ، وتحل محلها لفظة " تثاقلتم " ألا تحس أنّ شيئا من الخفة والسرعة ، بل والنشاط أوحت به " تثاقلتم " بسبب رصف حروفها ، وزوال الشدة ، وسبق التاء قبل الثاء ؟ إذن فالبلاغة تتم في استعمال " أثاقلتم " للمعنى المراد ، ولا تكون في تثاقلتم " .

المظهر الثالث : الجملة القرآنية وصياغتها : إنّ دراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالا مباشرا بدراسة المفردة القرآنية لأنّ هذه أساس الجملة ، ومنها تركيبها ، وإذا كان علماء البلاغة يجعلون البلاغة درجات ، فإنهم مقرون دون جدل أنّ صياغة العبارة القرآنية في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو الإعجاز ذاته . وللإعجاز فيها وجوه كثيرة فمنها : ما تجده من التلاؤم والاتساق الكاملين بين كلماتها ، وبين ملاحق حركاتها ، وسكناتها ، فالجملة في القرآن تجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف ، وأصوات يستريح لتآلفها السمع والصوت والمنطق ، ويتكون من تضامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع ، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال . اقرأ قوله تعالى : " ففتحنا أبوابَ السماءِ بماءٍ مُنهَمرٍ * وفجّرنا الأرضَ عيوناً فالتقى الماءُ على أمرٍ قدْ قُدرَ * " [سورة القمر] . وتأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها ، ثم دقق نظرك ، وتأمل تآلف الحروف الرخوة مع الشديدة والمهموسة والمجهورة وغيرها ، ثم تمعّن في تأليف وتعاطف الحركات والسكنات والمُدود اللاحقة ببعضها ، فإنك إذا تأملت في ذلك ، علمت أنّ هذه الجملة القرآنية . إنما صبت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار ، وأنّ ذلك إنما قدّر تقديرا بعلم اللطيف الخبير وهيهات للمقاييس البشرية أنْ تضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة .

ومنها : إنك تجد الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلا بأسطر وجمل كثيرة دون أنْ تجد فيه اختصار مُخِلا ، أو ضعفا في الأدلة . اقرأ قوله تعالى: (خُذ ِالعفوَ وأمُرْ بالعُرفِ وأعرضْ عنِ الجاهلينَ) [الأعراف] . ثم تأمل كيف جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم ، لأنّ في أخذ العفو صلة للقاطعين والصفح عن الظالمين . واقرأ قوله تعالى مخاطبا آدم عليه السلام : (إنّ لك ألا تجوعَ فيها ولا تعرَى * وأنّكَ لاتظمأُ فيها ولا تَضْحَى *)[سورة طه] ثم تأمل كيف جمع الله بهذا الكلام أصول معايش الإنسان كلها من طعام وشراب وملبس ومأوى . واقرأ قوله تعالى : (وأوحينا إلى أمِّ موسى أنْ أرْضعيهِ فإذا خِفتِ عليه فألقيه في اليَمِ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوه إليكِ وجاعلوهُ مِن المرسلينَ)[القصص]

وتأمل كيف جمعت هذه الآية الكريمة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين أما الأمرين فهما : " أرضعيه ، وألقيه في اليم ، وأما النهيان فهما " لاتخافي ، ولاتحزني " ، وأما الخبران فهما " أوحينا ، وخفت " وأما البشارتان فهما " إنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين " . وتأمل سورة " الكوثر " وهي أقصر سورة في القرآن إذ هي ثلاثة آيات قصار تضمنت ، على قلة آياتها الأخبار عن مغيبين ، أحدهما : الإخبار عن الكوثر " نهر في الجنة " وعظمته وسعته وكثرة أوانيه ، والثاني : الإخبار عن " الوليد بن المغيرة " وكان عند نزولها ذا مال وولد ، ثم أهلك الله سبحانه ماله وولده ، وانقطع نسله . ومنها : إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحس الملموس ، ثم بث الروح والحركة في هذا المظهر نفسه . ومكمن الإعجاز في ذلك ، أنّ الألفاظ ليست إلا حروفا جامدة ذات دلالة لغوية على ما أنيط بها من المعاني ، فمن العسير جدا أنْ تصبح هذه الألفاظ وسيلة لصب المعاني الفكرية المجردة في قوالب من الشخوص والأجرام والمحسوسات ، تتحرك في داخل الخيال كأنها قصة تمر أحداثها على مسرح يفيض بالحياة والحركة المشاهدة الملموسة . واستمع إلى القرآن الكريم وهو يصور لك قيام الكون على أساس من النظام الرتيب والتنسيق البديع الذي لايتخلف ، ولا يلحقه الفساد ، فيقول : (إنّ ربَّكُمُ اللهُ الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثُمَّ استوى على العرشِ يُغشِي الّيلَ النهارَ يطلبُه حثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجومَ مُسخَّراتٍ بأمرِه ألا لَه الخَلقُ والأمرُ تباركَ اللهُ ربُّ العالمينَ " [الأعراف] . إنه يصور لك هذا المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة بين عينيك ، وكأنك أمام آلات تتحرك بسرعة دائبة في نظام مستمر يعيها وتصورها الشعور والخيال .

<u>الباحثون في القرآن يجمعون على إعجازه</u> : الجاحظ ورأيه في بلاغة القرآن : الجاحظ هو مؤسس علم البيان العربي بلا منازع ، هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكتاني ، المعروف بالجاحظ البصري ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 255 هـ . ففي رسالة له بعنوان حجج نبوية يقول : إنّ محمدا صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة ، لها في العقل موقع كموقع فلق البحر في العين .. ذلك قوله لقريش خاصة وللعرب عامة مع مَن فيها من الشعراء والخطباء و البلغاء ، والحكماء وأصحاب الرأي والمكيدة ، والتجارب والنظر في العامة إنْ عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعواي ، وصدقتكم في تكذيبي ، ثم يقول : ولا يجوز أنْ يكون مثل العرب في كثير عددهم واختلاف عللهم وكلامهم ، وهو سيد علمهم ، وقد فاض بيانهم ، وجاشت به صدورهم ، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم ، حتى قالوا في الحيّات ، والعقارب ، والذئاب ، والكلاب ، والخنافس ، والحمير ، والحمام ، وكل ما دبّ على الأرض ولاح لعين ، وخطر على قلب ولهم أصناف النظم ، وضروب التأليف .. كالقصيد ، والرجز ، والمزدوج والمتجانس والاستماع والمنثور وبعد فقد هاجوه من كل جانب ، وهجا أصحابه شعراءهم ، ونازعوه وخطباءهم وحاجوه في الموقف وخاصموه في الموسم ، وباروه العدواة ، وناصبوه الحرب ، فقتل منهم وقتلوا منه .. وهم أثبت الناس حقدا ، وأبعدهم مطلبا ، ثم لايعارضه معارض ، ولم يتكلف ذلك خطيب وشاعر . ثم يقول : ومحال في التعارف ومستنكر في التصادف أنْ يكون الكلام أقصر عندهم ، وأيسر منونة عليهم ، وهو أبلغ في تكذيبه ، وأنقض لقوله ، أجدر أنْ يعرف ذلك أصحابه ، فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء عنه ، وهم يبذلون مهجهم وأموالهم ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمرهم وتوهينه ولا يقولون ، بل ولا يقول واحد من جماعتهم ، لِمَ تقتلوا أنفسكم وتستهلكوا أموالكم ، وتخرجون من دياركم والحيلة في أمره ميسرة والمأخذ في أمره قريب ؟ ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما في نظم كلامه ، كأصغر سورة يحتكم بها ، وكأصغر آية دعاكم إلى معارضتها ، بل لو نسوا ما تركهم حتى يذكرهم ، ولو تغافلوا ما ترك أنْ ينبههم ، فدل ذلك العاقل على أنّ أمرهم في ذلك لا يخلوا من أحد أمرين : إما أنْ يكونوا عرفوا عجزهم ، وأنّ مثل ذلم لا يتهيأ لهم ، فرأوا أنّ الإعراض عن ذكره ، والتغافل عنه في هذا الباب أمثل لهم في التدبير ، وأجدر ألا

ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف ، وأجدر أنْ يجدوا إلى الدعوة سبيلا ، وإلى اختراع الأنباء سببا . وإلا أنْ يكون غير ذلك ، ولا يجوز أنْ يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها ، لأنه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكماء مع اختلاف عللهم ن وبُعد هممهم ، وشدة عداوتهم ، بذلك الكثير ، وصون اليسير فكيف على العقلاء لأنّ تحبير الكلام أهون من القتال ومن إجراء المال .

مسيحوا العصر الحديث يعترفون بعظمة القرآن : اعترف الدكتور- ماردريس - المستشرق الفرنسي بعظمة القرآن الكريم وذلك بعد أنْ كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسية بترجمة (62) سورة من السور الطوال التي لا تكرار فيها ففعل وقال في مقدمة ترجمته الصادرة 1926 م أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق جل وعلا فإنّ الأسلوب الذي ينطوي على كنه الخالق الذي صدر عنه هذا الأسلوي لا يكون إلا إلها ، والحق الواقع أنّ أكثر الكتاب شكا وارتيابا قد خضعوا لسلطان تأثيره . ويورد الأستاذ - محمد صادق الرافعي - بعض تصريحات لمسيحيين عن بلاغه القرآن من هؤلاء ، أديب الملة المسيحية هو الشيخ إبراهيم البازجي وهو أبلغ كاتب أخرجته المسيحية ، وذلك في كتابه (نجعة الرائد) وكذلك أورد الدكتور - حسن ضياء الدين - تصريحا لأحد المسيحين يتضمن إعجابه بالإعجاز البياني بالقرآن الكريم وهذا الأديب الشاعر هو الشاعر المعاصر نقولا حنا

الإعجاز والبلاغة : لقد نشب صراع حاد وعنيف بين علماء البلاغة حول الصور والألوان البلاغية في القرآن الكريم ، هل هي معجزة أو غير معجزة ؟ ففريق منهم يرى أنها معجزة ، ويجعلها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، وفريق يرى أنها غير معجزة ، وينفي أنْ تكون من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، ومن هذا الفريق أبوبكر الباقلاني . والمسألة تحتاج إلى بحث وتحقيق ، وفي هذا الفصل من البحث سأقوم بتحقيقها ، وإظهار وجه الصواب فيها فأقول طالبا العون والتوفيق من الله وحده : إنّ هذه الصورة والألوان معجزة في القرآن ، وإعجازها راجع إلى نظمها ، فالقرآن الكريم كما سبق أنْ وضحنا معجز بنظمه ، وهذه الصور والألوان قد اقتضاها هذا النظم المعجز فأصبحت جزءا منه فتكون معجزة ولقد أشار إلى ذلك الشيخ عبدالقاهر الجرجاني عندما تعرض لتوضيح الاستعارة في قوله تعالى : " واشتعلَ الرأسُ شيباً " [سورة مريم] إنّ في الا ستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنَّظم والوقوف على حقيقته . ومن دقيق ذلك وخفيّه أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى : " واشتعلَ الرأسُ شيباً " لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها ، ولم يروا للمزية موجبا سواها ، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم ، وليس الأمر على ذلك ولا هذا الشرف العظيم ، ولا هذه المزية الجليلة ، وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة ولكن لأن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء . وهو لما هو من سببه ، فيرفع به ما يسند إليه ، ويؤتى بالذي الفعل له في المعني منصوبا بعده ، مبينا أنّ ذلك الإسناد ، وتلك النسبة إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا الثاني ، ولِمَا بينه وبينه من هذا الاتصال والملابسة كقولهم : طاب زيد نفسا وقر عمرو عينا ، وتصبب عرقا ، وكرم أصلا ، وحسن وجها وأشباه ذلك مما تجده منقولا عن الشيء إلى ما لذلك الشيء من سببه ، وذلك أنا نعلم أنّ " اشتعل " للشيب في المعنى ، وإنْ كان هو الرأس فقط ، كما أنّ ما أسند إليه يبين أنّ الشرف كان لأنْ سلك فيه هذا المسلك وتوخى به هذا المذهب ، أنْ تدع هذا الطريق فيه ، وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحا فتقول : " اشتعل الرأس " أو " الشيب في الرأس " ، ثم تنظر هل تجد ذلك الحس ، وتلك الفخامة . ؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها ؟ فإنْ قلت : فما السبب في أنْ كان " اشتعل " إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل ، ولم بَان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة ؟ فإنّ السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس ، الذي هو أصل المعنى ، الشمول ، وأنه قد شاع فيه ، وأخذه من نواحيه ، وأنه قد استقر به ، وعم جملته ، حتى لم يبق من السواد شيء ، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به . وهذا ما لا يكون إذا قيل : " اشتعل شيب الرأس " أو الشيب في الرأس بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة ، ووزن ذلك أنْ تقول : اشتعل البيت عليه ، وأخذت في طرفيه ووسطه ، وتقول : " اشتعلت النار في البيت " فلا يفيد ذلك ، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه ، وأصابتها جانبا منه ، فأما الشمول ، وأنْ تكون قد استولت على البيت ، وابتزته فلا يعقل من اللفظ التفجير للعيون في المعنى ، ووقع على الأرض في اللفظ ألبته . ونظير هذا في التنزيل قوله تعالى : " وفجَّرْنا الأرضَ عيوناً " [سورة القمر] التفجير للعيون في المعنى وواقع على الأرض في اللفظ كما أسند هناك الاشتعال إلى الرأس . وقد حصل بذلك من معنى الشمول ها هنا مثل الذي حصل هناك . وذلك أنه قد أفاد أنّ الأرض قد صارت عيونا كلها ، وأنّ الماء كان يفوز من كل مكان فيها ولو أجرى اللفظ على ظاهره فقيل : " وفجرنا عيون الأرض " ،" أو العيون في الأرض " لم يفد ذلك ، ولم يدل عليه ، ولكان المفهوم منه أنّ الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض ، وتنبجس من أماكن فيها " . من هذا النص يتضح لنا أنّ عبدالقاهر يرجع جمال الاستعارة وشرفها وروعتها في القرآن الكريم إلى نظمها العجيب البديع ، وكم كنت أود أنْ يتناول هذا الأديب الذواقة الصور والألوان البلاغية في القرآن بهذه العبارة الفياضة وبتلك الطريقة البيانية الرائعة التي تشف عن الجمال الأخاذ والإعجاز الرائع الذي يكمن في هذه الصور ، وينبع من نظمها العجيب الذي لا يقدر على مثله بشر ، ولكنه وقف عند لمحة من لمحاته الجزئية شأنه في ذلك شأن غيره من بلغاء عصره .

من روائع التشبيه في القرآن الكريم : قال تعالى : "إنّما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كمَاءٍ أنزلْناهُ مِن السماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ مِمّا يأكلُ الناسَ والأنعامَ حتى إذا أخذتِ الأرضُ زخرفَها وازَّيّنتْ وظنَّ أهلُها أنَّهم قادرونَ عليها أتَاها أمرُنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لَمْ تَغْنَ بالأمسِ كذلك نفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يتفكرونَ " [سورة يونس] شبّه القرآن حال الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها ، واغترار الناس بها ، بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب ، وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة ، حتى إذا طمع أهلها فيها ، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأء فكأنها لم تكن بالأمس . تأمل بعقلك وخيالك وذوقك نظم الآية الكريمة أنها مكونة من عشر جمل لو سقط منها شيء اختل التشبيه، وانظر إلى هذه الجمل تجد كل جملة تعبر عن مشهد من مشاهد الحياة الدنيا ، وقد رتبت ترتيبا عجيبا كأنّ كل جملة منها تلد التي تليها ، وقد تكونت كل جملة من طائفة من

الكلمات تألفت بأصواتها وظلالها وأجراسها فعبرت أصدق تعبير عن المشهد الذي استقلت به ، ولو غيرت حرفا بآخر اختل بمقدار ، بحيث إذا أخرت أو قدمت أو غيرت كلمة بأخرى أو حرفا بآخر اختل المعنى ، وتبعثرت مشاهد الصورة الدنيوية . قال تعالى : " مَثَلُ الذِينَ كفروا بربِّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدتْ به الرِّيحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرونَ مِمَّا كسبوا على شيءٍ ذلكَ هو الضَّلالُ البعيدُ "[سورة إبراهيم] الذين كفروا في ضياعها ، وذهابها إلى غير عودة بهيئة رماد تذروه الرياح وتذهب به بددا إلى حيث لا يتجمع أبدا .
تأمل نظم الآية تجد كل كلمة قارّة في مكانها ، مطئنة في موضعها لا تشكو قلقا ولا اضطراب ، معبرة في دقة وصدق عن معناها ، وتأمل تناسق الكلمات وتألقها ، وترتيب الجمل وتعانقها ، ومخارج الحروف وأصواتها ، وإيحاءات الألفاظ وإشاراتها تجد نظما عجيبا لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات . تأمل كلمة " رماد " إنها توحي بخفة الوزن ، وتأمل ، " اشتدت " فإنها توحي بسرعة الرياح وتأمل كلمة " عاصف " فإنها توحي بالعنف . تأمل كيف أبرز لك هذا الشبيه ببديع نظمه الصورة حية متحركة كأنك تراها وتلمسها . قال تعالى : (ومَثَلُ الذِينَ ينفقونَ أموالَهُمُ ابتغاءَ مَرضَاتِ اللهِ وتثبيتاً مِنْ أنفسِهِمْ كمثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أصابها وابِلٌ فآتَتْ أُكُلَها ضِعفَينِ فإنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ واللهُ بما تعملونَ بصيرٌ)[البقرة] . شبه القرآن الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضاة الله في كثرة ثوابها ومضاعفة أجرها بجنة فوق ربوة أصابها مطر غزير فأخصبت تربتها ، وتضاعف أكلها . تأمل نظم الآية العجيب كلمات إلهية لا يصلح في مكانها غيرها تعبر عن معانيه في دقة وإحكام ، وتنبعث منها لطائف وأنوار ، وينطوي تحتها الكثير من العجائب والأسرار ، وجمل ربانية متناسقة متلاحقة قد فصلت على معانيها بمقدار ، وحروف ذات أصوات وأنغام تبعث في الصورة الحركة وتبث فيها الحياة . إنّ مَن يقرأ الآية الكريمة ، يتذوق حلاوتها يُخيَّل إليه أنه يرى هذه الصورة الغيبية الخفية أمام عينيه وأنه يلمسها بيديه . أبَعْدَ هذا التصوير يأتي مكابر مجهول يصف التشبيه القرآني بأنه عن الإعجاز معزول ؟قال تعالى : (مَثَلُ الذِينَ اتَّخذوا مِن دونِ اللهِ أولياءَ كمثَلِ العنكبوتِ اتَّخذَتْ بيتاً وإنَّ أوْهَنَ البُيُوتِ لَبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمونَ)[العنكبوت] . شبه القرآن الكريم حال هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أندادا في لجوئهم واحتمائهم بهؤلاء الأنداد الضعفاء المتناهين في الضعف بحال العنكبوت حينما تأوي إلى بيتها الضعيف الواهن وتحتمي به . صورة عجيبة تلح على الحس والوجدان ، وتسترعي الانتباه ، وتسترق الأسماع وتبهر الألباب وتستولي على الأحاسيس والمشاعر ، ويقف أمامها دهاقين الكلام حيارى يتساءلون كيف نظمت هذه الصورة ؟ وكيف تكونت ؟ ثم لا يجدون مَن يجيبهم على تساؤلاتهم ، لأنّ البشر مهما أوتوا من البراعة والبيان لا يمكنهم الوصول إلى معرفة سر نظم القرآن . إنها تصور لك هؤلاء العباد الغافلين بصورة العناكب الضئيلة الواهنة ، وتصور لك هؤلاء الضعفاء العاجزين بصورة بيت العنكبوت الذي يضرب به المثل في الضعف والوهن . وأظنك أيها القارئ الكريم لست في حاجة إلى أنْ أحدثك عن نظم هذه الصورة البلاغية فذلك متروك لذوقك وإحساسك ، ولكنني أدعوك إلى النظر والتأمل في الكلمات التي اختيرت للمشبه به ونظمت منها صورته "كمثل العنكبوت اتخذت بيتا .. " هل في مقدورك أو في مقدور أي بليغ مهما كان حظه من الفصاحة البيانية ، ومهما كان يحفظ من مفردات اللغة العربية أنْ يأتي بألفاظ تسد مسد هذه الألفاظ التي نظمت منها صورة المشبه به ؟ إنّ أحد من البشر لن يستطيع ، واللغة العربية على اتساع مفرداتها ليس فيها ما يسد مسد هذه الألفاظ . إنها الصياغة الإلهية يقف البشر أمامها عاجزين حيارى مذهولين . قال تعالى : " واتْلُ عليهِمْ نبأَ الذي آتيناهُ آياتِنا فانسلَخَ منها فَأَتْبَعَهُ الشيطانُ فكانَ مِن الغاوينَ * ولو شِئنا لَرفَعْنَاه بها ولكنَّه أخلدَ إلى الأرضِ واتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كمثَلِ الكلبِ إن تَحْملْ عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهث ذلكَ مَثَلُ القومِ الذِينَ كذَّبوا بآياتِنا فاقْصُصِ القصصَ لعلهمْ يتفكرونَ * ساءَ مثَلُ القومِ الذِين كذَّبوا بآياتِنا وأنفسَهُمْ كانوا يظلمونَ * " [سورة العنكبوت] . تأمل الصورة التشبيهية التي اشتملت عليها الآية الكريمة . لقد شبه القرآن الكريم في هذه الآية حال الكذب بآيات الله في إصرار على ضلالة في جميع أحواله كالكلب في إدامة اللهثان إنها صورة فنية رائعة أحكم القرآن الكريم صياغتها ، وأجادت الريشة الإلهية رسمها ، تكشف في جلاء ووضوح عن حقيقة هذا الكلب الضال ، إنه حقير قذر ، لا يؤثر فيه النصح والإرشاد ولاينفع معه الوعظ والتذكير ، قد ركب رأسه ، ولجّ في ضلاله ، واتخذ الشيطان إلها من دون الله ثم تأمل الكلمات التي نظمت منها صورة المشبه به لاتجد في مفردات اللغة – على كثرتها – مَن يقوم مقامها ويسد مسدها ، ثم تأمل كلمة " الكلب " وحدها لا تجد كلمة في اللغة تصور هذا المعنى وتبرزه في صورة حية متحركة سواها ، إذ كل مخلوق إنما يلهث من مرض أو عطش أو إعياء إلا الكلب فإنه يلهث في جميع أحواله في حال الدلال وفي حالة الراحة ، وفي حالة الصحة والمرض وفي حالة الري والعطش . قال تعالى : (وحوٌر عينٌ * كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ * جزاءً بما كانوا يعملونَ *) [سورة الواقعة] شبّه القرآن الكريم الحور العين باللؤلؤ المكنون في الصفاء والنقاء والهدوء والصيانة . تأمل نظم هذه الصورة التشبيهية الإلهية أنه فوق طاقة البشر . ثم تأمل هذه الكلمة العجيبة " اللؤلؤ " هل في مقدورك أو في مقدور أي بليغ مهما أوتي من البراعة والبيان أنْ يأتي بكلمة أخرى تؤدي معناها ، وتصور ما صورته ؟ ثم تأمل الدقة في صفة هذا اللؤلؤ بكونه مكنونا . إنّ اللؤلؤ فيه الصفاء والهدوء والنقاء ، وهو أحجار كريمة من شأنها أنْ تصان ويحرص عليها . تأمل الارتباط العجيب والصلة الوثيقة بين الحور العين واللؤلؤ المكنون ، أنه الإعجاز يلبس ثوب التشبيه فيقف البلغاء أمامه ضعفاء قد استولت عليهم الحيرة وسيطرت على عقولهم الدهشة وداعبت أنامل الإعجاب حبات قلوبهم . فخروا ساجدين لعظمته ، وشهدوا بأنه البيان الإلهي الذي لا يقدر عليه بشر . قال تعالى : (يومَ يكونُ الناسُ كالفَراشِ المبثوثِ * وتكونُ الجبالُ كالعِهنِ المنفوشِ * فأمّا مَن ثقُلَتْ موازينُهُ * فهو في عيشة راضيةٍ وأمّا مَن خفّتْ موازينُهُ * فأمُّهُ هاويةٌ * وما أدراكَ ماهِيَه * نارٌ حامِيَةٌ *)[سورة القارعة]. شبه القرآن الكريم الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث في ضعفهم وضآلتهم وتهافتهم . وشبه الجبال بالعهن " الصوف " المنفوض في هشاشتها وخفتها .
مشهدان رائعان رسمتهما الريشة الإلهية فأجادت وأعجزت ، وسخرت وأدهشت . تأمل هذه الكلمة " الفراش " إنها تصور لك بظلها وجرسها ، وإيحائها الناس في هذا اليوم في منتهى الضعف والضآلة ، وهم مستخفون من هول هذا اليوم . وتأمل الدقة في وصف الفراش بكونه مبثوثا أنّ هذا الوصف يصور لك كثرة الناس في هذا اليوم وتهافتهم . ُثم حدثني بربك هل في مفردات اللغة

كلمة تصور هذا المشهد سوى هذه الكلمة القرآنية ؟ وهل هناك أعجب من هذه الدقة في وصف الفراش بكونه مبثوثا ؟ ثم دقق نظرك في كلمة " العهن " هل في قواميس اللغة العربية كلمة أقدر على تصوير هذا المشهد من هذه الكلمة ؟ إنها بجمالها وظلها وجرسها الساحر تصور لك الجبال الضخمة الثابتة بالصوف المنفوش الذي تتقاذفه الرياح الهوجاء . ثم تأمل بعقلك وخيالك الدقة والإحكام في وصف العهن بكونه منفوشا ، إنّ هذا الوصف يصور لك الجبال الضخمة الثابتة في منتهى الهشاشة والخفة . إنه النَّظم القرآني يبهر العقول ، ويطير بالألباب ، ويذهب بسر البلاغة وسحر البيان .

من روائع الاستعارة في القرآن الكريم : قال تعالى : " وآيةٌ لهُمُ الّيلُ نسلخُ منه النهارَ فإذا هم مظلمونَ " [يس] استعير في الآية الكريمة : " السلخ " وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلا قليلا ، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافيا ، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة ، وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل والنور طارئ عليها ، يسترها بضوئه . وهذا التعبير الفني يسميه علماء البلاغة " الاستعارة التصريحية التبعية " استعارة رائعة وجميلة ، إنها بنظمها الفريد وبإيحائها وظلها وجرسها قد رسمت منظرا بديعا للضوء وهو ينحسر عن الكون قليلا قليلا وللظلام وهو يدب إليه في بطء . إنها قد خلعت على الضوء والظلام الحياة ، حتى صارا كأنهما جيشان يقتتلان ، قد انهزم أحدهما فولّى هاربا ، وترك مكانه للآخر . تأمل اللفظة المستعارة وهي " نسلخ " إنّ هذه الكلمة هي التي قد استقلت بالتصوير والتعبير داخل نظم الآية المعجز فهل يصلح مكانها غيرها ؟ قال تعالى : " والصُّبحِ إذا تنفَّسَ " [التكوير] استعير في الآية الكريمة خروج النفس شيئا فشيئا لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا بمعنى النفس ، تنفس بمعنى خرج النور من المشرق عند انشقاق الفجر . استعارة قد بلغت من الحسن أقصاه ، وتربعت على عرش الجمال بنظمها الفريد ، إنها قد خلعت على الصبح الحياة حتى لقد صار كائنا حيا يتنفس ، بل إنسانا ذا عواطف وخلجات نفسية ، تشرق الحياة بإشراق من ثغره المنفرج عن ابتسامة وديعة وهو يتنفس بهدوء ، فتتنفس معه الحياة ، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء ، أرأيت أعجب من هذا التصوير ، ولا أمتع من هذا التعبير ؟ ثم تأمل اللفظة المستعارة وهي " تنفس " إنها بصوتها الجميل وظلها الظليل ، وجرسها الساحر قد رسمت هذه الصورة البديعة في إطار نظم الآية المعجزة ، فهل من ألفاظ اللغة العربية على كثرتها ما يؤدي ما أدته ، ويصور ما صورته ؟قال تعالى : (إنّا لَمّا طغَى الماءُ حملْناكمْ في الجاريةِ)[الحاقة] . استعير في الآية الكريمة : " الطغيان " لأكثر الماء بجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعارة المفرطة في كل منها .ثم اشتق من الطغيان : "طغى" بمعنى كثر ، استعارة فريدة لا توجد في غير القرآن إنها تصور لك الماء إذا كثر و فار و اضطرب بالطاغية الذي جاوز حده وأفرط في استعلائه أرأيت أعجب من هذا التصويرالذي يخلع على الماء صفات الإنسان الأدمي ؟ ثم تأمل اللفظة المستعارة "طغى" إنها بصوتها وظلها و جرسها و إيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الساحرة في إطار نظم الآية المعجز. قال تعالى : (فاصْدعْ بما تُؤمَرُ وأعرضْ عنِ المشركينَ) [الحجر]

استعير في الآية الكريمة : " الصدع " وهو كسر الزجاج للتبليغ بجامع التأثير في كل منهما أما في التبليغ فلأن المبلغ قد آثر في الأمور المبلغة ببيانها بحيث لا تعود إلى حالتها الأولى من الخفاء و أما في الكسر فلأن فيه تأثير لا يعود المكسور معه إلى التئامه . ثم اشتق من الصدع معنى التبليغ اصدع بمعنى بلغ استعارة رائعة و جميلة إنها تبرز لك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة مادة يشق بها ويصدع إنها تبرز لك المعنى المعقول في صورة حسية متحركة كأنك تراها بعينك وتلمسها بيدك تأمل اللفظة المستعارة " اصدع " إنها بصورتها و جرسها و إيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الفردية المؤثرة إذ أنّ مَن يقرأها يخيّل إليه أنه يسمع حركة هذه المادة المصدوعة ، تخيل لو استبدلت كلمة " اصدع " بكلمة " بلغ " ألا تحس أنّ عنصر التأثير قد تضاءل وأنّ الصورة الحية المتحركة قد اختفت وأنّ المعنى قد أصبح شاحبا باهتا ؟ إنّ اللفظة المستعارة هي التي رسمت هذه الصورة في إطار نظم الآية المعجزة . قال تعالى : (وترَكْنا بَعضَهمْ يومئذٍ يموجُ في بعضٍ ونُفِخَ في الصورِ فجَمَعْناهمْ جَمْعاً)[الكهف] . استعير في الآية الكريمة الموج " حركة الماء " للدفع الشديد بجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة ثم اشتق من الموج بمعنى الدفع الشديد " يموج " بمعنى يدفع بشدة . إنّ هذه الاستعارة القرآنية الرائعة تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس احتشادا لا تدرك العين مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه من البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب . تأمل اللفظة المستعارة أنها في إطار نظم الآية المعجزة قد استقلت برسم هذا المشهد الفريد بصوتها وجرسها وإيحائها .

قال تعالى : (ألر كتابٌ أنزلناهُ إليكَ لِتُخرجَ الناسَ مِنَ الظلماتِ إلى النورِ بإذْنِ ربِّهم إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ) [إبراهيم] . استعير في الآية الكريمة الظلمات للضلال بجامع عدم الاهتداء في كل منها .. واستعير النور بجامع الاهتداء في كل منها . وهذا المسلك الأدبي يسميه علماء البلاغة " الاستعارة التصريحية الأصلية " . هذه الاستعارة الفريدة تجعل الهدى والضلال يستحيلان نورا وظلمة . إنها تبرز المعاني المعقولة الخفية في صورة محسوسة ، حية متحركة كأن العين تراها واليد تلمسها . تأمل كلمة " الظلمات " إنها تصور لك بظلامها الضلال ليلا دامسا يطمس معالم الطريق أمام الضلال فلا يهتدي إلى الحق ، ثم تأمل الدقة القرآنية في جمع " الظلمات " أنه يصور لك إلى أي مدى ينبهم الطريق أمام الضلال فلا يهتدون إلى الحق وسط هذا الظلام المتراكم . ثم تأمل كلمة " النور " أنها بنورها تصور لك الهداية مصباحا منيرا ينير جوانب العقل والقلب ويوضح معالم الطريق أمام المهتدي فيصل في سهولة ويسر إلى الحق فينتفع به فيطمئن قلبه وتسكن نفسه ويحظى بالسعادة في دنياه وأخراه .

من روائع الكناية في القرآن الكريم : قال تعالى : (نساؤُكمْ حرثٌ لكمْ فأتُوا حرْثَكمْ أنَّى شئتمْ) [البقرة] . لقد كنّى القرآن الكريم في هذه الاية بكلمة " الحرث " عن المعاشرة الزوجية . إنّ هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم فهي لطيفة دقيقة راسمة مصورة ، مؤدية مهذبة ، فيها من روعة التعبير وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان ، ولا يدركه إلا مَن تذوق حلاوة القرآن . إنها عبرت عن المعاشرة الزوجية التي من شأنها أنْ تتم في السر والخفاء بالحرث وهذا النوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية ، وتنطوي تحته معاني كثيرة تحتاج في التعبير عنها إلى آلاف الكلمات ، انظر إلى ذلك التشابه بين

صلة الزارع بحرثه وصلة الزوجة في هذا المجال الخاص ، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث ، وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة ، وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح كل هذه الصور والمعاني تنطوي تحت كلمة " الحرث " أليست هذه الكلمة معجزة بنظمها وتصورها ؟ هل في مفردات اللغة العربية – على كثرتها – ما يقوم مقامها ويؤدي ما أدته ويصور ما صورته . إنّ المعنى لا يتحقق إلا بها ، وعن التصوير لا يوجد بسواها . قال تعالى : (فاتقوا النارَ التي وَقودُها الناسُ والحجارةُ أعِدَتْ لِلكافرينَ)[البقرة] . هذه الآية كناية عن عدم العناد عند ظهور المعجزة . أي لا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من جمال التعبير ، وروعة التصوير ، ولطافة الإيجاز . إنها عبرت عن العناد عند ظهور المعجزة بالنار العظيمة ، وهذا التعبير فيه ما فيه من شدة التنفيذ وقوة التأثير ، ثم أنّ هذا التعبير قد أبرز لك هذا المعنى الفكري المجرد في صورة محسوسة ملموسة ولم يقف عند هذا الحد من التجسيم والتشخيص بل تعداه إلى التصيير والتحويل . فحوّله على نار ملتهبة متأججة متوهجة بل تعداه إلى أعجب من هذا التصوير ، ولا أروع ولا ألذ من هذا التعبير ؟ إنه الإعجاز يلبس ثوب الكناية فتنحني له هامات البلغاء ، ويثير في النفس أسمى آيات الإعجاب . قال تعالى : (ولكن لا تُواعِدوهُنَّ سراً) [البقرة] . في هذه الآية كنّى القرآن الكريم عن الجماع بالسر . تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من اللطائف والأنوار والأسرار . إنّ في الكناية بالسر عن الجماع من ألوان الأدب والتهذيب ما يعجز عن وصفه أساطين البيان ، وفيها من جمال التعبير ما يسترق الأسماع ويهز العواطف ويحرك الأحاسيس والمشاعر . لقد ألبست الجماع الذي يتم في السر ثوب السر فذهبت بسر الفصاحة والبيان . أبَعْدَ هذا يقال أنّ الكناية في القرآن يستطيع أنْ يحاكيها بنو الإنسان ؟ أبداً والله ، إنّ بني الإنسان من العجز بحيث لا يمكنهم فهم ما تنطوي عليه الكناية في القرآن من الأسرار . قال تعالى : (إنّ الذينَ كفروا بعدَ إيمانِهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقْبَلَ توبتُهم وأولئكَ هُمُ الضَّالونَ) [سورة آل عمران] . كنّى القرآن الكريم في هذه الآية بنفي التوبة عن الموت على الكفر . تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من الجمال والروعة . ألا تحس أنّ التعبير الذي كنى به القرآن أجمل من أي تعبير آخر ؟ ألا تحس أنّ في هذا التعبير إيجاز لطيف ؟ إنّ التعبير بجماله وإيجازه وبديع نظمه فوق مقدرو البشر

قال تعالى : (فجعلَهمْ كعَصفٍ مأكولٍ)[سورة الفيل] . كنى القرآن الكريم " بالعصف المأكول " عن مصيرهم إلى العذرة فإنّ الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك . تأمل هذه الكناية إنّ فيها من ألوان الأدب والجمال ما لا يستقل به بيان ، وفيها من الإعجاز اللطيف ما يعجز عن وصفه مهرة صناع الكلام . أما الأدب والجمال ففي التعبير عن العذرة بالعصف المأكل وهذا التعبير مما أنفرد به القرآن فلا يوجد في غيره ، وأما الإيجاز اللطيف ففي اختصار مقدمات لا أهمية لها بالتنبيه على النتيجة الحاسمة التي يتقرر فيها المصير . وفيها زيادة على ذلك التلازم الوثيق بين اللفظ والمعنى الكنائي الذي لا يتخلف أبدا فإنّ العصف المأكول لابد من صيرورته إلى العذرة . فالمعنى لا يؤدي إلا بهذا اللفظ لا يصلح لهذا المعنى حتى لتكاد تصعب التفرقة بينهما فلا يدري أيهما التابع ؟ وأيهما المتبوع ؟ ومن هنا يأتي الإعجاز . قال تعالى : (ولا تجعلْ يدَكَ مغلولةً إلى عُنُقِكَ ولا تبْسُطْها كلَّ البَسْطِ فتقعدَ مَلوماً محسوراً) [سورة الإسراء] . كنّى القرآن الكريم في هذه الآية بغل اليد إلى العنق عن البخل ، وببسطها كل البسط عن الإسراف . تأمل الكنايتين تجد فيهما من روائع البيان ما لا يحيط به فكر إنسان فيهما جمال في التعبير ، وروعة في التصوير ، وإيجاز وتأثير ، وتنفير . حدثني بريك ألا ترى أنّ التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق فيه تصوير محسوس لهذه الخلة المذمومة في صورة بغيضة منفرة ؟ فهذه اليد التي غلت إلى العنق لا تستطيع أنْ تمتد ، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذي لا تستطيع يده أنْ تمتد، بإنفاق ولا عطية . والتعبير ببسطها كل البسط يصور هذا المبذر لا يبقي من ماله على شيء كهذا الذي يبسط يده فلا يبقى بها شيء . وهكذا استطاعت الكناية أنْ تنقل المعنى قويا مؤثرا ثم تأمل التلازم الوثيق الذي لا يتخلف أبدا بين التعبير والمعنى الكنائي . إنّ هذا التلاءم يدلك على أنّ المعنى الكنائي لا يمكن تأديته وتصويره إلا بهذا التعبير ، وأنّ هذا التعبير لا يصلح إلا لهذا المعنى . هل في مقدور البشر أنْ يحاكوا هذا الأسلوب ؟

<u>الإعجاز في نغم القرآن :</u> إنك إذا قرأت القرآن قراءة سليمة ، وتلاوة صحيحة أدركت أنه يمتاز بأسلوب إيقاعي ينبعث منه نغم ساحر يبهر الألباب ، ويسترق الأسماع ، ويسيل الدموع من العيون ويستولي على الأحاسيس والمشاعر ، وأنّ هذا النغم يبرز بروزاً واضحا في السور القصار والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ، ويتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطوال ولكنه ـ على كل حال ـ ملحوظ دائما في بناء النظم القرآني إنه تنوع موسيقي الوجود في أنغامه وألحانه . ولعلنا لا نخطئ إنْ رددنا سحر هذا النغم إلى نسق القرآن الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعا يقول المرحوم الأستاذ سيد قطب : " على أنّ النسق القرآني قد جمع بين مزايا الشعر والنثر جميعا ، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ في الوقت ذاته خصائص الشعر ، الموسيقي الداخلية والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغنى عن التفاعيل ، والتقفية التي تغني عن القوافي ، وضم ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا فجمع النثر والنظم جميعا " . اقرأ معي الآيات الأولى من سورة النجم : بسم الله الرحمن الرحيم (والنَّجمِ إذا هوَى * ما ضَلَّ صاحبُكمْ وما غوَى *وما ينطقُ عنِ الهوَى * إنْ هوَ إلا وَحيٌ يُوحَى * علَّمه شديدُ القوى * ذو مرةٍ فاستوى * وهو بالأفقِ الأعلَى * ثُمَّ دَنا فتدلَّى * فكانَ قابَ قوسَينِ أو أدْنَى * فأوحَى إلى عبدِه ما أوحَى * ما كذَّبَ الفؤادُ ما رأى * أفَتُمارونه على ما يَرَى * ولقدْ رءاهُ نزْلَةً أخرَى * عندَ سدرةِ المنتَهى * عندها جنَّةُ المأوَى * إذ يغشَى السدرةَ ما يغشَى * ما زاغَ البَصَرُ وما طغَى * لقدْ رأى مِن آياتِ ربِّه الكبرَى * أفَرَيتُمُ اللاتَ والعُزَّى * ومناةَ الثالثةَ الأخرى * ألكُمُ الذَّكرُ وله الأنثَى * تلكَ إذًا قسمةٌ ضِيزَى) [سورة النجم]

تأمل الآيات تجد فواصل متساوية في الوزن تقريبا ـ على نظام غير نظام الشعر العربي ـ متحدة في حروف التقفية تماما ، ذات إيقاع موسيقي متحد ، وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية ، لأنه ينبعث من تألف الحروف في الكلمات ، وتناسق الكلمات في الجمل ، ومرده إلى الحس الداخلي ، والإدراك الموسيقي ، الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع ، ولو اتحدت الفواصل

والأوزان . والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقي والإيقاع ، ولو اتحدت الفواصل والأوزان . ولا يعني هذا أنّ كلمة " الأخرى " أو كلمة " الثالثة " أو كلمة " إذن زائدة لمجرد القافية أو الوزن ، فهي ضرورية في السياق لنكث معنوية خاصة . وتلك ميزة فنية أخرى أنْ تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق لنكث معنوية خاصة وتلك ميزة فنية أخرى أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق ، وتؤدي تناسبا في الإيقاع ، دون أنْ يطغى هذا على ذلك ، أو نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه ، أو عدلت في النظم أي تعدل . وإنّ هذا النغم القرآني ليبدو في قمة السحر والتأثير في مقام الدعاء ، إذ الدعاء ـ بطبعه ـ ضرب من النشيد الصاعد إلى الله ، فلا يحلو وقعه في نفس الضارع المبتهل إلا إذا كانت ألفاظه جملية منتقاة وجمله متناسقة متعانقة ، وفواصله متساوية ذات إيقاع موسيقي متزن ، والقرآن الكريم لم ينطق عن لسان النبيين والصديقين والصالحين إلا بأحلى الدعاء نغما ، وأروعه سحرا وبيانا . إنّ النغم الصاعد من القرآن خلال الدعاء يثير بكل لفظة صورة وينشئ في كل لحن مرتعاً للخيال فسيحاً : فتصوّر مثلا ـ ونحن نرتل دعاء زكرياء عليه السلام شيخا جليلا مهيبا على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة ، وشعاع من نور ، ونتمثل هذا الشيخ الجليل ـ على وقاره ـ متأجج العاطفة ، متهدج الصوت ، طويل النفس ، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب في أعماق شديدة التأثير . بل إنّ زكريا في دعائه لَيُحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه خوفا من انقطاع عقبه ، وهو قائم يصلي في المحراب ينادي اسم ربه نداء خفيا ، ويكرر اسم " ربه " بكرة وعشيا ، ويقول في لوعة الإنسان المحروم وفي إيمان الصِّدِّيق الصفي : (قالَ ربِّ إنّي وَهَنَ العظمُ مِنِّي واشتعلَ الرأسُ شيباً ولمْ أكن بدُعائِكَ ربِّ شقياً * وإنّي خفتُ المَوالِيَ مِن ورائي وكانتِ امرأتِي عاقِراً فهَبْ لي مِن لدُنكَ ولياً * يرثُنِي ويرثُ مِن آلِ يعقوبَ واجْعلْه ربِّ رضياً *) [سورة مريم].

وإنّ البيان ليرقي هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحول عند الوقف ألفا لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق : فهذه الألف اللينة الرخية المنسابة تناسقت بها " شقيا ـ وليا ـ رضيا " مع عبدالله زكريا ينادي ربه نداء خفيا ، ولقد استشعرنا هذا الجو الغنائي ونحن نتصور نبيا يبتهل وحده في خلوة مع الله ، وكدنا نصغي إلى ألحانه الخفية تتصاعد في السماء ، فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين وهم يشتركون : ذكرانا وإناثا ، شبانا بأصوات رخيمة متناسقة تصعد معا وتهبط معا وهي تجأر إلى الله ، وتنشد هذا النشيد الفخم الجليل : (ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ، وما للضالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) . إنّ في تكرار عبارة " ربنا " لَمَا يلين القلب ، ويبعث فيه نداوة الإيمان ، وأنّ في الوقوف بالسكون على الراء المذلقة المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يُعين على الترخيم والترنيم ، ويعوض في الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان . ولئن كان في موقفي الدعاء هذين نداوة ولين ، ففي بعض مواقف الدعاء القرآني الأخرى صخب رهيب ، هاهو ذا نوح عليه السلام يدأب ليلا ونهارا على دعوة قومه إلى الحق ، ويصر على نصحهم سرا وعلانية ، وهو يلِجُّون في كفرهم وعنادهم ، ويفرون من الهدى فرارا ، ولا يزدادون إلا ضلالا واستكبارا ، فما على نوح ـ وقد أيس منهم ـ إلا أنْ يتملكه الغيظ و يمتلئ فمه بكلمات الدعاء الثائرة الغضبي تنطلق في الوجوه مديدة مجلجلة ، بموسيقاها الرهيبة ، وإيقاعها العنيف ، وما تتخيل الجبال إلا دكا ، والسماء إلا متجهمة عابسة والأرض إلا مهتزة مزلزلة ، والبحار إلا هائجة ثائرة ، حين دعا نوح على قومه بالهلاك والتبار فقال : " وقالَ نوحٌ ربِّ لا تذَرْ على الأرضِ مِن الكافرينَ ديَّاراً * إنّك إن تذرْهم يُضِلوا عبادَك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً * ربِّ اغفرْ لِي ولوالِدَيَّ ولِمَن دخلَ بيتِي مؤمناً وللمؤمنينَ والمؤمناتِ ولا تزِدِ الظالمينَ إلا تباراً * " [سورة نوح] . أما الحناجر الكظيمة المكبوتة التي يتركها القرآن في بعض مشاهد ه تطلق أصواتها الحبيسة ـ بكل كربها وضيقها وبحتها وحشرجتها ـ فهي حناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير ، فيتحسرون ويحاولون التنفيس عن كربهم ببعض الأصوات المتقطعة المتهدجة ، كأنهم بها يتخففون من أثقال الدين يدعون ربهم دعاء التائبين النادمين ويقولون " وقالوا ربَّنا إنّا أطعْنا سادتَنا وكُبَراءَنا فأضلُّونا السبيلاً " [سورة الأحزاب]. وإنّ هذه الموسيقي الداخلية لتنبعث في القرآن حتى من اللفظة المفردة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل ـ بجرسها ونغمها ـ بتصوير لوحة كاملة فيها اللون زاهيا أو شاحبا ، وفيها الظل شفيفا أو كثيفا . أرأيت لونا أزهي من نضرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى الله ، ولونا أشد تجهما من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة في قوله تعالى : " وجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ * إلى ربِّها ناظرةٌ * ووجوهٌ يومئذٍ باسِرةٌ * " [سورة القيامة] . ولقد استقلت في لوحة السعداء لفظة " ناضرة " بتصوير أزهى لون وأبهاه ، كما استقلت في لوحة الأشقياء لفظة " باسرة " برسم أمقت لون وأنكاه .

<u>محاولات تحدى القرآن :</u> حاول الكثيرون مِمَّن أخذ القرآن بلب عقولهم ؛ تحدي القرآن ، فعجزوا عن ذلك .. وأصيبوا بالخيبة والفشل الذريع .. فكيف يقارن كلام العباد بكلام رب العباد ؟؟!ولعل أهم القصص التي تجسد لنا هذه المحاولات ، هي .. قصة لبيد بن أبي ربيعة ـ رضي الله عنه ـ ذلك الشاعر الصنديد ، الذي اعترفت العرب جمعيا بشاعريته .. عندما سمع تحدي القرآن للناس ، ولم يكن قد سمع به ، كتب أبياتا من الشعر وعلقها على ستار الكعبة .. فرأى ذلك أحد المؤمنين ، فأخذته عزة الإسلام فكتب آيات من القرآن فوضعها بجانبها .. وعندما جاء الشاعر العربي لبيد من الغد ، شاهد ورقة بجانب شعره فقرأها فإذا هي بآيات من كتاب الله ، فتلفت حوله ، وتعجب عقله ، والله ما هذا بقول بشر .. وقال : " أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدا رسول الله " وأقسمَ أنْ لا يقول الشعر بعد ذلك أبدا .. حتى جاء في أحد الأيام عمر بن الخطاب أثناء خلافته وقال للبيد : " انشدني شيئا من الشعر " ، فقرأ من سورة البقرة وآل عمران ، ثم قال : " والله ما كنت لأقول الشعر وقد حفظت سورة البقرة و آل عمران .." وقصة مسيلمة الكذاب ، ذلك المرتد عن الإسلام الذي حاول مجاراة القرآن .. حيث يقول في كتابه الباطل .. " والليل الأضخم ، والذئب الأدلم ، والجدع الأزلم ، ما انتهكت أسيد من محرم "" والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس "

" والفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له جسم كبير ، وذيل وبيل ، وخرطوم طويل " والشاة وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم لا تجتمعون ؟ """ يا ضفدع يا بنت الضفدعين ، نقي لا تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين .. لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا قوما يعتدون " " والمبديات زرعا ، فالحاصدات حصدا ، فالذاريات قمحا ، فالطاحنات طحنا ، فالخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، إهالة وسمنا ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ضيفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغي فناوءوه "

مهزلة .. كلام بشر أجوف .. ولا يعتقد أحد أنّ الذين اتبعوه قد آمنوا بما يقول وصدقوه .. وإنما كان ذلك حمية ، حيث سأل أحدهم مسيلمة : " ماذا ترى ؟ " - أي عند نزول الوحي عليه كما يزعم ، فقال : " أرى رجس " ، قال : " أفي نور أم في ظلمة ؟ " ، قال : " بل في ظلمة " ، فقال الرجل : " والله إنه لشيطان .. ولكن ؛ كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر . ويروي التاريخ أن أبا العلاء المعري ، وأبا الطيب المتنبي ، وابن المقفع حدثتهم نفوسهم مرة أنْ يعارضوا القرآن ، فما كادوا يبدأون هذه المحاولة حتى انتهوا منها بتكسير أقلامهم وتمزيق صحفهم ؛ لأنهم لمسوا بأنفسهم وعورة الطريق واستحالة المحاولة . وأكبر ظني وظن الكاتبين من قبلي أنهم كانوا يعتقدون من أعماق قلوبهم بلاغة القرآن وإعجازه من أول مرة وعندما أرادوا أن يضموا دليلا جديدا إلى ما لديهم من أدلة ذاقوها بحاستهم البيانية ، من باب (ولكن ليطمئن قلبي) [سورة البقرة] . ويا ليت شعرى ، إنْ لم يتذوق أمثال هؤلاء بلاغة القرآن وإعجازه فمَن غيرهم ؟! وتحدثنا الأيام القريبة أنّ زعماء البهائية ، والقاديانية وضعوا كتبا يزعمون أنهم يعارضون بها القرآن ، ثم خافوا وخجلوا أنْ يظهروها للناس ، فأخفوها ولكن على أمل أنْ تتغير الظروف ويأتي على الناس زمان تروج فيه أمثال هذه السفاسف ! إذا ما استحر فيهم الجهل باللغة العربية وآدابها ، والدين الإسلامي وكتابه . ألا خيبهم الله وخيّب ما يأملون .

****

من أسرار الإعجاز البياني: ونورد فيما يلي محاولة لفهم معاني بعض الألفاظ والجمل والآيات القرآنية بعد عرضها على القرآن الكريم ككل باستخدام جهاز الكمبيوتر. وهي محاولة لفهم القرآن بالقرآن. ولقد روعي في هذه الدراسة البحث عن تكرار اللفظ أو الجملة القرآنية في القرآن كله بالإضافة إلى معرفة جو ومعاني الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ أو الجملة وكذلك الآيات التي قبلها والتي بعدها حتى يمكن الإلمام بالمعنى من جميع جوانبه.

1- الإسراء (بعبده)... والمعراج (بصاحبكم) : وردت معجزة الإسراء في آية واحدة في القرآن، وجاءت كلمة (أسرى) مرة واحدة في القرآن وكلمة (بعبده) مرة واحدة في القرآن الكريم كله. " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الإسراء]. وقد وصف الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم في الإسراء بالعبودية الكاملة لله (بعبده). ووردت معجزة المعراج في سورة واحدة هي سورة النجم: " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى " [النجم]. وقد وصف الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم في المعراج، بـ(صاحبكم). حينما نتدبر كلمة (بعبده) فإنها تعني أنه (بشر) مثلكم تعرفونه ويصاحبكم. وفي حالة الإسراء ذكر الله { لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا } وفي حالة المعراج ذكر الله { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى }. إنّ الله سبحانه وتعالى يبين لنا أنه رغم (بشرية) الرسول فقد عرج به إلى السموات العُلى ووصل إلى سدرة المنتهى وبلغ الأفق الأعلى ثم دنا وتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى من الحضرة الإلهية، (كما سيأتي بيانه لاحقاً) ورأى من آيات ربه الكبرى. إنّ بشرية الإنسان لا تنفي أنه بسلطان من الله فإنه يصل إلى أعلى عليين. " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ " [الرحمن]. ولقد نفذ رسول الله ﷺ (وهو من الإنس) من أقطار السموات والأرض بسلطان من الله. أما بالنسبة للإسراء فإنّ الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ " ولم يقل بنبيه أو برسوله فأعلمنا بأنّ الإسراء من بساط العبودية، فالنبي ﷺكان له كمال العبودية، فكان له كمال الإسراء، أسري بروحه وجسمه وظاهره وباطنه. كذلك فإنّ الله لم يختم آية الإسراء بالقدرة أو بالعزة أو القوة وإنما ختمها بأنه (هو السميع البصير) وهي تعني أنّ الله سبحانه وتعالى قد سمع دعاء محمد ﷺوبَصُر بحالته حينما آذاه الناس وهان عليهم فأكرمه إلهه بمعجزة الإسراء فإنْ كان الناس قد بعدوا عنه فقد اقترب هو من الله. وتعني الآية أيضاً فتوحات الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين كلما صبروا على البلاء واستقاموا على الطريقة، فإنه هو السميع البصير يقربهم إليه نجيّاً ويريهم من آياته إنه هو السميع البصير.

2- غلام حليم و غلام عليم : بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بغلام حليم هو إسماعيل عليه السلام ثم بشرته بغلام عليم هو إسحاق ومن ورائه يعقوب (إسرائيل). يقول الله سبحانه وتعالى في شأن البشرى بولادة إسماعيل عليه السلام: " فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ " [الصافات]. أي: أنّ صفة إسماعيل عليه السلام المميزة أنه (حليم) وهي صفة والده إبراهيم عليه السلام حيث يقول الله سبحانه وتعالى: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ " [هود] ويقول الله سبحانه وتعالى في شأن البشرى بولادة إسحاق عليه السلام: " وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ " [الذاريات]. أي: أنّ صفة إسحاق عليه السلام المميزة هو أنه (عليم). إسماعيل عليه السلام هو جد محمد صلى الله عليه وسلم. وإسحاق عليه السلام هو جد بني إسرائيل.

حلم إسماعيل: والحلم الذي هو الصفة المميزة لإسماعيل عليه السلام يعني: الصبر والإرادة والسكون والعقل السليم، وهو ضد الطيش ولو جمعنا كل مناحي الحلم فإنه يكون (التقوى) بكل معناها من حب الله وخشيته والصفح الجميل. يصف الله إسماعيل عليه السلام في سورة مريم آية: 54، 55: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ". إسماعيل عليه السلام كان صادق الوعد، حينما أسلم وجهه له ساعة الذبح راضياً بقضاء الله " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ " [الصافات]. إنّ ذلك كان منتهى الإيمان بالله من الأب المحسن إبراهيم عليه السلام ومن الابن الصابر إسماعيل عليه السلام.

علم إسحاق ومن ورائه يعقوب (إسرائيل): وصف الله سبحانه وتعالى إسحاق بالعلم والذي ورثه بنو إسرائيل (بنو يعقوب بن إسحاق)، وكان من المفترض أنْ يستخدم بنو إسرائيل هذا العلم الوراثي في حسن عبادتهم لله والتفكر في آياته.. غير أنّ أكثرهم استغل هذا العلم في ماديات صرفة ولم يتوجهوا إلى الله سبحانه وتعالى، بل أغرقوا أنفسهم في الماديات وظلموا أنفسهم وقد قال الله في شأن إبراهيم عليه السلام، وشأن ذريته:" سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ " [الصافات]. كذلك قال الله سبحانه وتعالى في شأن ذرية إبراهيم عليه السلام: " قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ " [البقرة]. إنّ الله سبحانه وتعالى بين لإبراهيم عليه السلام أنّ ذريته لن تكون كلها من الصالحين وأنّ ذلك يعتم على استجابتهم لما يحييهم بما أنزله على رسله إليهم من البينات والزبر والكتاب المبين، امتحن الله بني إسرائيل (فضلهم على العالمين) واختارهم على علم على العالمين، فكيف كانت استجابتهم لله ؟... ظلم بنو إسرائيل أنفسهم على مدى التاريخ. وكانوا يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعصون الله فيما أمرهم وينقضون ميثاقهم مع الله... إنهم يحاربون كل مَن يقول لهم توجهوا بقلوبكم إلى الله واتركوا الحب الشديد لماديات وآمنوا بالله الذي ليس كمثله شيء.. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه... يتحايلون على أوامر الله حينما قال لهم لا تعتدوا في السبت، ويتشددون في أي أمر حينما قال لهم موسى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً " [البقرة] فاشتطوا في الأمر... استكبروا بالعلم الذي أورثوه.. ولم يؤمنوا إلا بالأشياء المادية أما الناحية الروحية... أما الحلم فقد بعدوا عنه لدرجة أنه من فرط ماديتهم قالوا لموسى عليه السلام: " اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ " [الأعراف] كذلك فإنهم طلبوا إلهاً مادياً يلمسونه بأيديهم وصنعوا عجلاً جسدياً مادياً.. لم يقبلوا بأنْ ينزل لهم المن والسلوى من السماء.. ولكنهم فضلوا طعام الأرض... كل توجههم كان للأرض ولم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء... " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ " [البقرة] لقد استبدلوا الأرض بالسماء استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.. وكان هو ذلك مبدأهم وحتى الآن.

إنّ العلم الوراثي الذي وهبه الله لبني إسرائيل واختارهم على العالمين به " وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " [الدخان]. وامتحنهم الله به ليعلم هل يشكرون أم يكفرون فلم يرعوا هذا العلم واتجهوا به فقط إلى الماديات وبالرغم من أنهم أصبحوا بهذا العلم الوراثي أساطين في الاقتصاد إلا أنهم استغلوه في إفساد الأرض وإفساد الذمم والربا والمكر والألاعيب وإشعال الحروب. فغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً شديداً. وبعد اختبار الله لبني إسرائيل بهذا العلم... وإظهارهم للعالمين بأنهم قوم سوء... شاء الله أنْ يكون خاتم النبيين محمداً ﷺ من ذرية إسماعيل عليه السلام ذرية الحلم والتقوى ووهب الله له العلم المباشر من الله سبحانه وتعالى... قرآناً كريماً غير ذي عوج.. فكان المسلمون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله.. " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " [آل عمران].

الأجر مرتين والعذاب ضعفين... للقمم: يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ".وضع الله للناس درجات في الحياة الدنيا لتستقيم عمارة الأرض لأنه لا يمكن أنْ يكون الناس كلهم في درجة واحدة.. لا يمكن أنْ تستقيم عمارة الأرض بجعل الناس كلهم قادة.. أو كلهم علماء.. أو كلهم في وظيفة واحدة.. لا بد من وظائف متعددة ودرجات متفاوتة.. وقد أوضح الله سبحانه وتعالى هذه المسألة في قوله في الآية 32 من سورة الزخرف: " وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا " [الزخرف]. غير أنّ هذا التمييز لدرجات الدنيا ليس هو تكريم وإنما هو ابتلاء واختبار " لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " [المائدة]. وتكون النتيجة كما يذكرها الله سبحانه وتعالى في الآيات من 37 حتى 41 من سورة النازعات: " فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ".إلا أنّ وضع الناس على درجات مختلفة في الحياة الدنيا يجعل من ذوي السلطة منهم وذوي الشأن والملأ والشهرة تأثيراً كبيراً في حياة عامة الناس... فهم أولو القوة والسلطة والبطش.. كما أنّ أصحاب الشهرة منهم يمثلون لعامة الشعب قدوة وأنموذجاً يتطلعون إليه. فيتحدثون عنهم في مجالسهم.. ويروون القصص والحكايات.. ويتتبعون أخبارهم وكل ما يدور حولهم... ويكونون على رأس كل موضوعاتهم واهتماماتهم... إنّ تأثير أي واحد من أولي الشهرة وأصحاب القمم في أي مجال يساوي تأثير آلاف أو ملايين الناس العاديين... لذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يعاملهم معاملة الناس العاديين.. إنّ الحسنة من الواحد منهم لا تعادل الحسنة من المرء العادي وكذلك السيئة منه لا تعادل السيئة من المرء العادي.. إنّ خطأ الكبير كبير... وحسنة الكبير كبيرة.. لقد وضع الله سبحانه وتعالى ميزاناً دقيقاً في آيات القرآن الكريم، إنه ميزان العدل المطلق " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ " [الرحمن]. وكان الوزن هو مقياس الأجر.. والوزن هو قيمة العمل وتأثيره. وتأتي آيات كثيرة في القرآن الكريم توضح مسؤولية ووزن أصحاب القمم والسلطة والشهرة والقيادة والأجر المقابل.. ونورد هذه الأمثلة:

المنافقون: يقول الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) [التوبة]. إنّ المنافقين تأثيرهم ووزنهم ليس تأثيراً عادياً.. إنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.. إنهم يشوّهون العقيدة ويخدعون المؤمنين.. ويضربون الأمثال السيئة للذين لم يؤمنوا بعد.. إنهم وبال على الإيمان لذلك كان لا بد من عذابهم مرتين مرة بسبب الكفر ومرة بسبب إظهار إيمان غير حقيقي..

اليهود والإيمان بالرسول ﷺ: يقول الله سبحانه وتعالى في سورة القصص : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ). إنّ اليهود بوجه عام متعنتون في الدين.. يعلمون الحق ولا يتبعونه.. يقولون سمعنا وعصينا لذلك جاء الأمر مرتين لهؤلاء الذين جاهدوا هذه الطبيعة السيئة وانتصروا على أنفسهم.. وخرجوا من أمر اليهودية المتعنتة وصبروا على أذى بقية قومهم... وأصبحوا قمماً إيمانية تبين كذب بني إسرائيل وإصرارهم على الباطل... وآمنوا بمحمد ﷺوبالقرآن الكريم.

القمم والكبراء في الضلال: يقول الله سبحانه وتعالى في شأن هؤلاء القسم في الضلال والإضلال: (أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) [هود]. (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) [الأحزاب]. (قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف]. إنّ هؤلاء القمم في الضلال والإضلال يستحقون العذاب ضعفين بما لهم من تأثير في باقي الناس الماديين وبما لهم من سطوة وقوة وقهر وبريق وإعلام وإعلان وشهرة..

قمم الضلال والإضلال... وجزاء التوبة : يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان: " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ".هؤلاء القمم الذين ضلوا وأضلوا وأفسدوا في الأرض.. أشركوا بالله.. وقتلوا النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنوا.. ثم أفاقوا واهتدوا إلى الحق وجاهدوا أنفسهم وشهرتهم وسطوتهم وانتصروا على كل الهالات والبريق الذي يحوطهم وعلى كل الشلل والأصحاب والأخدان وحاشية السوء.. وتابوا إلى الله وأنابوا إليه وعملوا الصالحات وانتقلوا بزاوية مقدارها 180 درجة من الشمال إلى اليمين.. غفر الله لهم ذنوبهم وإسرافهم في أمرهم.. ونقل أعمالهم وسيئاتهم من الشمال إلى اليمين.. فتبدلت السيئات إلى حسنات وتضاعف أجرهم جزاء بما صبروا على شهوات النفس.... وجزاء على ما يحدثه هذا التبدل كما أفاق هؤلاء القمم.. ويرجع الناس وينيبوا إلى الله ويسلموا له... كما أسلم الكبراء... ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.. فقد كان في أول الدعوة يرجو إسلام عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام (أبو جهل) بما لهم من أثر في الناس العاديين..

الملوك والقياصرة والأكاسرة وقمم السلطة: في رسائل الرسول ﷺ إلى القياصرة والأكاسرة والتي دعاهم فيها إلى الإسلام كان صلب الرسالة هو الآتي: (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين). إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أثر الإسلام هؤلاء القمم في شعوبهم... وأنهم حينما يسلمون فإنهم يساعدون في إزالة الغشاوة عن أعين الناس العاديين.. ويلفتونهم إلى الحق بما لهم من قوة جذب وبريق.. هذا بالإضافة إلى انتصار هؤلاء القمم على أنفسهم وكبريائهم وسلطاتهم وعروشهم ومساواتهم بعامة الناس حب مبادئ الإسلام.. لذلك كان الأجر مرتين..

الأجر مرتين.. للصابرين : عندما صبر سيدنا إبراهيم عليه السلام على البلاء المبين بذبح ابنه الوحيد إسماعيل عليه السلام، بشره الله بإسحاق نبياً من الصالحين. " وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ " [الصافات]. وبذلك أعطاه الله أجراً مرتين بما صبر على البلاء العظيم بفقد ابنه الوحيد.. فأعطاه ابناً آخر نبياً من الصالحين.. كذلك فإنه عندما صبر أيوب عليه السلام على النصب والعذاب وعلى فقد أهله وهبه الله أهله ومثلهم معهم رحمة منه وذكرى لأولي الألباب.. لقد منحه الله الأجر مرتين.. (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [ص].

القمم بوجه عام في المجتمع: إنّ القرآن الكريم يزخر بالأمثلة والنماذج التي توضح لنا عدالة الله سبحانه وتعالى في الجزاء.. إنها تحث هؤلاء القمم في السلطة وفي الإعلام وفي الإعلان وفي كافة نواحي المسؤولية.. على الانتصار على نوازع النفس البشرية والتحول إلى أصحاب اليمين ويؤجرهم مرتين لما لهم من تأثير على عامة الناس... وهذا الأجر مرتين يعني ضعف أقصى أجر يمنحه الله للناس المؤمنين العاديين.. وقد ذكر القرآن الكريم أنّ الله يضاعف هذا الأجر العادي أضعافاً مضاعفة. كما أنّ هناك رضوان من الله أكبر وبذلك يكون الأجر مرتين هو ضعف هذه المضاعفات جميعاً.. هناك أمر آخر.. إنّ القمم مستويات.. وأي مسؤول له تأثير في موظفيه يعتبر قمة في هذا النوع من المسؤولية كما أنّ أي شخص في أي مكان له أي تأثير على شخص أو أشخاص آخرين هو قمة في الموقف.. وكذلك الحال بالنسبة للأب أو الأم في الأسرة.. والمدرس في الفصل.. والمدير في الإدارة.. والرئيس في المرؤوسين.. والكاتب الذي ينشر فكره.. والإعلامي.. والصحفي.. والعالم والفقيه والواعظ.. الخ. إنّ هؤلاء جميعاً يؤتون أجرهم مرتين حسب نص القرآن إذا صبروا وآمنوا ورعوا الله في مسؤولياتهم.. ويضاعف لهم العذاب إذا ضلوا وأضلوا.. كما أنّ هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض.. ثم عرفوا الحق وتابوا إلى الله ورجعوا عن غوايتهم وإغوائهم للناس.. فإنّ الله يبدل سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً.. أما هؤلاء الناس الذين لا يملكون مصيرهم.. وليس لهم من الأمر شيء مثل (ما ملكت أيمانكم) فإنْ أتينّ بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب: (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) [النساء].

أنزل – نزّل : أنزل: تعني الإنزال مرة واحدة أو جملة واحدة. بينما نزّل: تعني الإنزال على مراحل أو أجزاء متفرقة. والقرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان إلى السماء الدنيا حسب الروايات المتعددة في هذا المجال وحسب ما توحي به نصوص الآيات الكريمة التي وردت في نزول القرآن الكريم.. ثم نزله سبحانه وتعالى تنزيلاً على محمد صلى الله عليه وسلم متفرقاً خلال ثلاث وعشرين سنة هي مدة الرسالة وذلك لتثبيت فؤاد الرسول ﷺوكذلك للرد على أسئلة وأمثلة المشركين وأهل الكتاب، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى في سورة الفرقان: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا). وإنزال القرآن الكريم جملة واحدة في ليلة واحدة ورد في الآيتين الكريمتين:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر] وقال تعالى :(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ " [الدخان]. وفي تحديد الشهر الذي أنزل فيه القرآن جملة واحدة ورد ذلك في الآية الكريمة: " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) [البقرة]. كذلك فإنّ ما يؤكد إنزال القرآن الكريم جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم تنزله على مراحل من السماء الدنيا إلى محمد ﷺهو ما ذكرته الجن في سورة الجن عن نزول القرآن الكريم: " وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا " [الجن]. وهذا الوصف يوضح العناية والحفظ الذي هيأه الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم أثناء تنزله من السماء الدنيا إلى الأرض، كذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى يذكر في سورة الشعراء: " وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ". والكلام هنا عن التنزيل بين السماء الدنيا والأرض حيث توجد الشياطين. كما يقول سبحانه وتعالى في سورة الحِجر: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " [الحجر]. وقد استخدم القرآن كلمة (نزلنا) بدلاً من أنزلنا ليبين لنا أنّ هذا الذكر قد حفظه الله من الشياطين أثناء فترة تنزله من السماء الدنيا إلى الرسول ﷺطوال ثلاث وعشرين سنة. كما أنه سيحفظه من شياطين الإنس والجن إلى قيام الساعة.. أما في إنزال القرآن الكريم جملة واحدة من عند الله إلى السماء الدنيا فهناك الملأ الأعلى والملائكة المطهرون ولا يحتاج الأمر إلى ذكر الحفظ لأنه لا توجد شياطين في منطقة الملأ الأعلى...

<u>السنة والعام والحول</u> : القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.. وإحكام الآيات يعني إحكام الألفاظ والكلمات.. إنّ كل كلمة قرآنية تؤدي معناها (تماماً على الذي أحسن) في الجملة القرآنية والجملة القرآنية تؤدي معناها (تماماً على الذي أحسن) في الآية القرآنية وهكذا... ليكون القرآن الكريم كتاب محكم الآيات لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وكثير من الناس لا يجدون فرقاً في استخدام كلمات السنة والعام والحول ويعتقدون أنها كلمات مترادفة.. لو استبدلت مواقعها لما تغير معناها.. غير أنّ القرآن الحكيم يحدد المعنى للكلمة القرآنية بكل دقة ويوحي إلينا هذا المعنى من خلال سياق الجملة القرآنية، الآية والسورة.. وكذلك من خلال ربط الآيات القرآنية ببعضها.. فما أوجز من معنى في مكان.. يفسره الله سبحانه وتعالى لنا في مكان آخر.. وكما سبق التوضيح في هذه الدراسة أنّ هناك آيات قرآنية أو جملاً قرآنية يرد فيها مفتاحاً لبيان معنى معين قد يكون معلقاً على الفهم العام وبتدبر هذه الآية القرآنية وبربطها مع الآيات القرآنية الأخرى ذات العلاقة يظهر المعنى واضحاً جلياً.. ولنتدبر بعض الآيات التي تعتبر مفاتيح لمعنى السنة والعام والتي تربط بين السنة والعام: قال سبحانه وتعالى في سورة يوسف: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ). في الآيات السابقة نجد أنه حيثما ترد السَّنَة أو السنين فذلك يعني الشدة والتعب والدأب والظلم والطول.. وعلى العكس حيثما يرد العام فذلك يعني السهولة واليسر والرخاء وقصر المدة. ففي المثال من سورة يوسف فقد جاءت{ سبع سنين } مع العمل الدءوب والجهد والتعب ثم جاءت (سبع شداد) وهي صفة للسنين مع الضنك والجدب.. أما لفظ (العام) فقد جاء مع (الغيث) و(المطر) واليسر والرخاء. (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ).

<u>السنة</u>: حينما نرجع إلى جميع آيات القرآن الكريم التي وردت فيها (سنة) و(سنين) لوجدنا صفة الشدة والطول هي الغالبة على المعنى وقد وردت في القرآن الكريم 20 مرة نذكر بعض الأمثلة منها: " وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ " [الأعراف]. " فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا " [الكهف]. " أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ " [الشعراء]. " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ " [الشعراء]. " فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى " [طـه]. وهذه الآية فيها لفتة عظيمة حيث تدل على الأجل الذي قضاه موسى عليه السلام في مدين وأنّ هذا الأجل هو عشر حجج حينما خيّره والد الفتاة " قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ " [القصص]. وقد جاءت الآية بأنّ موسى عليه السلام قد لبث سنين في أهل مدين وبالمعنى الخاص بالسنين وهو طول المدة فإنّ ذلك يعني أنّ موسى عليه السلام قد قضى أطول الأجلين أي عشرة سنوات.. وبالطبع فإنّ هذه خصوصية النبوة وهي إتمام الخير.. فأي كلمة في القرآن لا تأتي عفواً.. وإنما هي الحكمة..

العام: وردت كلمة عام وعامين في القرآن الكريم 10 مرات وهي تعني اليسر والرخاء وقلة المدة أو قصرها حسب الحالة النفسية للشخص أو الأشخاص.. ونذكر فيما يلي أمثلة من ذلك: (أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) [التوبة]. وتعني: قصر المدة التي تتم خلالها الفتنة. (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) [يوسف]. وهي تعني اليسر والرجاء. " حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ " [لقمان]. وهي تعني الحب والفرح بالوليد خلال فترة الرضاعة.

<u>الحول</u>: الحول يعني العام الذي يتم فيه فعل الشيء بلا انقطاع فمعناه يختلف عن معنى السنة ويختلف كذلك عن معنى العام لأنّ السنة والعام هي فترات زمنية يأتي خلال أي جزء منها الحدث أو الفعل وليس شرطاً أنْ يكون الحدث أو الفعل مستمراً خلالها، أما الحول فيكون الحدث أو الفعل فيه مستمراً بدون انقطاع.. ونذكر الآيتين اللتين ورد فيهما الحول: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [البقرة]. وهي تعني أنْ يكون المتاع طوال العام مستمراً بدون انقطاع. (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) [البقرة]. وهي تعني أنّ الرضاعة مستمرة بلا انقطاع طوال العامين.. (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) [لقمان]. من

الدراسة السابقة يتبين لنا الفروق الجوهرية بين معنى السنة ومعنى العام ومعنى الحول وأنها يجب أنْ يتم فهمها على النحو الصحيح حتى نتدبر آيات القرآن ونفهمها على أحسن وجه.

****

معجزة الترتيل في بيان معاني الآيات والأحكام: القرآن الكريم كتاب الله المعجز يجب أنْ يقرأ بالوجه المخصوص الذي أنزله الله به. قال تعالى: " فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " [القيامة] وقال تعالى: (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) [المزّمّل] وقال رسول الله ﷺ: { إنّ الله يحب أنْ يقرأ القرآن كما أُنزل}. لذا فإنه يجب علينا أنْ نقرأ القرآن كما أنزل على سيدنا محمدﷺ وكما قرأه الرسول عليه الصلاة والسلام على أصحابه بتؤدة واطمئنان وتأن وترسل مع إعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات. ومستحقها من المد والغنّة والإظهار والإدغام والإخفاء والتفخيم والترقيق وتجويد الحروف ومعرفة الوقف والابتداء ..الخ. وفي هذه الدراسة الموجزة يتبين لنا أنّ قراءة القرآن الكريم وتلاوته طبقاً لما أنزل وحسب أحكام التلاوة تظهر لنا المعاني الحقيقية للنص القرآني بآفاقها الواسعة.. بل إننا يمكن لنا أنْ نستنتج منها أحكاماً في قضايا معينة. إنّ هذا الموضوع يجب أنْ يهتم به أهل الفكر الإسلامي في كل بقاع الدنيا لأنه يحتاج إلى دراسات وأبحاث مستفيضة.. إنه وجه عظيم من أوجه معجزات القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.. لا يمكن لفرد أو لأفراد أنْ يحيطوا بعلمه... ولكن يجب عليهم المحاولة والتدبر والتفقه. إنّ هذه الدراسة الموجزة تعتبر مقدمة أو مدخلاً لهذا الموضوع المذهل وهو بيان معاني وأحكام القرآن الكريم من خلال أحكام التلاوة.

1- أمثلة في بيان المعنى من خلال مد بعض الحروف : إنّ المد في القراءة لبعض أحرف الكلمة القرآنية يعتبر ظاهرة من ظواهر زيادة أحرفها، وكما سبق أنْ ذكرنا في هذه الدراسة أنّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. لذا فإنّ ظاهرة المد لبعض حروف كلمات القرآن مدّاً زائداً على المد الأصلي الطبيعي حين التلاوة يدل على تفخيم هذه الكلمة وزيادة معناها .. ونستعرض فيما يلي أمثلة من الكلمات القرآنية التي يجب مدّ بعض حروفها مداً زائداً لنعرف أنّ هذا المدّ لم يأتِ عبثاً، وإنما جاء لبيان أهمية هذه الكلمة وأنها تدل على شيء مخصوص وغير عادي . ومثل هذه الكلمات كثيرة جداً في القرآن الكريم إنما سنذكر بعضها حسب الآتي:

الطامة: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى) [النازعات].

السماء: (وَالسَّمَآءَ بِنَاءً) [البقرة].

جان: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) [الرحمن].

الطائفين: (أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ) [البقرة].

حينما تنظر إلى هذه الكلمات نجد أنّ كل منها يدل على شيء عظيم غير عادي . لذا جاء المد ليزيد المعنى .. وحينما نقارن المدّ في كلمة (الطآمة) بعدم وجوده في كلمة قرآنية أخرى قريبة في المعنى وهي (القارعة) نجد أنّ عدم وجود المد في القارعة مطلوب بشدة لتحقيق معناها وهو أنها (تقرع) آذان الناس وهو شيء لا يسلتزم زمناً فهو لحظي ليدل على الفجاءة .. ولا يحتاج مدّاً أو مدة كذلك فإننا حينما نتدبر سورة (الكافرون).. نجد أنه حينما يذكر القرآن (ما تعبدون) و(ما عبدتم) فإنه لا يوجد مدّ على كلمة (ما) للدلالة على تحقير ما يعبدون غير أنه حين يذكر (ما أعبد) وقد جاءت مرتين نجد أنه يوجد مدّ على كلمة (ما) لتدل على عظمة ورفعة ما يعبده الرسولﷺ... حينما نرجع إلى أحكام التلاوة في المد نجد أنّ المد قد جاء لأنّ الحرف الذي تلا المد هو (الهمزة) .. وهذا الحكم يوضح إعجاز القرآن في اختيار الحروف التي تبدأ بها الكلمات القرآنية لتبين المعنى على أكمل وجه .. كذلك فإننا حينما نتكلم عن المد الجائز المنفصل (مد الصلة الطويلة) وهو المد المتولد من هاء الضمير المكسورة أو المضمومة الواقعة بين متحركين ثانيهما همز نذكر المثالين الآتيين: - " إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ " [البقرة]. - " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " [الأنعام]. جاء مد الصلة الطويلة ليدل على عظمة قدر الله سبحانه . وبالنسبة للمد اللازم المثقل (لوجود التشديد بعد حرف المد) نذكر المثال الآتي: " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّينَ " [الفاتحة]. نجد أنّ كلمة (الضالين) ممدودة مداً لازماً مثقلاً مقداره ست حركات .. على عكس كلمة (المغضوب عليهم) بدون مد .. ويدل مدّ كلمة (الضالين) على كثرة هؤلاء الضالين ووفرتهم وهم (النصارى) وذلك بالمقارنة (بالمغضوب عليهم) وهم اليهود حيث جاءت بدون مد لتدل قلة عددهم..

الاستثناء في مد صلة (الهاء) لضمير المفرد الغائب : ورد في مصحف المدينة النبوية في اصطلاحات الضبط ما يلي: (والقاعدة أنّ حفصاً عن عاصم يصل كل هاء ضمير للمفرد الغائب بواو لفظية إذا كانت مضمومة .. وياء لفظية إذا كانت مكسورة بشرط أنْ يتحرك ما قبل هذه الهاء وما بعدها). وقد استثنى من ذلك ما يأتي:

(1) الهاء من لفظ (يرضه) في سورة الزمر فإنّ حفصاً ضمها بدون صلة .

(2) الهاء من لفظ (أرجه) في سورتي الأعراف والشعراء فإنه سكّنها .

(3) الهاء من لفظ (فألقه) في سورة النمل فإنه سكنها أيضاً .

وحينما نتدبر سبب هذا الاستثناء يتجلى ذلك حين نرجع إلى الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الألفاظ حسب الآتي: - كلمة (يرضه) وردت في الآية 7 من سورة الزمر: " وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ " [الزمر] ولم ترد هنا الصلة حتى توحي بفورية رضا الله عن شكر عباده .

- كلمة (أرجه) وردت في الآية 11 من سورة الأعراف والآية رقم 36 من سورة الشعراء عن موسى وهارون عليهما

السلام " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ " ولم ترد هنا الصلة حتى توحي بتقليل شأنهما عليهما السلام في نظر ملأ فرعون حيث كانوا يعتبرونهما ساحرين .

- كلمة (فألقه) وردت في الآية 28 من سورة النمل " اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ " [النمل] ولم ترد هنا الصلة لتوحي بتقليل شأن قوم سبأ في نظر سليمان عليه السلام وكذلك بطلب سرعة إلقاء الكتاب ومن خلال ما سبق تتبين لنا الحكمة في الاستثناء في مد صلة (الهاء) لضمير المفرد الغائب في بعض الآيات القرآنية لتوضح المعنى المراد أجمل وأدق توضيح وبيان .. وأنّ ترتيل القرآن كما أنزل له فائدة كبرى في توضيح المعاني وإبرازها بجلاء .

2- أمثلة في بيان المعنى من خلال صفات الحروف: من المعروف في أحكام التلاوة أنّ لكل حرف مخرجاً يخرج منه وكيفية تميزه في المخرج وهذه الكيفية في صفة الحرف .. وسنعرض في هذا الموضوع لأمثلة من إعجاز القرآن في مسألة التلاوة والتي تساعد في توضيح المعاني المقصودة

حروف الاستعلاء: حرف (س) ليس من حروف الاستعلاء .. وحرف (ص) من حروف الاستعلاء في الارتفاع .. وحينما نتلو الآيتين الكريمتين التاليتين: - (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) [ص].

- (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) [الغاشية].

إنّ كلمة (مصيطر) وكذلك كلمة (المصيطرون) في الأصل تكتب بحروف (س) أي (مسيطر)، (المسيطرون) ولكن حيث أنّ حرف (س) ليس من حروف الاستعلاء .. فإنه لن يؤدي المعنى المراد وهو التحكم والسيطرة والقوة والاستعلاء. لذا جاءت تلاوة القرآن لهذه الكلمة باستخدام حرف (ص) وهو حرف من حروف الاستعلاء .. وذلك ليؤكد المعنى وتكون التلاوة موضحة أعظم توضيح للمعنى المراد.

- حروف القلقة وحرف الامتداد: القلقة تعني التحريك أي: إبراز صوت زائد للحرف بعد ضغطه .. مما يجعل اللسان يتقلقل بها عند النطق .. وحروف القلقة خمسة هي (ق، ط، ب، ج، د) . أما حرف الامتداد فهو حرف واحد هو (ض) ويعني الامتداد هو امتداد الصوت من أول اللسان إلى آخره.. ويعني الامتداد أيضاً (القبض) على الحرف حتى لا يتحرك أو يتقلقل .. في حالة السكون . وحينما نقرأ الآيات التي وردت بها حروف قلقة خاصة القلقلة الكبرى وهي حالة إذا ما سكنت حروف القلقلة آخر الكلمة نجد أنّ هذه القلقلة تعطي معنى واسعاً للكلمة تعتبر كأنها زادت حروفها حرفاً وزيادة مبنى الكلمة وحي بزيادة معناها .. ونضرب فيما يلي أمثلة في هذا المجال: - قال تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ " [العلق] . وقلقلة (ق) في كلمة (خلق) تعطي معنى واسعاً لخلق الله حيث أنه لا يوجد حدود للخلق .. كذلك كلمةً (علق) فهي توحي بالأعداد الكبيرة العالقة من مَنْي الذكر .. كذلك حينما ترد الكلمات القرآنية (أولو الألباب – العذاب – الحق – الأسباط – الأحزاب – أزواج – الميعاد .... الخ) فإنّ هذا يزيد في معنى هذه الكلمات ويحفزنا على إعطاء الآيات الواردة بها مزيداً من العناية والتدبر .. أما بخصوص حرف (ض) في حالة سكونه فإنه يجب الإمساك به بقوة حتى لا يتقلقل أثناء التلاوة .. ومثال ذلك قال تعالى: " ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا " [الفرقان]. ويدل سكون حرف (ض) وعدم قلقلته على تأكيد معنى كلمة (القبض) التي ورد بها هذا الحرف .. وعدم إمكانية تحريك هذا القبض أو زحزحته ...

حروف التفخيم والترقيق: تفخيم بعض الحروف أثناء التلاوة يزيد في توضيح معاني الكلمات القرآنية والآيات الواردة بها .. كذلك فإنّ ترقيق الحروف الأخرى يساعد أيضاً في بيان المعاني المقصودة .. ويأتي ذلك حسب الحالة .. وحروف التفخيم هي نفسها حروف الاستعلاء (خ، ص، ض، غ، ط، ق، ظ). وكذلك حرف (ر) في بعض الأحوال حسب التفاصيل الواردة في أحكام التلاوة .. كذلك فإنّ (لام) لفظ الجلالة (الله) تفخم إذا سبقتها حروف بفتح أو ضم .. (مثل قل هو الله أحد) .. يفعل الله ما يشاء .. وترقق اللام في لفظ الجلالة إذا سبقتها حروف بكسر مثل (بسم الله بالحمد لله) أما باقي الحروف فتأتي في حالة ترقيق ..

أمثلة في بيان المعنى من خلال إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين:

إدغام المتماثلين: هو أنْ يتحد الحرفان مخرجاً وصفة .

إدغام المتجانسين: هو أنْ يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفان صفة .

إدغام المتقاربين: هو أنْ يتقارب الحرفان مخرجاً ويختلفان صفة . كما سبق أنْ ذكرنا فإنّ الإدغام الكامل بدون غنّة يدل على التصاق الكلمتين التصاقاً كاملاً مما يوحي بقطعية الأمر وعدم وجود أي فاصل أو مسافة زمنية وكذلك يدل على العجلة الفائقة .وفيما يلي أمثلة لكل نوع من أنواع هذا الإدغام لنتبين المعنى الذي أضافه وبينه:

أ- إدغام المتماثلين: - قال تعالى: " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ " [النساء]. حين تلاوة كلمة (يدرككم) نجد أنّ الكاف الساكنة الأولى قد أدغمت في الكاف الثانية فأصبحت حرفاً واحداً مشدداً وأصبحت تقرأ (يدركم) والإدغام يوحي بنقص أحرف الكلمة مما يدل على سرعة الموت في إدراك مَن قضى عليه الموت... - قال تعالى: " اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ " [النمل].

إدغام حرفي (الباء) يدل على السرعة التي طلب بها سليمان عليه السلام من الهدهد أنْ يطير بها إلى ملكة سبأ والذي يؤكد ذلك أنّ الآية رقم 29 التي تلت هذه الآية: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ " [النمل]. أي: أنه لم يظهر هناك أي زمن بين أمر سليمان للهدهد واستلام الملكة للكتاب ..

ب- إدغام المتجانسين: وذلك للحروف (ت، د، ط) وللحروف (ت، ذ، ظ) وللحروف (ب، م) .

- قال تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " [البقرة].

إدغام (الدال) في (التاء) يدل على قطعية بيان الرشد .

- قال تعالى: " قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا " [يونس].

إدغام (التاء) في (الدال) يدل على سرعة استجابة الله لدعوة موسى وهارون على فرعون وملئه بألا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ..

ج- إدغام المتقاربين: وذلك للحروف (ل، ر) وللحروف (ق، ك) - قال تعالى: " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا " [طه]. إدغام اللام الساكنة في الراء المتحركة وينطق بهما راء مشددة .. ويأتي هذا الإدغام ليبين ضرورة التعجيل في دعاء الله بزيادة العلم وإبراز قيمة العلم .. قال تعالى: " بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " [النساء]. إدغام اللام الساكنة في الراء المتحركة .. ويدل هذا الإدغام على سرعة رفع الله لعيسى عليه السلام وإنقاذه من اليهود والحاكم الروماني ..

د- الإشمام : الإشمام في التلاوة هو ضم الشفتين كمن يريد النطق (بضمة) ولكنه في الحقيقة ينطقها (فتحة) ، وقد جاء هذا الحكم في تلاوة قوله تعالى: " قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ " [يوسف]. وقراءة الميم قبيل النون المشددة في كلمة (تأمنا) هي ما يسمى بالإشمام .. وحين نقرأ الميم في هذه الكلمة بالفتحة وشفتانا مضمومتان فينتج عن ذلك نطق يدل على التردد وعدم الثقة في إجابة الطلب .. وهو بالفعل ما كان عليه إخوة يوسف حينما طلبوا من أبيهم أنْ يرسله معهم لأنهم كانوا يكيدون لأخيهم وكانوا في ريبهم يترددون .. لذا كان هذا الحكم في التلاوة ليوضح المعنى أصدق توضيح .

****

الإعجاز العددي

في

القرآن الكريم

الإعجاز العددي في القرآن الكريم

القرآن الكريم . كتاب الله تعالى . الخالق العليم . عالم الغيب .. العالم بحال الناس وحاضرهم ومستقبلهم .. فلا شك أنه حوى بين دفتيه من كل مثل .. وإعجاز هذا الكتاب باق إلى يوم القيامة .. فكل يوم تكتشف المزيد من إعجازه .. ومن هذه المعجزات الكثيرة .. الإحكام العددي للقرآن الكريم الذي هو بحق آية على صدق محمد ﷺ وأنّ هذا القرآن هو من عند خالق السموات والأرض . إنّ معجزة الأرقام في القرآن الكريم موضوع مذهل حقا ، وقد بدأ بعض العلماء المسلمين بدراستها عن طريق أحدث الآلات الإحصائية والحواسيب الألكترونية ما أمكن دراسة وانجازهذا الإعجاز الرياضي الحسابي المذهل . فهذا الإعجاز مؤسس على أرقام ، والأرقام تتكلم عن نفسها ، فلا مجال هنا للمناقشة ، ولا مجال لرفضها ، وهي تثبت إثباتا لا ريب فيه أنّ القرآن الكريم هو " كتابٌ أحكِمتْ آياتُه ثُمَّ فُصِّلت مِن لدُنْ حكيمٍ خبيرٍ " [هود] . لا شك أنه من عند الله تعالى ، وأنه وصلنا سالما من أي تحريف أو زيادة أو نقص . فنقص حرف واحد أو كلمة واحدة أو زيادتها ، يخل بهذا الإحكام الرائع للنظام الحسابي له . وقد شاء الله تعالى أنّ تبقى معجزة الأرقام سرا حتى اكتشاف الحواسيب الإلكترونية . " سنُريهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حتّى يتبينَ لهم أنه الحقُّ أولَمْ يكفِ بربِّكَ أنّه على كلِّ شيءٍ شهيدٌ " [فصلت] . وهذه بعض من هذه الإحصائيات العددية لكلمات القرآن الكريم : 1- فهناك كلمات متقابلة تتكرر بشكل متساوٍ في القرآن الكريم منها على سبيل المثال: الحياة تكررت 145 مرة ..... الموت تكررت 145 مرة .

الصالحات تكررت 167 مرة ..... السيئات تكررت 167 مرة .

الدنيا تكررت 115 مرة ..... الآخرة 115 مرة .

الملائكة تكررت 88 مرة ..... الشيطان تكررت 88 مرة .

المحبة تكررت 83 مرة ..... الطاعة تكررت 83 مرة .

الهدى تكررت 79 مرة ..... الرحمة تكررت 79 مرة .

الشدة تكررت 102 مرة ..... الصبر تكررت 102 مرة .

السلام تكررت 50 مرة ..... الطيبات تكررت 50 مرة .

الجهر تكررت 16 مرة ..... العلانية تكررت 16 مرة .

إبليس تكررت 11 مرة ..... الاستعاذة بالله تكررت 11 مرة .

تكررت جهنم ومشتقاتها 77 مرة ..... الجنة ومشتقاتها تكررت 77 مرة .

2- وهناك كلمات بينها علاقات في المعنى وردت ضمن علاقات رياضية دقيقة ومتوازنة منها على سبيل المثال : الرحمن تكررت 57 مرة ..... الرحيم تكرر 114 مرة أي الضعف .

الجزاء تكررت 117 مرة ..... المغفرة تكرر 234 مرة أي الضعف .

الفجار تكررت 3 مرات ..... الأبرار تكررت 6 مرات أي الضعف .

النور ومشتقاتها تكررت 24 مرة ..... الظلمة ومشتقاتها 24 مرة .

العسر تكررت 12 مرة ..... اليسر تكرر 36 مرة أي ثلاثة أضعاف .

قل تكررت 332 مرة ..... قالوا تكررت 332 مرة .

ولفظة الشهر بلغ 12 مرة (وكأنه يقول أنّ السنة 12 شهرا) .

ولفظة اليوم بلغ عددها 365 مرة (وكأنه يقول أنّ السنة 365 يوما) .

وقد وردت كلمة البر 13 مرة وبضمنها كلمة يبسا (بمعنى البر) بينما بلغ تكرار كلمة البحر 32 مرة (وفي ذلك إشارة إلى أنّ هذا التكرار هو بنسبة البر إلى البحر على سطح الأرض الذي هو بنسبة 13 / 32) . ولقد قام الدكتور - طارق سويدان - بإجراء إحصائيات ودلالات رقمية موجودة في القرآن . واكتشف أنّ القرآن ذكر النسبة المئوية لكل من اليابسة والبحار بالنسبة لمساحتها العامة مع الكرة الأرضية . ويقول السويدان في إحصائيته إنّ القرآن ذكر كلمة (بحر) في القرآن (32 مرة) . وكلمة أرض (13 مرة) . وبإجراء المعادلة الحسابية المتفق عليها في إجراء النسب المئوية تخرج إلينا النسبة مطابقة تماما للنسبة المعترف بها دوليا . والمعادلة هي (النسبة المئوية لعدد ذكر كلمة (بحر) أو (أرض) بالنسبة إلى مجموع ذكر عدد كلمتي بحر وأرض . وباتباع ذلك يظهر لنا التالي : 32 ÷ (32 + 13) × 100 = 71.111

13 ÷ (32 + 13) × 100 = 28.222 وهذه هي النسبة الفعلية المعتمدة جيولوجيا في مراكز دراسات العالم باعتماد معادلة النسبة المئوية البسيطة المعروفة حسابيا . ولو تدبرنا عدد حروف لفظ الدنيا لوجدناها ستة حروف ، وأيضا حروف لفظ الحياة هي ستة حروف . وعناصر الدنيا .. هي السماوات وما فيها ... والأرض وما عليها ، فهذه تشير إليها ... وتعتمد عليها ... وقد قرر القرآن الكريم أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق السماوات والأرض في ستة أيام . والدنيا ولفظها يتكون من ستة حروف خلقت في ستة مراحل والإنسان وحروفه سبعة خلق في سبع مراحل .

<u>عجائب العدد سبعة</u> : من عجائب العدد سبعة في القرآن أنّ كلمة الإنسان تتكون من سبعة حروف وخلق على سبع مراحل يتساوى معه في عدد الحروف ألفاظ القرآن .. والفرقان .. والإنجيل .. والتوراة .. فكل منها يتكون من سبعة حروف .. وأيضا صحف موسى ، فيه سبعة حروف ، وأبو الأنبياء إبراهيم يتكون أيضا من سبعة حروف .. فهل هذه إشارة عددية ومتوازنة حسابية إلى أنّ هذه الرسالات والكتب إنما نزلت للإنسان لمختلف مراحله .. وشتى أحواله ، وعلى النقيض نجد الشيطان ويتكون لفظه من سبعة حروف ، فهل ذلك تأكيد لعداوته للإنسان في كل مرة ومختلف حالاته ، وأنه يحاول أنْ يصده تماما عن الهداية التي أنزلها الله للإنسان كاملة وشاملة .

كلمة (وسطا) في سورة البقرة ، وسورة البقرة عدد آياتها 286 آية . ولو أردنا معرفة الآية التي تقع في وسط السورة لكانت بالطبع الآية 143 ولا عجب من ذلك ، لكن إذا قرأنا هذه الآية لوجدناها (وكذلك جعلْناكمْ أمّةً وسَطاً) [البقرة : 143] . هل هذه صدفة ؟ لا .. لأنه لو وجد عدد محدود من مثل هذه الإشارات لقلنا صدفة ، لكنها كثيرة ومتكررة في كل آية من آيات القرآن الكريم .
تكرر لفظ (اعبدوا) ثلاث مرات موجها إلى الناس عامة ، وثلاث مرات إلى أهل مكة ، وثلاث مرات على لسان نوح إلى قومه ، وثلاث مرات على لسان هود إلى قومه ، وثلاث مرات على لسان صالح إلى قومه ، وثلاث مرات على لسان عيسى إلى قومه . كما أنه هناك بعض التوافقات بين عدد كلمات بعض الجمل التي بينها علاقة : (لا يستَأذِنُكَ الذينَ يُؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يُجاهدوا بأموالِهِمْ وأنفسِهِمْ واللهُ عليمٌ بالمتقينَ) [التوبة] وهي 14 كلمة يقابلها قوله تعالى في الموضوع نفسه : (إنّما يستأذِنُكَ الذينَ لا يؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ وارتابَتْ قلوبُهُمْ فَهُمْ في رَيبِهِمْ يترددونَ) [التوبة] وهي 14 كلمة كذلك .
وفي قوله تعالى : (وإذا قيلَ لهمُ اتَّبِعوا ما أنزلَ اللهُ) 7 كلمات يقابله الجواب على ذلك وهو قوله تعالى في الآية نفسها : (قالوا بلْ نتَّبِعُ ما وجدنا عليه آباءَنا) [البقرة] وهو 7 كلمات أيضا .
وفي قوله تعالى :(قالَ سآوِي إلى جبلٍ يعصِمُني مِنَ الماءِ)7 كلمات وتتمتها قوله تعالى : (قالَ لا عاصِمَ اليومَ مِنْ أمرِ اللهِ) وهي 7 كلمات أيضا .
<u>من دلالات الرقم سبعة</u> الرقم سبعة هو الأكثر تكرارا في القرآن الكريم بعد الرقم واحد ! وهذا يدل على أهمية هذا الرقم في كتاب الله عز وجل . وسوف نعدد باختصار شديد بعض دلالات هذا الرقم ونلخصها في النقاط الآتية :

1ـــ عدد السماوات (7) وعدد الأراضين (7) وعدد أيام الأسبوع (7) .
2ـــ عدد طبقات الذرة (7) طبقات ، وعدد طبقات الأرض (7) طبقات .
3ـــ عدد ألوان الطيف الضوئي (7) ألوان ، وعدد العلامات الموسيقية (7) أيضا .
4ـــ عدد حروف اللغة العربية التي هي لغة القرآن (28) حرفا وهذا العدد من مضاعفات السبعة فهو يساوي (7 × 4) .
5ـــ عدد الحروف المميزة التي في أوائل سور القرآن هو(14) حرفا ، أي (7 × 2) ، وكذلك عدد الافتتاحيات المميزة عدا المكرر هو (14) = (7 × 2) .
6ـــ عدد آيات أعظم سورة في القرآن هو (7) آيات وهي سورة الفاتحة والتي سماها الله تعالى بالسبع المثاني .
7ـــ عدد أبواب جهنم (7) أبواب ، والعجيب أنّ كلمة (جهنم) قد تكررت في القرآن كله (77) مرة وهذا العدد من مضاعفات السبعة (77 = 7 × 11)
8ـــ لقد تكرر ذكر (السماوات السبع) و (سبع سماوات) في القرآن كله (7) مرات .
9- عدد الأشواط التي يطوفها المؤمن حول البيت الحرام هو (7) أشواط ، ويسعى بين الصفا والمروة (7) أشواط أيضا ، ويرمي (7) جمرات . وكلمة التوحيد أيضا تتكون من سبع كلمات لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .
10 - يقول الرسول الكريم (أمرت أنْ أسجد على سبعة أعظم) [رواه البخاري] ، فالسجود يكون على سبعة أعضاء .
11 - لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم (63) سنة ، وهذا العدد من مضاعفات السبعة فهو يساوي (7 × 9) .
12 - تكرر ذكر الرقم سبعة في أحاديث الحبيب المصطفى كثيرا ، مثلا :
- سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...
- اجتنبوا السبع الموبقات ...
- مَن ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين .
- إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات ...
- مَن قال سبع مرات حسبي الله لا إله إلا هو ...
- مَن قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك .
13 - تحدث الرسول الأعظم عليه وعلى آله الصلاة و السلام عن علاقة أحرف القرآن بالرقم (7) ، فقال : { إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف }[البخاري] .
14 - تكرر هذا الرقم في قصص القرآن ، ففي قصة يوسف عليه السلام ورد هذا الرقم في رؤيا الملك : (سبع بقرات ، سبع سنابل ، سبع سنين) . وفي قصة نوح عليه السلام في خطابه لقومه : " أَلَمْ تروا كيفَ خَلَقَ اللهُ سبعَ سماواتٍ طِباقاً " [سورة نوح]وفي قصة عاد وعذابهم بالريح العاتية ، قال تعالى : " سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ " [سورة الحاقة] وفي آية أخرى يتحدث عن عذاب أهل جهنم : " ثُمّ في سلسلةٍ ذَرْعُها سبعونَ ذراعاً فاسلكوه " [سورة الحاقة]
15 - ورد هذا الرقم في القرآن أثناء الحديث عن الصدقات ومضاعفة الأجر من الله تعالى : " كمثلِ حبةٍ أنبتتْ سبعَ سنابلَ " [سورة البقرة]
16 - جاء ذكر الرقم (7) في القرآن للدلالة على كلمات الله التي لا تنتهي : " والبحرُ يمُدُّه مِن بعدهِ سبعةِ أبحُرٍ ما نفِدتْ كلماتُ اللهِ " [سورة لقمان :] بل والأعجب من ذلك أنّ البويضة والحيوانات المنوية قبيل التلقيح تدور حول نفسها 7 مرات . ولو ذهبنا نتتبع دلالات هذا الرقم نكاد لا نحصيها ، ويكفي أنْ نقول : إنّ وجود معجزة قرآنية تقوم على الرقم (7) هو دليل كبير على أنّ هذا القرآن هو كلام خالق السموات السبع سبحانه وتعالى .
<u>النظام الرقمي في القرآن الكريم</u> : في أبحاث الإعجاز الرقمي نتبع طريقة صف الأرقام بجانب بعضها حسب تسلسلها في القرآن الكريم . وبهذه الطريقة نحافظ على تسلسل كلمات وآيات القرآن . وهذه الطريقة ظهرت حديثا في الرياضيات وخصوصا ما يسمى بالنظام الثنائي

الذي تقوم على أساسه التكنولوجيا الرقمية بشكل كامل . إنّ وجود هذه الطريقة في كتاب أنزل قبل أربعة عشر قرنا حيث كانت وقتها الرياضيات بدائية جدا ، ليدل على أنّ القرآن هو كلام الله . لذلك نجد القرآن قد أودع الله فيه لغة دقيقة : إنها لغة جميع العلوم الحديثة – لغة الأرقام – فعندما نُخرج مثلا من سورة الإخلاص النظام الرقمي الدقيق ونضعه بين يدي مَن لا تقتنعه الكلمات ونقول له : هل باستطاعتك أنْ تأتي بكلمات منظمة بهذا الشكل المذهل ؟ والجواب المؤكد : ليس باستطاعتة البشر ولو اجتمعوا أنْ يقلّدوا هذا النظام العجيب والفريد . والسبب في ذلك أنّ النظام الذي أودعه الله في ثنايا هذه السورة شديد التعقيد إذا أردنا تقليده ، وفي الوقت ذاته يمكن رؤيته وفهمه من قبل كل البشر مهما كانت لغتهم أو عقيدتهم . إنّ عملية صف الأرقام صفا هي من العمليات الرياضية شديدة التعقيد . لذلك فهي تناسب معجزة رقمية تتجلى في القرن الواحد والعشرين لتُعجز علماء الرياضيات وليعترفوا بضعفهم أمام هذه المعجزة . كما أنّ الأعداد الناتجة باستخدام هذه الطريقة هي أرقام ضخمة جدا لايمكن أنْ تنتج من أي طريقة أخرى كالجمع مثلا . فمثلا في كتاب الله آية تكررت (31) مرة وهي " فبِأيِّ آلاءِ ربِّكُما تكذبانِ " [سورة الرحمن] وعندما نصف أرقام هذه الآيات الإحدى والثلاثين نجد عددا ضخما من (62) مرتبة ، هذا العدد على الرغم من ضخامته يقبل القسمة على (7) تماما وبالاتجاهين !! أمّا ما يتعلق بترتيب هذه الأرقام فالأساس الذي ننطلق منه هو رقم السورة ثم يأتي رقم الآية بالمرتبة الثانية لأنّ السورة تحوي عددا من الآيات . ثم عدد الكلمات لأنّ الآية تحوي عددا من الكلمات ثم عدد الحروف لأنّ كل كلمة تحوي عددا من الحروف . وقد يكون في القرآن ترتيب آخر يعطي النتائج ذاتها . وعلى كل حال فأنا على يقين بأننا مهما اتبعنا من طرق ومهما تنوعت أساليب الترتيب والإحصاء والعدّ ، وكيفما توجهنا بآيات القرآن نجدها محكمة ولا نجد أي اختلاف وهذا تصديق لقول الحق تبارك وتعالى : " ولو كانَ مِن عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً "[النساء] . إنّ محاولة تقليد القرآن رقميا سيُخِل بالجانب اللغوي ، فلا يستطيع أحد مهما حاول أنْ يأتي بكلام بليغ ومتوازن وبالوقت نفسه منظم من الناحية الرقمية ، سيبقى النقص والاختلاف في كلام البشر ، وهذا قانون إلهي لن يستطيع أحد تجاوزه : " أفلا يتدبرونَ القرآنَ ولو كانَ مِن عند غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " [النساء] .

هذا إعجاز الله : آلاف الأبحاث العلمية تصدر يوميا في الدول المتقدمة ، هذه الأبحاث على كثرتها نجد لها صدى في كتاب الله عز وجل ، ولا نجد أي تناقض بين القرآن والعلم الحديث . لذلك ومن عظمة إعجاز القرآن أنّ كل معجزة فيه لها توقيت محدد من الله عز وجل . وقد شاءت قدرة الله تعالى أنْ تنكشف أمامنا معجزة القرآن الرقمية في عصر الأرقام الذي نعيشه اليوم ! إنّ اكتشاف معجزة رقمية في هذا العصر (الألفية الثالثة) لهو دليل مادي على أنّ القرآن مناسب لكل زمان ومكان ، وأنّه يخاطب كل قوم بلغتهم ، وقبل أنْ نبدأ استعراض الحقائق الرقمية يجب أنْ يبقى السؤال الآتي أمامنا : ما هو مصدر هذه الأرقام وكيف انضبطت مع الرقم سبعة بهذا الشكل المذهل ؟ إننا عندما نتأمل أول آية في كتاب الله وآخر آية منه نجد أنّ الأرقام المميزة لكل منهما تتناسب مع العدد سبعة :

1- أول آية في القرآن : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، رقم السورة (1) ، رقم الآية (1) ، عدد كلماتها (4) ، عدد حروفها (19) ، عندما نصفّ هذه الأرقام بهذا التسلسل نجد عددا هو (19411) هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة : 19411 = 7 × 2773

2- آخر آية في القرآن : (من الجنة والناس) ، رقم السورة (114) ، رقم الآية (6) ، عدد كلماتها (4) ، عدد حروفها (13) ، من جديد عندما نصفّ هذه الأرقام نجد العدد (1346114) من مضاعفات الرقم سبعة : 1346114= 7 × 192302 .

في هذه الأبحاث سوف يرى القارئ أنّ كل شيء في كتاب الله تعالى يسير بنظام دقيق ومذهل . فكلمات القرآن الكريم تتكرر في القرآن بنظام . فإذا ما تتبعنا تكرار كلمة أو عبارة ما من القرآن نجد أنّ أرقام السور التي وردت فيها هذه الكلمة أو العبارة تشكل عددا من مضاعفات الرقم سبعة ! ينطبق هذا النظام العجيب على أرقام السور . فإذا ما أخذنا أرقام السور التي تكررت فيها كلمة أو عبارة ما فإنّ هذه الأرقام ستشكل عددا من مضاعفات السبعة ، وحجم النتائج الرقمية المتعلقة بهذا النظام تُعد بالآلاف !!

القصة القرآنية لها أسرار عجيبة أيضا . فكثير من قصص القرآن تكررت في مواضع متعددة من آيات وسور القرآن وقد كشفت لنا لغة الأرقام بعض أسرار هذا التكرار بحيث أننا عندما نأخذ أرقام الآيات التي تكررت فيها قصة ما نجد عددا من مضاعفات السبعة وينطبق هذا على أرقام السور . وفي كتاب الله جل جلاله كلمات لم تتكرر إلا مرة واحدة ، وهذه لها نظام عجيب أيضا . ويكفي أنْ نعلم بأنّ القرآن يحتوي على أكثر من ألف كلمة لم تتكرر إلا مرة واحدة وجاءت أرقام الآيات مع أرقام السور من مضاعفات السبعة وذلك لجميع هذه الكلمات !!! ومن عجائب القرآن أنك تجد كل حرف يتكرر بنظام يقوم على الرقم سبعة ، وتتجلى عظمة هذا النظام في الحروف المميزة التي في أوائل السور مثل (ألم) . فإذا ما درسنا تكرار هذه الحروف (الألف واللام والميم) في السورة رأينا أعدادا من مضاعفات السبعة ، وإذا ما درسنا تكرار هذه الحروف في الآيات تشكلت لدينا أعدادا من مضاعفات الرقم سبعة . وهذا ينطبق على جميع الحروف المميزة وعددها أربعة عشر حرفا . كما أنّ هناك آيات تكررت بحرفيتها في مواضع متعددة في القرآن ، والعجيب أنّ هذا التكرار جاء متوافقا مع الرقم سبعة . وهكذا حقائق وحقائق لا تنتهي عن كتاب الله سبحانه وتعالى ، وكأننا أمام بحر زاخر بالإعجازات الرقمية التي لا تنفد ، يقول تعالى : " قلْ لو كانَ البحرُ مداداً لِكلماتِ ربِّي لنفدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كلماتُ ربِّي ولو جئنا بمثلِه مدداً " [الكهف] . هذا هو المنهج العلمي للقرآن ، لذلك عندما يعجز هؤلاء عن تقديم برهان على أنّ القرآن قول بشر ، يأتي كتاب الله ليقدم آلاف البراهين على أنّ كل كلمة وكل حرف وكل رقم في هذا القرآن جاء بتقدير العزيز العليم القائل : " قلْ أنزلَه الذي يعلمُ السرَّ في السماواتِ والأرضِ إنه كانَ غفوراً رحيماً " . هناك أرقام تميز كتاب الله الذي بين أيدينا وهي : عدد آياته وعدد سوره وعدد سنوات نزوله . فإذا قمنا بإحصاء عدد آيات القرآن نجدها بالضبط (6236) آية . أمّا عدد سور القرآن فكما نعلم هو (114) سورة ، ونعلم أيضا أنه نزل على(23) سنة. ويجب دائما أنْ نتذكر بأنّ هذه الأرقام موجودة في كتاب الله وليس في كتاب بشر ، لذلك هي أرقام خاصة بالله تعالى ، لأنّ البارئ سبحانه وتعالى لا يسمح لأحد من خلقه أنْ يضيف أو يحذف شيئا من كتابه إلا بما شاء هو ! لأنّ الله يقول : " لا تبديلَ لكلماتِ اللهِ " [

يونس] . لذلك سوف نرى الآن أنّ هذه الأرقام تحقق معادلات رياضية لا يمكن لأحد أنْ يأتي بمثلها مهما حاول ! إنّ إعجاز هذه الأرقام يأتي من خلال اجتماعها وصفِّها بترتيب معين (الأكبر فالأصغر) وبالتالي يكون لدينا ثلاثة احتمالات :

1 - آيات القرآن (6236) آية مع سور القرآن (114) سورة و العدد الذي يمثّل آيات القرآن وسوره هو (1146236) .

2 - آيات القرآن (6236) آية مع سنوات نزول القرآن (23) سنة ، والعدد الذي يمثل آيات القرآن وسنوات نزوله هو (236236).

3 - سور القرآن (114) سورة مع سنوات نزوله (23) سنة ، والعدد الذي يمثل سور القرآن وسنوات نزوله هو (23114) . جميع هذه الأعداد ترتبط مع الرقم (7) بشكل مذهل ، ويتكرر النظام ذاته دائما

آيات القرآن وسوره

1 - إنّ العدد الذي يمثل آيات القرآن وسوره هو : (1146236) يتألف من سبع مراتب .

2 - العدد الذي يمثل آيات القرآن وسوره (1146236) من مضاعفات الرقم سبعة ، لنرى ذلك :

163748 × 7 = 1146236

3 - مقلوب العدد الذي يمثل آيات القرآن وسوره أيضا من مضاعفات الرقم سبعة ، وهو (6326411) وهذا العدد يقبل القسمة على سبعة : 903773 × 7 = 6326411

4 - مجموع أرقام العدد الذي يمثل آيات القرآن وسوره هو :

(1146236) :6+ 3+ 2 + 6 + 4 + 1 + 1 =23 والعدد (23) يمثل عدد سنوات نزول القرآن !! النتيجة هي أنّ العدد الناتج من ضم آيات القرآن وسوره يتألف من سبع مراتب ويقبل القسمة على سبعة هو ومقلوبه ، ومجموع أرقامه هو بالضبط سنوات نزول القرآن !

آيات القرآن وسنوات نزوله

1 - العدد الذي يمثل آيات القرآن وسنوات نزول القرآن هو : (6236-23) من مضاعفات الرقم سبعة : 236236 = 7 × 33748

2 - مقلوب العدد الذي يمثل آيات القرآن وسنوات نزوله وهو : (632632) من مضاعفات الرقم سبعة أيضا : 632632 = 7 × 90376 إذن العدد ينقسم على سبعة بالاتجاهين هو ومقلوبه . ويستمر هذا النظام ليشمل سور القرآن وسنوات نزوله أيضا .

سور القرآن وسنوات نزوله

1 - العدد الذي يمثل سور القرآن وسنوات نزول القرآن هو : (23114) ، هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة : 23114 = 7 × 3302

2 - مقلوب العدد الذي يمثل سور القرآن وسنوات نزوله هو : (41132) من مضاعفات الرقم سبعة أيضا : 41132 = 7 × 5876 إذن العدد الذي يمثل سور القرآن وسنوات نزول القرآن يقبل القسمة على سبعة هو ومقلوبه . وكما نلاحظ جميع الأعداد السابقة جاءت الأكبر فالأصغر دائما . أي أننا نصفّ العدد الأكبر على اليمين ثم يليه الرقم الأصغر على يساره . والعجيب فعلا أنّ هذه الأعداد الثلاثة جاءت مراتبها متدرجة (7 - 6 - 5) ، أي :

1 - العدد (1146236) يتألف من (7) مراتب .

2 - العدد (236236) يتألف من (6) مراتب .

3 - العدد (23114) يتألف من (5) مراتب .

وبالتالي تكون مراتب هذه الأعداد (7 - 6 - 5) تشكل عددا هو (567) من مضاعفات الرقم سبعة أيضا : 567 = 7 × 81

استحالة الإتيان بمثل هذه الأرقام

لقد رأينا في الفقرات السابقة (8) عمليات قسمة على سبعة في هذه الأرقام الثلاثة . ولو فتشنا بين جميع الأرقام الممكنة عن أرقام تحقق هذه المعادلات الرقمية لم نجد إلا هذه الأرقام ، وهذا دليل مادي على صدق قول الحق سبحانه وتعالى : " لا يأتونَ بمثلِه " .

مزيد من الإعجاز : لا يخفى على أحد منا أنّ القرآن الكريم نزل على مرحلتين ، ما قبل الهجرة في مكة المكرمة ، وما بعد الهجرة في المدينة المنورة . لذلك يقسّم علماء القرآن أنواع النزول إلى مكي ومدني . وكانت السنة الثالثة عشرة للدعوة هي الفاصلة بين هذين النوعين . فقد لبث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (13) سنة في مكة ، وكانت هذه السنة (سنة الهجرة) حدا فاصلا بين مرحلتين للدعوة . لذلك فإنّ الرقم (13) هو رقم ذو أهمية قصوى وهذا ما نجد له صدى في الأرقام القرآنية .

ومن عجائب القرآن أنّ جميع الأعداد التي رأيناها في هذا الفصل والتي جاءت من مضاعفات الرقم (7) بالاتجاهين ،هذه الأعداد من مضاعفات الرقم (13) بالاتجاهين أيضا !! بلا استثناء .

1- عدد آيات القرآن وسوره من مضاعفات الرقمين (7) و (13) وبالاتجاهين :

العدد : 1146236 = 7 × 13 × 12596

مقلوبه : 6326411 = 7 × 13 × 69521

وتأمل كيف جاء ناتجا القسمة (12596) و (69521) متعاكسين !

2 - عدد آيات القرآن وسنوات نزوله من مضاعفات الرقمين (7) و (13) وبالاتجاهين أيضا : العدد : 236236 = 7 × 13 × 2596

مقلوبه : 632632 = 7 × 13 × 6952

وهنا أيضا ناتجا القسمة (2596) و (6952) متعاكسان !

3- عدد سور القرآن مع سنوات نزوله من مضاعفات الرقمين (7) و (13) وبالاتجاهين :

العدد : $254 \times 13 \times 7 = 23114$

مقلوبه : $41132 = 7 \times 13 \times 452$ ويبقى ناتجا القسمة متعاكسين (254) و (452) . فانظر إلى هذا النظام المُحكم ، مهما وضعنا من أعداد لا يختل النظام ولو أنّ هذا القرآن نقص سورة واحدة أو زاد سورة لانهار هذا البناء و كأن الحق سبحانه وتعالى قد وضع لغة الأرقام في كتابه ليبقى هذا الكتاب محفوظا برعاية الله عز وجل ولتكون هذه اللغة الجديدة التي تنكشف أمامنا وسيلة تثبِّت إيماننا بهذا القرآن وتؤتينا حجة قوية على مَن لايؤمن بصدق كلام الله تعالى !

رأينا في فقرة سابقة كيف انتظمت حروف (بسم الله الرحمن الرحيم) بما يتناسب مع الرقم (7) ، ولكن للرقم (13) حضوره في هذه الآية . لنكتب أول آية في القرآن وتحت كل كلمة عدد حروفها :

الآية	بسم الله الرحمن الرحيم
عدد حروف كل كلمة	3 4 6 6

إنّ العدد الذي يمثل حروف الآية مصفوفا (6643) من مضاعفات الرقمين (7) و (13) معا :

$6643 = 7 \times 13 \times 73$ ويبقى هذا النظام قائما مهما تغيرت طرق العد ، فلو قمنا بعدّ حروف كلمات البسملة باستمرار وبشكل متزايد (أي نكتب عدد حروف الكلمة مع ما قبلها) نجد ما يلي :

الآية	بسم الله الرحمن الرحيم
العدّ المتزايد للأحرف	3 7 13 19

وهنا نجد أنّ العدد الذي يمثل حروف البسملة هو (191373) من مضاعفات الرقمين (7) و (13) وبالاتجاهين :

العدد : $2103 \times 13 \times 7 = 191373$

مقلوبه : $4101 \times 13 \times 7 = 373191$

إنّ إعجاز الأعداد الأولية في القرآن دليل على وحدانية الله ، فلو كان الأمر يتم عن طريق المصادفة ما رأينا نظاما محكما لهذه الأرقام بالذات ! فميزة العدد الأولي أنه لا ينقسم إلا على نفسه وعلى الواحد ، وقد اختار الله تعالى هذه الأعداد ليدلنا على أنه إله واحد لا إله إلا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون . وقد نعجب إذا علمنا أنّ كلمة (الله) قد تكررت في القرآن كله (2699) مرة وهذا عدد أولي لا ينقسم على أي عدد آخر إلا الواحد ، ألا يدل هذا على وحدانية الله ؟

(وإنا له لحافظون)

دراسة آيات القرآن الـ (6236) مهمة صعبة وطويلة وتحتاج لمئات الأبحاث ، ولكن يكفي أنْ ندرك شيئا من إعجاز الله في آياته من خلال آية عظيمة هي الآية التي قرر فيها رب العزة سبحانه حفظ كتابه فقال : " إنّا نحنُ نزَّلنا الذكرَ وإنّا لَهُ لحافظون " [الحجر] . إنّ الله سبحانه وتعالى قد وضع هذه الآية الكريمة إعجازا عجيبا في حروفها ، وكلماتها . هذا الإعجاز يقوم على الرقم (7) وتسانده الأرقام الأولية ذات المدلول مثل الرقم (13) والرقم (11) والرقم (23) . وسوف نرى توافقات عجيبة وعجيبة جدا مع هذه الأرقام ، إنّ هذه الأنظمة الرقمية سوف تختل وتنهار لو تغير حرف واحد في الآية ، حتى في طريقة كتابتها . فمثلا كلمة (لحافظون) كتبت في القرآن من دون ألف هكذا (لحفظون)وهذه الألف لو أضيفت لاختل البناء الرقمي للآية . قبل أنْ ندخل في رحاب هذه الآية نود أنْ نشير إلى أنّ واو العطف تعتبر كلمة مستقلة عما قبلها وما بعدها في أبحاث الإعجاز الرقمي ، وذلك لأنها تكتب بشكل منفصل عما قبلها وما بعدها ، ولكن حتى عندما نعد واو العطف جزءا من الكلمة التي بعدها يبقي النظام قائما ! وهذا ما سوف نراه من خلال الفقرات القادمة . ونبدأ بأول كلمة وآخر كلمة في الآية لنرى كيف ترتبط حروفهما مع الرقم سبعة .

أول كلمة وآخر كلمة

في هذه الآية الكريمة أول كلمة هي (إنا) وآخر كلمة هي (لحفظون) لنكتب عدد حروف كل كلمة

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون
عدد حروف أول وآخر كلمة	3 6

إنّ العدد الذي يمثل حروف أول كلمة وآخر كلمة هو (63) من مضاعفات الرقم (7) : $63 = 7 \times 9$ والرقم (9) الناتج هو رقم هذه الآية في القرآن !

أول حرف وآخر حرف

أول حرف في هذه الآية هو الألف وآخر حرف فيها النون ، وسوف نرى كيف تتوزع الكلمات التي تحتوى على هذين الحرفين بنظام بديع يقوم على الرقم (7).

نكتب الآية ونعطي الكلمة التي تحتوى على حرف الألف الرقم (1) أما الكلمة التي لا تحتوي على هذا الحرف فتأخذ الرقم (0) ، وهذا ما يسمى بالنظام الثنائي :

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون
توزع حرف الألف ثنائيا	1 0 1 1 0 1 0 0

إنّ العدد الذي يمثل توزع حرف الألف ثنائيا هو : (00101101) من مضاعفات الرقم (7) : 101101 = 7 × 14443 ننتقل الآن إلى حرف النون ونكتب الآية من جديد وتحت كل كلمة رقما : (1) للكلمة التي تحوي النون ، (0) للكلمة التي لا تحتوي على هذه الحرف :

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون
توزع حرف النون ثنائيا	1 1 1 0 0 1 0 1

إنّ العدد الذي يمثل توزع النون ثنائيا في كلمات في كلمات الآية هو (10100111) من مضاعفات الرقم (7) أيضا : 10100111 = 7 × 1442873 والنتيجة أنّ أول حرف وآخر حرف في الآية يتوزعان بنظام يقوم على الرقم سبعة !

عدد حروف الآية

إنّ عدد أحرف هذه الآية كما رسمت في القرآن هو (28) حرفا بعدد الحروف الأبجدية التي لغة القرآن وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة فهو يساوي (28 = 7 × 4) . والعجيب حقا هو الطريقة التي توزعت بها هذه الحروف في كلمات الآية .

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون
عدد حروف كل كلمة	3 3 5 5 1 3 2 6

إنّ العدد الذي يمثل حروف هذه الآية مصفوفا هو : (62315533) من مضاعفات الرقم (7) والرقم (23) : 62315533 = 7 × 23 × 387053 وتأمل معي عظمة هذا النظام ، فالآية التي تحدثت عن حفظ القرآن جاءت حروفها منسجمة مع عدد سنوات نزول القرآن (23) !! ومجموع حروفها مساويا لحروف لغة القرآن (28) !!!

رقم الآية : رقم هذه الآية في المصحف هو (9) ، وهذا الرقم لم يأتِ عبثا بل جاء بنظام عجيب متناسب مع سور القرآن وعدد آيات القرآن . فعندما نقوم بصف سور القرآن الـ (114) مع رقم الآية التي تحدثت عن حفظ القرآن (9) نجد عددا جديدا هو : (9114) هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة مرتين : 9114 = 7 × 7 × <u>186</u> ويبقى هذا النظام قائما ليشمل عدد آيات القرآن . فعندما نقوم بصف عدد آيات القرآن الـ (6236) مع رقم الآية التي تحدثت عن حفظ القرآن (9) نجد العدد (96236) من مضاعفات الرقم سبعة لمرتين أيضا !! 96236 = 7 × 7 × <u>1964</u>

ولكن بقي شيء آخر وهو أنّ ناتجي القسمة (186) و (1964) يشكلان عددا من مضاعفات الرقم سبعة أيضا وهو : (1964186) هذا العدد مكون من (7) مراتب ومجموع أرقامه (35 = 7 × 5) ويقبل القسمة على سبعة تماما : 1964186 = 7 × 280598 . إنّ هذه المعادلات تدل على أنّ الله تعالى قد اختار لهذه الآية الرقم (9) ليدلنا على أنه قد حفظ كل سورة وكل آية في القرآن ، لذلك جاء رقم الآية مع آيات القرآن وسوره متناسبا مع الرقم (7) الذي يمثل أساس النظام الرقمي لكتاب الله تعالى

مع الحروف المميزة

الحروف المميزة في القرآن (14) حرفا وهي في أوائل بعض السور ، والعجيب أنّ هذه الآية تحتوي على نصف هذا العدد أي (7) أحرف مميزة وهي : (أ ، ن ، ح ، ل ، ك ، ر ، هـ) . العجيب أنّ هذه الحروف السبعة تتوزع بشكل يقوم على الرقم (7) .

في هذه الآية (7) كلما تحتوي على أحرف مميزة ، لنكتب الآية وتحت كل كلمة رقما : (1) للكلمة التي تحوي حروفا مميزة ، (0) للكلمة التي لا تحوي هذه الحروف :

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون
توزع الحروف المميزة ثنائيا	1 1 1 1 0 1 1 1

إنّ العدد الذي يمثل توزع الكلمات المميزة في الآية هو : (11101111) من مضاعفات الرقم (7) ومن مضاعفات الرقم (19) لمرتين ، ومن مضاعفات الرقم (23) معا : 11101111 = 7 × 19 × 19 × 23 × 191 ، إنّ الرقم (19) يمثل عدد حروف أول آية في القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) ، والرقم (23) يمثل عدد سنوات نزول القرآن العظيم . فانظر إلى هذا التوافق المذهل في آية تتحدث عن حفظ القرآن ! ولكن هل يبقى النظام قائما في توزع هذه الحروف داخل الكلمات ؟

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون
توزع الحروف المميزة	3 3 4 4 0 3 2 3

إنّ العدد (32304433) يقبل القسمة عى (7) بالاتجاهين :

العدد : 32304433 = 7 × 4614919

مقلوبه : 33440323 = 7 × 4777189

وسبحان الله ! آية تتكون من (28) حرفا أي (7 × 4) ، وفيها (7) كلمات تحتوي على حروف مميزة ، عدد هذه الحروف (7) عدا المكرر منها ، توزع هذه الكلمات السبع جاء بنظام يقوم على الرقم (7) وتوزع الحروف جاء بنظام يقوم على الرقم (7) ، هل هذا العمل بمقدور البشر ؟

مزيد من العجائب

عندما نقوم بعد حروف الآية تراكميا ، أي باستمرار نجد عددا من مضاعفات السبعة أيضا .

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون
العد المستمر للحروف	3 6 11 16 17 20 22 28

العدد الذي يمثل حروف الآية تراكميا هو : (28222017161163) عدد مكون من (14) مرتبة (7 × 2) ، ومجموع أرقامه (42 = 7 × 6) ويقبل القسمة على (7) تماما :

4031716737309 × 7 = 28222017161163

حتى الحروف المشددة جاءت بنظام يقوم على الرقم (7) .

الآية	إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحفظون
عدد الحروف المشددة	1 0 1 1 0 10 0

والعدد الذي يمثل توزع الشدات في هذه الآية من مضاعفات الأرقام (7) و (11) و (13) :

101101 = 7 × 11 × 13 × 101 ، إنّ هذه النتيجة تثبت أنّ إعجاز القرآن لا يقتصر على رسم الكلمات ، بل في لفظ هذه الكلمات معجزة عظيمة أيضا !!

مع ضم واو العطف

حتى لو قمنا بضم واو العطف للكلمة التي بعدها يبقى النظام قائما :

الآية	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون
عدد الحروف مع ضم الواو	3 3 5 5 4 2 6

العدد الذي يمثل حروف الآية على اعتبار واو العطف جزءا من الكلمة التي بعدها هو : (6245533) من مضاعفات الرقم (7) :

892219 × 7 = 6245533

وهكذا رحلة الإعجاز الرقمي في كتاب الله لا نهاية لها ، فالقرآن العظيم هو عبارة عن (6236) آية ، ويمكن القول وبثقة تامة إنّ كل آية من آياته تشكل بناء متقنا ومعجزا للبشر ، فهو كتاب معجز كجملة واحدة ومعجز بسوره ومعجز بآياته .

<u>نحو إعجاز قرآني جديد</u>

**** {وإنْ تعدوا نعمة الله لا تحصوها } ، هذه حقيقة قرآنية تقرر عجز البشر عن إحصاء نعمة الله ،**

كلمة [تحصوها] تكررت مرتين في القرآن		
اسم السورة	إبراهيم	النحل
رقم الآية	34	18

العدد الذي يمثل هاتين الآيتين (حسب تسلسلهما في القرآن) هو : 4 3 8 1 يقبل القسمة تماما على 7 : 1834 = 7 × 262

**** ومن الكلمات والجمل القرآنية التي وردت مرتين في القرآن والتي إذا ما قمت بصفِّ أرقام آياتها التي وردت فيها حسب تسلسلها في القرآن لوجدت أنّ العدد الذي يقبل القسمة على سبعة وأحيانا يقبل ذلك مرتين وأكثر للتأكيد على المعنى الذي تحمله الآية ومن ذلك : ـ تحصوها ، أحصيناه ، نزّله ، صاحبة ، مرج ، طلوع ، يفترى ، تصديق ، تكذيب ، مثاني ، انصتوا ، حسبي ، حسبهم ، جاهد ، اغلظ ، سلالة ، يزكي ، معذرتهم ، دافع ، عرضها ، هباء ، نكذب .**

ـ " وما أرسلْنَاكَ إلا مبشراً ونذيراً " ، " لقدْ كفرَ الذِينَ قالوا إنّ اللهَ هو المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ " ، " وما أنتُم بمعجِزينَ في الأرضِ " ، " إنّ هذه أمّتُكمْ أمةً واحدةً " ، " وإنْ يمسَسْكَ اللهُ بضُرٍ فلا كاشفَ له إلا هو " . ومن الكلمات والجمل القرآنية التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم والتي إذا ما اتبعنا معها الطريقة السابقة كان الناتج يقبل القسمة على سبعة ومن ذلك : ـ صاحبكم ، يجمعون ، مبصرا ، فصلت ، يجحد . ـ "ووصينا الإنسانَ بوالديه " ،"ولقد استُهزِىء برُسلٍ مِن قبلك " ، " مَن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسِه " . وهكذا حال مئات ومئات من الكلمات القرآنية انتظمت عبر آيات وسور القرآن بطريقة مذهلة ووفق نظام متقن كله بتقدير من العزيز الحكيم ، والنظام الرقمي المعجز له لغته الخاصة ، فانتظام الأرقام بهذا الشكل الدقيق يدل على وجود منظم لها ، وبعد كل هذه الأدلة يأتي مَن ينكر ويجحد بآيات الله ، فماذا عن شخص كهذا ؟

<u>توضيح لابد منه :</u> النظام الرقمي الذي نكتشفه في هذا البحث لا ينطبق على جميع كلمات القرآن ، لسبب بسيط وهو أنّ كلمات الله أكبر بكثير من أنْ يحيط به نظام رقمي واحد ، فكما أنّ كلمات الله لا نهاية لها كذلك الأنظمة الرقمية في كتاب الله لا نهاية لها . فما أعظم هذا القرآن ... وما أعظم إعجازه وبيانه ... وما أزوع الأرقام عندما تنطق بالحق . إنّ إحدى عجائب كتاب الله هو النظام العجيب الذي رتب الله عليه آيات وسور وأحرف وكلمات كتابه ، وقد جاء هذا النظام متناسبا مع العدد سبعة ومضاعفاته ، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على وحدانية الله عز وجل ، فهو خالق السماوات السبع وهو منزل هذا القرآن .

<u>أول سورة وآخر سورة :</u> إنّ أول شيء نصادفه في كتاب الله هو سورة الفاتحة،وهي سبع آيات ، وقد عظَّم الله تعالى شأنها فسماها : السبع المثاني، قال: " ولقدْ آتيناكَ سبعاً مِنَ المثانِي والقرآنِ العظيمِ " [الحجر] . سورة الفاتحة هي أول سورة في القرآن رقمها واحد ، وأما آخر سورة في القرآن فهي سورة الناس ورقمها 114 ، والنظام القرآني الذي نحاول تدبره من خلال هذا البحث يعتمد على صفِّ هذه الأعداد حسب تسلسلها في كتاب الله ، لنجد دائما مضاعفات للعدد سبعة . فعندما نصف رقمي أول سورة وآخر سورة في القرآن ، أي : العدد 1 و العدد 114 نجد عددا جديدا هو 1141 ، هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة ، فالعدد 1141 هو حاصل ضرب سبعة في 163 ، <u>هذه هي البداية فقط</u> ، وسوف نعيش في فقرات هذا البحث مع سلسلة من التوافقات العجيبة للعدد سبعة في القرآن .

أول كلمة وآخر كلمة : أول كلمة في كتاب الله تعالى هي { بسم } ، وآخر كلمة في كتاب الله عز وجل هي { الناس } ، عندما نبحث عن تكرار هاتين الكلمتين في القرآن كله نجد كلمة (اسم) قد تكررت 22 مرة ، أما كلمة (الناس) فنجدها قد تكررت 241 مرة . عندما نصف هذين العددين نجد عددا جديدا هو 24122 هذا العدد من مضاعفات العدد سبعة ، فهو يساوي ضرب سبعة في 3446 . هذا فيما يتعلق بأول كلمة وآخر كلمة في القرآن ، ولكن هل يبقي هذا النظام قائما ليشمل أول كلمة نزلت وآخر كلمة نزلت من القرآن ؟إنّ أول كلمة نزلت على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي : (اقرأ) أما آخر كلمة نزلت من القرآن فهي (لا يظلمون) ، ولكننا نجد في ترتيب آيات القرآن كلمة (لا يظلمون) قبل كلمة (اقرأ) وسوف ندرك الحكمة من ذلك . إنّ كلمة (يُظلمون) تكررت في القرآن كله 15 مرة ، أما كلمة (اقرأ) فقد تكررت في القرآن كله 3 مرات ، وبصف هذين العددين نجد عددا جديد هو 315 ، إنّ هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة أيضا ، فهو يساوي سبعة في 45.

ارتباط محكم : وهنا نعيد كتابة هذه الحقيقة العجيبة لأول كلمة وآخر كلمة ترتيبا ونزولا ، لنرى الترابط المذهل الذي يعتمد على العدد سبعة .

1 ـ العدد الذي يمثل تكرار أول كلمة وآخر كلمة ترتيبا هو من مضاعفات العدد سبعة ، والناتج من عملية القسمة هو عدد صحيح قيمته 3446 كما رأينا .

2 ـ العدد الذي يمثل تكرار أول كلمة وآخر كلمة نزولا هو من مضاعفات الرقم سبعة ، وناتج القسمة هو عدد صحيح أيضا قيمته 45 . إنّ الشيء العجيب أنّ ناتجي القسمة هذين 3446 و 45 برتبطان ارتباطا مذهلا يقوم على الرقم سبعة ، فعندما نصف هذين العددين نجد عددا جديدا هو 453446 ، هذا العدد يقبل القسمة على سبعة ثلاث مرات متتالية !! أليس هذا تأكيد من الله عز وجل على أنّ القرآن كتاب محكم ؟ ولكن السؤال : هل يوجد نظام لأول كلمة في الآية ذاتها ؟

أول آية : إننا نجد هذا الانسجام العجيب للعدد سبعة في أول آية من القرآن : { بسم الله الرحمن الرحيم } ، فأول كلمة في هذه الآية كما رأينا هي (بسم) تكررت في القرآن كله 22 مرة ، وآخر كلمة في هذه الآية هي (الرحيم) ، التي نجدها قد تكررت في كل القرآن 115 مرة . من جديد نصف هذين العددين لنجد عددا جديدا هو 11522 هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة .

نطبق هذه القاعدة على آيات القرآن وسنوات نزوله فنجد النظام ذاته يتكرر تماما !فعدد آيات القرآن هو 6236 آية نزلت خلال 23 سنة ، وبصف هذين العددين نجد عددا جديدا هو 236236 هذا العدد من مضاعفات العدد سبعة بالاتجاهين / أي هو ومقلوبه / أيضا.

نظام الأحرف : إنك لمن المرسلين : إنّ هذا النظام المحكم لا يقتصر على أول وآخر آية بل يشمل نصوص القرآن العظيم . فعندما يؤكد القرآن على أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله نجد قول الحق قول الحق مخاطبا حبيبه : " إنّك لمِنَ المرسلين " [يس] ، هذه الكلمات قد نظمها الله تعالى بشكل يتناسب مع العدد سبعة ، فعندما نكتب العدد الذي يعبر عن حروف كل كلمة من كلمات هذه الآية مصفوفا نجد العدد 833 ، هذا العدد من مضاعفات السبعة مرتين ، فهو حاصل ضرب سبعة في سبعة عشر . والعجيب أنّ عدد حروف هذه الآية هو أربعة عشر حرفا أي سبعة في اثنان !

وحدانية الله : عندما يؤكد القرآن على وحدانية الخالق عز وجل نجد البيان الإلهي : " اللهُ لا إلهَ إلا هو " [سورة التغابن] إنّ صف حروف هذه العبارة يعطي عددا هو : 23324 إنه عدد من مضاعفات السبعة ثلاث مرات متتالية ، فهو يساوي حاصل ضرب سبعة في سبعة في سبعة في 68 . والعجيب أيضا أنّ مجموع حروف هذه العبارة هو أربعة عشر حرفا (أي سبعة في اثنين) !

نصر الله : وعندما يخاطب الله عباده المؤمنين نجده يقول : " إن ينصُركُمُ اللهُ فلا غالبَ لكم " [آل عمران] ، نجد للعدد سبعة حضورا في تأكيد وعد الله وصدق كلامه . فالجملة الأولى : (إن ينصركم الله) ، صف حروفها عو العدد 462 من مضاعفات العدد سبعة (لمرة واحدة) ، إنّ هذه الجملة تعني أنّ الله قد ينصركم ، وقد لا ينصركم ولكن عندما نأتي لجواب الشرط : (فلا غالب لكم) نجد أنّ العدد الذي يعبر عن حروف هذه الجملة هو 343 يساوي تماما سبعة في سبعة في سبعة !!! وهذا يعني أنّ الله إنْ نصركم فلن يغلبكم أحد ، وجاءت لغة الرقم سبعة بالتأكيد ثلاث مرات (7× 7 × 7) لتزيد اليقين في صدق هذا الوعد من الحق عز وجل .

توسّع الكون : القرآن مليء بالحقائق العلمية التي كشف عنها العلم الحديث وجاءت مطابقة تماما للواقع ، ومن هذه الحقائق توسع الكون ، يقول تعالى : " والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنّا لَمُوسِعونَ " [الذاريات] وانظر معي إلى دقة البيان الإلهي في كلمة (بنيناها) فجميع الأبحاث الكونية أنّ السماء هي بناء محكم لا وجود للفراغ فيه ! وانظر معي إلى كلمة (لموسعون) جاءت بصيغة الاستمرار ،و يؤكد العلم الحديث أنّ الكون توسع في الماضي ولا يزال بتوسع باستمرار .

إنّ هذه الدقة اللغوية والعلمية لا يمكن أنْ تأتي عن طريق المصادفة . لذلك فقد أكد تعالى هذه الحقائق ببراهين رقمية لتكون الحجة أبلغ . فالآية تحدثت عن بناء السماء وتوسعها ، وجاءت حروفها منسجمة بشكل مذهل مع العدد سبعة (الذي يمثل عدد السماوات) ، وإلى هذه السلسلة العجيبة من التوافقات مع الرقم سبعة .

1 ـ عند صف حروف وكلمات هذه الآية : الهمزة لا تحسب حرفا فهي لم تكتب على زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، إنما أضيفت فيما بعد ، كذلك الشدة وعلامات المد وغيرها ، نجد العدد 7315651 هذا العدد المكون من سبع مراتب يقبل القسمة على 7 بالاتجاهين كيفما قرأناه من اليمن أم من اليسار !

2 ـ إنّ عدد كلمات الآية هو سبع كلمات .

3 ـ عدد حروف الآية هو ثمانية وعشرون حرفا (7 × 4) .

وتأمل معي كلمة (بنيناها) التي كتبت في القرآن من دون ألف (بنينـها) ، وكلمة (بأيد) التي كتبت في القرآن بياء ثانية هكذا (بأييد) ، لولا هذه الطريقة في كتابة آيات القرآن هل نجد هذه العجائب ؟

القرآن يتحدى : ولوأضيفت الألف لهذه الآية أو حذفت من تلك الآية هذا لانهار هذا البناء القرآني المعجز ، أليست هذه الحقائق دليلا واضحا على استحالة الإتيان بمثل القرآن ؟ لذلك نجد قول الله تعالى متحديا الإنس والجن : " قل لئنِ اجتمَعَتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتُونَ بمثلِه ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيراً " [الإسراء] . في هذه الآية نجد نظاما سباعيا عجيبا ، فعندما نعبرعن كل كلمة بعدد حرفها نجد عددا شديد الضخامة يقبل القسمة على سبعة !

إنّ العدد الذي يمثل حروف هذه الآية مصفوفة هو عدد مكون من 21 مرتبة وهو : 545321552634523415632 هذا العدد الضخم من مضاعفات العدد سبعة ! . وحتى عندما نجزئ الآية لثلاثة مقاطع نجد هذا النظام ذاته يتكرر بصورة مذهلة :

1ــ" قل لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ " : العدد الذي يمثل صف حروف هذه الآية هو 415632 من مضاعفات الرقم سبعة .

2ــــ (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) : العدد الذي يمثل صف حروف هذا المقطع هو : 552634523 من مضاعفات العدد سبعة .

3ـ "ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً ":العدد الذي يمثل هذا المقطع هو545321 من مضاعفات العدد سبعة مرتين ! وهذ للتأكيد على أنهم ولو اجتمعوا فلن يأتوا بمثل القرآن.

الحقائق كثيرة وكثيرة جدا ، ولكن دائما نقتصر على الروائع من عجائب هذا القرآن الذي لا نهاية لأسراره . وصدق الله القائل عن كتابه (إنه لقول فصل) [الطارق] ، وانظر معي إلى عدد أحرف كل كلمة من كلمات هذه الآية : 343 إنّ هذا العدد هو تماما سبعة في سبعة في سبعة !

وهنا نتذكر قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : { إنّ هذ القرآن أنزل على سبعة أحرف } [البخاري ومسلم] .

الله يتجلى في كتابه : دائما مفتاح أيّة معجزة نجده في أول آية من كتاب الله وأول سورة منه وبما أنّ الله تعالى هو الذي أنزل سورة الفاتحة التي لا تصح الصلاة إلا بها ، جعل فيها دلالات واضحة على ذلك ، فإننا نلمس لفظ الجلالة (الله) تعالى في هذه السورة بلغة الأرقام . فكلمة (الله) تتركب من ثلاثة حروف هي الألف واللام والهاء . عندما نُخرج من كل كلمة من كلمات (بسم الله الرحمن الرحيم) ما تحويه من هذه الحروف الثلاثة نجد العدد 2240 ، من مضاعفات الرقم سبعة ! فالعدد 2240 هو حاصل ضرب سبعة في 320 .

سورة الفاتحة : الأعجب من ذلك أننا لو طبقنا هذه القاعدة على سورة الفاتحة كاملة ، وقمنا بإخراج ما تحويه كل كلمة من الألف واللام والهاء لتركب لدينا عدد ضخم جدا جدا ، هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة ! العدد الذي يمثل توزع أحرف لفظ الجلالة في كلمات سورة الفاتحة كاملة هو عدد من 31 مرتبة وهو يساوي : (4202202120223020022012230322240) هذا العدد على ضخامته يقبل القسمة على سبعة تماما . من عجائب هذا النظام المحكم أنه يبقى قائما مع البسملة أو من دونها . وهذا يوافق بعض قراءات القرآن التي لا تعد البسملة آية من الفاتحة ! إذن : تتعدد القراءات ويبقى النظام واحدا وشاهدا على وحدانية الله عز وجل . إنّ الشيء الأكثر عجبا ، أننا لو قمنا بعدّ أحرف الألف واللام والهاء في سورة الفاتحة لوجدنا تسعة وأربعين حرفا بالضبط أي (7 × 7) .

أول آية نزلت : إننا نجد هذا النظام العجيب منتشرا في آيات القرآن ، فأول آية نزلت على قلب الحبيب المصطفى محمد ﷺهي : " اقْرأ باسمِ ربِّكَ الذي خلقَ " تتجلى في كلماتها كلمة (الله) ، فعندما نعبر عن كل كلمة بما تحويه من أحرف (الله) – الألف واللام والهاء – نجد العدد : 12012 هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة بالاتجاهين كيفما قرأناه من اليسار أم من اليمين

معجزة لفظ الجلالة : إنّ أول مرة ذكر فيها لفظ الجلالة في القرآن في أول آية منه : (بسم الله الرحمن الرحيم) وآخر مرة ذكر لفظ الجلالة في القرآن في الآية الثانية من سورة الإخلاص : (الله الصمد) . والعجيب أنّ مجموع عدد أحرف هاتين الآيتين هو 28 حرفا أي 7 × 4 ومجموع عدد أحرف لفظ الجلالة الألف واللام والهاء في هاتين الآيتين هو 14 حرفا أي 7× 2 .

إنّ التوافق الأغرب للعدد سبعة نجده في عدد السور من الفاتحة إلى الإخلاص ، تأمل عدد أحرف كلمة (الفاتحة) هو سبعة ، وعدد أحرف كلمة (الإخلاص) هو سبعة أيضا . وعدد السور هو 114 سورة من مضاعفات العدد سبعة ، وعدد الآيات من (بسم الله الرحمن الرحيم) وحتى آية (الله الصمد) هو بالتمام والكمال 6223 آية ، وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة مرتين !!

أسماء الله الحسنى : من الآيات العظيمة التي تتحدث عن الله وأسمائه وصفاته قول الحق تعالى " هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو الملِكُ القُدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبّارُ المتكبِّرُ سبحانَ اللهِ عمَّا يشركونَ " [الحشر] إنّ عدد حروف الألف واللام والهاء في هذه الآية هي على الترتيب : 17 – 18 – 6 عندما نصفّ هذه الأعداد نجد عددا جديدا هو 61817 من مضاعفات الرقم سبعة . وعندما نخرج من كل كلمة من كلمات الآية ما تحويه هذه الكلمة من الألف واللام والهاء ونصفّ هذه الأرقام نجد عددا ضخما من مضاعفات الرقم سبعة مرتين وبالاتجاهين . إنّ العدد الذي يمثل توزع أحرف لفظ الجلالة ـ ا ل هـ ـ في الآية الكريمة هو 014023232323231332241 هذا العدد الضخم يقبل القسمة على سبعة مرتين ، ومقلوبه كذلك يقبل القسمة على سبعة مرتين !!

شهادة من الله : الله يشهد على وحدانيته فيقول : " شهدَ اللهُ أنّه لا إلهَ إلا هو والملائكةُ وأولو العلمِ قائماً بالقسطِ لا إلهَ إلا هو العزيزُ الحكيمُ " [آل عمران] . لقد رتب البارئ عز وجل أحرف اسمه الأعظم في كلمات هذه الآية بشكل ينسجم مع العدد سبعة . فعندما نعبر عن كل كلمة بما تحويه من الألف واللام والهاء ونصف هذه الأرقام نجد عددا ضخما من مضاعفات الرقم سبعة وبالاتجاهين أيضا . مَن أصدق من الله ؟ إنّ هذه النتائج المبهرة فعلا تؤكد صدق كتاب الله القائل : " ومَن أصدقُ مِنَ اللهِ قيلا " [النساء] . في هذا المقطع القرآني نظام مذهل . فعدد حروف كل كلمة مصفوفا يشكل عددا هو : 442421 هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة مرتين حتى عندما تخرج من كلمة ما تحويه من أحرف الألف واللام والهاء (الله) نجد العدد 240100 هذا العدد يقبل القسمة على سبعة أربع مرات بعدد أحرف كلمة (الله) !! في هذا المقطع عدد حروف الألف 3 وعدد حروف اللام 3 وعدد حروف الهاء 1

فيكون لدينا بعد صف هذه الأرقام العدد 133 وهو يساوي سبعة في تسعة عشر ! بقي شيء مهم وهو أنّ مجموع أحرف لفظ الجلالة في هذا المقطع هو سبعة أحرف بالضبط ! إنّ هذه الحقائق الثابتة يمكن لأي إنسان أنْ يراها مباشرة ويتأكد منها مهما كانت لغته ، فلغة الرقم هي لغة عالمية لكل البشر ، ووجود هذه اللغة في القرآن يعني أنه كتاب عالمي لكل البشر أيضا .

أسرار الحروف المميزة : آخر آية نزلت : نبدأ هذه المرة من آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ: " واتقوا يوماً تُرْجعونَ فيه إلى اللهِ ثم توفّى كلُّ نفسٍ ما كسبتْ وهمْ لا يُظلمونَ " [البقرة] . لقد أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنْ يضع هذه الآية في سورة البقرة ، وكما نعلم سورة البقرة تبدأ ب (ألم) ، فهل نلمس من هذا جزءا من سر هذه الآية ؟ لنبحث عن أحرف (ألف لام ميم) في هذه الآية . إنّ عدد أحرف الألف في هذه الآية هو سبعة ، عدد أحرف اللام ستة ، عدد أحرف الميم خمسة ، تأمل معي هذا التدرج العجيب : 7 - 6 - 5 . ولكن الأعجب من ذلك أنّ صف هذه الأرقام الثلاثة يعطي عددا جديدا هو 567 من مضاعفات الرقم سبعة .

(الم) وأول آية : نأتي الآن إلى أول آية في كتاب الله : (بسم الله الرحمن الرحيم) ففي هذه الآية 3 أحرف ألف و4 أحرف لام و3 أحرف ميم ، وبصف هذه الأرقام نجد العدد : 343 إنّ هذا العدد يساوي بالضبط وبالتمام : سبعة × سبعة × سبعة !

(الم) وأول سورة : ولكن ماذا عن أول سورة في كتاب الله ؟ إنّ الفاتحة تحتوي على نسب محددة من أحرف الألف واللم والميم وهي : 22 - 22 - 15 إنّ هذه الأعداد الثلاثة عند صفها بهذا الترتيب تشكل عددا جديدا هو 22 22 15 هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة أيضا . ولكي ندرك أنّ القرآن كله كتاب محكم نذهب إلى السور التي بدأت بـ (الم)وعددها ستة . العجيب في هذه السور أنّ مجموع آياتها هو عدد من مضاعفات الرقم سبعة : البقرة : 286 آية ، آل عمران : 200 آية ، العنكبوت : 69 آية ، الروم : 60 آية لقمان : 34 آية ، السجدة : 30 آية ، وإلى هذه السلسلة العجيبة من التوافقات مع الرقم سبعة .

1 . إنّ مجموع عدد آيات هذه السور الستة هو 679 آية أي سبعة في 97 .

2 . عندما نصف هذه الأعداد الممثلة للآيات نجد عددا ضخما هو : 30346069200286 هذا العدد المكون من أربعة عشر رقما يقبل القسمة على سبعة من دون باق . ومجموع أرقامه المفردة هو بالضبط تسعة وأربعون أي سبعة في سبعة !

3 . هذه السور الستة تحتل موقعا محددا بين السور المميزة التسع والعشرين . فترتيب السور المفتتحة بـ (ألم) بين السور المميزة هو : 1 – 2 – 15 – 16 – 17 – 18 بصفّ هذه الأعداد نجد عددا هو : 1 2 15 16 17 18 ، العجيب أنّ هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة ثلاث مرات !! سبعة في سبعة في سبعة في 5297847 هذا الناتج النهائي مكون من سبع مراتب ومجموع أرقامه 42 أي 7 × 6 (بعدد هذه السور !) .

العدد سبعة والحروف المميزة : إنّ الارتباط المذهل مع العدد سبعة لا يقتصر على (ألم) بل إنّ الله تعالى قد جعل حروف اللغة العربية – لغة القرآن – ثمانية وعشرين حرفا ، أي سبعة في أربعة . واختار نصفها أي أربعة عشر حرفا (7 × 2) ليجعلها في مقدمة بعض سور كتابه ، ولو قمنا بإحصاء هذه الافتتاحيات عدا المكرر منها أي : (ألم – ألر – حم ...) لوجدناها أربعة عشر أي (7 × 2) . ولكن نبقى مع سورة الفاتحة والسبع المثاني وهذه العجائب :

عجائب (ألر) :

1- في كتاب الله عز وجل آية عظيمة هي " ولقدْ آتيناكَ سبعاً مِنَ المَثاني والقرآنَ العظيمَ " [الحجر] . هذه الآية وضعها الله في سورة الحجر التي تبدأ بـ (ألر) ، والعجيب أنّ توزيع هذه الأحرف قد جاء بشكل يتوافق مع العدد سبعة . إنّ عدد أحرف الألف واللام والراء في هذه الآية هو : 7 – 4 – 1 هذه الأرقام عند صفها تعطينا عددا هو 147 من مضاعفات الرقم سبعة مرتين !

2- إنّ هذه الآية تتحدث عن سورة الفاتحة فهي السبع المثاني ، فلو بحثنا في سورة الفاتحة عن أحرف الألف واللام والراء لوجدناها مساوية : 22 – 22 – 8 على الترتيب ، وهذه الأعداد بدورها تشكل عددا هو 22282 ، من مضاعفات الرقم سبعة مرتين أيضا !

3- حتى كلمات هذه الآية ترتبط مع كلمات الفاتحة بشكل مذهل فعدد كلمات الفاتحة هو 31 كلمة ، وعدد كلمات الآية هو 9 كلمات وبصفّ هذين العددين نجد : 931 هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة مرتين أيضا !

أم القرآن: يقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام : { ما أنزل الله في التوراة والأنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني } [رواه الترمذي] . سوف ندرك من خلال هذه السلسلة من التوافقات العجيبة مع العدد سبعة بعض أسرار أم القرآن – سورة الفاتحة .

ترتبط هذه السورة العظيمة مع آخر ثلاث سور في القرآن : الإخلاص – الفلق – الناس . ونحن نعلم عظمة هذه السور الثلاث اتي كان يكثر من قراءته ﷺ .

لكل سورة من هذه السور رقمين مميزين : رقم السورة وعدد آياتها ، وهذه الأرقام ثابتة ويقينية ولا خلاف فيها . إنّ أرقام آخرثلاث سور في كتاب الله هي : 112 – 113 – 114 ، وعدد آيات كل منها هو : 4 – 5 – 6 ، وانظر إلى هذا التدرج المتزايد ! أما سورة الفاتحة فرقمها واحد وعدد آياتها سبع آيات . إلى هذه العجائب :

عجائب الفاتحة :

1- رقم سورة الفاتحة 1 وآياتها 7 ، ورقم سورة الإخلاص 112 وآياتها 4 ، بصف هذه الأعداد نجد عددا هو : 411271 من مضاعفات الرقم سبعة .

2- رقم سورة الفاتحة 1 وآياتها 7 ، ورقم سورة الفلق 113 وآياتها 5 ، بصفّ هذه الأعداد نجد عددا هو 511271 من مضاعفات الرقم سبعة أيضا .

3- رقم سورة الفاتحة 1 وآياتها 7 ، ورقم سورة الناس 114 وآياتها 6 ، وبصف هذه الأرقام نجد العدد 611471 من مضاعفات الرقم سبعة مرتين !

إنّ هذه الحقائق الثابتة تدل دلالة يقينية على أنّ سورة الفاتحة هي أم القرآن ، وارتباطها مع سور القرآن بهذا الشكل المذهل إثبات على أنّ القرآن هو كتاب الله عز وجلّ .

ارتباط مذهل : ومن أسرار فاتحة الكتاب ارتباط رقمها مع آياتها وكلماتها بالرقم سبعة ، فرقم سورة الفاتحة 1 وعدد آياتها 7 وعدد كلماتها 31 بصفّ هذه الأرقام نجد العدد 3171 من مضاعفات الرقم سبعة . وبعد أنْ درسنا الإعجاز في كتاب الله (وهو غيض من فيض) نأتي الآن لدراسة الإعجاز في سورة كاملة من القرآن ونبدأ بأول سورة (سورة الفاتحة) لنشاهد علاقات رقمية تقوم على الرقم (7) وهذا يثبت استحالة الإتيان بسورة مثل القرآن وسورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن الكريم ، وقد قال في حقها المصطفى ﷺ: (والذي نفسي بيده ما أنزل مثلها في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان وهي السبع المثاني والقرآن لعظيم الذي أوتيته) [رواه الإمام أحمد] . وبما أنّ المولى تبارك وتعالى هو الذي سمّى هذه السورة بالسبع المثاني ، فقد جاءت جميع الحقائق الرقمية فيها لتشكل أعدادا من مضاعفات الرقم سبعة . وهنا نوجه سؤالا لكل مَن يشك بصدق هذا القرآن : إذا كان القرآن من صنع محمد ﷺ كما يدعي المبطلون ، كيف استطاع هذا النبي الرحيم صلى الله عليه وسلم أنْ يرتب كلمات وحروف سورة الفاتحة بحيث تشكل نظاما معقدا يقوم على الرقم سبعة ويسميها بالسبع المثاني ؟ بل كيف اسطاع رسول الخير عليه وعلى آله الصلاة والسلام أنْ يأتي بمعادلات رقمية تعجز أحدث أجهزة القرن الواحد والعشرين عن الإتيان بمثلها ؟ ثم إنّ هناك حديثا صحيحا وثابتا عن رسول الله ﷺ يخبرنا فيه عن علاقة القرآن بالرقم سبعة فيقول : { إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف } [البخاري ومسلم وغيرهما] ، والسؤال : أليست معجزة الرقم سبعة في القرآن هي دليل مباشر على صدق كلام النبي ﷺ وأنه كما وصفه ربّ العزة : " وما ينطقُ عنِ الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى " [النجم] . سورة الفاتحة كذلك تسير بنظام معجز يقوم على الرقم سبعة : عدد آيات السور ، عدد الحروف الأبجدية التي تركبت منها السورة ، تكرار كل حرف من هذه الحروف ، تكرار الحروف المميزة في السورة ، حروف فواصل السورة ، أول آية وآخر آية في السورة .

حتى النقطة في سورة الفاتحة تسير بنظام محكم ، فعدد النقط في هذه السورة العظيمة من مضاعفات السبعة ، وكذلك عدد الشدات (الأحرف المشدة) من مضاعفات السبعة . وعدد علامات المد هو سبع علامات ، وعدد الكلمات التي تبدأبألف ساكنة هو أربعة عشر (سبعة في اثنان) ، جميع آيات السورة تنتهي بميم أو نون وقبل هذين الحرفين نجد دائما حرف الياء وهذا الحرف تكرر في السورة أربعة عشر مرة (سبعة في اثنين) .

<u> معجزة في آية</u>**

*** لم يلد ولم يولد ***

إنّ الحُجَّة التي آتاها الله لرسله وأنبيائه هي المعجزة لتكون دليلا على صدق رسالتهم من الله سبحانه وتعالى . واليوم تتجلى هذه المعجزة المادية في سورة من القرآن ، هذه السورة لا تتجاوز الـ (17) كلمة ، ومع ذلك فهي معجزة لكل البشر ، والبراهين التي يقدمها هذا البحث تؤيد ذلك بلغة يقينية وثابتة هي لغة الرقم سبعة . في هذا البحث سوف نستخدم المنهج العلمي المادي في عرض الحقائق ، وما دامت لغة الأرقام هي وسيلة الإثبات، فإنّ جميع النتائج الرقمية دقيقة جدا وغير قابلة للنقض أو الشك . وفي سورة الإخلاص نحن أمام سبع عشرة كلمة ، كل كلمة تركبت من عدة أحرف ، عدد أحرف هذه السورة هو سبعة وأربعون حرفا كما رسمت في كتاب الله تعالى .

رقم سورة الإخلاص في المصحف هو (112) ، وعدد آياتها أربع آيات . هذا كل ما لدينا ، وسوف ننطلق من هذه المعطيات لنرى كيف رتب البارئ عز وجل أحرف وكلمات هذه السورة بشكل مذهل . والمنهج المادي للبحث يقتضي دراسة الأحرف المرسومة في هذه السورة كما نراها ونلمسها ، فالحرف المكتوب نعده حرفا سواء لُفِظَ أو لم يُلفَظ ، والحرف غير المكتوب لا نعده حرفا سواء لفظ أو لم يلفظ . وبهذه الطريقة سوف نثبت أنه لو تغير حرف واحد فقط من أحرف هذه السورة لتعطل النظام الرقمي بالكامل. لقد اختار الله تعالى موقعا مميزا لرقم وكلمات وحروف هذه الآية داخل السورة وداخل القرآن بشكل يتناسب مع الرقم سبعة . فرقم هذه الآية (لم يلد ولم يولد) في سورة الإخلاص هو (3) ، وعدد كلماتها (5) وعدد حروفها (12) ، وبصف هذه الأرقام نجد عددا هو (1253) من مضاعفات الرقم سبعة هو ومقلوبه .

1 - $1253 = 7 \times 179$

2 - $3521 = 7 \times 503$

وتحتل هذه الآية موقعا في كتاب الله يتناسب مع الرقم سبعة ، فرقم السورة التي تقع فيها هذه الآية هو (112) رقم الآية (3) عدد كلماتها (5) عدد حروفها (12) بصف هذه الأرقام نجد عددا من سبع مراتب هو (1253112) من مضاعفات الرقم سبعة ، لنرى ذلك : <u>1253112</u> = 7 × 179016

7 مراتب

إنّ هذه القاعدة تبقى ثابتة من أجل الحروف الأبجدية التي تركبت منها هذه الآية وهي خمسة أحرف (ل م ي د و) ، فيصبح لدينا العدد الذي يمثل موقع الآية داخل السورة هو :

(لم يلد ولم يولد)

رقم الآية	عدد كلماتها	أحرفها الأبجدية
3	5	5

العدد (553) من مضاعفات الرقم سبعة : $79 \times 7 = 553$
الكلام ذاته ينطبق على الأرقام التي تمثل موقع الآية داخل القرآن :

(لم يلد ولم يولد)			
رقم السورة	رقم الآية	عدد كلماتها	حروفها الأبجدية
112	3	5	5

وهنا نجد العدد (553112) من مضاعفات الرقم سبعة مرتين : $11288 \times 7 \times 7 = 553112$
أول حرف وآخر حرف : من عظمة كتاب الله تعالى أنه كتاب متكامل في سوره وآياته ، وقد رأينا سيئا من هذا التكامل في فقرات سابقة (تكرار أول كلمة وآخر كلمة في القرآن) ، والآن سنعيش مع تكرار أول حرف وآخر حرف في الآية لنجد أنّ النظام الرقمي المحكم يشمل كل شيء في كتاب الله .
لنتأمل الآية الثالثة من سورة الإخلاص : " لمْ يلدْ ولمْ يولدْ " ، بدأت هذه الآية بحرف اللام وختمت بحرف الدال ، لنرى توزع هذين الحرفين عبر كلمات الآية:
1 - توزع حرف اللام : نكتب الآية وتحت كل كلمة ما تحويه من حرف اللام ، والكلمة التي لا تحوي هذا الحرف تأخذ الرقم صفر :

الآية	لم	يلد	و	لم	يولد
توزع حرف اللام	1	1	0	1	1

إنّ العدد الذي يمثل توزع حرف اللام هو (11011) من مضاعفات الرقم سبعة:
$\underline{1573} \times 7 = 11011$ إذن يتوزع حرف اللام (أول حرف في الآية) بنظام يعتمد على الرقم سبعة ، وناتج القسمة هو عدد صحيح (1573) .
2 - توزع حرف الدال : نطبق النظام ذاته على حرف الدال ، لنكتب الآية وتحت كل كلمة ما فيها من حرف الدال :

الآية	لم	يلد	و	لم	يولد
توزع حرف الدال	0_	1	0	0	1

العدد 10010 في هذه الحالة من مضاعفات الرقم سبعة أيضا : $\underline{1430} \times 7 = 10010$
إذن يتوزع حرف الدال (آخر حرف في الآية) بنظام يعتمد على الرقم سبعة وناتج القسمة هو عدد صحيح (1430) .
3 - المذهل أنّ مجموع الناتجين : (1573 + 1430) هو عدد من مضاعفات السبعة ويساوي 3003 : $429 \times 7 = 3003$
أحرف (الم) : في هذه الآية نظام للأحرف المميزة واللام والميم ، نكتب الآية وتحت كل كلمة ما تحويه من (أ ل م) :

الآية	لم	يلد	و	لم	يولد
توزع (الم) في الآية	2	1	0	2	1

العدد الذي يمثل توزع (الم) عبر كلمات الآية (12012) من مضاعفات الرقم سبعة هو ومقلوبه :
1 - العدد : $1716 \times 7 = 12012$
2 - مقلوبه : $429 \times 7 \times 7 = 21021$
حتى عندما تخرج من كل كلمة ما تحويه من الأحرف المميزة الأربعة عشر نجد عددا من مضاعفات الرقم سبعة ، هذه الآية تحوي ثلاثة حروف مميزة هي اللام والميم والياء :

الآية	لم	يلد	و	لم	يولد
توزع الحروف المميزة	2	2	0	2	2

والعدد (22022) هو عدد متناظر من مضاعفات الرقم سبعة : $3146 \times 7 = 22022$
وكما نعلم الأحرف المميزة (والتي يسميها البعض بالأحرف المقطعة أو النورانية) هي تلك الحروف في أوائل (29) سورة من القرآن . وقد يسميها البعض بالأحرف المجهولة وذلك لأنّ جميع العلماء عجزوا حتى الآن عن إعطاء تفسير علمي دقيق لسر هذه الحروف في القرآن .

مما يلفت الانتباه أنّ عدد هذه الحروف من مضاعفات السبعة . فعدد الحروف المميزة في القرآن هو (14) حرفا أي سبعة في اثنين ، حتى الافتتاحيات المميزة التي ابتدأت بها هذه السور عدا المكرر منها هو أيضا (14) افتتاحية ، أي عدد من مضاعفات السبعة أيضا .
الأحد يتجلى ... في هذه الآية العظيمة تتجلى معظم أسماء الله الحسنى بنظام يقوم على الرقم سبعة.
ومن أسماء الله الحسنى وصفاته (الأحد الذي لا شريك له . لنكتب كلمات الآية وتحت كل كلمة ما تحويه من أحرف كلمة (الأحد) ا ل ح د :

الآية	لم يلد و لم يولد
توزع حروف كلمة (الأحد)	1 2 0 1 2

العدد (21021) من مضاعفات الرقم سبعة مرتين : 21021 = 7 × 7 × 429
حتى عندما نعبر بلغة الأرقام عن كلمة (أحد) نجد النظام يبقي مستمرا :

الآية	لم يلد و لم يولد
توزع حروف كلمة (الأحد)	0 1 0 0 1

إذن عندما عبرنا عن كلمة (الأحد) في هذه الآية بالأرقام وجدنا عددا من مضاعفات الرقم سبعة مرتين وناتج القسمة كان عددا صحيحا هو (429) . والكلام ذاته انطبق على كلمة (أحد) وكان ناتج القسمة (1430) ، والعجيب أنّ صف ناتجي القسمة هذين (429) و (1430) يعطي عددا جديدا من سبع مراتب وهو (1430429) من مضاعفات الرقم سبعة : 1430429 = 7 × 204347
بعد هذه النتائج قد يقول قائل : إنّ هذه النتائج جاءت بالمصادفة ! لذلك سوف نرى في الفقرة الآتية دليلا قويا على أنّ المصادفة لا مكان لها في هذه المعادلات . وسوف نلجأ لأول آية من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) لنرى كيف تتوزع حروف كل كلمة من كلماتها بنظام يقوم على الرقم سبعة،وحتى نواتج القسمة الأربعة أيضا تقوم على النظام ذاته ! فهل من المنطق العلمي أنْ تتكرر المصادفة أربع مرات متتالية ثم تتكر مع نواتج القسمة بنفس النظام ؟
ترابط مذهل مع البسملة نعلم جمعيا عظمة (بسم الله الرحمن الرحيم) ، حتى إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعظم شأن هذه الآية فيبدأ مختلف شؤون حياته بها ... وعندما نقرأ سورة الإخلاص نبدأ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ونجد هذه البسملة في بداية كل سورة من سورالقرآن (عدا سورة التوبة لأنها براءة من المشركين) . وفي هذه الفقرة نكتشف علاقة عجيبة بين (لم يلد ولم يولد) وبين البسملة ، والرقم سبعة هو أساس هذه العلاقة الفريدة التي يستحيل أنْ توجد في أي كتاب بشري . لنكتب آية (لم يلد ولم يولد) ونكتب تحت كل كلمة ما تحويه من أحرف كلمة (بسم) ، ثم نكتب تحت كل كلمة ما تحويه من أحرف كلمة (الله) ، ثم (الرحمن) ثم (الرحيم) ، لنجد أنّ جميع الأعداد الناتجة من مضاعفات الرقم سبعة وبالاتجاهين !!

الآية	لم	يلد	و	لم	يولد	
ما تحويه كل كلمة من أحرف (بسم)	1	0	0	1	0	0143 × 7 =
ما تحويه كل كلمة من أحرف (الله)	1	1	0	1	1	1573 × 7 =
ما تحويه كل كلمة من أحرف (الرحمن)	2	1	0	2	1	1716 × 7 =
ما تحويه كل كلمة من أحرف (الرحيم)	2	2	0	2	2	3146 × 7 =

إذن نحن أمام أربع عمليات قسمة على سبعة وناتج القسمة دائما عدد صحيح من دون باق .
ولكن الشيء الذي يستحق الوقوف طويلا أننا عندما نصف نواتج القسمة هذه على تسلسلها فإنها تشكل عددا من مضاعفات الرقم سبعة ، لنرى ذلك :

الآية	بسم	الله	الرحمن	الرحيم
ناتج القسمة	0143	1573	1716	3146

إنّ العدد الضخم المتشكل من صف نواتج القسمة هذه هو : (3146171615730143) من مضاعفات الرقم سبعة ! إنّ النظام العجيب لا يقتصر على تكرار الحروف فحسب ، بل تكرار الأرقام له نظام محكم يقوم على الرقم سبعة أيضا . وفي الجدول السابق نلاحظ أنّ فيه ثلاثة أرقام تتكرر هي : (0 ، 1 ، 2) ولو قمنا بعد الأصفار في الجدول نجدها (6) ، الرقم (1) تكرر (8) مرات ، الرقم (2) تكرر (6) مرات :

الأرقام	0	1	2
تكرار كل رقم	6	8	6

إنّ العدد المتناظر (686) من مضاعفات الرقم سبعة ثلاث مرات :
$686 = 7 \times 7 \times 7 \times 2$. إنّ هذه التناسبات العجيبة مع الرقم سبعة تدل دلالة قاطعة على أنّ الله تعالى قد أحكم أحرف كتابه ونظمها ورتبها بشكل يستحيل الإتيان بمثله .
أسماء الله الحسنى: إنّ معظم أسماء الله الحسنى تتجلى في هذه الآية الكريمة ، فالله تعالى هو الرحمن وهو الرحيم وهو الواحد الأحد وهو الصمد ، الملك ، العزيز ، الحكيم ، المحصي ، العليم ، ...... ونأخذ كمثال على ذلك كلمة (القدير) لنجد أنّ العدد الذي يمثل هذه الكلمة في الآية من مضاعفات الرقم سبعة بالاتجاهين :

الآية	لم	يلد	و	لم	يولد
ما تحويه كل كلمة من أحرف (القدير)	1	3	0	1	3

إنّ العدد (31031) يقبل القسمة على سبعة بالاتجاهين :
$4433 \times 7 = 31031$ - 1
$1859 \times 7 = 13013$ - 2
والمذهل حقا في هذه الآية أننا عندما نخرج من كل كلمة من كلماتها ما تحويه من أحرف كثيرة من أسماء الله الحسنى نجد عددا ينقسم على سبعة بالاتجاهين سواء أخذنا الاسم معرَّفا أو غير معرَّف (مثلا : الصمد أو صمد) تبقى القاعدة ثابتة على جميع أسماء الله الحسنى (عدا الأسماء التي تحتوي على حرف الواو) .
<u>عجيبة من عجائب القرآن</u> : من عجائب هذه الآية الكريمة (لم يلد ولم يولد) أنّ جميع الأرقام المتعلقة بحروفها والتي انقسمت على (7) تنقسم على (11) وعلى (13) معا وبالاتجاهين !! وهذه الأرقام هي : (1001) ، (11011) ، (2002) ، (12012) ، (21021) ، (22022) ، (31031) ، (13013) ، (32032) ، (23023) ، أليس هذا دليلا على وحدانية الله تعالى ؟ فالعدد (11) هو عدد يدل على وحدانية الخالق عز وجل لأنه عدد أولي ويتألف من (1) و (1) ، أي لتأكيد وحدانية الله تعالى .
وفي هذه الآية نحن أمام عشرة أعداد جميعها من مضاعفات الرقم (11) والآية تتحدث عن وحدانية الله (لم يلد ولم يولد) .
والعدد (13) هو عدد أولي أيضا لا ينقسم إلا على نفسه وعلى الواحد وهو يمثل عدد الحروف الأبجدية الموجودة في سورة الإخلاص ويمثل سنوات الدعوة في مكة وهو الرقم الفاصل بين المكي والمدني . والآن سوف نرى هذه الأعداد وكيف تنقسم جميعها بلا استثناء على (7) و(11) و(13) :

$1 \times 13 \times 11 \times 7 = 1001$
$11 \times 13 \times 11 \times 7 = 11011$
$2 \times 13 \times 11 \times 7 = 2002$
$12 \times 13 \times 11 \times 7 = 12012$
$21 \times 13 \times 11 \times 7 = 21021$
$22 \times 13 \times 11 \times 7 = 22022$
$31 \times 13 \times 11 \times 7 = 31031$
$13 \times 13 \times 11 \times 7 = 13013$
$32 \times 13 \times 11 \times 7 = 32032$
$32 \times 13 \times 11 \times 7 = 23023$

إنّ هذه النتائج العجيبة لم تأتِ عن طريق المصادفة لسبب بسيط وهو أنّ حظ المصادفة في نتائج كهذه هو أقل من واحد على واحد وبجانبه ثلاثين صفرا (أي المصادفة أقل من واحد على مليون مليون مليون مليون مليون) ،لذلك يمكن القول : إنّ البشر عاجزون

عن تقليد آية واحدة من القرآن ، فكيف بالقرآن كله ؟ بقي أنْ نشير إلى أنّ آية (قل هو الله أحد) عدد حروفها (11) حرفا ، وعدد الحروف الأبجدية التي تركبت منها هو (7) أحرف . ولو درسنا توزع حروف كلمة (الواحد) في هذه الآية وجدنا عددا هو (3311) هذا العدد من مضاعفات الرقمين (7) و (11) ، فتأمل هذا التناسب !

معجزة لفظ الجلالة : كما رتّب البارئ عز وجل كل شيء في هذا القرآن بإحكام ، نجد ترتيبا مذهلا لاسمه الأعظم (الله) في سورة الإخلاص وكما نعلم سورة الإخلاص آياتها أربعة كل آية تحوي عددا محددا من أحرف لفظ الجلالة (الله) أي الألف واللام والهاء:

1- قل هو الله أحد :	عدد أحرف الألف واللام والهاء (7)
2- الله الصمد :	عدد أحرف الألف واللام والهاء (6)
3- لم يلد ولم يولد :	عدد أحرف الألف واللام والهاء (4)
4- ولم يكن له كفوًا أحد :	عدد احرف اللف واللام والهاء (5)

نكتب هذه الأرقام في جدول :

رقم الأية	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد حروف الألف والالم والهاء	7	6	4	5

إذن نحن أمام عدد محدد من أحرف لفظ الجلالة في كل آية كما يلي : (7 – 6 – 4 – 5) عند صفّ هذه الأرقام نجد عددا جديدا هو (5467) وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة والرقم (11) معا : $5467 = 7 \times 781 = 7 \times 11 \times 71$.

ليس هذا فحسب ، بل إنّ ككل آية من هذه الآيات الأربع تحوي عددا محددا من الكلمات كما يلي :

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد كلماتها	4	2	5	6

إذن عدد كلمات كل آية هو : (4 – 2 – 5 – 6) بصفّ هذه الأرقام نجد عددا هو (6524) من مضاعفات السبعة : $6524 = 7 \times 932$

إنّ هذه الكلمات منها ما يحوي حرف (ألف أو لام أو هاء) ومنها ما لا يحوي هذه لأحرف الخاصة بلفظ الجلالة . ولو أحصينا الكلمات التي فيها (أ ل هـ) نجد عددها 14 كلمة أي : (7 × 2) ، تتوزع هذه الكلمات على الآيات كما يلي :

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
الكلمات التي تحوي (ألف ـ لام ـ هاء)	4	2	4	4

إنّ العدد (4424) من مضاعفات الرقم سبعة : $4424 = 7 \times 632$

وكنتيجة نجد أنّ الكلمات التي لا تحوي شيئا من أحرف لفظ الجلالة (الألف واللام و الهاء) جاءت منظمة على الرقم سبعة أيضا :

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد الكلمات التي لا تحوي ألف ـ لام ـ هاء	0	0	1	2

لدينا هناالعدد(2100) من مضاعفات الرقم سبعة: $2100=7\times300$

في سورة الإخلاص نلاحظ أنّ جميع الآيات انتهت بحرف الدال فهل من نظام لتوزع هذا الحرف ؟ بالطريقة السابقة ذاتها نكتب رقم الآية وما تحويه من حرف الدال :

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد أحرف الدال	1	1	2	1

العدد الذي يمثل تزوع حرف الدال في آيات السورة هو (1211) من مضاعفات الرقم (7) :

$1211 = 7 \times 173$

لا يزال هنالك المزيد من إعجاز هذه السورة ، ولا نزال في بداية رحلة العجائب في سورة الإخلاص والتوحيد . فلو تأملنا لفظ الجلالة (الله) في القرآن كله لوجدنا أنّ أول مرة ذكرت فيها هذه الكلمة هي في أول آية من كتاب الله (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وآخر مرة ذكرت هذه الكلمة في القرآن نجدها في سورة الإخلاص الآية الثانية منها (الله الصمد) ، ، وهنا تتجلى هذه الحقائق المذهلة للرقم سبعة في هاتين الآتيتن :

1 ـ إنّ مجموع عدد أحرف هاتين الأيتين هو : $19 + 9 = 28$ حرفا أي 7×4 .

2 ـ عدد أحرف لفظ الجلالة في هاتين الآيتين هو : $8 + 6 = 14$ حرفا أي 7×2 .

3 ـ إنّ رقم البسملة في المصحف هو 1 ، رقم آية (الله الصمد) هو 2 بصف هذين العددين نجد : $21 = 7 \times 3$.

4 ـ إنّ عدد السور من الفاتحة وحتى سورة الإخلاص هو 112 سورة أي 7×16 .

5 ـ إنّ عدد الآيات من البسملة وحتى (الله الصمد) هو بالضبط 6223 آية ، وهذا العدد من مضاعفات السبعة مرتين : $6223 = 7 \times 7 \times 127$

6 ـ هنالك علاقة عجيبة لتكرار الكلمات في هاتين الآيتين ن كلمة (بسم) تكررت في القرآن (22) مرة ، كلمة (الله) تكررت في القرآن (2699) مرة ، كلمة (الرحمن) تكررت (57) مرة ، كلمة (الرحيم) تكررت (115) مرة ، كلمة (الله) تكررت (2699) مرة ، كلمة (الصمد) تكررت (1) مرة واحدة

لفظ الجلالة (الله) أول مرة وآخر مرة في القرآن	بسم الله الرحمن الرحيم	الله الصمد
تكرار كل كلمة في القرآن كله	22 2699 57 115	2699 1

ـ عندما نصف هذه الأعداد بهذا التسلسل نجد عددا ضخما هو : (1269911557269922) هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة ! ـ وعندما نجمع هذه التكرارات : 22 + 2699 + 57 + 115 + 2699 + 1 = <u>5593</u> هذا العدد يقبل القسمة على سبعة بالاتجاهين :
5593 = 7 × 799   3955 = 7 × 565
7- ترتبط سورة الفاتحة مع سورة الإخلاص برباط يقوم على الرقم سعة .

الفاتحة		الإخلاص	
رقمها	آياتها	رقمها	آياتها
1	7	112	4

عندما نصفّ هذه الأعداد(1 – 7 – 112 – 4) نجد عددا من مضاعفات الرقم سبعة : 411271 = 7 × 58753 كما ترتبط سورة الفاتحة مع سورة الإخلاص برباط أكثر عقيدا ، فرقم سورة الفاتحة (1) ، عدد الأحرف الأبجدية فيها (21) حرفا ، رقم سورة الإخلاص (112) وعدد الأحرف الأبجدية فيها (13) حرفا .

الفاتحة		الإخلاص	
رقمها	حروف الأبجدية	رقمها	حروف الأبجدية
1	21	112	13

بصف هذه الأرقام (1 21 112 13) نجد عددا من مضاعفات الرقم سبعة : 13112211 = 7 × 1873173 ويُقصد بالأحرف الأبجدية في السورة الأحرف التي تركبت منها هذه السورة عدا المكرر
<u>كلمات وأحرف كل آية</u> : لكل آية من آيات السورة عدد محدد من الكلمات ، وعدد محدد من الأحرف . وقد رتّب الله تعالى لكل آية كلماتها وحروفها بنظام يقوم على العدد سبعة .

الآية 1		الآية 2		الآية 3		الآية 4	
كلماتها	حروفها	كلماتها	حروفها	كلماتها	حروفها	كلماتها	حروفها
4	11	2	9	5	12	6	15

العدد الذي يمثل كلمات وأحرف كل الآيات من مضاعفات الرقم سبعة 15612592114 = 7 × 2230370302 إذن لكل آية عدد من الكلمات وعدد من الأحرف ، وعندما نصفّ لكل آية عدد كلماتها مع عدد حروفها ينتج عدد من (11) مرتبة يقبل القسمة على (7) . وحتى لو قمنا بجمع هذه الأرقام لبقي العدد من مضاعفات السبعة ! فالآية الأولى مجموع كلماتها وحروفها 4 + 11 = 15 ، الآية الثانية مجموع كلماتها وحروفها 2 + 9 = 11 ، الآية الثالثة مجموع كلماتها وحروفها 5 + 12 = 17 ، والآية الرابعة مجموع كلماتها وحروفها 6 + 15 = 21 . إنّ العدد الناتج من صفّ هذه الأرقام هو 21171115 من مضاعفات الرقم (7) : 21171115 = 7 × 3024445 .
حتى أحرف لفظ الجلالة في كل آية والتي تناسبت مع الرقم سبعة كما رأينا سابقا نجد نظاما يربط بين كلمات كل آية وما تحويه من هذه الأحرف ، لنكتب عدد كلمات كل آية وما تحويه هذه الآية من الألف واللام والهاء :

الآية الأولى		الآية الثانية		الآية الثالثة		الآية الرابعة	
كلماتها	عدد حروف (ا ل هـ)	كلماتها	عدد حروف (ا ل هـ)	كلماتها	عدد حروف (ا ل هـ)	كلماتها	عدد حروف (ا ل هـ)
4	7	2	6	5	4	6	5

إنّ العدد الذي يمثل توزع كلمات وأحرف لفظ الجلالة عبر آيات السورة هو : (56456274) من مضاعفات الرقم سبعة : <u>74</u> <u>62</u> <u>45</u> <u>56</u> = 7 ×8065182
وتأمل معي هذه المعادلات الإلهية كيف جاءت متناسبة جميعها مع الرقم سبعة :
1- عدد كلمات كل آية هو : 4 – 2 – 5 – 6 وهنا نجد العدد من مضاعفات السبعة : 6524 = 7 × 932 .
2- عدد حروف (الله) في كل آية هو : 7 – 6 – 4 – 5 هذا العدد من مضاعفات السبعة : 5467 = 7 × 781 .
3- عدد كلمات / حروف (الله) في كل آية : 74 – 62 – 45 – 56 هذا العدد من مضاعفات السبعة . وهنا نتساءل كيف انضبطت هذه الأرقام بهذا الشكل . فعدد كلمات كل آية جاء بنظام من مضاعفات الرقم (7) ، وعدد حروف (الله) في كل آية

جاء بنظام من مضاعفات الرقم (7) أيضا ، وعندما دمجنا هذه الأرقام بقي العدد النهائي من مضاعفات الرقم (7) ، هل هذا العمل في متناول البشر ؟.تجدر الإشارة إلى أنّ هذا النظام لكلمات وحروف لفظ الجلالة في آيات السورة ، يبقى قائما مع البسملة ! فعدد كلمات (بسم الله الرحمن الرحيم) هو (4) وعدد حروف لفظ الجلالة الألف واللام والهاء فيها هو (8) وهذا العدد (84) من مضاعفات السبعة (84 = 7 × 12) ، وعند إضافته للعدد الإجمالي للسورة يبقى العدد الجديد من مضاعفات السبعة وهذا يدل على تعدد أساليب الإعجاز الرقمي لهذا الكتاب العظيم .

كل شيء مترابط : رأينا كيف ارتبطت كلمات كل آية بالرقم سبعة ، كما رأينا كيف ارتبطت كلمات وحروف كل آية بالرقم سبعة أيضا . الآن سوف ندخل رقم الآية وسنجد أنّ النظام يبقي ثابتا ! وهذا دليل على أنّ القرآن كتاب محكم كيفما نظرنا إليه . نكتب في جدول لكل آية ثلاثة أرقام : رقم الآية / عدد كلماتها / عدد حروفها :

قل هو الله أحد	الله الصمد	لم يلد ولم يولد	ولم يكن له كفوا أحد
رقم الآية كلماتها حروفها	الآية كلماتها حروفها	الآية كلماتها حروفها	الآية كلماتها حروفها
1 4 11	2 2 9	3 5 12	4 6 15

إنّ العدد الناتج من صف هذه الأرقام بهذا الترتيب من مضاعفات الرقم سبعة ، لنتأكد من ذلك رقميا :

<u>1141</u> <u>922</u> <u>1253</u> <u>1564</u> = 7 × 22344648460163

وهكذا مهما استمرت العلاقات الرقمية فإنّ الأعداد تبقي منضبطة مع الرقم سبعة .

ولكي نستوعب مدى تعقيد هذا النظام نلخص المعادلات الرقمية الثلاثة :

1 ـ كلمات كل آية : 4 2 5 6 هذا العدد من مضاعفات السبعة .

2 ـ كلمات وحروف كل آية : 4 11 ـ 2 9 ـ 5 12 ـ 6 15 هذا العدد من مضاعفات السبعة أيضا

3 ـ رقم وكلمات وحروف كل آية : هو عدد من مضاعفات السبعة كما رأينا من الجدول السابق

حتى اسم السورة ورقمها يرتبطان بظام يقوم على هذا الرقم ، فكلمة (الإخلاص) عدد حروفها (7) ، ورقم سورة الإخلاص (112) أيضا عدد من مضاعفات السبعة ! ولكن الرقم (23) سنوات نزول القرآن له حضور هنا ، انتأمل هذا الجدول :

عدد حروف (الإخلاص)	رقم سورة (الإخلاص)
7	112

إنّ العدد الذي يربط حروف هذه الكلمة برقمها في القرآن هو (1127) من مضاعفات السبعة مرتين ومن مضاعفات الـ (23) :

1127 = 7 × 7 × 23

نظام متعاكس : إنّ النظام الرقمي الذي نكتشفه اليوم في هذه السورة العظيمة ليس مجرد أرقام ، بل لهذه الأرقام لغتها وتعبيرها ، وهذا ما سنجد له صدى من خلال دراسة أحرف السورة وكيف توزعت على الآيات . وفي سورة الإخلاص لدينا أربع آيات يمكن تقسيمها إلى قسمين :

1 ـ (قل هو اللهُ أحدٌ . اللهُ الصمدُ) : إثبات لوحدانية الله .

2 ـ (لمْ يلدْ ولمْ يولدْ . ولم يكُن له كُفواً أحدٌ) : نفي الولد والشريك عن الله .

إذن نحن أمام آيتي إثبات وآيتي نفي ، لكتب عدد حروف كل آية في جدول لنرى النظام المتعاكس رقميا والذي يتوافق مع معنى السورة من خلال القسمة على سبعة باتجاهين متعاكسين :

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد حروفها	11	9	12	15
	من اليمين إلى اليسار 119 = 7 × 17		من اليسار إلى اليمين 1512 = 7 × 216	

وكما أنه في اللغة صيغ متعاكسة (إثبات ـ نفي) كذلك جاءت الحروف لتقبل القسمة على سبعة باتجاهين متعاكسين .

ارتباط مع أم القرآن: ترتبط سورة الإخلاص مع سورة الفاتحة برباط عجيب يقوم على العدد سبعة .

سورة الفاتحة				سورة الإخلاص			
رقمها	آياتها	كلماتها	حروفها	رقمها	آياتها	كلماتها	حروفها
1	7	31	139	112	4	17	47

إنّ العدد الذي يمثل هذه الأرقام مصفوفة من مضاعفات الرقم سبعة :

471741121393171 = 7 × 67391588770453

لدينا رباط آخر يقوم على رقم السورة وعدد آياتها وعدد كلماتها وعدد الأحرف الأبجدية التي تركبت منها . ففي سورة الفاتحة 21 (ما عدا المكرر) ، في سورة الإخلاص 13 حرفا .

سورة الفاتحة				سورة الإخلاص			
رقمها	آياتها	كلماتها	حروفها الأبجدية	رقمها	آياتها	كلماتها	حروفها الأبجدية
1	7	31	21	112	4	17	13

إنّ العدد الذي يمثل هذه القيم هو عدد من 14 مرتبة (7 × 2) ، وينقسم على (7) تماما وبالاتجاهين :

1 - العدد : $1882016030453 \times 7 = 13174112213171$

2 - مقلوبه : $2447317306733 \times 7 = 17131221147131$

والأعجب من ذلك أنّ النظام ذاته ينطبق على كل سورة بمفردها :

1 - العدد الخاص بسورة الفاتحة هو : (1 7 31 21) من مضاعفات الرقم سبعة :

$30453 \times 7 = 213171$

2 - العدد الخاص بسورة الإخلاص هو : (13174112) أيضا من مضاعفات الرقم سبعة :

$1882016 \times 7 = 13174112$

الملك القدوس : سوف نعيش مع اسمين من أسماء الله الحسنى ((الملك)) و ((القدوس)) ونرى كيف يتجلى كل منها في سورة الإخلاص ، وهذا دليل مادي ورقمي على أنّ الله تعالى قد أحكم أحرف أسمائه الحسنى في آيات كتابه ليدلنا على قدرة الله على كل شيء ، وأنّ الله الملك القدوس هو واحد أحد لم يتخذ ولدا ولا يساويه شيء . وتعتمد فكرة هذا النظام على إبدال كل كلمة برقم هذا الرقم يمثّل ما تحويه كل كلمة من أسماء الله الحسنى مثل الملك أو القدوس . وعلى سبيل المثال فإنّ توزّع حروف كلمة الملك في هذه السورة يتم على الشكل الآتي :

1 - كلمة (قل) فيها من كلمة (الملك) اللام فقط وبالتالي تأخذ الرقم (1) .

2 - كلمة (هو) ليس فيها أي حرف من حروف كلمة (الملك) لذلك تأخذ الرقم (0) .

3 - كلمة (الله) تحتوي على الألف واللام واللام (الهاء غير موجودة في الملك) لذلك تأخذ الرقم (3)

4 - كلمة (أحد) الحرف المشترك بين هذه الكلمة وكلمة (الملك) هو الألف فقط لذلك تأخذ الرقم (1).

وهكذا إلى نهاية السورة . و العجيب أنّ الأعداد التي تعبر عن حروف أسماء الله الحسنى في هذه السورة تأتي بنظام محكم محورهذا النظام الرقم سبعة . وهنا نتساءل : هل يمكن لبشر مهما بلغ من القدرة أنْ يأتينا بنص أدبي يعبر فيه عن نفسه تعبيرا دقيقا ، ويرتب حروف هذا النص وكلماته ويرتب حروف اسمه هو في هذا النص مع حروف ألقابه أو أسمائه بحيث تأتي جميعها من مضاعفات الرقم سبعة ؟ إنها عملية مستحيلة ، بل إنّ مجرد التفكير في صنع نظام مشابه لهذه السورة أمر غير معقول .

الملك: (الملك) هو اسم من أسماء الله الحسنى ، يقول تعالى : " هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو الملِكُ القدُّوسُ " [الحشر] . ومن عظمة هذا القرآن أنّ كل حرف فيه قد وضعه الله بمقدار وبنظام محكم . والذي أنزل سورة الإخلاص هو الملك تبارك وتعالى ، لذلك رتب أحرف اسمه (الملك) داخل هذه السورة بنظام رقمي يتناسب مع الرقم سبعة .

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
1 2 1 1 2 0 1 2 0 1 2 3 3 1 3 0 1

إنّ العدد الذي يمثل توزّع أحرف كلمة (الملك) عبر كلمات السورة هو : (12112012012012331301) هذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة

$1730287430333043 \times 7 = 12112012012012331301$

ومع أنّ هذه النتيجة مذهلة فقد يأتي مَن يقول إنها مصادفة ! لذلك وضع الله تعالى تظاما آخر ليؤكد هذه النتيجة ، فعندما نُخرج ما تحويه كل آية من أحرف كلمة (الملك) نجد عددا من مضاعفات الرقم سبعة .

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل آية من أحرف (الملك) - ال م ك	5	6	6	7

وهنا نجد العدد (7665) من مضاعفات السبعة : $7665 = 7 \times 1095$ أليس هذا عجيبا ؟

القدوس: ويبقي النظام مستمرا ، فعندما نعبر عن كل كلمة من كلمات السورة برقم يمثّل ما تحويه هذه الكلمة من أحرف (القدوس) ، أي الألف واللام والقاف والدال والواو والسين ، يتشكل لدينا عدد من مضاعفات الرقم سبعة ، لنرى ذلك :

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
2 2 1 0 11 3 11 2 1 3 3 2 3 1 2

إنّ العدد الذي يمثل توزع أحرف (القدوس) عبر كلمات السورة هو :

2210131121332312 من مضاعفات الرقم سبعة !
3157304445904616 × 7 = 2210131121332312
لم يتوقف الإعجاز بعد ، فهنالك نظام آخر لتكرار هذه الحروف في كل آية من آيات سورة الإخلاص .

رقم الآية	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل أية من أحرف (القدوس)	8	6	8	7

إنّ العدد الذي يمثل توزع حروف (القدوس) عبر آيات السورة هو (7868) من مضاعفات السبعة : 7868 = 7 × 1124 وسبحان الله العظيم ! النظام نفسه تماما يتكرر مع اسمين من أسماء الله الحسنى : الملك - القدوس ، فهل جاءت هذه الحقائق بالمصادفة ؟ إنّ هذه الحقائق الدامغة تدل دلالة يقينية أنّ البشر عاجزون عن الإتيان بسورة مثل القرآن ، وهذه سورة الإخلاص خير دليل يشهد بصدق كلام الله تعالى .
الخالق الباريء : والآن سوف نتدبر نظاما متعاكسا لتوزع حروف اسمين من أسماء الله الحسنى : (الخالق الباريء) ، وهنا يتجلى التعقيد الرقمي لهذه الأنظمة التي تتمثل في اتجاهات متعاكسة لقراءة الأرقام . فالعدد الذي يمثل توزع حروف كلمة (الخالق) في هذه السورة من مضاعفات الرقم (7) ، أما العدد الذي يمثل توزع حروف كلمة (الباريء) في السورة فهو من مضاعفات الرقم (7) ولكن باتجاه معاكس (أي مقلوب هذا العدد) .
1 - توزع حروف كلمة (الخالق) عز وجل عبر كلمات السورة : بالطريقة ذاتها نخرج من كل كلمة ما تحويه من حروف (الخالق) ا ل خ ق :

قل	هو	الله	أحد	الله	الصمد	لم	يلد	و	لم	يولد	و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
2	0	3	1	3	2	1	1	0	1	1	0	1	0	1	1	1

إنّ العدد الذي نراه في هذا الجدول من مضاعفات الرقم (7) .
2 - توزع حروف كلمة (الباريء) تعالى في كلمات السورة : نكرر العملية ذاتها مع حروف كلمة (الباريء) - ا ل ب ر ي :

قل	هو	الله	أحد	الله	الصمد	لم	يلد	و	لم	يولد	و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
1	0	3	1	3	2	1	2	0	1	2	0	1	1	1	1	1

نقرأ العدد من اليمين إلى اليسار فتصبح قيمته : (10313212012011111) هذا العدد من مضاعفات الرقم (7) ! . لذلك يمكن القول بأنّ عدد الأنظمة الرقمية في الكتاب العظيم لا نهاية له ! ولو تأملنا الكثير من أسماء الله الحسنى لوجدنا النظام يبقي قائما ، فمثلا كلمة (البصير) تتوزع حروفها بنظام يقوم على الرقم (7) ، وكذلك كلمة (العدل) ... وغيرها .
وقد يتساءل القارئ عن سر تعاكس الاتجاهات في عمليات القسمة علسبعة . والجواب عن ذلك (والله تعالى أعلم) هو أنّ القرآن كتاب محكم وهو كتاب مثاني كما وصفه الله تعالى . وكما أنّ معاني ودلالات أسماء الله الحسنى تتعدد ، كذلك تتعدد اتجاهات القسمة على سبعة .
<u>البسملة والإخلاص</u> : والسؤال : هل يبقي النظام العجيب قائما مع البسملة ؟ . لنقرأ الفصل الآتي لندرك أنّ حجم المعجزة الرقمية أكبر بكثير مما نتصور ! البسملة ضرورية وندرك هذه الأهمية من خلال صف حروف كل آية لنجد عددا من مضاعفات السبعة :

رقم الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد حروفها	19	11	9	12	15

إنّ العدد الذي يمثل حروف الآيات هو (151291119) من مضاعفات الرقم سبعة: 151291119 = 7 × 21613017 ونلاحظ بأنّ أول رقم في الجدول هو (19) حروف البسملة ، وآخر رقم هو (15) حروف آخر آية ، وبضم هذين العددين نجد العدد (1519) من مضاعفات الرقم سبعة لمرتين : 1519 = 7 × 7 × 31
ليس هذا فحسب ، بل إنّ حروف البسملة تتوزع في آيات هذه السورة بنظام يقوم على هذا الرقم . ولكن ما هي الحروف المشتركة لكل آية مع حروف البسملة ؟ فمثلا (قل هو الله أحد) تتألف من (11) حرفا ولكن ثلاثة من هذه الحروف غير موجودة في البسملة وهي القاف والواو والدال فلا تحصى ويكون عدد حروف البسملة في هذه الآية هو (11 - 3) = 8 ثمانية حروف ، وهكذا نضع النتائج في جدول :

الآية	البسملة	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل آية من حروف البسملة	19	8	7	8	9

إنّ العدد الذي يمثل توزع حروف البسملة على آيات السورة هو : 987819 من مضاعفات الرقم سبعة : 987819 = 7 × 141117
(الم) : إنّ الحروف المميزة (الم) - ألف لام ميم تتوزع عبر آيات هذه السورة بشكل يعتمد على الرقم سبعة .

رقم الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد حروف : الألف واللام والميم في كل آية	10	5	6	6	5

إنّ العدد الذي يمثل توزع حروف (الم) عبر آيات السورة مع البسملة هو: (566510) من مضاعفات الرقم سبعة : 566510 = 7 × 80930 إذن رأينا تفسيرا منطقيا لحروف (الم) وكيف تتجلى وتتوزع بنظام محكم يقوم على الرقم سبعة في سورة الإخلاص . ولكن العجيب جدا جدا ، أنّ النظام ذاته يتكرر مع أول حرف وآخر حرف في (الم) !!
أول حرف في (الم) هو الألف ، لنكتب ما تحويه كل آية من هذا الحرف ، فمثلا :

رقم الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل آية من حرف الألف	3	2	2	0	2

إنّ العدد الذي يمثل توزع حرف الأف على آيات السورة هو (20223) من مضاعفات السبعة :
20223 = 7 × 2889
النظام نفسه ينطبق على آخر حرف في (الم) وهو حرف الميم

رقم الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل آية من حرف الميم	3	0	1	2	1

العدد الذي يمثل توزع حرف الميم على آيات السورة هو (12103) من مضاعفات السبعة لمرتين :
12103 = 7 × 7 × 247 والعجيب أنّ مجموع ناتجي القسمة في كلتا الحالتين هو : 2889 + 247 = 3136 هذا العدد (3136) من مضاعفات السبعة لمرتين أيضا : 3136 = 7 × 7 × 64
أما حرف اللام فله توزع عجيب في آيات هذه السورة يعتمد على عدد سنوات الوحي الثلاثة والعشرين بشكل مذهل . وهذا يثبت أنّ لكل رقم نظام في هذا القرآن .

رقم الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل آية من حرف اللام	4	3	3	4	2

إنّ العدد الذي يمثل توزع حرف اللام على آيات السورة هو (24334) من مضاعفات الرقم 23) ثلاث مرات متتالية !!! 24334 = 23 × 23 × 23 × 2 والآن نأتي إلى بعض أسماء الله الحسنى لنرى كيف تتجلى حروفها في هذه السورة العظيمة ، ودائما يكون للرقم سبعة الإعجاز المستمر .
المحصي يتجلى: (المحصي) اسم من أسماء الله الحسنى ، فهو الذي أحصى كل شيء عددا . وقد اقتضت حكمة المحصي سبحانه اختيار كلمات محددة في سورة الإخلاص تتجلى فيها أسماؤه الحسنى ومنها المحصي .

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	قل	هو	الله	أحد	الله	الصمد	لم	يلد	و	لم	يولد	و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
1	3	4	5	1	0	3	2	3	4	2	2	0	2	2	0	2	1	1	1	2

إنّ العدد الذي يمثل توزع حروف (المحصي) في كلمات السورة من مضاعفات الرقم سبعة :
211120220224323015431 = 7 × 30160031460617573633
لا يقتصر هذا النظام العجيب على السورة كاملة بل يشمل أجزاءها ، ففي هذه السورة نحن أمام إثبات ونفي ، لنكتب آيات الإثبات مع ما تحويه كل كلمة من حروف (المحصي) سبحانه وتعالى :

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	قل	هو	الله	أحد	الله	الصمد
1	3	4	5	1	0	3	2	3	4

إنّ العدد 4323015431 من مضاعفات السبعة : 4323015431 = 7 × 617573633
ويبقي النظام قائما من أجل آيتي النفي ، لنرى ذلك بكتابة الآيتين وما تحويه كل كلمة من حروف (المحصي) :

لم	يلد	و	لم	يولد	و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
2	2	0	2	2	0	2	1	1	1	2

والعدد 21112022022 من مضاعفات السبعة هو و مقلوبه :
1 - 21112022022 = 7 × 3016003146

2 - 22022021112 = 7 × 3146003016

وحتى لو أخذنا كل آية من هاتين الآيتين لوحدها نجد فيها نظاما يقوم على الرقم سبعة

لم	يلد	و	لم	يولد
2	2	0	2	2

و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
0	2	1	1	1	2

العدد (22022) من مضاعفات السبعة هو ومقلوبه

22022 = 7 × 3146

العدد (211120) من مضاعفات السبعة هو ومقلوبه

211120 = 7 × 30160

إنّ هذه النتائج القطعية الثبوت تؤكد أنّ الله تعالى هو الذي أحكم هذه الآيات بهذا الشكل المذهل ، وهذا يدل على أنّ البشر يستحيل عليهم أنْ يؤلفوا كلمات بليغة ومحكمة لغويا وفي الوقت نفسه تنضبط حسابيا مع الرقم سبعة ، وقد يقول قائل إنّ هذه النتائج جاءت بالمصادفة ! ومع أنّ هذا الافتراض بعيد جدا عن المنطق العلمي الذي يفرض بأنّ المصادفة لا يمكن أنْ تتكرر دائما ، فإنّ كتاب الله فيه والمزيد من الآيات والعجائب بما ينفي هذا الافتراض نهائيا .

فمن الأسماء الواردة في القرآن اسمين الله تعالى وردا متلازمين في قوله تعالى : (وهو الغفور الودود) [البروج] إنّ منطق المصادفة ينفي أنْ يتكرر النظام ذاته مع هذين الاسمين ، فقد تنضبط حروف اسم دون الآخر ، أما أنْ يأتي كل اسم من هذين الاسمين بنظام يقوم على الرقم سبعة ، هذا أمر يدل على وجود منظم عليم حكيم .

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	قل	هو	الله	أحد	الله	الصمد	لم	يلد	و	لم	يولد	و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
0	3	3	3	1	1	3	1	3	2	1	1	1	1	2	1	1	0	1	3	1

العدد الذي يمثل توزع حروف كلمة (الغفور) في هذه السورة هو من مضاعفات السبعة :

1310112111231311333 0 = 7 × 18715887301759016190

2 - أحرف كلمة (الودود) - الألف واللام والواو والدال :

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	قل	هو	الله	أحد	الله	الصمد	لم	يلد	و	لم	يولد	و	لم	يكن	له	كفوا	أحد
0	3	2	2	1	1	3	2	3	3	1	2	1	1	3	1	1	0	1	2	2

والعدد الذي يمثل توزع حروف (الودود) هو من مضاعفات الرقم سبعة :

221011311213323112230 = 7 × 31573044459046158890

اللطيف : بالطريقة ذاتها نجد العدد الذي يمثل توزع حروف (اللطيف) من مضاعفات السبعة:

121110210212313013230 = 7 × 17301458601759001890

إنّ عدد أسماء الله الحسنى كما أخبرنا عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (99) اسما مَن أحصاها دخل الجنة ! وكل اسم من هذه الأسماء يتجلى بطريقة معجزة ، وقد اقتصرنا على ما يتعلق بالرقم سبعة . ولكن أرقام القرآن لا نهاية لإعجازها . ففي (بسم الله الرحمن الرحيم) ثلاثة أسماء وهي (الله) (الرحمن) (الرحيم) ، هذه الأسماء الثلاثة تتكرر في القرآن بنظام يعتمد على العدد (99) .

فإذ استعنا بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن والذي يعطينا كل كلمة من كلمات القرآن كم مرة تكررت في القرآن كله نجد : - كلمة (الله) تكررت في القرآن (2699) مرة .

- كلمة (الرحمن) تكررت في القرآن (57) مرة .

1 - إنّ العدد الذي يمثل هذه التكرارات هو : (115572699) هذا العدد يتألف من (9) مراتب وهو من مضاعفات العدد (99) أي :

115572699 = 99 × 1167401

2 - العجيب أيضا أنّ مجموع هذه التكرارات هو عدد من مضاعفات الـ (99) .

2699 + 57 + 115 = 2871 = 99 × 29

الولي: إنّ العدد الممثل لحروف (الولي) في هذه السورة من مضاعفات السبعة:

121111311212313113230 = 7 × 17301615887473301890

ليس هذا فحسب بل لو قمنا بعد حروف (الوالي) في كل آية نجد :

رقم الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
ما تحويه كل آية من حروف (الولي)	8	6	5	8	7

والعدد (78568) من مضاعفات السبعة : 78568 = 7 × 11224

إذن تتوزع حروف هذا الاسم العظيم على كلمات السورة بنظام سباعي ، ويتكرر هذا النظام مع آيات السورة . والآن إلى نظام رقمي أكثر تعقيدا حيث لا يقتصر النظام على حروف أسماء معينة بل يشمل عبارات كاملة تتحدث عن قدرة الله تعالى .

العبارات تتجلى : يقول تعالى في محكم الذكر (الله خالق كل شيء) [الزمر] ، .. لنكتب كلمات السورة ونُخرج من كل كلمة ما تحويه من هذه الحروف :

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
1 0 2 1 0 2 1 2 4 1 4 1 2 3 2 4 0
1 2 2 2

إنّ العدد الذي يمثل حروف (الله خالق كل شيء) في هذه السورة من مضاعفات السبعة ، لنشاهد ذلك :
$1222102102124141232\,40 = 7 \times 174586014589163033\,20$

$12221021021241412324 0 = 7 \times 1745860145891630332 0$

وهكذا أرقام وأرقام لا نهاية لإعجازها ! وكلما تبحرنا في أعماق هذا القرآن أكثر رأينا عجائب لا تنقضي .

الأحرف المشددة إنّ إعجاز القرآن لا يقتصر على رسم كلماته وحروفه ، فحسب بل هنالك نظام دقيق للفظ ، ففي سورة الإخلاص مع بسملتها يوجد سبعة أحرف مشددة.

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
0 1 1 1 0 0 1 0 1 1 0 0 0 0 0 0 0
0 1 0 0

إنّ العدد الذي يمثل توزع الشدات في كلمات السورة هو : (0010000000001101001110) من مضاعفات السبعة ! إنّ هذا النظام الدقيق للفظ الحروف يدل على أنّ في رسم كلمات القرآن معجزة ، وفي لفظ كلماته معجزة أيضا . ولكي لا يظنن أحد أنّ هذه النتيجة الرقمية المذهلة جاءت عن طريق المصادفة ، نسأل : إذا كانت الحروف المشددة وعددها سبعة قد توزعت على كلمات السورة بنظام يقوم على الرقم سبعة ، فهل يمكن أنْ تتوزع هذه الحروف على آيات السورة بالنظام ذاته ؟

الآية	(البسملة)	(1)	(2)	(3)	(4)
عدد الأحرف المشددة	3	1	2	0	1

إنّ العدد الذي يمثل توزع الشدّات على آيات سورة الإخلاص مع بسملتها هو : 10213 من مضاعفات الرقم (7) : 10213 = 7 × 1459

بقي أنْ نشير إلى أنّ عدد النقط في سورة الإخلاص مع البسملة هو (14) نقطة أي (7 × 2) . وسوف نرى في فقرة لاحقة كيف تتوزع هذه النقط عبر كلمات السورة بنظام عجيب يقوم على الرقم سبعة .

نظام الحروف: في سورة الإخلاص نظام رقمي دقيق لعدد حروف كلماتها ، لنكتب السورة مع البسملة وتحت كل كلمة عدد حروفها مع ما قبلها (عد مستمر) ، وطريقة العد المستمر أو التراكمي معروفة حديثا في الرياضيات ، وتستعمل مع الكميات المتماسكة التي لا يوجد فيها انفصال لأجزائها . ووجود هذا النظام التراكمي في كتاب الله دليل مادي على أنه كتاب متكامل ومحكم ومتماسك .

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن
له كفوا أحد
3 7 13 19 21 23 27 30 34 39 41 44 45 47 51 52 54
57 59 63 66

إنّ العدد التراكمي للأحرف أعطانا عددا شديد الضخامة وهو :

(6663595754525147454441393430272321191373) هذا العدد من مضاعفات السبعة !! إنّ هذه الحقيقة الدامغة تثبت أننا مهما اتبعنا من طرق للعد والإحصاء تبقي محكمة ومنضبطة ، إذن تعدد أساليب الإعجاز الرقمي هو زيادة في حجم المعجزة الرقمية لكتاب الله عز وجل ، كيف لا وهو أعظم كتاب على وجه الأرض !

نظام النقط كما أشرنا يوجد في سورة الإخلاص (14) نقطة (سبعة في اثنان ، تتوزع على كلمات محددة ، وقد جاء توزع هذه الحروف المنقطة بنظام يقوم على الرقم سبعة . لنكتب السورة وتحت كل كلمة رقما وفق القاعدة الثنائية : الكلمة ذات الحروف المنقطة تأخذ الرقم (1) ، أما الكلمة التي لا تحوي حروفا منقطة فتأخذ الرقم (0) :

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
1 0 1 1 1 0 0 0 0 0 0 1 0 0 1 0 0
1 0 1 0

إنّ العدد الذي يمثل توزع الكلمات المنقطة في هذه السورة هو :

(010100100100000011101) هذا العدد من مضاعفات الرقم (7) وبالاتجاهين كيفما قرأناه من اليسار أم من اليمين ! وهنا نلخص إلى نتيجة مهمة وهي أنّ القرآن زمن نزوله لم يكن منقطا إلا أنّ الله تعالى ألهم المسلمين أنْ ينقطوا حروفه بهذا الشكل لندرك بأنّ الله على كل شيء قدير وأنه لا يسمح لأحد أنْ يضيف شيئا على كتابه إلا بما يشاء ، وأنّ كل شيء في كتاب الله محكم حتى النقطة ! نظام ثنائي مذهل : إنّ النظام الثنائي والذي لم يتم اكتشافه إلا حديثا وتم على أساسه اختراع أهم الأجهزة الإلكترونية ، هذا النظام نجده بشكل رائع في كتاب الله تعالى . ومبدأ هذا النظام يعتمد على رقمين : الواحد والصفر (1 ، 0) وعندما نبحث في سورة الإخلاص وهي سورة التوحيد وفيها صفة الله تعالى (الوحدانية والتنزيه عن الشريك) ، نجد أنّ فيها كلمات تضمنت حروفا من لفظ الجلالة (الله) وكلمات لم تحتو على هذه الحروف .

والنظام الثنائي الذي نحاول اكتشافه يعتمد على مبدأ بسيط وهو وجود أو عدم وجود شيء ما ، فبالنسبة للفظ الجلالة في سورة الإخلاص : الكلمة التي تحوي ألف أو لاما أو هاء (الله) تأخذ الرقم واحد ، والكلمة التي لا تحوي أيًّا من هذه الحروف الثلاثة تأخذ الرقم صفر .

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
1 1 1 0 1 0 1 1 0 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 0

إنّ العدد الذي نراه في الجدول من مضاعفات السبعة :

$158585871587301587 30 \times 7 = 1110101101111111111110$

<u>الكتاب المثاني :</u> والآن سوف نرى نظاما عجيبا يتجلى في أول آيتين من كتاب الله تعالى ، لنكتب الآية الأولى والآية الثانية من القرآن وتحت كل كلمة عدد حروفها :

بسم	الله	الرحمن	الرحيم
3	4	6	6
العدد (6643) من مضاعفات السبعة : $949 \times 7 = 6643$			

الحمد	لله	رب	العالمين
5	3	2	7
نقرأ العدد بالعكس ، أي (5327) : من مضاعفات السبعة : $761 \times 7 = 5327$			

إذن قسمة على (7) باتجاه اليمين ثم قسمة على (7) باتجاه اليسار ! وربما نلمس من هذا النظام المتعاكس معنى جديدا للمثاني في القرآن العظيم . ولكي نزداد يقينا بمصداقية هذه الاتجاهات ، نعيد كتابة الآيتين ولكن هذه المرة نخرج من كل كلمة ما تحويه من لفظ الجلاله (الله) أي (الألف واللام والهاء) في كل كلمة .

بسم	الله	الرحمن	الرحيم
0	4	2	2
العدد (2240) من مضاعفات السبعة : $320 \times 7 = 2240$			

الحمد	لله	رب	العالمين
2	3	0	3
العدد معكوسا من مضاعفات السبعة (مقلوبه : (2303 $329 \times 7 = 2303$			

هذا النظام العجيب والذي يستحيل تقليده من قبل البشر نجده منتشرا في آيات القرآن الكريم . ولكن نقتصر في هذا البحث على سورة الإخلاص لنرى النظام يتكرر في أول آية من هذه السورة:

الآية	بسم الله الرحمن الرحيم	قل هو الله أحد
ما تحويه كل كلمة من لفظ الجلالة (الله)	0 4 2 2	1 1 4 1
اتجاهين متعاكسين لقرءاة الأعداد	$320 \times 7 = 2240$	$163 \times 7 = 1141$

توزع مذهل (أ ـ ل ـ هـ) لنكتب سورة الإخلاص كاملة مع البسملة ثم نخرج من كل ما تحويه من حرف الألف ، ثم نخرج من كل كلمة ما تحويه من حرف اللام ، ثم نعيد العملية من أجل حرف الهاء ، ونرتب النتائج في هذا الجدول :

السورة	بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد
الألف	0 0 0 0 0 0 1 1 1 1 0 0 1 1 1 0 1 1 0 0 0
اللام	0 1 1 0 1 1 1 2 0 2 0 1 1 1 2 0 0 0 1 0 1

الهاء	0 1 0 0 0 1 1 0 1 0 0 0 0 0 0 0 0 0 0 1 0 0

1 - توزع حرف الألف : من مضاعفات الرقم (7) :
157142857144444428730 × 7 = 1100000000001111001110
2 - توزع حرف اللام : من مضاعفات الرقم (7) :
144301444457470160 × 7 = 0010101101111202011120
3 - توزع حرف الهاء (مقلوب العدد) : من مضاعفات الرقم (7) :
142872871428571430 0 × 7 = 0100011010000000000100

إنّ كلمة (الله) هذا الاسم العظيم أول حرف فيه هو الألف وآخر حرف هو الهاء . ومن الجدول السابق نرى نظاما بديعا لهذين الحرفين وتوزعهما عبر كلمات السورة : فأول حرف في لفظ الجلاله (الله) وهو الألف توزع في سورة الإخلاص بنظام سباعي باتجاه اليمين ، وآخر حرف في لفظ الجلالة (الله) هو الهاء ، وقد توزع عبر كلمات هذه السورة بنظام سباعي باتجاه اليسار . وكأن هذين الاتجاهين نحو اليمين ونحو اليسار يعبّران عن أنّ كلمات الله لا نهاية لها كيفما توجهنا يمينا أو شمالا !

إنّ سورة الإخلاص التي أقسم رسول الله ﷺ بأنها تعدل ثلث القرآن هي عبارة عن سطر واحد ، فهل يستطيع البشر في القرن الواحد والعشرين بكل أجهزتهم وقدراتهم أنْ يأتوا بسطر واحد فيه مثل هذه الحقائق الرقمية العجيبة ؟ إننا لو طلبنا من أسرع أجهزة الكمبيوتر أنْ تعطي مثل هذا النظام فإنّ هذا الكمبيوتر سيبقى يعمل باستمرار بلايين بلايين ... السنوات ليأتينا بسطر واحد مثل سورة الإخلاص ، وهيهات أنْ يأتي بذلك ؟.

****

التوازن والتطابق العددي بين القرآن والكون

لله عز وجل كتابين وكونين:الأول(القرآن الكريم) كتاب الله المسطور والثاني(الكون) كتاب الله المنظور، فهما متطابقان ومتناسقان لأنّ مصدرهما واحد، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق الكون والإنسان،فالقرآن يقود إلى الكون والكون يقود إلى القرآن ويفسر أحدهما الآخر حتى قال أحد العلماء (إنّ القرآن كون الله المسطور والكون قرآن الله المنظور)!! . وفي هذا السياق عقد شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى (سنة 728 هـ)كتاباً قيماً بعنوان (مطابقة صريح المعقول مع صحيح المنقول). وصحيح المنقول هو القرآن وما صح من الحديث النبوي الشريف (العلوم الشرعية) وصريح المعقول هو (العلوم الكونية). إنّ الفرق بين القرآن والكون وعلومهما:أنّ القرآن الكريم هو السابق والأصل كونه كلام الله الأزلي الذي هو صفة من صفاته فهو الحقيقة المطلقة والثابتة أما الكون فهو اللاحق والفرع لأنه مخلوق وحادث وكل حادث متغير، وبمعنى آخر أنّ القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى والكون هو المعجزة الصغرى. وحيث أنّ مصدرهما واحد كما ذكرنا فينتج عن ذلك حصول التوازن والتطابق بينهما.فالله عز وجل أنزل وحيه وجعله محكماً قال تعالى: "الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" [هود] ،وهو كذلك خلق كونه بصورة دقيقة ومتوازنة وحكيمة قال تعالى:" وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"[الفرقان]. فجعل الإحكام والإتقان والتوازن والتناسق في كلامه وفي خلقه على حد سواء لذلك قال عز وجل: " قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا"[الفرقان]. ولتوضيح وإثبات ما نقول في هذا التطابق بين القرآن الكون سنذكر بعض الأمثلة .

المثال الأول: (الفرقان) و(بني آدم) و(مراحل خلق الإنسان) في القرآن :فكلمة (الفرقان) وردت في القرآن الكريم في سبعة مواضع وهي الآيات الآتية: 1- سورة البقرة (53) 2- سورة البقرة(185) 3- سورة آل عمران(4)

4- سورة الأنفال(29) 5- سورة الأنفال(41) 6- سورة الأنبياء(48) 7- سورة الفرقان(1) والفرقان هو أحد أسماء القرآن الكريم وسمي بالفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، وقد أنزله الله تعالى إلى بني آدم جميعا بشيراً ونذيراً.لذلك نجد أنّ كلمة (بني آدم) قد وردت في القرآن في سبعة مواضع أيضاً ! وذلك في الآيات السبع الآتية: 1- سورة الأعراف(26) 2- سورة الأعراف (27) 3- سورة الأعراف (31) 4- سورة الأعراف (35) 5- سورة الأعراف (172) 6- سورة الإسراء (70) 7- سورة يس (60).

علما أنّ مراحل خلق الإنسان (بني آدم) التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون] وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن. وهذه المراحل هي1-أصل الإنسان (سلالة من طين) 2- النطفة 3- العلقة 4- المضغة 5-العظام 6- الإكساء باللحم 7- النشأة وقد أعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة والمنعقد في موسكو (أيلول 1995) هذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحاً ودقيقاً وأوصى في مقرراته على اعتماده كتصنيف علمي للتدريــس علماً أنّ الأستاذ الدكتور - كيث مور - وهو من

أشهر علماء التشريح وعلم الأجنة في العالم ورئيس هذا القسم في جامعة تورنتو بكندا والذي كان أحد الباحثين المشاركين في المؤتمر المذكور ، ألّف كتاباً يعد من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص (مراحل خلق الإنسان _ علم الأجنة السريري) وضمّنه ذكر هذه المراحل المذكورة في القرآن وربط في كل فصل من فصول الكتاب والتي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبين الحقائق العلمية والآيات والأحاديث المتعلقة بها وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الزنداني وزملائه. وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عقد في القاهرة عام 1986 وقف الأستاذ الدكتور كيث مور في محاضرته قائلاً : إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم ولستُ أعتقد أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لأنّ هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين وأريد أنْ أؤكد على إنّ كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين) . وقال الدكتور - برسود -رئيس قسم التشريح في كلية الطب بجامعة منيتوبا (كندا) في بحثه الموسوم (توافق المعلومات الجنينية مع ما ورد في الآيات القرآنية) ما نصه : وتلتقي ملاحظات العلم الحديث مع ما ذكرته الآيات القرآنية منذ أكثر من 1400 عاما التقاءً تاما وتعد التسميات القرآنية في دقة وصفها دليلا أخر على مصدرها الإلهي لخروج ذلك عن طاقة البشر في عهد النبوة . ويزيد الأمر عجبا ودهشة ذلك التتابع في الأسماء المعبرة عن كل طور والأحداث المتزامنة معها في جميع الآيات وكان من الممكن أنْ يختل هذا الترتيب لو صدر ذلك عن البشر لانعدام العلم الواقعي ووسائله في ذلك العصر . ولا يمكن أنْ يتأتى ذلك كله إلا عن علم شامل ومحيط من الله العليم الخبير !). ومن الجدير بالذكر أنّ عدد الآيات التي تناولت علم الأجنة في القرآن الكريم هي (40) آية موزعة على (28) سورة فإذا علمنا أنّ الجنين يحتاج إلى مدة زمنية تقدر بأربعين أسبوعاً أو نحو(280) يوماً تحتسب من بدء آخر حيضة للمرأة الحامل لكي تتم ولادته، فإنّ القرآن يضع ذلك أساساً عددياً مهما في هذا المجال.

المثال الثاني: (السموات والأرضون السبع) في القرآن: ينص القرآن بوجود سبع سموات وكذلك سبع أرضين في قوله تعالى:" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" [الطلاق] يقول صاحب كتاب (التفسير المنير) في تفسير هذه الآية : أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض يعني سبع أرضين (يتنزل الأمر بينهن) أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن. أي أنّ الله هو الذي أبدع السموات السبع والأرضين السبع أي سبعاً مثل السموات السبع يتنزل أمر الله وقضاؤه وكلمته وحكمه ووحيه من السموات السبع إلى الأرضين السبع . وقد وردت عبارة (سبع سموات) في القرآن في سبع آيات أيضاً وكالآتي :- 1- سورة البقرة(29) 2- سورة الاسراء(44) 3- سورة المؤمنون(86) 4- سورة فصلت (12) 5- سورة الطلاق (12) 6- سورة الملك(3) 7- سورة نوح. ومن عجائب القرآن العظيم أنه قد ورد فيه أمر مراحل خلق السموات والأرض في عبارة (في ستة أيام) في سبع آيات أيضاً ! وكالتالي :

1- سورة الأعراف (54) 2- سورة يونس(3) 3- سورة هود(7) 4- سورة الفرقان(59) 5- سورة السجدة(4) 6- سورة ق(38) 7- سورة الحديد(4) وقد ذكر الله عز وجل عملية خلق السموات والأرضين بصيغ لغوية بلاغية مختلفة في سبعة أفعال أيضاً! وهي كالأتي :

1- خلق "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ "[الأنعام]

2- فطر"إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ "[فصلت]

3- بنى "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ "[الذاريات]

4- قضى " فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ "[فصلت]

5- رفع "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ "[الرعد]

6- سوىّ "هوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[البقرة]

7- أبدع "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[البقرة].

فإذا عرفنا أنّ العلم الحديث أثبت جيولوجيا (علم طبقات الأرض) إنّ للأرض سبع طبقات، وإنّ غلافها الجوي يتألف من سبع أغلفة تحيط بها. فلا بد أنْ يكون هناك سبع سموات وسبع أرضين ! والزمان كفيل وفق التقدم العلمي فيه أنّ يكتشف العلماء ما قدر الله

معرفته وصولا إلى معرفة حقائق السموات والأرضين السبع والله أعلم . ولما كانت المسافات الشاسعة بين الكواكب والنجوم والمجرات بالنسبة للأرض (السموات والأرض) تقاس بالسنة الضوئية (وهي المسافة التي يقطعها الضوء في مدة سنة كاملة) فقد وردت كلمة (سنة) في القرآن الكريم في سبع آيات كريمات أيضاً(ربما لهذا السبب أو لغيره والله أعلم) كما في الجدول الآتي :

تكرار كلمة (سنة) في القرآن الكريم			
ت	الآية	السورة	رقم الآية
1.	يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سنة	البقرة	96
2.	قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سنة	المائدة	26
3.	وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سنة مِمَّا تَعُدُّونَ	الحج	47
4.	فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سنة	العنكبوت	14
5.	فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سنة	السجدة	5
6.	حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سنة	الأحقاف	15
7.	كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سنة	المعارج	4

كما أنّ كلمة (يوم) تكررت في القرآن الكريم في (365) موضعا بعدد أيام السنة الشمسية وتكررت كلمة (شهر) فيه في (12) موضعا وذلك بعدد أشهر السنة الشمسية أوالقمرية . فتأمل.

*****

الإعجاز في الألوان

في

القرآن الكريم

"ومن الجبال جدد بيض...وغرابيب سود"

قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السماء ماء فَأَخْرَجْنَا به ثَمَرَاتٍ مّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ.وَمِنَ النّاسِ والدواب وَالأنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " [فاطر]. إنّ المفسرين القدماء لم يختلفوا في أنّ المقصد الرئيسي من تلك الفقرة هو بيان اختلاف الألوان مثل قوله تعالى :"صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىَ بماء وَاحِدٍ"ولكن اختلفوا في كلمتي جدد و غرابيب، فابن كثير ذكر أنّ ابن عباس قال : " الجدد هي الطرائق " أي الطرق، جمع جدة. بينما نقل الشوكانى في تفسيره عن الفراء أنّ الجدد تكون في الجبال كالعروق وهذا قريب مما نقله القرطبي في تفسيره عن الجوهري : " والجدة الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه " وهو ما ذهب إليه البيضاوي. كما ذكر القرطبي أنّ الجدد هي القطع. وذكر كذلك أنها قد تكون طرائق تخالف لون الجبل. أما كلمة "غرابيب سود " فذكروا أنّ غرابيب جمع غربيب وهو شديد السواد. ولكن القرآن لا يكرر ألفاظا، هل يقول القرآن: شديد السواد أسود ؟ إن قيل للتوكيد فتوكيد الألوان لا يتقدم عليها، بل يقال عندئذ (سود غرابيب).

رأى علماء الإعجاز العلمي: د . عبد الله عمر نصيف (أستاذ الجيولوجيا السعودي) لفت الأنظار إلى مسألة جديرة بالتدبر وهى إشارة تلك الفقرة القرآنية إلى دور الماء في تلوين الصخور، وهى مسلمة علمية جيولوجية قال ذلك في ورقة له في المؤتمر الأول لجيولوجية العالم العربي بجامعة القاهرة. وهو ما أشارت إليه بإعجاز بداية الفقرة القرآنية التي نحن بصددها. أما " الجدد" فقد انحاز علماء الإعجاز المعاصرون إلى رأي الفراء الذي قال أنّ الجدد هي العروق في الجبال، أي ما يسمى الآن " القواطع " ثم ذكروا أنّ الإعجاز في فصل القرآن بين ألوان الصخور الفاتحة (بيض وحمر) من ناحية وبين الداكنة (سود) من ناحية أخرى وهو تصنيف الصخور المشهور في الجيولوجيا Felsicإلى Mafic. ولم يتعرضوا لقضية لماذا لم يذكر القرآن سود دون غرابيب أو العكس فقط د. عبد الله عمر نصيف رأى أنّ الغرابيب هي التراكيب الجيولوجية البازلتية السوداء التي تكون على هيئة الوسادة كذلك رأى د. حسنى حمدان أنّ المقصود بالجدد القواطع العديدة التي على هيئة سرب ليتحقق تعدد الألوان، وليس القواطع المنفردة. إنّ أكثر أسباب نشوء الجبال خاصة سلاسل الجبال الكبيرة هي:- أ-التضاغط بين لوحين من الألواح المكونة للقشرة الأرضية. سواء لوح قاري مع آخر محيطي. حيث تعلو منطقة التلاصق قليلا ثم تعلو أكثر نتيجة نشوء الحركات البركانية ، مثال ذلك جبال الإنديز . أو التضاغط بين لوحين قاريين مثل أحزمة جبال الهيمالايا والألب (تسمى هذه العملية. وهذا التضاغط يلغى أي خطوط أفقية(جدد).

ب-حركات الصخور الرأسية: أو ما يسمى الارتفاع الإبيروجينى نتيجة نشوء بقعة حارة أسفل القشرة الأرضية لتلك المنطقة. مثال ذلك هضبة كلورادو في الولايات المتحدة المكونة حادا. ورسوبية ذات طبقات ملونة نتيجة اختلاف نوعية صخور كل طبقة. وهذا لا يلغى خطوط الصخور الأفقية(الجدد) لأنه ليس حادا .

ج- التجوية والتعرية حيث يؤدى تآكل سطح بشكل نسبى إلى نشوء قمم صغيرة ترتفع تبعا لنظرية الطفو. مثال ذلك جبل "ريودى جانيرو " الجرانيتى الشهير في البرازيل.

د- الانفجارات البركانية البانية لجبالها حيث تتراكم الصخور بعد أنْ بردت من الحمم. وهى عملية كثيراً ما تكون مصاحبة للسبب الأول أو في حالة تباعد لوحين محيطيين من ألواح القشرة الأرضية أو انقسام لوح قاري إلى لوحين بعد أنْ نشأ تقبب ثم تشقق لمنطقة الفصل ثم تكون منخفض ثم خروج الحمم المكونة للجبال البركانية من هذه الشقوق مثال ذلك هضبة " دراكنسبرج" بجنوب

إفريقيا. وهذه الجبال بالطبع لا نجد فيها خطوط (جدد) صخور أفقية لأنها ستنصهر حتما. وكذلك لاختلاف لزوجة كل نوع من الصخور البركانية مختلفة الألوان. قد يشكل البازلت الأسود طبقات فوق بعضها عقب انفجارات متعددة إلا إنها ستكون طبقات (جددا) ذات لون واحد(مثل جبال هاواى) .

تحليل كلمة "غرابيب" لغوياً: يقول ابن منظور في كتابه " لسان العرب " في باب "غرب" ، أسود غربيب وغرابي : شديد السواد . أي أنّ الغربيب هو الغرابي . فهل من معاني الغرابي شيء سوى السواد ؟ نعم ، من معاني كلمة غراب الآتي (كما قال صاحب " لسان العرب " وصاحب "الصحاح") : غراب الفأس : حدها . وغرابا الفرس والبعير حدّ الوركين وهو حرفاهما . وللعين غرابان : مقدمهما ومؤخرهما **. وغارب البعير هو مقدمة السنام(أي النتوء الذي يتقدم السنام وليس ذروته). (فأصل كل هذه الاشتقاقات كلمة "غرب" وهي البعد ومنها غربت الشمس ") . ولم تقل العرب للأسود غربيبا إلا لبعده في السواد بل قد تقال لغيره منه الألوان. فالمُغرب الذي كل شيء منه أبيض.** إذن الغربيب هو الذي له شكل الغراب وهو البروز أو النتوء **، وهو الذي نرى أنه شكل ذلك النوع من الجبال التي لها قمة أو أكثر تبدو كل منها كالنتوء التي إنْ تعددت يبدو لهذا الجبل شكل التجاعيد التي تبدو كمجاري السيول. والعجيب أنّ من معاني كلمة "غروب" مجاري الدمع. والغرب هو الماء الذي يسيل من الدلو.**

يستشعر قارئ تلك الفقرة القرآنية مقابلة بين كلمتي(3)" جدد بيض " و" غرابيب سود " فطالما أنّ " الجدد " تعبر عن شكل و "البيض" لون، فكذلك الأسود لون ولابد إذن أنْ تكون "الغرابيب" شكلاً لا لونا .. فأي شكل؟ تبعا لما ذكرناه في "نبذة عن نشأة الجبال" و "تحليل كلمة غرابيب لغويا" .فإنّ الغرابيب هي الجبال المكونة من صخور نارية، إما بلوتونية جوفية مثل المكونة من صخور "الجابرو" كسلسلة جبال شمال غرب كندا، وبالطبع لا تجد فيها طبقات مختلفة الألوان، وإماالجبال البركانية المكونة من صخور البازلت المعروف بسواده وبكثافته الأقل من بقية الصخور البركانية البيضاء والحمراء مثل "الريولايت" و " الأنديزايت" . فتشكل قمته نتوءً أو أكثر لا قمماً سامقة. وفي نفس الوقت لا تتداخل طبقات البازلت الأسود مع بقية الصخور البركانية ذات الألوان البيضاء والحمراء لاختلاف لزوجته كما أسلفنا. وقد تجد جبالاً بركانية بازلته ذات طبقات سوداء بعضها فوق البعض، وهي الجدد (مثل جبال هاواي) لكنك لن تجدها جدداً مختلفة الألوان.وتتعدد طبقات صخور جبال هاواى لتعدد مجارى حمم البازلت مما جعلها تبدو كمجارى السيول. (مجارى الدمع هي الغروب كما ذكرنا). كذلك هناك جبل بركاني مشهور من جبال المدينة المنورة اسمه جبل غراب. الأهم من كل ذلك أنّ ابن كثير نقل عن عكرمة رأيه أنّ الغرابيب هي الجبال الطوال السود **!. ما هي الجدد ؟ الجدد هي الطبقات الأفقية المكونة لطائفة كبيرة من الجبال المسماة بالرسوبية. يكون أغلبها أبيض وهو الحجر الجيري(واسع الانتشار ولذا ذكر أولا) تتداخل معه في كثير من الأحيان طبقات من خام الحديد الأحمر وقد نجد الصخور الطينية السوداء. وكثيرا ما نجد صخور الحجر الرملي**

الصفراء (وهو لون بين الأبيض والأحمر المذكورين في الآيتين). مثال ذلك صخور جبال وادي كلورادو في الولايات المتحدة وصخور بعض جبال "سنكيانج"فى طريق الحرير بالصين . و مسألة الألوان المذكورة هنا لم تأخذ حقها عند المفسرين. وهي مسألة شديدة الأهمية لدرجة أنها تستخدم في علاج العديد من الأمراض. الأبيض لعلاج صفراء حديثي الولادة، الأزرق الألوان. الدم، البرتقالي لعلاج الاكتئاب (كما ذكر في قصة البقرة)، الأخضر لإدخال السرور والبهجة فأصبح اللون المفضل لثياب الجراحين(ألم يذكر القرآن أنّ الحدائق ذات بهجة ؟) . كما أنّ هناك أمر آخر شديد الأهمية في مسألة الألوان. فقد ذكرت الألوان في القرآن الكريم سبع مرات ولم تذكر مرة واحدة غير مقرونة بمصطلح الاختلاف، " مختلف ألوانه "، " مختلفاً ألوانه " وهكذا فالمطلوب من المسلم حين يرى ألواناً متعددة أنْ يتدبراختلافها. ثم إنّ جملة " ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء " وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات وفي كل مرة يذكر فيها الألوان (مخضرة – مختلفاً ألوانها – مختلفاً ألوانه) وفي ذلك إشارة إلى دور الماء في التلوين. هذا يؤكد ما ذهب إليه د.عبد الله عمر نصيف وأشرنا إليه سابقاً من إعجاز إشارة القرآن إلى دور الماء في تلوين الصخور. كذلك كلمة " ألم تر " إنْ لم تأتِ بمعنى ألم تعلم، أي تقصد الرؤية الفعلية وذكر بعدها ، كلمة " ألوان " لابد أنْ يتبعها (الاختلاف)، " مختلفا ألوانه ". أي أنّ رؤية الألوان تقتضي الاختلاف وهذا ما علمناه أخيراً من أنّ رؤية الألوان ليست خاصية للضوء أو للأجسام التي تعكس الضوء.إنما رؤية الألوان إحساس ينشأ في الدماغ. فالطيور والسلاحف والسحالي والعديد من الأسماك لديها قدرة على رؤية الألوان فوق البنفسجية . وهو ما تفتقده الثدييات والإنسان. الطيور خاصة عندها قطيرات زيت في خلايا المخاريط في الشبكية أكثر بألوان مختلفة تعمل كمرشحات تزيل الضوء ذا الأطوال الموجية القصيرة . كذلك رؤية الطيور للألوان رباعية الأوجه بينما رؤية الإنسان للألوان ثلاثية الألوان. كما أنّ للإنسان طرازين من خلايا المخاريط في الشبكية بينما للطيور أربعة مما يمكنها من رؤية الضوء فوق البنفسجي المنعكس من السطح الشمعي للفواكه والثمار والمنعكس كذلك من بول وبراز القوارض . فيتسنى لتلك الطيور التعرف عليها فأنّى لمحمد صلى الله عليه وسلم معرفة أنّ رؤية الألوان نسبية إنْ لم يكن القرآن وحي إلهي ؟ إذ يفهم من الفقرة القرآنية التي نحن بصددها أنّ : هذه الألوان في النبات والجبال والحيوان هي ما تراه أنت أيها الإنسان.أي ألم تر أنت أيها الإنسان لا غيرك .

- الإعجاز الأكبر في مسألة " اختلاف الألوان " وتقديمها: يتضح تماماً أنّ تركيز هاتين الآيتين على مسألة " اختلاف الألوان "، إذ ذكرت في القرآن كله سبع مرات وفي تلك الفقرة القصيرة ذكرت ثلاث مرات. إذن في الكلام عن الجبال هنا التركيز على مسألة اختلاف ألوانها . فيكون معنى الآيتين إما (أ) : من الجبال ما يكون مكونا من جدد (طبقات) وسيكون لون هذا الجبل في الغالب الأبيض ثم الأحمر أو ما بينهما (كالأصفر) {وهى على التوالي جبال الحجر الجيري وخام الحديد والحجر الرملي، وهى المتواجدة على هيئة طبقات مترسبة}، ومنها ما لا يكون على هيئة طبقات (جدد) بل يكون له قمة.

كأنما الفقرة تدعوك إلى النظر في ناحية إلى مجموعة من الجبال المكونة من طبقات. واحد منها أبيض اللون والآخر أحمر وهكذا . وإلى النظر في ناحية أخرى إلى جبل بلا طبقات، مصمت وله قمة وأسود اللون. وإما أن يكون المعنى (ب) : أنّ هناك من الجبال ما يكون مكونا من جدد متعددة الألوان، (وهذا الاحتمال هو الأرجح في رأيي)، ومنها ما يكون مكونا من لون واحد بلا جدد وهو الأسود، (إن عد لونا لأنه يمتص جميع الألوان) كما نبه إلى ذلك د.أنيس الراوي دون شوائب من أي لون آخر. كأنما تدعوك تلك الفقرة إلى النظر إلى جبل مكون من جدد (طبقات) متعددة الألوان في ناحية. وإلى النظر إلى جبل آخر بلا طبقات أسود اللون في ناحية أخرى . يؤكد ذلك إعجاز القرآن المتكرر في تقديم بعض الكلمات لحصر وصف ما في فئة محددة . ففي سورة الكهف حين ذكر الله اختلاف أهل الكتاب في عدة أهل الكهف قال: " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ". قوله "رجماً بالغيب " فصل بين الاحتمالين الأولين من ناحية فنقضهما ثم أثبت الاحتمال الأخير وهو سبعة وثامنهم كلبهم. في حالتنا هذه تقديم كلمة " مختلف ألوانها " فصل بين الجبال التي على هيئة جدد مختلفة الألوان. سواء اختلاف في درجة كل لون على حدة أو اختلاف تداخل الألوان ولا يكون لها قمم واضحة وبين الجبال المكونة من لون واحد لا يكون فيها أي تداخل من ألوان أخرى ، أو حتى درجات من هذا اللون وهو الأسود وهى ذات قمم أو نتوءات. إذ لم نقرأ الفقرة هكذا : " ومن الجبال جدد بيض وحمر وغرابيب سود مختلف ألوانها " مثلا. إعجاز تقديم " مختلف ألوانها " إذن لأنه أفاد الفصل بين نقيضين في عدة أمور (وهو ما يسمى في **اللغة بالمقابلة):**

أ-الجبال مختلفة الألوان والجبال المكونة من لون واحد وهو الأسود الذي قد لا يعد لونا لامتصاصه جميع الألوان. ب-الصخور المكونة من معادن فاتحة وأخرى داكنة. ج-الفصل بين الجبال المكونة من طبقات أفقية (جدد) وأخرى ذات قمم أو نتوؤات والتي قد يكون لها خطوط رأسية نتيجة التضاغط.

د-الصخور الرسوبية (التي تكون الجدد أو الطبقات) والصخور النارية (المكونة للجبال الغرابية). أي أنّ {الإعجاز الأكبر هنا في الفصل بين هذين النوعين من الجبال، الغرابى. }

جبال مكونة من طبقات (جدد) صفراء وحمراء وبيضاء في باجا كاليفورنيا

هذا ما قرأناه تماماً في آيتي سورة فاطر التي نحن بصددها كأنما تقول الآيتان: هناك نوع من الجبال مكون من طبقات ملونة(تراها أنت أيها الإنسان على غير ما يراها غيرك من كثير من الكائنات.) وذلك نتيجة اختلاف صخورها (صخور رسوبية) أغلبها الأبيض (الحجر الجيري) ثم الأحمر (خام الحديد) وهى لا تكون أبدا قمما سامقة (غرابيب) لأنّ عوامل تحولها لقمم ستلغى خطوطها العرضية . وهناك كذلك جبال ذات لون واحد هو الأسود مكونة من صخور نارية لا يمكن أنْ تشكل طبقات مختلفة

الألوان لاختلاف لزوجتها قد تكون جددا (كالبازلت في هاواي) لكن ليست مختلفة الألوان كالنوع الأول من الجبال . فأنّى لمحمدﷺ بعلم ألوان وأشكال تكوين الجبال والصخور والمعادن واختلاف لزوجتها ؟ " إنْ هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ".

*****

اللون الأخضر في القرآن

ما أكثر ما يرد لفظ الخضرة في آيات القرآن الكريم والتي تصف حال أهل الجنة أو ما يحيط بهم من النعيم في جو رفيع من البهجة والمتعة والاطمئنان النفسي . قال تعالى : " مُتَّكِئينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍ حِسانٍ " [سورة الرحمن] وقال تعالى : " عالِيَهُمْ ثِيابُ سندسٍ خُضرٌ وإستبرقٌ وحُلُّوا أساورَ مِن فضةٍ وسقاهمْ ربُّهمْ شَراباً طهوراً " [سورة الإنسان] وقال تعالى : " مُتكِّئينَ على فُرُشٍ بطائِنُها مِن إستبرقٍ وجنَى الجنَّتين دانٍ " [الرحمن] يقول أحد علماء النفس وهو أردتشام - : إنّ تأثير اللون في الإنسان بعيد الغور وقد أجريت تجارب متعددة بينت أنّ اللون يؤثر في إقدامنا وإحجامنا ويشعر بالحرارة أو البرودة ، وبالسرور أو الكآبة ، بل يؤثر في شخصية الرجل وفي نظرته إلى الحياة . ويسبب تأثير اللون في أعماق النفس الإنسانية فقد أصبحت المستشفيات تستدعى الاخصائيين لاقتراح لون الجدران الذي يساعد أكثر في شفاء المرضى وكذلك الملابس ذات الألوان المناسبة وقد بينت التجارب أنّ اللون الأصفر يبعث النشاط في الجهاز العصبي ، أما اللون الأرجواني فيدعو إلى الاستقرار واللون الأزرق يشعر الإنسان بالبرودة عكس الأحمر الذي يشعره بالدفء ووصل العلماء إلى أنّ اللون الذي يبعث السرور والبهجة وحب الحياة هو اللون الأخضر . لذلك أصبح اللون المفضل في غرف العمليات الجراحية لثياب الجراحين والممرضات . ومن الطريف أنْ نذكر هنا تلك التجربة التي تمت في لندن على جسر (بلاك فرايار) الذي يعرف بجسر الانتحار لأنّ أغلب حوادث الانتحار تتم من فوقه حيث تم تغيير لونه الأغبر القاتم إلى اللون الأخضر الجميل مما سبب انخفاض حوادث الانتحار بشكل ملحوظ واللون الأخضر يريح البصر ذلك لأنّ الساحة البصرية له أصغر من الساحات البصرية لباقي الألوان كما أنّ طول موجته وسطى فليست بالطويلة كاللون الأحمر وليست بالقصيرة كالأزرق .

****

تغير اللون مع شدة الحرارة

عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال { أوقِدَ على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقِد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة } رواه الترمذي ورجاله ثقات . يفصل لنا الحديث كيف يتغير لون الإشعاع مع اشتداد الحرارة من الأحمر إلى الأبيض ثم إلى الأسود . لو أتينا بقطعة حديد ، أو أي شيء آخر ، وسخناه تسخينا كافيا فإنه يحمر ، فإذا زدنا التسخين ورفعنا حرارته أكثر فإنه يغدو أبيض سيالا ، وإذا زدنا التسخين أيضا ورفعنا حرارته أضعافا نرى الإشعاع أخذ يميل إلى اللون الداكن ثم يتبخر ، و إذا استطعنا أنْ نحتفظ بالأبخرة في مكان محصور ثم رفعنا حرارتها فإنّها تسود ثم تسود وكلما ارتفعت الحرارة كلما زاد الاسوداد.

****

العين ومجالها المحدود

قال تعالى : " فلا أُقسِم بِما تُبصِرونَ وما لا تبصرونَ " [الحاقة] .فهناك أشياء كثيرة لا يبصرها الإنسان وإنْ كانت أمامه ، ذلك لأنّ إبصار الإنسان محصور بمجال محدد للألوان فهو لا يرى بُعد طرفي المجال بعينه ، وطرفي المجال محدود بالبنفسجي والأحمر . فالإنسان لا يرى اللون فوق البنفسجي ولا تحت الأحمر وما يتلو هذين اللونين من ألوان ، قال تعالى : " ومِن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجينِ لعلكم تذكرونَ " فهناك ألوان مرئية وأخرى غير مرئية : في شبكية العين عشر طبقات ، في أخراها مائة وأربعون مليون مستقبل للضوء ، ما بين مخروط وعصية ، ويخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري ، يحوي خمس مائة ألف ليف عصبي ، ولو درجنا اللون الأخضر ، مثلا ، ثمان مائة ألف درجة ، لا ستطاعت العين السليمة ، أنْ تميز بين درجتين ، أليست هذه معجزة !

****

من مصادر ومراجع الموسوعة

1.آيات قرآنية في مشكاة العلم.د:يحي المحجري
2.العلم طريق الإيمان.للشيخ عبد المجيد الزنداني
3.الله والإعجاز العلمي في القرآن .أ:لبيب بيضون
4.الإسلام والحقائق العلمية.أ:محمود القاسم
5.العلوم في القرآن.د:محمد جميل الحبال و.د:مقداد مرعي
6.المعارف الكونية بين العلم والقرآن .إعداد نخبة من علماء الفكر المعاصر
7.الإسلام والحقائق العلمية.أ:محمود القاسم
8.كتاب توحيد الخالق.الجزء الأول:عبد المجيد الزنداني
9.الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.د:حسن أبو العينين
10.مفردات ألفاظ القرآن الكريم.: الراغب الأصفهاني
11.الأنواء الجوية . د: ك. سميث
12.معجزة القرآن .أ : هارون يحيى
13. الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن الكريم .د :شاهر جمال آغا
14. الإعجاز العلمي في الإسلام و السنة. أ:محمد كامل عبد الصمد
15. طرق علمية لتحديد القبلة.أ: حسام عبد القادر
16. علوم الحياة.د :جهاد علي الشاعر
17.الماء تلك المادة العجيبة.: برفسور: بتر يانوف
18.بحث الظواهر البحرية.عبد المجيد الزنداني
19. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم.د :زغلول النجار
20. بحث أوجه الإعجازفي ملتقى البحرين.للشيخ :عبد المجيد الزنداني
21. الكون والإعجاز العلمي للقرآن.أ : منصور حسب النبي
22.العظمة في كل مكان.أ : هارون يحي
23. قصة الإيمان .أ : نديم الجسر
24. الجغرافية الفلكية. د :علي حسن موسى
25. الله يتجلى في عصرالإيمان. ترجمة د:الدمرداش حسن
26. سلسلة المعجزات.أ: هارون يحي
27. روح الدين الإسلامي. أ : عفيف طبارة
28. العلم يدعو إلى الإيمان. أ :كريسي مورسون
29. خلق الكون .أ هارون يحي
30.الإعجاز الطبي في القرآن الكريم .د :السيد الجميلي
31. مع الطب في القرآن الكريم.د :عبد الحميد دياب.و.د:أحمد قرقوز
32.روائع الطب الإسلامي. د :محمد نزار الدقر
33. الأربعون العلمية.أ :عبد الحميد طهماز
34.خلق الإنسان بين الطب والقرآن .أ :محمد علي البار
35. القرار المكين .د :مأمون شفقة
36. الإسلام والطب الحديث. د:عبد العزيز باشا إسماعيل
37. الإعجاز الطبي في السنة النبوية.د :كمال المويل
38. الأمراض الجلدية .د : مأمون جلاد
39. العدوى بين الطب وأحاديث المصطفى .د :محمد علي البار
40. الأمراض المتنقلة بالجنس .د :عبد اللطيف ياسين
41. أنت تسأل والشيخ الزنداني يجيب حول الإعجاز في القرآن الكريم: الزنداني
42. التصميم في الطبيعة .أ: هارون يحي
43. رحيق العلم والإيمان . د : أحمد فؤاد باشا
44. نحل العسل في القرآن والطب.د: محمد علي النبق
45.النحلة تسبح الله. د:محمد حسن الحمصي
46. من أسرار عالم النحل.د :حسان شمسي باشا
47. شخصية الحشرات.: رويال وكنسون

48. المعجزة والإعجازفي سورة النمل. أ :عبد الحميد طهماز
49.التضحية عند الكائنات الحية.أ :هارون يحي
50.حوار مع صديقي الملحد.د :مصطفى محمود
51.الإعجاز النباتي في القرآن الكريم.د: نظمي خليل أبو العصا
52. عالم النبات في القرآن الكريم .د: عبد المنعم الهادي و د: دينا بركة
53. التداوي بالنبات والطب النبوي .د :عبد الباسط محمد السيد
54. السلوك الذكي لدى الخلية .أ :هارون يحي
55. الله والعلم الحديث . أ : عبد الرزاق نوفل
56. الطب منبر الإسلام .د : قاسم سويدان
57. وغدا عصر الإيمان .للشيخ الزنداني
58. الصلاة والرياضة البدنية .أ: عدنان الطرشة
59.نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.أ : خالد عبد الواحد
60 . الإنسان بين العلم والدين.د :شوقي أبوخليل
61. القرآن والعلم المعاصر.د :موريس أبو كاي
62. القرآن والعلم . أ: أحمد محمد سليمان
63. اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات العلم الحديث. عبد الرحمن غنيم
64. وفاء الوفاء بأخباردار المصطفى. نور الدين بن عبد الله السمهودي
65. صحيح البخاري ،كتاب المناقب
66.دراسات تاريخية من القرآن الكريم .ج 4.دأ : محمد بيومي مهران
67 . كتاب البشارات للشيخ الزنداني
68. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. د : موريس بوكاي
69. القرآن والعلم المعاصر . د : موريس بوكاي
70. إعجاز القرآن . أ : محمد حسن هيتو
71. القرآن وإعجازه التشريعي .أ :محمد إسماعيل إبراهيم
72 . دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم.د:المحمدي الحناوي
73.إعجاز النظم في القرآن الكريم . أ : محمود شيخون
74.من روائع القرآن الكريم. د : محمد سعيد البوطي
75 . إعجاز القرآن البياني .د: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء
76. إعجاز القرآن . مصطفى صادق الرافعي
77. البرهان في علوم القرآن . محمد الصابوني
78. الإعجاز العددي في القرآن الكريم . أ : عبد الرزاق نوفل
79. معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم. أ :عبد الرزاق نوفل
80 . إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن الكريم.د : رفيق أبو السعود
81. الجامع لأحكام القرآن الكريم . للقرطبي
82. إرشاد الساري لشرح البخاري
83. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .د: السيد الجميلي
84. العلاج هو الإسلام .للشيخ الزنداني

